تفسير نور الوحي

الإصدار الثاني : ١٤٤٧هـ

نسخة منقحة

القرآن الكريم

لا

إله

إلا

الله

noorlwahy.sourceforge.io
noor@onionmail.org

★ مقدمة ★

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإن الله سبحانه قد نزل كتابا مباركا وتكفل بحفظه كما قال تعالى ﴿ إنا نحن نزّلنا الذِّكر وإنا له لحافظون. ﴾ [الحِجر ٩]، فأثبته لا يمحى ولا يزول ولا يتبدل ولا يتغير كما ورد عن النبي ﷺ فيما يرويه عنه سبحانه من حديث عياض بن حمار المجاشعي ﵁ ﴿ وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان ﴾ [مسلم ٢٨٦٥ ★ أحمد ١٧٤٨٤]، ليتدبر العباد آياته متأملين ما فيها من مواعظ وحجج، فيتذكر أهل العقول الرزينة ما أمر ربهم به وما عنه نهى كما قال تعالى ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدَّبَّروا آياته وليتذكر أولو الألباب. ﴾ [ص ٢٩]، فلا يتجاوزوا ما حد لهم ربهم، فيصيروا بإذنه سبحانه إلى جنة عرضها السماوات والأرض، ويسره للحفظ والتذكر والاتعاظ كما قال تعالى ﴿ ولقد يَسَّرنا القرآن للذِّكر فهل مِن مُّدَّكِر. ﴾ [القمر ١٧ و٢٢ و٣٢ و٤٠]، فلله الحمد والمنة.

ومن سبل تدبر كتاب الله مطالعة تفاسيره، وما أكثرها. فمنها ما اهتم بالأحكام، ومنها ما عني بالدلالة البلاغية، ومنها ما شغل بسرد الآثار، ومنها ما هو مطول ومنها غير ذلك. ودراسة التفاسير تساعد على حفظ الآيات الذي هو أساس طلب العلم كما قال تعالى ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ [العنكبوت ٤٩].

وقد اهتمت طائفة العمل بأن يأتي تفسير نور الوحي سهل العبارة لا خفاء فيه ولا غموض، معتنيا بلوازم التوحيد ومقتضياته ومحذرا من أمور تخرج عباد الرحمن عن ملة الإسلام، وسار على منهج السلف في آيات الصفات، مجتنبا كل تحريف وتأويل يخالف مراد الله بكلامه.

وقد ابتعدنا تماما عن كل طرح بدعي ومنهج ركيك، بل ونحذر أمة الإسلام من كثير مما يلاقي رواجا بين عوام المسلمين اليوم مما هو على شاكلة "الإعجاز العددي" وما شابه من الترهات.

وقد تحققنا من درجة كل حديث وأثر أوردناه، فلم نرد غير ما هو صالح للاحتجاج به، معتمدين على رب العالمين ثم على الدواوين السبعة صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجة ومسند أحمد، وأوردنا رقم كل حديث أو أثر في كل ديوان منهم لمن أراد الاستزادة.

وقد راجعنا ما أوردنا مرات، مستعينين بالله ثم بأصول طابقنا فهمنا على ما جاء فيها ليأتي متوافقا، منها على سبيل العد لا الحصر تفاسير أئمتنا الطبري والقرطبي وابن كثير والبغوي، ثم الشوكاني والسعدي، فلم نؤول كلام الله بالأهواء والآراء المجردة فنصير من المعتدين كما قال تعالى ﴿ وإنَّ كثيرا لَّيُضِلون بأهوائهم بغير علم إنَّ ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ [الأنعام ١١٩]، بل لخصنا ما سبق إليه علماء أجلاء من أهل السنة والجماعة، ثم تحرينا ما جاء به بعض الراسخين من المتأخرين والمعاصرين ورجحنا ما نراه أقرب إلى الصواب.

وقد اعتنينا بالأصول مع عدم إهمال الفروع والجزئيات، وأفردنا قسطا وافرا للجوانب العقدية التي ليست تصح "لا إله إلا الله" إلا بالإتيان بها، وسقنا الأدلة والبراهين وفندنا بعض الشبهات المستحدثة التي تلقى على المسلمين بكرة وعشيا لتصرفهم عن الفهم السوي لكتاب ربهم.

وقد سلطنا الضوء على بعض أسباب معاناة أمتنا اليوم من ركون إلى الأرض وطلب الدنيا مع قلة اهتمام بأمر الآخرة، ومن جهل وتجاهل وإعراض وسطحية وأمور أخرى تغلغلت في كثير من المسلمين، مما أدى بهم إلى الاطمئنان بل واتباع من ليس أهلا لثقتهم، حتى صرفوهم في مسالك شتى ليست تؤدي إلا إلى تدجينهم وإفساد عقيدتهم وعقولهم بل وطمس فطرتهم، وأبرزنا من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ما فيه بإذنه سبحانه خلاصهم مما أصابهم من وهن وذل واعتداء.

وقد استنبطنا بعض فوائد كتاب الله التي لا تنضب، ووضعنا كل فائدة في بيت شعري -متمثلين ما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي بن كعب ﵁ ﴿ إن من الشعر حكمة. ﴾ [البخاري ٦١٤٥ ★ أبو داود ٥٠١٠ ★ الترمذي ٢٨٤٤ ★ ابن ماجة ٣٧٥٥ ★ أحمد ٢١١٥٤]- فصارت بفضل الله منظومة تربو على ستمائة وخمسين بيتا يمكن الاقتباس منها ومن التفسير دون رجوع إلى أحد ودون ذكر مصدر، فجميع الحقوق -من طبع ونسخ وتحميل واقتباس ونشر وتوزيع وعرض وغير ذلك- محفوظة لكل مسلم.

وختاما، نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل كل من قام عليه وكل من قرأه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتب الثلاثاء عاشر شوال لعام **١٤٤٦** للهجرة، ونقح الخميس لثمان بقين من جمادى الأولى **١٤٤٧**.

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢
ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ
عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ
وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

★ سورة الفاتحة ★

★ من أسمائها فاتحة الكتاب وأم الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني والشافية، وهي مكية ★

بسم الله -نبدأ، تيمنا وتبركا وطلبا للعون والتوفيق منه سبحانه، الإله الذي يضرع إليه الخلائق، المعبود بحق- الرحمن -بذاته، ذو الرحمة الواسعة الشاملة بجميع خلقه- العظيم الرحمة بالمؤمنين: كما قال تعالى ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ [الأحزاب ٤٣]. ١

فائدة! استفتاح الدعاء والكلام بالبسملة -تيمنا وتبركا وطلبا للعون والتوفيق من الله- هدي صالح.

مَليكي بِاسمِكَ اللَّهُمَّ هذا ... لنا استِفتاحُ خَيرٍ، فاستَنيروا

كامل الثناء على الله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. ٢

الرحمن -بجميع خلقه- العظيم الرحمة بالمؤمنين: الرحيم بعد الرحمن، تطميعا لقلوب الراغبين. ٣

مالك يوم الدين: يوم القيامة، يوم يدين الله عباده ويحاسبهم، له سبحانه الملك المطلق، يتصرف في ملكه تصرف المالك الحاكم المتفرد بالحكم وبالقضاء بين الخلائق والثواب والعقاب في الآخرة. ٤

إياك -يا الله، وحدك دون سواك- نعبد -فنخصك ونقصدك بالطاعة والخضوع والخشوع، وبما تحب وترضى من أقوال وأعمال، فإن عبادتك هي الغاية التي من أجلها خلقتنا كما قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ﴾ [الذاريات ٥٦]- وإياك نستعين: على طلب الآخرة، وعلى ما يصيبنا في الدنيا، وعلى سائر أمورنا، فتلك وسيلتنا إلى بلوغ ما يرضيك عنا. ٥

فائدة! من أنفع الدعاء طلب الإعانة من الله على فعل ما يرضيه سبحانه عن عبده كما ورد عن النبي ﷺ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ﴿ أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ﴾ [أبو داود ١٥٢٢ ★ النسائي ١٣٠٣ ★ أحمد ٢٢١١٩].

أَعِنِّي: طاعةٌ لكَ يا إلهي ... أُؤدِّيها كما تَرضى ظهيرُ

وفقنا وأرشدنا الطريق المستقيم الواضح غير المعوج الموصل إليك وجنتك: وثبتنا عليه، فإنك سبحانك توفق من تشاء من عبادك للعلم والعمل، وترشد إلى ما تحب وترضى كما قال تعالى ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكنَّ الله يهدي من يشاء ﴾ [القَصص ٥٦]. ٦

طريق الذين أنعمت عليهم -من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين كما قال تعالى ﴿ ومن يُطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ [النساء ٦٩] ثبتنا عليه- غير المغضوب عليهم -كاليهود وقد عرفوا طريق الحق فجحدوه، ظلما وحسدا وحرصا على دنيا فانية كما قال تعالى ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن يُنَزِّل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب ﴾ [البقرة ٩٠]- ولا الضالين: كالنصارى إذ ضلوا عن طريق الحق لتفريطهم في تحريه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه ﴿ اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضُلَّال ﴾ [الترمذي ٢٩٥٤ ★ أحمد ١٩٣٨١]. ٧

* سورة البقرة *

* من أسمائها فسطاط القرآن، وهي مدنية *

الحروف المقطعة تشد ذهن السامع وتعمل كفواتح للتنبيه، وافتتاح بعض السور بهذه الطريقة يشير في تحد ضمني إلى تفوق هذا الكتاب على سائر الكتابات، فالقرآن -كلام الله المعجز- يتكون من ذات الحروف التي بها يبني العرب كلامهم، لم يخرج عنها ولم يزد عليها، رغم ذلك -وعلى ما كان العرب عليه من فصاحة وبلاغة- لم يستطيعوا الإتيان بما يماثله في الإعجاز والبلاغة وحسن النظم. ١

ذلك الكتاب -القرآن- لا ريب فيه -أنزله سبحانه كما قال تعالى ﴿ تنزيل الكتاب لا رَيب فيه من رب العالمين. ﴾ [السجدة ٢]، وهو كلام الله كما قال تعالى ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ [التوبة ٦]، حق لم ولن يبلغه تبديل أو تحريف أو زيادة أو نقصان كما قال تعالى ﴿ إنا نحن نزّلنا الذِّكر وإنا له لحافظون. ﴾ [الحِجر ٩]، كتاب كثير النفع والخير للعباد، فإنه- هداية من الضلال للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه. ٢

فائدة! ﴿ ذلك الكتاب لا رَيب فيه ﴾ آية فيها تحد يجذب انتباه من لهم عقول وقلوب من الكفار.

كتابُ اللهِ لا يُرتابُ فيهِ ... بهِ يَهدي قُلوبَهُمُ البصيرُ

فائدة! القرآن ينفع الذين يتخذون وقاية تحميهم وتحرسهم مما يستدعي العقوبة، ففيه توفيق الباحثين عن الحق -حقا- للإيمان، أما غيرهم من مرضى القلوب فالقرآن يدلهم على الحق وطريقه ويظهر لهم ذلك جليا فتقوم عليهم الحجة، لكن لا يوفقهم للإيمان كما قال تعالى ﴿ وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيُّكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهُم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهُم كافرون. ﴾ [التوبة ١٢٤ ١٢٥].

هُدًى لِلمُتَّقينَ وكُلِّ نَفسٍ ... تُريدُ الحقَّ قرآنٌ يُنيرُ

الذين يؤمنون بالغيب -الذي غاب عنهم، من بعث وجنة ونار وملائكة وجن وغير ذلك، فهم ليسوا من الذين يزعمون أنهم لا يصدقون إلا ما يعاينون، فليخبرنا هؤلاء ما الروح إذًا، أم ليسوا يصدقون أن للبشر أرواح؟!- ويؤدون الصلاة ويظهرون هيئتها ويديمونها بشروطها، ومما رزقهم الله -فيما أوجبه كالزكوات وعلى من تلزمهم مؤونتهم، وفيما استحسنه كالصدقة ونحوها، في طاعته طلبا لمرضاته- ينفقون. ٣

والذين يؤمنون بما أنزل إليك أيها النبي الكريم، وما أنزل من قبلك -من كتب سماوية- وبالآخرة هم يصدقون تصديقا تاما جازما لا يتخلله ريب: فيؤمنون بالبعث والحساب إيمانا ليس فيه افتراء على الله، ليسوا كالذين أتوا بما بعضه افتراء كما قال تعالى ﴿ ذلك بأنهم قالوا لن تمسَّنا النار إلا أياما معدودات وغرَّهم في دينهم ما كانوا يفترون. ﴾ [آل عمران ٢٤]. ٤

هؤلاء على هداية من ربهم -فقد أرشدهم إلى طريق مستقيم يذهب بهم إلى ما فيه رضاه- وهؤلاء هم الفائزون الباقون في النعيم الدائم، الناجون من المهالك. ٥

سُورَةُ البَقَرَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى
لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤
أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ
أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ
وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ
لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ
هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ
ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ
أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣ وَإِذَا لَقُواْ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا
مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ
فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦

إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم بالعقاب أم لم تنذرهم أيها النبي الكريم لا يؤمنون: فهم طائفة لا يردعها رادع، مستمرة على الكفر والعناد، لكن بإنذارهم قد أديت ما عليك، وقامت عليهم الحجة. ٦

فائدة! الدعاة مطالبون بإظهار الحق، وليسوا مطالبين بهداية الناس، ولا بالتحسر على الضالين كما قال تعالى ﴿ فإنَّ الله يُضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ [فاطر ٨].

وإنْ نَّجهَرْ بِحقِّ اللهِ نَسلَمْ ... وخَلْقَ اللهِ يَهديهِم قديرُ

ختم الله على قلوبهم -فأغلقها فغدت لا يدخلها إيمان ولا تعي خيرا- وعلى سمعهم -فليسوا يسمعون سماع وعي وفهم وانتفاع- وعلى أبصارهم غطاء يغلفها -فهم لا يتبعون الحق رغم أنه باد- ولهم -في الآخرة- عذاب عظيم. ٧

ومن الناس من يزعم أن آمنوا بالله وباليوم الآخر -ببعثهم ليحاسبوا- وما هم -في الواقع- بمؤمنين. ٨

فائدة! الإيمان لا يتحقق بإقرار اللسان دون اعتقاد القلب وعمل الجوارح، فالإيمان قول وعمل ونية.

ونَجزِمُ أنَّ إيمانًا بِقَولٍ ... بلا عملٍ ومعتقدٍ مُبيرُ

يخادعون الله والذين آمنوا -بإظهار الإسلام مع إبطان الكفر- وما يخدعون إلا أنفسهم -كما قال تعالى ﴿ إنَّ المنافقين يُخادعون الله وهو خادِعهم ﴾ [النساء ١٤٢]- ولكن -لفرط جهلهم- لا يشعرون. ٩

في قلوبهم شك وشبهة، فزادهم الله شكا وشبهة، ولهم عذاب أليم بسبب كذبهم: إذ أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وكذبوا بآياته سبحانه. ١٠

وإذا جرى نصحهم ألا يفسدوا في الأرض -بالكفر واقتراف الآثام وموالاة الكفار والصد عن دين الله- زعموا أنما هم -مغيرون للفساد- مصلحون: إذ يجادلون أن ما يفعلونه هو عين الحنكة والإصلاح! ١١

ألا إنهم هم المفسدون! ولكن -لفرط حماقتهم- لا يشعرون. ١٢

وإذا جرى نصحهم أن يؤمنوا كما آمن الناس -مع النبي ﷺ- تساءلوا -فيما بينهم- أيؤمنون كما آمن السفهاء خفاف العقول؟ ألا إنهم هم السفهاء خفاف العقول، ولكن لا يعلمون حقيقة حالهم. ١٣

وإذا التقوا بالذين آمنوا تظاهروا بأن آمنوا، وإذا اختلوا -منفردين- بشياطينهم -كبرائهم من الإنس- أكدوا أنهم معهم -على دينهم- إنما هم مستهزئون: يسخرون من الذين آمنوا بموافقتهم ظاهرا ليس إلا. ١٤

الله يستهزئ بهم -جزاء على الاستهزاء بالذين آمنوا- ويمنحهم مديد الأعمار في طغيانهم -وتجاوزهم- يتخبطون: ليتمادوا، فيزدادوا كفرا وإثما وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ثم يوم القيامة يستهزئ بهم مجددا، فيتركهم في حيرتهم يتساءلون كيف ما كانوا عليه في الدنيا ليس هو الطريق القويم؟ ١٥

فائدة! أعمار المنافقين الطويلة ورغد عيشهم استدراج من الله ليزدادوا تحصيلا للآثام، فتعظم عقوبتهم.

سيَعلمُ مَنْ يُنافِقُنا يقينًا ... لِماذا مَدَّ آجالًا خبيرُ

هؤلاء الذين فضلوا الضلالة على الهداية -إذ لم يتبعوا الحق- فما ربحت تجارتهم -فخسروا، كخائب بذل الغالي والنفيس في مقابل سلع فاسدة- وما كانوا -إلى طريق الفوز- مهتدين. ١٦

مثلهم -المنافقين الذين أقبلوا على المؤمنين للسماع منهم، فآمنوا ثم عادوا كفارا في الباطن مع إظهار الإيمان- كمثل الذي طلب ما يوقد به نارا -لينتفع بضوئها- فلما أضاءت ما حوله أطفأ الله شعاعها فذهب إشراقها الذي ذلله له ولمن معه -وبقي إحراقها- وتركهم في ظلمات لا يبصرون: فاستيقاد النار مثل الإيمان الذي ليس معهم فأخذوا طرفه من المؤمنين، وذهاب النور مثل العودة إلى الكفر. **١٧**

فائدة! يضرب الله الأمثال لقياس حال على حال، فجاز إقرار القياس كدليل تؤخذ منه الأحكام.

دليلُ المؤمنِ النَّصُّ ابتِداءً ... فإجماعٌ، فَقاسوا، ذاكَ نورُ

صم -عن سماع الحق، سماع وعي وفهم وانتفاع- بكم -لا ينطقون بخير- عمي -لا يبصرون طريق الهداية- فهم لا يرجعون: عن الكفر إلى الإيمان، ولا إلى الدنيا بعد موتهم ليؤمنوا ويتركوا النفاق. **١٨**

أو كمطر شديد من سحاب كثيف مظلم، ورعد وبرق -أصاب من تردد من المنافقين ولم يؤمن حقيقة لكن أظهر الإيمان، فأصابهم من ذلك كله خوفا- يجعلون أصابعهم في آذانهم -ليسدوها- من -شدة صوت- الصواعق خشية الموت -فالمطر مثل الذي في القرآن من حياة للقلوب، والرعد مثل الذي في القرآن من زواجر، والبرق مثل الذي في القرآن من حجج وبيان وبرهان، وسد الآذان إشارة إلى إعراضهم عن الحق- والله على علم تام وإحاطة كاملة بالكافرين وبما أظهروا وأبطنوا، وهو معاقبهم لا محالة. **١٩**

يكاد البرق -لشدة سطوعه- يسلب أبصارهم، كلما أضاء لهم تقدموا متحركين في ضوئه، وإذا أظلم عليهم -فكف عنهم- تركهم لا يملكون حركة -في ظلام التردد والشك والريبة، ليس يستقر لهم حال- ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم -فلا تعود إليهم أبدا، عقابا معجلا في الدنيا إلى جانب عقاب الآخرة المؤجل- إن الله قدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك الذهاب بحواسهم وإهلاكهم. **٢٠**

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم -وحده دون سواه، أنتم- والذين من قبلكم -من أمم- رجاء أن تتقوه -فتوحيد الله وإخلاص النية في العمل وقاية من عقابه- بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. **٢١**

الذي جعل لكم الأرض فراشا -ممهدة لتستطيعوا الحياة عليها- والسماء سقفا محكم البنيان متعدد المنافع، وأنزل من السماء مطرا، فأنبت به ما تنتفعون به من أنواع الثمار، فلا تجعلوا لله أندادا ونظراء ومثلاء، وأنتم تعلمون أنه سبحانه وحده دون سواه هو الخالق الرازق مدبر أمور السماء والأرض. **٢٢**

وإن كنتم مرتابين مما نزل الله على عبده سبحانه -ورسوله، محمد ﷺ- فأتوا بسورة مما يماثله -في الإعجاز والبلاغة وحسن النظم- وادعوا شهداءكم من دون الله -مستعينين بمن يشهد بصحة ما أنتم عليه من شرك، وبأنصاركم وأعوانكم وطواغيتكم- إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم في ارتياب. **٢٣**

فإن لم تفعلوا -عجزا منكم- ولن تفعلوا فاتخذوا وقاية من النار التي توقد بالناس -بالمذنب المستحق للعذاب منهم- وبالحجارة -ومن جملتها تلك التي يعبدها الكفار- أعدت للكافرين. **٢٤**

فائدة! التحدي بإعجاز القرآن ما زال قائما، وما زال الناس يكفرون رغم عجزهم عن الإتيان بمثله.

تَحدَّى ربُّنا الخَلْقَ المُعادي ... كتابي لنْ يكُونَ لهُ نَظِيرُ

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ
ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ
يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ
قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟
بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ
ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ
رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ
وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ۞ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ
يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ
إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ
مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ
فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ كَيۡفَ
تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ
ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ
فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩

وبشر أيها النبي الكريم الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة أن لهم -في الآخرة- جنات -بساتين مديدة الظل- تجري خلالها الأنهار، كلما أطعموا من الجنات أي ثمرة -وليس يلحق ثمارها تلف أو فساد، ولا تنفد أو تقل- طعاما ظنوا أن هذا الذي أطعموا من قبل -فإذا به مختلف في الطعم- وأتوا بالطعام متشابها -في اللذة والحسن، لا يرزقهم الله شيئا أقل جودة- ولهم فيها أزواج خالية من كل أذى وقذر منزهة عن كل عيب وقبح وسوء ونقيصة، وهم فيها خالدون لا يخرجون منها. **٢٥**

فائدة! لا موت بعد بعث الخلق يوم القيامة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم: يا أهل النار لا موت ويا أهل الجنة لا موت، خلود. ﴾ [البخاري ٦٥٤٤ * مسلم ٢٨٥٠ * أحمد ٦١٣٨].

وبَعدَ البعثِ لا موتَ استَعِدُّوا ... أوِ انتَظِروا الأذى، فهيَ السعيرُ

إن الله لا يمنعه الحياء أن يضرب مثلا ببعوضة -من صغار الكائنات الحية- فما فوقها -وما دونها، فقد تحدى الناس بصغار وضعاف المخلوقات، ليظهر عجزهم في مقابل قدرته كما قال تعالى ﴿ يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له إنَّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضَعُفَ الطالب والمطلوب. ﴾ [الحج ٧٣]- فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه -وراء هكذا أمثال حكمة إلهية، إنه- الحق من ربهم، وأما الذين كفروا فيتساءلون -متهكمين- ماذا أراد الله بهذا المثل: لماذا البعوضة؟ يضل -سبحانه- به كثيرا -من خلقه، أنكروه أو كذبوه أو أعرضوا عن التفكر فيه- ويهدي به كثيرا -صدقوه- وما يضل به إلا الفاسقين الخارجين عن طاعته. **٢٦**

الذين ينقضون عهد الله -فتركوا العمل بما بلغه عنه الأنبياء: عبادته وحده واتباعهم- من بعد توكيده، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل -من أرحام وحقوق وغير ذلك- ويشيعون الفساد في الأرض -بالكفر والكيد لدين الله وصد الناس عنه، وبالتعامل بالربا وإشاعته، وبإتيان المعاصي ونشر الرذيلة والترويج لها وغير ذلك- هؤلاء هم بالغو الخسران الهالكون. **٢٧**

كيف تكفرون بالله؟ وكنتم أمواتا فأحياكم -إذ أوجدكم من عدم- ثم يميتكم -بعد استيفاء آجالكم- ثم يحييكم -للحساب، فذلك عليه هين- ثم إليه وحده ترجعون في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء. **٢٨**

هو -الله، ربكم القادر على بعثكم- الذي خلق لكم -من أجلكم- ما في الأرض جميعا -إما للانتفاع والاستمتاع أو للاعتبار- ثم استوى إلى السماء -قاصدا إلى خلقها- فجعلهن سبع سماوات مستويات الأرجاء لا عيب في أي منها، وهو بكل شيء عليم، فالخالق أعلم بما خلق. **٢٩**

فائدة! خلقنا الله لعبادته كما قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ﴾ [الذاريات ٥٦]، وخلق لنا ما في الأرض، فالأصل إباحة الانتفاع بكل ما في الأرض -من حيوانات وغيرها- بغير ضرر، إلا ما قام دليل على نقله عن هذا الأصل، فاشكروه، ولا تشغلوا بما خلق لكم عما خلقكم له!

لنا خَلَقَ القديرُ الأرضَ فاشكُرْ ... مُباحٌ نَفعُها، ما لَمْ تَجوروا

واذكر أيها النبي الكريم حين أخبر ربك الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة -بشرا، بعد الذين كانوا عليها، ويخلف البشر بعضهم بعضا- سأل الملائكة -مستفهمين- أيجعل فيها -مجددا، قبل سكنها الجن قبل ذلك فأفسدوا وسفكوا الدماء ظلما- من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ وهم -يستفهمون: هل يتبدل حالهم، أم يظلون على ما هم عليه- ينزهونه ويقدسونه متلبسين ومقرونين بالثناء المضاعف عليه؟ أجابهم بأنه -سبحانه- يعلم ما لا يعلمون: مما سيكون في قابل الدهر من تبدل حال إبليس من طاعة ربه إلى الاستكبار والعصيان، وعلى نقيض ذلك -رغم وجود الكثير من المفسدين وسافكي الدماء- ما سيكون من أفعال فضلاء البشر بني آدم، فظن الملائكة أن الله لن يخلق من هو أكرم منهم وأعلم. **٣٠**

فائدة! خلق الله آدم عليه السلام وبدأ به البشرية، فالقول بتطور الإنسان من كائنات بدائية تكذيب بالقرآن.

إلهي خالقُ الكَونِ البديعُ ... ومَنْ قالوا تَطوَّرْنا حَميرُ

وعلم آدم الأسماء كلها -من حيوان وجماد وغير ذلك- ثم عرضهم على الملائكة، فسألهم أن يخبروه بأسماء هؤلاء، إن كانوا صادقين في ظنهم أنه سبحانه لن يخلق من هو أكرم منهم وأعلم. **٣١**

فائدة! لا يعلم مخلوق -مهما علا قدره أو زادت قدراته، لا مَلَك ولا جني ولا غير ذلك- ما سيكون في قابل الأيام، فلا يأمنن تبدل الحال عاقل ولا يغترن بعمله مؤمن، بل ادعوا الله بالثبات على الحق.

إلهي عالِمُ الغيبِ احذَروهُ ... فلَمْ يَركَنْ مِّنَ الخَلْقِ الظَّفِيرُ

أجابوه منزهين إياه -عن الاعتراض على حكمه سبحانه- ومقدسين بأن لا علم لهم إلا ما علمهم -الله من علمه- مؤكدين أنه هو العليم الذي لا يخفى عليه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٣٢**

أمر الله آدم أن يخبرهم بأسماء تلك المسميات، فلما أخبرهم بأسمائهم ذكرهم -سبحانه- ألم يخبرهم أنه يعلم ما غاب في السماوات والأرض، ويعلم ما يبدون وما كانوا -من ظن- يكتمون؟ **٣٣**

واذكر حين أمر سبحانه الملائكة أن يسجدوا لآدم -تحية وتقديرا، ليس عبادة- فسجدوا -مطيعين- إلا إبليس -هو كما قال تعالى ﴿ وإذ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾ [الكهف ٥٠]- امتنع واستكبر، وكان -بذلك- من الكافرين. **٣٤**

وأذن الله لآدم أن يسكن هو وزوجته -حواء عليها السلام، خلقت منه- الجنة -جنة الخلد- ويأكلا منها واسعا حيث شاءا ولا يقربا شجرة معينة فيكونا -إن قرباها، لأنفسهما بسبب عصيانهما- من الظالمين. **٣٥**

فأوقعهما الشيطان -إبليس، بوسوسته المستمرة- في زلل بسببها -إذ ذاقا من الشجرة المحرمة عليهما- فأخرجهما -الله- مما كانا فيه -من نعيم- وأمرهم الله أن يهبطوا -من الجنة إلى الأرض، جاعلا- آدم وحواء عليهما السلام وذريتهما أعداء لإبليس وذريته، ولهم في الأرض مستقر وتمتع -بها- إلى حين: القيامة. **٣٦**

فتلقى آدم من ربه كلمات -ألهمه وزوجته الاعتذار بها كما قال تعالى ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين. ﴾ [الأعراف ٢٣]- فقبل توبته -وتوبتها، بعد أن وفقهما للقيام بما أمر به، وندما على ما بدر منهما- إنه هو الكثير التوبة على عباده، العظيم الرحمة بالتائبين. **٣٧**

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ
ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾
ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا
وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

أمرهم الله أن يهبطوا من الجنة جميعا، فإن هم أتاهم منه هداية فمن تبع نبييه -فوحد الله- فلا خوف عليهم -في الآخرة- ولا هم يحزنون: على ما من الدنيا فاتهم ولا على من في النار ممن أحبوا. **٣٨**

والذين كفروا وكذبوا بآياته سبحانه هؤلاء ماكثون في النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها. **٣٩**

يا بني إسرائيل -ذرية يعقوب عليه السلام- اذكروا نعم الله التي أنعمها عليكم -متعاقبة، وأدوا شكرها- والتزموا الوفاء بما عاهدتموه سبحانه عليه -وهو كما قال تعالى ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّه للناس ولا تكتمونه ﴾ [آل عمران ١٨٧]- يوف -سبحانه- بما عاهدكم عليه -جنته- وإياه فارهبوه. **٤٠**

وآمنوا بما أنزل سبحانه -القرآن- مصدقا وموافقا لما معكم -من توراة قبل تحريفها، في توحيد الله وبعثة محمد صلى الله عليه وآله- ولا تكونوا أول كافر به -من أهل الكتاب، فيقتدي بكم الناس مظنة علمكم، فتصيروا أئمة ضلال- ولا تشتروا بآيات الله -بتحريفها أو تأويلها على غير وجهها، أو كتمان الحق- قليلا من حطام الدنيا من مال أو جاه، وإياه فاتقوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. **٤١**

ولا تخلطوا الحق -وهو في كتبكم- بالباطل -مفترين على الله- وتكتموا الحق -فكتمانه تلبيس على العباد وخلط بالباطل وإضلال، فليتأمل الصامتون على ضلال الحكام!- وأنتم تعلمون نبوته صلى الله عليه وآله. **٤٢**

وأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأديموها بشروطها، وأخرجوا الزكاة الواجبة في أموالكم، واركعوا -صلاة في جماعة- مع الراكعين: كما يفعل الراكعون، كذلك اخضعوا له سبحانه وأخلصوا مع من آمن به. **٤٣**

أتأمرون الناس بالبر -والإكثار من فعل الخير ليظنوا أنكم مصلحين- وتنسون أنفسكم -فلا تتبعون النبي صلى الله عليه وآله- وأنتم تقرؤون الكتاب: الذي فيه صفته صلى الله عليه وآله كما قال تعالى ﴿ الذين يَتَّبعون الرسول النبي الأُمِّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الأعراف ١٥٧]؟ أفلا تنتفعون بعقولكم؟! **٤٤**

فائدة! يجب امتثال أوامر الله، وحث الغير على ذلك، وترك أحد الواجبين ليس رخصة في ترك الآخر.

نُطيعُ اللهَ لا نألو سبيلًا ... ونَدعو خَلْقَهُ: امتَثِلوا، استَنيروا!

واستعينوا -على طلب الآخرة وعلى ما سيصيبكم في الدنيا- بالصبر على طاعة الله وأقداره والصلاة -إذ أنها خير معين لكم كما قال تعالى ﴿ إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [العنكبوت ٤٥]، فأدوها تامة الأركان- وإن هذه الاستعانة لكبيرة -شاقة- إلا على المتواضعين -لله- المتذللين. **٤٥**

الذين يظنون -بل يوقنون- أنهم ملاقو ربهم -يوم القيامة- وأنهم إليه راجعون ليجازيهم بأعمالهم. **٤٦**

يا بني إسرائيل اذكروا نعم الله التي أنعمها عليكم -متعاقبة، وأدوا شكرها- وأنه أعطى أسلافكم زيادة على أهل زمانهم كما قال تعالى ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قومِ اذكروا نِعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين. ﴾ [المائدة ٢٠]. **٤٧**

واتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه يوما -قيامتكم! إذ- لا تجزي نفس عن نفس شيئا -فليس يغني أحد عن أحد- ولا يقبل من نفس شفاعة -إلا بإذن منه سبحانه لمن أراد أن يقبل شفاعته في موحد، وكان اليهود يزعمون أن أسلافهم سيشفعون لهم- ولا يؤخذ منها فداء، ولا ينصر أحد أحدا. **٤٨**

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾
ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ
ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ
جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم
مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ
مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

واذكروا -يا بني إسرائيل- حين نجى الله أسلافكم من أهل فرعون -ملك مصر آنذاك- وأتباعه الذين كلفوهم وأذاقوهم أسوأ العذاب: داوموا على ذبح الذكور من أبنائهم واستبقاء إناثهم أحياء ليخدمنهم، وفي ذلك -العذاب والإهانة، كذلك في نجاتهم- بلاء من ربهم عظيم: فالاختبار ليس مقصورا على الشر بل قد يكون بالخير كما قال تعالى ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء ٣٥]. **٤٩**

فائدة! من ابتلي بالخير فليشكر، ومن ابتلي بالشر فليصبر.

إذا شرٌّ أصابَكُمُ اصطِبارٌ ... وإلَّا فاشكُرُوهُ هوَ الشَّكُورُ

واذكروا حين فرق الله بسببهم البحر -فشق فيه طريقا ليعبروه- فأنجاهم سبحانه، وأغرق الله أهل فرعون وأتباعه -إذ أطبقه عليهم، على مرأى من بني إسرائيل- وهم -إلى مهلك أعدائهم عيانا- ينظرون. **٥٠**

واذكروا حين واعد الله موسى أربعين ليلة -ليتم إنزال التوراة- ثم اتخذوا العجل -إلها- من بعد خروجه لمناجاة ربه! وهم ظالمون لأنفسهم بالكفر -بعد أن قامت عليهم الحجة- عالمون بظلمهم. **٥١**

ثم عفا الله عنهم من بعد ذلك -الشرك به سبحانه- رجاء أن يشكروه فيعبدوه وحده دون سواه. **٥٢**

واذكروا حين أعطى الله موسى التوراة وما يفرق بين الحق والباطل -كالعصا واليد وانشقاق البحر وغير ذلك- رجاء أن تهتدوا: فلا يرتاب أسلافكم، ولا يختلط عليهم الحق والباطل، ويعملوا بما في التوراة سالكين الطريق القويم، فيتبع من يأتي بعدهم من بني إسرائيل -وأنتم من جملتهم- خطاهم. **٥٣**

واذكروا حين وبخ موسى قومه -أسلافكم- يا قوم إنكم ظلمتم أنفسهم باتخاذهم العجل -إلها- من ثم أمرهم فليتوبوا إلى موجدهم، فيقتلوا أنفسهم -توبة، قيل بأن يقتل من لم يعبد العجل من عبده- ذلك -القتل لأنفسهم- خير لهم عند موجدهم وأفضل -من أن يلاقوا ربهم عابدين للعجل لمن عبده، وغير مغيرين للمنكر لمن لم يعبده- فقبل توبتهم -سبحانه، بعد أن وفقهم للقيام بما أمر به على لسان نبيه ﷺ، وندموا على ما بدر منهم- إنه هو الكثير التوبة على عباده، العظيم الرحمة بالتائبين. **٥٤**

فائدة! عدم تغيير المنكر بحسب القدرة يستجلب العقاب.

يدٌ وفمٌ لتغييرِ القبيحِ ... وإلَّا فانتقامٌ مُستطيرُ

واذكروا حين أخبروا موسى أن لن يطمئنوا له ولن يصدقوه -جرأة منهم على ربهم- حتى يروا الله عيانا بلا ساتر! فنزل بهم الإهلاك وهم -إلى مهلكهم عيانا- ينظرون. **٥٥**

ثم بعثهم سبحانه -أحياء- من بعد موتهم، رجاء أن يشكروه فيعبدوه وحده دون سواه. **٥٦**

وظلل الله عليهم بالسحاب الساتر، وأنزل الله عليهم المَنّ -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه ﴿ الكمأة من المَنّ الذي أنزل الله على موسى وماؤها شفاء للعين. ﴾ [البخاري ٤٤٧٨ ★ مسلم ٢٠٤٩ ★ الترمذي ٢٠٦٧ ★ ابن ماجة ٣٤٥٤ ★ أحمد ١٦٢٥] بغير مجهود منهم- وطيرا صغيرا طيب لحمه، كلوا من طيبات ما رزقكم الله -مباح لكم- وما ظلموا الله -وما أنقصوا من ملكه شيئا- ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بجحود نعم ربهم وعدم شكرها، فاستجلبوا العقاب، وزالت النعم. **٥٧**

وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ
رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ
خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ
مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ
مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ
وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا
رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا
وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ
أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ
وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ
ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٦١﴾

واذكروا حين أمرهم الله أن يدخلوا هذه القرية -المصر الجامع: اتصلت به الأبنية وصار مقرا، قيل أنها بيت المقدس، وقيل غير ذلك- فيأكلوا منها حيث شاءوا واسعا -مباح لهم- ويدخلوا باب البلدة في انحناء وتواضع وذل، ويسألوا أن تحط عنهم ذنوبهم -إن امتثلوا أوامره- يغفر الله لهم أخطاءهم الكثيرة، وسيزيد سبحانه المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق ثوابا على إحسانهم. ٥٨

فبدل الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والاستهزاء بأوامر الله كلاما غير الذي أمروا به -فجاءوا بكلام مهمل لا معنى له من تلقاء أنفسهم، ودخلوا يزحفون على أدبارهم عوضا عن الدخول الذي به أمروا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ: ﴿ قيل لبني إسرائيل: ﴿ ادخلوا الباب سُجَّدا وقولوا حِطَّة ﴾ فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة. ﴾ [البخاري ٣٤٠٣ * مسلم ٣٠١٥ * الترمذي ٢٩٥٦ * أحمد ٨٢٣٠]- فأنزل سبحانه على الذين ظلموا عذابا مستحقا من السماء بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعته. ٥٩

واذكروا حين تضرع موسى إلى الله ليسقي قومه حين نال منهم العطش، فأمره الله أن يضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا -من الماء، بعدد قبائلهم، قيل ثلاثة عيون من كل جهة- قد علم كل أناس -قبيلة- محل شربهم -حدده سبحانه لهم لئلا يتزاحموا فيتنازعوا- كلوا واشربوا من رزق الله -مباح لكم، وقد ساقه الله إليكم بغير سعي منكم ولا تعب- ولا تسعوا في الأرض بتخريب وإفساد وصد للناس عن دين الله، ولا تمشوا بالكفر مجاهرين، للمعصية ناشرين. ٦٠

واذكروا حين أخبروا موسى -حين ملوا ذلك العيش الذي أنعم الله به عليهم- أن لن يصبروا على جنس من الطعام واحد -لا يتغير- فطلبوا منه أن يدعو لهم ربه يجعل لهم الأرض تنبت بقولا وقثاء -نوعا من الخضروات يشبه الخيار- وثوما -وقيل حبوبا- وعدسا وبصلا، سألهم -مستنكرا- أيريدون أن يستبدلوا الأدنى درجة -من الطعام- بما هو خير وأفضل: مما ساقه الله إليهم بغير سعي منهم ولا تعب؟ عليهم بأي مصر -سوق أي بلدة من البلدان، وقيل أخبرهم ﷺ أن يرجعوا إلى بلاد مصر التي غادروها هربا من ملاحقة فرعون، ألا يتذكرون نعم الله عليهم فيشكروها؟- فإن لهم ما سألوا -فما طلبوا من أطعمة متوفر في حقول وأسواق أي مصر من الأمصار ينزلون به!- وأحاط بهم الذل والتصاغر والبؤس والمهانة ودناءة النفس -بسبب إعراضهم عما اختار الله لهم وجحود نعمه المتعاقبة عليهم- ورجعوا بغضب من الله قد استحقوه، ذلك -العقاب والذل والمهانة- بسبب أنهم كانوا يكفرون بآيات الله -فديدنهم إنكار الحق- ويقتلون الأنبياء بغير الحق -ظلما شديدا من جانبهم وعدوانا على أنبياء الله- ذلك -كله حدث لهم- بسبب عصيانهم واعتياد تجاوز حدود الله، وكانوا دائمي الاعتداء على عباده. ٦١

فائدة! المعاصي يجر بعضها بعضا، فالذنب يتقبله العاصي ثم يصير عادة ثم يتعاظم -كما صار شهر رمضان المعظم ''موسم الدراما''- ثم يتطور الأمر، فتنشأ أنواع البدع والكفر التي تدمر العقل والفطرة.

معاصي العَبدِ في وَفرٍ وتَربو ... تحارِبُ فِطرَةً، بِئسَ المصيرُ

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ
ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم
مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ
أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾
قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا
تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

إن الذين آمنوا من هذه الأمة، ومن قبل بعثة محمد ﷺ من اليهود والنصارى والصابئة -أمة قديمة منهم موحدون، وقيل بعضهم اتبع بعض أنبياء الله- من آمن بالله -وحده لا شريك له- واليوم الآخر -البعث والحساب، وبما أجاب به النبي ﷺ المَلَك جبريل عليه السلام، حين سأله ليعلم المسلمين دينهم، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [مسلم ٨ ★ أبو داود ٤٦٩٥ ★ الترمذي ٢٦١٠ ★ النسائي ٤٩٩٠ ★ ابن ماجة ٦٣ ★ أحمد ٣٦٧]- وعمل -تصديقا لإيمانه- صالحا فلهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم -في الآخرة- ولا هم يحزنون: على ما من الدنيا فاتهم ولا على من في النار ممن أحبوا. ٦٢

واذكروا -يا بني إسرائيل- حين أخذ الله عهد أسلافكم الثقيل، ورفع الله فوقهم -جبل- الطور -تحذيرا من عدم الأخذ بالعهد والالتزام بطاعة أنبيائه- من ثم أمرهم أن يأخذوا ما أعطاهم سبحانه -التوراة- بجد واجتهاد وحزم ويعملوا صابرين على طاعته، ويذكروا ما فيه -من ثواب وعقاب، ويقرؤوا ويتعلموا ويتبعوا- رجاء أن يتقوه -فتوحيد الله وإخلاص النية في العمل وقاية من عقابه- بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. ٦٣

ثم أعرضوا متنحين عن أمر الله وعن طاعته من بعد ذلك -العهد الثقيل والترهيب بأشد ما يكون- فلولا فضل الله عليهم بقبول توبتهم، ورحمته بهم بعدم معاجلتهم بعقوبة لكانوا من الهلكى الخاسرين. ٦٤

ولقد علموا الذين اعتدوا منهم -أسلافهم، اعتدوا بالصيد- في -يوم- السبت -فقاموا بالتحايل للصيد وقد حرم الله عليهم الصيد فيه، فكانوا ينصبون الشباك ويحفرون الحفر لتقع فيها الأسماك يوم السبت، فإذا جاء يوم الأحد جمعوها، فلم ينتفعوا بهذا التحايل- فعاقبهم الله بجعلهم قردة أذلاء صاغرين. ٦٥

فجعل سبحانه عقوبتهم بالمسخ عقابا زاجرا وعبرة لمن حضرها ومن يأتي بعدها، وترهيبا للناس ليرتدعوا ولا يتعدوا حدوده، وموعظة للمتقين منهم وممن يأتي بعدهم. ٦٦

فائدة! أهل التقوى يتفكرون فيما يحدث لغيرهم فيتعظوا، لا يعيشون غافلين لا هم لهم إلا دنياهم.

تَفَكَّرَ مُتَّقٍ فيما يَراهُ ... فَلَيسَ كَتافِهٍ أعمًى يَسيرُ

واذكروا حين أخبر موسى قومه -أسلافكم- أن الله يأمرهم أن يذبحوا بقرة -فلم يسارعوا لعمل ما أمر به الله على لسان نبيه، بل لفرط جهلهم وحماقتهم- سألوه أيستهزئ بهم؟! استعاذ -عليه السلام- بالله أن يكون من الجاهلين بحقائق الأمور، المفترين عليه سبحانه الكاذبين، المستهزئين بعباده. ٦٧

طلبوا أن يدعو لهم ربه يبين لهم صفتها، أجابهم بأنه -سبحانه- يذكر أنها بقرة ليست كبيرة في السن ولا صغيرة لم تحمل، وسط بين ذلك، فحثهم أن يفعلوا ما -به- يؤمرون: مباشرة، بغير جدال. ٦٨

طلبوا -مستمرين على ما هم عليه من تعنت وسفه- أن يدعو لهم ربه يبين لهم ما لونها، أجابهم بأنه -سبحانه- يذكر أنها بقرة صفراء -شديدة الصفرة- فاقع لونها، تسر الناظرين إليها. ٦٩

قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ
تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ
ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذۡ
قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ
ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ
مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾
۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ
يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ
يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا
خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ
عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾

طلبوا -متمادين في تعنتهم وسفههم- أن يدعو لهم ربه يبين لهم صفتها -مزيدا عنها- زاعمين أن البقر تشابه عليهم -فلم يعرفوا بعد أي بقرة أراد الله!- مؤكدين أنهم إن شاء الله -إليها- لمهتدون. **٧٠**
أجابهم بأنه -سبحانه- يذكر أنها بقرة غير مذللة بالعمل في حراثة الأرض، ولا تسقي الزرع، سالمة من العيوب، لا علامة فيها -تخالف لونها الأصفر- أخبروه أن الآن جاء بالحق -ببيان واضح ووصف دقيق- فذبحوها، وما كادوا يفعلون: إذ ترددوا في ذبحها، فأوشكوا أن يعصوا الله بسبب ما جرى منهم من تعنت وسفه، أو بسبب علو قيمتها، ولو أخذوا أدنى بقرة فذبحوها من البداية دون جدال لأجزأت عنهم، ولما اضطروا لذبح أفضل أبقارهم، ولكن شددوا، فشدد الله عليهم. **٧١**
فائدة! التعنت والجدال بالباطل ليس حنكة، بل جهل وغباء، ويستخدم أحيانا لإثارة غضب الخصوم.
متى صارَ التَّعَنُّتُ والجدالُ ... بباطِلِكُم ذَكاءً؟ لنْ تُفيروا!
واذكروا -يا بني إسرائيل- حين قتل أسلافكم نفسا، فتدافعوا فيها -كل يدفع التهمة عن نفسه راميا بها غيره، واختلفوا حتى وقع النزاع بينهم- والله مخرج ما كانوا يكتمون: مظهر أمر القتل. **٧٢**
فأمرهم الله أن يضربوا القتيل بجزء من البقرة -فأحياه سبحانه عندما فعلوا، فأخبرهم بقاتله- مثلما أحياه يحيي الله -القدير، يوم القيامة- الموتى، ويريكم آياته -كما قال تعالى ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق ﴾ [فُصِّلَت ٥٣]- رجاء أن تعقلوا فتنزجروا عما فيه هلاككم. **٧٣**
ثم قست قلوبكم -يا بني إسرائيل- من بعد ذلك -الإحياء، فذهب تأثرها بتلك الآية- فهي كالحجارة أو -تصير مع الوقت- أشد قسوة، وإن من الحجارة -ما هو أنفع من قلوب لا تخشع ولا تتبدل- لما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يتشقق فيخرج منه ماء -وينبع- وإن منها لما يتردى من المرتفعات من خشية الله -تواضعا له سبحانه، كما قال تعالى ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا مُتصدِّعا من خشية الله ﴾ [الحشر ٢١]- وما الله بغافل عما تعملون من كفر وعصيان، وسيجازيكم به. **٧٤**
أفتطمعون -أيها المؤمنون- أن يطمئن هؤلاء لكم أو يصدقوكم؟ وقد كان فريق -من أهل العلم- منهم يسمعون كلام الله -الذي أنزله إليهم- ثم يحرفونه -ليغيروه، عمدا!- من بعد ما عقلوه -وفهموه جيدا، فأقاموا الحدود وعطلوها كما يشاءون، لتتوافق مع أهوائهم ومنازلهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ﴾ [البخاري ٣٤٧٥ * مسلم ١٦٨٨ * أبو داود ٤٣٧٣ * الترمذي ١٤٣٠ * النسائي ٤٨٩٩ * ابن ماجة ٢٥٤٧ * أحمد ٢٥٢٩٧]، وهم يعلمون عظم جرمهم. **٧٥**
وإذا التقوا بالذين آمنوا تظاهروا بأن آمنوا، وإذا اختلى -اليهود- بعضهم ببعض -من لم ينافق منهم بمن نافق- تعاتبوا أتحدثون المسلمين بما فتح الله عليكم -في التوراة: صفته ﷺ كما قال تعالى ﴿ الذين يَتَّبعون الرسول النبي الأُمِّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الأعراف ١٥٧]- ليقيموا عليكم الحجة بحديثكم عند ربكم: بأن أقررتم بصدق نبوته؟ أفلا تنتفعون بعقولكم؟! **٧٦**

أولا يعلم هؤلاء -وهم أهل كتاب!- أن الله يعلم ما يسرون وما يظهرون من أقوال وأعمال: وأنه قطعا مجازيهم بما قالوا وعملوا، وقد يظهر ما يشاء من أقوالهم وأعمالهم للمؤمنين ويفضحهم؟ **٧٧**

ومنهم أميون -عوام ليسوا أهل علم- لا يعلمون التوراة -ولا دراية لهم بدلالاتها، وليس معهم- إلا أماني -مجردة: أكاذيب وأخبار ملفقة أخذوها عن أسلافهم وسادتهم وكبرائهم، ثم تناقلوها، وهم لا يحسنون إلا قراءتها- وإن هم إلا يظنون: توهما، أن تلك الأكاذيب التي بين أيديهم هي التوراة التي أنزلها الله، فيتبعون باطلا لا يقوم مقام العلم، ويظنون أنهم مغفور لهم، بل منهم من ادعى على الله أكثر من ذلك كما قال تعالى ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبَّاؤه ﴾ [المائدة ١٨]. **٧٨**

فائدة! التلاوة اللفظية لكتاب الله دون فهمه وتدبر معانيه والعمل بما أنزل الله فيه من أحكام هو دأب العوام محدودي العلم، وقد يؤدي بهم إلى البدع واتباع الباطل والإعراض عن الحق حتى تغلق قلوبهم تماما كما قال تعالى ﴿ أفلا يتدبَّرون القرآن أم على قلوب أقفالها. ﴾ [محمد ٢٤].

تدبُّرُ قَولِ ربِّي واجبٌ كي ... يُجَنَّبَ بِدعَةً تَطفو الخُيُورُ

فشدة الحسرة والهلاك للذين يكتبون الكتاب بأيديهم -فيحرفون كلام الله الذي أنزله ويغيرونه عمدا- ثم يزعمون أن هذا من عند الله، ليشتروا بهذا التحريف قليلا من حطام الدنيا من مال أو جاه، فشدة الحسرة والهلاك لهم مما كتبت أيديهم -فأوردوا في كتاب الله كذبا عليه- وشدة الحسرة والهلاك لهم مما يكسبون من مال أو جاه أو غير ذلك من متع الدنيا الزائلة من جراء ذلك الفعل الشنيع. **٧٩**

وزعموا أن لن تنالهم النار -فليسوا بداخليها- إلا فترة وجيزة، سلهم أيها النبي الكريم أتخذوا عند الله عهدا -بذلك الزعم- فلن يخلف الله عهده: الذي أعطاه؟ أم يتقولون على الله بغير علم ولا دليل؟ **٨٠**

بلى! من اقترف سيئة وأحاطت به أخطاؤه -من كل جانب لم تدع له منفذا، وهذا لا يكون إلا للكافر كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]، وتحريف كلام الله الذي أنزله كفر أكبر مخرج من الملة- فهؤلاء ماكثون في النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها. **٨١**

والذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة هؤلاء ماكثون في الجنة هم فيها خالدون لا يخرجون منها. **٨٢**

واذكروا حين أخذ الله عهد -أسلافكم- بني إسرائيل الثقيل: لا يعبدون إلا الله -وحده لا شريك له، ويؤمنون بجميع أنبيائه وكتبه، ويعملون بما أنزل- وبالوالدين إحسانا -بالأقوال والأفعال، إكراما وعطفا- والأقارب واليتامى -الذين فقدوا آباءهم قبل بلوغ الحلم- والمساكين -الذين أسكنتهم الحاجة والفقر، بصلتهم والقيام باحتياجاتهم بحسب القدرة- ويخاطبوا الناس بلين بما هو حسن مما لا يخالف شرع الله، ويؤدوا الصلاة ويظهروا هيئتها ويديموها بشروطها، ويخرجوا الزكاة الواجبة في أموالهم، ثم أعرضوا متنحين عن العهد، إلا قليلا منهم -عصمهم الله وثبتهم- وهم معرضون عن الدين منصرفون. **٨٣**

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾
وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ
تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ ۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٨٤
ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ
وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ
إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ
فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ
ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦
وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ
بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ
ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا
غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨

واذكروا حين أخذ الله عهدكم الثقيل -في التوراة- لا تسفكون دماء أهل ملتكم، ولا تخرجون بعضكم بعضا من دياركم -بنفي أو أسر- ثم أقررتم -بذلك العهد- وأنتم -بصحته- تشهدون. ٨٤

ثم أنتم -يا- هؤلاء تقتلون أنفسكم -مخالفة للعهد، فتحالف كل فرقة منكم، قُريظة والنَّضير وقَيْنُقاع، قبيلة من قبيلتي يثرب العربيتين، الأوس والخزرج، في المدينة قبل الهجرة النبوية، وتناصر حليفتها إذا شب قتال، فيقتل بعضكم بعضا- وتخرجون فريقا منكم -من أهل ملتكم- من ديارهم، تعاونون عليهم -مستعينين بالمشركين- بالإثم -إذ تظلمونهم- والعدوان -على حدود الله وحقوقهم- وإن يأتوكم أسرى -عند أعدائكم- تدفعوا فديتهم! وهو محرم عليكم إخراجهم -من ديارهم، وقتالهم والمظاهرة عليهم، فقمتم ببعض ما أنزل الله وفديتم أسرى أهل ملتكم، وأعرضتم عن بقيته- أفتؤمنون ببعض الكتاب -وما أنزل الله عليكم فيه- وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا ذل ومهانة في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب، وما الله بغافل عما تعملون من كفر وعصيان، وسيجازيكم به. ٨٥

هؤلاء الذين فضلوا الحياة الدنيا على الآخرة -فلفرط غبائهم اشتروا فان بأن باعوا من أجله ما هو دائم باق- فلا يخفف عنهم العذاب -في الآخرة- ولا ينصرهم أحد. ٨٦

ولقد أعطى الله موسى التوراة، وأتبع سبحانه من بعده بالرسل -إلى بني إسرائيل، يحكمون بما جاء في التوراة- وأعطى الله عيسى ابن مريم -الذي ختم به رسل بني إسرائيل- الأدلة الجلية البينة على صدقه -وأعطاه الإنجيل فيه نسخ لبعض شرائع التوراة، تخفيفا على بني إسرائيل- وقواه سبحانه بجعل المَلَك جبريل عليه السلام معه يؤيده، أفكلما جاءكم -يا بني إسرائيل- رسول بما لا يوافق أهواء أنفسكم استكبرتم: عن الإيمان به؟ ففريقا كذبتم -منهم عيسى ابن مريم عليه السلام- وفريقا داومتم على قتله؟ ٨٧

فائدة! يؤيد الله من يشاء بالروح القدس -المَلَك جبريل عليه السلام- كيفما يشاء سبحانه، وهذا ليس مقتصرا على المسيح عليه السلام، فقد ورد من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول للشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه عندما كان يهجو قريشا ردا على هجائهم لرسول الله ﷺ ﴿ إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله ﴾، وقد أنشد حسان رضي الله عنه مبرزا هذا المعنى في بيت شهير ورد في ذات الحديث الطويل ﴿ وجبريلٌ رسولُ اللهِ فينا ... وروحُ القُدْسِ ليسَ لهُ كِفاءُ ﴾ [مسلم ٢٤٩٠].

وَمَنْ يَنصرُ رسولَ اللهِ مِنَّا ... يُؤَيَّدْ مِنْ عَلٍ، أينَ الصُّقورُ؟

فائدة! مريم رضي الله عنها صديقة كما قال تعالى ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صِدِّيقة ﴾ [المائدة ٧٥]، ليست من الأنبياء وليست من المرسلين.

وَمَرَيَمُ أُمُّ عيسى قالَ ربِّي ... لها صِدِّيقَةٌ، نِعمَ الخَدورُ

وزعموا أن قلوبهم عليها أغلفة -فهي معزولة ليس تصلها دعوة لذلك أعرضوا عن الإيمان، وليس الحال كذلك- بل طردهم الله من رحمته بسبب كفرهم، فبنزر قليل مما أنزل الله يؤمنون لا بكل ما أنزل، ولا يؤمن منهم بالنبي ﷺ إلا نسبة قليلة. ٨٨

ولما جاءهم كتاب من عند الله -القرآن- مصدق وموافق لما معهم -من توراة قبل تحريفها، في توحيد الله وبعثة محمد ﷺ- وكانوا من قبل -نزوله- يستفتحون -سائلين الله النصر- على الذين كفروا -من مشركي العرب: يتوعدونهم ببعث نبي خاتم يتبعه اليهود ويقاتلونهم معه- فلما جاءهم ما عرفوا -فبعث النبي ﷺ ونزل القرآن، وأيقنوا أنه الحق من ربهم- كفروا به! فطرد من رحمة الله للكافرين. **٨٩**

بئسما اشتروا به -حظ- أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله -إذ باعوا أنفسهم وفضلوا الكفر على الإيمان- ظلما وحسدا وحرصا على دنيا فانية أن ينزل الله من فضله -النبوة- على من يشاء من عباده -العرب ذرية إسماعيل عليه السلام: خرجت النبوة عن اليهود ذرية يعقوب عليه السلام، فلم يؤمنوا بالنبي ﷺ- فرجعوا بغضب قد استحقوه -لكفرهم بالقرآن- على غضب -لتحريفهم التوراة- وللكافرين عذاب مهين مذل. **٩٠**

وإذا أمروا بالإيمان بما أنزل الله -كله، ومن جملته القرآن- ذكروا أن -قطعا- يؤمنون بما أنزل عليهم -التوراة- ويكفرون بما سواه، وهو الحق لا يتطرق إليه باطل -قرآنا- مصدقا وموافقا لما معهم -من توراة قبل تحريفها، في توحيد الله وبعثة محمد ﷺ: ألا يجب إذًا أن يؤمنوا بكل ما أنزل الله؟- سلهم أيها النبي الكريم -موبخا- فلماذا داوم أسلافهم على قتل أنبياء الله من قبل -ولما لم ينكروا أفعالهم صاروا شركاء في الإثم- إن كانوا -كما يزعمون بهم وبما أنزل عليهم- مؤمنين؟ أتبيح التوراة قتل الأنبياء؟! **٩١**

فائدة! الرضا بالمنكر مشاركة فيه، والواجب حياله هو كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ﴿ إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع ﴾ [مسلم ١٨٥٤ * أبو داود ٤٧٦١ * الترمذي ٢٢٦٥ * أحمد ٢٦٥٧٧].

ولا نَرضى بما مَنَعَ المَليكُ ... ونُنكِرُ مُنكَرًا فَعَلَ الأميرُ

ولقد جاءكم -يا بني إسرائيل- موسى بالأدلة الجلية البينة على صدقه -كما قال تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ [الإسراء ١٠١]- ثم اتخذتم العجل -إلها- من بعد خروجه لمناجاة ربه! وأنتم ظالمون لأنفسكم بالكفر -بعد أن قامت عليكم الحجة- عالمون بظلمكم. **٩٢**

واذكروا حين أخذ الله عهد أسلافكم الثقيل، ورفع الله فوقهم -جبل- الطور -تحذيرا من عدم الأخذ بالعهد والالتزام بطاعة أنبيائه- من ثم أمرهم أن يأخذوا ما أعطاهم سبحانه -التوراة- بجد واجتهاد وحزم ويعملوا صابرين على طاعته، ويسمعوا -ما يأمرهم به وينهاهم عنه أنبياؤهم، سماع وعي وفهم وانتفاع- أجابوا بأن سمعوا -بحواسهم، فأدركوا- وعصوا، وسقوا -حب- العجل حتى تمكن من قلوبهم وتغلغل في عروقهم كالماء الذي يشربون بسبب كفرهم، أخبرهم أيها النبي الكريم أن بئسما يأمرهم به إيمانهم -الذي يزعمون: أنهم يؤمنون بالتوراة ويكفرون بما سواها- إن كانوا مؤمنين: حقا بالتوراة وبما فيها كما يزعمون، فهل أباحت لهم التوراة هذا الكفر والعصيان ونقض العهود؟! **٩٣**

فائدة! اليهود أعظم الناس حسدا، وديدنهم نقض المواثيق، فما بال أقوام "يطبعون العلاقات" معهم؟

يَهودٌ يَحسُدونَ المسلمينَ ... فإنْ تَثِقوا بِهِم فَورًا يُبيروا

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ
وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا
جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ
عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا
مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ
ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا
يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن
يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾
وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ
يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ
ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلۡ مَن
كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ
ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾
مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ
إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ
لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾

تحداهم أيها النبي الكريم: إن كانت لهم الدار الآخرة -وحدهم كما يزعمون، كما قال تعالى ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ﴾ [البقرة ١١١]- عند الله خالصة من دون الناس فليتمنوا الموت -ولو تمنوه لحدث كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ﴾ [أحمد ٢٢٢٥]- إن كانوا صادقين في زعمهم هذا. ٩٤

ولن يتمنوه أبدا بسبب ما اقترفت أيديهم -من كفر وآثام- والله عليم بالظالمين، وسيجازيهم. ٩٥

ولتجدنهم -أيها المؤمن- أحرص الناس على حياة -أي حياة، مهما كانت حقيرة لا كرامة فيها، بل- ومن الذين أشركوا -فهم أحرص على الحياة من منكري البعث!- يحب الواحد منهم ويتمنى لو يبلغ عمره ألف سنة، وما هو بمبعده ولا منحيه من العذاب -الذي هو فيه في الآخرة غارق- أن يطال في عمره، والله بصير بما يعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. ٩٦

أخبرهم أيها النبي الكريم أن من كان عدوا لجبريل -فقد زعم بعض اليهود أن مانعهم من الإيمان هو أن المَلَك جبريل عليه السلام عدوهم! ولو نزل بالقرآن غيره لآمنوا- فإنه نزل القرآن على قلبك بإذن الله ومشيئته -فمن عاداه عليه السلام فقد قدح في حكمة الله الذي أمره بالنزول به- مصدقا وموافقا لما أنزل قبله، وهداية -القرآن، ومعه السنة- من الضلال وبشرى للمؤمنين -العاملين به- بما ينتظرهم من نعيم. ٩٧

من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال -فهما من ملائكته المقربين، بالمحاربة أو البغض أو السب أو غير ذلك- فإن الله عدو للكافرين: يعاديه الله فيعذبه، ولا يتجاوز عن أي من سيئاته. ٩٨

فائدة! من عادى الله أو ملائكته أو رسله -بالمحاربة أو البغض أو السب أو غير ذلك- فقد عاداهم جميعا، وقد كفر.

ونؤمِنُ بالمَليكِ ومَنْ يُعادِ ... مِنَ الرُّسُلِ الكِرامِ لهُ الثُّبورُ

ولقد أنزل الله إليك أيها النبي الكريم آيات بينات وأدلة جلية -على صدقك ونبوتك، واضحة الدلالة- وما يكفر بها -فيمتنع عن الإيمان بك- إلا الفاسقون الخارجون عن طاعة الله. ٩٩

أوكلما عاهد هؤلاء اليهود عهدا -كالإيمان بالنبي الخاتم الذي دلت عليه كتبهم، محمد ﷺ- طرحه فريق منهم: خلف ظهره؟! بل أكثرهم لا يؤمنون: فهذا هو سبب نقضهم المتكرر لعهودهم. ١٠٠

فائدة! الإيمان يحمل المرء على الوفاء بعهوده.

ونوفي بالعهودِ إذا قَطَعنا ... إلهي دَلَّنا، لا تستديروا

ولما جاءهم رسول من عند الله -النبي الخاتم الذي دلت عليه كتبهم، محمد ﷺ- مصدق وموافق لما معهم -مما أنزل الله عليهم، فصفته في كتبهم كما قال تعالى ﴿ الذين يَتَّبعون الرسول النبي الأمِّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الأعراف ١٥٧]- طرح فريق من أهل الكتاب من يهود ونصارى -اليهود- كتاب الله -التوراة- وراء ظهورهم -فنحوه عن حياتهم، لم يعملوا ولم يأبهوا بما جاء فيه- كأنهم لا يعلمون ما فيه، فصاروا كالجهلة لا يحسنون الانتفاع بما بين أيديهم. ١٠١

واتبعوا -عوضا عن كتاب الله، إذ تركوا العمل به- ما تقرأ الشياطين على ملك سليمان -وظلت تختلق
من أكاذيب، إذ زعموا أنه ﵇ حاشاه استعمل السحر لتثبيت ملكه- وما كفر سليمان -وما تلبس قط
بممارسة السحر ولا بتعلمه- ولكن الشياطين كفروا -فقد كانوا- يعلمون الناس السحر، وما أنزل على
المَلَكَين هاروت وماروت بأرض بابل كذلك يعلمونهم، وما يعلم هذان المَلَكَان من أحد حتى يحذراه
أنما هما فتنة -واختبار للخلق- فلا يكفر -فإن تعلم السحر موجب للكفر- فيتعلم من لم يقبلوا النصح
منهما -السحر، ومن جملته- ما يفرقون به بين المرء وزوجته، وما هم بمسببين ضررا بالسحر لأي أحد
-هذا لا يكون- إلا بإذن الله ومشيئته، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم -فالسحر ضرر محض، بخلاف
ما فيه بعض نفع وبالغ ضرر كما قال تعالى ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع
للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ [البقرة ٢١٩]- ولقد علم اليهود -ولا سيما علمائهم- لمن اشترى
السحر ما له في الآخرة أي حظ -فقد باع حظه فيها واشترى به السحر- ولبئس ما باعوا به أنفسهم
-فأضاعوا آخرتهم- لو كانوا يعلمون ما ينفعهم لما فضلوا فان على باق، ولكنهم جهلة. **١٠٢**

فائدة! لا يملك أحد -مهما حصل من أسباب- أن يضر أحدا أو أن ينفعه إلا بشيء قد كتبه الله كما
ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس ﵄ ﴿ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك
بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء
قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف ﴾ [الترمذي ٢٥١٦ * أحمد ٢٦٦٩].

مشيئةُ ربِّنا هيَ كُلُّ شَيءٍ ... لوِ اجتَمَعَ الجَميعُ فما يَضيرُ؟

ولو أن هؤلاء اليهود آمنوا -بالنبي الخاتم الذي دلت عليه كتبهم، محمد ﷺ- واتقوا -فالإيمان بالنبي
ﷺ وقاية من عقاب الله- بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه لجزاء وثواب من عند الله خير وأفضل -لهم
مما هم عليه من كفر وضلال وتعاط للسحر واتباع للشياطين، ومما سيصيبهم من عذاب بسبب ما
هم عليه- لو كانوا يعلمون ما ينفعهم لما فضلوا فان على باق، ولكنهم جهلة. **١٠٣**
يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا -للنبي ﷺ- راعِنا -أي راعِ أحوالنا، فاليهود صاروا يخاطبونه بها يقصدون
الرعونة أو سبا قبيحا بلغتهم- وقولوا -عوضا عنها- انظُرنا -أي أقبل علينا وانتظرنا نفهم عنك ما تقول-
واسمعوا -ما يأمركم به وينهاكم عنه نبيكم، سماع وعي وفهم وانتفاع- وللكافرين عذاب أليم. **١٠٤**
ما يحب ولا يتمنى الذين كفروا -لا- من أهل الكتاب -كما قال تعالى ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى حتى تتَّبِع مِلَّتهم ﴾ [البقرة ١٢٠]- ولا -من- المشركين أن ينزل عليكم من خير -أي خير،
قليلا كان أو كثيرا- من ربكم، والله يختص برحمته -فيتفضل بالنبوة والهداية والعلم، وغير ذلك على-
من يشاء، والله ذو الفضل العظيم: فلله الفضل والمنة. **١٠٥**

فائدة! جميع طوائف الكفر -أهل الكتاب وغيرهم- لا يحبون الخير للمسلمين، فلا تغتروا بخداعهم.

جَميعُ طَوائِفِ الكُفرِ استَهَلَّتْ ... لنا الشَّرَّ احذَروا، أَفَلَنْ تُغيروا؟

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا
تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ
وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ
وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ
ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ
لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۚ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا
وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ
أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ
ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ
فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ
لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا
مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ
وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ
لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ
بَصِيرٞ ﴿١١٠﴾ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا
أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ
أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾

ما ينسخ الله من آية -من القرآن، فيبطل حكم أو يغيره- أو ينسها سبحانه -فيرفع لفظها، فينساها عباد الله- يأت سبحانه بخير منها وأفضل -لعباده وأكثر نفعا- أو مثلها، ألم تعلم أيها النبي الكريم -يقينا- أن الله قدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك نسخ آيات والإتيان بما لا يقل عنها نفعا؟ ١٠٦

ألم تعلم -يقينا- أن الله له ملك السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا؟ وليس لكم من دون الله -أيها المؤمنون- من ولي يواليكم فيجلب لكم الخير، ولا نصير ينصركم فيدفع عنكم الشر: فلا تتلقوا صنيعه إلا بالامتثال والتعظيم، فلن يدفع أحد عنكم عذابه إن كفرتم أو عصيتم. ١٠٧

أم تريدون أن تسألوا رسولكم -أسئلة تعنت واعتراض- كما سئل موسى -إذ سألته بنو إسرائيل أن يريهم الله عيانا بلا ساتر كما قال تعالى ﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ﴾ [النساء ١٥٣]- من قبل؟ ومن يستبدل الكفر بالإيمان -فأسئلة التعنت والاعتراض ولا سيما بعد قيام الحجة قد تغمر صاحبها في الضلال- فقد ضل الطريق السوي الوسط المستقيم وعن الحق ابتعد. ١٠٨

فائدة! سؤال التعلم والاسترشاد غير منهي عنه، بل مأمور به كما قال تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [النحل ٤٣ ۞ الأنبياء ٧].

ونَسألُ أهلَ ذِكرٍ قَدْ أُمِرنا ... فَهُم كشعاعِ نورٍ يَستطيرُ

أحب كثير من أهل الكتاب وتمنوا لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا، حسدا من عند أنفسهم -لأن الله لم يجعل خاتم أنبيائه منهم- من بعد ما تبين لهم الحق -أن محمدا ﷺ هو النبي الخاتم الذي دلت عليه كتبهم- فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره -فيأمركم بجهاد هؤلاء الكفار كما قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجِزية عن يد وهُم صاغرون. ﴾ [التوبة ٢٩]- إن الله قدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك كف شرهم عنكم أيها المؤمنون، لكن له حكمة في ابتلائكم. ١٠٩

وأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأديموها بشروطها، وأخرجوا الزكاة الواجبة في أموالكم، وما تتقربوا به إلى الله من خير -وطاعة في الدنيا- تجدوه عند الله -في الآخرة محفوظا لكم، فيثيبكم عليه- إن الله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. ١١٠

وزعمت كل فرقة من اليهود والنصارى أن لن يدخل الجنة إلا فرقتها، تلك أمانيهم -المجردة- سلهم أيها النبي الكريم أن يأتوا ببرهانهم -على صحة ما ادعوا- إن كانوا صادقين في زعمهم هذا. ١١١

بلى! من أخلص عمله لله مستسلما متوجها له بقلبه وهو محسن في عبادته متبع لشرعه، محسن في معاملة عباده فله ثوابه عند ربه -فمن كانت تلك صفاتهم مستقرهم في الآخرة الجنة، وبعد السماع بالإسلام لا يتحقق ذلك إلا في أهله كما قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. ﴾ [آل عمران ٨٥]- ولا خوف عليهم -في الآخرة- ولا هم يحزنون: على ما من الدنيا فاتهم ولا على من في النار ممن أحبوا. ١١٢

وزعمت اليهود أن ليست النصارى على دين حق، وزعمت النصارى أن ليست اليهود على دين حق، وكل منهما يقرأ كتابه -مخالفا أمر الله فيه بالإيمان بجميع الأنبياء دون تفريق بينهم، ولا ينهاهم كونهم أهل كتاب عن الكلام بلا برهان- مثلما كذبوا زعم الذين لا يعلمون -من غيرهم ممن أنكروا أنبياء الله وكتبه- مثل زعمهم، فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون: فيجازي كلا بما قدم. ١١٣

فائدة! المرء إما مؤمن يرجو النجاة، وإما كافر -غير مسلم- هالك كما قال تعالى ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ [التغابن ٢]، والإسلام والإيمان إذا افترقا في السياق اجتمعا في المعنى وإذا اجتمعا في السياق افترقا في المعنى، فيكون الإسلام للأعمال الظاهرة والإيمان للأعمال الباطنة.

بإسلامٍ وإيمانٍ نُسامي ... فغَيرُ المسلمينَ لهمْ سعيرُ

ومن أعظم ظلما ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه -كالذي يمنع الصلاة فيها أو إقامة الجمع والجماعات، أو الاعتكاف والذكر وتدارس القرآن وغير ذلك من الطاعات- وسعى في خرابها: عاملا على هدمها وإزالتها، أو منع عباد الله من أداء العبادات فيها، أو مراقبتهم وملاحقتهم والتضييق عليهم، أو فرض من لا يصلح خطيبا أو إماما عليهم؟ هؤلاء -الكفرة، الساعون في هدمها أو تعطيل دورها- ما صح لهم أن يدخلوها إلا خائفين -أذلاء، يخفون عن أهلها حقيقة أمرهم، لئلا يفضحوهم ويعاقبوهم- لهم في الدنيا ذل ومهانة -بأيدي المؤمنين بإذن الله- ولهم في الآخرة عذاب عظيم. ١١٤

ولله المشرق والمغرب -خلقا وملكا وتدبيرا، جميع الجهات داخلة تحت ملكه وحكمه- فأينما تنحوا -متوجهين أيها المسلمون، في الصلاة- فهناك تستقبلون الله -فمن أخطأ، أو تعذر عليه استقبال القبلة لخوف أو لغيره فلا إثم عليه- إن الله واسع الفضل، عليم بالسرائر والنيات وبمن هم أولى بفضله. ١١٥

وزعموا -يهود ونصارى ومشركون- أن اتخذ الله ولدا، تنزه وتقدس -بل ليس لغيره الكمال التام المطلق، سبحانه- بل له ما في السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، كل له قانتون: مطيعون خشوعا. ١١٦

منشئ السماوات والأرض على وجه الإتقان على غير مثال سابق، وإذا قضى أمرا فإنما يأمره -سبحانه- بالتَّكُّون فيكون، لا يستعصي عليه ولا يمتنع منه. ١١٧

واقترح الذين لا يعلمون -من اليهود والنصارى والمشركين، تعنتا- أن يكلمهم الله -بصدق نبوة النبي ﷺ، مباشرة دون رسول أو وسيط- أو تأتيهم آية دالة على صدقه ﷺ، مثلما تعنتوا اقترح الذين من قبلهم -الذين كذبوا رسل الله، كعاد وثمود وغيرهما- مثل اقتراحهم، تشابهت قلوبهم -فكلهم معاندون مكذبون، وإن اختلفت العصور والأماكن- قد بين الله وأظهر الآيات الدالة على صدق نبوته ﷺ لقوم يوقنون بالحق حين يظهر لهم، لا يتشككون ولا يعاندون ولا يتعنتون. ١١٨

إن الله أرسلك سبحانه أيها النبي الكريم بالحق -دين الإسلام- بشيرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للعصاة بالعقاب، ولست مسؤولا عن ماكثون في الجحيم، يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه: بل الرسالة بلغ، والأمر كما قال تعالى ﴿ ليس عليك هُداهم ولكنَّ الله يهدي من يشاء ﴾ [البقرة ٢٧٢]. ١١٩

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ
إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي
جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن
يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ
ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا
لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ
فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ
لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ
وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ
وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥
وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ
مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦

ولن ترضى عنك أيها النبي الكريم -ولا عن أحد من أمتك- اليهود ولا النصارى، حتى تتبع ملتهم -مرتدا عن دينك حاشاك، ومتبعا ما هم عليه من كفر- أخبرهم أن هدى الله هو الهدى -فدينه الحق هو ما أرسلك به لعباد الله كما قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه ﴾ [آل عمران ٨٥]- ولئن اتبعت -وأمتك من ورائك- أهواءهم -حاشاك- بعد الذي جاءك من العلم -الحق، فإيثار الباطل على الحق جرم عظيم- ليس لك من الله من ولي يتولى أمرك ولا نصير ينصرك أو يعينك. ١٢٠

فائدة! لن ترضى اليهود ولا النصارى عن المسلمين حتى يردوهم عن دينهم، ومناصرتهم أو مناصرة غيرهم من أهل الكفر على المسلمين بمال أو رأي أو جهد أو غير ذلك من نواقض الإسلام.

ولمْ نَطلبْ رِضا أهلِ الكتابِ ... مُناصِرُهُم لهُ نارٌ تَفورُ

الذين أعطاهم الله الكتب -من قبل القرآن، وثبتوا على ما في كتبهم من تعاليم لم يبدلوا، كعبد الله بن سلام ﷺ ومن آمن معه- يقرؤون كتبهم ويتبعون ما فيها حق اتباعها -كما أنزلت، بلا تحريف ولا ميل إلى أهواء- هؤلاء يؤمنون بالنبي ﷺ، ومن يكفر به فهؤلاء هم بالغو الخسران الهالكون. ١٢١

يا بني إسرائيل اذكروا نعم الله التي أنعمها عليكم -متعاقبة، وأدوا شكرها- وأنه أعطى أسلافكم زيادة على أهل زمانهم كما قال تعالى ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نِعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين. ﴾ [المائدة ٢٠]. ١٢٢

واتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه يوما -قيامتكم! إذ- لا تجزي نفس عن نفس شيئا -فليس يغني أحد عن أحد- ولا يقبل من نفس فداء، ولا تنفعها شفاعة -إلا بإذن منه سبحانه لمن أراد أن يقبل شفاعته في موحد، وكان اليهود يزعمون أن أسلافهم سيشفعون لهم- ولا ينصر أحد أحدا. ١٢٣

واذكر أيها النبي الكريم حين اختبر رب إبراهيم ﷺ إبراهيم بتكاليف، فأداها تامة على أتم وجه، أخبره -سبحانه- أنه جاعله للناس إماما -يقتدي به الخلق في الخير- سأله عن ذريته: أمنهم أئمة كذلك؟ أجابه بأن لا ينال عهده -وإمامة الدين، منهم ولا من غيرهم- الظالمين لأنفسهم أو لغيرهم. ١٢٤

واذكر حين جعل الله البيت الحرام مرجعا للناس -يترددون عليه مرات ومرات، وبه تتعلق قلوبهم- وأمانا -للناس والوحش والطير كما قال تعالى ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ [آل عمران ٩٧] بل وللنبات، لا يعتدى فيه على أحد ولا على شيء، آمرا الناس- واتخذوا من مقام إبراهيم -حجر عليه وقف أثناء بنائه الكعبة- مكانا للصلاة، وأوصى الله إبراهيم وإسماعيل -ابنه- أن يطهرا بيته -من أوثان وشرك وأقذار، ليغدو مهيأ- للطائفين والمقيمين -المعتكفين- والركع السجود: المصلين، وغيرهم من المتعبدة. ١٢٥

واذكر حين دعا إبراهيم ربه أن يجعل هذا -مكة، قبل أن يسكنها الناس- بلدا آمنا، ويرزق أهله من أنواع الثمار، من آمن منهم بالله واليوم الآخر -فلم يدع ﷺ لكافر، فأجاب سبحانه دعاءه، مضيفا- ومن كفر فيمتعه قليلا -ويرزقه في حياة دنيا لا تقارن بالآخرة كما قال تعالى ﴿ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ [التوبة ٣٨]- ثم يلجئه مجبرا إلى عذاب النار، وبئس المصير. ١٢٦

واذكر حين يرفع إبراهيم قواعد بناء البيت الحرام وإسماعيل -معه- داعيَين ربهما -خاشعَين- أن يتقبل منهما، مؤكدَين أنه هو السميع لكافة ما يقول عباده، العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. **١٢٧**

فائدة! المؤمن الحق لا يغتر بعمله، بل يجتهد في دعاء الله أن يتقبل منه عمله فلا يرده عليه.

ونَدعو ربَّنا اقبَلْ ما عَمِلنا ... بلا عُجْبٍ كما أمَرَ الشَّكُورُ

أردفا داعيَين ربهما وأن يجعلهما مسلمَين له منقادَين -ثابتَين على ذلك- ومن ذريتهما -أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام- جماعة مسلمة له منقادة -تعتنق الإسلام- ويريهما مناسكهما -فيعرفا ما افترض من عبادات عليهما وما يحب أن يتنفلا به- ويتوب عليهما -متجاوزا عن الصغائر التي لا تحط من منزلة النبوة، ويثبتهما على الحق- مؤكدَين أنه هو الكثير التوبة على عباده، العظيم الرحمة بالتائبين. **١٢٨**

أضافا داعيَين ربهما وأن يبعث في ذريتهما رسولا منهم -يعرفون حاله ونسبه وصدقه- يقرأ عليهم ألفاظ آياته، ويعلمهم القرآن وسنته التي ترشد إلى الحكمة، وينزههم من الكفر والمعاصي والرذائل، مؤكدَين أنه هو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **١٢٩**

ومن يرغب عن ملة إبراهيم -منصرفا إلى غيره من الأديان، أو ملحدا إلى غير دين- إلا من صار سفيها خفيف العقل قد جهل نفسه وامتهنها ورضي لها بالدنية؟ ولقد اصطفاه الله في الدنيا -رسولا وخليلا كما قال تعالى ﴿ واتَّخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ [النساء ١٢٥]- وإنه في الآخرة لمن الصالحين. **١٣٠**

حيث أمره ربه أن يسلم وينقاد، أكد -عليه السلام- مسرعا ملبيا غير متباطئ- أن أسلم وانقاد لله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء: لذلك اصطفاه، أفلا نقتدي به عليه السلام ونبادر إلى طاعته سبحانه؟ **١٣١**

ووصى بها إبراهيم أبناءه، ويعقوب كذلك فعل، كل منهما أخبر أبناءه أن الله اصطفى لهم الدين -فلن يقبل إلا الإسلام- فمن ثم شدد كل منهما على أبنائه أن يلزموا الإسلام ولا يموتن إلا وهم عليه. **١٣٢**

أم كنتم -يا أهل الكتاب، كانوا وظلوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم ويعقوب عليهما السلام- حضورا إذ أشرف يعقوب على الموت؟ إذ سأل أبناءه ماذا -سوف- يعبدون من بعد موته؟ أخبروه أن -سيظلون- يعبدون إلهه وإله آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، إلها واحدا -لا شريك له- وهم له مسلمون منقادون. **١٣٣**

تلك جماعة قد مضت، لها ما كسبت من عمل ولكم ما كسبتم من عمل -كل سيجازى بعمله- ولا يسأل أحد عما كان غيره يعمل: لا يعاقب أحد بسيئات غيره، ولا ينتفع أحد بحسنات غيره، فأبصروا حالكم واتركوا التواكل واقطعوا التعلق بغير أنفسكم، واشتغلوا بما ينفعكم في آخرتكم. **١٣٤**

فائدة! من أخره عمله السيئ أو فرط في العمل الصالح لم ينفعه في الآخرة نسب شريف ولا غير ذلك مما يتباهى به الناس، ولم يلحقه شيء بمراتب أصحاب الأعمال كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ﴾ [مسلم ٢٦٩٩ ★ أبو داود ٣٦٤٣ ★ الترمذي ٢٩٤٥ ★ ابن ماجة ٢٢٥ ★ أحمد ٧٤٢٧].

مَضى مُتجاهِلًا ظَنَّ الحِسابَ ... على نَسَبٍ يُحابي أو يَسيرُ

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ
إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ
حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن
رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦
فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ
فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧
صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ
عَٰبِدُونَ ١٣٨ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ
وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ١٣٩
أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ
ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ
وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤١

ودعا اليهود المسلمين أن يصيروا يهودا ودعاهم النصارى أن يصيروا نصارى -بزعمهم إن يفعلوا فإنهم إلى الحق- يوفقوا ويرشدوا، أخبرهم أيها النبي الكريم بل -تتبعوا- ملة إبراهيم حنيفا مائلا عن جميع الأديان الباطلة إلى الإسلام، وما كان من المشركين ولا شأن له بهم وإن زعموا أنهم على ملته. ١٣٥
أجيبوهم -يا أهل الإسلام، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ آمنا بالله وما أُنزل إلينا ﴾ ﴾ [البخاري ٤٤٨٥]- بأنكم آمنتم بالله وما أنزل إليكم -من قرآن- وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء من ذرية يعقوب عليه السلام، وما أعطي موسى -من توراة- وعيسى -من إنجيل- وما أعطي الأنبياء من ربهم -من كتب- لا تفرقون بين أحد منهم -بل بالأنبياء جميعا تؤمنون- وأنتم له -سبحانه، وحده دون سواه- مسلمون منقادون. ١٣٦
فإن آمنوا -يهود ونصارى وغيرهم- بمثل ما آمنتم به -من كتب وأنبياء دون تفريق بينهم- فقد وفقوا إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة ورشدوا، وإن أعرضوا متنحين عن الإيمان بمثل ما آمنتم به فإنما هم في خلاف وعداء مع الحق ومفارقة له، فسيكفيك أيها النبي الكريم شر مكرهم وتآمرهم الله، وهو السميع لكافة ما يقول عباده، العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ١٣٧
صبغة الله -الزموها، فقوموا بدينه الحق الذي اصطفاه لعباده قياما تاما، حتى يصير طبيعة لا تفارقكم كما لا تفارق الصبغة الثوب- وأي دين أحسن من دين الله؟ وأنتم له عابدون: لا تشركون به شيئا ولا أحدا، أظهروا ذلك على صفة الدوام، ولا تنقطعوا عن عبادته، وإن هاجرتم فرارا بدينكم. ١٣٨
فائدة! لحية الرجل المسلم من الهدي الظاهر، فيجب أن تظهر عليه كما تظهر الصبغة على الثوب.
ولِحيَتُهُ مِنَ الهَدي الَّذي لا ... يُفارِقُهُ كما صُبغَ الوَثيرُ
سل أيها النبي الكريم أهل الكتاب أينازعونكم بالحجج في الله -ربما لأن دينهم أقدم وكتابهم أسبق، أنهم أولى به سبحانه وبدينه الحق منكم- وهو ربكم وربهم: لا يختص به فريق دون فريق؟ ولكم جزاء أعمالكم ولهم جزاء أعمالهم -لا يسأل الله فريقا عن عمل الآخر، أخبرهم بذلك- وأنتم له -سبحانه- مخلصون: موحدون، نياتكم خالصة تبتغون مرضاته، لا تراءون بعملكم ولا تنقطعون عن عبادته. ١٣٩
أم تزعمون -يا أهل الكتاب، من ضلالكم- أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء من ذرية يعقوب عليه السلام كانوا يهودا أو نصارى؟ أجبهم -متسائلا- أهم أعلم؟ أم الله؟ ومن أعظم ظلما ممن كتم شهادة عنده من الله: فكيف بمن لم يكتف بكتمان الحق، بل وأظهر الباطل ثم دعا إلى باطله؟! وما الله بغافل عما تعملون من كفر به وصد عن دينه، وسيجازيكم به. ١٤٠
تلك جماعة قد مضت، لها ما كسبت من عمل ولكم ما كسبتم من عمل -كل سيجازى بعمله- ولا يسأل أحد عما كان غيره يعمل: لا يعاقب أحد بسيئات غيره، ولا ينتفع أحد بحسنات غيره، فأبصروا حالكم واتركوا التواكل واقطعوا التعلق بغير أنفسكم، واشتغلوا بما ينفعكم في آخرتكم. ١٤١

سيتساءل السفهاء خفاف العقول من الناس -عند تحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى البيت الحرام- ما نحاهم عن قبلتهم التي كانوا -مستقرين- عليها: يستقبلونها في صلاتهم؟ أجبهم أيها النبي الكريم بأن لله المشرق والمغرب -خلقا وملكا وتدبيرا، جميع الجهات داخلة تحت ملكه وحكمه، إذًا تستقبلونه حيثما تتوجهون كما قال تعالى ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تُوَلُّوا فَثَمَّ وجه الله ﴾ [البقرة ١١٥]- يوفق -سبحانه- ويرشد من يشاء إلى طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إليه وجنته. **١٤٢**

فائدة! لا يعترض على حكم من أحكام الله إلا سفيه.

إذا ربِّي قَضى أمرًا أطَعنا ... فَلَيسَ بنا سَفاهتُهُم، فَسِيروا

ومثلما جعل قبلة ارتضاها لكم جعلكم الله -أيها المؤمنون- أمة وسطا -بين الغلو والتفريط، فلم ترفعوا أحدا إلى مرتبة الألوهية كما فعل اليهود والنصارى كما قال تعالى ﴿ وقالت اليهود عُزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ [التوبة ٣٠]، ولم تقتلوا أنبياء الله، ولم تكذبوا أحدا منهم أو عليه تكذبوا كما فعلوا هم مع المسيح ﷺ، أمة خيرة عدلا- لتكونوا شهداء على الناس -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ﴿ يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلَّغ، وهو قوله جل ذكره: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾، والوسط العدل. ﴾ [البخاري **٣٣٣٩** ★ الترمذي **٢٩٦١م** ★ ابن ماجة **٤٢٨٤** ★ أحمد **١١٢٨٣**]- ويكون الرسول عليكم -وعلى صدق ما شهدتم به- شهيدا، وما جعل الله القبلة التي كنت أيها النبي الكريم عليها إلا ليظهر الله علمه بمن يتبع الرسول ممن ينقلب عن دينه مرتدا، وإن كان تحويلها لكبيرا شاقا إلا على الذين وفق الله وأرشد، وما كان الله ليضيع إيمانكم -ولا ثواب صلاة من مات قبل أن تتحول إلى الكعبة- إن الله بالناس لشديد الرأفة -بالمؤمنين- عظيم الرحمة. **١٤٣**

فائدة! أي شرف أعظم من أن نكون وسطا عدولا خيارا يطلبنا أنبياء الله ﷺ يوم القيامة لنشهد لهم؟

عُدولٌ يَطلبُ الرُسُلُ ارتضاءً ... شهادَتَنا لديهِ إذا أُضيروا

قد يرى الله كثرة نظرك أيها النبي الكريم إلى السماء -ترقبا لنزول الأمر باستقبال الكعبة- فليوجهنك الله إلى قبلة ترضاها -أحبها إليك- فوجه وجهك جهة المسجد الحرام، وحيث ما كنتم -وأردتم الصلاة يا أهل الإسلام- فوجهوا وجوهكم جهته، وإن أهل الكتاب من يهود ونصارى ليعلمون أنه الحق من ربهم -فقبلتكم ثابتة في كتبهم- وما الله بغافل عما يعملون من كفر به وصد عن دينه، وسيجازيهم به. **١٤٤**

ولئن أتيت أيها النبي الكريم أهل الكتاب من يهود ونصارى بكل آية دالة على صدقك -في أن تحويل القبلة حق- ما توجهوا إلى قبلتك، وما أنت بمتوجه إلى قبلتهم -بعد أن وجهك الله إلى كعبته- وما بعضهم بمتوجه إلى قبلة بعض، ولئن اتبعت -وأمتك من ورائك- أهواءهم -حاشاك- من بعد ما جاءك من العلم -الحق، فإيثار الباطل على الحق جرم عظيم- إنك إذًا لمن الظالمين لنفسك ولغيرك. **١٤٥**

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟
عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ
وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ
وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ
مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ
هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ
جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ
فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٩ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ
وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ
وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ
وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٠ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ
عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ
وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣

الذين أعطاهم الله الكتب -السماوية: علماء اليهود والنصارى- يعرفون محمدا ﷺ كما يعرفون أبناءهم -فقد أيقنوا أنه جاء بالحق- وإن فريقا منهم -رغم علمهم هذا- ليكتمون الحق، وهم يعلمون أنه نبي مرسل: فلن ينفعهم العلم مع الامتناع عن اتباعه كما قال تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون. ﴾ [الأنعام ٢٠]، فلهم الخسران في الآخرة. ١٤٦

الحق -جاءك- من ربك أيها النبي الكريم، فلا ينتابنك -ولا ينتابن أحدا من أمتك- أدنى شك فيه، ولا في أن اليهود والنصارى كفار معاندون، يعلمون أنك على حق ساطع كضوء الشمس. ١٤٧

ولكل -أهل دين- وجهة -حسية كانت أو معنوية، يتوجهون إليها في عبادتهم- هو -سبحانه، إياهم- موليها، فبادروا -أيها الناس- إلى أعمال الخير -فأسلموا واعملوا بما أنزل الله- أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا -يوم القيامة، ليجازي كلا منكم بعمله- إن الله قدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك بعثكم من الموت وحسابكم. ١٤٨

فائدة! من استباق الخيرات المبادرة إلى أداء العبادة التي دخل وقتها كالصلاة أو تيسر سبيلها كالحج.

وَنَستَبِقُ المعالي لا يُساوى ... بمُبتَكِرٍ غُفولٌ، لا فُتورُ

ومن حيث خرجت أيها النبي الكريم فوجه وجهك جهة المسجد الحرام -في الصلاة- وإنه للحق من ربك -فقد أوحاه إليك- وما الله بغافل عما تعملون من خير وشر، وسيجازيكم به: فلا تتهاونوا به. ١٤٩

ومن حيث خرجت -في حضر أو سفر- فوجه وجهك جهة المسجد الحرام، وحيث ما كنتم -يا أهل الإسلام- فوجهوا وجوهكم جهته، لئلا يكون للناس عليكم حجة -اليهود يتساءلون ما لهؤلاء يخالفوننا في ديننا ويتبعون قبلتنا؟ والمشركون يتساءلون ما لهؤلاء يرغبون عن قبلة أبينا إبراهيم ﷺ ويزعمون أنهم على ملته؟- إلا الذين ظلموا منهم -فسيظلون معاندين- فلا تخشوهم -ولا تأبهوا لما يرددون- واخشوا الله وحده حق خشيته في كل قول وفعل، وليتم الله نعمه عليكم -فبعد أن وفقكم فاتبعتم دينه أرشدكم إلى استقبال أشرف قبلة: الكعبة- ورجاء أن تهتدوا وتعملوا بما أنزل فتثبتوا على الطريق القويم. ١٥٠

كما أرسل سبحانه فيكم رسولا منكم -تعرفون حاله ونسبه وصدقه- يقرأ عليكم ألفاظ آياته سبحانه، وينزهكم من الكفر والمعاصي والرذائل، ويعلمكم القرآن وسنته التي ترشد إلى الحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون: مما ينفعكم في الدنيا والآخرة، ومن جملته أن هداكم إلى أشرف قبلة، فاذكروه. ١٥١

فاذكروه سبحانه -بقلوبكم وألسنتكم، وأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان، وأطيعوه- يذكركم الله -بحفظكم والثناء عليكم وإثابتكم- واشكروا له -نعمه، لتبقى وتزيد كما قال تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنَّكم ﴾ [إبراهيم ٧]- ولا تكفروه سبحانه: بعدم شكر نعمه، أو باستعمالها في عصيانه. ١٥٢

يا أيها الذين آمنوا استعينوا -على طلب الآخرة وعلى ما سيصيبكم في الدنيا- بالصبر على طاعة الله وأقداره والصلاة -إذ أنها خير معين لكم كما قال تعالى ﴿ إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [العنكبوت ٤٥]، فأدوها تامة الأركان- إن الله مع الصابرين بالعون والتأييد. ١٥٣

ولا تزعموا -ولا تظنوا، أيها المؤمنون- أن من يقتل في سبيل الله نصرة لدينه هم أموات، بل هم أحياء -عند ربهم، يرزقون- ولكن لا تشعرون بما هم فيه كما قال تعالى ﴿ ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يُرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ [آل عمران ١٦٩ ١٧٠]. ١٥٤
وليبلونكم الله -مختبرا- بشيء من الخوف والجوع وهلاك بعض الأموال -أو عدم استطاعة تحصيلها- والأنفس -ومنهم الأولاد، نصرة لدين الله أيها المسلمون أو غير ذلك- والثمار، وبشر أيها النبي الكريم -والدعاة من أمتك- الصابرين على طاعة الله وأقداره -ومن جملتها ما ابتلاهم به- بما يسرهم. ١٥٥
فائدة! من أسباب ابتلاء المسلمين بالمحن أنها تميز الصادق الصابر من الكاذب الجازع.

إذا سُوءٌ أصابَكُمُ اصطِبارٌ ... فإنَّ الصبرَ ليسَ لهُ نظيرُ

الذين إذا أصابتهم مصيبة أكدوا أنهم لله -مملوكون مقرين بعبوديتهم له، راضين بقدره مصبرين أنفسهم بتذكر ثواب الآخرة- وأنهم إليه راجعون ليجازيهم بأعمالهم، قائلين: "إنا لله وإنا إليه راجعون". ١٥٦
هؤلاء عليهم ثناء من ربهم ورحمة -ولهم مغفرة- وهؤلاء -إلى طريق الفوز- هم المهتدون. ١٥٧
إن -جبلَي- الصفا والمروة -بمكة- من معالم دين الله الظاهرة -وليسا من أمور الجاهلية التي يجب أن يتجنبها المسلمون- فمن زار البيت الحرام لأداء مناسك الحج أو اعتمر فلا لوم عليه ولا إثم أن يطوف بهما -سبعة أشواط سعيا بينهما، لا يجوز ترك شيء منها- ومن تطوع خيرا -كالتطوع بحج أو عمرة بعد الإتيان بما أوجب الله عليه- فإن الله شاكر يقبل منه، عليم بنيته وبأفعاله، وسيجازيه بها. ١٥٨
إن الذين يكتمون -من المسلمين أو من أهل الكتاب- ما أنزل سبحانه من الأدلة الجلية البينة والهدى -كوجوب توحيد الله واتباع نبيه والحكم بشرعه ونحو ذلك مما لا يجوز كتمانه- من بعد ما بينه الله للناس في كتبه هؤلاء يطردهم الله من رحمته، وتدعو عليهم الخليقة جمعاء بالطرد من رحمته. ١٥٩
إلا الذين تابوا -عن كتمان ما أنزل الله- وأصلحوا ظاهرهم وباطنهم وما فسد من أحوالهم، وبينوا -ما كتموا من قبل- فهؤلاء يوفقهم الله للتوبة، وهو الكثير التوبة على عباده، العظيم الرحمة بالتائبين. ١٦٠
فائدة! أهل العلم الذين يضللون الأمة ويكتمون الحق وواجبات الوقت توبتهم مشروطة ببيان ما كتموا، على أن يكون البيان جهريا ليعلمه الناس ليس نصحا سريا للحكام كما يزعم المرجئة وعلماء السلطان.

وعِلمٌ أهلُهُ كَتَموا، أضَلُّوا ... فبالحقِّ اجهَروا! فالعِلمُ نورُ

إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار -لم يتوبوا من كفرهم قبل موتهم- هؤلاء عليهم طرد من رحمة الله، ودعاء من الملائكة والناس جميعا -مؤمنهم وكافرهم، يوم القيامة- بالطرد منها. ١٦١
خالدين في الطرد من رحمة الله ملازمين لها دائما أبدا، لا يخفف عنهم العذاب -في الآخرة- ولا هم يمهلون ليتوبوا بعد أن مضى وقت الإمهال بانقضاء حياتهم الدنيا. ١٦٢
وإلهكم -أيها الخلق، إنسكم وجنكم- إله واحد لا شريك له، لا معبود بحق سواه، الرحمن بجميع خلقه، العظيم الرحمة بالمؤمنين: هو الرب الذي خلقهم، وهو خالق الكون ومالكه ومدبر شؤونه. ١٦٣

وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن
لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ
وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾
ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾
أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ
فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ
وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ
لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ
وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ
كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾
وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ
ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ
ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ
أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم
بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

إن في خلق السماوات والأرض -وما فيهن من مكونات كثيرة تعمل في انسجام مبهر- وتعاقب الليل والنهار، والسفن التي تجوب المياه بما ينفع الناس -من تجارة، أو لإجراء أبحاث علمية أو غير ذلك- وما أنزل الله من السماء من مطر، فأحيا به الأرض -بأن أخرج النبات- بعد موتها وجفافها، ونشر في أرجائها من كل كائن يدب، وتغيير اتجاه الرياح وقوتها وحرارتها، والسحاب المذلل -وحركته بحرية- بين السماء والأرض لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لمن لهم عقول يعملونها فيفهموا بها. **١٦٤**

ومن الناس -رغم الأدلة على وحدانية الله- من يتخذ من دون الله -أوثانا وطواغيت يجعلونها له- أندادا ونظراء ومثلاء، يحبونهم كحب الله -فيساوون بينهم في المحبة أو العبادة أو الطاعة- والذين آمنوا أشد حبا لله -يحبونه ولا يعملون إلا بما أنزل، ويدعونه وحده في السراء والضراء، أما غيرهم فيدعونه وينسون غيره في البلاء كما قال تعالى ﴿ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين. بل إيَّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسَون ما تُشركون. ﴾ [الأنعام ٤٠ ٤١] ثم يعودون لشركهم- ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وغيرهم بالصد عن الإيمان -حالهم- حين يعاينون العذاب -في القبر ثم يوم القيامة، لأيقنوا- أن القوة لله جميعا -وحده دون سواه، فالذي أشركوه به ليس له من القوة نصيب- وأن الله شديد العذاب -لا يغفر لمشرك كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]- لرأوا أمرا هائلا مما آلوا إليه. **١٦٥**

حيث تبرأ -يوم القيامة- الذين جرى اتباعهم -أئمة الكفر من قادة وأهل رأي يقتدي عموم الكفار بهم فغيرهم تبع لهم- من الذين اتبعوا -طواغيتهم- عند معاينة العذاب، وتقطعت بينهم وصلات الموالاة والمودة والنفاق التي كانت في الدنيا، وأسباب وسبل النجاة كذلك تقطعت بهم، فلا توبة الآن. **١٦٦**

وتمنى الذين اتبعوهم -متحسرين- لو أن لهم رجعة -إلى الدنيا- فيتبرؤوا منهم -فيطيعوا الله ويعصوهم- كما تبرؤوا منهم -فأنكر أئمة الكفر بين يدي الله أنهم أضلوهم- مثلما أراهم عذابه يريهم الله أعمالهم -وعاقبة اتباع أئمتهم على الباطل- حسرات على مآلهم وحزنا، وما هم بخارجين من النار. **١٦٧**

فائدة! اتباع الباطل انبهارا بسلطانه الزائف أو أملا في تحصيل المنافع ينقلب حسرة وندامة أبدية.

ولِمْ نَتْبَعْ أكابرَ مُجرِميها ... أَنَتْبَعُهُم إلى النارِ؟! استَجيروا

يا أيها الناس كلوا مما في الأرض -مباح ما أحل ربكم لكم، مما كان كسبه- حلالا -وليس مأخوذا بغير حق- طيبا -غير خبيث من النبات والحيوان- ولا تتبعوا طرق ومسالك الشيطان -التي يزينها لكم ويستدرجكم بها- إنه لكم عدو ظاهر العداوة لا يريد إلا الوصول بكم إلى عذاب الله. **١٦٨**

إنما يأمركم بالقبائح وما هو مستفحش من الذنوب -كالزنا كما قال تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ﴾ [الإسراء ٣٢] وغيره- وأن تتقولوا على الله بغير علم ولا دليل: وذلك ضلال وإضلال. **١٦٩**

فائدة! الكلام في الدين بالآراء والأهواء بغير علم ولا تثبت كذب على الله يؤدي إلى البدع والضلال.

ومَنْ يَتَقَوَّلوا الكَذِبَ افتِراءً ... على اللهِ الشَّياطينُ استُخيروا!

وإذا جرى دعوة الذين كفروا إلى اتباع ما أنزل الله -رغبوا عما أنزل من هدى ونور، ثم- عللوا رغبتهم عنه: بل نكتفي بما صادفنا عليه أسلافنا -من معتقدات وعادات وتقاليد- أولو كان أسلافهم -بهائم- لا يعقلون -شيئا من الحق- ولا -إليه- يهتدون: رغم ذلك يستمرون على تقليدهم؟! ١٧٠

ومثل الذين كفروا -في تقليدهم الأعمى لأسلافهم الضالين عند دعوتهم إلى اتباع ما أنزل الله- كمثل -الراعي- الذي يصيح بما لا يسمع -من بهائم- إلا دعاء ونداء -فهم لا يعقلون شيئا مما يخاطبون به، كبهائم تسمع صوت راع- صم -عن سماع الحق، سماع وعي وفهم وانتفاع- بكم -لا ينطقون بخير- عمي -لا يبصرون طريق الهداية- فهم لا يعقلون: لخفة عقولهم لا يهتدون إلى الحق. ١٧١

يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقكم الله -من غير الخبيث من النبات والحيوان، مباح ما أحل لكم، إن كان كسبه حلالا وليس مأخوذا بغير حق- واشكروا لله -نعمه، لتبقى وتزيد كما قال تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنّكم ﴾ [إبراهيم ٧]- إن كنتم إياه -وحده دون سواه- تعبدون. ١٧٢

إنما حرم عليكم ما فارقه الروح من غير تذكية -بإزهاق الروح عمدا بالذبح، فلا تتناولوه، باستثناء ميتة الجراد وكائنات الماء- والدم -المسفوح السائل، أما ما يبقى في اللحم والأعضاء والعروق بعد الذبح فمعفو عنه- ولحم الخنزير، وما ذبح لغير الله -كالذي يذبح للأصنام والأوثان كالقبور ونحو ذلك، وما يذكر عند ذبحه غير اسم الله عليه- فمن دعته الضرورة -أو الإكراه إلى أكل محرم، وهو- غير طالب لذلك المحرم مع قدرته على المباح، ولا متجاوز للقدر الضروري الذي يقيه الضرر فلا إثم عليه، إن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين، خاصة بالمضطر منهم والمكره. ١٧٣

فائدة! الضرورات تبيح المحظورات.

رحيمٌ إنْ ضَروراتُ اقتَضَتْ لا ... يُعاقِبُ حالَ إكراهٍ غفورُ

إن الذين يكتمون -ممن أعطاهم الله كتبا، مسلمين كانوا أو أهل كتاب- ما أنزل الله من الكتب -ولا سيما العقائد، كوجوب توحيد الله واتباع نبيه والحكم بشرعه ونحو ذلك- ويشترون بكتمانهم قليلا من حطام الدنيا من مال أو جاه -أو أمن!- هؤلاء ما يأكلون في بطونهم إلا -ما حتما يدخلهم- النار، ولا يكلمهم الله يوم القيامة -بما يسرهم- ولا ينزههم من إثمهم -ولا يثني عليهم- ولهم عذاب أليم. ١٧٤

هؤلاء الذين فضلوا الضلالة على الهداية -إذ لم يتبعوا الحق- والعذاب على المغفرة -مآلهم النار- فما أجرأهم وما أدومهم على عمل أهل النار؟ وكيف لهم الصبر والجلد على عذابها؟ ١٧٥

ذلك -العقاب- بسبب أن الله نزل الكتب بالحق -مشتملة على الحق لهداية الخلق، فمن كتم شيئا منها فالحق أن يعاقب- وإن الذين اختلفوا في الكتب -فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، أو أنكروها بالكلية أو بوجوب العمل بما جاء فيها، أو جحدوا بها أو كذبوا، أو كتموا منها أو حرفوا، أو أولوا وفسروا على خلاف الحق ليوافق أهواءهم أو أهواء أسيادهم الطواغيت: الحاكمين بغير ما أنزل الله المبدلين لشرعه، الموالين للكفار، المتبرئين من المسلمين- لفي غاية الخلاف والعداء مع الحق والمفارقة له. ١٧٦

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا
عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا
يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ
بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ
وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ
ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ
أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾

۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ
وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ
وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ
وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ
وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ
بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ
إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ
بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي
ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ
أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ
بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ
فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١

ليس البر -فأي خير في- أن توجهوا وجوهكم -أو تجادلوا في قبلة- ناحية المشرق أو المغرب، ولكن البر -هو في- من آمن بالله -وحده لا شريك له- واليوم الآخر -البعث والحساب- والملائكة والكتب -السماوية- والأنبياء، وأعطى المال حبا لله وفعل الخير -رغم حبه له وحرصه عليه لقلته لديه، تطوعا- الأقارب واليتامى والمساكين والأغراب المسافرين المنقطعة نفقتهم والذين يسألون الناس، وفي الرقاب -إعانة على تحرير النفوس المسلمة المملوكة، وفداء أسرانا- كذلك أعطاه، وأدى الصلاة وأظهر هيئتها وأدامها بشروطها، وأخرج الزكاة الواجبة في أمواله، والذين يلتزمون الوفاء بعهدهم إذا عاهدوا -الرب أو العبد- والذين يصبرون -ولذلك مدح خاص- على المصائب في الأموال والأبدان وحين الجهاد، هؤلاء الذين صدقوا -بعمل صدق إيمانهم- وهؤلاء هم المتقون الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه. ١٧٧
يا أيها الذين آمنوا فرض عليكم القصاص في القتلى -فمع اعتبار المماثلة والتساوي عاقبوا القاتل عمدا بمثل جنايته- الحر بالحر -ويعزر الحر بالعبد لا يقتل- والعبد بالعبد -وبالحر- والأنثى بالأنثى -وبالذكر ويقتل الذكر بالأنثى- فمن عفي له من أخيه -القتيل قبل موته، أو أحد أوليائه- عن الدم فاتباع -ولي القتيل للقاتل لأداء الدية إلى أن يدفعها، للقتيل الأنثى نصف الذكر، يكون- بالمعروف -دون تشدد أو إحراج أو أذى، إذ سقط عنه القصاص- وأداء -الدية يكون- إليه بإحسان -دون نقص أو مماطلة أو تسويف- ذلك -التخيير بين القصاص والعفو، بدية أو بدون- تخفيف من ربكم، ورحمة -بكم- فمن اعتدى بعد ذلك -العفو، كمن عفا عن القاتل أو أخذ الدية ثم قتله- فله عذاب أليم: يقتل به. ١٧٨
فائدة! من اعتبار المماثلة والتساوي عدم قتل مسلم بكافر -ولو كان مستأمنا أو معاهدا أو ذميا- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿ ولا يُقتل مسلم بكافر ﴾ [البخاري ١١١ * أبو داود ٤٥٣٠ * الترمذي ١٤١٢ * النسائي ٤٧٤٤ * ابن ماجة ٢٦٥٨ * أحمد ٥٩٩].

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُم ليسوا سَوَاءً؟ ... أَيَقتُلُ مسلِمًا بِقَذًى خُيُورُ؟

ولكم في القصاص حياة يا أهل العقول الرزينة -تحفظ به الحياة وتحقن الدماء، فيرتدع من يهم بالقتل إذا علم أنه مقتول إن أقدم، وتشفى صدور أولياء القتيل فلا يتجاوزوا فيؤذوا أقارب القاتل، ولا يتخاصم الناس- رجاء أن تتقوا الله -فالحكم بشرعه وقاية من عقابه- بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. ١٧٩
فرض عليكم إذا أشرف أحدكم على الموت -ما دام عقله ثابتا- إن كان سيترك مالا الوصية للوالدين والأقارب بالمعروف -بثلث ماله والأفضل أن يكون بأقل، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ﴿ أفأوصي بالثلث؟ قال: الثلث، والثلث كثير ﴾ [البخاري ١٢٩٥ * مسلم ١٦٢٨ * أبو داود ٢٨٦٤ * الترمذي ٢١١٦ * النسائي ٣٦٢٦ * ابن ماجة ٢٧٠٨ * أحمد ١٤٤٠]- حقا على المتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه: أوجبه الله، وذلك قبل نزول آيات المواريث. ١٨٠
فمن بدل الوصية -أو غير فيها- بعدما سمعها -فعلمها- فإنما إثم ذلك على الذين يبدلونها -لا على الموصي- إن الله سميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ١٨١

فمن علم من الموصي مجاوزة للحق -غير عامد، كالإيصاء بأكثر من ثلث ماله جهلا- أو جورا وميلا يأثم عليه -كتعمد الإيصاء بمحرم- فأصلح -ما قد يقع بين الورثة والموصى لهم من خلاف بعد موت الموصي، أو ناصحا إياه قبل موته بما هو أفضل مما أوصى به- فلا إثم عليه -فهو ليس مبدلا للوصية ليأثم، بل مصلح مأجور بإذن الله- إن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. **١٨٢**

يا أيها الذين آمنوا فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم -من أمم- رجاء أن تتقوا الله -فالصيام وقاية من الآثام في الدنيا ومن النار في الآخرة- بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. **١٨٣**

فائدة! ثواب الصوم عظيم جدا، ليس يعلمه إلا الله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به ﴾ [مسلم **١١٥١** ★ الترمذي **٧٦٤** ★ النسائي **٢٢١٥** ★ ابن ماجة **١٦٣٨** ★ أحمد **٧٦٠٧**].

ومَنْ يَصُمِ احتِسابًا للغفورِ ... يُجَنِّبهُ اللَّظى ولهُ السُّرورُ

فترة وجيزة جدا -تصومونها- فمن كان منكم مريضا -ويشق عليه الصيام- أو مسافرا فليقض عدد الأيام التي أفطرها بعد زوال المرض أو انقضاء السفر، وعلى الذين يطيقون الصيام -وأفطروا: كان ذلك مباحا ثم نسخ- فدية -عن كل يوم أفطروه- إطعام مسكين، فمن تطوع خيرا -كمن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم أفطره، أو صام وأطعم- فهو خير له وأفضل، وأن تصوموا خير لكم وأفضل -من الإفطار والإطعام- إن كنتم تعلمون ما في الصيام من وقاية من الآثام في الدنيا ومن النار في الآخرة. **١٨٤**

شهر رمضان -صوموه- الذي بدأ فيه إنزال القرآن -على النبي ﷺ- هداية للناس من الضلال، وإظهار للهداية والحق والخير، وتفريق بينهم وبين الضلال والباطل والشر، فمن حضر منكم شهر رمضان -في بلده صحيحا غير مريض- فليصمه -وجوبا، لا يفطر ويطعم، إلا أن يكون كبيرا لا يطيق الصيام- ومن كان مريضا -ويشق عليه الصيام- أو مسافرا فليقض عدد الأيام التي أفطرها بعد زوال المرض -أو يطعم إن يئس من زواله- أو انقضاء السفر، يريد الله بكم السعة والفرج ولا يريد بكم الضيق والشدة -فييسر لكم طرقا موصلة إلى رضاه- ولتكملوا عدد أيام الشهر -بقضاء ما أفطرتم بعد زوال سبب الإفطار شرع لكم القضاء- ولتكبروا الله -ليلة الفطر إلى صلاة العيد، بقول: "الله أكبر"- على ما وفقكم وأرشدكم إليه من شرائع وشعائر الدين، ورجاء أن تشكروه أن وفقكم للصيام وأعانكم على إكمال عدته. **١٨٥**

وإذا سألك أيها النبي الكريم عباد الله عنه فإنه -بأحوالهم عالم- قريب، يجيب دعوة الداع -غير حرام الكسب كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذي بالحرام! فأنَّى يستجاب لذلك؟! ﴾ [مسلم **١٠١٥** ★ الترمذي **٢٩٨٩** ★ أحمد **٨٣٤٨**]- إذا دعاه -بقلب حاضر وبما يجوز، دون وسيط ودون اعتداء في الدعاء- فليستجيبوا لأوامره وليؤمنوا به، رجاء أن يصيبوا الرشد. **١٨٦**

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ
عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ
مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى
ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا
فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾
شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ
ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ
فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ
لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ
تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ
بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ
ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ
عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٨٧ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ
أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ
لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨
۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ
وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ
مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٨٩ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ
يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠

أحل لكم -أيها المؤمنون- في -أي وقت من- ليالي الصيام جماع نسائكم، هن ستر وإعفاف لكم، وأنتم ستر وإعفاف لهن، أظهر الله علمه بأنكم كنتم تخونون أنفسكم -بفعل ما نهيتم عنه من جماع أو أكل وشرب بعد صلاة العشاء أو بعد نوم بعض الليل- فتاب عليكم -فنسخ ذلك- وعفا عنكم -لم يعاقبكم بما سلف- فالآن جامعوهن والتمسوا ما كتب الله لكم -وقدر من ذرية- وكلوا واشربوا -مباح في ليالي الصيام- حتى يتبين لكم بياض الفجر منفصلا عن سواد الليل، ثم أدوا الصيام تاما -إذا طلع الفجر، ممسكين عن المفطرات- إلى غروب الشمس، ولا تجامعوهن وأنتم مقيمون -معتكفون- في المساجد، تلك -الأحكام- حدود الله بين الحلال والحرام فلا تقربوها -لئلا تصيبوا حراما- مثل ذلك البيان الجلي يبين الله أحكامه للناس أتم تبيين، رجاء أن يتقوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. **١٨٧**

ولا يأخذ بعضكم أموال بعض بغير حق ولا سند شرعي -فيؤخذ ما ورد دليل على جواز أخذه، كالزكاة وقضاء الدين والنفقة الواجبة والكفارات والتبرع عن طيب خاطر ونحو ذلك، أما أكل أموال المسلمين بغير دليل كما في حالات السرقة وقطع الطريق والقمار والخيانة والخداع والرشوة والربا والغش والغصب وفرض الغرامات والجمارك والضرائب والإتاوات والمكوس وغير ذلك مما ينتهب أو يستقطع من أموالهم بغير رضاهم حرام فوق حرام كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه ﴿ فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا فليبلغ الشاهد الغائب ﴾ [البخاري ٦٧ * مسلم ١٦٧٩ * أحمد ٢٠٣٨٧]- وتخاصموا بها إلى الحكام -فالمحاكم تحكم بالظاهر- لتأكلوا جزءا من أموال الناس بالإثم -فتأخذوها ظلما- وأنتم تعلمون أنها شرعا ليست من حقكم: أتقدمون على ذلك مع علمكم بتحريمه؟ انتظروا عقابكم! **١٨٨**

فائدة! حكم الحاكم أو القاضي لا يحل حراما ولا يحرم حلالا، فمن حكم له بشيء ليس من حقه بسبب شهادة زور أو رشوة أو قانون وضعي يخالف الشريعة أو غير ذلك فقد حكم له بحرام.

وأحكامُ المَحاكِمِ لا تُحِلُّ ... حرامًا أو تُحَرِّمُ، فاستَشيروا

يسألونك أيها النبي الكريم عن الأهلة -تكوينها وأحوال القمر في السماء- أجبهم بأنها مواقيت للناس -ليعرفوا بها أوقات ما يحتاج منهم حساب التواريخ أو المدد الزمنية، كالعدة والحمل والإجارات وأداء الديات والديون والصيام والزكاة- والحج، وليس البر بأن تدخلوا البيوت وتخرجوا منها من ظهورها -كما كان بعضكم يفعل في الجاهلية إذا أحرم بحج أو عمرة، إذ لا خير في ذلك- ولكن البر -والخير في- من اتقى -ليس من يبتدع ويحدث في دين الله ما ليس فيه- وادخلوا البيوت واخرجوا منها من أبوابها، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، رجاء أن تفلحوا فيكون مصيركم الجنة. **١٨٩**

وقاتلوا -أيها المؤمنون- في سبيل الله نصرة لدينه الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا -على من ليس يناصر من يقاتلكم بمال أو رأي أو جهد، من شيوخ ونساء وصبيان ورهبان ونحوهم، ولا على نبات أو حيوان لغير مصلحة، ولا تمثلوا بالقتلى- إن الله لا يحب -بل يبغض- المعتدين المتجاوزين لحدوده. **١٩٠**

واقتلوهم حيث وجدتموهم وتمكنتم منهم -دفاعا كان أو هجوما- وأخرجوهم من حيث أخرجوكم -من الأرض، كما فعل النبي ﷺ بمن لم يسلم من أهل مكة- والفتنة -بالصد عن دين الله والسعي في رد المسلمين كفارا والشرك بالله- أشد من القتل، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يبادروكم بالقتال فيه، فإن قاتلوكم -في أي مكان- فاقتلوهم، مثل ذلك القتل يكون في الدنيا جزاء الكافرين. **١٩١**

فائدة! يجوز ارتكاب المفسدة الدنيا لدفع العليا، ويتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام.

لِدَفعِ المُفسِدِ الأعلى نُضحِّي ... وبالخاصِ ادفَعوا، وبِذا نُشيرُ

فإن انتهوا -عن الكفر وأسلموا- فإن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. **١٩٢**

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة -تردكم عن دين الله وتصد غيركم- ويظهر دين الله على دينهم الكفري، فإن انتهوا -عن الكفر وأسلموا- فلا تعتدوا إلا على الظالمين لأنفسهم بالإصرار على الكفر. **١٩٣**

الشهر الحرام -ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب- بالشهر الحرام -فإن قاتلوكم في أي منهم فدفعا قاتلوهم- والحرمات قصاص -فإن هتكوا عليكم أي حرمة: شهر حرام أو البلد الحرام أو الإحرام فمنهم اقتصوا- فمن اعتدى عليكم -في بدن أو مال- فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم -ولا تتجاوزوا حد المماثلة- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله مع المتقين بالعون والتأييد. **١٩٤**

فائدة! لا يجوز تجاوز الحدود في رد الاعتداء كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: خذي ما يكفيك وولدك، بالمعروف. ﴾ [البخاري ٥٣٦٤ * مسلم ١٧١٤ * أبو داود ٣٥٣٢ * النسائي ٥٤٢٠ * ابن ماجة ٢٢٩٣ * أحمد ٢٥٧١٣].

ولنْ نَّتجاوزَ الحدَّ امتِثالًا ... لأمرِ اللهِ، بَلْ يأبى الضَّميرُ!

وأنفقوا في سبيل الله نصرة لدينه -مالا ووقتا وجهدا، في الجهاد ووجوه البر، مخلصي النية عن طيب خاطر- ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة -فالبخل على الجهاد يضعفكم فيتسلط العدو- وأحسنوا -الظن بالله أنه سيخلف عليكم- إن الله يحب المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. **١٩٥**

وأدوا الحج والعمرة تامَّين على أتم وجه -مخلصين النية- لله، فإن حبستم -عن الإتمام، بعدو أو مرض أو غيرهما- فما تيسر من الهدي -من إبل أو بقر أو غنم أهدوه للحرم، وتحللوا من الإحرام- ولا تحلقوا رؤوسكم -ولا تأخذوا من الشعر، وإن لم تمنعوا- حتى يبلغ الهدي موضع ذبحه -في الحرم، أو حيث حبستم- فمن كان منكم مريضا رأسه أو به أذى -من قمل أو جراح أو غيرهما، فحلق- فليفد بصيام -ثلاثة أيام- أو صدقة -إطعام ستة مساكين- أو ذبح -شاة- فإذا أمنتم فمن اعتمر في أشهر الحج ثم أحل ثم أحرم من عامه بحج فما تيسر من الهدي -يهده- فمن لم يجد -هديا أو ثمنه- فليصم ثلاثة أيام أثناء الحج وسبعة إذا رجعوا: تلك عشرة أيام كاملة، ذلك -الحكم- لمن لم يكن من أهل الحرم المكي، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن عصاه. **١٩٦**

وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ
أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ
فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ
ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ
بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ
عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ
ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ
وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ
فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ
ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ
مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ
فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ
وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي
ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا
رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ
خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ
وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ
وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ
رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾
وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً
وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

الحج أشهر معلومات -معينات: بداية شوال إلى فجر العاشر من ذي الحجة- فمن أحرم فيهن بالحج فقد حرم عليه الجماع ومقدماته، والخروج عن الطاعة -يتأكد في حقه حرمته- والجدال -المؤدي إلى غضب أو نزاع وخصومة- أثناء الحج، وما تفعلوا من خير -قليلا كان أو كثيرا- يعلمه الله -وسيجازيكم به- وتزودوا -بأخذ ما يلزم من طعام وشراب وغير ذلك مما يعينكم على السفر وأداء الحج والاستغناء عن سؤال الناس، فالحج بلا زاد ليس توكلا على الله، بل هو توكل على الناس كما جاء على لسان عبد الله بن عباس ﭭ ﴿ كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿ وتزوَّدوا فإنَّ خير الزاد التقوى ﴾ ﴾ [البخاري **١٥٢٣** ★ أبو داود **١٧٣٠**]- فإن خير الزاد وأفضله التقوى -ومن جملتها ما تستغنون به عن سؤال الناس أو عن الاستيلاء على ما معهم- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يا أهل العقول الرزينة. **١٩٧**

ليس عليكم لوم ولا إثم أن تلتمسوا فضلا من ربكم -رزقا بالتجارة أو بغيرها أثناء الحج إذا لم يشغلكم ذلك عن أي من واجباتكم الشرعية- فإذا أفضتم من عرفات -منصرفين منه بعد وقوفكم به يوم التاسع من ذي الحجة- فاذكروا الله عند المشعر الحرام -بالمزدلفة ليلة النحر، بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتلبية والدعاء- واذكروه -سبحانه، ذكرا طيبا حسنا- كما وفقكم وأرشدكم إلى شرائع وشعائر الدين، وإن كنتم من قبل -هدايته لكم، بغفلتكم عن شرعه وشعائره، عن الحق- لمن الضالين. **١٩٨**

ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس -مندفعين من المزدلفة كما فعل من اقتدوا بإبراهيم ﷺ، لاستكمال المناسك برمي الجمار وذبح الهدي والطواف والسعي والمبيت بمنى- واطلبوا المغفرة من الله -على ما قد يقع منكم من خلل أو تقصير- إن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمستغفرين. **١٩٩**

فإذا قضيتم مناسككم -ففرغتم من أعمال الحج- فاذكروا الله -كثيرا: عظموه وأثنوا عليه، ذاكرين ما تفضل عليكم به، إذ ووفقكم لأداء هذه العبادة العظيمة- كما كنتم تذكرون مفاخر أسلافكم -بعد الحج- أو -مع قرب مغادرتكم- أشد ذكرا -من ذكركم إياهم- فمن الناس من -هو كافر منكر للبعث أو غافل لا يهتم إلا بدنياه- يسأل رب العباد أن يعطيه في الدنيا، وليس له في الآخرة أي حظ. **٢٠٠**

ومنهم من -هو مؤمن غير غافل ولا مفتون بدنيا- يسأل رب العباد أن يعطيه في الدنيا رزقا حسنا -ولما يحب ويرضى يوفقه- وفي الآخرة نعيما دائما حسنا، ويقيه عذاب النار. **٢٠١**

هؤلاء -الداعون بخيري الدنيا والآخرة- لهم نصيب مما كسبوا -من عمل صالح ومن جملته الدعاء، يعطيهم الله من الأجر والفضل بحسبه في الدنيا والآخرة- والله سريع الحساب أحصى عملهم. **٢٠٢**

فائدة! الله سريع في حساب الخلائق كما قال تعالى ﴿ ما خلْقكم ولا بعْثكم إلا كنفس واحدة إنَّ الله سميع بصير. ﴾ [لقمان **٢٨**] لكمال قدرته سبحانه وإحاطة علمه بهم، وحسابه لعباده يوم القيامة سريع مجيئه، فكل آت قريب.

قريبٌ كُلُّ آتٍ إنَّ ربِّي ... سريعٌ في الحِسابِ، هوَ القديرُ

واذكروا الله -بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير- في أيام معدودات -التشريق الثلاثة التي تلي عشر ذي الحجة- فمن تعجل -وخرج من منى في ثاني أيام التشريق بعد إتمام رمي الجمار- فلا إثم عليه، ومن تأخر -إلى ثالثها- فلا إثم عليه -بل لعله قد أتى بالأكمل، ذلك التخيير ثابت- لمن -في حجه- اتقى، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أنكم إليه تصيرون ليجازيكم بأعمالكم. **٢٠٣**

ومن الناس من -هو منافق- يعجبك أيها النبي الكريم ما يتفوه به في الحياة الدنيا، ويزعم أن الله شاهد على ما في قلبه -من إيمان ومحبة لدينه- وهو -في الواقع- أشد الخصوم خصومة لك ولأتباعك. **٢٠٤**

فائدة! من نسب إلى الله العلم بشيء لم يقع -كأن يقول كاذبا: "يعلم الله" ونحو ذلك- فقد ضل.

أَيَنسِبُ مسلِمٌ للهِ عِلمًا ... بشَيءٍ لمْ يَقَعْ؟ ضَلَّ البَعيرُ!

وإذا تنحى سعى في الأرض -بالكفر واقتراف الآثام والتآمر، ناشرا للظلم وعاملا على صد عباد الله عن دينه الحق- ليفسد فيها ويهلك الأموال والنساء والذراري، والله لا يحب -بل يبغض- الفساد. **٢٠٥**

وإذا نصحه ناصح أن اتق الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه حملته الأنفة والكبر على التمادي في الإثم -ممتنعا عن الإيمان والرجوع إلى الحق، بل قد يزعم أن أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر "اعتداء على حرية الآخر"!- فكافيته جهنم -يستقر في النار، لا يستحق غيرها- ولبئس الفراش وما مهد لذاته. **٢٠٦**

ومن الناس من -هو مؤمن موفق- يبيع نفسه -فيبذلها- التماسا لمرضاة الله، والله شديد الرأفة بعباده: اشترى من المجاهدين نصرة لدينه أنفسهم وأموالهم بأعلى ثمن كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة يُقاتِلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون ﴾ [التوبة ١١١]. **٢٠٧**

يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في -خصال- السلم كافة -فلا تتركوا شيئا من الإسلام وقد رضيه الله لكم، ولا سيما ما هو من مقتضيات التوحيد، كالكفر بالطاغوت- ولا تتبعوا طرق ومسالك الشيطان -التي يزينها لكم ويستدرجكم بها- إنه لكم عدو ظاهر العداوة لا يريد إلا الوصول بكم إلى عذاب الله. **٢٠٨**

فائدة! على المسلم ألا يترك من دين الله شيئا، فلسنا كأهل الكتاب الذين لا يأخذون من دينهم إلا ما يوافق أهواءهم، فهؤلاء جزاؤهم كما قال تعالى ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُرَدُّون إلى أشد العذاب ﴾ [البقرة ٨٥].

ومَنْ يَترُكْ مِنَ الإسلامِ شَيئًا ... فَأُسوَتُهُ اليَهودُ، فلا تَجوروا

فإن زللتم -عن الحق وتنحيتم عن طريق الاستقامة- من بعد ما جاءتكم الأدلة الجلية البينة -فلا تلوموا إلا أنفسكم- فاعلموا أن الله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٢٠٩**

هل ينتظر هؤلاء الذين ضلوا عن طريق الاستقامة إلا أن يأتيهم الله -يوم القيامة، إتيانا يليق به سبحانه- في ما يظلل من السحاب الساتر -ليقضي بينهم، فلا يقبل الله منهم حينئذ توبة ولا يشفع فيهم أحد، ولا يرجعهم إلى الدنيا ليتبعوا طريق الاستقامة الذي جحدوه- والملائكة -محيطة بهم من كل جانب، تنفذ أمر الله فيهم- وانتهى الأمر إلى هلاكهم الأبدي؟ وإلى الله ترجع أمور عباده ليقضي فيها. **٢١٠**

* وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى
يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ
ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾
وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ
وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ
أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ
ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ
مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾
هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١ زُيِّنَ
لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢
كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ
فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ
مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ
إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ
وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ
ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ
مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ
وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥

سل أيها النبي الكريم -موبخا- بني إسرائيل كم أعطاهم سبحانه من آية بينة ودليل جلي على صدق أنبيائه؟ ومن يبدل نعم الله -ومن جملتها نعمة بعث أنبياء لهداية عباده، فيكفر ما أنعم الله به عليه لا يشكره- فإن الله شديد العقاب لمن لا يشكر نعمه ولا يقوم بحقها. **٢١١**

زين للذين كفروا الحياة الدنيا فاستحسنوا خداع الشيطان وهوى النفوس إذ جبلت على حب شهواتها، ويسخرون من الذين آمنوا -مستهزئين بهم لعدم إقبالهم عليها ولفقرهم، ظانين أنهم أكرم عند الله منهم كما قال تعالى ﴿ وكذلك فتنَّا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا ﴾ [الأنعام ٥٣]- والذين اتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه -أغنياء كانوا في دنياهم أو فقراء- فوق الذين كفروا يوم القيامة -فالمؤمن العامل له أعلى مراتب كما قال تعالى ﴿ ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العُلى. ﴾ [طه ٧٥]- والله يعطي من يشاء كما يشاء بغير عد ولا حساب. **٢١٢**

فائدة! الله يعطي من يشاء في الدنيا، مؤمنا كان أو كافرا، وتوسعته على أحد فيها لا تعني رضاه عنه، بل قد تكون اختبارا لخلقه كما قال تعالى ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ﴾ [الفرقان ٢٠].

ويُعطي كافِرًا والمؤمنينَ ... أيَختبِرُ الوَرى ربٌّ بصيرُ؟

كان الناس أمة واحدة -على دين واحد، فاختلفوا بين مؤمن وكافر كما قال تعالى ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ﴾ [يونس ١٩]- فبعث الله الأنبياء، مبشرين -من آمن وأطاع بالمعد لهم من نعيم- ومنذرين -من كفر أو عصى بما هيئ لهم من عذاب إن لم يتوبوا- وأنزل معهم الكتب بالحق -مشتملة على الحق لهداية الخلق، فمن لا يحكم بها يخطئ الحق- ليحكم -كل نبي وأتباعه- بين الناس -بما أنزل الله- فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه -ﷺ وفيما جاء به- إلا أهل الكتاب من يهود ونصارى -وغيرهم- من بعد ما جاءتهم الأدلة الجلية البينة -فتأكدوا أنه ﷺ هو المكتوب عندهم، وأن يجب اتباع القرآن كما قال تعالى ﴿ الذين يَتَّبعون الرسول النبي الأمِّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الأعراف ١٥٧]- ظلما وحسدا بينهم وحرصا على دنيا فانية، فوفق الله الذين آمنوا -أهل القرآن والسنة- وأرشدهم لما اختلف فيه غيرهم من الحق -فاتبعوا الدين الحق: كما أنزل- بإذنه ومشيئته، والله يوفق ويرشد من يشاء إلى طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إليه وجنته. **٢١٣**

أم ظننتم -أيها المؤمنون- أن تدخلوا الجنة دون أن يأتيكم مثل -الذي أتى- الذين مضوا من قبلكم؟ نالتهم -اختبارا من الله- المصائب في الأموال والأبدان، واضطربوا مما أصابهم، حتى -بلغ بهم ابتلاء الله أن- يتساءل الرسول -كل رسول- والذين آمنوا معه -استبطاء للنصر، مع يقينهم به- متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله -على أعدائه في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة، من المؤمنين- قريب. **٢١٤**

يسألونك أيها النبي الكريم ماذا -وأين ولمن- ينفقون؟ أجبهم بأن ما أنفقوا من مال فللوالدين والأقارب -الأقرب فالأقرب، بحسب الحاجة- واليتامى والمساكين والأغراب المسافرين المنقطعة نفقتهم، وما يفعلوا من خير -قليلا كان أو كثيرا- فإن الله به عليم، وسيجازيهم على حسب نياتهم ونفعه. **٢١٥**

فرض عليكم -أيها المسلمون- القتال -والجهاد عامة، نصرة لدين الله- وهو -لما فيه من مشقة ومظنة الإصابة والأسر وتلف النفوس والأموال وخوف وغير ذلك- مكروه لنفوسكم، ولعلكم تكرهون شيئا وهو خير لكم وأفضل، ولعلكم تحبون شيئا وهو شر لكم وأسوأ -فالأعداء لن يكفوا عنكم من تلقاء أنفسهم كما يصور لكم عملاؤهم، وإن لم تبادروهم بادروكم وتسلطوا عليكم وأهلكوكم أو ردوكم عن دينكم، لكن إن جاهدتم دفعا وطلبا فإما رفع كلمة ربكم والثواب العظيم والنصر والفتح والغنيمة، وإما الشهادة والجنة والإثخان فيهم- والله يعلم -كل أمر- وأنتم لا تعلمون ما فيه صالحكم كما يعلمه الله. **٢١٦**

يسألك المشركون أيها النبي الكريم عن الأشهر الحرم -ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب- قتال فيها: مستنكرين، أيجوز ذلك؟ أجبهم بأن قتال فيها -أمر- كبير -قدره- وصد عن طريق الله -والإيمان بنبيه- وكفر به والمسجد الحرام -صد عنه- وإخراج أهله -النبي ﷺ والمؤمنين- منه -ومن مكة- أكبر -إثما من القتال فيها- عند الله، والفتنة -بالصد عن دين الله والسعي في رد المسلمين إلى الشرك به- أكبر من القتل -ولو في شهر حرام، إذ قتلت سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه عمرو بن الحضرمي، وزعم المشركون أنه كان في أول ليلة من رجب- ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا -فاحذروا، فالاضطرار لا يبيح الكفر!- ومن يرتدد منكم عن دينه -فيصير فيه مترددا- فيمت وهو كافر فهؤلاء فسدت أعمالهم في الدنيا -الصالح منها، كالصدقة ونحوها، ولا يبقى لهم حكم المسلمين- والآخرة -لا يثابون عليها لكفرهم- وهؤلاء ماكثون في النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها. **٢١٧**

فائدة! لن يكف الكفار عن حرب المسلمين ولا عن محاولات ردهم عن دينهم، فهلا صدقنا قرآننا؟!

ولمْ نَطلبْ رِضا الكفَّارِ أصلًا ... فإنَّهُمُ العَدُوُّ المُستطيرُ

إن الذين آمنوا والذين هاجروا -إلى حيث لا يفتنون في دينهم شأنهم عظيم: ولم يكتفوا، بل- وجاهدوا في سبيل الله نصرة لدينه هؤلاء يرجون رحمة الله، والله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بهم. **٢١٨**

فائدة! الرجاء والطمع في رحمة الله ومغفرته لا يكون إلا بعد الأخذ بأسباب الفوز والفلاح، أما الرجاء مع الكسل والتواكل فهو بمثابة تمني الحصاد بلا زراعة.

رجاءٌ مِنْ كَسولٍ لمْ يُجاهِدْ؟ ... ويَرجو رحمةً؟ أبِهِ ضُمورُ؟!

يسألونك أيها النبي الكريم عن الخمر -كل ما يخالط العقل ويغطي عليه- والقمار، أجبهم -تمهيدا لتحريمهما فيما بعد كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تُفلحون. ﴾ [المائدة ٩٠]- بأن فيهما إثم كبير -ومفاسد كثيرة، لما يسببان من ذهاب العقل والمال، ومن مخاصمة وعداوة وكراهية وتعطيل صلوات وغفلة عن ذكر الله- ومنافع للناس -كبعض المتعة واللذة والمكاسب المالية- وإثمهما -والمفاسد الناتجة عنهما- أكبر من نفعهما، ويسألونك ماذا -وكم- ينفقون؟ أجبهم بأن الزيادة -عن حوائجهم فلينفقوه: كان ذلك قبل فرض أنصبة الزكاة- مثل ذلك البيان الجلي يبين الله لكم الأحكام أتم تبيين، رجاء أن تتفكروا. **٢١٩**

كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ
شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ
لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ
ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ
أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ
يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن
يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ
حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ
هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ
ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ
قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ
مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ
خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ
ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾
وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ
خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ
أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ
بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾
وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي
ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ
مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾
نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ
لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ
وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾

في الدنيا -وزوالها فتزهدوا فيها- والآخرة -وإقبالها وبقائها فترغبوا فيها، تفكروا!- ويسألونك أيها النبي الكريم عن اليتامى، أجبهم بأن إصلاح -بحفظ وتنمية أموالهم دون أخذ أجرة- للمصلحين خير عند الله وأفضل -ولليتامى خير في أموالهم وأفضل- وإن يخالطوهم -بمعاشرتهم وضم شيء من أموالهم، مشاركة في تكاليف المعاش ونحو ذلك على وجه ليس يضر بهم- فإخوانهم -هم- والله يعلم المفسد -كالذي لا يهتم بمال اليتيم- من المصلح، ولو شاء الله لجعل أحكام التعامل معهم عناء وإثم عليكم -فاشكروه ولا تتجاوزوا- إن الله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٢٢٠**
ولا تنكحوا -أيها المسلمون، فلا تتزوجوا أبدا- المشركات حتى يؤمن، ولأمة -مملوكة- مؤمنة خير من مشركة -حرة- وأفضل ولو أعجبتكم -المشركة لحسب أو مال أو جمال- ولا تزوجوا -يا أولياء النكاح، فالولي كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ ﴿ لا نكاح إلا بولي. ﴾ [أبو داود ٢٠٨٥ * الترمذي ١١٠١ * ابن ماجة ١٨٨١ * أحمد ١٩٥١٨]- المشركين -المسلمات- حتى يؤمنوا، ولعبد -مملوك- مؤمن خير من مشرك -حر- وأفضل ولو أعجبكم -المشرك- هؤلاء -شر نساء ورجال- يدعون إلى -العمل بما يدخلكم- النار، والله يدعو إلى -أعمال توجب- الجنة والمغفرة بإذنه ومشيئته، ويبين أحكامه للناس أتم تبيين، رجاء أن يتذكروا ما أمر به وما نهى عنه، فلا يتجاوزوا الحدود. **٢٢١**
فائدة! أحل الله لرجال المسلمين نكاح الكتابيات الحرائر العفيفات كما قال تعالى ﴿ والمُحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ [المائدة ٥]، ولا يتزوج غير المسلم مسلمة بحال.
نكاحُ نسائكُم أهلَ الكتابِ ... أُحِلَّ لنا، وما لكُمُ النظيرُ
ويسألونك أيها النبي الكريم عن المحيض، أجبهم بأنه أذى فليعتزلوا النساء في المحيض، ولا يقربوهن حتى يطهرن -بانقطاع الدم، وما دون الجماع مباح- فإذا تطهرن -فاغتسلن، فإذا أرادوا- فليجامعوهن من حيث أمرهم الله، إن الله يحب التوابين من الذنوب، ويحب المتطهرين من الجنابة والأقذار. **٢٢٢**
نساؤكم يلدن لكم كما تخرج الأرض الزرع، فجامعوهن في -القبل- موضع الولادة كيف شئتم -من أي جهة وبأي وضع كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس ﷺ ﴿ أقبل وأدبر، واتق الدبر والحيضة ﴾ [الترمذي ٢٩٨٠ * أحمد ٢٧٠٣]- وتقربوا إلى الله -بطاعته، ومن جملتها الجماع بغرض إعفاف الرجل والمرأة ورجاء الذرية الصالحة- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أنكم ملاقوه -يوم القيامة، ليجازيكم بأعمالكم- وبشر أيها النبي الكريم المؤمنين بما يسرهم. **٢٢٣**
ولا تجعلوا الله هدفا لأيمانكم -فتستهدفوا الحلف به، لتجعلوه حجة في ترك- أن تسعوا بأعمال البر والتقوى والإصلاح بين الناس -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ ﴿ وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ثم أرى خيرا منها إلا كفرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير ﴾ [البخاري ٣١٣٣ * مسلم ١٦٤٩ * أبو داود ٣٢٧٦ * النسائي ٣٧٨٠ * ابن ماجة ٢١٠٧ * أحمد ١٩٥٥٨]- والله سميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. **٢٢٤**

لا يؤاخذكم الله أو يعاتبكم على ما يسبق به اللسان من أيمان لاغية من غير عقد ولا قصد كما جاء على لسان أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ أنزلت هذه الآية: ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ في قول الرجل: لا والله، وبلى والله. ﴾ [البخاري ٤٦١٣]، ولكن يؤاخذكم ويحاسبكم بسبب ما كسبت قلوبكم -فتعمدتم وقصدتم- والله واسع ودائم المغفرة، حليم لا يعاجل بعقاب. **٢٢٥**

للذين يؤلون من نسائهم -بأن يحلفوا على ترك جماع زوجاتهم أكثر من أربعة أشهر- انتظار وارتقاب -ما لا يزيد عن- أربعة أشهر، فإن رجعوا -إلى الجماع خلال مدة الانتظار أو انقضت المدة فخيروهم فجامعوهن- فإن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين: لا يلزمهم إلا كفارة اليمين. **٢٢٦**

وإن عزموا الطلاق -إن انقضت الأربعة أشهر واستمروا على ترك الجماع- فإن الله سميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها: فليطلقوهن ولا يمسكوهن بغرض الضرر. **٢٢٧**

والمطلقات -الرجعيات، البالغات المدخول بهن غير الحوامل اللاتي لا يزلن يحضن- ينتظرن ويرتقبن بأنفسهن ثلاثة أوقات -أطهار أو حِيَض وللإماء حيضتين، بلا نكاح- ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن -من حيض أو حمل، فكتمان الحمل يلحقه بغير أبيه، وكتمان الحيض يذهب بحق الزوج في الارتجاع إن قالت حضت ولم يكن كذلك ويوجب عليه نفقة زائدة وقد يراجعها بعد انقضاء عدتها فيكون ذلك سفاحا إن قالت لم تحض وقد حاضت- إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر، وأزواجهن -المطلِّقون- أحق بمراجعتهن في ذلك -الوقت- وأولى، إن أرادوا إصلاحا -للأحوال لا إضرار- ولهن -من الحقوق على أزواجهن- مثل الذي عليهن بحسب ما تعارف عليه الناس مما لا يخالف الشرع، وللرجال عليهن درجة -بما ساقوا من مهور وأنفقوا من أموال، فلهم القيام بشؤونهن، ولهم أمر الطلاق، وعليهن طاعتهم- والله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٢٢٨**

الطلاق مرتان -فله أن يطلق ثم يراجع، ثم يطلق ثم يراجع- فإمساك -بحسن معاشرة- بحسب ما هو متعارف عليه مما لا يخالف الشرع أو تسريح بإحسان -بإيقاع الطلقة الثالثة، دون إلحاق ضرر بها- ولا يحل لكم -أيها الأزواج- أن تأخذوا -من المهور أو من غيرها- مما أعطيتموهن شيئا، إلا أن يخافا ألا يقوما بما حد الله من حقوق زوجية -كأن تبغضه لخلقه أو لأخلاقه أو لنقص دينه- فإن خفتم -يا من تتوسطون- ألا يقوما بما حد الله من حقوق زوجية فلا لوم عليهما ولا إثم فيما افتدت به -نفسها من أموال لتخلعه- تلك -الأحكام- حدود الله بين الحلال والحرام فلا تتجاوزوها، ومن يتجاوز حدود الله فهؤلاء هم الظالمون لأنفسهم بتعريضها لسخط الله ولغيرهم بجحد حقوقهم وأكلها. **٢٢٩**

فإن طلقها -الثالثة- فلا تحل له -فلا يتزوجها- من بعد -آخر طلقة- حتى تتزوج -وتجامع- زوجا غيره -لرغبة في زواجه ليس حيلة للتحليل- فإن طلقها -أو توفى الثاني- فلا لوم عليهما -هي والأول- ولا إثم أن يتراجعا إن ظنا -بل أيقنا، راجين- أن يقوما بما حد الله من حقوق زوجية -فليتزوجا بعقد ومهر جديدين- وتلك -الأحكام- حدود الله بين الحلال والحرام يبينها ليعلمها أناس فينتفعوا وينفعوا. **٢٣٠**

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ
قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ
أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنۡ عَزَمُواْ
ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ
ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ
إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي
ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ
فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ
مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ
فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ
بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا
غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن
يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ
وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ
يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا
طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ
أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ
أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ
أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ
ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢٣٣﴾

وإذا طلقتم النساء فقاربن انقضاء عدتهن فراجعوهن -بحسن معاشرة- بحسب ما هو متعارف عليه مما لا يخالف الشرع أو سرحوهن -بتركهن إلى أن تنقضي عدتهن- بحسب ما هو متعارف عليه مما لا يخالف الشرع، ولا تراجعوهن إضرارا -من غير قصد لاستمرار الزوجية، كما كان يفعل أهل الجاهلية- لتعتدوا -فتطول عدتهن- ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لسخط الله، ولا تتجرأوا على آيات الله -المنزلة، وأحكامه- وتتخذوها محل استهزاء -فاللفظ إن قصده يتبعه المعنى، فالذي يتلفظ بلفظ الطلاق قاصدا اللفظ ينفذ طلاقه، وإن كان مستهزئا لا يريد في الواقع طلاقا- واذكروا نعم الله عليكم -وأعظم النعم الهداية للإسلام ولشرعه الحنيف- وما أنزل عليكم من القرآن والسنة يأمركم به محذرا، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله بكل شيء عليم، بالنيات وبالأفعال. **٢٣١**

وإذا طلقتم النساء -أقل من ثلاث، وللإماء طلقتين- فانقضت عدتهن فلا تمنعوهن -يا أولياء النكاح، فالولي كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ﴿ لا نكاح إلا بولي. ﴾ [أبو داود ٢٠٨٥ * الترمذي ١١٠١ * ابن ماجة ١٨٨١ * أحمد ١٩٥١٨]- من أن يتزوجن أزواجهن -بعقد ومهر جديدين- إذا تراضوا بينهم بحسب ما تعارف عليه الناس مما لا يخالف الشرع كما ورد عن النبي ﷺ من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه ﴿ زوجت أختا لي من رجل فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقتها، ثم جئت تخطبها! لا، والله لا تعود إليك أبدا! وكان رجلا لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله هذه الآية ﴿ فلا تعضلوهن ﴾ ﴾ [البخاري ٥١٣٠ * أبو داود ٢٠٨٧ * الترمذي ٢٩٨١]- ذلك -الحكم- يؤمر به تحذيرا من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر، ذلك -الحكم، والعمل به- أنزه لكم وأنفع وأطهر -لأعراضكم، ولنفوسكم من الريبة- والله يعلم -كل أمر- وأنتم لا تعلمون ما فيه صالحكم كما يعلمه الله. **٢٣٢**

والوالدات يرضعن أولادهن عامَين قمريَّين كاملَين، لمن أراد أن يتم -مدة- الرضاعة، وعلى -الأب- المولود له نفقة مطلقاته المرضعات وكسوتهن بحسب ما تعارف عليه الناس مما لا يخالف الشرع، لا تكلف نفس إلا قدر طاقتها: لا تضار والدة بولدها -بنزعه منها بعد أن قبلت بإرضاعه أو بمنعها النفقة أو الكسوة- ولا -أب- مولود له بولده -بإهمال الوالدة الرضيع أو بامتناعها عن الإرضاع بعد الاتفاق، أو بطلب زيادة نفقة أو كسوة بغير سبب معتبر- وعلى الوارث -وارث الرضيع، إذا عدم الأب ولم يكن للرضيع مال- مثل ذلك -الذي على أبيه من نفقة وكسوة- فإن أراد الطرفان فطاما -قبل العامَين- عن تراض منهما وتشاور -لسبب ما ارتأياه في مصلحة الرضيع- فلا لوم عليهما ولا إثم، وإن أردتم أن تأتوا بمراضع لأولادكم -غير والداتهم، على غير وجه المضارة لهن- فلا لوم عليكم ولا إثم، إذا سلمتم ما أعطيتم -للمراضع من أجرة، دون نقص أو مماطلة أو تسويف- بحسب ما تعارف عليه الناس مما لا يخالف الشرع، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. **٢٣٣**

والذين يتوفون منكم ويتركون زوجات -غير حوامل، فالحوامل انتهاء عدتهن أن يضعن حملهن كما قال تعالى ﴿ وأولات الأحمال أجَلَهن أن يضعن حملهن ﴾ [الطلاق ٤]- ينتظرن ويرتقبن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرة أيام -ونصف المدة للإماء، بلا نكاح ولا زينة- فإذا انقضت عدتهن فلا لوم عليكم ولا إثم -يا أولياء النكاح، فالولي كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ﴿ لا نكاح إلا بولي. ﴾ [أبو داود **٢٠٨٥** ★ الترمذي **١١٠١** ★ ابن ماجة **١٨٨١** ★ أحمد **١٩٥١٨**]- فيما فعلن في أنفسهن -من التعرض للخطاب- بحسب ما تعارف عليه الناس مما لا يخالف الشرع، والله بجميع أعمالكم خبير، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. **٢٣٤**

ولا لوم عليكم ولا إثم فيما عرضتم به -تلميحا دون تصريح- من -رغبة في- خطبة النساء -المعتدة من وفاة أو من طلاق بائن غير رجعي- أو أكننتم في أنفسكم -ساترين تلك الرغبة إلى انقضاء العدة- علم الله أنكم ستذكرونهن -مبدين رغبتكم فيهن ولن تصبروا، فأباح لكم التلميح دون التصريح خلال العدة- ولكن لا تواعدوهن سرا -فتأخذوا عليهن عهودا ألا يتزوجن غيركم، أو تكلموهن لذكر الجماع أو التحريض عليه ونحو ذلك- إلا أن تتكلموا كلاما معروفا -طيبا مما أباح الله لكم من التعريض، دون تصريح- ولا تعزموا عقد النكاح حتى تنقضي العدة، واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه -ولا تعزموا على عصيانه- واعلموا أن الله واسع ودائم المغفرة، حليم لا يعاجل بعقاب. **٢٣٥**

لا لوم عليكم ولا إثم إن طلقتم النساء ما لم تدخلوا بهن -في أي وقت شئتم، أما المدخول بها ففي طهر لم يجامعها فيه زوجها يكون طلاقها- أو توجبوا لهن مهرا محددا -فليس لهن إن اجتمع الأمران إلا المتعة- ومتعوهن -جبرا لكسر نفوسهن، ولا عدة لكم عليهن كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلَّقتموهن من قبل أن تَمَسُّوهن فما لكم عليهن من عِدَّة تَعتَدُّونها فمتِّعوهن وسرِّحوهن سراحا جميلا. ﴾ [الأحزاب ٤٩]- على واسع الرزق قدره وعلى ضيق الرزق قدره -فالغني إن طلق يعطي أكثر ممن هو دونه في الغنى، بإعطائهن- ما يتمتعن به بحسب ما تعارف عليه الناس مما لا يخالف الشرع، حقا على المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق: أوجبه الله. **٢٣٦**

وإن طلقتموهن من قبل أن تدخلوا بهن وقد أوجبتم لهن مهرا محددا فنصف ما أوجبتم -من المهر: الصداق المسمى، فحقهن نصفه- إلا أن تعفو المطلقات -الرشيدات غير المحجورات اللاتي تملكن التصرف في أموالهن عما لهن أو عن شيء منه- أو يعفو الذي بيده عقد النكاح -وإليه رفعه بالطلاق: الزوج المطلِّق، فيعطيها أكثر مما لها- وأن تعفوا -فتتسامحوا في الحقوق المالية، نساء ورجالا- أقرب للتقوى -وتجنب ما يسخط الله- ولا تنسوا الفضل بينكم -فتتركوا أيها المسلمون التسامح في الحقوق المالية، بل تفضلوا على بعضكم- إن الله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. **٢٣٧**

فائدة! معاملة المسلمين إما عدل وإنصاف أو فضل وإحسان.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ أهلَ الدِّينِ خَيرٌ؟ ... فلَمْ يُظلَمْ مُّعامِلُهُم، ظَفِيرُ

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ
وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى
ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ
فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ
أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ
وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ
قَٰنِتِينَ ٢٣٨ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ
فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ٢٣٩
وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا
وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ
خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ
مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٤٠ وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ
بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٤١ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٤٢ ۞ أَلَمۡ تَرَ
إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ
فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ
عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣
وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤ مَّن
ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا
كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥

حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى -لا تغفلوا عن وقتها كما ورد عن النبي ﷺ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿ أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق: حبسونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا. ﴾ [البخاري ٢٩٣١ * مسلم ٦٢٧ * أبو داود ٤٠٩ * الترمذي ٢٩٨٤ * النسائي ٤٧٣ * ابن ماجة ٦٨٤ * أحمد ٥٩١]- وقوموا لله قانتين: مطيعين خشوعا في الصلاة. **٢٣٨**

فائدة! يجوز الدعاء على الكفرة والظلمة الذين يشغلون المسلمين أو يصدونهم عن أداء عباداتهم.

ونَدعو الله لا تَجعَلْ عليها ... عَدُوًّا صَدَّنا ظُلمًا يَسيرُ

فإن خفتم -من كافر أو ظالم، أو غير ذلك من المخاوف، ومن جملتها أن تخشوا خروج وقت الصلاة ولا تملكون التوقف للإتيان بها تامة الأركان- فمشاة أو راكبين -وسائل التنقل صلوا- فإذا أمنتم -وزال عنكم خوفكم- فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون: من شرائع، فأدوا الصلاة تامة الأركان وأنتم مستقبلين القبلة كما قال تعالى ﴿ فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ﴾ [النساء ١٠٣]. **٢٣٩**

والذين يتوفون منكم ويتركون زوجات يوصوا -قبل الوفاة- لزوجاتهم بما يتمتعن به مدة عام قمري -من تاريخ الوفاة: نفقة وسكنى- غير إخراج -فلا يخرجهن فيه أحد- فإن خرجن -باختيارهن قبل انقضائه- فلا لوم عليكم -أيها الأولياء- ولا إثم فيما فعلن في أنفسهن -من التعرض للخطاب- مما تعارفتم عليه مما لا يخالف الشرع -ونسخ ذلك كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ﴿ والذين يُتوَفَّون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج ﴾ نسخ ذلك بآية الميراث مما فرض لهن من الربع والثمن، ونسخ أجل الحول أن جعل أجلها أربعة أشهر وعشرا. ﴾ [أبو داود ٢٢٩٨ * النسائي ٣٥٤٣]- والله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٢٤٠**

وللمطلقات -على مطلِّقيهن جبرا لكسر نفوسهن- ما يتمتعن به بحسب ما تعارف عليه الناس مما لا يخالف الشرع، حقا على المتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه: أوجبه الله، فأطيعوه. **٢٤١**

مثل ذلك البيان الجلي يبين الله لكم أحكامه أتم تبيين، رجاء أن تعقلوا وتعملوا بها فتفوزوا. **٢٤٢**

ألم ينته علمك -أيها المسلم- إلى خبر الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف -كثيرة- خوفا من الموت -بالطاعون: لا تفر منه ولا تذهب إليه، أو بغيره- فأمرهم الله أن يموتوا -فماتوا- ثم -بقدرته- أحياهم؟ إن الله لذو فضل واسع على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرونه على ما تفضل به عليهم. **٢٤٣**

وقاتلوا -أيها المؤمنون- في سبيل الله نصرة لدينه -فالفرار أو ترك الجهاد خشية الموت ليس ينفعكم- واعلموا أن الله سميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. **٢٤٤**

من ذا الذي ينفق نصرة لدين الله -فالمال ضروري للجهاد- بنفس طيبة ونية خالصة، فيعيده عليه كما قال تعالى ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبَّة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبَّة ﴾ [البقرة ٢٦١] أضعافا كثيرة؟ والله يمسك ويضيق -في الرزق والصحة وغير ذلك- ويوسع -كما يشاء على من يشاء- وإليه وحده ترجعون في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء. **٢٤٥**

ألم ينته علمك أيها النبي الكريم إلى خبر الرؤوس الأعيان من بني إسرائيل من بعد -وفاة- موسى حين سألوا نبي لهم -بعث إليهم- أن يبعث لهم ملكا -إن يفعل- يقاتلوا -تحت إمرته- في سبيل الله نصرة لدينه؟ سألهم ما يكون حالهم إن فرض عليهم القتال -وقد طلبوه، فتخاذلوا كما يتوقع- هل لن يقاتلوا؟ تساءلوا -مستنكرين- وأي شيء يمنعهم من أن يقاتلوا في سبيل الله نصرة لدينه، وقد جرى إخراجهم من ديارهم، وأبنائهم: تم أسرهم؟ فلما فرض عليهم القتال أعرضوا متنحين -جبنا وضعفا، إذ اختلفت قلوبهم وفترت عزائمهم- إلا قليلا منهم -عصمهم الله وثبتهم- والله عليم بالظالمين، وسيجازيهم. **٢٤٦**

فائدة! القائد الخبير لا يغتر بأقوال أتباعه حتى تصدق أفعالهم أقوالهم، وتمني لقاء العدو -لمن خاف ألا يثبت- منهي عنه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما ﴿ أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قال: اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم. ﴾ [البخاري **٢٩٦٦** * مسلم **١٧٤٢** * أبو داود **٢٦٣١** * أحمد **١٩١١٤**]، والثبات عند اللقاء واجب كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تُفلحون. ﴾ [الأنفال **٤٥**].

لِقاءُ عَدُوِّنا أمرٌ خطيرٌ ... تَمَنَّى ذلكَ الأَسَدُ الهَصورُ

وأخبرهم نبيهم أن الله قد بعث لهم طالوت ملكا، تساءلوا -معترضين على أحقيته في الملك، حيث أنه ليس من بيت ملك- كيف يكون له الملك عليهم، وهم أحق بالملك منه وأولى؟ ولم يعط سعة من المال: يستعين به على الملك، فيتبعوه لماله؟ أجابهم -عليه السلام- محتجا عليهم، رغم أن اختيار الله هو الحجة القاطعة التي يجب التسليم لها دون تعنت- بأن الله اصطفاه عليهم، وزاده قوة وكمالا في العلم والجسم، والله يعطي ملكه من يشاء -فالملك ملكه سبحانه، والخلق عبيده- والله واسع الفضل، عليم بالسرائر والنيات وبمن هم أولى بفضله. **٢٤٧**

فائدة! شؤون الإمارة والحكم يستعان عليها بقوة العقل والجسم، وهي أمانة لا يصلح لها ضعيف كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ﴿ قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها. ﴾ [مسلم **١٨٢٥** * أحمد **٢١٥١٣**]، فقوي الرأي سقيم البدن قد يستهان به فلا يطاع، وقوي البدن تافه الرأي -وما أكثرهم!- إن لم تضر سياساته الخرقاء فلن تفيد.

ولا نَرضى بحُكمِ الغَيرِ كُفءٍ ... ضِعافُ العقلِ فالجسمِ استَديروا

وأخبرهم نبيهم أن آية ملكه -وعلامة صدق ما أخبرهم عليه السلام به- أن يأتيهم التابوت -صندوق فقدوه زمنا طويلا كانوا يعظمونه- فيه سكون وطمأنينة من ربهم -فلا يجب إذا رأوه أن يختلفوا في شأن طالوت- وبقايا مما ترك آل موسى وآل هارون، تحمله الملائكة -آتين به، بأمر الله- إن في ذلك -المذكور من خوارق العادة- لآية دالة على كمال قدرة الخالق لهم، إن كانوا غير كاذبين في ادعاء الإيمان. **٢٤٨**

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم
بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ
فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ
قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ
رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا
عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ
وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ
بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا
عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

فلما خرج طالوت بالجنود -للقاء عدوهم، بعد أن استقر له الملك- وانفصلوا عن ديارهم أخبرهم أن الله مختبرهم بنهر، فمن شرب من مائه فليس من أصحابه وليس على طريقته، ومن لم يتناول ماءه فإنه من أصحابه وعلى طريقته، إلا من اغترف غرفة -واحدة- بيده -فشرب مما بكفه، فلا شيء عليه: من أطاع في ترك الماء علم أنه من أهل الطاعة، ومن عصى علم أنه أحرى بالعصيان حين يشتد القتال- فشربوا منه -الشرب المنهي عنه- إلا قليلا منهم -عصمهم الله وثبتهم، عددهم القليل هو كما جاء على لسان البراء بن عازب ﷺ ﴿ كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلاثمائة وبضعة عشر، بعدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوز معه إلا مؤمن. ﴾ [البخاري ٣٩٥٩ ★ الترمذي ١٥٩٨ ★ ابن ماجة ٢٨٢٨ ★ أحمد ١٨٥٥٥]- فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه -وأطاعوه- زعموا -أكثرهم- ألا قدرة لهم اليوم على قتال جالوت -أمير العمالقة- وجنوده، ذكرهم -أكثرهم إيمانا ويقينا- الذين يظنون -بل يوقنون- أنهم ملاقو الله -يوم القيامة، وأن الأمر كله بيده سبحانه- كم من -مرة- جماعة قليلة غلبت جماعة كثيرة -تفوقها عددا وعدة- بإذن الله ومشيئته، والله مع الصابرين بالعون والتأييد. **٢٤٩**

فائدة! النواة الصلبة محدودة العدد الأكثر يقينا بالله وثباتا على طريقه تثبت المؤمنين بإذن الله.

نَواةٌ صَلبَةٌ أهلُ اليقينِ ... تُثَبِّتُ أهلَ إيمانٍ، يُنيروا

ولما ظهروا لجالوت وجنوده -لقتالهم- دعا طالوت والذين آمنوا معه -جميعهم- ربهم أن يصب عليهم صبرا متواصلا لا ينفد، ويثبت أقدامهم -وقلوبهم فيفوزوا- وينصرهم على القوم الكافرين. **٢٥٠**

فهزموهم بإذن الله ومشيئته، وقتل داود جالوت، وأعطاه الله الملك والنبوة والعلم والحكم والفهم، وعلمه مما يشاء -كأن يصنع الدروع كما قال تعالى ﴿ وعلَّمناه صنعة لَبوس لكم لتُحصنكم من بأسكم ﴾ [الأنبياء ٨٠]- ولولا -سنة التدافع- دفع الله الناس -فساد- بعضهم ببعض لفسدت الأرض -باستيلاء أهل الفساد عليها وتسلطهم على عباد الله- ولكن الله ذو فضل واسع على الخلائق جميعا. **٢٥١**

فائدة! لن يرضى أهل الكفر والردة والنفاق عنا، وسيظلون حربا علينا بلا كلل ولا ملل حتى نرتد عن ديننا بالكلية، وليس لديهم حدود أخلاقية في حربهم تلك، بل إن أماكن العبادة لن -ولم- تسلم منهم كما قال تعالى ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدِّمت صوامع وبِيَع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصُرنَّ الله من ينصره إنَّ الله لقوي عزيز ﴾ [الحج ٤٠]، فلا رادع لهم ولا راد، إلا أن ننصر ديننا وندفعهم بالجهاد الذي شرعه الله لنا، فلنتق الله إذًا، ولندفع عن ديننا وعن أنفسنا، ولنبدأ بمن يقطن ديارنا من أهل الكفر والردة، وليجدوا فينا غلظة كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غِلظة واعلموا أنَّ الله مع المتقين. ﴾ [التوبة ١٢٣].

نُجاهِدُ مَنْ يلينا مِنْ كَفورٍ ... فإنَّهُمُ العَدُوُّ المُستثيرُ

تلك آيات الله -تتضمن أخبارا تدل على صدق نبوتك، إذ لم تكن لتعلمها من تلقاء نفسك- يقرأها سبحانه عليك أيها النبي الكريم بالحق -صادقة لا ريب فيها أو شك- وإنك لمن المرسلين. **٢٥٢**

تلك الرسل فضل الله بعضها على بعض -بمزيد من مزايا الكمال- منهم من كلم الله -مثل آدم ﵇، وموسى ﵇ كما قال تعالى ﴿ وكلَّم الله موسى تكليما ﴾ [النساء ١٦٤]، ومحمد ﷺ ليلة المعراج- ورفع بعضهم مراتب كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون. ﴾ [مسلم ٥٢٣ ★ الترمذي ١٥٥٣م ★ أحمد ٩٣٣٧]، وأعطى الله عيسى ابن مريم الأدلة الجلية البينة على صدقه، وقواه سبحانه بجعل المَلَك جبريل ﵇ معه يؤيده، ولو شاء الله -ألا يقتتلوا- ما اقتتل الذين من بعدهم، من بعد ما جاءتهم الأدلة الجلية البينة، ولكن اختلفوا -فكان اختلافهم موجبا للعداء- فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ولو شاء الله -رغم اختلافهم وعداوتهم ألا يقتتلوا- ما اقتتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد: ليس يرده أحد عن مراده. **٢٥٣**

يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقكم الله -من أموال، مخلصين له نياتكم وأعمالكم، في الزكاة الواجبة وصدقات التطوع- من قبل أن يأتي يوم -القيامة، وتحتاجون إلى أي شيء يزحزحكم عن النار- لا بيع فيه -ولا تنفع فدية- ولا صداقة، ولا شفاعة -إلا بإذن من الله لمن أراد أن يقبل شفاعته في موحد- والكافرون هم الظالمون لأنفسهم بالكفر وبتعريضها لسخط الله ولغيرهم بمنع الزكاة الواجبة. **٢٥٤**

لا معبود بحق سوى الله، الحي دائم البقاء، القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع خلقه، وبه قام جميع الخلق -فهو الخالق الرازق المدبر- لا يعتريه نعاس ولا نوم، له ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، من ذا الذي يشفع -لأحد- عنده -لا يملك ذلك أحد، كائنا من كان، ولو كان مَلَكا كما قال تعالى ﴿ وكم من مَلَك في السماوات لا تُغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى. ﴾ [النجم ٢٦]- إلا بإذنه ومشيئته؟ يعلم ما مضى من أمر عباده وما يستقبلونه لم يقع بعد، ولا يحيطون بشيء من علمه -المعلوم لديه سبحانه، ولا بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله- إلا بما شاء -أن يطلع من يشاء عليه- وسع كرسيه السماوات والأرض -فهو أكبر منهما، قيل هو موضع قدميه دون العرش، وقيل هو العرش، ولا نشغل أنفسنا بما لسنا مكلفين به- ولا يثقل عليه -سبحانه- ولا يشق حفظهما، وهو العلي على الجميع بذاته وقدره وقهره، العظيم الشأن والملك والسلطان. **٢٥٥**

لا إكراه في الدين -إذا لم يرد أهل الكتاب دخول الإسلام وأعطونا الجزية وهم كما قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجِزية عن يد وهُم صاغرون. ﴾ [التوبة ٢٩]- قد تبين الرشاد والصواب من الغواية والخطأ، فمن يكفر بالطاغوت -كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع مما يناقض أصل الإيمان، كرؤوس الضلال الذين لا يحكمون بما أنزل ربهم- ويؤمن بالله -وحده لا شريك له- فقد تمسك من الدين بقوة جد فائقة بأوثق سبب محكم للنجاة لا انقطاع له -يوم القيامة: كلمة التوحيد- والله سميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. **٢٥٦**

۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ
أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى
بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى
كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى
مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ
هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ
قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل
لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ
وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى
ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

الله ولي الذين آمنوا وناصرهم: يخرجهم -بإذنه سبحانه- من ظلمات الكفر والضلال والمعاصي إلى نور الإيمان والهدى والطاعة، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت -رؤوس الضلال الذين زينوا لأتباعهم ما هم عليه، بصدهم عن دين الله ومنعهم من الدخول فيه، أو من إقامته والعمل والحكم به على الوجه الذي أمر به ربهم هم يخذلونهم، إذ- يخرجونهم من نور الإيمان والهدى والطاعة إلى ظلمات الكفر والضلال والمعاصي، هؤلاء ماكثون في النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها. **٢٥٧**

ألم ينته علمك أيها النبي الكريم إلى خبر الذي نازع إبراهيم بالحجج -الباطلة- في ربه -وتوحيده، من أجل- أن أعطاه الله الملك -قيل النمرود أو النمروذ، طغى ولم يشكر الله، وظن أنه ند له سبحانه، أو ربما ظن أنه أعظم قدرة من الله!- حين ذكر إبراهيم أن ربه الذي يحيي الخلائق ويميتها؟ أجاب بأنه يحيي الخلائق ويميتها -فهو يقتل من يشاء ويعفو عمن يشاء، فهو بزعمه يفعل كفعل الله ويصنع كصنعه!- رد إبراهيم -على هذا الهراء- فإن الله يأتي بالشمس من -جهة- المشرق -وتحداه ﷺ: إن كان حقا يفعل كفعل الله ويصنع كصنعه- فليأت بها من -جهة- المغرب، فتفاجأ الذي كفر وشلت أركانه، والله لا يوفق ولا يرشد القوم الظالمين لأنفسهم بالإصرار على الكفر. **٢٥٨**

فائدة! المناظرة لبيان الحق وإقامة الحجة مباحة، إن كانت عن علم كما قال تعالى ﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلِمَ تُحاجُّون فيما ليس لكم به علم ﴾ [آل عمران ٦٦]، أما المنهي عنه فهو جدال المكابرة والتعصب وترويج الباطل.

نُجادِلُ عَنْ عُلومٍ لمْ نُكابِرْ ... فإنَّ الكِبرَ لا يَسَعُ الضَّميرُ

فائدة! لا يلهم الله الطواغيت حجة ولا برهانا، حالهم واحد في كل عصر ومصر: جهلة سفهاء أغبياء متكبرون قد ختم الله على قلوبهم وعقولهم، ألم يكن بإمكان الملك الطاغية أن يزعم أن نظام الشمس متقن دقيق يصعب تغييره، ويتحدى إبراهيم ﷺ أن يسأل ربه أن يأتي بالشمس من جهة المغرب؟!

ولمْ يَهدِ الطَّواغِيتَ البصيرُ ... فألهَمَكُم غَباءً لا يَحورُ!

أو كالذي مر على قرية -قيل عزير، مر على بيت المقدس بعد أن خربها بختنصر البابلي، أرأيت مثله- وهي خاوية موحشة ساقطة دعائمها وأبنيتها، تساءل -متعجبا- كيف يحيي هذه الله بعد موتها وفناء أهلها؟ فأماته الله مائة عام ثم -حيا- بعثه، سأله كم -في هذا المكان- مكث؟ أجاب بأن مكث يوما أو جزءا من يوم، أخبره -سبحانه أنه أخطأ التقدير- بل مكث مائة عام، من ثم أمره فلينظر إلى طعامه وشرابه -رغم هذه المدة الطويلة- لم يتأثر ولم يتغير حاله، وينظر إلى حماره -مات وتمزق جلده ولحمه ونخرت عظامه- وليجعله سبحانه آية دالة على كمال قدرته للناس -فبعثه حيا، قيل بعثه شابا إذ كان أبناؤه وأحفاده شيوخا- من ثم أمره ولينظر إلى عظام حماره كيف يرفعها سبحانه ويركب بعضها على بعض ثم يكسوها سبحانه لحما، فلما تبين له -ما كان مستنكرا عنده في قدرة الله قبل المعاينة- أكد أن يعلم -الآن، يقينا- أن الله قدرته مطلقة لا يعجزه شيء. **٢٥٩**

واذكر أيها النبي الكريم حين سأل إبراهيم ربه أن يريه -عيانا- كيف يحيي الموتى، سأله -وهو أعلم بحال خلقه- أولم يؤمن: به وبكمال قدرته؟ أجاب ببلى: قد آمن، ولكن ليطمئن قلبه -زيادة اطمئنان، فيرقى ﵇ من علم اليقين إلى عين اليقين كما ورد عن النبي ﵊ من حديث عبد الله بن عباس ﵄ ﴿ ليس الخبر كالمعاينة، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت. ﴾ [أحمد ٢٤٤٧]- أمره فليأخذ أربعة من الطير فيجمعهن إليه -ويقطعهن- ثم يجعل على كل جبل -حوله- منهن جزءا، ثم يناديهن -حين يفعل- يأتينه -سائرات- مسرعات، وذكره أن الله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٢٦٠

مثل -ثواب المؤمنين- الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله نصرة لدينه -في طاعته طلبا لمرضاته، ومن أفضل الإنفاق جهادهم بالمال ومشاركتهم في نفقة الجهاد- كمثل حبة أنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة -سبعمائة ضعف- والله يضاعف -الثواب- لمن يشاء -كما ورد عن النبي ﵊ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به ﴾ [مسلم ١١٥١ ★ الترمذي ٧٦٤ ★ النسائي ٢٢١٥ ★ ابن ماجة ١٦٣٨ ★ أحمد ٧٦٠٧]، كذلك العقاب يضاعفه سبحانه لمن يشاء، خاصة لمن يجمعون بين الضلال والإضلال- والله واسع الفضل، عليم بالسرائر والنيات وبمن هم أولى بفضله. ٢٦١

الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله نصرة لدينه، ثم لا يتبعون إنفاقهم أي مَنّ -على أحد من عباد الله يفسد عملهم الطيب- ولا أذى -لأحد، بقول أو بفعل- لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم -في الآخرة- ولا هم يحزنون: على ما من الدنيا فاتهم ولا على من في النار ممن أحبوا. ٢٦٢

كلام معروف -طيب يدخل الرضا على نفوسهم، كرد السائل بغير زجر ولا إهانة، كما ورد عن النبي ﵊ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ والكلمة الطيبة صدقة ﴾ [البخاري ٢٩٨٩ ★ مسلم ١٠٠٩ ★ أحمد ٨١٨٣]، أو عفو ومغفرة عن الإساءة، كالتغاضي عن مؤاخذة السائل بتجاوزاته إن وقعت- خير وأفضل من صدقة يتبعها أذى -للمتصدق عليه، بقول أو بفعل- والله غني عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه -وعن أموالهم وصدقاتهم، ورغم غناه عنهم- حليم لا يعاجل بعقاب. ٢٦٣

يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم -فيذهب عليكم ثوابها- بالمَنّ -على المتصدق عليه- والأذى -له، بقول أو بفعل، فتصيروا- كالذي ينفق ماله رئاء الناس -ليروا إنفاقه فيمدحوا كرمه- ولا يؤمن بالله واليوم الآخر -إذ لا يبتغي بإنفاقه ثواب الله في الآخرة، بل ينفق تباهيا- فمثله كمثل حجر كبير أملس عليه تراب، فأصابه مطر غزير، فتركه براقا أجردا -ليس عليه شيء قد أزاح عنه التراب: هكذا حال أهل الرياء، لا ينفعهم إنفاقهم بحال من الأحوال، كما لا ينفع المطر الحجر المترب ولا يجعله ينبت- لا يثابون على شيء مما كسبوا -إذ بطل ما كانوا يرجون أن ينفعهم من عمل في الآخرة، لشركهم بربهم شركا خفيا- والله لا يوفق ولا يرشد القوم الكافرين: إذ اتبعوا الهوى. ٢٦٤

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ
تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ
يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ
أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ
يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ
رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ
صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ
عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ
فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ
جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ
ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا
لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ
وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾
يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ
أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

ومثل الذين ينفقون أموالهم التماسا لمرضاة الله، وتثبيتا من أنفسهم -إذ تثبتهم على الإنفاق في طاعة الله وتحثهم عليه فلا يترددوا- كمثل بستان مديد الظل بموضع مرتفع من الأرض مستو -مثمر ليس عن الشمس أو الرياح بمعزل- أصابه مطر غزير، فأعطى وأثمر ثمره ضعفين، فإن لم يصبه مطر غزير فخفيف مطر -يكفيه، لجودة أرضه، كذلك نفقة أهل الإيمان والإخلاص، كثيرة كانت أو قليلة يقبلها سبحانه ويضاعف ثوابها- والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. ٢٦٥

فائدة! الإخلاص لله سبحانه من أسباب زيادة نفع العمل، والرياء شرك خفي يبطل العمل.

وإنْ نُّخلِصْ لِرَبِّي لا نُراءِ ... يُبارِكْ ما عَمِلناهُ البصيرُ

أيحب الواحد منكم -أيها المؤمنون- ويتمنى أن يكون له بستان مديد الظل من نخيل وأعناب، تجري خلاله الأنهار -فتسقيه بغير مشقة، فتخرج- له فيه من جميع أنواع الثمار، وأصابه كبر السن، وله ذرية ضعفاء -لا تقوى على العمل- فأصابت البستان رياح شديدة فيها نار فاحترق؟ فيا لحسرة صاحبه وقد فقد بستانه وهو أحوج ما يكون إليه لكبر سنه وضعف أبنائه، كذلك الرجل يعمل الطاعات وهو يرائي الناس أو يحيط طاعاته بالمعاصي فتحترق حسناته، ويأتي يوم القيامة بدونها وهو أحوج ما يكون إليها، مثل ذلك البيان الجلي يبين الله لكم الآيات لتنفعكم في الدنيا والآخرة، رجاء أن تتفكروا. ٢٦٦

يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم -من الحلال الجيد المختار- ومما أخرج الله لكم من الأرض -من نبات ومعادن، وركاز مما دفن أهل الجاهلية من أموال- ولا تعمدوا إلى الرديء منه تنفقون ولستم بآخذيه -لو أعطي لكم مثله- إلا على سبيل التغاضي أو الحياء، واعلموا أن الله غني عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه -وعن أموالهم وصدقاتهم- محمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. ٢٦٧

فائدة! الركاز لواجده إذا كان بأرضه، أو بأرض موات غير مملوكة لأحد، أو بأرض مشتركة كالشواطئ ونحوها، والأرض الموات لمن أعمرها -ليست للدولة- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق. ﴾ [البخاري ٢٣٣٥ ★ أحمد ٢٤٨٨٣]، والركاز إن كان تماثيل ذوات أرواح فهو أصنام لا تحل كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ﴿ إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام ﴾ [البخاري ٢٢٣٦ ★ مسلم ١٥٨١ ★ أبو داود ٣٤٨٦ ★ الترمذي ١٢٩٧ ★ النسائي ٤٢٥٦ ★ ابن ماجة ٢١٦٧ ★ أحمد ١٤٤٧٢].

ومَنْ وَجَدَ الرِّكازَ لهُ كُنوزٌ ... وأصنامًا يُحَطِّمُها الخُيُورُ

الشيطان يعدكم الفقر -فيخوفكم لئلا تنفقوا- ويأمركم بما هو مستفحش من الذنوب -كالزنا كما قال تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ﴾ [الإسراء ٣٢] وغيره- والله يعدكم مغفرة منه، وفضلا -رزقا قدره بفضله، وفي الآخرة ثوابا- والله واسع الفضل، عليم بالسرائر والنيات وبمن هم أولى بفضله. ٢٦٨

يعطي العلم الشرعي وفوائده وحكمه، والسداد في القول والإصابة في العمل من يشاء، ومن يعط العلم والسداد والإصابة فقد أعطي خيرا كثيرا، وما يذكر -بكلام الله- إلا أهل العقول الرزينة. ٢٦٩

وما أنفقتم -أيها المؤمنون- من نفقة -كثرت أو قلت، واجبة كانت أو تطوعا- أو ألزمتم أنفسكم بعمله من عمل -خيره وشره- فإن الله يعلمه -وسيجازيكم به يوم القيامة- وليس للظالمين لأنفسهم بمراءاة الناس أو لغيرهم بمنع ما أوجب الله لهم من أنصار: ينفعونهم أو يدفعون عنهم عذاب الله. **٢٧٠**

إن تبدوا الصدقات -فتنفقوا علانية- فنعم ما أنفقتم، وإن تخفوها وتعطوها الفقراء -سرا- فهو خير لكم وأفضل -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله ﴾ أحد هؤلاء السبعة ﴿ ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ﴾ [البخاري ٦٦٠ ★ مسلم ١٠٣١ ★ الترمذي ٢٣٩١ ★ النسائي ٥٣٨٠ ★ أحمد ٩٦٦٥]- ويستر عنكم من سيئاتكم ويتجاوز عن بعضها -بسبب تصدقكم بنية خالصة بلا رياء، لكن لا يتجاوز عما يتعلق بحقوق العباد- والله بجميع أعمالكم خبير، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. **٢٧١**

فائدة! صدقة السر على الفقير أفضل من صدقة العلانية، أما غير ذلك من الصدقات فالإظهار -شرط الإخلاص- والإخفاء يقدران بحسب المصلحة، فإن كان في إخراجها علانية إظهار لشعائر الدين أو حصول اقتداء من الناس أو إغاظة للكفار ونحو ذلك فإظهار الصدقة حينئذ أفضل من إخفائها.

عَلانيةً وسِرًّا أنفِقوها ... يُكَفِّرْ عَنكُمُ الربُّ الشَّكُورُ

ليس عليك أيها النبي الكريم هداية الخلق -ليؤمنوا بك، إنما عليك البلاغ- ولكن الله يوفق ويرشد من يشاء، وما تنفقوا من مال -حلال بلا رياء أيها المؤمنون- فلأنفسكم -فالله غني كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله لغني عن العالمين ﴾ [العنكبوت ٦]- وما تنفقون إلا تقربا إلى الله، وما تنفقوا من مال -قليلا كان أو كثيرا- يعد نفعه عليكم -وتعطوا ثوابه يوم القيامة- وافيا، وأنتم -عند الله- لا تظلمون. **٢٧٢**

للفقراء الذين حبسوا في سبيل الله نصرة لدينه -منعهم الكفار من السفر والتصرف بالتجارة أو منعهم الجهاد من التفرغ للتكسب: اجعلوا نفقاتكم لهم- يظنهم الجاهل -بحالهم- أغنياء من التعفف -عن سؤال الناس، فهم صابرون محتسبون- يعرفهم المرء بعلاماتهم -من تواضع، وحاجة ظاهرة على ثيابهم وأجسادهم- لا يسألون الناس إلحاحا -كسؤال معظم الفقراء، ولا غير إلحاح كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ لا يسألون الناس إلحافا ﴾ ﴾ [البخاري ٤٥٣٩ ★ مسلم ١٠٣٩ ★ أبو داود ١٦٣١ ★ النسائي ٢٥٧١ ★ أحمد ٧٥٤٠]، فالتعفف من صفاتهم الثابتة التي قط لم تفارقهم- وما تنفقوا -أيها المؤمنون- من مال -قليلا كان أو كثيرا- فإن الله به عليم، وسيجازيكم على حسب نياتكم ونفعه. **٢٧٣**

الذين ينفقون أموالهم -في الطاعات، طلبا لمرضاة الله، في كل وقت- بالليل والنهار -في كل حال بغير رياء- سرا وعلانية فلهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم -في الآخرة- ولا هم يحزنون: على ما من الدنيا فاتهم ولا على من في النار ممن أحبوا. **٢٧٤**

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟
ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا
ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن
سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ
عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا
تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا
ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ
يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم
بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ
خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ
مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ
مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ
عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ
وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ
فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ
أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ
إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

الذين يأكلون الربا -متعاملين به أخذا أو إعطاء أو ترويجا- لا يقومون -يوم القيامة- إلا كما يقوم الذي يتخبط -مجنونا مصروعا- بسبب ما أصابه به الشيطان من المس، ذلك -الحال- بسبب أنهم زعموا أنما البيع مثل الربا -حلال كلاهما- وأحل الله البيع -ومكاسبه- وحرم الربا، فمن جاءه موعظة من ربه -على ألسن أنبيائه، بتحريم التعامل الربوي- فانتهى -فورا لم يسوف- فله ما سبق -وما أخذ زيادة عما أعطي، ليس يؤاخذ بسببه- وأمره إلى الله -في تثبيته على الانتهاء، أو العودة إلى الربا- ومن عاد -إلى التعامل بالربا، دون استحلال- فهؤلاء ماكثون في النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها: مدة طويلة وليس أبدا، إلا أن يستحلوا الربا فيخرجوا بذلك من ملة الإسلام، فحينئذ لا يخرجون منها أبدا. **٢٧٥**
يستأصل الله المال الربوي ويهلكه -ومن جملة ذلك نزع النفع منه والخير في الدنيا- ويربي الصدقات -فيزيد ويضاعف في نفع مال أخرجت صدقته في الدنيا، ويزيد ويضاعف ثواب الصدقات في الآخرة- والله لا يحب -بل يبغض- كل شديد الكفران والجحود لنعمه سبحانه كثير الإثم. **٢٧٦**

فائدة! ربط الأموال أو الاقتراض من بنوك يقوم عملها على الاقتراض والإقراض مقابل زيادات محددة مسبقا -بنسب مئوية أو بغيرها، أو ما يطلق عليه "أرباح" أو "فوائد"- هو عين الربا، وحكم العمل في كيان ربوي هو كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ﴿لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء.﴾ [مسلم ١٥٩٨ * الترمذي ١٢٠٦ * أحمد ١٤٢٦٣].

يُرابي الناسُ لمْ نأكُلْ رِباهُم ... ولمْ يَعمَلْ بِبَنكٍ مُستَنيرُ

إن الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة، وأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأداموها بشروطها، وأخرجوا الزكاة الواجبة في أموالهم لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم -في الآخرة- ولا هم يحزنون: على ما من الدنيا فاتهم ولا على من في النار ممن أحبوا، فأطيعوا الله وكونوا منهم. **٢٧٧**
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واتركوا ما بقي من الربا -فلا تطالبوا بما تبقى من مال ربوي اتفقتم عليه ولم تقبضوه بعد- إن كنتم غير كاذبين في ادعاء الإيمان بأحكامه. **٢٧٨**
فإن لم تفعلوا -ولم تتركوا الربا- فاعلموا بوضوح بحرب -عليكم- من الله ورسوله، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون -الناس بأخذ زيادة- ولا -أنتم- تظلمون: بنقص أو مماطلة أو تسويف. **٢٧٩**

فائدة! وضع المال في كيان ربوي لا يجوز شرعا -ولو بدون أخذ أي ربا- لما في ذلك من إعانة لذلك الكيان على الإثم، وهذا منهي عنه كما قال تعالى ﴿ولا تَعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [المائدة ٢].

يُرابي القَومُ لمْ نُودِعْ لديهِم ... تَعاوُنُنا على إثمٍ خطيرُ

وإن كان -الذي عليه المال- معسرا -لا يمكنه سداد رأس المال- فأمهلوه حتى يتيسر له القضاء، وأن تصدقوا -بإسقاط ما لكم، أو بعضه- خير لكم وأفضل، إن كنتم تعلمون ثواب ذلك عند الله. **٢٨٠**
واتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه يوما -قيامتكم! حيث- ترجعون فيه إلى الله، ثم تعطى كل نفس جزاء ما كسبت من عمل وافيا، وهم -عنده- لا يظلمون. **٢٨١**

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾

يا أيها الذين آمنوا إذا داين بعضكم بعضا بدَين إلى وقت محدد -فالدَّين يجب أن يكون معلوم الأجل كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ قدم النبي ﷺ المدينة وهم يسلفون بالتمر السنتين والثلاث، فقال: من أسلف في شيء ففي كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم. ﴾ [البخاري ٢٢٤٠ ★ مسلم ١٦٠٤ ★ أبو داود ٣٤٦٣ ★ الترمذي ١٣١١ ★ النسائي ٤٦١٦ ★ ابن ماجة ٢٢٨٠ ★ أحمد ١٩٣٧]- فاكتبوه، وليكتب بين الأطراف المتداينة كاتب بالعدل -والإنصاف والحق: موافقا للشرع، لا يظلم طرفا من الأطراف ولا يغير شيئا- ولا يمتنع كاتب أن يكتب -كتاب التداين، بالتفاصيل والشروط- كما علمه الله -وأنعم وتفضل عليه بتعليمه الكتابة، شكرا لنعمته التي امتن بها عليه، وإحسانا لمن يحتاج إلى كتابته- فليكتب، وليملل الذي عليه الحق -فيكون الإملاء إقرارا بثبوته في ذمته- وليتق -الذي عليه الحق- الله ربه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ولا ينقص منه -أو يغير من تفاصيله وشروطه- شيئا، فإن كان الذي عليه الحق سفيها خفيف العقل، أو ضعيفا -لجنون أو صغر سن أو غير ذلك لا يحسن التصرف- أو لا يستطيع أن يملي هو -لخرس أو لعدم التمكن من التعبير- فليملل -عنه- وليه -أو المسؤول عن التصرف في ماله- بالعدل -والإنصاف والحق- واطلبوا شهادة اثنين من رجال المسلمين -فشهادة الكفار مردودة- فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان -من العقلاء- ممن ترضون -دينهم وعدالتهم- من الشهداء، خشية أن تضل إحداهما -فتنسى شيئا من الشهادة- فتذكرها الأخرى، ولا يمتنع الشهود إذا ما طلبوا -للشهادة على الدَّين أن يتحملوا الشهادة، أو لأداء الشهادة التي تحملوها- ولا تسأموا أو تملوا أن تكتبوا الدَّين صغيرا -كان- أو كبيرا بأجله -وتفاصيله وشروطه- ذلك -الكتاب- أنصف عند الله -وأصح فيما شرع- وأقوم في إقامة الشهادة وأدائها وأبلغ، وأقرب ألا ترتابوا -في معاملاتكم- إلا أن تكون تجارة حاضرة -سلعة حاضرة وثمن حاضر- تديرونها بينكم، فليس عليكم لوم ولا إثم ألا تكتبوها -إذ لا حاجة لذلك- وأشهدوا إذا تبايعتم -تبايعا تجاريا، سدا لذرائع الخلاف والنزاع- ولا يجوز أن يضر بكاتب ولا شاهد -فيجري دعوته وقت اشتغال أو في مرض ونحو ذلك مما يشق عليه، كذلك لا يجوز أن يضر كاتب ولا شاهد بأطراف الدَّين بالامتناع عن الكتابة أو عن تحمل الشهادة أو أدائها ونحو ذلك، أو بالتحريف والتبديل ونحو ذلك- وإن تفعلوا -شيئا من ذلك الذي نهيتم عنه- فإنه خروج عن الطاعة متعلق بكم، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويعلمكم الله -ما فيه صلاح الدنيا والآخرة- والله بكل شيء عليم، بالنيات وبالأفعال. **٢٨٢**

فائدة! شهادة الكافر على المسلم مردودة مطلقا، إلا على وصية المسلم أثناء السفر إن لم يوجد غيره.

شَهادةُ أهلِ كُفرٍ لا تَجوزُ ... علينا، مسلِمٌ عَدلُ الجَديرُ

فائدة! يعلم الله من اتقاه ممتثلا أوامره مجتنبا نواهيه ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، فيحسن التفريق بين الحق والباطل كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ [الأنفال **٢٩**].

يُعلِّمُنا العليمُ إنِ اتَّقَينا ... لِيُدخِلَنا الجِنانَ، هيَ المصيرُ

۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ
فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ
ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ
ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ
يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ
مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ
وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ
سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ
ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ
عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا
وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا
وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

وإن كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتبا -في سفركم يكتب الديون، وفي الحضر كذلك كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ لقد رهن رسول الله ﷺ درعه عند يهودي بالمدينة، فأخذ لأهله منه شعيرا. ﴾ [البخاري ٢٠٦٩ * الترمذي ١٢١٥ * النسائي ٤٦١٠ * ابن ماجة ٢٤٣٧ * أحمد ١٢٣٦٠]- فرهن مقبوض -يعطيه الذي عليه الدَّين لصاحب الحق، كضمان لحقه- فإن أمن بعضكم بعضا -فاستغنيتم عن الارتهان- فليؤد الذي اؤتمن أمانته -فقد صار الدَّين الذي عليه بمثابة أمانة في ذمته- وليتق الله ربه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه -فيؤديه دون نقص أو مماطلة أو تسويف- ولا تكتموا الشهادة، ومن يكتمها -أيها الشهود، أو يأت بها على غير وجهها السليم- فإنه آثم -ولا سيما- قلبه -فاجر- والله بما تعملون عليم لا يخفى عليه شيء من نياتكم وأعمالكم، وسيجازيكم بها. ٢٨٣

لله ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله -أيها الخلق- فيغفر لمن يشاء -من أهل الإيمان بفضله- ويعذب من يشاء -بعدله- وقدرة الله مطلقة لا يعجزه شيء. ٢٨٤

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه، والمؤمنون كذلك آمنوا، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق -نحن أهل الإسلام، بخلاف أهل الكتاب- بين أحد من رسله، وأكدوا أن سمعوا -سماع وعي وفهم وانتفاع- وأطاعوا، سائلين غفران ربهم -ذنوبهم وتقصيرهم- وإليه المرجع في الآخرة. ٢٨٥

لا يكلف الله نفسا إلا قدر طاقتها، لها ما كسبت -من خير- وعليها ما اكتسبت: من شر، استجاب الله دعاء المؤمنين، فخفف عنهم لما سمعوا وأطاعوا وسألوه غفرانه كما أمروا، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير. ﴾ قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير، قالوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نُفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غُفرانك ربنا وإليك المصير. ﴾، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: ﴿ لا يُكلِّف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ قال: نعم ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ قال: نعم ﴿ ربنا ولا تُحمِّلنا ما لا طاقة لنا به ﴾ قال: نعم ﴿ واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ قال: نعم. ﴾ [مسلم ١٢٥ * أحمد ٩٣٤٤]. ٢٨٦

★ سورة آل عمران ★

★ مدنية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. ١
لا معبود بحق سوى الله، الحي دائم البقاء، القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع خلقه، وبه قام جميع الخلق: فهو الخالق الرازق المدبر. ٢
نزل عليك أيها النبي الكريم القرآن بالحق -لا شك فيه، مشتملا على الحق محفوظا في إنزاله من الشياطين- مصدقا وموافقا لما أنزل قبله، وأنزل -على موسى وعيسى عليهما السلام- التوراة والإنجيل. ٣
من قبل -أن ينزل سبحانه القرآن أنزلهما، في جميعهم- هداية للناس من الضلال، وأنزل ما يفرق بين الحق والباطل -في قرآنه، فأقام بذلك الحجة على كل من بلغه كلامه سبحانه- إن الذين كفروا بآيات الله -المنزلة- لهم عذاب شديد، والله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، ذو انتقام ممن تعمد عصيانه. ٤
إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: بل قد أحاط علمه بكل شيء، ظاهرا وباطنا، ومما لا يخفى عليه سبحانه إيمان من آمن وكفر من كفر. ٥
هو الذي يصوركم -أيها الناس- في أرحام أمهاتكم -وممن خلق في رحم أمه عيسى ابن مريم عليه السلام- كيف يشاء -ذكر أو أنثى، حسن أو قبيح، طويل أو قصير، أبيض أو أسود، وغير ذلك على صور شتى كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه مَلَكا بأربع كلمات: فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح ﴾ [البخاري ٣٣٣٢ ★ مسلم ٢٦٤٣ ★ أبو داود ٤٧٠٨ ★ الترمذي ٢١٣٧ ★ ابن ماجة ٧٦ ★ أحمد ٣٦٢٤]- لا معبود بحق سواه، العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٦
هو الذي أنزل عليك أيها النبي الكريم القرآن، منه آيات محكمات -واضحات الدلالة لا لبس فيها- هن أصل الكتاب -ليرجع إليها عند الاختلاف- وأخر متشابهات -يشتبه أمرها على عموم العباد- فأما الذين في قلوبهم انحراف -عن الحق- فيتعلقون بما تشابه منه -لينقضوا به المحكم، رغم أن الواجب رده إلى المحكم لتتضح معانيه- التماسا للفتنة -ليثيروا الشبهات، فيضلوا عباد الله عن صحيح دينهم- والتماسا لتفسير القرآن -بأهوائهم، على ما يوافق مذاهبهم وأفكارهم الفاسدة- وما يعلم تفسير المتشابه -بكافة تفاصيله- إلا الله، والراسخون في العلم المتمكنون منه -على علم بتفسيره إجماليا- يقرون بأن آمنوا به، كل -محكم ومتشابه- من عند ربهم، وما يذكر -بكلام الله- إلا أهل العقول الرزينة. ٧
داعين ربهم ألا يحرف قلوبهم -ومن جملة ذلك التعلق بالمتشابهات لنقض المحكم- بعد إذ وفقهم وأرشدهم، ويمنحهم من عنده رحمة -واسعة، لئلا يضلوا- مؤكدين أنه هو الوهاب واسع العطاء. ٨
موقنين أن ربهم جامع الناس ليوم -القيامة- لا ريب فيه -آت حتما- إن الله لا يخلف الميعاد. ٩

سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن
قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ
عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦ هُوَ
ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ
ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ
مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ
إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ
رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ
إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ رَبَّنَآ
إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ
سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾
قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَاۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ
ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ
مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ
وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ
مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ
أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ
جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ
مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

إن الذين كفروا لن تنفعهم ولن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا -إن قدر سبحانه ضررا في الدنيا، أما في الآخرة فالعبرة بالإيمان والعمل الصالح كما قال تعالى ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقَرِّبكم عندنا زُلفى إلا من آمن وعمل صالحا ﴾ [سبإ ٣٧]- وهؤلاء هم ما توقد به النار. ١٠

كحال وصنيع أهل فرعون وأتباعه والذين من قبلهم -من أمم كافرة، كعاد وثمود وغيرهما هو حالهم وصنيعهم- كذبوا بآيات الله، فأخذهم الله -بعقابه- بسبب ذنوبهم -ومن جملتها تكذيبهم بآياته- والله شديد العقاب لمن كفر وعصى. ١١

أخبر أيها النبي الكريم الذين كفروا -من أهل الشرك وأهل الكتاب- أن سيغلبون -في الدنيا، بأيدي المؤمنين بإذن الله- ويجمعون -في الآخرة، ليساقوا- إلى جهنم، وبئس الفراش وما مهدوا لذواتهم. ١٢

قد كان لكم -أيها الناس، مؤمنكم وكافركم- آية دالة على صدق ما أخبر به النبي ﷺ في جماعتين التقتا -يوم بدر للقتال- جماعة تقاتل في سبيل الله نصرة لدينه، وأخرى كافرة، يرى من يقاتلون نصرة لدين الله أنفسهم مثلي ما هم عليه من العدد رؤية لا لبس فيها -فقوى الله بذلك أنفسهم- والله يقوي بنصره -على الأعداء- ويؤيد من يشاء، إن في ذلك لعبرة وعظة لأهل البصائر النافذة. ١٣

فائدة! النصر لا يتعلق بالأسباب والوسائل الدنيوية كالتخطيط والعدد والعدة فقط، بل بعون الله وتأييده كما قال تعالى ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾ [آل عمران ١٢٦ ۞ الأنفال ١٠] بعد الأخذ بحسب الاستطاعة بالمتاح من أسباب ووسائل دنيوية -دون مخالفات شرعية، فالوسائل لها أحكام المقاصد- كما قال تعالى ﴿ وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم ﴾ [الأنفال ٦٠]، فما لا يقوم الواجب إلا به -إن كان مباحا في أصله- فهو واجب.

نُعِدُّ لهمْ ونأخُذُ بالوَسيلِ ... ونَدعو ربَّنا انصُرْ يا نَصيرُ

زين للناس -اختبارا منه سبحانه لعباده، كما قال تعالى ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوَهم أيُّهم أحسن عملا. ﴾ [الكهف ٧]- حب الشهوات من النساء والبنين، والأموال الكثيرة المكدسة من الذهب والفضة، والخيل المعلمة بعلامات مميزة -تمييزا لها لحسن أصلها- والأنعام -من إبل وبقر وغنم- والزرع -والأرض عامة- ذلك -المذكور من شهوات الحياة الدنيا- مما يتمتعون به في الحياة الدنيا -الفانية- والله عنده -وحده دون سواه- حسن المآب: الجنة، يرجع إليها المؤمن العامل. ١٤

سل أيها النبي الكريم أتخبرهم بخير من ذلك -المذكور من شهوات دنيوية زينت لهم- وأفضل؟ للذين اتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه عند ربهم جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- وأزواج خالية من كل أذى وقذر منزهة عن كل عيب وقبح وسوء ونقيصة، ورضا من الله -فلا يسخط عليهم أبدا- والله بصير بالعباد وبأحوالهم لا تخفى عليه نية ولا عمل، وسيجازيهم بذلك. ١٥

فائدة! المؤمن الفطن يزهد في متع الدنيا الزائلة ويرغب في نعيم الآخرة الدائم.

ونَزهَدُ في مَتاعٍ ليسَ يَبقى ... ونَرغَبُ في نَعيمٍ لا يَبورُ

الذين يدعون -متوسلين بإيمانهم- ربنا إننا آمنا، فاغفر لنا ذنوبنا، وقنا عذاب النار: يمدحهم الله. ١٦
الصابرين على طاعة الله وأقداره والصادقين -الموفين بعهودهم، الذين لا يكذبون- والقـانتين -المطيعين خشوعا- والمنفقين -أموالهم، طاعة لله- والطالبين المغفرة -من الله، قبيل الفجر- بالأسحار. ١٧
فائدة! السحر من أوقات إجابة الدعاء كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ ﴾ [البخاري ١١٤٥ * مسلم ٧٥٨ * أبو داود ١٣١٥ * الترمذي ٤٤٦ * ابن ماجة ١٣٦٦ * أحمد ١٠٣١٣]، ومن جملة الدعاء سؤال المسلم ربه متوسلا إليه سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وبإيمانه به وما قدم من عمل صالح.

ويَنزِلُ ربُّنا سَحَرَ الليالي ... إلى دُنيا السماءِ، به استَجيروا

شهد الله -مبينا مظهرا، بما أقام من براهين ساطعة وحجج دامغة- ألا معبود بحق سواه -واحد متفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله- والملائكة -أقروا بتوحيده، سبحانه- وأهل العلم -آمنوا بتوحيده وبينوا لم يكتموا، ودعوا الخلق- قائما بالعدل -سبحانه، في أفعاله وشرعه وتدبير أمور خلقه لم يزل كذلك- لا معبود بحق سواه، العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ١٨
إن الدين عند الله الإسلام -لن يقبل غيره- وما اختلف أهل الكتاب من يهود ونصارى -فغدوا أحزابا- إلا من بعد ما علموا -يقينا- من كتبهم أن عليهم اتباعه ﷺ كما قال تعالى ﴿ الذين يَتَّبِعون الرسول النبي الأُمِّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الأعراف ١٥٧]، ظلما بينهم وحسدا وحرصا على الدنيا، ومن يكفر بآيات الله -المنزلة- فإن الله سريع الحساب أحصى عمله. ١٩
فإن نازعوك بالحجج -الباطلة- أيها النبي الكريم فأخبرهم أن أخلصت عملك لله وأنت مستسلم متوجه له بقلبك، ومن اتبعك -مهتديا بهديك- كذلك فعل، وسل أهل الكتاب من يهود ونصارى والذين لا يقرؤون ولا يكتبون -العرب، موبخا، وداعيا حاثا- أأسلموا وانقادوا: لله، بعد كل ما جاءهم من براهين؟ فإن أسلموا وانقادوا فقد وفقوا إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة ورشدوا، وإن أعرضوا متنحين فإنما عليك البلاغ -لا الهداية- والله بصير بالعباد وبأحوالهم لا تخفى عليه نية ولا عمل، وسيجازيهم بذلك. ٢٠
إن الذين يكفرون بآيات الله -فيجحدون الحق- ويقتلون الأنبياء بلا أدنى حق، ويقتلون الذين يأمرون بالعدل من الناس -أهل الإصلاح الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ومن جملتهم العلماء والدعاة والعاملين للإسلام: لم يترك الكفرة الفجرة الذين ينزلون بمصلح أذى خصلة من الخصال التي تستحق بها الأمم الخيرية كما قال تعالى ﴿ كنتم خير أُمَّة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهَون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران ١١٠] إلا وأتوا بضدها!- فبشرهم أيها النبي الكريم بعذاب أليم ينتظرهم. ٢١
هؤلاء الذين فسدت أعمالهم في الدنيا -الصالح منها، كالصدقة ونحوها- والآخرة -لا يثابون عليها لكفرهم- وليس لهم من ينصرهم ويدفع عنهم عذابه سبحانه. ٢٢

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ
وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧ شَهِدَ ٱللَّهُ
أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا
بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ
عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩ فَإِنۡ حَآجُّوكَ
فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ
وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ
بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ
ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ
أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٢

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ
ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۖ
وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ
لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن
تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن
تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ
فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾
لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ
وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ
تُقَىٰةًۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ
إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَيَعْلَمُ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾

ألم ينته علمك أيها النبي الكريم إلى خبر الذين أعطوا نصيبا من الكتب -المنزلة إنعاما من الله: اليهود والنصارى، وبعض منتسبي الإسلام- يجري دعوتهم إلى كتاب الله ليحكم -ما أنزل- بينهم، ثم يعرض فريق منهم متنحيا عن شرعه، وهم معرضون عن الدين منصرفون: ليس ينفعهم تذكير ولا تحذير؟ **٢٣**
ذلك -الإعراض عن التحاكم إلى ما أنزل الله عندما لا يوافق حكم الله أهواءهم، رغم اعترافهم بوجوب الإجابة إلى ما أنزل الله- بسبب أنهم زعموا أن لن تنالهم النار -فليسوا بداخليها- إلا فترة وجيزة جدا -ففعلهم بزعمهم كفر دون كفر!- وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون: فخدعوا أنفسهم بما اختلقوا! **٢٤**
فائدة! ما أكثر ما يتناقل العوام -بل وكثير من الدعاة المسلمين- أقوالا خاطئة لا أصل لها، حتى تنتشر وتصدق بل وتصير بمثابة الأصول والمسلمات! فليحذروا إثم ذلك كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ كفى بالمرء إثما أن يُحدِّث بكل ما سمع. ﴾ [مسلم ٥ * أبو داود ٤٩٩٢].

تَثَبَّتَ مؤمنٌ مِنْ كُلِّ حَرفٍ ... وحَدَّثَ ناقِلًا كَذِبًا فَجورُ

فكيف -يكون حال من يريد التحاكم إلى غير شرع الله- إذا جمعهم الله ليوم -القيامة- لا ريب فيه: آت حتما؟ وأعطيت كل نفس جزاء ما كسبت من عمل وافيا، وهم -عنده- لا يظلمون. **٢٥**
ادع أيها النبي الكريم: اللهم مالك الملك -مالك الدنيا والآخرة- تعطي الملك من تشاء -فالجميع لك عباد- وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء -فتكون له الغلبة- وتذل من تشاء -في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما جميعا- بيدك -وحدك دون سواك- الخير، إن قدرتك مطلقة لا يعجزك شيء. **٢٦**
تدخل الليل في النهار فيطول وقت النهار، وتدخل النهار في الليل فيطول وقت الليل، وتعاقب بينهما، وتخرج الحي من الميت -كإخراج ذرية مؤمنة من كفار والحيوان من النطفة والطائر من البيضة والزرع من الحب- وتخرج الميت من الحي -كإخراج ذرية كافرة من مؤمنين والنطفة من الحيوان والبيضة من الطائر والحب من الزرع- وتعطي من تشاء كما تشاء بغير عد ولا حساب. **٢٧**
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أنصارا وأعوانا من دون المؤمنين -متجاوزين إخوانهم، بل كونوا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه. ﴾ [مسلم ٢١٦٧ * أبو داود ٥٢٠٥ * الترمذي ١٦٠٢ * أحمد ٧٦١٧]- ومن يفعل ذلك -ويواليهم فهو كما قال تعالى ﴿ ومن يَتَوَلَّهم منكم فإنه منهم ﴾ [المائدة ٥١]- فقد برئ من الله وبرئ الله منه، إلا أن تتخذوا وقاية منهم أمرا يجب اتقاؤه -فيجوز مع إضمار بغض كفرهم إظهار بعض لين، دون أن تضرونا!- ويحذركم الله نفسه -فلا تعصوه- وإلى الله المرجع في الآخرة. **٢٨**
فائدة! اتخاذ وقاية من الكفار يكون بالكلام حال ضعفنا، دون فعل ضار كالحكم بغير شرعنا أو قتلنا!

ومَنْ قالوا وِقايةُ إذْ يُوالوا الـ ... كوافرَ في حُكومتِهِم يُبيروا

أخبر أيها النبي الكريم المؤمنين إن يخفوا ما في صدورهم -ومن جملته اتخاذ الكافرين أنصارا وأعوانا- أو يبدوه يعلمه الله، ويعلم ما في السماوات وما في الأرض، وقدرة الله مطلقة لا يعجزه شيء. **٢٩**

يوم -القيامة- تجد كل نفس ما عملت من خير حاضرا قد أتي به غير منقوص، وما عملت من سوء
-كذلك تجده كما قال تعالى ﴿ فمن يعمل مِثقال ذَرَّة خيرا يَره. ومن يعمل مِثقال ذَرَّة شرا يَره. ﴾
[الزلزلة ٧ ٨]- تحب وتتمنى لو أن بينها وبين السيئ من عملها زمنا بعيدا -ومسافة كذلك- ويحذركم
الله نفسه -مجددا، فلا تعصوه- والله شديد الرأفة بعباده: يحذرهم عصيان أوامره، مرارا وتكرارا. ٣٠
أخبر أيها النبي الكريم الناس إن كانوا يحبون الله فليتبعوك -فحب الله ليس كلاما بغير عمل! فإن هم
فعلوا- يحببهم الله، ويغفر لهم ذنوبهم، والله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. ٣١
أخبرهم أن يطيعوا الله والرسول -في الظاهر والباطن- فإن أعرضوا متنحين -ولم يتبعوا القرآن والسنة فقد
عصوا الله والرسول، فمن فضل الكفر على الإيمان- فإن الله لا يحب -بل يبغض- الكافرين. ٣٢
فائدة! برهان محبة الله هو طاعته واتباع ما أنزل، أما ادعاء محبته دون طاعة واتباع فهراء لا نفع له.

وَمَنْ يَزعُمْ مَّحبَّةَ ربِّ خَلْقٍ ... يُطِعْ مَبعوثَهُ فهوَ النَّذيرُ

إن الله اصطفى آدم -خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته وكلمه- ونوحا
-جعله أول رسول إلى أهل الأرض حين أشركوا وعبدوا الأصنام- وآل إبراهيم -جعل النبوة فيهم، ومنهم
محمد ﷺ، سيد ولد آدم، وأنزل عليهم وحيه وكتبه وجعلهم منهم ملوكا- وآل عمران -من آل إبراهيم
عليه السلام، ومنهم عيسى ابن مريم عليه السلام، اختار هؤلاء جميعا وفضلهم- على أهل زمانهم. ٣٣
ذرية بعضها من بعض -هؤلاء الأنبياء وأتباعهم، متناصرون في الدين، يتوارثون الفضائل والمكارم- والله
سميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها: فهو يصطفي ممن يستحق. ٣٤
اذكر أيها النبي الكريم حين دعت امرأة عمران ربها ذاكرة أنها ألزمت نفسها بجعل ما في بطنها -من
حمل- له، محررا -من كل شيء، ليعبده سبحانه ويخدم بيته- من ثم دعته فليتقبل منها -نذرها- إنه
هو السميع لكافة ما يقول عباده، العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ٣٥
فلما وضعت حملها -ووجدت أنها أنثى- تحسرت -على فوات ما كانت ترجوه لحملها- مخبرة ربها
أنها وضعتها أنثى، والله أعلم بما وضعت -وبما سيكون من شأنها- وليس الذكر -الذي كانت ترجوه
ليخدم بيت الله، في القوة والخلقة، ولن يكون أبدا- كالأنثى، وذكرت أنها سمتها مريم، وأنها تعيذها
به -هي- وذريتها -ملتجئة إليه أن يحفظهم ربهم- من -وسوسة- الشيطان المطرود المبعد. ٣٦
فتقبلها ربها، سالكا بها طريقا حسنا -وحفظها وابنها عيسى عليه السلام من الشيطان كما ورد عن النبي ﷺ
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخا من
مس الشيطان، غير مريم وابنها. ﴾ [البخاري ٣٤٣١ * مسلم ٢٣٦٦ * أحمد ٧١٨٢]- وأنشأها نشأة
حسنة -في بدنها وأخلاقها، وقرنها بالصالحين- وضمها زكريا وقام بكفالتها، كلما دخل عليها زكريا
المحراب -مكان عبادتها- وجد عندها رزقا -قيل كان يجد الفاكهة في غير موسمها- سألها يا مريم
كيف لك هذا؟ أجابت بأنه من عند الله، إن الله يعطي من يشاء كما يشاء بغير عد ولا حساب. ٣٧

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ
نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ
فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ
وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾
فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ
طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ
يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ
مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ
كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر
رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذۡ قَالَتِ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ
عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي
وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ
وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ
وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى
ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

في هذا المقام دعا زكريا ربه، سأل ربه أن يمنحه من عنده ذرية طيبة -الأخلاق، تقية- إنه -سبحانه- سميع الدعاء: مستجيب لمن يدعوه من المؤمنين بما يجوز وبقلب حاضر لو كان كسبه حلالا. **٣٨**
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب -مكان عبادته- أن الله يبشره بيحيى -ابن سيولد له، قد اختار سبحانه له اسمه، سيكون- مصدقا بكلمة من الله -عيسى ﷺ كما قال تعالى ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ [النساء ١٧١]- وسيدا -على قومه، في العلم والعبادة- وحصورا -ممتنعا عن الشهوات لا يجامع النساء- ونبيا من الصالحين. **٣٩**
سأل ربه كيف يكون له غلام، وقد بلغه كبر السن -فصار ﷺ شيخا كبيرا- وامرأته عاقر: لا تلد، هل يصيرا أصحاء؟ أم غير ذلك؟ جاءته الإجابة: مثل ذلك الفعل غير المألوف الله يفعل ما يشاء. **٤٠**
سأل ربه أن يجعل له علامة -ليتأكد أن ما سمعه ليس وسوسة شيطان- أجابه بأن علامته ألا يكلم الناس -فلا يستطيع لسانه الكلام إلا المداومة على ذكر الله- ثلاثة أيام -لا يستطيع التواصل خلالها معهم- إلا إشارة وإيماء، وأمره أن يذكر ربه كثيرا، وينزهه ويقدسه ولا سيما آخر النهار وأوله. **٤١**
واذكر أيها النبي الكريم حين أخبرت الملائكة مريم أن الله اصطفاها، وطهرها -من الكفر والنقائص- واصطفاها -مجددا- على نساء زمانها: فحازت منتهى الفضائل كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ﴿ كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. ﴾ [البخاري ٣٤١١ * مسلم ٢٤٣١ * الترمذي ١٨٣٤ * ابن ماجة ٣٢٨٠ * أحمد ١٩٥٢٣]، لتكون أما لعيسى ﷺ. **٤٢**
يا مريم اقنتي لربك -فأطيلي القيام في الصلاة، وداومي على طاعته خاضعة خاشعة- واسجدي واركعي مع الراكعين: كما يفعلون، واخضعي لربك خاشعة مخلصة له مع من آمن به، تخبرها الملائكة. **٤٣**
ذلك -المذكور من خبر زكريا ﷺ ومريم رضي الله عنها- من أخبار الغيب يوحيه الله إليك أيها النبي الكريم، وما كنت لديهم -حاضرا مع أهل العلم والصلاح- حيث يلقون أقلامهم -مقترعين- أيهم يضم مريم ويقوم بكفالتها، ولم تكن لديهم حيث يختصمون: من منهم أولى بتربيتها. **٤٤**
فائدة! الاقتراع -فيما لا بينة فيه ولا قرينة عليه- مشروع للمسلمين حين يريدون الاختيار، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ﴾ [البخاري ٢٥٩٣ * مسلم ٢٧٧٠ * أبو داود ٢١٣٨ * ابن ماجة ١٩٧٠ * أحمد ٢٦٣١٤].

ونَقرَعُ إنْ أردناهُ اختيارًا ... بِسُنَّتِهِ اقتَدى خَلْقٌ كثيرُ

اذكر حين أخبرت الملائكة مريم أن الله يبشرها -بولد، يكون خلقه- بكلمة منه -بأن يقول: "كن"، فيكون، دون حاجة إلى أب- اسمه المسيح -قيل لأنه يمسح على المريض فيبرأ من مرضه بإذن الله- عيسى ابن مريم، ذا وجاهة ومنزلة عظيمة في الدنيا والآخرة، ومن المقربين: إلى الله. **٤٥**

ويكلم الناس في المهد -وهو رضيع، بما فيه صلاح الدنيا والآخرة- وكهلا كبيرا كذلك يكلمهم، ومن الصالحين: هو، عليه السلام. **٤٦**

فائدة! الكلام في المهد لم يختص الله به المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وحده كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم، وصبي كان في زمان جريج، وصبي آخر ﴾ [البخاري **٣٤٣٦** ★ مسلم **٢٥٥٠** ★ أحمد **٨٠٧٢**]، فالله يمتن على من يشاء من عباده بما يشاء من فضله، فلله الفضل والمنة.

وإنْ يُرِدِ الحكيمُ فكُنْ يَقُلها ... لهُ الفضلُ، استَجابَ لهُ الخُيُورُ

سألت ربها -متعجبة رضي الله عنها- كيف يكون لها ولد، ولم ينلها -بجماع- بشر؟ جاءتها الإجابة: مثل ذلك الخلق بطريق خارق للعادة لم يألفه البشر الله يخلق ما يشاء -كيفما شاء- إذا قضى أمرا فإنما يأمره -سبحانه- بالتَّكُّون فيكون، لا يستعصي عليه ولا يمتنع منه. **٤٧**

ويعلمه الكتابة والعلم الشرعي وفوائده وحكمه، والسداد في القول والإصابة في العمل، والتوراة -كتاب موسى عليه السلام، ليحتج عيسى عليه السلام به على اليهود- والإنجيل: الذي سينزله عليه، ليعمل به ويحكم. **٤٨**

فائدة! طلب العلم الشرعي فرض عين إن توقف عليه معرفة عبادة أو معاملة يريد المرء أداءها.

ونَطلبُ عِلمَ شَرعِ اللهِ دَومًا ... وعندَ ضرورةٍ فَرضًا يَصيرُ

ورسولا إلى بني إسرائيل -يرسله الله إليهم، فيخبرهم- أنه قد جاءهم بآية دالة على صدقه من ربهم: أنه يخلق -بأن يصنع- لهم من الطين تماثيل الطير فينفخ فيه فيكون طيرا -حيا- بإذن الله ومشيئته، ويبرئ الأكمه -من ولد أعمى، وقيل من بعينه مسح، وقيل من لا يبصر بالليل، فيبصر- والأبرص -من بجلده بياض، فيعود سليما- ويحيي الموتى بإذن الله ومشيئته، ويخبرهم بما يأكلون وما يدخرون -أو يخفون من طعام- في بيوتهم، إن في ذلك -المذكور من خوارق العادة- لآية دالة على صدقه لهم، إن كانوا غير كاذبين في ادعاء الإيمان. **٤٩**

ومصدقا وموافقا لما أنزل قبله في التوراة -جاءهم، عليه السلام- وليحل لهم -تخفيفا عليهم- بعض الذي حرم عليهم، وجاءهم بآية دالة على صدقه -من خوارق العادة- من ربهم، فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه -يا بني إسرائيل- وأطيعوه: هو رسول الله الذي أكرمكم سبحانه بإرساله إليكم. **٥٠**

إن الله -وحده دون سواه- ربه ورب بني إسرائيل -الذي خلقه وخلقهم ورزقه ورزقهم وأعطاه الإنجيل وجعله نبيا، أقر عيسى ابن مريم عليه السلام بذلك- من ثم أمر بني إسرائيل فليعبدوا الله وحده لا شريك له، هذا -الإخلاص لله بعبادته دون سواه- طريق مستقيم واضح غير المعوج موصل إلى الله وجنته. **٥١**

فلما شعر عيسى منهم -عنادا، وأدرك إصرارهم على- الكفر -إذ أرادوا قتله عليه السلام- سأل من أنصاره -في دعوته- إلى الله؟ أجاب الحواريون -صفوة أنصاره عليه السلام- بأنهم أنصار -دين- الله: آمنوا بالله، وأشهدوه وطلبوا أن يشهد -يوم القيامة- بأنهم مسلمون -لله، وحده دون سواه- منقادون. **٥٢**

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ
ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن
رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ
فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ
وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ
هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ
ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾
إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ
مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم
مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ
عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ
عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾
فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ
نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا
وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

أردف الحواريون -متوسلين بإيمانهم- ربنا آمنا بما أنزلت -من كتب- واتبعنا الرسول -عيسى عليه السلام، فيما جاء به- فاجعلنا مع الشاهدين لك بالوحدانية ولأنبيائك بالصدق. **٥٣**

ومكروا -حيث تآمر الكفار من بني إسرائيل عليه عليه السلام، يريدون قتله- ومكر الله -بهم جزاء على تآمرهم، فاستدرجهم فغرقوا في ضلالهم- والله خير الماكرين وأفضلهم. **٥٤**

حيث أخبر الله عيسى أنه متوفيه -كوفاة الأنفس في المنام كما قال تعالى ﴿ الله يتوفَّى الأنفس حين موتها والتي لم تمُت في منامها فيُمسك التي قضى عليها الموت ويُرسل الأخرى إلى أجل مُسَمَّى ﴾ [الزُّمَر ٤٢]- ورافعه إليه -روحا وبدنا إلى السماء- ومطهره من الذين كفروا -ومنزهه عليه السلام من رجسهم، ومخرجه من بينهم، فمكر بهم سبحانه بأن ألقى شبهه على أحدهم، فأخذوا الشبيه وصلبوه ظانين أنه المسيح عليه السلام كما قال تعالى ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم ﴾ [النساء ١٥٧]- وجاعل الذين اتبعوه -فيما جاء به كما هو، دون تفريط اليهود وغلو من جعلوه إلها، ومن جملة الذين اتبعوه فيما جاء به كما هو المسلمون- فوق الذين كفروا -بالبرهان والحجة، كذلك العز والغلبة- إلى يوم القيامة، ثم إلى الله رجوعهم في الآخرة، فيحكم سبحانه بينهم فيما كانوا فيه يختلفون: فيجازي كلا بما قدم. **٥٥**

فائدة! تغلب الكفار على المسلمين يحدث أحيانا، عقابا لنا على الابتعاد عن ديننا وجهاد أعدائنا.

وإنْ يُرِدِ العزيزُ بنا عِقابًا ... على إسرافِنا غَلَبَ الحَقيرُ

فأما الذين كفروا فيعذبهم الله عذابا شديدا في الدنيا -بالقتل والجرح والأسر وسبي النساء والذراري وضياع الأموال- والآخرة -في النار- وليس لهم من ينصرهم ويدفع عنهم عذابه سبحانه. **٥٦**

وأما الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة فيعطيهم ثوابهم وافيا، والله لا يحب -بل يبغض- الظالمين لأنفسهم بالكفر ولغيرهم بالصد عن الإيمان. **٥٧**

ذلك -المذكور من خبر عيسى عليه السلام ومريم عليها السلام- يقرأه الله عليك أيها النبي الكريم من الآيات الدالة على صدق نبوتك، والذكر الحكيم المحكم المشتمل على الحكمة الذي لا خلل فيه. **٥٨**

إن مثل -خلق- عيسى عند الله كمثل -خلق- آدم -كلاهما من غير أب، ويزيد خلق آدم عليه السلام تعقيدا أنه من غير أم- خلقه -سبحانه- من تراب، ثم أمره بالتَّكُّون فكان -بشرا- كما يريد سبحانه. **٥٩**

الحق -جاءك- من ربك أيها النبي الكريم، فلا ينتبك -ولا ينتب أحدا من أمتك- أدنى شك فيه، ولا في أن النصارى كفار معاندون، يعلمون أنك على حق ساطع كضوء الشمس. **٦٠**

فمن نازعك بالحجج -الباطلة، من نصارى نجران الذين قاموا بذلك، أو من غيرهم- في أمر عيسى عليه السلام -زاعما أنه الإله أو ابنه ونحو ذلك، وليس عبد الله ورسوله- من بعد ما جاءك من العلم -الحق- فادعهم -للمباهلة والملاعنة- يأتوا تجمعوا أبناءكم وأبناءهم ونساءكم ونساءهم وأنفسكم وأنفسهم، ثم تبتهلوا -جميعا، متضرعين إلى الله بالدعاء- فتدعوا أن يطرد الله الكاذبين من رحمته. **٦١**

إن هذا -الذي يقصه الله- لهو القصص الحق -وغيره باطل- وما من معبود بحق إلا الله -لا عيسى
عليه السلام ولا غيره- وإن الله لهو العزيز في قدرته لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٦٢
فإن أعرضوا متنحين عما تدعوهم إليه -ولم يتبعوك- فإن الله عليم بالمفسدين، وسيجازيهم. ٦٣
ادعُ أيها النبي الكريم أهل الكتاب يأتوا يجتمعوا معكم على كلمة عدل بينكم وبينهم تشتركون فيها لا
يختص بها فريق دون الآخر: ألا تعبدوا إلا الله، ولا تشركوا به شيئا -ولا أحدا، مهما ارتفع قدره!- ولا
يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله -يحرمون ما أحل أو يحلون ما حرم، أو يطيعون من يشرع بما
يخالف ما أنزل، فما الأمر إلا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿ لا طاعة
لمخلوق في معصية الله عز وجل. ﴾ [البخاري ٧٢٥٧ ★ مسلم ١٨٤٠ ★ أبو داود ٢٦٢٥ ★ النسائي
٤٢٠٥ ★ أحمد ١٠٩٥]، فمن فعل غير ذلك فكأنما جعل المخلوق فوق الخالق- فإن أعرضوا متنحين
عما تدعوهم إليه فأشهدوهم -أيها المؤمنون- بأنكم مسلمون -لله، وحده دون سواه- منقادون. ٦٤
يا أهل الكتاب لماذا تنازعون بالحجج -الباطلة- في شأن إبراهيم -عليه السلام، إذ يدعي كل فريق من اليهود
والنصارى أنه كان على ملته- وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعد موته؟ أفلا تنتفعون بعقولكم؟! ٦٥
فائدة! العلم بالتاريخ طريق لرد كثير من الأقوال والدعاوى الباطلة.

وإنْ يُرِدِ العليمُ لنا وضُوحًا ... يُعَلِّمْنا، فبالتاريخِ نورُ

ها أنتم -يا- هؤلاء نازعتم -النبي ﷺ- بالحجج فيما لكم به علم -مما تجدونه في كتبكم- فلماذا
تنازعون بالحجج فيما ليس لكم به علم؟ والله يعلم -كل أمر- وأنتم لا تعلمون ما فيه صالحكم كما
يعلمه الله، ولا أن المجادلة بغير علم لا خير فيها. ٦٦
فائدة! المجادلة بغير علم منهي عنها، وهي بمثابة الجدال بالباطل.

لَئِنْ كُنَّا مُحاجِّي أهلَ جَورٍ ... فبالعِلمِ الَّذي وَهَبَ الخبيرُ

ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا -حاشاه عليه السلام- ولكن كان حنيفا مائلا عن جميع الأديان الباطلة إلى
الإسلام مسلما -لله- منقادا، وما كان من المشركين ولا شأن له بهم وإن زعموا أنهم على ملته. ٦٧
إن أولى الناس بإبراهيم وأحقهم بالانتساب إليه للذين اتبعوه -فاتبعوا ما جاء به في زمانه- وهذا النبي
-محمد ﷺ- والذين آمنوا -بما جاء به- والله ولي المؤمنين وناصرهم. ٦٨
أحبت وتمنت طائفة -خبيثة- من أهل الكتاب لو يضلونكم -أيها المؤمنون، ليردوكم عن دينكم- وما
يضلون إلا أنفسهم -فوبال سعيهم الفاسد وعملهم الخبيث عائد عليهم، فهم يغرقون أنفسهم أكثر في
عذاب الله كما قال تعالى ﴿ الذين كفروا وصَدُّوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يُفسدون. ﴾ [النحل ٨٨]- وما يشعرون بذلك لفرط حماقتهم. ٦٩
يا أهل الكتاب لماذا تكفرون بآيات الله -التي في كتبكم، ومن جملتها صفة النبي ﷺ والأدلة على
نبوته، فتكتموا الحق ولا تتبعوه ﷺ- وأنتم -بصحة ما في كتبكم- تشهدون؟ ٧٠

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ
بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾
هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ
تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا
وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾
إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ
وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ
بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ
لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ
ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ
عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ
وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ
ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ
يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ
إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي
ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا
أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ
إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾

يا أهل الكتاب لماذا تخلطون الحق -وهو واضح إذ أنزله ربكم- بالباطل -مفترين عليه- وتكتمون الحق -فيلتبس على عباده أمر دينهم، ألا يتأمل الصامتون على ردة حكامهم؟!- وأنتم تعلمون نبوته ﷺ؟ **٧١**

وأمرت طائفة من -سادة وكبراء- أهل الكتاب -أتباعهم- أن يؤمنوا -في الظاهر- بما أنزل على الذين آمنوا -القرآن- أول النهار، ويكفروا آخره، رجاء أن يرجعوا: فيرتد المسلمون إن اعتراهم شك وظنوا أن الإسلام دين باطل، إذ لو كان صحيحا ما ارتد عنه أهل الكتاب بعد أن دخلوه وعلموا ما جاء به. **٧٢**

فائدة! من وسائل المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر التشكيك في الدين من داخله لهدم ثوابته في نفوس المسلمين، فلا عجب أن عقابهم عند الله أشد من عقاب الكفار الأصليين كما قال تعالى ﴿ إنَّ المنافقين في الدَّرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا. ﴾ [النساء ١٤٥].

ونَحذَرُ أهلَ كُفرٍ أو نِفاقٍ ... وإنْ كانوا رؤوسًا ذا خطيرُ

وأمروهم ألا يطمئنوا إلا لمن تبع دينهم ولا يصدقوا غيرهم، أخبرهم أيها النبي الكريم أن الهدى هدى الله -فدين الله الحق هو ما أرسلك لخلقه به كما قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه ﴾ [آل عمران ٨٥]، إنما الأمر الخشية- أن يعطى أحد مثل ما أعطوا -من علم- أو يقيموا عليهم الحجة عند ربهم -إن اطمأنوا لغيرهم فحدثوهم بأن صفته ﷺ في التوراة- أخبرهم أن الفضل بيد الله، يعطيه من يشاء -ليس مقصورا عليهم كما زعموا كما قال تعالى ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبَّاؤه ﴾ [المائدة ١٨]- والله واسع الفضل، عليم بالسرائر والنيات وبمن هم أولى بفضله. **٧٣**

يختص برحمته -فيتفضل بالنبوة والهداية والعلم، وغير ذلك على- من يشاء، والله ذو الفضل العظيم: فلله الفضل والمنة. **٧٤**

ومن أهل الكتاب من إن تستأمنه على مال كثير يؤده إليك -دون نقص أو مماطلة أو تسويف- ومنهم من إن تستأمنه على مال قليل لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه ملحا مطالبا، ذلك -الميل إلى ظلمكم- بسبب أنهم زعموا أن ليس عليهم في -جحد وأكل حقوق العرب- الذين لا يقرؤون ولا يكتبون أي وسيلة إلى مؤاخذة أو تبعة، ويتقولون على الله الكذب، وهم يعلمون أنهم يكذبون ويفترون عليه. **٧٥**

بلى: عليهم إثم، من التزم الوفاء بما عاهد عليه -الله فأدى ما أوجبه عليه، والناس فأدى الأمانات إلى أهلها- واتقى بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه فإن الله يحب المتقين. **٧٦**

إن الذين يشترون بعهد الله -ومن جملتهم من لا يعملون بما أنزل- وأيمانهم -فيقسمون أيمانا غمس، تغمس الحالف في الإثم والنار- قليلا من حطام الدنيا من مال أو جاه هؤلاء لا حظ لهم في الآخرة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ﴿ من حلف على يمين هو فيها فاجر، ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان ﴾ [البخاري ٢٤١٦ * مسلم ١٣٨ * أبو داود ٣٢٤٣ * الترمذي ١٢٦٩ * ابن ماجة ٢٣٢٣ * أحمد ٣٥٩٧]، ولا يكلمهم الله -بما يسرهم- ولا ينظر إليهم يوم القيامة -نظرة رحمة- ولا ينزههم من إثمهم -ولا يثني عليهم- ولهم عذاب أليم. **٧٧**

وإن من أهل الكتاب لفريقا يلوون ألسنتهم بنصوص كتبهم -فيزيدون أو ينقصون أو يحرفون- لتحسبوا -أيها المؤمنون- ما يتفوهون به من نصوص كتبهم، وما هو من نصوص كتبهم، ويزعمون أنه من عند الله، وما هو من عند الله، ويتقولون على الله الكذب، وهم يعلمون أنه يكذبون عليه. **٧٨**

ما صح لبشر أن يعطيه الله -أحد- الكتب والحكم -والحكمة والعلم- والنبوة ثم يأمر الناس أن يكونوا عبادا له -فيعبدوه- من دون الله -كما قال تعالى ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتَّخذوني وأميَ إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ﴾ [المائدة ١١٦]- ولكن يكونوا أرباب علم -معلمين للناس ومربيهم، بذلك ينصحهم- بسبب تعليمهم -غيرهم- الكتاب -المنزل، وكذلك سنة أنبياء الله- وبسبب دراستهم: ما جاءهم من علم. **٧٩**

فائدة! من أعظم الخلق مرتبة بعد الأنبياء أرباب العلم: الجامعون بين العلم والعمل وتربية الناس، ومن يكتم شيئا مما لا يجوز كتمانه -مثل أن الحكم بشرع الله عبادة كما قال تعالى ﴿ إن الحكم إلا لله أمَر ألَّا تعبدوا إلا إيَّاه ذلك الدين القيِّم ﴾ [يوسف ٤٠]، وأن العبادة لا تصرف لغير الله كما قال تعالى ﴿ إيَّاك نعبد ﴾ [الفاتحة ٥]- لا يمت لأرباب العلم بصلة.

وهذا عالِمٌ، بالحقِّ يَشدو ... ويَعمَلُ جاهِدًا لا يستديرُ

ولا يأمرهم أن يتخذوا الملائكة والأنبياء أربابا -فالعبادة لا تصرف إلا لله- أيأمرهم بالكفر بعد إذ صاروا مسلمين -لله- منقادين؟! **٨٠**

واذكر أيها النبي الكريم حين أخذ الله عهد الأنبياء الثقيل: لمهما -وبسبب ما- أعطاهم سبحانه من كتب -منزلة- وحكمة -فاصلة بين الهدى والضلال- ثم جاءهم -وهم أحياء- رسول مصدق وموافق لما معهم -مما أعطاهم من كتب وحكمة يعلمون بهم الحق من الباطل- ليؤمنن به ولينصرنه -وليأمرن أممهم أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه ويجاهدوا معه- من ثم سألهم أأقروا -بذلك- وأخذوا عليه عهد الله الشديد؟ أجابوا بأن أقروا، أمرهم فليشهدوا -على بعضهم البعض، وعلى أممهم كذلك- وأخبرهم أنه معهم -سبحانه، على إقرارهم وشهادتهم على بعضهم البعض وعلى أممهم- من الشاهدين. **٨١**

فمن أعرض متنحيا عن الإيمان بمحمد ﷺ بعد ذلك -العهد الشديد المؤكد بشهادة الله وأنبيائه- فهؤلاء هم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله. **٨٢**

أفغير دين الله -الإسلام، الذي اختاره لعباده- يلتمسون؟ وله -سبحانه- أسلم وانقاد من في السماوات -من ملائكة- والأرض طوعا -الذين آمنوا طواعية من أهلها- وكرها -كمنافق يظهر الإسلام ليعصم دمه وماله، ومن أسلم بعد هزيمة أو أسر، أو خشية القتل بعد أن ظهر الدين كما قال تعالى في آية السيف ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]، والذي يعاين عذاب الله نازلا به كفرعون حين أدركه الغرق: فلا ينفعه حينئذ إيمان كما قال تعالى ﴿ فلَم يكُ ينفعهم إيمانهم لمَّا رأَوا بأسنا ﴾ [غافر ٨٥]- وإليه وحده يرجعون في الآخرة ليجازيهم أتم الجزاء. **٨٣**

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ
ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن
تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ
إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم
مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا
مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ
عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم
مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ
وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن
يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيۡفَ
يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ
ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ
بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ
كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ
ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

أجب هؤلاء الخارجين عن طاعة الله أيها النبي الكريم بأنكم آمنتم بالله وما أنزل عليكم -من قرآن- وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء من ذرية يعقوب ﷺ، وما أعطي موسى -من توراة- وعيسى -من إنجيل- والأنبياء -من كتب- من ربهم، لا تفرقون بين أحد منهم -بل بأنبياء الله جميعا تؤمنون- وأنتم له -سبحانه، وحده دون سواه- مسلمون منقادون. **٨٤**

ومن يلتمس -بعد بعثة محمد ﷺ، سواء كان من أهل الكتاب أو من غيرهم- غير الإسلام دينا فلن يقبل منه -دينه الذي فضل على الإسلام، ولا عمله- وهو في الآخرة من الهلكى الخاسرين. **٨٥**

فائدة! الديموقراطية دين يجعل التشريع لغير الله، وليست شورى ولا آلية انتخاب حاكم أو نواب للأمة.

دَمَقرَطَةٌ هيَ الكُفرُ البَواحُ ... بشَرعِ اللهِ يَحكُمُ مُستَنيرُ

كيف يوفق الله ويرشد قوما كفروا بعد إيمانهم؟ وشهدوا أن الرسول حق: فعصوه؟ وجاءهم البينات: أمر إلهي بعدم مخالفته ﷺ؟! والله لا يوفق ولا يرشد القوم الظالمين لأنفسهم بالإصرار على الكفر. **٨٦**

هؤلاء جزاؤهم أن عليهم طرد من رحمة الله، ودعاء من الملائكة والناس جميعا -مؤمنهم وكافرهم، يوم القيامة- بالطرد منها. **٨٧**

خالدين في الطرد من رحمة الله ملازمين لها دائما أبدا، لا يخفف عنهم العذاب -في الآخرة- ولا هم يمهلون ليتوبوا بعد أن مضى وقت الإمهال بانقضاء حياتهم الدنيا. **٨٨**

إلا الذين تابوا من بعد ذلك -الكفر والردة عن دين الله، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم تندم، فأرسل إلى قومه سلوا لي رسول الله ﷺ: هل لي من توبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلانا قد ندم، وإنه أمرنا أن نسألك: هل له من توبة؟ فنزلت: ﴿ كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم ﴾ إلى قوله ﴿ غفور رحيم ﴾ فأرسل إليه فأسلم. ﴾ [النسائي ٤٠٦٨ * أحمد ٢٢١٨]- وأصلحوا ظاهرهم وباطنهم وما فسد من أحوالهم فإن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. **٨٩**

إن الذين كفروا بعد إيمانهم -مرتدين عن الإسلام- ثم ازدادوا كفرا -فطعنوا في الإسلام أو آذوا أهله، فهؤلاء ردتهم مغلظة ليست مجردة، ومن جملتهم من يبدل شرع الله، فيحكم بقوانين تخالفه ثم يجبر الناس عليها بشوكة السلاح أو القانون أو غير ذلك- لن تقبل توبتهم -فإذا قدرنا عليهم قتلناهم فورا دون استتابة، وإذا تابوا عند الغرغرة أو يوم القيامة لا يقبلها الله- وهؤلاء -عن الحق وطريقه- هم الضالون. **٩٠**

إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم مقدار ما يملأ الأرض ذهبا ولو افتدى به -نفسه مقابل الانفكاك من النار كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ يجاء بالكافر يوم القيامة، فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا، أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك. ﴾ [البخاري ٦٥٣٨ * مسلم ٢٨٠٥ * أحمد ١٣٢٨٨]، إذ تعين شقاؤهم الأبدي- هؤلاء لهم عذاب أليم، وليس لهم من ينصرهم ويدفع عنهم عذابه سبحانه. **٩١**

لن تنالوا البر -فتصلوا إلى مرتبة أهل البر في الجنة- حتى تنفقوا -من أموالكم الحلال أيها المؤمنون، نصرة لدين الله في الجهاد ووجوه البر- مما تحبون -من نفائس أموالكم- وما تنفقوا من شيء -قليلا كان أو كثيرا، مما تحبون أو من غيره- فإن الله به عليم، وسيجازيكم على حسب نياتكم ونفعه. **٩٢**
كل -صنوف- الطعام -الطيب غير الخبيث- كان حلالا لبني إسرائيل، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ فقالوا: فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه، قال: اشتكى عرق النسا، فلم يجد شيئا يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها، فلذلك حرمها، قالوا: صدقت ﴾ [الترمذي **٣١١٧** ★ أحمد **٢٤٨٣**]، حرمها يعقوب عليه السلام- من قبل أن تنزل التوراة، تحداهم أيها النبي الكريم -إن استمروا يكذبون ما أنزل الله: أنه حرم عليهم ما حرم بسبب ظلمهم وبغيهم كما قال تعالى ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرَّمنا عليهم طيبات أُحلت لهم وبصدِّهم عن سبيل الله كثيرا. ﴾ [النساء ١٦٠]- فليأتوا بالتوراة فيقرؤوها، إن كانوا صادقين في زعمهم أنه كان محرما من قبلهم. **٩٣**
فائدة! نسخ الأحكام ليس مستحدثا في الإسلام كما يزعم أهل الكفر والنفاق.

وأحكامًا يُبدِّلُها الخبيرُ ... كذلكَ سابقًا فَعَلَ البصيرُ

فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك -البيان والبرهان- فهؤلاء هم الظالمون لأنفسهم بتعريضها لسخط الله. **٩٤**
أخبرهم -وقد شهدوا بصدقك- أن صدق الله -إذًا- فليتبعوا ملة إبراهيم حنيفا مائلا عن جميع الأديان الباطلة إلى الإسلام، وما كان من المشركين ولا شأن له بهم وإن زعموا أنهم على ملته. **٩٥**
إن أول بيت وضع -في الأرض- للناس -ليعبدوا ربهم- للذي بمكة -يزدحمون للطواف به- كثير النفع والخير، وهداية للخلائق جميعا: بما اختصه الله به من عبادات عظيمة تقام فيه. **٩٦**
فيه آيات بينات وأدلة جلية -على قدرة الله وشرف بيته- مقام إبراهيم -حجر كان يقف عليه عليه السلام أثناء بناء الكعبة- ومن دخله -من الناس أو الوحش أو الطير- كان آمنا -فأمنوه- ولله على الناس حج البيت -زيارته لأداء مناسك الحج- لمن استطاع إليه وصولا، ومن كفر -نعمتي الصحة والمال فلم يحج وهو قادر، أو لم ير الحج واجبا فارتد عن الإسلام- فإن الله غني عن -حجه وعن- الخلائق جميعا. **٩٧**
سل أيها النبي الكريم أهل الكتاب -موبخا- لماذا يكفرون بآيات الله: المنزلة إليك، بل والمنزلة إليهم التي تشهد بصدق نبوتك؟ والله مطلع على ما يعملون شاهد عليه، وسيجازيهم به. **٩٨**
سل أهل الكتاب -مستنكرا موبخا- لماذا يصدون عن طريق الله من آمن يريدون لهم انحرافا عنه، وهم -على أنه دين الله الحق المصدق والموافق لما في كتبهم- شهداء: رغم ذلك يصدون عنه؟! وما الله بغافل عما يعملون من كفر به وصد عن دينه، وسيجازيهم به. **٩٩**
يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من أهل الكتاب من يهود ونصارى يردوكم بعد إيمانكم كافرين: فهم لحسدهم يحاولون التحريش والوقيعة بينكم، لتعادوا بعضكم بعضا وتوالوهم، فتصيروا بذلك منهم. **١٠٠**

لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ
ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾
فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ
إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ
مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾
قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا
مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ
رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ
نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ
فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ
ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ
تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ
بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾
وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ
وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ
وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ
فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ
وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ
ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

وكيف تكفرون -تاركين صحيح الدين- وأنتم تقرأ عليكم آيات الله -المنزلة في قرآنه، باستمرار- وفيكم رسوله: سنته محفوظة بينكم ترشدكم، أفلا تتبعونها؟! ومن يلتجئ إلى الله -ملتزما بقرآنه وبسنة رسوله- ويتمسك به فقد وفق وأرشد إلى طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إلى الله وجنته. ١٠١

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه حق تقاته -وذلك إلى أقصى استطاعتكم كما قال تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن ١٦]- والزموا الإسلام ولا تموتن إلا وأنتم عليه. ١٠٢

والتجؤوا إلى الله وتمسكوا بسببه -دينه وكتابه وسنة رسوله- جميعا -وبجماعة المسلمين، وثقوا بوعده- ولا تفرقوا -فتتحزبوا- واذكروا نعم الله عليكم، إذ كنتم أعداء -يقتل ويسبي بعضكم بعضا، فجمعكم على دينه- فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بسبب نعمه إخوانا -في الدين، متحابين- وكنتم على شفير حفرة من النار -بسبب أنكم كنتم كفارا- فأنقذكم منها، مثل ذلك البيان الجلي يبين الله لكم آياته لتنفعكم في الدنيا والآخرة، رجاء أن تهتدوا وتعملوا بما أنزل فتثبتوا على الطريق القويم. ١٠٣

فائدة! لزوم جماعة -أو دولة- المسلمين واجب عندما يقيم إمامها شرع الله، أما من يحكم بقوانين وضعية ولا يسعى لإقامة شرع الله فلا يعد ولي أمر للمسلمين، ولا سمع له ولا طاعة، وعصيانه فيما يخالف فيه شرع الله واجب وليس خروجا عن الجماعة المسلمة كما يزعم المرجئة وعلماء السلطان.

ونُنكِرُ مُنكَرًا، ليسَ الإمامُ ... بِغيرِ الشَّرعِ يَحكُمُ أو يُديرُ

ولتكن منكم جماعة يدعون إلى الخير -وما يقرب إلى الله- ويأمرون بما دل الشرع والعقل على حسنه وينهون عما دلا على قبحه، وهؤلاء هم الفائزون الباقون في النعيم الدائم، الناجون من المهالك. ١٠٤

ولا تكونوا كالذين تفرقوا -فتحزبوا في الدين: أهل الكتاب- واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات -أمر إلهي بالتمسك بالجماعة ونبذ الاختلاف والابتداع- وهؤلاء لهم -في الآخرة- عذاب عظيم. ١٠٥

يوم -القيامة- تبيض -من الفرح والبشرى- وجوه -أهل الإيمان والعمل الصالح، فلهم النعيم- وتسود -من الحزن والبؤس- وجوه -غيرهم، ومن جملتهم أهل الكتاب الذين كفروا بالنبي ﷺ بعد إيمانهم بصفته في كتبهم، والمرتدين والمنافقين والمبتدعة- فأما الذين اسودت وجوههم -فتوبيخا وتقريعا من قبله سبحانه يسألون- أكفرتم بعد إيمانكم؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم: يأمر الله بعذابهم. ١٠٦

وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله -تدخلهم جنته- هم فيها خالدون لا يخرجون منها. ١٠٧

فائدة! يوفق الله العبد الصالح بفضله لعمل ما يجعله أهلا لرحمته سبحانه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ لن يدخل أحدا عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا ﴾ [البخاري ٥٦٧٣ * مسلم ٢٨١٦ * أحمد ٩٨٣١].

وإنْ يُرِدِ الرحيمُ لنا جِنانًا ... يَزِدْ مِنْ فضلِهِ، رَحِمَ الغفورُ

تلك آيات الله -تتضمن وعده ووعيده- يقرأها سبحانه عليك أيها النبي الكريم بالحق -صادقة لا ريب فيها أو شك- وما الله يريد ظلما لأحد من الخلائق جميعا: بل أنذرهم لئلا يعصاه إنس أو جن. ١٠٨

ولله ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وإلى الله ترجع أمور عباده ليقضي فيها. ١٠٩

كنتم -يا أمة محمد ﷺ- خير وأفضل أمة أوجدت -على الإطلاق، إذ أنتم الأكثر نفعا- للناس -كما جاء على لسان أبي هريرة رضي الله عنه « ﴿ كنتم خير أمّة أُخرجت للناس ﴾ قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام. » [البخاري ٤٥٥٧]: تدعون إلى الله وطريق الحق، وتجاهدون طلبا، فتبذلون أموالكم وأنفسكم نصرة لدينه، لتخرجوا الأمم الكافرة من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وستظلون الأفضل ما ظللتم- تأمرون بما دل الشرع والعقل على حسنه وتنهون عما دلا على قبحه، وتؤمنون بالله -وبثوابت الإسلام، ثابتين على عقيدتكم دون ابتداع- ولو آمن أهل الكتاب -بما جاء به محمد ﷺ- لكان خيرا لهم وأفضل -ولشملتهم رحمة الله، فأدخلهم في الآخرة جنته- منهم المؤمنون -الذين آمنوا بما جاء به ﷺ- وأكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله. ١١٠

لن يضركم أهل الكتاب إلا أذى -معظمه بألسنتهم، والأذية لا يلزم منها حدوث ضرر كما قال تعالى مثبتا الأذى ﴿ إنَّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ﴾ [الأحزاب ٥٧] ونافيا الضرر ﴿ إنهم لن يضرُّوا الله شيئا ﴾ [آل عمران ١٧٦]- وإن يقاتلوكم يولوكم الظهور فارين، ثم -من عذاب الله- لا ينصرون: إذ لا يملك أحد دفع ما يلاقون -بأيديكم، أيها المجاهدون- من عذابه. ١١١

فائدة! من كان على هدي النبي ﷺ وأصحابه لن يضره يهود ولا نصارى، أما من يخالف شرع الله فيحكم بقوانين وضعية منحيا الشريعة الإلهية، أو يقاتل قتالا جاهليا لغرض آخر -غير أن تكون كلمة الله هي العليا، كمن يقاتل تحت رايات وطنية أو قومية ونحو ذلك- فهؤلاء لا يمثلون الإسلام.

نُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ حَصرًا ... ولا نَخشى كَفورًا لا يَضيرُ

أحاط بهم -ولا سيما اليهود- الذل والتصاغر أين ما وجدوا وتم التمكن منهم، إلا بسبب من الله -فإنه يعزهم إن اعتنقوا الإسلام- أو بسبب من الناس -ينصرهم البعض: بالباطل- ورجعوا بغضب من الله قد استحقوه، وأحاط بهم البؤس والمهانة ودناءة النفس، ذلك -العقاب والذل والمهانة- بسبب أنهم كانوا يكفرون بآيات الله -فديدنهم إنكار الحق- ويقتلون الأنبياء -بكثرة- بلا أدنى حق، ذلك -كله حدث لهم- بسبب عصيانهم واعتياد تجاوز حدود الله، وكانوا دائمي الاعتداء على عباده. ١١٢

ليسوا متساويين! من أهل الكتاب جماعة قائمة -مستقيمة على دين الله، أسلموا كعبد الله بن سلام رضي الله عنه ومن آمن معه- يقرؤون آيات الله -المنزلة في قرآنه- ساعات الليل وهم -خاشعون- يصلون. ١١٣

يؤمنون بالله -وحده لا شريك له- واليوم الآخر -البعث والحساب، إيمانا لا افتراء فيه على الله- ويأمرون بما دل الشرع والعقل على حسنه وينهون عما دلا على قبحه، ويبادرون إلى تقديم الخيرات -مغتنمين مواسم الطاعة، كرمضان وعشر ذي الحجة ونحو ذلك- وهؤلاء من الصالحين. ١١٤

وما يفعلوا من خير -قليلا كان أو كثيرا- فلن يعدموا ثوابه ولن ينقص منه شيئا، والله عليم بالمتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه وبنياتهم، ولهم أتم الجزاء. ١١٥

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿١٠٩﴾
كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ
ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ
ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ
يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ
ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ
وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ
بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيۡسُواْ
سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ
ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا
يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ
ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ
كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ
ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ
سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ
شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

إن الذين كفروا لن تنفعهم ولن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا -إن قدر سبحانه ضررا في الدنيا، أما في الآخرة فالعبرة بالإيمان والعمل الصالح كما قال تعالى ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقَرِّبكم عندنا زُلفى إلا من آمن وعمل صالحا ﴾ [سبإ ٣٧]- وهؤلاء ماكثون في النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها. ١١٦

مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا -في وجوه البر كصلة الرحم والصدقة ونحو ذلك، في عدم نفعه وبطلان ثوابه- كمثل ريح فيها برد شديد أصابت زرع قوم ظلموا أنفسهم كفرا وعصيانا لربهم فأهلكته -فلم ينتفع أصحابه بما قد أنفقوا، وقد كانوا يترقبون حصاده والاستفادة به- وليس ظلما من الله -عدم قبول نفقاتهم- ولكن أنفسهم يظلمون بالكفر والمعاصي، فاستجلبوا العقاب، وبطلت أعمالهم. ١١٧

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا خواصا يطلعون على أسراركم من دونكم -من أهل الكفر، فواقع الأمر أن هؤلاء- لا يدخرون جهدا في طلب عنائكم وهلاككم والتسبب في ذلك، يحبون ويتمنون لكم العناء والإثم، قد بدت الكراهية من أفواههم -بالطعن في دينكم وإفشاء أسراركم والتحريش والوقيعة بينكم، لتعادوا بعضكم بعضا- وما تخفي صدورهم -من كراهية لكم- أكبر -مما بدا- قد بين الله وأظهر لكم الآيات الدالة على ما فيه صلاح دنياكم وآخرتكم، إن كنتم تعقلون ما أنزل إليكم فلا تأمنوهم! ١١٨

فائدة! لا ترفعوا من وضع الله! على أصحاب الأعمال ومسؤولي التوظيف -إن كانوا يعقلون- الحذر من تولية أو تعيين غير المسلمين، فأهل الكفر لا يدخرون جهدا فيما فيه مضرتنا وفساد حالنا.

ولا يُرفَعْ كَفورٌ قَدْ أُذِلَّ ... وَضيعٌ يُبغِضُ الإسلامَ بُورُ

ها أنتم أيها الذين آمنوا تحبون أهل الكفر، ولا يحبونكم، وتؤمنون بالكتب -التي أنزل الله- كلها -وهم لا يؤمنون بكتابكم- وإذا التقوا بكم تظاهروا بأن آمنوا -فمنهم منافقون يظهرون لكم الإيمان ويبطنون الكفر، ومنهم من يزعمون التصديق بصلاحية دينكم وبأن اختلافكم معهم في الدين "لا يفسد للود قضية"- وإذا اختلوا منفردين -بحيث لا يكون فيهم من ليس منهم- عضوا أطراف الأصابع من الغيظ منكم -تحسرا من عجزهم عن إلحاق عظيم ضرر بكم- ادعُ أيها النبي الكريم -وكل فرد من أمتك- عليهم أن يموتوا بغيظهم -كمدا، مستمرين على ما هم عليه من كفر، ليكون مصيرهم خلود في النار- إن الله عليم بكل ما في صدور الخلق من إيمان وكفر، ومن خير وشر. ١١٩

إن ينلكم أمر حسن -مهما كان صغيرا- يستاؤوا ويحزنوا، وإن يصبكم أمر سيئ يفرحوا به، وإن تصبروا على طاعة الله وأقداره -ومن جملتها ابتلاؤكم بهؤلاء الكفرة- وتتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه -ومن جملتها موالاتهم، فاجتنبوا موالاة أهل الكفر!- لا تضركم مكائدهم شيئا، إن الله على علم تام وإحاطة كاملة بما يعملون في السر والعلن، وسيجازيهم بأعمالهم. ١٢٠

واذكر أيها النبي الكريم حين خرجت أول النهار من أهلك -من منازل المدينة يوم أُحد- تنزل المؤمنين مواقع للقتال -وترتبهم- والله سميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ١٢١

اذكر حين همت طائفتان منكم أن تفشلا -همتا بالمغادرة مع عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه- والله وليهما وناصرهما -ثبتهما لم ينسحبا- وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في جميع أحوالهم. **١٢٢**
ولقد نصركم الله ببدر -أيها المؤمنون، على مشركي قريش- وأنتم أذلة -قليلو العدد والعدة- فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، رجاء أن تشكروه على نعمه ورحمته بكم. **١٢٣**
اذكر أيها النبي الكريم حين سألت المؤمنين -مثبتا لهم يوم بدر، حين سمعوا بمدد يأتي المشركين- ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة -لينصروكم، من السماء- منزلين؟ **١٢٤**
بلى: يكفيكم، إن تصبروا على طاعة الله وأقداره -ومن جملتها شدائد الجهاد- وتتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه -ومن جملتها عصيان نبيه ومخالفة أوامره- ويأتوكم -المشركون مع مددهم، الآن فورا- من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة معلمين بعلامات مميزة. **١٢٥**
وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشرى لكم -لتفرحوا- ولتطمئن قلوبكم به -فلا تجزع، ولا تهتم بعدد العدو ولا بعدته- وما النصر إلا من عند الله العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه: ليس بالأسباب المادية المجردة. **١٢٦**
ليقطع -سبحانه- طرفا من الذين كفروا -بالقتل- أو يحزنهم ويذلهم -بالهزيمة- فيعودوا خائبين. **١٢٧**
ليس لك أيها النبي الكريم من الأمر شيء -بل أمرهم إلى الله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أُحد وشج في جبهته، حتى سال الدم على وجهه، فقال: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فنزلت هذه الآية: ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون. ﴾ ﴾ [مسلم **١٧٩١** ★ الترمذي **٣٠٠٢** ★ ابن ماجة **٤٠٢٧** ★ أحمد **١١٩٥٦**]، يحزنهم ويذلهم- أو يوفقهم للتوبة -إن أسلموا- أو يعذبهم -إن ماتوا على كفرهم- فإنهم -حينئذ- ظالمون لأنفسهم بالكفر: استمروا عليه حتى الموت. **١٢٨**
فائدة! أيعرف مسلمو اليوم قدر الجهاد؟ ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ والذي نفسي بيده، لوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل ﴾ [البخاري **٢٧٩٧** ★ مسلم **١٨٧٦** ★ النسائي **٣٠٩٨** ★ ابن ماجة **٢٧٥٣** ★ أحمد **١٠٥٢٣**].

أُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ كُفرًا ... لأُقتَلَ ثُمَّ أُقتَلَ لا أخورُ

ولله ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، يغفر لمن يشاء -من أهل الإيمان بفضله- ويعذب من يشاء -بعدله- والله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. **١٢٩**
يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا -متعاملين به- بزيادات متكررة مضاعفة -ولا بغيرها: لا تقربوه مطلقا- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، رجاء أن تفلحوا فيكون مصيركم الجنة. **١٣٠**
واتخذوا وقاية من النار التي أعدت للكافرين: فاستحلال الربا كفر، وتعاطيه بلا استحلال كبيرة. **١٣١**
وأطيعوا الله والرسول -في الظاهر والباطن- رجاء أن تدركوا رحمة ربكم فتفوزوا. **١٣٢**

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾
وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ
وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾
لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ
لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

* وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ
عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ
فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ
لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا
فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن
رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ
أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧
هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨
وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩
إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ
ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠

وبادروا إلى -ما يوجب- مغفرة من ربكم -بطاعته طلبا لرضاه، فالإيمان قول وعمل ونية- وجنة -بالغة الاتساع- عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه. **١٣٣**
الذين ينفقون -أموالهم، في طاعته طلبا لمرضاته، ومن أفضل الإنفاق جهادهم بالمال ومشاركتهم في نفقة الجهاد- في -حال- اليسر والعسر -بلا رياء- والكاتمين الغيظ -مع قدرتهم على الانتقام تنفيسا لغضبهم- والعافين عن الناس -إذا كان الذين ظلموهم أو تسببوا في ظلمهم أهلا للعفو- والله يحب المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. **١٣٤**
والذين إذا فعلوا فاحشة -كالزنا كما قال تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ﴾ [الإسراء ٣٢] وغيره- أو ظلموا أنفسهم عصيانا لربهم ذكروا الله فطلبوا المغفرة لذنوبهم -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ﴿ ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ﴾ [أبو داود ١٥٢١ * الترمذي ٤٠٦ * ابن ماجة ١٣٩٥ * أحمد ٢]- ومن يغفر الذنوب إلا الله؟ ولم يصروا على ما فعلوا -بل ندموا، وعزموا على الإقلاع عنه- وهم يعلمون حاله أنه معصية. **١٣٥**
هؤلاء جزاؤهم مغفرة من ربهم، وجنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- وما أحسن ثواب العاملين: إذ لا يصح إيمان دون عمل. **١٣٦**
فائدة! الإيمان قول وعمل ونية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ومن أخرج العمل عن مسمى الإيمان -زاعما أنه شرط كمال، ليغض الطرف عمن حكم بغير شرع الله أو والى الكافرين أو عادى المسلمين أو نصر من سب النبي ﷺ أو حارب الله ورسوله، فلم يكفر من أتى بنواقض الإسلام- ضال مضل.
وَلَسنا أهلَ إرجاءٍ وجَهلٍ ... فقولوا واعملوا الإيمانُ نورُ
قد مضت من قبلكم سنن -إلهية كثيرة، ووقائع في إهلاك الكفار ونصر المؤمنين بعد ابتلائهم، فما يوم أُحد إلا جولة في صراع الحق والباطل، ليس نهايته- فتجولوا في الأرض -أيها الناس- فتأملوا كيف كان مصير المكذبين بأنبيائهم من الأمم السابقة وما حل بهم من عقاب. **١٣٧**
هذا -القرآن- بيان للناس -يظهر الحق من الباطل- وهداية من الضلال وموعظة للمتقين منهم. **١٣٨**
ولا تفتروا ولا تحزنوا -أيها المؤمنون وإن غلبوكم في بعض الأحيان- وأنتم الطائفة الأعلى -بمؤازرة الله لكم أنتم الغالبون بالحجة وبالسلاح، وآخر الأمر لكم- إن كنتم غير كاذبين في ادعاء الإيمان. **١٣٩**
فائدة! المسلم مطالب بعدم الاستسلام للضعف والحزن إن هزم، بل بسعي للنصر مع التضرع والتوبة.
وإنْ نُهزَمْ تَجِدنا قَدْ بَدأنا ... بلا كَلَلٍ نُصلِّي أو نُغِيرُ
إن ينلكم جراح وقتل -يوم أُحد- فقد نال القوم -المشركين- جراح وقتل -يوم بدر- مثله، وتلك أيام الدنيا يداولها الله بين الناس -فطورا يغلب المؤمنون، وتارة يغلب الكفار- وليظهر الله علمه بالذين آمنوا -لم ينافقوا- ويتخذ منكم شهداء -إكراما منه أيها المؤمنون، يجاهدون، فيقتلهم الكفار- والله لا يحب -بل يبغض- الظالمين لأنفسهم بالنفاق وبترك الجهاد ولغيرهم بالصد عن الإيمان وعن الجهاد. **١٤٠**

وليميز الله الذين آمنوا -من الذين نافقوا، فغدوا كافرين- ويستأصل الكافرين -جميعهم- ويهلكهم. **١٤١**
فائدة! ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ من وصل صفا وصله الله، ومن قطع صفا قطعه الله عز وجل. ﴾ [أبو داود ٦٦٦ ٭ النسائي ٨١٩ ٭ أحمد ٥٧٢٤]، هذا في قطع صف الصلاة، فكيف بمن قطع صف المجاهدين الذين يصاولون أعداء الدين وسعى جاهدا في تثبيطهم؟

ومَنْ قَطَعَ الصفوفَ ولمْ يُبالِ ... بوحدَتِنا يُقَطِّعْهُ القديرُ

أم ظننتم -أيها المؤمنون- أن تدخلوا الجنة دون أن يظهر الله علمه بالذين جاهدوا منكم ويظهر علمه بالصابرين على طاعته وأقداره: ومن جملتها شدائد الجهاد؟ **١٤٢**

ولقد كنتم -يا من لم يشهد يوم بدر من المؤمنين- تمنون الموت -لتستشهدوا نصرة لدين الله- من قبل أن تلقوا القتال، فقد رأيتم القتال -فلم يثبت البعض- وأنتم -إلى الموت عيانا- تنظرون. **١٤٣**
فائدة! يجوز تمني الشهادة في سبيل الله، ولكن يجب على من يتمناها العمل بمقتضى ما يتمناه.

نُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ نَرجو الـ ... شَهادةَ مُقبِلينَ، ارزُقْ بصيرُ

وما محمد إلا رسول قد مضت من قبله الرسل -فهو من جنسهم- أفإن مات -كغيره من رسل الله- أو قتل -وكان أشيع يوم أُحد أنه ﷺ قتل- عدتم عن دينكم: مرتدين، أو أدبرتم عن القتال؟ ومن ينقلب عن دينه مرتدا أو يدبر عن القتال فلن يصيب -ملك- الله بأي ضرر -بالردة أو عصيان أمره، فالله غني عنه وعن إيمانه وجهاده- وسيجزي الله الشاكرين: شكروا نعمة الإسلام، فثبتوا وجاهدوا وصبروا. **١٤٤**
فائدة! يجب ألا يتوقف الجهاد لفقد أحد من القادة، مهما عظم قدره أو بلغت منزلته ومهارته.

نُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ هذا ... لنا دَربٌ، وإنْ فُقِدَ الأميرُ

وما صح لنفس أن تموت إلا بإذن الله ومشيئته -بقضائه وقدره- مستوفية المدة التي كتبها بالغة أجلها -فالآجال ثابتة، لا تتقدم لإقدام أو شجاعة، ولا تتأخر لجبن أو حرص- ومن يرد -بعمله- ثواب الدنيا يعطه الله منها -من زينتها وزخرفها ما قدر له- ومن يرد -بعمله- ثواب الآخرة يعطه الله منها -كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عَشر أمثالها ﴾ [الأنعام ١٦٠]- وسيجزي سبحانه الشاكرين. **١٤٥**

وكم من نبي قاتل معه جمع من أتباعه كثير -منهم من لم يعاصره- فما وهنوا -ولا فتروا- لما أصابهم في سبيل الله نصرة لدينه -من قتل وجرح وأسر- وما ضعفوا وما استكانوا -لعدو الله ولا خضعوا، بل ثبتوا وجاهدوا وصبروا- والله يحب الصابرين على طاعته وأقداره: ومن جملتها شدائد الجهاد. **١٤٦**

وما كان قولهم إلا أن دعوا ربهم -متقبلين قضاءه وقدره- أن يغفر لهم ذنوبهم وإسرافهم -وأي تجاوز للحدود- في أمرهم -كله- ويثبت أقدامهم -وقلوبهم فيفوزوا- وينصرهم على القوم الكافرين. **١٤٧**

فأعطاهم الله ثواب الدنيا -من نصر وغنيمة وعزة وتمكين- وثواب الآخرة الحسن -من فوز برضا ربهم وبجنته، ووقاية من الفضيحة والذل والعار والنار يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ يوم لا يُخزي الله النبيَّ والذين آمنوا معه ﴾ [التحريم ٨]- والله يحب المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. **١٤٨**

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ
حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ
مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن
قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ
ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ
ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ
ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ
وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ
رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ
وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن
قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا
وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ
ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩
بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠ سَنُلۡقِي
فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ
مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ
مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ
وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ
وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم
مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن
يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ
وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢
۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ
وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ
غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا
مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣

يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا -من يهود ونصارى ومشركين فيما يقترحون من كفر وضلال- يردوكم عن دينكم -كفارا- فتعودوا خاسرين: في الدنيا والآخرة، وأي صلاح في ترك الإسلام؟! **١٤٩**
بل الله متولي أموركم، وهو خير الناصرين وأفضلهم: إذ لا تحتاجون معه أحدا، فكفوا عن طاعة طوائف الكفر جميعها واتركوا موالاتها، وأطيعوه سبحانه باتباع نبيه والالتزام بسننه. **١٥٠**
سيلقي سبحانه في قلوب الذين كفروا الرعب -كما فعل عندما أراد مشركو قريش استئصال المسلمين، فهموا بالعودة بعد انصرافهم من أُحد، فأرعبهم الله- بسبب أن أشركوا بالله ما لم ينزل بجعله شريكا له برهانا، ومستقرهم النار، وبئس منزل الظالمين لأنفسهم بالكفر. **١٥١**
فائدة! الشرك لا يقتصر على اتخاذ الأوثان والأحجار أندادا لله، بل هو اتخاذ أي أحد أو شيء شريكا له سبحانه، ومن الأوثان المعاصرة الدساتير والقوانين الوضعية التي تخالف الشريعة الإسلامية، فتحل ما حرم الله وتحرم ما أحل، واستحلال العمل بهذه الأوثان المعاصرة، أو العمل على فرضها وسيادتها من ضروب الشرك وعبادة مشرعيها، فالواجب هدم كل ما يخالف ما أنزل الله في نفوس المسلمين والعمل على نسف بناء الشرك، حتى تنهار هذه الأوثان وتزول فتنة التشريع والحكم بغير شرع الله ويكون الدين كله لله كما قال تعالى ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ [الأنفال ٣٩].

نُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ قَومًا ... فلَمْ نُشرِكْهُ قَانونًا يَجورُ

ولقد صدقكم الله وعده -فأنجزه ونصركم عليهم يوم أُحد، في أول الأمر- حيث تستأصلونهم قتلا بإذنه ومشيئته، حتى إذا فشلتم -فانسحبتم- وتنازعتم في الأمر -أتثبتون في مواقع الرمي، أم تتركونها لجمع الغنائم؟- وعصيتم -أمر النبي ﷺ بالثبات في مواقعكم- من بعد ما أراكم ما تحبون -من نصر وظفر، فضعفتم وجبنتم- منكم من يريد -غنيمة- الدنيا -فذهبوا يجمعون الغنائم- ومنكم من يريد -ثواب- الآخرة -فثبتوا حيث أمرهم النبي ﷺ مع عبد الله بن جبير رضي الله عنه، وكذلك الذين لم يضطربوا كأنس بن النضر رضي الله عنه- ثم صرفكم عنهم -منهزمين- ليختبركم -سبحانه، فيتبين الصابر من الجازع- ولقد عفا عنكم -بعد أن تركتم مواقعكم وانهزمتم واضطربتم، فلم يستأصلكم بعد كل ما كان منكم- والله ذو فضل واسع على المؤمنين: تفضل عليهم بالإسلام، وعفا عن سيئاتهم، وأثابهم على مصائبهم. **١٥٢**
اذكروا -أيها المؤمنون- حيث تمعنون في الهرب -إذ كان لا هم لكم إلا الفرار- ولا تلوون على أحد -فلا تلتفتون- والرسول يدعوكم في المتأخرين منكم -من خلفكم، وهو بينكم وبين المشركين، لتثبتوا وإليه ترجعوا، فلم تلتفتوا وتخلفتم عنه- فجزاكم -سبحانه على ذلك- غما -لما أصابكم من هزيمة وقتل وجراح، ولما فاتكم من نصر وغنيمة، موصولا- بغم -أنساكم جميع ما قبله: لما أشيع قتل النبي ﷺ، قدر الله هذا الغم الأخير- لكيلا تحزنوا على ما فاتكم -من نصر وغنيمة- ولا ما أصابكم -من هزيمة وقتل وجراح، فتتمرنوا على المصائب، ويهون عليكم كل غم إذا تحققتم أن النبي ﷺ حي لم يقتل- والله خبير بجميع أعمالكم، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. **١٥٣**

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ
يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ
مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟
وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

ثم أنزل عليكم من بعد الغم -الذي أصابكم، رغم بقاء أسباب الخوف- أمنا: نعاسا -ألقاه سبحانه- يغمر ويغطي طائفة منكم -الذين خرجوا للقتال طلبا لثواب الله- وطائفة -أخرى: الذين خرجوا للقتال طلبا للغنيمة، لم يأتهم أمن ولا نعاس- قد أهمتهم أنفسهم -هؤلاء لا هم لهم إلا الخلاص والسلامة- يظنون بالله غير الحق -أن أمر النبي ﷺ باطل، فلن ينصره الله ولن يتم له ما يدعو إليه، كمثل- ظن -أهل- الجاهلية، يتساءلون -ظنا أنها هزيمة قاصمة لن تقوم بعدها للإسلام قائمة- هل لنا من الأمر من شيء: خرجنا للقتال مكرهين وما كان الأمر بيدنا، فكيف ننتصر ونغنم؟ أخبرهم أيها النبي الكريم أن الأمر كله لله -ليس لهم ولا لغيرهم منه شيء، فالنصر والغنيمة بيده سبحانه، وهو الذي قدر لهم الخروج- يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك -من شك ونفاق أضمروه- يحدثون أنفسهم بأن لو كان لهم من الأمر شيء ما قتل منهم هاهنا -إذ كانوا سيختارون البقاء في بيوتهم- أخبرهم أن لو كانوا في بيوتهم -بعيدين عن ساحة القتال- لظهر الذين كتب عليهم القتل -فتوجهوا- إلى مراقدهم -التي تم قتلهم فيها- وليبتلي الله -مختبرا- ما في صدوركم -من إخلاص، أيها المسلمون- وليميز ما في قلوبكم -من نفاق- والله عليم بكل ما في صدور الخلق من إيمان وكفر، ومن خير وشر. **١٥٤**

فائدة! قضاء الله لا يرد، والآجال ثابتة، لا تتقدم لإقدام أو شجاعة، ولا تتأخر لجبن أو حرص.

وآجالَ الوَرى كَتَبَ المَليكُ ... قُعودُكَ لنْ يَزيدَكَ، لا تَخوروا

إن الذين أعرضوا منكم -أيها المؤمنون- متنحين عن القتال -فأدبروا وانهزموا- يوم التقى الجمعان -أنتم ومشركو قريش، يوم أُحد- إنما استدعى الشيطان زللهم بسبب بعض ما كسبوا -من آثام- ولقد عفا الله عنهم -فلم يستأصلهم، بل وفقهم للتوبة- إن الله واسع ودائم المغفرة، حليم لا يعاجل بعقاب. **١٥٥**

يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا -بالقضاء والقدر، ونافقوا- وزعموا عن إخوانهم -في النفاق أو في النسب- إذا خرجوا في سفر -للتجارة وغيرها- أو كانوا غازين -فماتوا أو قتلوا- لو كانوا عندهم -لم يسافروا ولم يغزوا- ما ماتوا وما قتلوا، ليجعل الله ذلك -الاعتقاد- حسرة في قلوبهم -فالواجب هو كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان. ﴾ [مسلم **٢٦٦٤** ★ ابن ماجة **٧٩** ★ أحمد **٨٧٩١**]- والله يحيي الخلائق ويميتها -فتحرز المرء ليس يمنع إتيان أجله، ولا يغني حذر من قدر- والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. **١٥٦**

ولئن قتلتم في سبيل الله نصرة لدينه أو متم -أيها المؤمنون، نصرة لدينه- لمغفرة من الله ورحمة -تدفع عنكم عذاب القبر والنار وأهوال القيامة، وتدخلكم الجنة- خير مما يجمع طلاب الدنيا وأفضل. **١٥٧**

فائدة! الشهادة في سبيل الله من المنازل الرفيعة التي تستجلب المغفرة والرحمة.

نُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ إنَّ الـ ... شَهادةَ بَعدَها فَوزٌ وحُورُ

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ
لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ
بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن
يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ
كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾
هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ
مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ
أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ
قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

ولئن متم -على أي وجه- أو قتلتم لإلى الله تصيرون ليجازيكم بأعمالكم: فجاهدوا لتتقوا عقابه. **١٥٨**
فبسبب رحمة عظيمة من الله لنت أيها النبي الكريم لهم -فسهلت أخلاقك، وترفقت بأصحابك- ولو كنت فظا غليظ القلب -حاشاك، شديدا قوله وفعله- لتفرقوا من حولك، فاعف عنهم -إن قصروا في حقك- واطلب لهم المغفرة -من الله، على تقصيرهم في حقه- وشاورهم في الأمر -الذي يحتاج مثله إلى مشاورة- فإذا عزمت -على أمر، وقد شاورتهم فيما يحتاج ذلك- فاعتمد على الله وحده في جميع أحوالك -وامض موقنا بأن الأمر لله ليس لتدبيركم- إن الله يحب المتوكلين المفوضين إليه أمرهم. **١٥٩**
فائدة! الشورى لازمة وليست ملزمة، فالقائد يلزمه استشارة أهل الخبرة والتخصص، ثم هو يتخذ القرار بنفسه ويعزم على إنفاذه متوكلا على الله، دون التقيد برأي فريق معين أو بعدد أدنى أو بأغلبية.

ويَلزَمُنا استِشارةُ أهلِ رأيٍ ... لِيَتَّخِذَ القرارَ بنا المُديرُ

إن يؤيدكم الله بنصره ومعونته -أيها المؤمنون- فلا غالب لكم -ولو اجتمع عليكم الإنس والجن- وإن يخذلكم -سبحانه، لترككم طاعته، فيكلكم إلى أنفسكم- فمن ذا الذي -يستطيع أن- يؤيدكم بنصر أو معونة من بعده؟ وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في جميع أحوالهم. **١٦٠**
فائدة! دين الله منتصر رغما عن الحاقدين، فلنعمل لنكون ممن يصطفيهم الله لنصرة دينه.

ودِينُ اللهِ مُنتصِرٌ فأقبِلْ ... على العَمَلِ المُفيدِ لكَ الأُجورُ

وما صح لنبي أن يخون بكتمان شيء من الغنيمة -عن أصحابه، وما صح لهم أن يظنوا به ذلك- ومن يخن بكتمان شيء من الغنيمة يأت بما خان وكتم يوم القيامة -حاملا إياه على ظهره- ثم تعطى كل نفس جزاء ما كسبت من عمل وافيا، وهم -عند الله- لا يظلمون. **١٦١**
أفمن اتبع رضا الله -ففعل ما أمر به نبيه- كمن رجع بسخط من الله -بسبب عصيان أوامره سبحانه، ومن جملة العصيان الخيانة بكتمان شيء من الغنيمة- ومستقره جهنم، وبئس المصير؟ **١٦٢**
هم مراتب -متفاوتة- عند الله -فمراتب من أرضاه رفيعة، ومراتب من أسخطه وضيعة، وكل بحسب عمله- والله بصير بما يعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. **١٦٣**
لقد أنعم الله وتفضل على المؤمنين، حيث بعث فيهم رسولا من جنسهم البشري، يقرأ عليهم ألفاظ آياته، وينزههم من الكفر والمعاصي والرذائل، ويعلمهم القرآن وسنته التي ترشد إلى الحكمة، وإن كانوا من قبل -بعثته ﷺ- لفي ضلال واضح عن الحق، لا يعرفون للرشاد سبيلا. **١٦٤**
أولما أصابتكم -أيها المؤمنون- مصيبة -يوم أُحد، حين قتل منكم سبعون- قد أصبتم ضعفيها -يوم بدر، حين قتلتم من أعدائكم سبعين وأسرتم سبعين- تساءلتم كيف -ونحن مؤمنون، والنبي ﷺ فينا أصابنا- هذا؟ أجبهم أيها النبي الكريم بأنه من عند أنفسكم -فبسبب مخالفة أوامره ﷺ عاقبكم الله- إن الله قدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك الانتصار من أعدائكم، لكن له حكمة في ابتلائكم كما قال تعالى ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوَ بعضكم ببعض ﴾ [محمد ٤]. **١٦٥**

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦
وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ
أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ
وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ
لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم
مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ * يَسۡتَبۡشِرُونَ
بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ
ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ
فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣

وما أصابكم -من هزيمة وقتل وجراح- يوم التقى الجمعان -أنتم ومشركو قريش، يوم أُحد- فبإذن الله
ومشيئته -بقضائه وقدره- وليظهر علمه بالمؤمنين: الصادقين الثابتين الصابرين. ١٦٦
وليظهر علمه بالذين نافقوا، وجرى دعوتهم يأتوا يقاتلوا في سبيل الله نصرة لدينه، أو يدفعوا -الاعتداء
عن أنفسهم- زعموا أن لو يعلموا قتالا -يشب- لاتبعوكم -لقتال الكفار معكم- هم للكفر يومئذ -عند
من ظن أنهم مسلمون- أقرب منهم للإيمان -وهم للكفار أقرب نصرة ومودة منهم للمسلمين- يتفوهون
بما ليس في قلوبهم -بل يضمرون ضده- والله أعلم بما يكتمون من نفاق وكفر، وسيجازيهم به. ١٦٧
الذين زعموا لإخوانهم -في النفاق أو في النسب- وقعدوا -فحالهم أنهم قد تخلفوا عن القتال- أن لو
أطاعهم المؤمنون -وما خرجوا للقتال- ما قتلوا، أخبرهم أيها النبي الكريم فليدفعوا عن أنفسهم الموت،
إن كانوا صادقين في زعمهم أن تحرز المرء يمنع إتيان أجله، أو أن الحذر يغني من القدر. ١٦٨
ولا تظنن -أيها المؤمن- الذين قتلوا في سبيل الله نصرة لدينه أمواتا، بل أحياء عند ربهم، يرزقون: من
النعيم ما لا يعلمه إلا الله،كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ لما أصيب
إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى
قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ
إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب؟ فقال الله سبحانه:
أنا أبلغهم عنكم، قال: فأنزل الله: ﴿ ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم
يُرزقون. ﴾ ﴾ [أبو داود ٢٥٢٠ * أحمد ٢٣٨٨]. ١٦٩
فرحين بسبب ما أعطاهم الله من فضله -إذ أكرمهم بالشهادة، فصاروا إلى الجنة- ويستبشرون بالذين
لم يلحقوا بهم من خلفهم -من إخوان الإسلام والجهاد، أن ينالوا الشهادة مثلهم، فالحال- ألا خوف
عليهم -في الآخرة- ولا هم يحزنون: على ما من الدنيا فاتهم ولا على من في النار ممن أحبوا. ١٧٠
يستبشرون بنعمة من الله وفضل -بعد أن أمنوا العذاب- وأن الله لا يضيع ثواب المؤمنين. ١٧١
الذين استجابوا لدعوة الله والرسول -بالخروج إلى حمراء الأسد من غد يوم أُحد، على ما كان بهم من
جراح، لإرهاب مشركي قريش- من بعد ما أصابهم الجراح والقتل، للذين أحسنوا منهم -النية والعمل-
واتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه -وإن لم يقدر الله لهم أن يلتقوا المشركين- ثواب عظيم. ١٧٢
الذين أخبرهم -بعض- الناس -عقب يوم أُحد- أن القوم -مشركي قريش- قد جمعوا لهم -حاشدين،
ولاستئصالهم عائدون، ناصحين- فليخشوهم -ويتجنبوا القتال- فزادهم -كلام هؤلاء- إيمانا -فالإيمان
يزيد وينقص، ثم ازدادوا ثباتا ويقينا وخرجوا لهم- وذكروا أن حسبهم الله ونعم الوكيل -كافيهم الله، وهو
أحسن من يفوض إليه عبد أمره- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ حسبنا
الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿ إنَّ الناس قد
جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبُنا الله ونعم الوكيل ﴾ ﴾ [البخاري ٤٥٦٣]. ١٧٣

فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ
رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾
وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ
شَيۡـٔٗاۚ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ
شَيۡـٔٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا
نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ
عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ
عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ
ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ
بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ
مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾

فعادوا بنعمة من الله وفضل -وثواب عظيم، سالمين- لم ينلهم سوء -خرجوا للقاء المشركين، فصرفهم الله عنهم فلم يصبهم أذى، ولو استشهدوا فذلك ليس سوءا- واتبعوا ما يرضي الله وفعلوا ما أمر به نبيه، والله ذو فضل واسع عظيم: تفضل عليهم بالإسلام، وعفا عن سيئاتهم، وأثابهم على مصائبهم. **١٧٤**

إنما ذلك -المثبط هو- الشيطان: يخوف أنصاره وأعوانه -من المنافقين ليقعدوا عن القتال، وبأنصاره وأعوانه يخوف المؤمنين ليجبنوا مثل المنافقين، ثم تدريجيا يتبعوه مثلهم- فلا تخافوهم -أيها المؤمنون، ولا تجبنوا عن قتالهم- وخافوا الله -وحده بالتزام طاعته- إن كنتم غير كاذبين في ادعاء الإيمان. **١٧٥**

فائدة! قوي الإيمان لا يلتفت إلى ممارسات الشيطان وأتباعه الهادفة إلى إرهابه ومن ثم إسكاته وكفه عن العمل، خاصة ما يتعلق بجهاد الكفار والمنافقين والمرتدين بالحجة والسلاح وبكل ما أوتي.

ولا نَهتمُّ بالشَّيطانِ هذا ... يحاولُ كَفَّنا، لا تستديروا

ولا يحزنك أيها النبي الكريم الذين يبادرون للكفر -مجتهدين، فلا تحزن عليهم بل ولا تأبه بهم، ولا تلق بالا إلى أقوالهم أو أفعالهم- إنهم لن يصيبوا -ملك- الله بأي ضرر، يريد الله ألا يجعل لهم نصيبا -مما أعد سبحانه حصرا لعباده المؤمنين من نعيم- في الآخرة، ولهم -فيها- عذاب عظيم. **١٧٦**

إن الذين فضلوا الكفر على الإيمان لن يصيبوا -ملك- الله بأي ضرر، ولهم عذاب أليم. **١٧٧**

ولا يظنن الذين كفروا أنما يمهلهم الله -فيطيل أعمارهم- خير لأنفسهم وأفضل، إنما يمهلهم سبحانه ليزدادوا إثما -بارتكاب المزيد من المعاصي- ولهم عذاب مهين مذل. **١٧٨**

ما كان الله ليترك المؤمنين على ما أنتم -أيها المؤمنون- عليه -من الاختلاط بالمنافقين، بل يبتلي عباده ويختبرهم لينفك الالتباس- حتى يميز الخبيث من الطيب -فينفصل المنافق عن المؤمن- وما كان الله ليطلعكم على الغيب -فتستطيعوا التفرقة بين المؤمن والمنافق دون ابتلاء واختبار- ولكن الله يختار من رسله من يشاء ويجعلهم من خاصته -فيطلعهم على ما يشاء مما غاب عن بقية خلقه كما قال تعالى ﴿ عالِم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدا. إلا من ارتضى من رسول ﴾ [الجن ٢٦ ٢٧]- فآمنوا بالله -وبكل ما أخبر به عن نفسه- ورسله -جميعهم، وبكل ما جاءوا به، ولا تشتغلوا بالتطلع إلى الغيب- وإن تؤمنوا وتتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه فلكم ثواب عظيم. **١٧٩**

ولا يظنن الذين يبخلون بما أعطاهم الله من فضله -فيمنعون الزكاة- هو خيرا لهم وأفضل، بل هو شر لهم وأسوأ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه -يعني بشدقيه- ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا: ﴿ ولا يَحسَبَنَّ الذين يبخلون ﴾ ﴾ [البخاري ١٤٠٣ ★ النسائي ٢٤٨٢ ★ ابن ماجة ١٧٨٦ ★ أحمد ٨٦٦١]، ولله -ليس لسواه- ميراث السماوات والأرض -كما قال تعالى ﴿ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها ﴾ [مريم ٤٠]، فإن المالك هو الله- والله بجميع أعمالكم خبير، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. **١٨٠**

لقد سمع الله زعم -اليهود- الذين زعموا أن الله -لأنه يريد الإنفاق في سبيله كما قال تعالى ﴿ من ذا الذي يُقرض الله قرضا حسنا ﴾ [البقرة ٢٤٥ ۞ الحديد ١١]- فقير -حاشاه- وهم -بما أعطاهم من أموال- أغنياء! سيكتب الله ما تفوهوا به، وقتل أسلافهم الأنبياء -بكثرة- بلا أدنى حق -وهم قد رضوا بذلك، وسيكتبه في صحائف أعمالهم- ويوبخهم الله في تهكم: ذوقوا عذاب التحريق في النار. ١٨١
ذلك -العذاب مستحق- بسبب ما اقترفت أيديهم -من كفر وآثام- وأن الله لا يظلم عبيده أبدا. ١٨٢
الذين زعموا أن الله أوصاهم ألا يطمئنوا لرسول أو يصدقوه حتى يأتيهم بقربان -ليتقرب إليه- تأكله النار -الآتية من السماء، ليوقنوا قبوله- ذكرهم أيها النبي الكريم أن قد جاءهم رسل من قبلك بالأدلة الجلية البينة على صدقهم وبالذي ذكروا -من قرابين- فلماذا قتلوهم إن كانوا صادقين في زعمهم هذا؟ ١٨٣
فإن كذبوك فقد وقع التكذيب لرسل من قبلك -فاصبر مثلهم، فنصر الله قادم لا محالة كما قال تعالى ﴿ ولقد كُذِّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذِّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مُبدِّل لكلمات الله ﴾ [الأنعام ٣٤]- جاءوا -عليهم السلام لمن أرسلهم الله إليهم- بالأدلة الجلية البينة على صدقهم والكتب السماوية والكتب المنيرة المضيئة المبينة للعقائد والفقه. ١٨٤
كل نفس -مؤمنة كانت أو كافرة- ذائقة الموت -حتما: الدنيا فانية فاعملوا للآخرة- وإنما تعطون -يا عباد الله- ثوابكم وافيا يوم القيامة -فما يعطيكم ربكم في الدنيا أو في البرزخ بين الموت والبعث كما قال تعالى ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون ﴾ [المؤمنون ١٠٠] ليس الكل، بل البعض كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ﴿ ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم، وما من غازية أو سرية تخفق وتصاب إلا تم أجورهم. ﴾ [مسلم ١٩٠٦]- فمن أبعد عن النار ونحي وأدخل الجنة فقد فاز -بخير الآخرة، ونجا من كل شر- وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور: يتمتع به طالبو الدنيا وتغرهم الأماني بطول البقاء، أفيغتر بذلك إلا مخدوع؟ ١٨٥
فائدة! التحدي بحتمية الموت ما زال قائما، وما زال الناس يكفرون رغم عجزهم التام عن تأخير موتهم -فضلا عن تجنبه بالكلية- مع رغبتهم الشديدة في ذلك، ورغم ما يزعمونه من تقدم علمي غر بعض الجهلة والسفهاء، حتى افتروا على الله زاعمين أن الكون لم يخلقه خالق، وأنه نتاج صدفة وتطور!

تَحدَّى ربُّنا الخَلْقَ المُجافي ... أُذيقُكُمُ المَماتَ أنا القديرُ

لتختبرن -أيها المسلمون- في أموالكم وأنفسكم -ببعض الفرائض كالزكاة والجهاد، وببعض المصائب كتلف وفقد الأموال والمرض والجراح والأسر وفقد الأحبة وتسلط الطواغيت وغير ذلك- ولتسمعن من أهل الكتاب من قبلكم من يهود ونصارى ومن الذين أشركوا أذى كثيرا -كالطعن في الإسلام، وسب النبي ﷺ أو زوجاته رضي الله عنهن أو أصحابه رضي الله عنهم، والتشكيك في القرآن والسنة وعلماء الأمة وغير ذلك- وإن تصبروا على طاعة الله وأقداره -ومن جملتها أذى الكفار- وتتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه فإن ذلك -الصبر والتقوى- من الأمور التي أوجبها الله، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم والهمم العالية. ١٨٦

لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ
سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ
ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ
عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ
تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣
فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤ كُلُّ نَفۡسٖ
ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ
فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا
ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ
أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ
وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ
أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم
بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى
خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ
ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

واذكر أيها النبي الكريم حين أخذ الله العهد الثقيل على أهل الكتاب من يهود ونصارى -ومسلمين، على أهل العلم ممن أعطاهم الله كتبا- ليبينن ما في كتبهم للناس ولا يكتمونه -ولا سيما العقائد، كوجوب توحيد الله واتباع نبيه والحكم بشرعه ونحو ذلك- فطرحوا عهد الله وراء ظهورهم -ونحوه لم يأبهوا به- واشتروا بكتمانهم قليلا من حطام الدنيا من مال أو جاه -أو أمن!- فبئس ما يشترون. ١٨٧

فائدة! ليحذر أهل العلم والدعاة والعاملون للإسلام من كتمان الحق عن الأمة وعدم القيام بما أخذ الله عليهم من ميثاق، فمآل ذلك أن يضل الناس، خاصة عند وقوع النوازل التي تستوجب البيان، بل يجب أن يقولوا الحق واضحا وإن لم يتبعه أحد، حتى لا يأتي زمن يقول فيه الناس إذا سمعوه بعد طول انقطاع ما قاله الكفار سابقا: ﴿ ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾ [المؤمنون ٢٤ ۞ القصص ٣٦].

وعِلمٌ أهلُهُ كَتَموا وزَلُّوا ... وميثاقَ البَيانِ جَفا الحَميرُ!

لا تظنن -أيها المؤمن- الذين يفرحون بما أتوا -من قبائح- ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا -من خير فيشكرهم عليه الناس، كمن يفرح بأنه أضل بعض الناس، ويحب أن يشكره من أضلهم، ظنا منهم أنه يهديهم إلى الحق- فلا تظننهم بمحل فوز ونجاة من العذاب، ولهم عذاب أليم. ١٨٨

ولله ملك السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وقدرة الله مطلقة لا يعجزه شيء. ١٨٩

إن في خلق السماوات والأرض -وما فيهن من مكونات كثيرة تعمل في انسجام مبهر- وتعاقب الليل والنهار لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لأهل العقول الرزينة. ١٩٠

الذين يذكرون الله -بالقلب واللسان، ويؤدون الصلاة بحسب الاستطاعة، في جميع أحوالهم- قائمين وجالسين ومضطجعين، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض -وبديع صنع خالقهما وإتقان، فيؤدي بهم التفكر إلى ثناء عليه بأن- ربهم لم يخلق هذا باطلا -بل خلقه المتقن دليل على حكمته وكمال قدرته، وقد خلقهم ليعبدوه وحده- تنزه وتقدس -عن الباطل- من ثم دعوا فليقهم عذاب النار. ١٩١

أردفوا مخاطبين ربهم مؤكدين أنه من يدخل النار فقد أذله وأهانه، وليس للظالمين لأنفسهم بالكفر أو باقتراف الآثام أو لغيرهم بالصد عن الإيمان من أنصار: ينفعونهم أو يدفعون عنهم عذاب الله. ١٩٢

أردفوا مؤكدين لربهم أنهم سمعوا مناديا -النبي ﷺ- ينادي للإيمان -يدعوهم إليه، ويدعو غيرهم- أن آمنوا بربكم -وحده دون سواه- فآمنوا -استجابة لدعوته ﷺ- فمن ثم دعوا ربهم أن يغفر لهم ذنوبهم، ويستر عنهم سيئاتهم ويتجاوز عنها، ويتوفاهم -سبحانه، حين ينتهي أجلهم وهم على تقوى وصلاح، فيحشرهم يوم القيامة- مع أهل البر والإخلاص والطاعة. ١٩٣

استكملوا دعاءهم بسؤال ربهم وأن يعطيهم ما وعدهم -من نصر وغنيمة وعزة وتمكين في الدنيا، وفوز برضاه وبجنته في الآخرة، ووقاية من الفضيحة والذل والعار والنار يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ يوم لا يُخزي الله النبيَّ والذين آمنوا معه ﴾ [التحريم ٨]- على -ألسن- رسله -بأن يجعلهم ممن يستحقون أن يكونوا أهلا لهذا الوعد- ولا يذلهم ولا يمتهنهم يوم القيامة، مؤكدين أنه لا يخلف الميعاد. ١٩٤

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ
وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ
لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ
حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي
ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ
ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ
وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

فاستجاب لهم ربهم -مؤكدا- أنه لا يضيع ثواب عمل عامل منهم، ذكرا كان أو أنثى -قل العمل أو كثر- هم على حد السواء -في الثواب وفي العقاب- فالذين هاجروا -إلى حيث لا يفتنون في دينهم- وجرى إخراجهم من ديارهم، وأوذوا في سبيله -سبحانه- نصرة لدينه -إذ آمنوا بالله وحده لا شريك له، واتبعوا نبيه وعملوا بما شرع لهم- وقاتلوا -لتكون كلمة الله هي العليا، وأصابتهم شدائد الجهاد- وتم قتل بعضهم ليسترن -سبحانه- عنهم سيئاتهم ويتجاوز عنها، وليدخلنهم جنات تجري خلالها الأنهار، ثوابا من عند الله، والله عنده الثواب الحسن الذي يرجع على المؤمن العامل بجزاء لا مثيل له. **١٩٥**
لا يغرنك أيها النبي الكريم -ولا يخدعن أتباعك- حرية تنقل الذين كفروا وكثرة أسفارهم في البلاد: وسعة تجارتهم وأرباحهم. **١٩٦**
يتمتعون قليلا -فالدنيا فانية، ثم تزول- ثم مستقرهم جهنم، وبئس الفراش وما مهدوا لذواتهم. **١٩٧**
لكن الذين اتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه لهم جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- مهيأة لضيافتهم -ثوابا- من عند الله، وما عند الله -في الآخرة- خير -مما يربح الذين كفروا في أسفارهم- وأفضل لأهل البر والإخلاص والطاعة. **١٩٨**
فائدة! الدنيا دار ابتلاء كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. ﴾ [مسلم **٢٩٥٦** ★ الترمذي **٢٣٢٤** ★ ابن ماجة **٤١١٣** ★ أحمد **٨٢٨٩**]، فهل يبحث عاقل عن أجره في دار ابتلاء؟ بل اعملوا صالحا تصديقا لإيمانكم، لتجدوا ثواب عملكم في دار الجزاء.
لنا سِجنٌ هيَ الدُّنيا ابتِلاءً ... وجَنَّةُ كافِرٍ، ثُمَّ السعيرُ
وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله -وحده لا شريك له- وما أنزل إليكم -يا أمة محمد ﷺ- وما أنزل إليهم -ليسوا كعموم اليهود والنصارى الذين لا يؤمنون إلا بما يوافق أهواءهم كما قال تعالى ﴿ إنَّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يُفرِّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يَتَّخذوا بين ذلك سبيلا. أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مُهينا. ﴾ [النساء **١٥٠ ١٥١**] كونهم- متواضعين لله متذللين، لا يشترون بآيات الله -بتحريفها أو تأويلها على غير وجهها، أو كتمان الحق- قليلا من حطام الدنيا من مال أو جاه، هؤلاء -أسلموا كعبد الله بن سلام رضي الله عنه ومن آمن معه- لهم ثوابهم عند ربهم -سيعطيهم ثوابهم مرتين بسبب صبرهم كما قال تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. وإذا يتلى عليهم قالوا آمنَّا به إنه الحق من ربنا إنا كنَّا من قبله مسلمين. أولئك يؤتَون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ [القَصص **٥٢ ~ ٥٤**]- إن الله سريع الحساب أحصى عملهم. **١٩٩**
يا أيها الذين آمنوا اصبروا على طاعة الله وأقداره، وغالبوا في الصبر -أعداءكم على الشدائد، فلا يكونوا أكثر صبرا، خاصة أثناء الإعداد والجهاد- ورابطوا -ثابتين على دينكم، مقيمين على الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، بالحجة والسلاح وبكل ما أوتيتم، ولازموا الثغور سدوها لا تتركوها خالية، وواظبوا على الصلاة- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، رجاء أن تفلحوا فيكون مصيركم الجنة. **٢٠٠**

سُورَةُ النِّسَاءِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا
زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ
وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ
ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾
وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ
مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ
ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ
لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ
أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ
قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٥﴾ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ
رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ
وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ
فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾

★ سورة النساء ★

★ مدنية ★

يا أيها الناس اتقوا ربكم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه الذي خلقكم من نفس واحدة -آدم عليه السلام- وخلق منها زوجها -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع ﴾ [البخاري ٣٣٣١ ★ مسلم ١٤٦٨ ★ أحمد ١٠٤٤٨]- ونشر منهما في أرجاء الأرض كثيرا من الرجال والنساء، واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضا به، والأرحام -التي تسألون بها أحيانا قائلين: "أنشدك الله والرحم"- كذلك اتقوها -فصلوها- إن الله كان عليكم رقيبا حافظا، يحصي ليجازي. ١

وأعطوا -أيها الأولياء والأوصياء- اليتامى أموالهم -بالعدل لا تطمعوا في شيء منها، إذا بلغوا ورشدوا- ولا تستبدلوا الخبيث بالطيب -فلا تأخذوا شيئا من أموالهم وتعوضوه بأردأ، كأن تأخذوا بقرة سمينة من مال اليتيم وتعوضوه بأخرى هزيلة من أموالكم- ولا تأكلوا أموالهم -فتضموا شيئا منها بغير حق- إلى أموالكم، إنه كان إثما مهلكا كبيرا: لا إثم في معاشرتهم وضم جزء من أموالهم إلى أموالكم، إن كان ذلك للمشاركة في تكاليف المعاش ونحو ذلك على وجه لا يضر بهم، فهم إخوانكم كما قال تعالى ﴿ ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم ﴾ [البقرة ٢٢٠]. ٢

وإن خفتم ألا تنصفوا في -معاملة- اليتامى -فإن تتزوجوا بيتيمات تحت ولايتكم أو وصايتكم فزواج من لم تبلغ جائز، لكن أن تعطوهن مهورا قليلة، أو لا تقوموا بحقوقهن!- فتزوجوا ما طاب لكم -واخترتم ممن حل لكم من غيرهن- من النساء -إن شئتم- اثنتين أو ثلاثا أو أربعا -كحد أقصى- فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة -اقتصروا عليها- أو ما ملكتم من إماء -استمتعوا بهن كما شئتم، وليس عليكم أن تعدلوا بينهن في الجماع- ذلك -المذكور- أقرب ألا تجوروا على أحد وألا تميلوا عن الحق. ٣

وأعطوا النساء صدقاتهن -مهورهن، عن طيب نفس، عليكم- فريضة، فإن طابت لكم عن شيء منه نفوسهن -عن رضا واختيار، بلا إضرار أو خديعة تركنه- فكلوه -حلالا طيبا- لا تنغيص فيه ولا إثم. ٤

ولا تعطوا السفهاء خفاف العقول أموالكم التي جعل الله لكم قياما -بها تقوم مصالحكم- وأنفقوا لمن تلزمكم مؤونته منهم -ولا تخشوا نقصانها- واكسوهم، وكلموهم كلاما معروفا: طيبا يرضي نفوسهم. ٥

فائدة! لا يجوز إعطاء المال لمن يضعه في غير موضعه، سواء في ذلك الزوجة المبذرة والوالي التافه.

ولا نُعطي الحُكومةَ أيَّ مالٍ ... أيعطى تافِهٌ مالًا يُديرُ؟!

وابتلوا -أيها الأولياء والأوصياء- اليتامى -مختبرين ومتأملين تصرفاتهم- حتى إذا وصلوا سن البلوغ فإن أبصرتم منهم رشدا فادفعوا إليهم -كامل- أموالهم، ولا تأكلوا منها بإسراف ومبادرين إلى أكلها خشية أن يكبروا -فيأخذوها- ومن كان غنيا -لديه ما يغنيه لا يحتاج إليها- فليستعفف -لا يأخذ منها- ومن كان فقيرا فليأكل -بقدر الحاجة- بحسب ما تعارف عليه الناس مما لا يخالف الشرع، فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم -أنهم قد قبضوها- وكفى بالله حاسبا لأعمال الخلق شاهدا عليها. ٦

للرجال نصيب من تركة الوالدان والأقارب -بعد موتهم- وللنساء نصيب من تركة الوالدان والأقارب، مما قل مما تركوا أو كثر -من أموال، فرض الله من القليل والكثير لكل منهما- نصيبا معلوما مقدرا. ٧
وإذا حضر قسمة التركة -بين الورثة من لا يرث من- الأقرباء واليتامى والمساكين فأنفقوا لهم من التركة -استحبابا، ما طابت به أنفسكم- وكلموهم كلاما معروفا: طيبا يرضي نفوسهم، خاصة إذا كان ما تقومون بتقسيمه يصعب إعطاؤهم منه، كالعقارات. ٨
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم -بعد موتهم- ذرية ضعافا -صغارا- خافوا عليهم -أن ينالهم ضرر- فليتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه -فلا يظلموا يتيما تحت ولايتهم أو وصياتهم- وليتكلموا بكلام مصيب للحق: ناصحين المشرف على الموت أن يوصي بما فيه خير، وألا يظلم ورثته في وصيته. ٩
إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما -أخذا منها أو تصرفا فيها على غير الوجه الصحيح- إنما يأكلون في بطونهم -ما حتما يدخلهم- نارا، وسيقاسون حر نار مستعرة. ١٠
فائدة! أكل مال اليتيم من أكبر الكبائر كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات. ﴾ [البخاري ٢٧٦٦ * مسلم ٨٩ * أبو داود ٢٨٧٤ * النسائي ٣٦٧١].

يتامى حقَّهُم يَرعى الكَفيلُ ... بمالِهِم اعتَنى دِينٌ وقورُ

يأمركم الله بالعدل في -شأن ميراث- أولادكم -فهو أرحم بعباده من الوالد بولده- للابن مثل نصيب البنتين -حال اجتماعِ ذكور وإناث- فإن كن اثنتين فأكثر -ليس معهن ذكور- فلهن ثلثا تركته، وإن كانت واحدة -بنت صلب أو بنت ابن- فلها النصف، ولأبوي الميت لكل واحد منهما السدس من تركته إن كان له ولد -ذكر أو أنثى، صلب أو ولد ابن وليس ولد بنت- فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه -ليس معهما غيرهما، والجد كالأب كما قال تعالى ﴿ واتَّبعت مِلَّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴾ [يوسف ٣٨]- فلأمه الثلث -وبقية التركة لأبيه، فإن كان معهما زوج الميت فيأخذ الزوج ما له، ثم تأخذ الأم ثلث المتبقي والأب ما تبقى- فإن كان له إخوة -اثنان فأكثر، ذكور أو إناث، أشقاء أو غير أشقاء- فلأمه السدس -حجبوها عن الثلث، وبقية التركة لأبيه ولا شيء للإخوة، ويكون هذا التقسيم- من بعد تنفيذ وصية الميت -فيما لا يزيد عن ثلث ماله- وقضاء ما عليه من ديون، آباؤكم وأبناؤكم -أيها المسلمون- لا تدرون أيهم أقرب لكم -وأكثر- نفعا -في الدنيا والآخرة، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له. ﴾ [مسلم ١٦٣١ * أبو داود ٢٨٨٠ * الترمذي ١٣٧٦ * النسائي ٣٦٥١ * ابن ماجة ٢٤٢ * أحمد ٨٨٤٤]- فريضة من الله -قسمة المواريث على ذلك النحو، فلا تغيروا منه شيئا- إن الله كان عليما لا يخفى عليه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. ١١

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبًا مَّفۡرُوضًا ٧ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلًا مَّعۡرُوفًا ٨ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا ١٠ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعًاۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١

۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن
لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ
وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ
فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ
مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ
رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ
وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ
بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾
وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ
يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾

ولكم -أيها الأزواج- نصف تركة زوجاتكم إن لم يكن لهن ولد -منكم أو من غيركم، ذكر أو أنثى، صلب أو ولد ابن وليس ولد بنت- فإن كان لهن ولد فلكم الربع من تركتهن، من بعد تنفيذ وصيتهن -فيما لا يزيد عن ثلث مالهن- وقضاء ما عليهن من ديون -يكون هذا التقسيم- وللزوجات الربع من تركتكم إن لم يكن لكم ولد -منهن أو من غيرهن، ذكر أو أنثى، صلب أو ولد ابن وليس ولد بنت- فإن كان لكم ولد فلهن الثمن من تركتكم، من بعد تنفيذ وصيتكم -فيما لا يزيد عن ثلث مالكم- وقضاء ما عليكم من ديون -يكون هذا التقسيم: تنفرد به الواحدة وتشترك فيه الزوجات- وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة -إذ لم يكن للميت ابن ولا بنت ولا ولد ابن ولا أب ولا جد- وللميت أخ -لأم- أو أخت فلكل واحد منهما السدس، فإن كان عدد الإخوة والأخوات -لأم- أكثر من ذلك فلجميعهم الثلث يشتركون فيه -للأخ فيه مثل الأخت- من بعد تنفيذ وصية الميت -فيما لا يزيد عن ثلث ماله- وقضاء ما عليه من ديون -يكون هذا التقسيم- غير مضار -فلا يجوز أن تدخل الوصية ضررا، كأن يقر موص بديون ليست عليه، أو يوصي بأكثر من الثلث بغير إجازة من الورثة، أو يوصي لوارث مطلقا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ﴿ سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع: إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث. ﴾ [أبو داود ٢٨٧٠ * الترمذي ٢١٢٠ * ابن ماجة ٢٧١٣ * أحمد ٢٢٢٩٤]، أو يوصي بقصد الإضرار بالورثة، كأن يوصي بنسبة من عقار لشخص أو لجهة ما ليصعب الاستفادة منه- وصية من الله -قد أمر بتلك الفرائض، فاعملوا بما أمركم، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر. ﴾ [البخاري ٦٧٣٢ * مسلم ١٦١٥ * أبو داود ٢٨٩٨ * الترمذي ٢٠٩٨ * ابن ماجة ٢٧٤٠ * أحمد ٢٦٥٧]- والله عليم لا يخفى عليه شيء، حليم لا يعاجل بعقاب. **١٢**

فائدة! اختلاف الدين يمنع التوارث كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما ﴿ لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم. ﴾ [البخاري ٦٧٦٤ * مسلم ١٦١٤ * أبو داود ٢٩٠٩ * الترمذي ٢١٠٧ * ابن ماجة ٢٧٢٩ * أحمد ٢١٧٤٧]، لكن المرتد يرث تركته ورثته المسلمون دون الكفار.

ولا يَرِثُ الكتابيُّ اختِلافًا ... أيأخُذُ مالَنا وهوَ الكَفورُ؟

تلك -الأحكام الواضحة للتعامل في أموال اليتامى ولقسمة المواريث- حدود الله بين الحلال والحرام، ومن يطع الله ورسوله -في الظاهر والباطن- يدخله -سبحانه، مع أهل الصلاح- جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- وذلك الفوز والفلاح العظيم لا يعادله شيء. **١٣**

ومن يعص الله ورسوله ويتجاوز حدوده يدخله نارا -بلا أنيس- خالدا فيها، وله عذاب مهين مذل. **١٤**

فائدة! مجرد عدم التزام حدود الله يوجب عذابا مهينا في النار، فكيف بوضع قوانين ودساتير أو الالتزام بمواثيق ولوائح أممية تحارب شرع الله؟ وكيف بإلزام جموع المسلمين بالتعامل بها والاحتكام إليها؟

حُدودُ اللهِ لا تَتجاوزوها ... وفِرُّوا مِنْ قُمامٍ لا تَجوروا!

واللاتي يأتين الفاحشة -الزنا، لسن كثرة- من نسائكم -أيها المسلمون- فاستشهدوا عليهن أربعة من
رجال المسلمين -العدول، ليس بينهم امرأة- فإن شهدوا عليهن فاحبسوهن في البيوت، حتى تنقضي
حياتهن بالموت، أو يجعل الله لهن طريقا: قد جعل لاحقا، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبادة
بن الصامت ﷺ ﴿ خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا: البكر بالبكر، جلد مائة وتغريب سنة، والثيب
بالثيب، جلد مائة والرجم. ﴾ [مسلم ١٦٩٠ * أبو داود ٤٤١٥ * الترمذي ١٤٣٤ * ابن ماجة ٢٥٥٠ *
أحمد ٢٢٦٦٦]، فالجلد مائة جلدة ثم النفي سنة خارج بلدتها لغير المحصنة، أما المحصنة -الحرة
البالغة العاقلة التي جامعها زوجها- فرجمها بالحجارة حتى الموت أنزله الله في آية نسخ تلاوتها وأبقى
حكمها كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب ﷺ ﴿ فكان مما أنزل الله آية الرجم،
فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول
قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق
على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف ﴾ [البخاري
٦٨٣٠ * مسلم ١٦٩١ * أبو داود ٤٤١٨ * الترمذي ١٤٣٢ * ابن ماجة ٢٥٥٣ * أحمد ٣٩١]. ١٥
واللذان يأتيانها من رجال المسلمين -صنفان: بكر ومحصن- فآذوهما -باليد واللسان- فإن تابا -عن
الزنا- وأصلحا ما فسد من أحوالهما فأعرضوا عنهما منصرفين عن أذاهم، إن الله كان كثير التوبة على
عباده، عظيم الرحمة بالتائبين: نسخ ذلك، وحد الرجال الجلد للبكر والرجم للمحصن، كالنساء. ١٦
إنما التوبة على الله -فهو الذي يوفق لها ويقبلها كما قال تعالى ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ﴾
[الشورى ٢٥]- للذين يعملون العمل السيئ بجهالة -لعمله عالمين أنهم يعصون الله- ثم يتوبون من
قريب -قبل معاينة الموت، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر ﷺ ﴿ إن الله يقبل
توبة العبد ما لم يغرغر. ﴾ [الترمذي ٣٥٣٧ * ابن ماجة ٤٢٥٣ * أحمد ٦١٦٠]- فهؤلاء يوفقهم الله
للتوبة، وكان الله عليما لا يخفى عليه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. ١٧
وليست التوبة للذين يعملون السيئات، حتى إذا أشرف أحدهم على الموت -وعاين ما ينتظره- زعم أنه
تاب الآن، ولا الذين يموتون وهم كفار -فلا توبة في الآخرة- هؤلاء أعد الله لهم عذابا أليما. ١٨
يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء: كما جاء على لسان عبد الله بن عباس ﷺ ﴿ ﴿ يا
أيها الذين آمنوا لا يَحِلُّ لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾ الآية قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق
بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجها، وإن شاؤوا لم يزوجها، فهم أحق بها من أهلها ﴾
[البخاري ٦٩٤٨ * أبو داود ٢٠٨٩]، ولا تمنعوهن -فتسيئوا إليهن، ولا تطلقوهن- لتستولوا على بعض
ما أعطيتموهن -من مهر أو غيره- إلا أن يرتكبن معصية ظاهرة الفحش -فلكم عضلهن ليفتدين بمال
ويختلعن- وعاشروهن -بحسن معاشرة- بحسب ما تعارف عليه الناس مما لا يخالف الشرع، فإن
كرهتموهن -لأمر دنيوي فاصبروا- فلعلكم أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا: كولد صالح. ١٩

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ
أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ
حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾
وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا
فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾
إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾
وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ
ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ
أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

وإن أردتم استبدال زوجة مكان زوجة -تطلقونها لتتزوجوا أخرى- وأعطيتم التي أردتم تطليقها مالا كثيرا -مهرا أو غيره- فلا تأخذوا منه شيئا، أتأخذونه -فتقترفوا بذلك- كذبا مفرطا وإثما واضحا؟ **٢٠**
وكيف تأخذونه! وقد أفضى بعضكم إلى بعض -فقد جامعتموهن!- وأخذن منكم عهدا ثقيلا مؤكدا: استحلال جماعهن والاستمتاع بهن بشرع الله، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ﴿ فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ﴾ [مسلم ١٢١٨ ★ أبو داود ١٩٠٥ ★ ابن ماجة ٣٠٧٤]؟ **٢١**
ولا تتزوجوا ما تزوج آباؤكم وأجدادكم من النساء -بعد الآن- إلا ما قد سبق -تجاوز الله عنه- إنه كان فاحشة، ومقتا -يغضب الله، ويوقع البغض بينكم- وسيئ طريق ومنهج ومصير من يسلكه. **٢٢**
فائدة! من يتزوج امرأة أبيه بعد أن يطلقها أو يموت عنها يقتل ويؤخذ ماله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما ﴿ لقيت عمي ومعه راية، فقلت له: أين تريد؟ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل نكح امرأة أبيه، فأمرني أن أضرب عنقه وآخذ ماله. ﴾ [أبو داود ٤٤٥٧ ★ الترمذي ١٣٦٢ ★ النسائي ٣٣٣١ ★ ابن ماجة ٢٦٠٧ ★ أحمد ١٨٥٥٧].

ولا يَتزوَّجُ اللاتي أبوهُ ... تَزوَّجَ مسلِمٌ، هذا فُجورُ

حرمت عليكم -أيها المسلمون، فلا يجوز لكم أن تتزوجوا- أمهاتكم وجداتكم وبناتكم وحفيداتكم، وأخواتكم -شقيقات وغير شقيقات- وعماتكم وعمات آبائكم وأمهاتكم، وخالاتكم وخالات آبائكم وأمهاتكم، وبنات الأخ وبناتهن وبنات الأخت وبناتهن، وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم -على الأقل خمس مرات خلال العامَين القمريَّين الأولَين من العمر- وأخواتكم من الرضاعة -ومن أرضعته امرأة فإن بناتها وبنات زوجها الذي نشأ عن جماعه لها ما رضع من لبن ولو كن من غيرها يصرن أخوات له، وتحرم من الرضاعة الجدات والعمات والخالات، وبنات الأخ وبناتهن وبنات الأخت وبناتهن، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة. ﴾ [البخاري ٥١١١ ★ مسلم ١٤٤٥ ★ أبو داود ٢٠٥٥ ★ الترمذي ١١٤٧ ★ النسائي ٣٣٠٢ ★ ابن ماجة ١٩٣٧ ★ أحمد ٢٤١٧٠]- وأمهات زوجاتكم -دخلتم بهن أو لم تدخلوا- وبنات زوجاتكم اللاتي نشأن وتربين في بيوتكم من زوجاتكم اللاتي دخلتم بهن، فإن لم تكونوا دخلتم بهن -أو لم تنشأ بناتهن وتتربين في بيوتكم، فالكلام لم يخرج مخرج الغالب- فلا لوم عليكم ولا إثم، ومن سبق لهن تزوج أبنائكم -ليس من الرضاعة ولا من تبنيتم، بل- الذين من أصلابكم -وإن لم يدخلوا بهن- والجمع بين الأختين -أو بين المرأة وعمتها أو خالتها كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ نهى رسول الله ﷺ أن يجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها. ﴾ [البخاري ٥١٠٩ ★ مسلم ١٤٠٨ ★ أبو داود ٢٠٦٦ ★ الترمذي ١١٢٥م ★ النسائي ٣٢٨٩ ★ ابن ماجة ١٩٢٩ ★ أحمد ٩٢٠٣] من النسب أو الرضاعة، بعد الآن- إلا ما قد سبق -تجاوز الله عنه- إن الله كان واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. **٢٣**

* وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ
بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ
مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا
تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ
ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن
فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم
مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ
أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ
مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ
مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٥﴾
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾

والمحصنات -ذوات الأزواج- من النساء كذلك حرمت عليكم، إلا ما ملكتم من إماء -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ أن رسول الله ﷺ يوم حنين بعث جيشا إلى أوطاس فلقوا عدوا فقاتلوهم فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا، فكأن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ تحرجوا من غشيانهن، من أجل أزواجهن من المشركين، فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿ والمُحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ﴾، أي: فهن لكم حلال، إذا انقضت عدتهن. ﴾ [مسلم ١٤٥٦ * أبو داود ٢١٥٥ * الترمذي ١١٣٢ * النسائي ٣٣٣٣ * أحمد ١١٦٩١]، وعدتهن حيضة أو وضع الحمل- فرض الله عليكم -الزموه، لا تحلوا ما حرم- وأحل لكم ما سوى ذلك -من النساء- أن تطلبوا بأموالكم -تزوجهن- متعففين غير قاصدي الزنا، فمن استمتعتم بجماعهن -بعد الزواج- فأعطوهن مهورهن -قد جعلها الله عليكم- فريضة، ولا لوم عليكم ولا إثم فيما تراضيتم -على زيادته أو إسقاطه- من بعد أن أوجبتم المهور محددة، إن الله كان عليما لا يخفى عليه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٢٤ ومن لم يستطع منكم -أيها المسلمون- لقلة مال أن يتزوج الحرائر المؤمنات فمن ما ملك المسلمين -غيره- من إمائهم المؤمنات فليتزوج، والله أعلم بإيمانكم -وإيمانهن، فربما كان بعضهن أكثر إيمانا من الحرائر، فيصرن أكرم عند الله كما قال تعالى ﴿ إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحُجُرات ١٣]- كلكم بنو آدم وأنتم أهل ملة واحدة، فتزوجوهن بإذن مالكيهن -لا تأنفوا- وأعطوهن مهورهن -للذين تنازلوا لكم عن حق جماعهن: مالكيهن، دون نقص أو مماطلة أو تسويف- بحسب ما تعارف عليه الناس مما لا يخالف الشرع -وكل عمل جاز الاستئجار عليه كالبناء وقيادة المركبات ونحو ذلك جاز أن يكون مهرا، كما تزوج موسى عليه السلام كما قال تعالى ﴿ قال إني أريد أن أُنكِحك إحدى ابنتَيَّ هاتَين على أن تأجُرني ثمانيَ حجج ﴾ [القَصص ٢٧]، وليكن- متعففات غير قاصدات الزنا ولا متخذات أخلاء ولا معشوقين في السر أو العلن، فإذا تزوجن فإن زنين -فحدهن كما كان قبل زواجهن الجلد، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب، قال سفيان: لا يثرب عليها: لا يعيرها عليها، في الثالثة أو الرابعة: فليبعها، ولو بضفير. ﴾ [البخاري ٢١٥٢ * مسلم ١٧٠٣ * أبو داود ٤٤٧٠ * الترمذي ١٤٤٠ * ابن ماجة ٢٥٦٥ * أحمد ٧٣٩٥]- فعليهن نصف ما على المحصنات -الحرائر، غير المتزوجات- من العذاب -خمسين جلدة ولا ترجم، فالرجم لا يتنصف- ذلك -الزواج ليس لكل مسلم، بل- لمن خشي العناء والإثم -الوقوع في الزنا- منكم، وأن تصبروا خير لكم وأفضل -لأنه زواج يؤدي إلى استرقاق الأولاد، فأولادهما يغدون ملكا لمالكها، له أن يبيعهم وأن يستخدمهم- والله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. ٢٥ يريد الله -بما شرع لكم- ليبين لكم -فيظهر جليا ما تحتاجون إليه من أحكام- ويوفقكم سنن الذين من قبلكم -من أنبياء وصالحين- ويرشدكم -إلى طرقهم لتقتدوا بهم- ويوفقكم للتوبة -فتوبوا إليه وأقلعوا عن الفواحش والمعاصي- والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٢٦

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا
وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ
عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ
وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ
عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ
وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ
نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

والله -يؤكد لكم أنه- يريد أن يوفقكم للتوبة -فتوبوا إليه وأقلعوا عن الفواحش والمعاصي- ويريد الذين يتبعون الشهوات -فاعلين ما تشتهيه أنفسهم من محرمات كالزنا وشرب الخمر وغير ذلك- أن تميلوا -عن الحق- وتبتعدوا -عن طريق الاستقامة- ابتعادا شديدا. **٢٧**

يريد الله -بما شرع لكم- أن يخفف عنكم -فلم يكلفكم ما لا يطاق، بل ورخص لكم عند الضرورة- وخلق الإنسان ضعيفا: غير قادر على دفع نفسه عن شهواتها -ولا سيما شهوة النساء- بسهولة. **٢٨**

يا أيها الذين آمنوا لا يأخذ بعضكم أموال بعض بغير حق ولا سند شرعي -فيؤخذ ما ورد دليل على جواز أخذه، كالزكاة وقضاء الدين والنفقة الواجبة والكفارات والتبرع عن طيب خاطر ونحو ذلك، أما أكل أموال المسلمين بغير دليل كما في حالات السرقة وقطع الطريق والقمار والخيانة والخداع والرشوة والربا والغش والغصب وفرض الغرامات والجمارك والضرائب والإتاوات والمكوس وغير ذلك مما ينتهب أو يستقطع من أموالهم بغير رضاهم حرام فوق حرام كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه ﴿ فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا فليبلغ الشاهد الغائب ﴾ [البخاري **٦٧** * مسلم **١٦٧٩** * أحمد **٢٠٣٨٧**]- إلا أن تكون تجارة -بيع وشراء- عن تراض من أطرافها -واختيار فالتصرف فيها حلال- ولا تقتلوا بعضكم بعضا -إلا بسبب أثبته الشرع، ولا يقتل أحدكم نفسه باقتراف الآثام أو باقتحام أخطار مفضية للتلف دون مصلحة شرعية معتبرة كالانغماس في العدو- إن الله كان بكم عظيم الرحمة. **٢٩**

ومن يفعل ذلك -الاعتداء على أنفس أو أموال المسلمين عالما، ليس جاهلا ولا ناسيا- عدوانا وظلما بغير حق فسوف يجعله الله يقاسي حر نار، وكان ذلك -العذاب- على الله يسيرا. **٣٠**

إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه -أيها المسلمون، مما ترتب عليه نفي إيمان أو حد أو وعيد أو لعنة الله أو عذابه أو غضبه- يستر الله عنكم سيئاتكم ويتجاوز عنها، ويدخلكم الله مدخلا كريما: الجنة. **٣١**

ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض -إلا أن يكون كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه، في الحق، آناء الليل والنهار. ﴾ [البخاري **٥٠٢٥** * مسلم **٨١٥** * الترمذي **١٩٣٦** * ابن ماجة **٤٢٠٩** * أحمد **٤٥٥٠**]- للرجال نصيب مما اكتسبوا -من ثواب وعقاب بحسب نياتهم وأعمالهم، ومن ميراث تبعا لما فرض الله- وللنساء -كذلك- نصيب مما اكتسبن، واسألوا الله -أن يزيدكم- من فضله، إن الله كان بكل شيء عليما، أعطى كل نفس حقها. **٣٢**

ولكل -مسلم ومسلمة- جعل الله موالي -يأخذون ما تبقى- من تركة الوالدان والأقارب -بعد أن يأخذ الفرائض أهلها- والذين عقدت أيمانكم -معهم على حلف أو نصرة- فأعطوهم نصيبهم -نسخ الله لاحقا التوارث بالإيمان والهجرة، وبالتبني والحلف كما قال تعالى ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ [الأنفال **٧٥** ۞ الأحزاب **٦**]- إن الله كان على كل شيء مطلعا شاهدا. **٣٣**

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ
حَٰفِظَٰتٞ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ
وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
فَٱبْعَثُواْ حَكَمٗا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن
يُرِيدَآ إِصْلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـٔٗاۖ
وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنٗا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ
وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾

الرجال قوامون على -شؤون- النساء -من حماية وإلزام بحقوق الله وعباده- بسبب ما فضل الله بعضهم على بعض -من عقل ودين، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ ﴿ يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار، فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها. ﴾ [البخاري ٣٠٤ * مسلم ٨٠ * الترمذي ٢٦١٣]، وقوة، وفي الميراث- وبسبب ما أنفقوا من أموالهم -عليهن، وما ساقوا من مهور- فالصالحات قانتات -مطيعات خشوعا- حافظات لعرض ومال وأسرار أزواجهن في غيابهم ولحقوق الله بسبب حفظ الله لهن -وتوفيقه- واللاتي تخافون نشوزهن -وترفعهن عن طاعتكم، أيها الأزواج- فعظوهن -مذكرين بما أوجب سبحانه عليهن- واهجروهن في المراقد -لا تجامعوهن- واضربوهن -بغير إيذاء جسدي لكم ذلك- فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا -معتدين بقول أو بفعل ليس لكم ذلك- إن الله كان عليا على الجميع بذاته وقدره وقهره، كبيرا لا أكبر منه: أفلا تتقونه؟ ٣٤

وإن خفتم -أيها المتوسطون بين الزوجين، أن تصل الخلافات إلى- عداء بينهما ومفارقة للحق فابعثوا حكما -رجلا عدلا- من أهله وحكما من أهلها -ليحكما بما يرياه في مصلحة الزوجين، إما توفيق أو تفريق، فالتحكيم ثابت في الإسلام ليس كما تزعم الخوارج- إن -كانت نية الحكمين خالصة- يريدا إصلاحا يوفق الله بين الزوجين -فيعودا إلى الألفة وحسن العشرة- إن الله كان عليما لا يخفى عليه شيء، خبيرا بجميع أعمال خلقه، ما يظهرون منها وما يبطنون، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. ٣٥

واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا -من الأشياء، من غير فرق بين حي وميت وجماد وحيوان، وأخلصوا له نياتكم وأعمالكم- وبالوالدين إحسانا -بالأقوال والأفعال، إكراما وعطفا- وبالأقارب واليتامى والمساكين -بصلتهم والقيام باحتياجاتهم بحسب القدرة- والجار القريب -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ قلت: يا رسول الله، إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك بابا. ﴾ [البخاري ٢٢٥٩ * أبو داود ٥١٥٥ * أحمد ٢٥٤٢٣]- والجار البعيد -فللجوار حرمة- والزوجة والصاحب والرفيق في السفر والأغراب المسافرين المنقطعة نفقتهم وما ملكتم من عبيد وإماء، إن الله لا يحب -بل يبغض- من كان مختالا معجبا بنفسه، متكبرا -على الناس- مفتخرا. ٣٦

الذين يبخلون -فلا يؤدون ما أوجب الله عليهم من نفقات- ويأمرون الناس بالبخل -بأقوالهم وأفعالهم، ويحثونهم على عدم أداء ما أوجبه عليهم- ويكتمون ما أعطاهم الله من فضله -من مال أو علم، سواء كانوا من أهل الكتاب الذين يكتمون أدلة نبوة محمد ﷺ التي أنزلها الله في كتبهم، أو ممن يعملون بزعمهم للإسلام وهم يكتمون الحق عن الأمة ولا يرشدون الناس عند وقوع النوازل، أو يضللونهم عمدا ليدجنوهم لحاكم بغير شرع الله: هذا من خصال الكفر- وأعد الله للكافرين عذابا مهينا مذلا. ٣٧

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ
قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ
مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ
مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ
أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ
وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ
ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ
سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي
سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ
أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ
فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ
ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس -ليروا إنفاقهم فيمدحوا كرمهم- ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر -فلا
يبتغون بإنفاقهم ثوابا من الله في الآخرة، بل ينفقون تباهيا، أعد الله لهم عذابا لطاعتهم للشيطان- ومن
يكن الشيطان له صاحبا ملازما -في الدنيا فسيصير قرينه في النار- فما أسوأه من صاحب ملازم. **٣٨**
وماذا يضرهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر، وأنفقوا مما رزقهم الله: من أموال، مخلصين له نياتهم وأعمالهم
لله كما قال تعالى ﴿ وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حُنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ﴾
[البيِّنة ٥]؟ وكان الله بهم عليما لا يخفى عليه حالهم، وسيجازيهم بما قدموا من نيات وأعمال. **٣٩**
إن الله لا يظلم -عباده شيئا، ولو- مقدار وزن ذرة، وإن تك -مقدار وزن ذرة- حسنة يضاعفها -كما
قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عَشر أمثالها ﴾ [الأنعام ١٦٠]- ويعطي من عنده ثوابا عظيما. **٤٠**
فكيف -يكون حال خلق الله يوم القيامة- إذا جاء الله من كل أمة بشهيد -نبيهم الذي عرفوه، ليشهد
على أعمالهم- وجاء سبحانه بك أيها النبي الكريم على هؤلاء -الأمم جميعها- شهيدا؟ **٤١**
يومئذ يحب ويتمنى الذين كفروا وعصوا الرسول -فلم يؤمنوا بمن أرسله الله لهم- لو تسوى بهم الأرض
-فيكونوا هم والأرض سواء كما قال تعالى ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا ﴾ [النبإ ٤٠]، وقد كانوا في الدنيا يهوون الظهور!- ولا يكتمون الله حديثا: كما قال تعالى ﴿ يوم
تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. ﴾ [النور ٢٤]، فلا يخفون أو يكذبون؟ **٤٢**
يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة -ولا مواضعها، كالمساجد- وأنتم سكارى -وحرم الله الخمر مطلقا
لاحقا كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل
الشيطان فاجتنبوه لعلكم تُفلحون. ﴾ [المائدة ٩٠]، حتى يزول عنكم أثر السكر، ولا في حال نعاس
كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على
لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع. ﴾ [مسلم ٧٨٧ ٭ أبو داود ١٣١١ ٭ ابن ماجة ١٣٧٢ ٭ أحمد
٨٢٣١]- حتى تعلموا ما تقولون -متيقنين منه- ولا على جنابة -بإنزال المني يقظة أو نياما، أو بجماع
ولو بدون إنزال- إلا حال سفر -أو مجتازي المساجد دون بقاء فيها- حتى تغتسلوا، وإن كنتم مرضى
-يضركم أو يشق عليكم استخدام الماء- أو مسافرين أو أحدثتم حدثا أصغر بغائط أو بول أو مذي أو
ريح أو كنتم على جنابة فلم تجدوا ماء فاقصدوا من طاهر تصاعد على الأرض، فامسحوا بوجوهكم ثم
أيديكم -فقد فضلكم الله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ﴿ فضلنا على
الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا، وجعلت تربتها
لنا طهورا إذا لم نجد الماء ﴾ [مسلم ٥٢٢]- إن الله كان عفوا عن عباده، واسع ودائم المغفرة. **٤٣**
ألم ينته علمك أيها النبي الكريم إلى خبر الذين أعطوا نصيبا من الكتب -المنزلة إنعاما من الله: اليهود
والنصارى، ولا سيما اليهود- يفضلون الضلالة -على الهداية، بل ويشترونها بما معهم من علم، فلم
يؤمنوا بك، وأدلة نبوتك عندهم في كتبهم!- ويريدون أن تضلوا -أيها المؤمنون- الطريق القويم؟ **٤٤**

والله أعلم بأعدائكم -منكم أيها المؤمنون، فأخبركم بحالهم وبما يريدونه بكم من إضلال- وكفى بالله وليا يتولى أموركم بالرعاية ويحفظكم، وكفى بالله نصيرا ينصركم ويدفع عنكم الشر. ٤٥

من -علماءِ- اليهود -أهل سوء ضلال- يحرفون كلام الله الذي أنزله إليهم فيغيرون ألفاظه أو معانيه بما يوافق أهواءهم ومنازلهم، ويجيبون بأن سمعوا -بحواسهم، فأدركوا- وعصوا، ويخاطبونه ﷺ -مستهزئين به وداعين عليه- أن اسمع لا سمعت، وراعِنا -كلمة ظاهر معناها راعِ أحوالنا، ويقصدون بها الرعونة أو سبا قبيحا بلغتهم- ليا بألسنتهم -فيميل كلامهم إلى ما تحمله قلوبهم من كراهية- ويطعنون في الدين -حيث زعموا أنه ﷺ لو كان حقا نبي الله لعلم أنهم يسبونه- ولو أنهم قالوا سمعنا -أوامرك- وأطعنا، واسمع -ما نقول- وانظُرنا -أي أقبل علينا وانتظرنا نفهم عنك ما تقول- لكان خيرا لهم وأفضل وأقوم وأبلغ -لما في ذلك من حسن الخطاب والأدب مع نبي مرسل- ولكن طردهم الله من رحمته بسبب كفرهم، فهم لا يؤمنون إلا بنزر قليل مما أنزل الله، ولا يؤمن منهم بالنبي ﷺ إلا نسبة قليلة. ٤٦

فائدة! علماءِ اليهود اشتروا بدينهم دنياهم، أما علماءِ السلطان فقد اشتروا بدينهم دنيا أسيادهم!

شريعةَ ربِّهِم باعوا بدُنيا ... سَلاطينَ الخَنا، فاقتُلْ قديرُ

يا أهل الكتاب من يهود ونصارى آمنوا بما نزل سبحانه -القرآن- مصدقا وموافقا لما معكم -مما أنزل عليكم- من قبل أن يمحو الله وجوها -كافرة، ويتلف حواسها- فيحولها سبحانه ناحية أدبارها -فيكون الوجه في الظهر- أو يطردهم الله من رحمته كما طرد سبحانه أصحاب السبت -الذين مسخهم فغدوا قردة كما قال تعالى ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدَوا منكم في السبت فقُلنا لهم كونوا قردة خاسئين. ﴾ [البقرة ٦٥]، أم لم تعلموا أنه سبحانه قد مسخ أسلافكم؟- وكان أمر الله مفعولا: واقعا لا محالة. ٤٧

إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون الشرك -والكفر من الذنوب، كبيرها وصغيرها- لمن يشاء -وليس لكل مسلم، بفضله وحكمته- ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما: اختلقه لم يؤمر به. ٤٨

ألم ينته علمك أيها النبي الكريم إلى خبر الذين يزكون أنفسهم: أهل الكتاب من يهود ونصارى كما قال تعالى ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ﴾ [البقرة ١١١]، ومن نحا نحوهم في الثناء على أنفسهم بغير حق واختلاق من المراتب ما ليس لهم؟ بل الله ينزه من يشاء من الإثم ويجعله نافعا للناس، ولا ينقص ثوابهم قدر خيط في نواة تمر: بل سيعطيهم سبحانه ما لهم تاما وافيا بحسب نياتهم وأعمالهم، إنما توعدهم بسبب ظلمهم وليس لأنه حاشاه سيظلمهم. ٤٩

تأمل كيف -بثنائهم على أنفسهم- يفترون على الله الكذب! وكفى به إثما واضحا. ٥٠

ألم ينته علمك أيها النبي الكريم إلى خبر الذين أعطوا نصيبا من الكتب -المنزلة إنعاما من الله: اليهود والنصارى، ولا سيما اليهود- يؤمنون بالسحر والشيطان والكهنة والطاغوت -كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوعٍ أو مطاعٍ مما يناقض أصل الإيمان، كرؤوس الضلال الذين لا يحكمون بما أنزل ربهم- ويخاطبون الذين كفروا -يتملقونهم- هؤلاء أهدى من الذين آمنوا -بك، إلى الله- طريقا؟! ٥١

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾
مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ
سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ
وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا
لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا
مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ
ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾
أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ
وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ
وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا
مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ
يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ
ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾
فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ
جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ
أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ
أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن
تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا
بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي
ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ
تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾

هؤلاء -الذين يتملقون الذين كفروا هم- الذين طردهم الله من رحمته، ومن يطرد الله من رحمته فلن تجد له نصيرا ينصره ويدفع عنه عذابه سبحانه. ٥٢

فائدة! من يتملق أو يصانع أو يداهن الذين يحكمون بغير شرع الله معرض للطرد من رحمته سبحانه.

شريعةُ ربِّكُم يا أهلَ سُوءٍ! ... وهلْ يَتملَّقُ الكُفرَ الخُيُورُ؟!

أم لهم نصيب من الملك: ليفضلوا بأهوائهم الذين كفروا على الذين آمنوا؟ فإذًا -لو كان لهم نصيب من ملك الله فلشدة بخلهم وحسدهم- لا يعطون الناس -شيئا، ولو- قدر نقرة في نواة تمر. ٥٣

أم يحسدون الناس -النبي ﷺ ومن آمن به- على ما أعطاهم الله من فضله: من نبوة وإيمان وتمكين؟ فقد أعطى سبحانه آل إبراهيم -والنبي ﷺ منهم، فليس ما أعطاه ببدعة- الكتب -المنزلة: القرآن وما قبله- والحكمة -فاصلة بين الهدى والضلال- وأعطاهم الله ملكا عظيما: كملك سليمان عليه السلام. ٥٤

فمن أهل الكتاب من آمن بما أعطى الله الأنبياء من آل إبراهيم عليه السلام -جميعه، ومنه القرآن- ومنهم من صد عنه -نفسه وغيره، كما يفعل كثير منهم، فلينتظر الكفرة عقابهم- وكفى بجهنم نارا مستعرة. ٥٥

إن الذين كفروا بآيات الله -المنزلة أو الكونية أو العقلية- سوف يجعلهم سبحانه يقاسون حر نار، كلما نضجت جلودهم -فاحترقت تماما- بدلهم الله جلودا غيرها، ليذوقوا العذاب -الذي لا انقطاع له- إن الله كان عزيزا في قدرته لا يعجزه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٥٦

والذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة سيدخلهم الله جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- أبدا، لهم فيها أزواج خالية من كل أذى وقذر منزهة عن كل عيب وقبح وسوء ونقيصة، ويدخلهم سبحانه ظلا باردا -كثيفا ممتدا لا يزول، لا يؤذي برده- يقي من الحر. ٥٧

إن الله يأمركم -أيها الناس، ولا سيما أهل الحكم منكم- أن تؤدوا الأمانات -أموالا كانت أو شهادات وأسرارا ورد مظالم وتحري عدل في الأحكام وإتقانا وكمالا في العمل ونحو ذلك، تامة- إلى أصحابها، وإذا حكمتم بين الناس -أو قضيتم، تأكيدا لأهمية هذه الأمانة- أن تحكموا بالعدل -بلا محاباة، بما أنزل الله، ليس بما يخالف ما شرع من أهواء أو آراء مجردة كما قال تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [المائدة ٤٥]- إن الله نعم ما يأمركم به محذرا، إن الله كان سميعا لكافة ما يقول عباده، بصيرا لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. ٥٨

فائدة! الحاكم والقاضي بغير شرع الله ظالم، وإن تحرى الدقة والمساواة في إعمال القوانين الوضعية.

ومَنْ يَتركْ شريعةَ ربِّ خَلْقٍ ... فهذا ظالمٌ ولهُ الثُّبورُ

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول -في الظاهر والباطن- وأولي الأمر من المسلمين -لا من غيرهم، فيما أطاعوا فيه الله والرسول- فإن تنازعتم في شيء -أي شيء!- فردوه إلى الله والرسول -القرآن والسنة- إن كنتم -حقا- تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك -التحاكم إلى ما أنزل الله- خير -من التحاكم إلى غيره- وأفضل -مما اتخذ الكفار من قوانين وضعية تبعا للأهواء والآراء المجردة- وأحسن مآلا. ٥٩

ألم ينته علمك أيها النبي الكريم إلى خبر -المنافقين- الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل
من قبلك -من كتب سماوية- يريدون أن يتحاكموا -في نزاعاتهم- إلى الطاغوت -بقوانين وضعوها لم
ينزلها الله على محمد ﷺ، وتخالف الشريعة الإسلامية- وقد أمروا أن يكفروا به -وبالتحاكم إلى غير
شرع الله، وقضى الله بكفر من يحكم بما يخالف شرعه كما قال تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الكافرون ﴾ [المائدة ٤٤]- ويريد الشيطان أن يضلهم عن الحق ضلالا ويبعدهم بعيدا؟ **٦٠**
وإذا جرى دعوتهم يأتوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون -أنفسهم وغيرهم- عنك
صدا تاما: يرغبون عن القرآن والسنة، ويخوفون غيرهم تبعة التحاكم إلى ما أنزل ربهم. **٦١**
فكيف -يكون حال من يريد التحاكم إلى غير ما أنزل الله- إذا أصابتهم -في الدنيا- مصيبة بسبب ما
اقترفت أيديهم -من كفر وآثام- ثم جاءوك يحلفون بالله -معتذرين- ما أرادوا -بالعدول عنك والتحاكم
إلى غير شرع الله- إلا إحسانا وتوفيقا: بين المتنازعين؟ ولم يعتقدوا جوازه! ما أشبه اليوم بالبارحة! **٦٢**
هؤلاء الذين يظهر الله علمه بما في قلوبهم -من نفاق وعداء للحق، ليفضحهم- فأعرض عنهم لا تبال
بهم، ومرهم محذرا -مرغبا ومرهبا، ومبينا حكم الله- وبالغ في تحذيرهم بما يؤثر في أنفسهم. **٦٣**
فائدة! كان النبي ﷺ يكف عن قتل المنافقين -ومن أبرز صفاتهم تقديم حكم الطواغيت على شرع
الله- مع كون قتلهم مصلحة، لئلا يقول الناس أنه يقتل أصحابه فينفروا عن الإسلام كما ورد عن النبي
ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ﴿ فسمع ذلك عبد الله بن أبي بن سلول، فقال: أوقد فعلوها؟
والله، ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ ﴾، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب
عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ﴾ [البخاري
٤٩٠٥ * مسلم ٢٥٨٤ * الترمذي ٣٣١٥ * أحمد ١٥٢٢٣]، فالمنافق نفاقا أكبر قد كفر وخلع ربقة
الإسلام من عنقه، وحده القتل، لكن إقامة الحد عليه يرجع إلى تقدير المصالح والمفاسد.

ومَنْ رَفَضَ الشريعةَ ليسَ مِنَّا ... بَلِ ارتَدَّ المُنافِقُ، فاستَنيروا

وما أرسل الله من رسول إلا ليطاع -فيما يأمر به وينهى عنه- بإذن الله ومشيئته، ولو أنهم حين ظلموا
أنفسهم عصيانا لربهم -بالتحاكم إلى غيرك- جاءوك أيها النبي الكريم -نادمين- فطلبوا المغفرة من الله
وطلب المغفرة لهم الرسول -في حياته- لوجدوا الله كثير التوبة على عباده، عظيم الرحمة بالتائبين. **٦٤**
فائدة! الاستغفار بذات النبي ﷺ لا يجوز، فليستغفر المسلم دون وسيط وليتوسل بأسماء الله الحسنى
وصفاته العلى، وبإيمانه به وما قدم من عمل صالح، أو ليلتمس الدعاء له والاستغفار من مؤمن صالح.

ولمْ نُشرِكْ رسولًا بالرحيمِ ... ونَدعو ربَّنا اغفِرْ يا غفورُ

فلا -لم يؤمنوا- وربك أيها النبي الكريم لا يؤمنون حتى يحكموك -في حياتك، ويحكموا القرآن والسنة
من بعدك- فيما شجر بينهم -من خلاف- ثم لا يجدوا في أنفسهم حرج -ولا في صدورهم ضيق ولا
شك- مما قضيت، ويسلموا تسليما: تاما مطلقا، منقادين لشرع الله، راضين به ظاهرا وباطنا. **٦٥**

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ
إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا
فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ
لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن
دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ
بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم
مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ
وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ
فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ
فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن
مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن
لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ
يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

ولو أن الله فرض سبحانه على عباده أن اقتلوا أنفسكم -كما حدث لبني إسرائيل: قيل أمر أن يقتل من لم يعبد العجل من عبده- أو اخرجوا من دياركم -مغادرين أرضكم وبلادكم- ما فعل ما يؤمرون به إلا -عدد- قليل منهم، ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به تحذيرا لكان خيرا لهم وأفضل، وأشد تثبيتا: لإيمانهم في الدنيا، خاصة أثناء الفتن كما قال تعالى ﴿ فلولا أنه كان من المُسَبِّحين. للبث في بطنه إلى يوم يُبعَثون. ﴾ [الصافات ١٤٣ ١٤٤]، وفي الآخرة يثبتهم الله على الصراط بسبب طاعتهم له. **٦٦**

وإذًا لأعطاهم الله من عنده سبحانه ثوابا عظيما. **٦٧**

ولوفقهم سبحانه وأرشدهم طريقا مستقيما واضحا غير معوج موصلا إليه وجنته. **٦٨**

ومن يطع الله والرسول -في الظاهر والباطن، متقبلا جميع ما أنزل الله، عاملا بالقرآن والسنة بغير ضيق ولا شك- فهؤلاء مع الذين أنعم الله عليهم -بالجنة- من الأنبياء والصديقين -الذين كمل تصديقهم وعملهم- والشهداء -الذين قتلوا نصرة لدين الله- والصالحين، وحسن هؤلاء رفقاء: هم الأحسن. **٦٩**

فائدة! مجرد الضيق من أحكام الشرع عصيان لله ورسوله ينفي الإيمان، فكيف بوضع قوانين ودساتير ومواثيق ولوائح تصادم الكتاب والسنة؟ وكيف بإلزام جموع المسلمين باحترامها والاحتكام إليها؟

شريعةُ ربِّكُم لا تَجحَدوها ... أَتقبَلُ ذلكَ الكُفرَ الصُّدورُ؟!

ذلك -الثواب هو- الفضل من الله، وكفى بالله عليما بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها: قد فازوا. **٧٠**

يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم -من الأعداء، وخذوا بكل أسباب القوة كما قال تعالى ﴿ وأَعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم ﴾ [الأنفال ٦٠]- فانهضوا للجهاد جماعات وسرايا متفرقة -تبعا للمصلحة- أو انهضوا للجهاد جميعا مجتمعين. **٧١**

وإن منكم -من المنافقين الدخلاء عليكم، الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر- لمن يتباطأ ويبطئ غيره -مثبطا المؤمنين عن الجهاد- فإن أصابتكم مصيبة -من هزيمة أو شدة- زعم -فرحا بسلامته- أن قد الله أنعم عليه، حيث لم يكن معكم شاهدا حاضرا. **٧٢**

ولئن أصابكم فضل من الله -فغنمتم- ليتحسرن -ندما وحسدا- كأن لم تكن بينكم وبينه مودة، متمنيا لو كان معكم، فيفوز فوزا عظيما: لتفاهته يعد الحصول على نصيب من غنيمة معركة فوزا عظيما! **٧٣**

فليقاتل في سبيل الله نصرة لدينه الذين يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة -مؤثرين الباقي على الفاني- ومن يقاتل في سبيل الله نصرة لدينه فيقتل -مقبلا غير مدبر- أو يغلب فسوف يعطيه الله ثوابا عظيما. **٧٤**

فائدة! لا يغترن عامل بعمله ولا مجاهد بجهاده، بل يدعو الله أن يتقبل منه ويثبته على طاعته ويوفقه ويحسن خاتمته، فليست العبرة إلا بالخواتيم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة. ﴾ [مسلم ٢٦٥١ * أحمد ١٠٢٨٦].

ونَدعو ربَّنا اقبَلْ يا شَكورُ ... ووَفِّقْ ربَّنا، بِكَ نَستَجيرُ

وما يمنعكم -أيها المؤمنون- أن تقاتلوا في سبيل الله نصرة لدينه، والمستضعفين من الرجال -كأهل العجز والمرض والضعف، ومن يستهدفهم الطغاة- والنساء والولدان الذين يدعون: ربنا أخرجنا من هذه القرية -مكة، وغيرها- الظالم أهلها -استنقاذا ممن بيدهم الحكم والقوة: كفار يمنعون الدعوة إلى دين الله ويصدون عن الإيمان ويعتدون على دماء وأموال المؤمنين ويحبسونهم ويعيقون هجرتهم- واجعل لنا من عندك وليا يتولى أمورنا بالرعاية ويحفظنا، واجعل لنا من عندك نصيرا ينصرنا ويدفع عنا الشر؟ **٧٥**

فائدة! الجهاد لاستنقاذ المستضعفين من براثن الطغاة الظلمة دفع للصائل، وهو من أولى الواجبات.

ونَدفعُ صائلًا مُستَنقِذينَ ... ضِعافَ المسلمينَ لهمْ نَصيرُ

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله نصرة لدينه -ومن جملة ذلك استنقاذ خلقه من الكفر والقهر- والذين كفروا -كفارا أصليين لم ينعم الله عليهم بالإسلام قط كانوا، أو مرتدين كمن يحكم بغير ما أنزل الله أو يوالي الكفار أو يعادي المسلمين أو ينصر من سب النبي ﷺ أو يحارب الله ورسوله- يقاتلون في سبيل الطاغوت -نصرة للشيطان وأتباعه، ومن جملتهم أسيادهم وأكابر مجرميهم وأوثانهم التي أشركوها بالله- فقاتلوا -أيها المؤمنون- أنصار الشيطان وأعوانه، إن مكائد الشيطان كانت -دوما- ضعيفة. **٧٦**

فائدة! إعانة الكفار الأصليين أو المرتدين في حرب أو عدوان على المسلمين من نواقض الإسلام.

إعانةُ كافِرٍ حَربٍ علينا ... هيَ الكُفرُ استَفِقْ! هذا مُبيرُ!

ألم ينته علمك أيها النبي الكريم إلى خبر الذين أمروا أن يكفوا أيديهم -ومؤقتا يكتفوا بشعائرهم- ويؤدوا الصلاة ويظهروا هيئتها ويديموها بشروطها، ويخرجوا الزكاة الواجبة في أموالهم، فلما فرض عليهم القتال إذا فريق منهم -فجأة- يخشون -قتال- الناس كخشية الله -وعذابه- أو أشد خشية، وتساءلوا ربنا لماذا فرضت علينا القتال؟ متمنين أن يؤخره عنهم قليلا، أخبرهم أن ما يتمتعون به في الدنيا قليل، والآخرة خير وأفضل لمن اتقى بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، ولا ينقص ثوابهم قدر خيط في نواة تمر. **٧٧** أينما تكونوا يدرككم الموت -لا مفر منه إذا حان أجلكم- ولو كنتم -بعيدا عن ساحات القتال- في قصور عالية أو حصون منيعة، وإن يصب المنافقين أمر حسن -من رزق أو ولد ونحو ذلك- أقروا بأن هذا من عند الله، وإن يصبهم أمر سيئ زعموا أن هذا من عندك أيها النبي الكريم، أخبرهم أن كل من عند الله -خيرا كان أو شرا، بقضائه وقدره- فمال هؤلاء القوم لا يفقهون جل ما تخبرهم به؟! **٧٨**

ما أصابك -أيها الإنسان- من أمر حسن -نصرا كان أو غنيمة أو رزقا أو ولدا أو غير ذلك- فمن الله -تفضل به عليك- وما أصابك من أمر سيئ فمن نفسك -بسبب ما اقترفت من معاص، وهو تكفير لذنوبك إن كنت مسلما كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها. ﴾ [البخاري ٥٦٤٠ ★ مسلم ٢٥٧٢ ★ أحمد ٢٤٥٧٣]- وأرسلك الله أيها النبي الكريم للناس -كافة- رسولا كما قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ [سبإ ٢٨]، وكفى بالله شاهدا على صدق رسالتك. **٧٩**

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ
أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي
سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ
كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةًۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ
عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ
وَٱلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُواْ
يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ
يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ
عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ
فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ
بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ
فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ
لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ
أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ
مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ
عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣
فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ
عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا
وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ
نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ
بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦

من يطع الرسول -فيما يأمر به وينهى عنه- فقد أطاع الله، ومن أعرض متنحيا عن طاعته فما أرسلك
الله أيها النبي الكريم عليهم حفيظا: من الآثام حتى لا تقع، ولا رقيبا تحصي أعمالهم، حتى يأتي أمر
الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]. ٨٠
ويجيبك المنافقون بأن طاعة -هي لك- فإذا ظهروا من عندك -متوارين- دبر طائفة منهم في الخفاء
غير الذي تتفوه به، والله يكتب ما يدبرون في الخفاء -في صحائف أعمالهم- فأعرض عنهم لا تبال
بهم -حتى يأذن الله كما قال تعالى ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التوبة
٧٣ ۞ التحريم ٩]- واعتمد على الله وحده في جميع أحوالك، وكفى بالله وكيلا يعتمد عليه. ٨١
أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون القرآن: متأملين ما فيه من مواعظ وحجج، أم هم كما قال تعالى ﴿ أفلا
يتدبَّرون القرآن أم على قلوب أقفالها. ﴾ [محمد ٢٤]؟ ولو كان -القرآن- من عند غير الله لوجدوا في
أحكامه اضطرابا وتناقضا، وفي ألفاظه ومعانيه اختلافا كثيرا وتفاوتا مخلا، وضعف مطابقة للواقع. ٨٢
وإذا جاء عوام المسلمين أنباء عن أمن المؤمنين -ونصرهم- أو خوفهم -وهزيمتكم- أذاعوها، ولو ردوا
أمر إذاعة الأنباء إلى الرسول وإلى أولي الأمر -أهل العلم والرأي- من المسلمين -لا من غيرهم: ليس
من يحكم بغير شرع الله أو يوالي الكفار أو يعادي المسلمين أو ينصر من سب النبي ﷺ أو يحارب
الله ورسوله- لعلم الذين هم أقدر على الإدراك والاستنباط ما ينبغي أن يذاع وما ينبغي أن يكتم، ولولا
فضل الله عليكم بالإسلام، ورحمته بكم بإنزال القرآن لاتبعتم الشيطان -فما زلتم كافرين- إلا قليلا:
ممن عصم الله، كمن لم يعبد أوثان الجاهلية كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما. ٨٣
فقاتل أيها النبي الكريم -وكل فرد من أمتك- في سبيل الله نصرة لدينه، لا تكلف إلا نفسك، وحرض
المؤمنين -مرغبا في الجهاد، ولا إثم عليك في تخلف من يتخلف- الله سيكف -بلطفه، إن جاهدتم
وحرضتم- شدة الذين كفروا -ويدفع قوتهم- والله أشد شدة -من الجميع- وأشد تنكيلا وعذابا. ٨٤
فائدة! الجهاد الفردي مشروع، وهو فعل أبي بصير ﷺ عندما قطع طريق قوافل مشركي قريش.
أُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ وحدي ... وإخواني أُحَرِّضُ: لا تَخوروا
من يعن غيره -ممن يستحق الإعانة- على أمر حسن -ليجلب له نفعا أو يخلصه من بلاء- يكن له
نصيب من الثواب، ومن يعن غيره -أو يقم معه على- أمر سيئ -كالتعاون على الظلم، أو السعي بين
العباد بالغيبة والنميمة- يكن له حظ من الإثم -كما قال تعالى ﴿ وتَعاونوا على البر والتقوى ولا تَعاونوا
على الإثم والعدوان ﴾ [المائدة ٢]- وكان الله على كل شيء شاهدا حافظا، وسيجازي عباده. ٨٥
وإذا حييتم بتحية فردوا -فالبدء بالسلام على المسلم سنة، ورده فريضة، أما الكافر فكما ورد عن النبي
ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام ﴾ [مسلم ٢١٦٧ ٭ أبو داود
٥٢٠٥ ٭ الترمذي ١٦٠٢ ٭ أحمد ٧٦١٧]- بأحسن منها -كأن يقال لكم: "السلام عليكم" فتردوا:
"وعليكم السلام ورحمة الله"- أو بمثلها، إن الله كان على كل شيء حاسبا شاهدا. ٨٦

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ
وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ
أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ
كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ
يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ
وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ
صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ
لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ
وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا
رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ
إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ
ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

لا معبود بحق سوى الله، ليجمعنكم -أولكم وآخركم بعد بعثكم أحياء ليجازي كلا بما قدم، في مقام واحد- إلى يوم القيامة لا ريب فيه -فاحذروا مصير الكافرين- ومن أصدق من الله حديثا؟ لا أحد! **٨٧**

فما لكم -أيها المؤمنون- في -شأن- المنافقين -انقسمتم فصرتم- جماعتين -من يريد قتالهم لردتهم، ومن لا يرى ردتهم ويريد تركهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه ﴿ أن النبي ﷺ خرج إلى أُحد فرجع ناس ممن كان معه، فكان أصحاب النبي ﷺ فيهم فرقتين، قال بعضهم نقتلهم وقال بعضهم لا! فنزلت: ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين ﴾ ﴾ [البخاري ١٨٨٤ * مسلم ٢٧٧٦ * الترمذي ٣٠٢٨ * أحمد ٢١٥٩٩]- والله نكسهم -فردهم كفارا- بسبب ما كسبوا من عمل؟ أتريدون أن تصفوا من أضل الله -فغمر في الضلال- بالهداية؟! ومن يضلل الله فلن تجد لهدايته وسيلة. **٨٨**

فائدة! على المسلم أن يميز المنافقين والمرتدين، ومن جملتهم الذين يدعون إلى تذويب الفروق بين الأديان، أو إنشاء ما يطلق عليه "الدين الإبراهيمي"، وإبراهيم عليه السلام منهم براء، فأحكام المسلمين من زواج ومعاملات وموالاة لا تسري عليهم، كما لا يجوز الصلاة عليهم ولا الدعاء لهم ولا الاستغفار.

ومُرتَدٌّ يُنافِقُ أو يُعادي ... نُمَيِّزُهُم ونَعزِلُ، هُم كثيرُ!

أحب هؤلاء المنافقون وتمنوا لو تكفرون -أيها المؤمنون، فترتدوا عن دينكم- كما كفروا فتكونون -أنتم وهم في الكفر- سواء، فلا تتخذوا منهم أنصارا ولا أعوانا حتى يهاجروا في سبيل الله نصرة لدينه، فإن أعرضوا متنحين عن صفكم فخذوهم -أسرى- واقتلوهم حيث وجدتموهم -في أي وقت، حلا كان أو حرما، وفي أي مكان- ولا تتخذوا منهم وليا يواليكم على أمر، ولا نصيرا ينصركم على عدو. **٨٩**

فائدة! يجوز قتل المنافقين والمرتدين في الأشهر الحرم.

ومُرتَدٌّ يُعادي أو يُواري ... ففي الحُرُمِ استَحِلُّوا، لا نَجورُ

إلا الذين يصلون -من المنافقين- إلى قوم بينكم وبينهم عهد ثقيل -بالمسالمة وترك القتال، فإن وصلوا إليهم أو دخلوا فيهم فلا تقتلوهم- أو جاءوكم ضاقت صدورهم وانقبضت -لا يريدون- أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم -معكم، كذلك لا تقتلوا هؤلاء- ولو شاء الله لسلطهم عليكم -ووجههم إليكم ومكنهم منكم، اختبارا لكم- فلقاتلوكم، فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وانقادوا إليكم مسالمين -فلا تبادروهم- فما جعل الله لكم عليهم -بعد- سبيلا: لقتلهم وأسرهم واغتنام أموالهم، ولاحقا جعل الله السبيل في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]، فلله الحمد والمنة. **٩٠**

ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم -يظهرون لكم الإسلام ولهم الكفر- كلما عرض لهم عارض من عوارض الفتنة انتكسوا فيها -فازدادوا كفرا- فإن لم يعتزلوكم -فيكفوا عن المبادرة بقتالكم- وينقادوا إليكم مسالمين ويكفوا أيديهم -ويغلب على الظن أن لن يأتوا بأذى- فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم وتمكنتم منهم -دفعا كان أو طلبا، في الحل والحرم- وهؤلاء جعل الله لكم عليهم -لقتلهم وأسرهم واغتنام أموالهم- برهانا واضح الدلالة: فتسلطوا عليهم لغدرهم وانتكاسهم في الفتن. **٩١**

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ
لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ
مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا
فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ
وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟
لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

وما صح لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ، ومن قتل مؤمنا خطأ فعتق رقبة -تحرير نفس مملوكة- مؤمنة -على القاتل، كفارة عن خطأه- ودية مسلمة إلى ورثة القتيل -على عاقلة القاتل: الأب والأجداد من جهته، والإخوة الأشقاء والإخوة من الأب والأعمام وأبنائهم- إلا أن يصدقوا -فتسقط الدية إن عفوا- فإن كان -القتيل- من قوم -كفار حربيين- عدو لكم وهو مؤمن -فلا تؤدوا دية لعدو- فعتق رقبة مؤمنة -على القاتل- وإن كان من قوم -كفار غير حربيين- بينكم وبينهم عهد ثقيل فدية مسلمة إلى ورثته -على العاقلة- وعتق رقبة مؤمنة -على القاتل- فمن لم يجد -رقبة أو ثمنها- فليصم شهرين متصلين -لا إفطار في نهارهما إلا لعذر شرعي كالحيض والمرض ونحوهما، فمن أفطر بلا عذر بدأ من جديد، شرع ذلك- توبة من الله، وكان الله عليما لا يخفى عليه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٩٢**

ومن يقتل -إن كان من المسلمين- مؤمنا متعمدا -ليس خطأ ولا شبه عمد وبغير حق شرعي كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ لا يحل دم رجل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة. ﴾ [البخاري ٦٨٧٨ * مسلم ١٦٧٦ * أبو داود ٤٣٥٢ * الترمذي ١٤٠٢ * النسائي ٤٧٢١ * ابن ماجة ٢٥٣٤ * أحمد ٣٦٢١]، وقتل مسلم جرم شنيع كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ [البخاري ١٢١ * مسلم ٦٥ * الترمذي ٢١٩٣ * النسائي ٤١٣٢ * ابن ماجة ٣٩٤٢ * أحمد ١٩١٦٧]- فجزاؤه جهنم -بلا أنيس- خالدا فيها -مدة طويلة وليس أبدا، إلا أن يستحل قتل المسلمين أو يقتلهم لدينهم فيخرج بذلك من الإسلام، أما من تاب ونال عقابه الشرعي فذلك كفارة ذنبه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ﴿ بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ولا تزنوا، وقرأ هذه الآية كلها، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارته، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه. ﴾ [البخاري ٦٧٨٤ * مسلم ١٧٠٩ * الترمذي ١٤٣٩ * النسائي ٤١٦١ * أحمد ٢٢٦٦٨]- وغضب الله عليه، وطرده من رحمته، وأعد له عذابا عظيما. **٩٣**

يا أيها الذين آمنوا إذا خرجتم -للجهاد- في سبيل الله نصرة لدينه فتبينوا -تثبتوا!- ولا تعتبروا من ألقى إليكم السلام ليس مؤمنا -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهو يسوق غنما له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا، فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا بغنمه النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيَّنوا ﴾ ﴾ [البخاري ٤٥٩١ * مسلم ٣٠٢٥ * أبو داود ٣٩٧٤ * الترمذي ٣٠٣٠ * أحمد ٢٠٢٣]- تطلبون -بأخذ ما معه- ما يعرض من منافع الحياة الدنيا، فعند الله مغانم كثيرة -أحلها لكم- كذلك كنتم من قبل -مثله، تقيمون بين كفار!- فأنعم الله وتفضل عليكم -بالهجرة- فتبينوا، إن الله كان بجميع أعمالكم خبيرا، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. **٩٤**

لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أصحاب الأعذار -الشرعية المعيقة عن الجهاد- والمجاهدون في سبيل الله نصرة لدينه ببذل أموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين ببذل أموالهم وأنفسهم على القاعدين -لعذر- مرتبة -واحدة، فالمجاهد باشر الجهاد والقاعد لعذر قصده ولم يباشره، فإن كان لا يتمنى زوال العذر ولا يحدث نفسه بالجهاد فهو بمثابة من لا عذر له، وهما كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق. ﴾ [مسلم ١٩١٠ ★ أبو داود ٢٥٠٢ ★ النسائي ٣٠٩٧ ★ أحمد ٨٨٦٥]- وكلا -منهم: مجاهدين وقاعدين لعذر- وعد الله الجنة، وفضل الله المجاهدين على القاعدين -لغير عذر- ثوابا عظيما. **٩٥**

مراتب منه -كرامة للمجاهدين- ومغفرة ورحمة، وكان الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بهم. **٩٦**

إن الذين توفتهم وتتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم -بين أظهر الكفار كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: ﴿ إنَّ الذين تَوفَّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ ﴾ [البخاري ٤٥٩٦]- سألتهم في أي شيء كانوا؟ اعتذروا بأن كانوا مستضعفين في أرضهم -عن إقامة دينهم عاجزين- سألتهم -موبخة- ألم تكن أرض الله واسعة، فيهاجروا فيها: فرارا بدينهم؟ فهؤلاء -المتقاعسون عن هجرة وجبت- مستقرهم جهنم، وساءت مصيرا: الأسوأ. **٩٧**

إلا المستضعفين من الرجال -كأهل العجز والمرض والضعف ومن يستهدفهم الطغاة- والنساء والولدان لا يستطيعون -حقيقة إيجاد- حيلة -تمكنهم من الفرار بدينهم- ولا يهتدون -للهجرة- طريقا. **٩٨**

فهؤلاء الله سيعفو -بلطفه- عنهم، وكان الله عفوا عن عباده، واسع ودائم المغفرة. **٩٩**

ومن يهاجر في سبيل الله نصرة لدينه -حصرا كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه. ﴾ [البخاري ١ ★ مسلم ١٩٠٧ ★ أبو داود ٢٢٠١ ★ الترمذي ١٦٤٧ ★ النسائي ٧٥ ★ ابن ماجة ٤٢٢٧ ★ أحمد ١٦٨]- يجد في الأرض سكنا عزيزا رغم أنف كثير ممن هجرهم، وسعة -في الرزق- ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله -ليرضيا- ثم يدركه الموت -بقتل أو بغيره- فقد وجب ثوابه على الله، وكان الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. **١٠٠**

وإذا خرجتم في سفر فليس عليكم لوم ولا إثم أن تقصروا من الصلاة -الرباعية إلى ركعتين- إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا -فيختبروكم ويضروكم، أو لم تخافوا كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه ﴿ قلت لعمر بن الخطاب: ﴿ فليس عليكم جُناح أن تَقصُروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴾ فقد أمن الناس فقال: عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ، فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته. ﴾ [مسلم ٦٨٦ ★ أبو داود ١١٩٩ ★ الترمذي ٣٠٣٤ ★ النسائي ١٤٣٣ ★ ابن ماجة ١٠٦٥ ★ أحمد ١٧٤]- إن الكافرين كانوا لكم عدوا ظاهر العداوة. **١٠١**

لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ
قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ
جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن
يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ وَمَن
يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ
وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي
ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ
مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ
مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ
مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ
عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ
أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ
وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ
جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ
كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِي
ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا
تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ
بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾

وإذا كنت -يا أمير الجهاد- بين المؤمنين فأردت أن تصلي بهم فلتقم طائفة منهم معك -تصلي، ولا يلزم استقبال القبلة- وليأخذوا أسلحتهم -وطائفة أخرى تحرسكم قائمة بإزاء العدو- فإذا سجدوا فلتكن الأخرى من ورائكم -ولتتم الأولى صلاتها- ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا، فليصلوا معك -والأولى في الحراسة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ﴿ فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، قال: فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان ﴾ [البخاري ٤١٣٦ * مسلم ٨٤٣ * النسائي ١٥٥٤ * أحمد ١٤٩٢٨]، وورد لصلاة الخوف صفات غير ذلك- وليأخذوا حذرهم، وأسلحتهم -يحملوها- أحب الذين كفروا وتمنوا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم -لينالوا فرصة- فيشدون عليكم شدة واحدة، ولا لوم عليكم ولا إثم إن كان آذاكم مطر أو كنتم مرضى -أو بكم جراح كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ﴿ إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى ﴾ قال: عبد الرحمن بن عوف، كان جريحا. ﴾ [البخاري ٤٥٩٩]- أن تضعوا أسلحتكم، وخذوا حذركم -لئلا تؤخذوا على غرة، لكن دون خوف- إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا مذلا. **١٠٢**
فإذا قضيتم الصلاة -ففرغتم منها- فاذكروا الله -في جميع أحوالكم- قائمين وجالسين ومضطجعين، فإذا اطمأننتم فأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأديموها بشروطها، إن الصلاة كانت على المؤمنين فرضا له وقت محدد: حال الإقامة، ويجوز في السفر الجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء. **١٠٣**
فائدة! تقام صلاة الفجر قبل دخول وقتها في جزيرة العرب ومصر وغيرهما، ووقتها هو ظهور ضوء أحمر بعرض السماء كما ورد عن النبي ﷺ من حديث طلق بن علي رضي الله عنه ﴿ ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر ﴾ [أبو داود ٢٣٤٨ * الترمذي ٧٠٥ * أحمد ١٦٢٩١].

صلاةَ الفَجرِ لا تَبدأْ بليلٍ ... ظُهورُ الأحمرِ العَرضِيِّ نورُ

ولا تفتروا -أيها المؤمنون، ولا تتثاقلوا- في طلب القوم -بل جاهدوا أعداءكم من الكفار، وأظهروا القوة والصبر والجلد- إن تكونوا تألمون -لما يصيبكم من شدائد الجهاد- فإنهم يألمون -لما يصيبهم- كما تألمون -فلا يكن صبرهم على الباطل أعظم من صبركم على الحق- وترجون من الله -من جزيل ثوابه- ما لا يرجون، وكان الله عليما لا يخفى عليه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. **١٠٤**
فائدة! جهاد الطلب واجب على ولي الأمر المسلم، وليس بمثابة الاعتداء كما يزعم علماء السلطان.

نُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ دَفعًا ... ونَطلبُ أهلَ كُفرٍ إذْ نُغِيرُ

إن الله أنزل سبحانه إليك أيها النبي الكريم القرآن بالحق -لا شك فيه، مشتملا على الحق محفوظا في إنزاله من الشياطين- لتحكم بين الناس بما أراك الله -وعلمك من شرعه: إما بوحي ونص، أو بنظر جار على سنن الوحي، ليس بهواك ولا برأيك!- ولا تكن عمن عرفوا بالخيانة مدافعا ولا مجادلا. **١٠٥**
فائدة! يشترط في الحاكم والقاضي أن يكون جامعا للعلم بالأحكام الشرعية، لأنه مكلف بتنفيذها.

وشَرعُ اللهِ قرآنٌ ليُقضى ... بهِ والسُّنَّةِ اشتَغَلَ الأميرُ

واطلب المغفرة من الله، إن الله كان واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمستغفرين. ١٠٦
ولا تجادل -مدافعا- عن الذين يخونون أنفسهم -بتعريضها للضرر في الدنيا والآخرة لاقترافهم الآثام، ومن جملتها خيانة الناس- إن الله لا يحب -بل يبغض- من كان كثير الخيانة كثير الإثم. ١٠٧

فائدة! لا يجوز الجدال ولا الدفاع ولا النيابة عمن عرف بالخيانة، أيها الإعلام الخبيث!

نُدافِعُ عَنْ بَريءٍ لا تَخونوا ... ولا نؤوي أثيمًا أو نُجيرُ

يستخفون -عند اقترافهم الآثام، في استحياء مستترين- من الناس، ولا يستخفون من الله، وهو -بعلمه وقدرته- معهم حيث يدبرون في الخفاء ما لا يرضى من الأقوال والآراء -كتبرئة الجاني واتهام البريء- وكان الله على علم تام وإحاطة كاملة بما يعملون في السر والعلن، وسيجازيهم بأعمالهم. ١٠٨
ها أنتم -يا- هؤلاء جادلتم عنهم -مدافعين، رغم أنهم معروفون بالخيانة، لتدفعوا عنهم العار والعقوبة، وتثبتوا براءتهم- في الحياة الدنيا، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة؟ أم من يكون عليهم وكيلا: يتوكل لهم في خصومة الله وترويج دعواهم؟ ليس لهم أحد يقوم بأمرهم إذا أخذهم سبحانه بعذابه! ١٠٩
ومن يعمل أمرا سيئا أو يظلم نفسه بتعريضها لسخط الله ثم يطلب المغفرة من الله -مقرا بذنبه، نادما عليه، عازما على الإقلاع عنه، مؤديا لحقوق العباد إن وجدت كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم: إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه. ﴾ [البخاري ٢٤٤٩ * الترمذي ٢٤١٩ * أحمد ٩٦١٥]- يجد الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمستغفرين. ١١٠
ومن يقترف إثما -كبيرا كان أو صغيرا- فإنما يكسبه على نفسه -فعاقبة إثمه عائدة عليه وحده ليست تتعداه إلى غيره كما قال تعالى ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [الأنعام ١٦٤]- وكان الله عليما لا يخفى عليه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. ١١١
ومن يقترف خطأ -كبيرا كان أو صغيرا، متعمدا أو غير متعمد- أو إثما ثم يتهم به -شخصا- بريئا فقد حمل كذبا مفرطا وإثما واضحا. ١١٢
ولولا فضل الله عليك أيها النبي الكريم بحفظك، ورحمته بك بعصمتك لهمت طائفة من الذين عرفوا بالخيانة أن يضلوك -فتحكم حكما خاطئا- وما يضلون -في الواقع- إلا أنفسهم -فضرر عملهم عائد عليهم في الدنيا والآخرة- وما يضرونك من شيء -فقد عصمك الله كما قال تعالى ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ [المائدة ٦٧]، وقد عملت بما ظهر لك قاصدا الحق، فلست تأثم إن لم تصبه- وأنزل الله عليك القرآن والسنة، وعلمك ما لم تكن تعلم -من شرائع دينه وشعائره كما قال تعالى ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ [الشورى ٥٢]- وكان فضل الله عليك بحفظك وعصمتك وبالنبوة والوحي عظيما. ١١٣

وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ
عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ
جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ
سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا
ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾
وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ
أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ
مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾

۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا
بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ
عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن
دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ
وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

لا خير في كثير من تناجي الناس -فيما بينهم، فبعضه لا نفع من ورائه وبعضه شر محض- إلا من أمر بصدقة -من مال أو علم، ومن يذكر غيره بطاعة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ﴿ يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى. ﴾ [مسلم ٧٢٠ ★ أبو داود ١٢٨٦ ★ أحمد ٢١٤٧٥]- أو ما دل الشرع والعقل على حسنه، أو إصلاح بين الناس -فيما يتنازعون فيه من أمور شخصية، أو عامة كقتال يشب بينهم كما قال تعالى ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ [الحُجُرات ٩]، ومن يفعل ذلك -آمرا بصدقة أو معروف أو إصلاح- التماسا لمرضاة الله فسوف يعطيه الله ثوابا عظيما. **١١٤**

ومن يخالف الرسول من بعد ما تبين له الهدى -فتقوم عليه الحجة، فلا يهتم، ويفارق ما جاء به ﷺ عمدا- ويتبع غير طريق المؤمنين -فإجماع صحابته بعد وفاته ﷺ تحرم مخالفته- يتركه الله وما اختار لنفسه، ويخذله فلا يوفقه ولا يرشده، ويجعله سبحانه يقاسي حر جهنم، وساءت مصيرا: الأسوأ. **١١٥**

إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون الشرك -والكفر من الذنوب، كبيرها وصغيرها- لمن يشاء -وليس لكل مسلم، بفضله وحكمته- ومن يشرك بالله فقد ضل عن الحق تماما وغاب بعيدا: فالشرك أحبط كامل عمله كما قال تعالى ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ [الأنعام ٨٨]. **١١٦**

ما يدعون من دون الله ولا يعبد المشركون إلا أوثانا لها أسماء إناث -كاللات والعزى ومناة- وما يدعون ولا يعبدون -في الواقع- إلا شيطانا متمردا على الله: أمرهم بعبادة الأوثان وأحلها لهم، فأطاعوه. **١١٧**

فائدة! طاعة من يحل ما حرم الله أو يحرم ما أحل -فيبدل شرعه سبحانه، أو يضع قوانين تخالفه- هي في واقع الأمر عبادة للمشرعين، وهؤلاء ما هم إلا شياطين مردة تمردوا على الله ليضلوا عباده.

نُطيعُ اللهَ لَمْ نأبَهْ لِطاغٍ ... يُبَدِّلُ شَرْعَ رَبِّي، بَلْ نَفورُ

طرد الله الشيطان من رحمته، وأقسم الشيطان لله ليتخذن من عباده -سبحانه- نصيبا معلوما مقدرا: إذ يغويهم ويضلهم عن الحق، فيخرجهم من عبادة الله وحده لا شريك له إلى الكفر. **١١٨**

وليضلنهم -عن الحق: في العلم وفي العمل، بتزيين الباطل- وليمنينهم -بوعود مجردة باطلة ناشئة عن وسوسته- وليأمرنهم فليقطعن آذان الأنعام -ليتخذوها علامة على تحريم ما أحل الله، وقد أطاعه مشركو العرب فشقوا آذان بعض البهائم- وليأمرنهم فليغيرن خلق الله -بتغيير فطرة الخلق وحرفهم عن الإسلام، كذلك بالخصاء وإتلاف الأعضاء وتغيير الجنس والوشم، وباللواط والسحاق والبهيمية وغير ذلك- ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله يواليه فيطيعه فيما يوسوس له به فقد خسر خسرانا واضحا. **١١٩**

يعد أتباعه -وعودا باطلة- ويمنيهم -أمانٍ كالسراب- وما يعدهم الشيطان -في الواقع- إلا غرورا يغرهم به ويخدعهم. **١٢٠**

هؤلاء -الشيطان ومن يطيعه- مستقرهم جهنم، ولا يجدون عنها -من العذاب- مخلصا ولا مفرا. **١٢١**

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ
وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ
وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن
يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ
فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ
أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ
مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ
فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ
وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ
وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾

والذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة سيدخلهم الله جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- أبدا، وعد الله حقا صادقا واقعا، ومن أصدق من الله قولا؟ لا أحد! ١٢٢

ليس -أمر النجاة ودخول الجنة- بأمانيكم -المجردة، أيها المسلمون- ولا أماني أهل الكتاب كما قال تعالى ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيُّهم ﴾ [البقرة ١١١] -بل ذلك تابع للعمل- من يعمل أمرا سيئا -كبيرا كان أو صغيرا- يجز به -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لما نزلت: ﴿ من يعمل سوءا يُجز به ﴾ بلغت من المسلمين مبلغا شديدا، فقال رسول الله ﷺ: قاربوا، وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها. ﴾ [مسلم ٢٥٧٤ * الترمذي ٣٠٣٨ * أحمد ٧٣٨٦]- ولا يجد له من دون الله وليا يواليه فيجلب له الخير، ولا نصيرا ينصره فيدفع عنه الشر. ١٢٣

ومن يعمل من الأعمال الصالحة، ذكرا كان أو أنثى، وهو مؤمن كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [مسلم ٨ * أبو داود ٤٦٩٥ * الترمذي ٢٦١٠ * النسائي ٤٩٩٠ * ابن ماجة ٦٣ * أحمد ٣٦٧] فهؤلاء يدخلون الجنة، ولا ينقص ثوابهم قدر نقرة في نواة تمر. ١٢٤

ومن أحسن دينا ممن أخلص عمله لله مستسلما متوجها له بقلبه وهو محسن في عبادته متبع لشرعه، محسن في معاملة عباده، واتبع ملة إبراهيم -فصار مثله عليه السلام، إذ كان- حنيفا مائلا عن جميع الأديان الباطلة إلى الإسلام؟ واتخذ الله إبراهيم صفيا خالص المحبة. ١٢٥

ولله ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وكان الله على علم تام وإحاطة كاملة بكل شيء كما قال تعالى ﴿ وسع كل شيء علما ﴾ [طه ٩٨]. ١٢٦

ويستفتونك أيها النبي الكريم في النساء -وأحكامهن في الميراث وغيره- أخبرهم أن الله يفتيهم فيهن، وما يقرأ عليهم في القرآن كذلك يفتيهم -فليعملوا بما أنزل الله وشرع وبما أفتاهم به- في يتامى النساء اللاتي -تحت ولايتهم- لا يعطونهن ما فرض لهن -بل يبخسونهن حقوقهن في الميراث- ويريدون أن يتزوجوهن -راغبين فيهن ولكن يبخسونهن المهور، أو راغبين عنهن لا يريدون إلا أموالهن، فيبخسوهن المهور أو لا يقوموا بحقوقهن كما قال تعالى ﴿ وإن خِفتم ألَّا تُقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثُلاث ورُباع ﴾ [النساء ٣]، أو يمنعون زواجهن لينتفعوا بأموالهن، أو يزوجونهن فيستولوا على مهورهن- والمستضعفين من الولدان كذلك يفتيهم -فلا يستولوا على أموالهم، ويعطوهم حقوقهم في الميراث كما قال تعالى ﴿ يوصيكم الله في أولادكم ﴾ [النساء ١١]- وأن يقوموا لليتامى بالعدل -بإحسان تربيتهم وتنمية أموالهم، وإلزامهم أمر الله وما أوجبه على عباده، ونحو ذلك مما يصلح شؤونهم في الدنيا والآخرة- وما يفعلوا من خير -قليلا كان أو كثيرا، لليتامى أو لغيرهم- فإن الله كان به عليما، وسيجازيهم على حسب نياتهم ونفعه. ١٢٧

وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ
وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ
بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا
كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن
قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ
ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾

وإن امرأة خافت من زوجها نشوزا -ترفعا عنها أو تباعدا أو قلة رغبة فيها- أو إعراضا منصرفا عنها فلا لوم عليهما ولا إثم أن يتصالحا بينهما صلحا -فتتنازل له عن بعض حقوقها الواجبة، كأن تسقط بعض النفقة أو المهر أو حق المبيت ونحو ذلك كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة بيوم سودة. ﴾ [البخاري ٢٥٩٣ * مسلم ١٤٦٣ * أبو داود ٢١٣٨ * ابن ماجة ١٩٧٢ * أحمد ٢٤٣٩٥]- والصلح خير -من الخصومة أو الطلاق- وأفضل، وجبلت الأنفس على الحرص والبخل -بما لديها ولا سيما المال، فاحرصوا على علاج ذلك، ولا تتمادوا- وإن تحسنوا -في كل شؤونكم، ومن جملتها عشرة النساء- وتتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه -ومن جملتها ما لا يجوز من النشوز والإعراض- فإن الله كان بجميع أعمالكم خبيرا، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. **١٢٨**

فائدة! بقاء الألفة بالصلح بين من بينهما منازعة أفضل من التعنت طلبا لتحصيل كامل الحق.

ونُصلِحُ لا نُنازِعُ بعضَنا بَلْ ... إلهي نتَّقي فهوَ الخبيرُ

ولن تستطيعوا -أيها الأزواج- أن تعدلوا -تمام العدل، في المحبة- بين النساء، ولو حرصتم -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه، فيعدل، ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك. ﴾ [أبو داود ٢١٣٤ * الترمذي ١١٤٠ * النسائي ٣٩٤٣ * ابن ماجة ١٩٧١ * أحمد ٢٥١١١]- فلا تميلوا -عن إحداهن- كل الميل فتتركوها كالمعلقة -لا هي ذات زوج يقوم بحقها، ولا هي غير ذات زوج فتتزوج- وإن تصلحوا ظاهركم وباطنكم وما فسد من أحوالكم -ومن جملته عشرة نسائكم- وتتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه -ومن جملتها ما لا يجوز من الميل- فإن الله كان واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمتقين. **١٢٩**

وإن يتفرقا -بطلاق أو خلع، إن تعذر الصلح- يغن الله كلا -عن الآخر، فيهيئ لكل منهما الذي يغنيه ويناسبه، ويرزقهما- من سعته، وكان الله واسع الفضل، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. **١٣٠**

ولله ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، ولقد وصى سبحانه أهل الكتاب من قبلكم من يهود ونصارى وإياكم -أيها المؤمنون- أن اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وإن تكفروا -فلن تضروا إلا أنفسكم- فإن لله ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وكان الله غنيا عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه -وعن تقواهم- محمودا في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. **١٣١**

ولله ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وكفى بالله وكيلا يعتمد عليه. **١٣٢**

إن يشأ يذهبكم أيها الناس -فتهلكوا- ويأت بآخرين -يتقونه يفعل- وكان الله على ذلك قديرا. **١٣٣**

من كان يريد -بعمله- ثواب الدنيا -كمن يقاتل لغنيمة- فعند الله ثواب الدنيا والآخرة -كأن يثيب من يجاهد بالغنيمة والجنة جميعا، فليوقن طالب الدنيا بذلك، وليطلبهما معا إن شاء- وكان الله سميعا لكافة ما يقول عباده، بصيرا لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. **١٣٤**

* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ
عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا
فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ
أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ
ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ
كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ
سَبِيلَۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴿١٣٩﴾ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي
ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا
تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

يا أيها الذين آمنوا كونوا -في جميع أحوالكم- قائمين بالعدل، مؤدين للشهادة لله -طلبا لرضاه وثوابه- ولو -اقتضى ذلك إقرارا بالحق- على أنفسكم أو الوالدين والأقارب، إن يكن -المشهود عليه- غنيا أو فقيرا -فلا يحملنكم حاله على عدم أداء الشهادة على وجهها: لا تغيروا الشهادة استجلابا لمنفعة أو مهابة غني، ولا شفقة على فقير- فالله أولى بكل واحد منهما، فلا تتبعوا الهوى خشية أن تميلوا عن الحق، وإن تلووا -فتحرفوا الشهادة بالكذب، أو باستخدام ألفاظ تؤدي إلى تشعب التأويلات لتنحرف عن المقصود، أو باجتزائها ونحو ذلك مما لا يقيمها على وجهها- أو تعرضوا منصرفين عن أدائها فإن الله كان بجميع أعمالكم خبيرا، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. **١٣٥**

يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله -فاثبتوا على إيمانكم، مخلصين لله ومطيعين لرسوله- والقرآن الذي نزل على رسوله كذلك آمنوا به والكتب التي أنزل من قبل، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر -البعث والحساب، من يكفر بشيء من ذلك- فقد ضل عن الحق تماما وغاب بعيدا. **١٣٦**

إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا -تكرارا للردة- ثم ازدادوا كفرا -متمادين في الضلال، إلى أن عاينوا الموت- لم يكن الله ليغفر لهم كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]، ولا ليوفقهم أو يرشدهم طريقا فيه خير لهم. **١٣٧**

بشر أيها النبي الكريم المنافقين -الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر- بأن لهم عذابا أليما. **١٣٨**

الذين يتخذون الكافرين أنصارا وأعوانا من دون المؤمنين -متجاوزين إخوانهم، أي شيء يحملهم على تفضيل الكافرين؟- أيطلبون عندهم العزة؟ فإن العزة -الغلبة والقوة والمنعة- لله جميعا: ما كان منها مع المؤمنين فهو من فيضه وليس لغيرهم نصيب فيها كما قال تعالى ﴿ ولله العِزَّة ولرسوله وللمؤمنين ولكنَّ المنافقين لا يعلمون ﴾ [المنافقون ٨]. **١٣٩**

وقد نزل عليكم -يا من تزعمون الإيمان- في القرآن -مبينا الحكم الشرعي في حضور مجالس السوء كما قال تعالى ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ [الأنعام ٦٨]- أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا مع من يتنقص من آيات الله والأدلة الشرعية -فيتعين الإنكار عليهم حال القدرة، أو المغادرة وعدم القعود معهم حال عدمها- حتى يتناولوا حديثا غيره، إنكم -إن قعدتم معهم حال الكفر والاستهزاء بآيات الله- إذًا -في الكفر- مثلهم، إن الله جامع المنافقين -الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر- والكافرين في جهنم جميعا. **١٤٠**

فائدة! الراضي بالمعصية كالذي يقترفها، وتغيير المنكر واجب علينا بحسب القدرة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ من رأى منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان. ﴾ [مسلم **٤٩** ⋆ أبو داود **١١٤٠** ⋆ الترمذي **٢١٧٢** ⋆ النسائي **٥٠٠٨** ⋆ ابن ماجة **١٢٧٥** ⋆ أحمد **١١١٥٠**]، ويجب عدم مخالطة أو مجالسة أهل المنكرات.

ولا نَرضى بمعصيةٍ بتاتًا ... على العاصي لِنُنكِرْ، لا تَخوروا

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ
أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ
أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا
قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ
ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ
أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

الذين ينتظرون ويرتقبون ما يحل بكم -أيها المؤمنون، من خير أو شر، فقد أعدوا لكل مقام مقال- فإن كان لكم فتح من الله -فغنمتم بفضله- سألوكم -لينالوا من الغنيمة- ألم يكونوا معكم: متصفين بظاهر الإسلام ملتزمين أحكامه، قد شهدوا ما شهدتم وكثروا عددكم؟ وإن كان للكافرين نصيب -فانتصروا في إحدى الجولات- سألوهم -مائلين معهم- ألم يحيطوهم -برعايتهم، بتثبيطكم وتخذيلكم عنهم- ويمنعوهم من المؤمنين؟ فالله يحكم بينكم يوم القيامة، ولن يجعل الله للكافرين -ومن والاهم من أهل النفاق- على المؤمنين سبيلا: فلا بيعة لهم ولا حجة على مؤمن في الدنيا، ولا نصر في الآخرة. ١٤١

فائدة! أهل النفاق يتظاهرون لكل طائفة بأنهم معها على غيرها، ويميلون مع من يصير معه شيء من حظوظ الدنيا من مال أو جاه، فيتملقوه بمعاداة خصومه وظلمهم، فليحذرهم المسلمون.

ونَحذَرُ أهلَ ظُلمٍ أو نِفاقٍ ... مُذَبذَبَةٌ مواقِفُهُم، حَميرُ

فائدة! بقدر ما يخالف المسلمون شريعتهم يصير للكافرين عليهم غلبة، ولا يجوز مبايعة كافر متغلب.

بِقدرِ مُخالَفاتِكُمُ العِقابُ ... وبَيعَةُ كافِرٍ فِسقٌ وقِيرُ

إن المنافقين يخادعون الله -بإظهار الإسلام مع إبطان الكفر- وهو خادعهم -سبحانه: عصم في الدنيا دماءهم وأموالهم بإظهارهم الإسلام، فظنوا أنهم نجوا، ثم في الآخرة يجدون عذابا وذلا كما قال تعالى ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبلِه العذاب. ينادونهم ألم نكن معكم ﴾ [الحديد ١٣ ١٤]- وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى -في تثاقل- يراءون الناس -لا يرجون رضا الله، بل ليراهم عباده يصلون- ولا يذكرون الله إلا قليلا: لا يذكرونه في خلواتهم، بل أمام الناس رياء. ١٤٢

مذبذبين بين ذلك -الإيمان والكفر- لا إلى هؤلاء -المؤمنين، بل ظاهرا معهم- ولا إلى هؤلاء -الذين يؤيدونهم باطنا، والبعض يهجر الحق مدعيا الحياد!- ومن يضلل الله فلن تجد لهدايته وسيلة. ١٤٣

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أنصارا وأعوانا من دون المؤمنين -متجاوزين إخوانكم، وأي شيء يجعلكم تفضلون الكافرين؟- أتريدون أن تجعلوا لله عليكم برهانا واضح الدلالة: فيعاقبكم؟ ١٤٤

إن المنافقين في أسفل دركات النار -فعذابهم في الآخرة أشد من عذاب الكفار، لأنهم شاركوهم في الكفر وازدادوا إثما لمكرهم وخديعتهم، وأخذوا في الدنيا ما لم يستحقوا إذ عصمت دماءهم وأموالهم وجرت أحكام الإسلام عليهم- ولن تجد لهم نصيرا ينصرهم ويدفع عنهم عذابه سبحانه. ١٤٥

إلا الذين تابوا -عن النفاق- وأصلحوا ظاهرهم وباطنهم وما فسد من أحوالهم، والتجؤوا إلى الله -ووثقوا بوعده- وتمسكوا به، وأخلصوا دينهم لله -فهجروا الرياء- فهؤلاء مع المؤمنين -تجري عليهم أحكامهم قد صاروا تبعا لمن سبقهم- وسوف يعط الله المؤمنين -في الدنيا عزة، وفي الآخرة- ثوابا عظيما. ١٤٦

ماذا يفعل الله بعذابكم -أيها الخلق، ولا حاجة له في ذلك ولا غرض- إن شكرتم له نعمه وآمنتم به؟ وكان الله شاكرا يقبل النية الخالصة والعمل الصالح، عليما بنياتكم وبأفعالكم، وسيجازيكم بها. ١٤٧

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

لا يحب الله -بل يبغض- الجهر بالأقوال السيئة، إلا من ظلم -فيجوز له أن يدعو على من ظلمه وأن يشكوه وأن يجازيه بمثل قوله دون تعد كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ المستبَّان ما قالا فعلى البادئ، ما لم يعتد المظلوم. ﴾ [مسلم ٢٥٨٧ * أبو داود ٤٨٩٤ * الترمذي ١٩٨١ * أحمد ٧٢٠٥]- وكان الله سميعا لكافة ما يقول عباده، عليما بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. **١٤٨**

إن تبدوا أي خير -قولي أو فعلي- أو تخفوه، أو تعفوا عن إساءة -تاركين الانتقام ممن هو أهل للعفو- فإن الله كان عفوا عن عباده، قديرا على عقابهم بما أساءوا: يعفو مع القدرة، فكونوا كذلك. **١٤٩**

إن الذين يكفرون بالله ورسله -كاليهود والنصارى يكفرون بمحمد ﷺ، فمن كفر بأحدهم فقد كفر بهم جميعا، فدعوتهم واحدة- ويريدون أن يفرقوا -بهذا المسلك- بين الله ورسله، ويزعمون أنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك -الإيمان والكفر دينا متوسطا ظنوه- طريقا. **١٥٠**

هؤلاء هم الكافرون حقا -الكاملون في الكفر: معتقدهم باطل، إذ لا وجود لدين متوسط بين الإيمان والكفر، فالكافر بالله أو أحد رسله أو كتبه كافر بالجميع- وأعد الله للكافرين عذابا مهينا مذلا. **١٥١**

والذين آمنوا بالله -وبكل ما أخبر به عن نفسه- ورسله -جميعهم، وبكل ما جاءوا به- ولم يفرقوا بين أحد منهم -فلم يؤمنوا بمن شاءوا ويكفروا بمن شاءوا كما يفعل اليهود والنصارى ومن يكفر بمحمد ﷺ- هؤلاء سوف يعطيهم ثوابهم، وكان الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. **١٥٢**

يسألك أيها النبي الكريم أهل الكتاب -من اليهود- أن تنزل عليهم كتابا -دفعة واحدة غير منجم- من السماء -وما ذلك بجديد عليهم- فقد سأل أسلافهم موسى أكبر من ذلك -العناد والتعنت- فطلبوا أن يريهم الله عيانا بلا ساتر! فنزل بهم الإهلاك بسبب ظلمهم -فقد اعتدوا بسؤال ما لا ينبغي لهم، ثم أعادهم الله بعد موتهم أحياء- ثم اتخذوا العجل -إلها- من بعد ما جاءتهم الأدلة الجلية البينة على صدق موسى ﷺ -كالعصا وانشقاق البحر وغيرهما- فعفى الله عن ذلك -الشرك، فوفقهم للتوبة وقبل توبتهم وتجاوز عن عبادتهم العجل- وأعطى الله موسى برهانا واضح الدلالة: قهرهم به، قيل أمرهم الله على لسانه ﷺ أن يقتل من لم يعبد العجل من عبده توبة عن عبادته ففعلوا. **١٥٣**

فائدة! رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة ثابتة كما قال تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة. ﴾ [القيامة ٢٢ ٢٣]، وصفتها ستكون كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جرير بن عبد الله ﷺ ﴿ إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته ﴾ [البخاري ٥٥٤ * مسلم ٦٣٣ * أبو داود ٤٧٢٩ * الترمذي ٢٥٥١ * ابن ماجة ١٧٧ * أحمد ١٩١٩٠].

أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ تَجَلَّى ... سيأتينا كما تأتي البُدورُ؟

ورفع الله فوقهم -جبل- الطور بسبب عهدهم الثقيل -تحذيرا من عدم الأخذ بالعهد والالتزام بطاعة أنبيائه- وأمرهم الله أن يدخلوا باب البلدة -قيل أنها بيت المقدس، وقيل غير ذلك- في انحناء وتواضع وذل، وأمرهم الله ألا يعتدوا -بالصيد- في -يوم- السبت، وأخذ الله منهم عهدا ثقيلا مؤكدا. **١٥٤**

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا
عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾
وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ
ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

فبسبب نقضهم عهدهم الثقيل بشدة، وكفرهم بآيات الله -وقد عاينوها- وقتلهم الأنبياء -بكثرة- بلا أدنى حق، وزعمهم أن قلوبهم عليها أغلفة -فهي معزولة ليس تصلها دعوة لذلك أعرضوا عن الإيمان، وليس الحال كذلك- بل طبع الله عليها -فأغلقها تماما فغدت لا يدخلها إيمان ولا تعي خيرا- بسبب كفرهم، فهم لا يؤمنون إلا بنزر قليل مما أنزل الله، ولا يؤمن منهم بالنبي ﷺ إلا نسبة قليلة. ١٥٥
وبسبب كفرهم -بالمسيح عليه السلام- وكذبهم على مريم -ورميها بالزنا، حاشاها- كذبا مفرطا عظيما. ١٥٦
وزعمهم -بل وافتخارهم- أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه -كما زعموا- وما صلبوه، ولكن ألقى الله شبهه على أحدهم -فصلبوا الشبيه، ظانين أنهم قتلوا المسيح عليه السلام- وإن الذين اختلفوا في شأنه -بعد أن تآمروا عليه وحاولوا قتله- لفي شك منه -لا يمكنهم الجزم أنهم قتلوه- ليس لديهم به أي علم، إلا اتباع ظنون لا أصل لها، وما قتلوه قطعا، وما هم بمتيقنين. ١٥٧
بل رفعه الله إليه -روحا وبدنا إلى السماء- وكان الله عزيزا في قدرته لا يعجزه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. ١٥٨
وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته -عليه السلام، بعد نزوله آخر الزمان، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا. ﴾ ﴾ [البخاري ٣٤٤٨ * مسلم ١٥٥ * أبو داود ٤٣٢٤ * الترمذي ٢٢٣٣ * ابن ماجة ٤٠٧٨ * أحمد ٧٩٠٣]، ويوم القيامة يكون المسيح عليه السلام عليهم -على اليهود بتكذيبهم إياه، والنصارى بالغلو فيه ورفعه إلى مرتبة الألوهية- شاهدا. ١٥٩
فبسبب ظلم من اليهود حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم -فنسخ سبحانه تحليل بعض الأطعمة كما قال تعالى ﴿ وعلى الذين هادوا حرَّمنا كل ذي ظُفُر ومن البقر والغنم حرَّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون. ﴾ [الأنعام ١٤٦]- وبسبب صدهم -أنفسهم وغيرهم- عن طريق الله -والإيمان بأنبيائه- صدا كثيرا ملازما لهم. ١٦٠
وأخذهم الربا، وقد نهوا عنه -فالتعامل بالربا محرم في كل ملة- وأخذهم أموال الناس بغير حق ولا سند شرعي -كما يفعل جل من يحكم المسلمين اليوم، فتأمل- وأعد الله للكافرين منهم عذابا أليما. ١٦١
لكن الراسخون في العلم المتمكنون منه منهم -كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره- والمؤمنون -جميعهم- يؤمنون بما أنزل إليك أيها النبي الكريم، وما أنزل من قبلك -من كتب سماوية- والذين يؤدون الصلاة -ولذلك مدح خاص- ويظهرون هيئتها ويديمونها بشروطها، والذين يخرجون الزكاة الواجبة في أموالهم، والذين يؤمنون بالله -وحده لا شريك له- واليوم الآخر -فلم يأتوا بافتراء كما فعل غيرهم كما قال تعالى ﴿ وقالوا لن تمسَّنا النار إلا أياما معدودة ﴾ [البقرة ٨٠]- هؤلاء سيعطيهم الله ثوابا عظيما. ١٦٢

إن الله أوحى سبحانه إليك أيها النبي الكريم كما أوحى سبحانه إلى نوح والأنبياء من بعده -فأمرك مثل أمرهم، لست بدعا من الأنبياء- وأوحى سبحانه إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء من ذرية يعقوب ﷺ وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان، وأعطى الله داود زبورا: كتابا سماويا. **١٦٣**
ورسلا -أرسلهم- قد قصهم الله عليك -فجاءك من خبرهم- من قبل -اليوم- ورسلا -آخرين فهم كثر- لم يقصصهم الله عليك، وكلم الله موسى تكليما: حقيقيا دون وسيط، ودون رؤيته سبحانه. **١٦٤**
رسلا -أرسلهم سبحانه- مبشرين -من آمن وأطاع بالمعد لهم من نعيم- ومنذرين -من كفر أو عصى بما هيئ لهم من عذاب إن لم يتوبوا- لئلا يكون للناس على الله -أدنى- حجة -يجادلون الله بها يوم القيامة- بعد الرسل كما قال تعالى ﴿ أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ [المائدة ١٩]، وكان الله عزيزا في قدرته لا يعجزه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. **١٦٥**
لكن الله يشهد -أنه قد أرسلك- بما أنزل إليك أيها النبي الكريم -من قرآن، يشهد بصدقك ونبوتك، فدع عنك اليهود وتكذيبهم- أنزله مشتملا على علمه -الذي أراد أن يبلغ عباده، وهو عالم أنك أهل لحمله وللقيام بما اصطفاك له- والملائكة يشهدون -بصدقك ونبوتك- وكفى بالله شاهدا. **١٦٦**
إن الذين كفروا وصدوا عن طريق الله -والإيمان بنبيه- قد ضلوا عن الحق ضلالا وبعدوا بعيدا: ضلوا وأضلوا بكفرهم من اتبعهم. **١٦٧**
إن الذين كفروا وظلموا أنفسهم بالاستغراق في الكفر وغيرهم بالصد عن الإيمان ومحمدا ﷺ بكتمان نبوته لم يكن الله ليغفر لهم -إن عاينوا الموت قبل أن يتوبوا، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر. ﴾ [الترمذي ٣٥٣٧ * ابن ماجة ٤٢٥٣ * أحمد ٦١٦٠]- ولا ليوفقهم أو يرشدهم طريقا فيه أي خير لهم. **١٦٨**
إلا طريق جهنم -يعذبون- خالدين فيها أبدا، وكان ذلك -العذاب- على الله يسيرا. **١٦٩**
يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق -دين، وكتاب- من ربكم، فآمنوا -بما جاءكم به، يكن- خيرا لكم وأفضل -في الدنيا يرشدكم إلى الحق، وفي الآخرة به النجاة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، ولا يهودي ولا نصراني، ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار. ﴾ [مسلم ١٥٣ * أحمد ٨٢٠٣]- وإن تكفروا -مستمرين على كفركم فلن تضروا إلا أنفسكم- فإن لله ما في السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وكان الله عليما لا يخفى عليه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. **١٧٠**
فائدة! من مآلات الكفر حرمان الفهم: يصير الكافر كالأعمى لا يرى البديهيات، وتتبدل فطرته، حتى صار كثير ممن يدعون امتلاك العلم وأدواته واتباع العقلانية والتفكير المنطقي يزعمون أنهم ملاحدة لا يؤمنون بوجود خالق لهذا الكون.

عَواقِبُ كُفرِكُم فَهمٌ تَلاشى ... على القَلبِ استَقَرَّ قَذًى يُبِيرُ

* إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ
وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ
وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ
مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ
تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾
لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ
طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ
ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ
مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى
ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ
وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ
إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ
ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ
وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ
إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي
رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

يا أهل الكتاب لا تتجاوزوا الحد في دينكم، ولا تنسبوا إلى الله إلا -ما تعلمون أنه- الحق -فلا تنسبوا إليه باطلا ولا ما لم تتيقنوا صحته، فعدم معرفة أن الأمر باطل ليس علما أنه حق كما قال تعالى ﴿ إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ [يونس ٦٨]- إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله -ليس إلها ولا ابن الله كما يزعم النصارى- وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه -قال: "كن"، فكان عيسى عليه السلام دون حاجة إلى أب، إذ أرسل المَلَك جبريل عليه السلام من عنده فنفخ في مريم عليها السلام من روح الله بإذنه، وليس ابن زنا حاشاه وحاشاها كما تزعم اليهود الملاعين- فآمنوا بالله -وبكل ما أخبر به عن نفسه- ورسله -جميعهم، وبكل ما جاءوا به- ولا تزعموا -كالنصارى، أن الله ثالث- ثلاثة -ولا أن الآلهة ثلاثة ولا أن الله مؤلف من ثلاثة ولا أن الألوهية مشتركة بين ثلاثة- انتهوا -عن هذه الأكاذيب، وعن غيرها، يكن- خيرا لكم وأفضل -في الدنيا والآخرة، وإلا اضطربتم ثم خسرتم، إذ لا نجاة لمشرك كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]- إنما الله إله واحد لا شريك له، تنزه وتقدس أن يكون له ولد -فهو كما قال تعالى ﴿ بديع السماوات والأرض أنَّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ﴾ [الأنعام ١٠١]، بل له مطلق الكمال، وهو الغني عن خلقه- له ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وكفى بالله وكيلا يعتمد عليه. **١٧١**

لن يأنف المسيح أو يمتنع أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون سيأنفون أو يمتنعون، ومن يأنف عن عبادته -سبحانه- ويمتنع ويستكبر فسيجمعهم إليه -يوم القيامة- جميعا. **١٧٢**

فأما الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة فيعطيهم ثوابهم وافيا، ويزيدهم بفضله وإحسانه من الثواب، ويرفع في الجنة مراتبهم إلى ما ليس تصل إليه أعمالهم، وأما الذين أنفوا وامتنعوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما، ولا يجدون لهم من دون الله وليا يواليهم فيجلب لهم الخير، ولا نصيرا ينصرهم فيدفع عنهم الشر. **١٧٣**

يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم -محمد صلى الله عليه وسلم، يبطل شبهاتكم، ويرشدكم إلى الحق وطريقه، وكذلك آيات كونية وعقلية يريكم سبحانه إياها فيتبين لكم الحق كما قال تعالى ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق ﴾ [فُصِّلَت ٥٣]- وأنزل الله إليكم نورا واضحا: قرآنا بينا ينير لكم الطريق، ويخرج سبحانه به من يشاء من ظلمات الضلال. **١٧٤**

فأما الذين آمنوا بالله والتجؤوا إليه -ووثقوا بوعده- وتمسكوا به فسيتغمدهم برحمة منه -فسيوفقهم الله للإيمان، ويجعل إيمانهم سببا ينالون به رحمته- وفضل -فيجزل لهم الثواب، ويدخلهم الجنة- ويوفقهم إليه ويرشدهم طريقا مستقيما واضحا غير معوج موصلا إليه وجنته. **١٧٥**

فائدة! من لم يؤمن بالله ويتمسك بدينه وكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم خلى الله بينه وبين نفسه، فيضل عن طريق الحق ويهلك، ويصير كالعمي الصم البكم الذين لا يحسنون الانتفاع بما بين أيديهم من علوم.

ونؤمِنُ بالقديرِ وبالكتابِ ... تَمَسَّكَ بالشريعةِ مُستَنيرُ

يستفتونك أيها النبي الكريم، أخبرهم أن الله يفتيهم في الكلالة: إن امرؤ هلك -بالوفاة، ذكرا كان أو أنثى- ليس له ابن ولا بنت ولا ولد ابن ولا أب ولا جد، وله أخت -شقيقة أو لأب، فالإخوة لأم لهم كما قال تعالى ﴿ وإن كان رجل يورَث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السُّدُس ﴾ [النساء ١٢]- فلها نصف تركته، والأخ -الشقيق أو لأب، والشقيق مقدم- يرثها -كامل التركة- إن لم يكن للميت ابن ولا بنت ولا ولد ابن ولا أب ولا جد، فإن كان له أختان -أو أكثر، شقيقة أو لأب- فلهما الثلثان من تركته، وإن كان له إخوة ذكور وإناث فللأخ مثل نصيب الأختين، يبين الله لكم -ما تحتاجون إليه من أحكام- كراهة أن تضلوا، والله بكل شيء عليم، أعطى كل نفس حقها. ١٧٦

★ سورة المائدة ★

★ مدنية ★

يا أيها الذين آمنوا التزموا الوفاء بالعقود -مع الله كانت أو بينكم وبين عباده- أحلت لكم بهيمة الأنعام -مما لا ناب له- إلا ما يقرأ عليكم -تحريمه في القرآن والسنة- غير محلي الصيد -البري- وأنتم في الحرم أو محرمون بحج أو عمرة -فهذا حرام- إن الله يحكم ما يريد: يحل سبحانه ويحرم كما يريد. ١

فائدة! العقود التي يجب الوفاء بها هي ما توافق شرعَ الله، وكل ما خالفه رد لا يحل ولا يوفى به، بين أشخاص كان أو بين هيئات أو غير ذلك، ولا سيما ما تعقده حكومات كافرة متغلبة على المسلمين.

ونوفي بالعقودِ إذا تُراعي ... شريعةَ ربِّنا، أو نستديرُ

يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا معالم دين الله الظاهرة -فلا تستبيحوها، ولا تخلوا بشيء منها، فلا تستحلوا محرمات الحرم أو الإحرام كالطيب والجماع وصيد البر ونحو ذلك- ولا الأشهر الحرم -ذا القعدة وذا الحجة والمحرم ورجب، فاجتنبوا الآثام كما قال تعالى ﴿ إنَّ عدَّة الشهور عند الله اثنا عَشَر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حُرُم ذلك الدين القيِّم فلا تظلموا فيهنَّ أنفسكم ﴾ [التوبة ٣٦]، ولا تبدلوها، ولا تقاتلوا فيها طلبا إلا أن يكون امتدادا لقتال سابق، أما قتال الدفع فجائز- ولا ما يهدى إلى البيت الحرام ليذبح في الحرم، لم يكن عليه شيء أو كان عليه قلادة كشعار -لا بسرقة أو غصب أو إتلاف ونحو ذلك ولا بصد عن الوصول إلى محله- ولا قاصدي البيت الحرام -فله حرمة عظيمة- يلتمسون فضلا من ربهم -رزقا بالتجارة أو بغيرها- ورضا، وإذا حللتم -من الإحرام بحج أو عمرة وخرجتم من الحرم، فإن شئتم- فاصطادوا، ولا يحملنكم بغض قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام -كقريش عام الحديبية- أن تعتدوا -فلا تجوروا على أحد- وتعاونوا على البر والتقوى -على ما يرضي الله، تاركين ما يكره حاثين على الخير- ولا تعاونوا على -اقتراف- الإثم والعدوان -على حدوده وحقوق عباده- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله شديد العقاب لمن عصاه. ٢

فائدة! الاختلاط في المسجد الحرام للضرورة، ولا يجوز تعمده، بل الواجب تجنبه والزحام ما أمكن.

وفي البيتِ الحرامِ رأى اختِلاطًا ... جَرى لِضرورةٍ، لا تَستَثيروا!

يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائـِدَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾

حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ
وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ
ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ
بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا
تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ
نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ
غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ
أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ
مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ
وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤
ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ
وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ
مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ
بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥

حرم عليكم -أيها المسلمون- ما فارقه الروح من غير تذكية -بإزهاق الروح عمدا بالذبح، فلا تتناولوه، باستثناء ميتة الجراد وكائنات الماء- والدم -المسفوح السائل، أما ما يبقى في اللحم والأعضاء والعروق بعد الذبح فمعفو عنه- ولحم الخنزير، وما لغير الله ذبح -كالذي يذبح للأصنام والأوثان كالقبور ونحو ذلك، وما يذكر غير اسم الله عليه عند ذبحه- والمنخنق -بحبس النفس- والموقوذ -مضروبا بقصد أو بغير قصد- والمتردي -الساقط من شاهق- والمنطوح وما أكل ذو مخلب أو ناب -منه- إلا إذا ذكيت المنخنقة أو الموقوذة أو المتردية أو النطيحة أو ما أكل السبع -وفيها حياة- وما ذبح -لصنم أو لوثن- على الحجارة المنصوبة، وأن تطلبوا ما قسم لكم -نصيبكم من خير أو شر- بالقداح -أشياء متشابهة مكتوب عليها "افعل" أو "لا تفعل" فيعمل بما يخرج منها، وشرع لكم الاستخارة عوضا عن ذلك- ذلك -المذكور- خروج عن طاعة الله، اليوم يئس الذين كفروا من -ارتدادكم عن- دينكم -وإبطاله، لما رأوه في غلبة وقوة ومنعة- فلا تخشوهم واخشوا الله وحده في كل قول وفعل، اليوم -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، قال: أي آية؟ قال: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة. ﴾ [البخاري ٤٥ * مسلم ٣٠١٧ * الترمذي ٣٠٤٣ * النسائي ٥٠١٢ * أحمد ١٨٨]- أكمل الله لكم دينكم -فظهر على سائر الأديان- وأتمم سبحانه عليكم نعمه -عقيدة وأقوالا وأفعالا، فقد بين لكم جميع ما تحتاجون إليه من عقائد وأحكام- ورضي الله لكم الإسلام دينا -باقيا إلى انقضاء الدنيا- فمن دعته الضرورة في مجاعة -أو الإكراه إلى أكل محرم، وهو- غير مائل لإثم -غير طالب لذلك المحرم مع قدرته على المباح، ولا متجاوز للقدر الضروري الذي يقيه الضرر- فإن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة به. ٣
يسألونك أيها النبي الكريم ماذا أحل لهم؟ أجبهم بأن أحل لهم الطيبات غير الخبيثة من نبات وحيوان -فالأصل في الطعام الحل- وما علموا من ذوات الأنياب والمخالب مدربين -أحل صيدهن لهم، إذ- يعلمونهن مما علمهم الله -فيستطعن إمساك الصيد عند إرسالهن- فليأكلوا مما أمسكن من أجلهم -مباح لهم، ولو قتلن الصيد بجرح لا بغيره، ما لم يأكلن منه- ويذكروا اسم الله عليه -عند إرسالهن- ويتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله سريع الحساب أحصى عملهم. ٤
اليوم أحل لكم الطيبات غير الخبيثة من نبات وحيوان، وطعام أهل الكتاب من يهود ونصارى حلال لكم وطعامكم حلال لهم، والمحصنات -العفيفات- من المؤمنات والمحصنات -الحرائر العفيفات- من أهل الكتاب من قبلكم من يهود ونصارى كذلك حلال لكم -تزوجهن- إذا أعطيتموهن مهورهن متعففين غير قاصدي الزنا ولا متخذي خليلات ولا معشوقات في السر أو العلن، ومن يكفر بالإيمان -ولو بشيء يسير مما أنزل الله لعباده- فقد فسد عمله، وهو في الآخرة من الهلكى الخاسرين. ٥

يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم القيام إلى الصلاة -وكنتم محدثين لم تكونوا متوضئين كما جاء على لسان أنس بن مالك ﵁ ﴿ كنا نصلي الصلوات كلها بوضوء واحد، ما لم نحدث ﴾ [البخاري ٢١٤ ★ أبو داود ١٧١ ★ الترمذي ٦٠ ★ النسائي ١٣١ ★ ابن ماجة ٥٠٩ ★ أحمد ١٢٣٤٦]- فاغسلوا وجوهكم ثم أيديكم مع المرافق -مواضع اتصال الذراعين بالعضدين- ثم امسحوا برؤوسكم ثم اغسلوا أرجلكم مع الكعبين، وإن كنتم على جنابة -وذلك هو الحدث الأكبر: بإنزال المني يقظة أو نياما، أو بجماع ولو بدون إنزال- فاطهروا -مغتسلين بتعميم سائر البدن بالماء، والغسل من الجنابة يجزئ عن الوضوء- وإن كنتم مرضى -يضركم أو يشق عليكم استخدام الماء- أو مسافرين أو أحدثتم حدثا أصغر بغائط أو بول أو مذي أو ريح أو كنتم على جنابة فلم تجدوا ماء فاقصدوا من طاهر تصاعد على الأرض، فامسحوا بوجوهكم ثم أيديكم منه -فقد فضلكم الله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث حذيفة بن اليمان ﵄ ﴿ فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا، وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء ﴾ [مسلم ٥٢٢]- ما يريد الله -بهذه الأوامر- ليجعل عليكم من مشقة ولا ضيق -فدينكم سمح كما قال تعالى ﴿ ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج ٧٨]- ولكن يريد ليطهركم -من ذنوبكم بالوضوء، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن، فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيا من الذنوب. ﴾ [مسلم ٢٤٤ ★ الترمذي ٢ ★ أحمد ٨٠٢٠]، وبالماء أو الصعيد من الحدثين أصغر وأكبر- وليتم نعمه عليكم -ببيان شرائعه وما تثابون على أدائه لتدخلوا جنته، وبالترخيص لكم في التيمم عند فقد الماء أو تعذر استخدامه- رجاء أن تشكروه على نعمه ورحمته بكم. ٦

واذكروا نعم الله عليكم -وأعظم النعم الهداية للإسلام ولشرعه الحنيف- وعهده الثقيل الذي عاهدكم عليه -بواسطة النبي ﷺ- حين بايعتم على السمع والطاعة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبادة بن الصامت ﵁ ﴿ بايعنا رسول الله ﷺ: على السمع والطاعة، في المنشط والمكره. ﴾ [البخاري ٧١٩٩ ★ مسلم ١٧٠٩ ★ النسائي ٤١٤٩ ★ ابن ماجة ٢٨٦٦ ★ أحمد ٢٢٦٧٩]، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله عليم بكل ما في صدور الخلق من إيمان وكفر، ومن خير وشر. ٧

يا أيها الذين آمنوا كونوا -في جميع أحوالكم- قائمين لله -طلبا لرضاه وثوابه- مؤدين للشهادة بالعدل، ولا يحملنكم بغض قوم على ألا تعدلوا -فلا تؤدوا الشهادة على وجهها- اعدلوا -مع الجميع، أصدقاء كانوا أو أعداء- هو أقرب للتقوى -وتجنب ما يسخط الله- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله خبير بجميع أعمالكم، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. ٨

وعد الله الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة لهم مغفرة وثواب عظيم. ٩

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ
وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ
وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ
ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا
طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ
وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦
وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم
بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ
بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ
لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ
أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ
فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي
مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ
وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا
حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ
مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم
مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ
ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ
بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ
فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾

والذين كفروا وكذبوا بآياته سبحانه هؤلاء ماكثون في الجحيم، يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه: فليذوقوا! **١٠**

يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعم الله عليكم، حيث هم قوم أن يمدوا إليكم أيديهم -عازمين أن يبطشوا بكم- فكف -سبحانه- أيديهم عنكم -فكفاكم شرهم، أفلا ينبغي للمسلمين أن يشكروا ربهم على كل شر كفه عنهم؟- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في جميع أحوالهم. **١١**

ولقد أخذ الله عهد بني إسرائيل الثقيل -بطاعته والإيمان بأنبيائه- وأقام سبحانه منهم اثني عشر رئيسا راعيا -بعدد قبائلهم، ناظرين عليهم، وحاثين إياهم على الوفاء بعهد الله- وأخبرهم الله أنه معهم بالعون والتأييد: لئن أدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأداموها بشروطها، وأخرجوا الزكاة الواجبة في أموالهم، وآمنوا برسله -جميعهم- وعظموهم، وأنفقوا نصرة لدين الله -في وجوه البر من أموالهم الحلال- بنفس طيبة ونية خالصة ليسترن -سبحانه- عنهم سيئاتهم ويتجاوز عنها، وليدخلنهم جنات تجري خلالها الأنهار، فمن كفر بعد ذلك -العهد- منهم فقد ضل الطريق السوي الوسط المستقيم وعن الحق ابتعد. **١٢**

فبسبب نقضهم عهدهم الثقيل بشدة طردهم الله من رحمته، وجعل الله قلوبهم قاسية -لا تعي خيرا ولا تجدي فيها موعظة- يحرفون كلام الله الذي أنزله إليهم فيغيرون ألفاظه أو معانيه بما يوافق أهواءهم ومنازلهم، ونسوا نصيبا مما ذكروا به -فتركوا العمل بما أنزل الله- ولا تزال أيها النبي الكريم تطلع على خيانة منهم -ومن أعظمها ظلمهم أنفسهم ببقائهم على الكفر بل والاستغراق فيه وغيرهم بالصد عن الإيمان ومحمدا ﷺ بكتمان نبوته- إلا قليلا منهم -كعبد الله بن سلام رضي الله عنه ومن آمن معه، عصمهم الله وثبتهم، فوفوا بما عاهدوا الله عليه- فاعف عنهم واصفح -حتى يأتي الله بأمره، فيأمر أهل الإيمان بجهاد هؤلاء الكفار كما قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجِزية عن يد وهُم صاغرون. ﴾ [التوبة **٢٩**]- إن الله يحب المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. **١٣**

فائدة! من ينقض عهد الله له نصيب من اللعنة وقسوة القلب وترك العمل بما أنزل الله، ويبتلى بالخيانة وبحرف كلام الله ورسوله عن مقصودهما لتبرير أقواله وأفعاله، ومن أبرز هؤلاء اليوم أهل العلم والدعاة الذين يبررون خذلانهم لأمة الإسلام وكتمان الحق -وكم سئلوا عنه- وواجبات الوقت عند وقوع النوازل كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة. ﴾ [أبو داود **٣٦٥٨** ★ الترمذي **٢٦٤٩** ★ ابن ماجة **٢٦٦** ★ أحمد **٧٥٧١**].

وعِلمٌ أهلُهُ كَتَموا فَضَلُّوا ... لجامُ النارِ يَنتَظِرُ استَجيروا!

فائدة! كثرة المعاصي من أسباب كثرة وسرعة النسيان.

معاصي العَبدِ في وَفرٍ فيَنسى ... ومَنْ يُطِعِ الشَّكورُ هوَ الذَّكيرُ

ومن الذين زعموا أنهم نصارى -زكوا أنفسهم للمسيح ﵇ بأنهم أنصار الله- أخذ الله عهدهم الثقيل -بطاعته والإيمان بأنبيائه- فنسوا نصيبا مما ذكروا به -فتركوا العمل بما أنزل الله- فحث سبحانه بينهم العداوة -ففارق بعضهم بعضا- والكراهية -فسلط بعضهم على بعض، فصاروا متقاتلين متناحرين يكفر بعضهم بعضا- إلى يوم القيامة، وسوف يخبرهم الله بما كانوا يصنعون، ويجازيهم به. **١٤**

فائدة! ترك العمل ببعض ما أنزل الله يفضي إلى التباغض والنزاع، فكيف بهجر جل -أو كل- ما أنزل؟ وكيف بمن استبدل بشريعة الله قوانين وضعية كفرية من زبالات أفكاره؟ وكيف بمن أكره المسلمين على احترام قوانينه وألزمهم بالتحاكم إليها؟ وكيف بمن أوهمهم أن الكفرة المرتدين المبدلين لشرع الله عملاء النظام الدولي ووكلاءه لمحاربة الإسلام ونهب ثروات أهله "ولاة أمور!" لهم السمع والطاعة؟

شريعةُ ربِّكُم! لا تَتركوها ... وإلَّا فالنِّزاعُ هوَ المصيرُ

فائدة! شهادة الكافر على الكافر مردودة عند كثير من أهل العلم، لأن الله جعل بينهم عداوة أبدية.

شَهادةُ أهلِ كُفرٍ لا تَجوزُ ... على أحدٍ، عَداوتُهُم تَفورُ

يا أهل الكتاب قد جاءكم رسول الله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من التوراة والإنجيل -عن العوام من أهل مللكم، كبشارة المسيح ﵇ بمحمد ﵊ التي أخفاها النصارى كما قال تعالى ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مُصدقا لِما بين يديَّ من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ [الصف ٦]، وكآية رجم الزناة التي أخفاها اليهود كما ورد عن النبي ﵊ من حديث عبد الله بن عمر ﵄ ﴿ أُتي النبي ﷺ برجل وامرأة من اليهود قد زنيا، فقال لليهود: ما تصنعون بهما؟ قالوا: نسخم وجوههما، ونخزيهما، قال: ﴿ فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾، فجاءوا، فقالوا لرجل ممن يرضون: يا أعور، اقرأ، فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها، فوضع يده عليه، قال: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيه آية الرجم تلوح، فقال: يا محمد، إن عليهما الرجم، ولكنا نكاتمه بيننا، فأمر بهما فرجما، فرأيته يجانئ عليها الحجارة. ﴾ [البخاري **٧٥٣٤** ★ مسلم **١٦٩٩** ★ أبو داود **٤٤٤٦** ★ أحمد **٤٤٩٨**]، وعن عموم الناس- ويعفو عن كثير -مما كنتم تخفون من كتبكم، فيتجاوز عن بيان ما لا فائدة تتعلق ببيانه إلا افتضاحكم- قد جاءكم من الله نور -الإسلام والنبي ﵊ يستضاء بهما للخروج من ظلمات الكفر والضلال والمعاصي- وكتاب -القرآن، للحلال والحرام- مبين. **١٥**

يهدي بالقرآن الله من اتبع رضاه -ففعل ما أمر به نبيه- شرائع الإسلام -التزمها، ليبلغ معتنقو الإسلام طريق السلامة من عذابه- ويخرجهم من ظلمات الكفر والضلال والمعاصي إلى نور الإيمان والهدى والطاعة بإذنه ومشيئته، ويوفقهم ويرشدهم إلى طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إليه وجنته. **١٦**

لقد كفر الذين زعموا أن الله هو المسيح ابن مريم، سلهم أيها النبي الكريم فمن يملك دفع ما أراد الله إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم، وأمه، ومن في الأرض جميعا؟! ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما: خلقا وملكا وتدبيرا، يخلق ما يشاء -كيفما شاء- وقدرة الله مطلقة لا يعجزه شيء. **١٧**

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ
حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ
وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ
جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا
كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ
قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾
يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ
وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ
وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ
ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ
قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ
ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ
جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ
يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ
نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا
وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ
ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ
عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ
فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن
يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ
غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾

وزعمت اليهود والنصارى أنهم -أتباع- أبناء الله -الذين افتروهم عليه كما قال تعالى ﴿ وقالت اليهود عُزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ [التوبة ٣٠]- وأحباؤه، سلهم أيها النبي الكريم فلماذا يعذبهم بسبب ذنوبهم -في الدنيا بالقتل كما قال تعالى ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾ [البقرة ٥٤] وبغيره، وفي الآخرة بالنار كما اعترفوا كما قال تعالى ﴿ وقالوا لن تمسَّنا النار إلا أياما معدودة ﴾ [البقرة ٨٠]، أيعذب حبيب حبيبه؟- بل هم بشر ممن خلق -من جملة البشر لم يختصهم سبحانه من دون الناس، تجري عليهم أحكام العدل والفضل، أخبرهم بذلك- يغفر لمن يشاء -من أهل الإيمان بفضله- ويعذب من يشاء -بعدله- ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما: خلقا وملكا وتدبيرا، وإليه المرجع في الآخرة. ١٨
يا أهل الكتاب قد جاءكم رسول الله يبين لكم -ما شرع سبحانه لعباده- بعد فترة من انقطاع الرسل، كراهة أن تزعموا أن ما جاءكم من بشير ولا نذير -وأن لو جاءكم لأطعتموه، فالآن لا تعذرون بجهل- فقد جاءكم بشير للمطيعين بالثواب ونذير للعصاة بالعقاب، وقدرة الله مطلقة لا يعجزه شيء. ١٩
واذكر أيها النبي الكريم حين نصح موسى قومه -مشددا- يا قوم اذكروا نعم الله عليكم، حيث جعل فيكم أنبياء -يرشدونكم إلى كل حق- وجعلكم ملوكا -تملكون أمر أنفسهم، بعد أن كان يستعبدكم فرعون كما قال تعالى ﴿ وتلك نعمة تَمُنُّها عليَّ أن عبَّدت بني إسرائيل. ﴾ [الشعراء ٢٢]، بل وجعل منكم ملوكا- وأعطاكم -من النعم- ما لم يعط أحدا من أهل زمانكم: فشق لهم البحر وأغرق عدوهم أمامهم، وظلل عليهم السحاب وأنزل المَنّ والسلوى وفجر لهم عيون الماء من الحجر وغير ذلك. ٢٠
أردف ناصحا قومه -آمرا- أن ادخلوا الأرض المقدسة -المطهرة، موضعها بين نهر الفرات وعريش مصر اختلف في تعيينه- التي كتب الله -في سابق علمه- لكم -لكن يختبركم بالقتال لدخولها، وقد كتب لكم النصر إن أطعتم- ولا ترتدوا مفارقين -طاعته وما أوجب عليكم من قتال- فيكون مآلكم الخسران: في الدنيا بتفويت النصر وفتح بلادكم، والآخرة بتفويت الثواب واستحقاق العقاب. ٢١
تحججوا لموسى بأن في الأرض التي يأمرهم بدخولها قوما -أقوياء- جبارين متسلطين على عباد الله، وأخبروه أنهم لن يدخلوها حتى يخرج الجبارون منها، فإن يخرجوا منها فإنهم -حينئذ- داخلون. ٢٢
نصحهم رجلان من الذين يخافون -ربهما- أنعم الله عليهما -بالإيمان واليقين، قيل هما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا- أن ادخلوا على الجبارين باب البلدة، فإذا دخلتموه فإنكم -بإذن الله- غالبون، وعلى الله وحده فاعتمدوا في جميع أحوالكم، إن كنتم غير كاذبين في ادعاء الإيمان. ٢٣
فائدة! غض الطرف عن طبيعة الصراع مع نظام دولي عبدكم لغير ربكم -عبر عملائه: ضامني مطاردة ديننا وهويتنا وتدفق موارد أمتنا إليه- وزعم ألا قبل لكم بمصاولتهم لن يفيدكم، بل ادخلوا عليهم الباب آخذين بالأسباب، ومن جملتها الإعداد لتشتيتهم واستنزافهم، وعلى الله فتوكلوا، إن كنتم مؤمنين!
نُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ نَظْمًا ... مِنَ الكُفرِ المُسَيطِرِ لا نَخورُ

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ
أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ
يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾
۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ
مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ
مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ
لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي
سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا
ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

أكدوا لموسى أنهم لن يدخلوها أبدا ما دام الجبارون فيها -وتجرأوا- فليذهب هو وربه -قيل قصدوا ربه الله، وقيل قصدوا هارون ﷺ لأنه أكبر منه سنا- فيقاتلا! إنهم هاهنا قاعدون: لن يبرحوا مكانهم. **٢٤**

فائدة! أهل بدر هم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ﴿ لقد شهدت من المقداد مشهدا، لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما على الأرض من شيء، قال: أتى النبي ﷺ، وكان رجلا فارسا، قال: فقال: أبشر يا نبي الله، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﷺ: ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾، ولكن، والذي بعثك بالحق، لنكونن بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ومن خلفك، حتى يفتح الله عليك. ﴾ [البخاري ٣٩٥٢ ★ أحمد ٤٣٧٦].

نُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ نَحمي ... عُرى الإسلامِ، قَدْ فَعَلَ البُدورُ

اشتكى إلى ربه أنه -لن يملك الجهاد، إذ- لا ملك له ولا سلطان إلا على نفسه وأخيه -هارون ﷺ، داعيا- فافصل وميز بيننا وبين القوم الفاسقين الخارجين عن طاعتك: فلا تلحقنا بهم إن عاقبتهم. **٢٥**

أكد -سبحانه- فإن الأرض المقدسة المطهرة محرمة على قومه: أربعين سنة يتيهون في الأرض -فينشأ خلالهم جيل لم يتشرب الذل!- فواساه: لا تأسف على القوم الفاسقين الخارجين عن طاعة الله. **٢٦**

واقرأ أيها النبي الكريم على الناس خبر ابني آدم -قيل هما قابيل وهابيل- بالحق والصدق الذي لا مراء فيه، حيث قدم كل منهما قربانا -ليتقرب إلى الله- فتقبل من أحدهما -قيل من هابيل، ويعلم أن الله تقبله إما بخبر من السماء أو بنار تأتي من السماء فتأكله- ولم يتقبل من الآخر -فلذلك- أقسم لأخيه ليقتلنه، أخبره أخوه أنما يتقبل الله -فقط- من المتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه. **٢٧**

أردف مقسما لأخيه لئن مد -أخوه الذي يريد قتله- إليه يده ليقتله ما هو بماد يده إليه ليقتله، مؤكدا أنه يخاف الله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. **٢٨**

من ثم أخبره -مذكرا إياه بمآل فعله- أنه يريد أن يرجع -أخوه، إلى الله يوم القيامة- بإثمه قد استحقه -فيحمل عنه بعض سيئاته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم: إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه. ﴾ [البخاري ٢٤٤٩ ★ الترمذي ٢٤١٩ ★ أحمد ٩٦١٥]- مع ما اقترف من آثام، فيكون -أخوه، بتلك الآثام التي قد استحقها- من أصحاب النار، وذلك -العقاب- جزاء الظالمين لأنفسهم باقتراف الآثام. **٢٩**

فطوعت له نفسه قتل أخيه -أغرته ثم شجعته، فالنفس كما قال تعالى ﴿ إنَّ النفس لأمَّارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾ [يوسف ٥٣]- فقتله، فأصبح من الهلكى الخاسرين. **٣٠**

فبعث الله غرابا يثير تراب الأرض -يدفن غرابا ميتا- ليريه كيف يستر عورة أخيه -فبدن الميت عورة- تساءل متعجبا -متحسرا لجهله، فبنو آدم كما قال تعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ [الإسراء ٨٥]- أعجز أن يكون مثل هذا الغراب فيستر عورة أخيه؟! فأصبح -على ما فعل- من النادمين. **٣١**

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ
نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ
جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا
جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى
ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ
لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم
مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

من أجل ذلك -القتل الجائر- فرض الله على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير -سبب من- قصاص أو فساد في الأرض -ومن أعظمه الشرك وقطع الطريق- فكأنما قتل الناس جميعا -فالقود واحد: يقتل قصاصا إن قتل نفسا واحدة أو قتل الجميع، وله كفل من دم كل من يقتل ظلما: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ﴿ لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل. ﴾ [البخاري **٣٣٣٥** ★ مسلم **١٦٧٧** ★ الترمذي **٢٦٧٣** ★ النسائي **٣٩٨٥** ★ ابن ماجة **٢٦١٦** ★ أحمد **٣٦٣٠**]، إن توبع فتجرأ الأشقياء على الدم الحرام بسببه، كالذين اعتادوا قتل المسلمين في مراكز الاحتجاز ونحو ذلك- ومن تورع عن قتل نفس -حرام قتلها- فكأنما أحيا الناس جميعا -فصنيعه فيه سلامة المجتمع ومنع الغل والضغينة- ولقد جاءتهم رسل الله بالأدلة الجلية البينة على صدقهم -فأيقنت بنو إسرائيل أنهم رسل الله يأمرونهم بما فرض عليهم- ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك -الذي جاءهم- في الأرض -بالآثام ولا سيما القتل- لمسرفون متجاوزون للحدود. **٣٢**
إنما جزاء الذين يحاربون الله -بعصيانه ومخالفة ما أنزل- ورسوله -وأمته من بعده- ويسعون في الأرض فسادا -بالحرابة: قطع الطريق للتعرض للنفوس والأموال، أو بغيرها- أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف -يد من جهة ورجل من الأخرى- أو ينفوا من الأرض -بالطرد من البلاد التي فيها أفسدوا أو بالسجن- ذلك -العقاب- لهم ذل ومهانة في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم. **٣٣**
فائدة! قاطع الطريق قد يكون جهة "رسمية" تروع الناس أو تنهب أموالهم باسم القانون، ويرى كثير من أهل العلم التفصيل، فتقطع يد ورجل من نهب مالا، ويقتل من قتل، ويصلب حتى الموت -أو بعد قتله ليعتبر به غيره- من قتل ونهب مالا، وينفى أو يسجن من روع الناس ولم يقتل أو ينهب مالا.

وَمَنْ يَقطَعْ طريقًا فَليُعاقَبْ ... فَرُتبَتُهُ الأذى، تُشفَ الصُّدورُ

إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم -فتتمكنوا منهم، أيها الحاكمون بما أنزل الله- فاعلموا أن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين: أسقط حقوقه عن المحاربين فلا يقام عليهم حد الحرابة، أما حقوق الآدميين فلا تسقط إن طالب بها أولياؤها، إلا إن كان المحاربون كفارا ثم تابوا وأسلموا قبل القدرة عليهم، فحينئذ تسقط كافة الحقوق كما قال تعالى ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف ﴾ [الأنفال **٣٨**]، وكما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمرو بن العاص ﷺ ﴿ أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ ﴾ [مسلم **١٢١** ★ أحمد **١٧٧٧٧**]، إلا من سب نبيا فبذلك يقتل. **٣٤**
يأيها الذين آمنوا اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتمسوا إليه الوسائل -التي قد شرع، كالتوسل إليه بإيمانكم به وبطاعته، طالبين رضاه- وجاهدوا في سبيله نصرة لدينه -دفعا وطلبا، بالنفس والمال واللسان والرأي والعلم، مجتهدين لتكون كلمته هي العليا- رجاء أن تفلحوا فيكون مصيركم الجنة. **٣٥**
إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا -من أموال- ومثله مضافا إليه ليقدموه فدية للانفكاك من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم -فقد ماتوا كفارا، فتعين شقاؤهم الأبدي- ولهم عذاب أليم. **٣٦**

يريد الذين كفروا أن يخرجوا من النار، وما هم بخارجين منها، ولهم عذاب دائم مستمر. ٣٧
والسارق -الذي أخذ مال غيره خفية بغير رضاه، وبغير حق- والسارقة فاقطعوا أيديهما -أيها الحاكمون
بما أنزل الله: اليمنى من مفصل الكف، إن بلغ ما سرقا قيمة ربع أربعة جرام وربع من الذهب كما ورد
عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ تقطع اليد في ربع دينار فصاعدا. ﴾ [البخاري
٦٧٨٩ * مسلم ١٦٨٤ * أبو داود ٤٣٨٣ * الترمذي ١٤٤٥ * النسائي ٤٩٢٠ * ابن ماجة ٢٥٨٥ *
أحمد ٢٤٠٧٨] من حرز يحفظ فيه- جزاء بسبب ما كسبا، عقابا زاجرا وعبرة من الله، وترهيبا للناس
ليرتدعوا ولا يتعدوا حدوده، والله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٣٨
فمن تاب من بعد ظلمه نفسه باقتراف الآثام وغيره بسرقته أو بالتسبب في ضرر له بأي صورة كانت
وأصلح ظاهره وباطنه وما فسد من أحواله فإن الله يوفقه للتوبة -ويقبلها منه، لكن يمتنع إسقاط الحدود
إن رفعت المظالم إلى الحاكمين بشرع الله- إن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. ٣٩
ألم تعلم -أيها المؤمن بالشرع، يقينا- أن الله له ملك السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا؟ يعذب
من يشاء -بعدله- ويغفر لمن يشاء -من أهل الإيمان بفضله- وقدرة الله مطلقة لا يعجزه شيء. ٤٠
يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يبادرون للكفر -مجتهدين، فلا تحزن عليهم بل ولا تأبه بهم، ولا تلق
بالا إلى أقوال أو أفعال هكذا أقوام- من -المنافقين- الذين زعموا أن آمنوا متفوهين بما يظهر الإيمان
ولم تؤمن قلوبهم ومن اليهود، متحرون سماع الكذب -من رؤوس الضلال، ويستزيدون منه- متحرون
سماع قوم آخرين لم يأتوك -يطيعونهم، وكالجواسيس ينقلون لهم ما يسمعون في مجلسك- يحرفون
كلام الله الذي أنزله إليهم فيغيرون ألفاظه أو معانيه أو يبطلون العمل بأحكامه ليوافق أهواءهم ومنازلهم،
ينصح بعضهم بعضا: إن أعطيتم هذا -الذي حرفتم، فوافقه كلامك- فخذوه، وإن لم تعطوه فاحذروا
-من قبوله أو العمل به، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما ﴿ مر على رسول الله
ﷺ بيهودي محمم مجلود، فدعاهم، فقال: هكذا تجدون حد الزاني؟ فقالوا: نعم! فدعا رجلا من
علمائهم، قال له: نشدتك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟
فقال: اللهم لا! ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في
أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الرجل الشريف تركناه وإذا أخذنا الرجل الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا
فنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد، وتركنا الرجم، فقال
رسول الله ﷺ: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يا أيها
الرسول لا يَحزُنك الذين يُسارعون في الكفر ﴾ إلى قوله ﴿ يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتَوه
فاحذروا ﴾ ﴾ [مسلم ١٧٠٠ * أبو داود ٤٤٤٨ * ابن ماجة ٢٥٥٨ * أحمد ١٨٥٢٥]- ومن يرد الله
فتنته -قد قضى بإضلاله- فلن تملك دفع ما أراد الله له، هؤلاء -المنافقون واليهود- الذين لم يرد الله
أن يطهر -من النفاق والكفر- قلوبهم، لهم في الدنيا ذل ومهانة، ولهم في الآخرة عذاب عظيم. ٤١

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٣٧ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ
أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ٣٨ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَتُوبُ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٩ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ
لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٤٠ * يَٰٓأَيُّهَا
ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ
ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ
ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ
ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ
فَٱحْذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ
فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤١

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ
فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن
يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ
وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ
فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟
لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن
كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ
وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ
بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ
قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن
لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

متحرون سماع الكذب -من رؤوس الضلال، ويستزيد منه اليهود- متحرون أكل المال الخبيث -بالربا والرشوة وغير ذلك، منشغفون به- فإن جاءوك أيها النبي الكريم -يتحاكمون إليك فأنت مخير- فاحكم بينهم أو أعرض عنهم لا تبال بهم، وإن تعرض عنهم منصرفا فلن يصيبوك بأي ضرر -فالله حافظك- وإن حكمت فاحكم بينهم -رغم أنهم أعداء وظلمة- بالعدل -وما سوى شرع الله ظلم كما قال تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [المائدة ٤٥]- إن الله يحب المنصفين. **٤٢**
وكيف يحكمونك -مع كونهم لا يؤمنون بك! بل هو رجاء منهم وطمع في أن يوافق حكمك تحريفهم وأهواءهم- وعندهم التوراة فيها حكم الله؟ ثم يعرضون متنحين عن حكمك من بعد ذلك -التحكيم، إن لم يوافق تحريفهم وأهواءهم- وما هؤلاء بالمؤمنين: فليس هذا بدأب ولا صنيع المؤمنين. **٤٣**
إن الله أنزل سبحانه التوراة فيها هداية من الضلال ونور يضيء في الظلمات، يحكم بها الأنبياء الذين أسلموا -لله- وانقادوا -من بعثوا في اليهود بداية من موسى عليه السلام، ومحمد ﷺ- لليهود، وأرباب العلم والعلماء كذلك يحكمون بها لهم، بسبب أن استحفظهم أنبياؤهم على كتاب الله وكانوا عليه شهداء -حافظين للتوراة من أي تحريف أو تبديل- فلا تخشوا الناس -يا رؤوس اليهود- واخشوا الله وحده في كل قول وفعل، ولا تشتروا بآيات الله -بتحريفها أو تأويلها على غير وجهها، أو كتمان الحق- قليلا من حطام الدنيا من مال أو جاه، ومن لم يحكم بما أنزل الله -أيًّا كانت ملته- فهؤلاء هم الكافرون. **٤٤**
فائدة! الحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، والطاعة لمن يتولى شؤون المسلمين مقيدة بأن يقود الناس بشرع الله -ليس بأهوائه ولا بدساتير وقوانين مخالفة للشرع، يعمل على فرضها وسيادتها، ويلزم المسلمين بها- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم الحصين الأحمسية رضي الله عنها ﴿ إن أمر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له وأطيعوا، ما قادكم بكتاب الله. ﴾ [مسلم ١٢٩٨ ★ الترمذي ١٧٠٦ ★ النسائي ٤١٩٢ ★ ابن ماجة ٢٨٦١ ★ أحمد ١٦٦٤٦]، فمن رد حكما واحدا من أحكام الله الثابتة في كتابه أو سنة نبيه ﷺ -وتتأكد خطورة الرد إن صاحبه تعليل بأنه حكم لا يناسب العصر، أو لا يلائم الناس، أو أن العادات أو التقاليد أو اللوائح مقدمة عليه، أو أن فيه وحشية ونحو ذلك- فقد كفر، ولا طاعة له، وعيب شرع الله أو تقديم غيره عليه انتقاص من قدر مشرعه سبحانه، وكفى بذلك كفرا.
وحَكَّمَ غَيرَ شِرعَتِهِ كَفورٌ ... وطاعةُ كافِرٍ ذَنْبٌ نَكيرُ
وفرض الله على اليهود في التوراة -حال العمد، وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه- أن النفس -تقتل- بالنفس -وشرعنا لا يجيز قتل مسلم بكافر- والعين -تقلع- بالعين، والأنف -تجدع- بالأنف، والأذن -تقطع- بالأذن، والسن -ينزع- بالسن، والجروح -وكذلك قطع الأعضاء والأطراف- قصاص -بجرح أو قطع مماثل- فمن تصدق به -فعفا مستحق القصاص عن الجاني- فهو كفارة له -يستر الله بعض ذنوبه ويتجاوز عنها بسبب عفوه- ومن لم يحكم بما أنزل الله -أيًّا كانت ملته- فهؤلاء هم الظالمون لأنفسهم بالكفر والفسق بل وبالنفاق كذلك ولغيرهم بتحكيم غير شرع الله فيهم. **٤٥**

وأتبع الله على خطى أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم، مصدقا وموافقا لما أنزل قبله في التوراة -مع بعض التخفيف عليهم كما قال تعالى ﴿ ولأُحل لكم بعض الذي حُرِّم عليكم ﴾ [آل عمران ٥٠]- وأعطاه الله الإنجيل فيه هداية من الضلال ونور يضيء في الظلمات، ومصدقا وموافقا لما أنزل قبله في التوراة، وهداية من الضلال وموعظة للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه منهم. ٤٦

وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه -فليس يجوز لهم العدول عنه- ومن لم يحكم بما أنزل الله -أيًّا كانت ملته- فهؤلاء هم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله. ٤٧

وأنزل الله إليك أيها النبي الكريم القرآن بالحق -لا شك فيه، مشتملا على الحق محفوظا في إنزاله من الشياطين- مصدقا وموافقا لما أنزل قبله في الكتب -السماوية، في توحيد الله وكذلك بعض الأحكام- ومهيمنا عليها -ناسخا لما خالفه- فاحكم بين الناس بما أنزل الله -فيه، وفي سنتك فهي من الوحي كما ورد عن النبي ﷺ من حديث المقدام بن معديكرب رضي الله عنه ﴿ ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ﴾ [أبو داود ٤٦٠٤ ★ أحمد ١٧١٧٤]- ولا تتبع أهواء الكفار -منحرفا- عما جاءك من الحق، لكل جعل سبحانه منكم شريعة ومنهجا -فلكل أمة طريقة واضحة تهتدي بها، وبعد بعثته ﷺ لا نجاة إلا لمن آمن به كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، ولا يهودي ولا نصراني، ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار. ﴾ [مسلم ١٥٣ ★ أحمد ٨٢٠٣]- ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة -على دين واحد- ولكن -لم يفعل- ليبلوكم فيما أعطاكم: مختبرا، أتعملون بما أنزل؟ فبادروا -أيها الناس- إلى أعمال الخير -فأسلموا واعملوا بما أنزل الله- إلى الله رجوعكم جميعا في الآخرة، فيظهر للمختلفين ما أخبرهم به: في الدنيا، ألا نجاة إلا لمؤمن به متبع لأنبيائه. ٤٨

فائدة! الأمة تقوم على الدين، وليس على حدود جغرافية أو سياسية، أو عرق أو قبيلة أو لغة أو وطنية أو قومية أو غير ذلك، وقد هاجر سيد الخلق ﷺ تاركا "الوطن" والقبيلة من أجل تبليغ دين الله.

حُدودُ الأُمَّةِ الدِّينُ الحَنيفُ ... فَعَدِّ عَنِ الهُراءِ يُرَ المَسيرُ

وأن احكم بين الناس أيها النبي الكريم -ومن جملتهم أهل الكتاب إن قبلت أن تحكم بينهم كما قال تعالى ﴿ فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ﴾ [المائدة ٤٢]- بما أنزل الله -في قرآنه وسنتك- ولا تتبع أهواء الكفار، واحذرهم أن يفتنوك -فتحكم بغير شرع الله، حاشاك، ويصرفوك- عن بعض ما أنزل الله إليك، فإن أعرضوا متنحين عن حكمك فاعلم -يقينا- أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم -فيعاقبهم لإعراضهم عن حكمك- وإن كثيرا من الناس لفاسقون خارجون عن طاعة الله. ٤٩

أفحكم الجاهلية -المخالف لما أنزل سبحانه، بإعراضهم عنك- يلتمسون؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون بالحق حين يظهر لهم، لا يتشككون ولا يعاندون ولا يتعنتون؟! ٥٠

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ
أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ
نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ
فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ
أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ
مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ
عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا
يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أنصارا وأعوانا، بعضهم أولياء بعض -في النصرة والمعونة، فإن كفروا بعضهم كما قال تعالى ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴾ [البقرة ١١٣] فأنتم لهم العدو المشترك- ومن ينصرهم أو يعينهم منكم فإنه -وإن كرههم- منهم، إن الله لا يوفق ولا يرشد القوم الظالمين لأنفسهم بالإصرار على موالاة الكفار. ٥١

فائدة! رأينا من سمات أهل النفاق حب مرافقة ومصاحبة أهل الكفر المقيمين في أراضي المسلمين.

يُرافِقُ كافِرًا حُبًّا، وضِيقًا ... مِنَ الإخوانِ يُضمِرُ لا يَحورُ

فترى -أيها المؤمن- الذين في قلوبهم شك وشبهة يبادرون لموالاتهم، يبررون بأن يخشون أن يصيبهم -إن جرى هزيمتكم- مكروه، فالله سيأتي -بلطفه- بالفتح -يعزكم به- أو أمر من عنده -يكسر شوكة أعدائكم به- فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم -من نفاق بطلت أسبابه ولم ينفعهم- نادمين. ٥٢

ويتعجب الذين آمنوا -من حال المنافقين، مخاطبين بعضهم- أهؤلاء الذين أقسموا بالله أغلظ الأيمان إنهم لمعكم: في الإيمان، لم يوالوا غيركم أحدا؟! فسدت أعمالهم، فأصبحوا هلكى خاسرين: ففي الدنيا انتصرتم وأظهر الله لكم نفاقهم الذي لم ينفعهم، وفي الآخرة ينتظرهم الحساب والعقاب. ٥٣

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه -كأبي بكر الصديق ﵁ ومن قاتلوا المرتدين، وكالذي يجاهد أهل الباطل إلى يوم القيامة- أذلة على المؤمنين -رفقاء بهم- أعزة على الكافرين -مبغضين لهم، فأسوتهم إبراهيم ﵇ والذين آمنوا معه كما قال تعالى ﴿ قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا بُرآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [الممتحنة ٤]- يجاهدون في سبيل الله نصرة لدينه -دفعا وطلبا، بالنفس والمال واللسان والرأي والعلم- ولا يخافون لومة من يلومهم -محاولا صرفهم، من أهل الباطل كان أو من المشفقين عليهم- ذلك -المذكور من صفات هو شيء من- فضل الله، يعطيه من يشاء، والله واسع الفضل، عليم بالسرائر والنيات وبمن هم أولى بفضله. ٥٤

إنما وليكم -ينصركم ويعينكم ليس الكفار، بل- الله ورسوله، والذين آمنوا الذين يؤدون الصلاة ويظهرون هيئتها ويديمونها بشروطها، ويخرجون الزكاة الواجبة في أموالهم، وهم -لله خاضعون- راكعون. ٥٥

فائدة! الولاء لله ورسوله والمؤمنين والبراء من الكفار والمنافقين عقيدة، ومناصرة غيرنا علينا موجبة للردة.

ولاءُ المسلمينَ لربِّ خَلْقٍ ... مِنَ الكُفرِ البَراءَةُ والنُّفورُ

ومن يتول الله -قائما بحقوقه، ومن جملتها الجهاد لتكون كلمته هي العليا- ورسوله -متبعا سنته عاملا بها دون ابتداع- والذين آمنوا -مناصرا لهم ومعينا- فإن حزب الله -وجنده- هم الغالبون. ٥٦

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم محل استهزاء وتلاعب من أهل الكتاب من قبلكم من يهود ونصارى والكفار -من طوائف الشرك الأخرى، والنفاق والردة والإلحاد- أنصارا وأعوانا، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن كنتم غير كاذبين في ادعاء الإيمان. ٥٧

وإذا ناديتم إلى الصلاة -فرفعتم الأذان- اتخذوها محل استهزاء وتلاعب، ذلك -الاستهزاء والتلاعب- بسبب أنهم قوم لا يعقلون: لخفة عقولهم لا يهتدون إلى الحق. ٥٨
سل أيها النبي الكريم أهل الكتاب -مبكتا موبخا- هل يكرهون منكم إلا أن آمنتم بالله وما أنزل إليكم وما أنزل من قبل؟ وأن أكثرهم فاسقون خارجون عن طاعة الله كذلك به آمنتم: وهو الحقيقة؟ ٥٩
سلهم -موبخا مقرعا- هل تخبرهم بشر من ذلك -الفسق منهم- وأسوأ جزاء وثوابا عند الله؟ من طرده الله من رحمته، وغضب عليه -أسلافهم، مسخهم الله- وجعل منهم القردة والخنازير، وعبد الطاغوت -كالشيطان وأتباعه وأسيادهم وأكابر مجرميهم، وأوثان عبدوها كالعجل والصليب- كذلك جعل منهم، هؤلاء شر مكانا وأسوأ منزلة، وأشد ابتعادا -من غيرهم- عن الطريق السوي الوسط المستقيم. ٦٠
وإذا جاءوكم -أيها المؤمنون- زعموا أن آمنوا -كما قال تعالى ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره ﴾ [آل عمران ٧٢]- وقد دخلوا -مجلسه ﷺ- بالكفر، وهم قد خرجوا به -لم يؤمنوا- والله أعلم بما كانوا يكتمون من نفاق وكفر، وسيجازيهم به. ٦١
ويرى الرائي كثيرا منهم يبادرون للإثم -مجتهدين في اقتراف ما يشاءون من فواحش- والعدوان -على حدود الله وحقوق عباده- وأكلهم المال الخبيث -بالربا والرشوة وغير ذلك- لبئس ما كانوا يعملون. ٦٢
هلا ينهاهم أرباب العلم والعلماء عن كلامهم الذي يأثمون عليه -ومن جملته كذبهم- وأكلهم المال الخبيث؟ لبئس ما كانوا يصنعون: أهل علم تدربوا، فاتقنوا عدم نصح أقوامهم! ما فائدتهم إذًا؟! ٦٣
فائدة! الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على عموم المسلمين، وعلى أهل العلم أشد وجوبا.
لِيأمُرْنا بمعروفٍ وينَهَ ... مِنَ العُلَماءِ صَدَّاعٌ جَسورُ
وزعمت اليهود -عليهم لعنة الله- أن يد الله مغلولة -عن العطاء والإحسان، فبزعمهم الله حاشاه بخيل! ألا- غلت أيديهم -عن العطاء والإحسان، وذلك متحقق فيهم، فهم أبخل الناس- وطردوا من الرحمة بسبب ما زعموا -أيرحمهم الله دنيا أو آخرة بعد هكذا افتراء؟- بل يداه مبسوطتان -بالعطاء والإحسان، فالله في غاية الجود والكرم- ينفق كيف يشاء -فخزائن الكون ملك له كما قال تعالى ﴿ ولله خزائن السماوات والأرض ﴾ [المنافقون ٧]، وكيفما شاء يتصرف كما قال تعالى ﴿ والله يقبض ويبسط وإليه تُرجعون ﴾ [البقرة ٢٤٥]- وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك أيها النبي الكريم من ربك طغيانا -وتجاوزا لحدود الله- وكفرا -إلى كفرهم- وألقى الله بين طوائفهم العداوة والكراهية إلى يوم القيامة -حتى غدوا في شقاق دائم كما قال تعالى ﴿ بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتَّى ﴾ [الحشر ١٤]- كلما جمعوا وأعدوا أو تآمروا لإشعال نار الحرب أذهب الله سعيهم وقوتهم -وإن أطعناه ألزمهم خوفا منا كما قال تعالى ﴿ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ﴾ [الحشر ١٣]- ويسعون في الأرض فسادا -عاملين على الكيد لدين الله وصد الناس عنه، ومتعاملين بالربا، ومقترفين كبائر الآثام ناشرين الرذيلة مروجين لها ليقبل الناس عليها وغير ذلك- والله لا يحب -بل يبغض- المفسدين، وسيجازيهم. ٦٤

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾
قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد
دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾
وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ
ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ
وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟
بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا
ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ
ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ
بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ
رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ
تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْۗ
وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۖ
فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ
هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ
بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

ولو أن أهل الكتاب آمنوا -فلم يشركوا بالله ولم يكفروا بما جاء به محمد ﷺ- واتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه لستر الله عنهم سيئاتهم وتجاوز عنها، ولأدخلهم سبحانه جنات النعيم الدائم. **٦٥**
ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل -وما فيهما، ومن جملته الإيمان بمحمد ﷺ- وما أنـزل إليهم من ربهم -ومن جملته القرآن، والسنة، فأقاموا شرع ربهم، ولم يكتفوا بالتقوى الفردية والانكفاء على الذات كما يروج أذناب الطواغيت- لجاء رزقهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم -فلأمطرت السماء وأنتجت الأرض كما قال تعالى ﴿ ولو أنَّ أهل القرى آمنوا واتقَوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ [الأعراف ٩٦]- منهم أمة مقتصدة معتدلة لا تتجاوز الحد في الدين -أسلموا- وكثير منهم سيئ ما يعملون. **٦٦**
يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك -لا تكتم منه شيئا- وإن لم تفعل فما بلغت رسالته -كما أمر كاملة- والله يحميك من الناس -وتآمرهم- إن الله لا يوفق ولا يرشد القوم الكافرين: إذ عاندوا. **٦٧**
فائدة! التبليغ المعتد به في حق أهل العلم هو ما كان كاملا بغير التفات إلى ممارسات طاغوتية هادفة إلى إرهابهم وصرفهم عن نصح الأمة -خاصة عن إرشاد الناس إلى واجبات الوقت عند وقوع النوازل أو الفتن- كما قال تعالى ﴿ إنما ذلكم الشيطان يُخوِّف أولياءه فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين. ﴾ [آل عمران ١٧٥]، وكما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه. ﴾ [الترمذي ٢١٩١ ⋆ ابن ماجة ٤٠٠٧ ⋆ أحمد ١١٠١٧].

وعِلمٌ أهلُهُ كَتَموا لِخَوفٍ ... لِيُوضَحْ كَتمُكُم، حَتَّى اليَسيرُ

أخبر أهل الكتاب أن ليسوا على شيء -من الدين المعتد به- حتى يقيموا التوراة والإنجيل -وما فيهما، ومن جملته الإيمان بك- وما أنزل إليهم من ربهم -ومن جملة ذلك القرآن- وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا -وتجاوزا لحدود الله- وكفرا -إلى كفرهم- فلا تأسف على القوم الكافرين. **٦٨**
إن الذين آمنوا من هذه الأمة، ومن قبل بعثة محمد ﷺ من اليهود والنصارى من آمن بالله -وحده لا شريك له- واليوم الآخر -البعث والحساب، وبما أجاب به النبي ﷺ المَلَك جبريل عليه السلام، حين سأله ليعلم المسلمين دينهم، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [مسلم ٨ ⋆ أبو داود ٤٦٩٥ ⋆ الترمذي ٢٦١٠ ⋆ النسائي ٤٩٩٠ ⋆ ابن ماجة ٦٣ ⋆ أحمد ٣٦٧]- وعمل -تصديقا لإيمانه- صالحا فلهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم -في الآخرة- ولا هم يحزنون -على ما من الدنيا فاتهم ولا على من في النار ممن أحبوا- وكذلك من آمن قبل بعثته ﷺ من الصابئة: أمة قديمة منهم موحدون، وقيل بعضهم اتبع بعض أنبياء الله، لهم ذات الثواب وإن كانوا ليسوا أهل كتاب. **٦٩**
لقد أخذ الله عهد بني إسرائيل الثقيل -بطاعته والإيمان بأنبيائه- وأرسل سبحانه إليهم رسلا -ليذكروا من أرسلهم الله إليهم بالعهد الذي أخذه على أسلافهم، وليتعاهدوهم بالنصح والإرشاد- كلما جاءهم رسول بما لا يوافق أهواء أنفسهم فريقا كذبوا -منهم عيسى ابن مريم عليه السلام- وفريقا داوموا على قتله. **٧٠**

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ
عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١
لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ
يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ
بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا
لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ
ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤
مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ
صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ
ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦ قُلۡ
يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ
قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧

وظنوا ألا تكون فتنة -إذ لم يتوقعوا أنهم بنقضهم عهد الله وتكذيبهم رسله وقتل بعضهم قد رسبوا في اختبار الطاعة، وسيعاقبون- فعموا -عن إبصار الحق- وصموا -عن سماع الوعي والفهم والانتفاع- ثم وفقهم الله للتوبة -وقبلها منهم، فلم يلتزموها- ثم عموا -عن إبصار الحق مجددا- وصموا -فارتد- كثير منهم، والله بصير بما يعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. ٧١

لقد كفر الذين زعموا أن الله هو المسيح ابن مريم، وأمر المسيح بني إسرائيل -ناصحا مرشدا، ومكذبا هذه الفرية- أن يعبدوا الله ربه وربهم -وحده لا شريك له- إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة -كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]- ومستقره النار، وليس للظالمين لأنفسهم بالشرك من أنصار: ينفعونهم أو يدفعون عنهم عذاب الله. ٧٢

لقد كفر الذين زعموا أن الله ثالث ثلاثة -أو أن الآلهة ثلاثة أو أن الله مؤلف من ثلاثة أو أن الألوهية مشتركة بين ثلاثة، وقد تبرأ المسيح عليه السلام من ذلك الباطل كما قال تعالى ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتَّخذوني وأميَ إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ﴾ [المائدة ١١٦]- وما من معبود بحق إلا إله واحد لا شريك له -تنزه وتقدس عن شركهم كما قال تعالى ﴿ ما اتَّخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمَّا يصفون. ﴾ [المؤمنون ٩١]- وإن لم ينتهوا عما يزعمون لينالن الذين كفروا منهم -ومن جملتهم قائلو هذا الكفر ومعتقدوه ومروجوه والعاملون به- عذاب أليم. ٧٣

أفلا يتوبون إلى الله ويطلبون منه المغفرة؟ والله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. ٧٤

ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد مضت من قبله الرسل -فهو من جنسهم- وأمه صديقة -قد كمل تصديقها وعملها، ولم تبلغ منزلة النبوة التي لم يبلغها إلا الرجال من أهل المدن كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى ﴾ [يوسف ١٠٩]- كان المسيح عليه السلام وأمه مريم عليها السلام يأكلان الطعام -لحاجتهما إليه، كسائر البشر، وهل يحتاج الإله طعاما؟!- تأمل أيها النبي الكريم -وكل فرد من أمتك- كيف يبين الله لهم الآيات الدالة على وحدانيته، ثم تأمل -مجددا، بعد هذا البيان التام- كيف يقلبون: عن الحق! ٧٥

سلهم -مستنكرا موبخا- أيعبدون من دون الله ما لا يستطيع دفع ضرر عنهم ولا جلب نفع لهم؟ والله هو السميع لكافة ما يقول عباده، العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ٧٦

انصح أهل الكتاب ألا يتجاوزوا الحد في دينهم، غير الحق -فليقتصروا على الحق، بغير إفراط منهم ولا تفريط: إنما المسيح ابن مريم عليه السلام رسول الله، ليس إلها ولا ابن الله كما يزعم النصارى، وليس ابن زنا حاشاه وحاشاها كما يزعم اليهود- ولا يتبعوا أهواء قوم -من أسلافهم، عن الحق- قد ضلوا من قبل -بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وكفروا بما يقتضيه الشرع والعقل- وأضلوا كثيرا -ممن اقتدى بهم مظنة علمهم، فصاروا أئمة ضلال- وبعدوا عن الطريق السوي الوسط المستقيم: بكفرهم ضلوا وأضلوا. ٧٧

لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ
دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ
يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ
لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ
يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ
أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ
خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا
مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ
لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ
أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ
ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ
لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى
ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ
مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾

طرد الذين كفروا من بني إسرائيل من الرحمة على لسان داود وعيسى ابن مريم -في كتابيهما عليهما السلام: الزبور والإنجيل، وكذلك على لسان موسى عليه السلام ومحمد ﷺ: في التوراة والقرآن- ذلك -الطرد المطرد من رحمة الله- بسبب عصيانهم واعتياد تجاوز حدود الله، وكانوا دائمي الاعتداء على عباده. **٧٨** كانوا لا ينهون أحدا منهم عن معاودة فعل ما دل الشرع والعقل على قبحه -فصاروا شركاء لأصحاب المعاصي بسبب تخاذلهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- لبئس ما كانوا يفعلون. **٧٩**
فائدة! الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على من أطاقه من عموم المسلمين وأمن الضرر على نفسه وعليهم، فإن تعذر ذلك فكما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ من رأى منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان. ﴾ [مسلم ٤٩ * أبو داود ١١٤٠ * الترمذي ٢١٧٢ * النسائي ٥٠٠٨ * ابن ماجة ١٢٧٥ * أحمد ١١١٥٠]، ويجب مغادرة مكان اقتراف المنكر، فمخالطة أو مجالسة صاحب المنكر تجعلك شريكا له.

ولا نَرضى بمعصيةٍ: لِنُنكِرْ! ... فلا العاصي نُخالِطُ أو نَزورُ

يرى الرائي كثيرا منهم ينصرون ويعينون الذين كفروا -من غير أهل ملتهم، كأهل الأوثان الذين حالفهم اليهود- لبئس ما قدموه لأنفسهم! أن سخط الله عليهم، وفي العذاب هم خالدون لا يخرجون منه. **٨٠** ولو كان المنافقون يؤمنون بالله والنبي -ﷺ- وما أنزل إليه -من قرآن، كما يزعمون- ما اتخذوهم أنصارا وأعوانا -فموالاة الكافر تنفي الإيمان- ولكن كثيرا منهم -كاليهود- فاسقون خارجون عن طاعة الله. **٨١** لتجدن -أيها المؤمن- أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين زعموا أنهم نصارى -زكوا أنفسهم للمسيح عليه السلام بأنهم أنصار الله- ذلك -القرب- بسبب أن منهم علماء دين وعبّادا، وأنهم -عن قول الحق- لا يستكبرون. **٨٢**
فائدة! أكابر النصارى -في الجملة- أقل استكبارا: لا يضلون أتباعهم بقدر ما يفعل المشركون واليهود، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود. ﴾ [البخاري ٣٩٤١ * مسلم ٢٧٩٣] والمقصود من علمائهم، فمن استكبر عن قول الحق -فكيف بمن يحتجز من تسلم من النساء في الأديرة؟- أوغل صدور أتباعه، فصيرهم شديدي العداوة للمؤمنين.

أكابِرَ مُجرِمي أهلِ الكتابِ ... نَرى حِقدًا نَّفى قُربًا، فَغُوروا!

وإذا سمع لينو القلوب من النصارى ما أنزل إلى الرسول -من قرآن- يرى الرائي أعينهم تفيض بالدموع بسبب ما عرفوا من الحق -كالنجاشي وأصحابه كما جاء على لسان أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ﴿ فقرأ عليه صدرا من ﴿ كهيعص. ﴾ قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ﴾ [أحمد ٢٢٤٩٨]، عرفوا أن القرآن حق موافق لما جاء به المسيح عليه السلام- يدعون -متوسلين بإيمانهم- ربنا آمنا، فاجعلنا مع -أمة محمد ﷺ، كما قال تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمَّة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ [البقرة ١٤٣]- الشاهدين لك بالوحدانية ولأنبيائك بالصدق. **٨٣**

وما يمنعهم أن يؤمنوا بالله وما جاءهم -في قرآنه- من الحق -تساءلوا متعجبين- ويطمعوا -بعد ذلك، وإن لم يؤمنوا بالحق- أن يدخلهم ربهم -الجنة- مع القوم الصالحين: كيف ذلك؟! **٨٤**

فجزاهم الله بسبب ما تفوهوا به -من حق- جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- وذلك -الثواب- جزاء المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. **٨٥**

والذين كفروا وكذبوا بآياته سبحانه هؤلاء ماكثون في الجحيم، يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه: فليذوقوا! **٨٦**

يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم -من مآكل ومشارب ومناكح وثياب ومعاملات، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي فحرمت علي اللحم، فأنزل الله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُحَرِّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إنَّ الله لا يحب المعتدين. وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ﴾ ﴾ [الترمذي ٣٠٥٤]- ولا تعتدوا -لا بتحريم ما أحل ربكم لكم ولو بقصد التقرب إليه أو التزهد، ولا بتحليل ما حرم- إن الله لا يحب -بل يبغض- المعتدين المتجاوزين لحدوده. **٨٧**

وكلوا مما رزقكم الله -يا أيها الذين آمنوا، مباح ما أحل لكم، مما كان كسبه- حلالا -وليس مأخوذا بغير حق- طيبا -غير خبيث من النبات والحيوان- واتقوا الله الذي أنتم به -وحده دون سواه- مؤمنون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه: فتحريم ما أحل أو تحليل ما حرم شرك به سبحانه. **٨٨**

لا يؤاخذكم الله أو يعاتبكم على ما يسبق به اللسان من أيمان لاغية من غير عقد ولا قصد كما جاء على لسان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ أنزلت هذه الآية: ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ في قول الرجل: لا والله، وبلى والله. ﴾ [البخاري ٤٦١٣]، ولكن يؤاخذكم ويحاسبكم بسبب ما تعمدتم الحنث فيه من الأيمان، فكفارة هكذا حنث إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم -من أفضل طعامكم وقت أداء الكفارة، وعند بعض أهل العلم يجزئ ما ليس بأدنى طعامكم ولا بأرفعه، حتى يشبع المساكين- أو كسوتهم -بما يعتبر عرفا كسوة- أو عتق رقبة -تحرير نفس مملوكة: مؤمنة- فمن لم يجد -أحد هذه الأشياء الثلاثة أو ثمنها- فليصم ثلاثة أيام، ذلك -المذكور- كفارة أيمانكم إذا حلفتم -ثم حنثتم- واحفظوا أيمانكم -فلا تحلفوا كثيرا ولا كذبا، ولا تحنثوا إذا حلفتم- مثل ذلك البيان الجلي يبين الله لكم أحكامه أتم تبيين، رجاء أن تشكروه على نعمه ورحمته بكم. **٨٩**

فائدة! كفارة اليمين ليست صيام ثلاثة أيام، بل ذلك لمن لم يستطع الإطعام أو الكسوة أو العتق.

يُكَفِّرُ عَنْ يَمينٍ بالصيامِ ... ألا تَجِدُ الطَّعامَ بِهِ تَميرُ؟

يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر -كل ما يخالط العقل ويغطي عليه- والقمار والأحجار المنصوبة -ليذبح عليها لصنم أو لوثن- والقداح -أشياء متشابهة مكتوب عليها "افعل" أو "لا تفعل" فيعمل بما يخرج منها- قاذورات من عمل الشيطان -يزينها لكم- فاجتنبوها، رجاء أن تفلحوا فيكون مصيركم الجنة. **٩٠**

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا
رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ
طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ
بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ
فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓاْ
أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ
رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ
فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ
ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ
ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا
ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ
مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ
بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ
مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا
عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ
أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا
سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والكراهية في الخمر والقمار -بضياع العقول بالخمر، والأموال بالقمار والمراهنة، وضياع العقل والمال والوقت بتشجيع فرق أو شخصيات "رياضية"، فتفترق قلوبكم- ويصدكم -فتغفلوا- عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم -عن المنكرات والتفاهات- منتهون؟ **٩١**

فائدة! الألعاب التي تعتمد على الحظ والظن والتخمين كالتي تلعب بالنرد أو ما يطلق عليه "الزهر" أو الورق أو الحجارة والبطاقات ذات الأرقام ونحو ذلك محرمة -ولو لم تلعب على مال- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه ﴿ من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه. ﴾ [مسلم **٢٢٦٠** ★ أبو داود **٤٩٣٩** ★ ابن ماجة **٣٧٦٣** ★ أحمد **٢٢٩٧٩**].

وَمَنْ يَلعبْ بِنَردٍ أو بِحَظٍّ ... كأنَّ طَلَى يدًا نَجَسًا يَفورُ

وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول -في الظاهر والباطن- واحذروا -مخالفة كتابه سبحانه أو سنة رسوله- فإن أعرضتم متنحين عن الامتثال فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ الواضح: ليس هداية أحد. **٩٢**

فائدة! طاعة الرسول واجبة، فليس يجوز الاستغناء بالقرآن عن الحديث كما يزعم أهل البدع والنفاق.

بقرآنٍ وسُنَّتِهِ لِنَعمَلْ ... فَمَنْ تَرَكَ الحَديثَ لهُ الثُّبورُ

ليس على الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة لوم ولا إثم فيما تناولوا من مآكل ومشارب إذا ما اتقوا -الشرك- وظلوا على الإيمان وعمل الأعمال الصالحة، ثم اتقوا -ما حرم مما كان مباحا، كالخمر- وظلوا على الإيمان -لم يصروا على إثم- ثم اتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وأحسنوا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾ [البخاري **٥٠** ★ مسلم **٩** ★ أبو داود **٤٦٩٨** ★ النسائي **٤٩٩١** ★ ابن ماجة **٦٤** ★ أحمد **٩٥٠١**]، والله يحب المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. **٩٣**

يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله -مختبرا- بشيء من الصيد -البري- تناله أيديكم -كبيض النعام وصغار الصيد ونحو ذلك- ورماحكم -فيصير سهلا تحصيله بالأيدي وبما معكم من أدوات- ليظهر الله علمه بمن يخافه بالغيب -لم ير عذابه، سبحانه- فمن اعتدى بعد ذلك -البيان- فله عذاب أليم. **٩٤**

يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد -البري- وأنتم في الحرم أو محرمون بحج أو عمرة، ومن قتله منكم متعمدا -ليس خطأ ولا نسيانا- فجزاء -عليه، في الخلقة- مثل ما قتل -يكون- من النعم -من إبل أو بقر أو غنم- يحكم بهذا الجزاء -رجلان- معروفان بالعدالة من المسلمين، هدية لبيت الله -فيذبح ما حكما به في الحرم ويتصدق به- أو كفارة طعام -يشتريه بقيمة الجزاء فيطعم- مساكين -لكل حفنتان يكفي الرجل المعتدل، أو يدفع لهم قيمته- أو ما يعادل ذلك صياما -يوما عن إطعام كل مسكين- ليذوق سوء خاتمة فعله، عفا الله عما سبق -من صيد قبل هذا البيان- ومن عاد -إلى الصيد بعده- فينتقم الله منه -بالكفارة أول مرة، فإن عاد مجددا يقال له: "اذهب ينتقم الله منك" ولا يحكم عليه، فذنبه أعظم من أن يكفر- والله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، ذو انتقام ممن تعمد عصيانه. **٩٥**

أحل لكم -أيها المسلمون- صيد الماء -المالح والعذب- وما يقذفه من طعام -حيا كان أو ميتا، كما
ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: هو الطهور
ماؤه الحل ميتته ﴾ [أبو داود **٨٣** * الترمذي **٦٩** * النسائي **٥٩** * ابن ماجة **٣٨٦** * أحمد **٨٧٣٥**]-
تمتعا لكم -لينتفع به المقيمون- وللمسافرين، وحرم عليكم الصيد البري ما دمتم في الحرم أو محرمين
بحج أو عمرة، واتقوا الله الذي إليه تصيرون ليجازيكم بأعمالكم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. **٩٦**
جعل الله الكعبة البيت الحرام -عظيم الحرمة ليس كغيره، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما ﴿ قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: إن هذا البلد حرام، حرمه الله يوم خلق السماوات
والأرض، فهو حرام حرمه الله إلى يوم القيامة ﴾ [البخاري **١٨٣٤** * مسلم **١٣٥٣** * أبو داود **٢٠١٨** *
النسائي **٢٨٧٤** * أحمد **٢٣٥٣**]- قياما للناس -فيه يقومون بما يصلح دينهم من عبادات ودنياهم من
تجارة وأمن- والأشهر الحرم -ذا القعدة وذا الحجة والمحرم ورجب، أمنا ليس فيهن قتال- وما يهدى
إلى البيت الحرام ليذبح في الحرم، لم يكن عليه شيء أو كان عليه قلادة كشعار -أمنا لمهديها، لا
يتعرض لهم أحد بسوء- ذلك -الذي جعله الله، أيها الناس- لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما
في الأرض -ومن جملة ما يعلم مصالحكم- وأن الله بكل شيء عليم، فالخالق أعلم بما خلق. **٩٧**
اعلموا أن الله شديد العقاب لمن عصاه، وأن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. **٩٨**
ما على الرسول إلا البلاغ -لا الهداية- والله يعلم ما تبدون وما تكتمون، وسيجازيكم به. **٩٩**
أخبر أيها النبي الكريم الناس أن لا يستوي الخبيث -من الأشخاص والأقوال والأعمال- والطيب، ولو
-انتشر حتى- أعجب الرائي كثرة الخبيث -أو ضخامته أو قدراته أو هيبته، فخبثه مبطل لقيمته- فاتقوا
الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يا أهل العقول الرزينة، رجاء أن تفلحوا فيكون مصيركم الجنة. **١٠٠**
يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء -لا تدعو إليها حاجة ولا تعنيكم في دينكم- إن تبد لكم -بها
تكلفوا، فيثقل ذلك عليكم حينئذ- تستاؤوا وتحزنوا، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم -فيصير
سؤالكم سببا في تكاليف شاقة، وقد انقطع ذلك بموت النبي ﷺ، فصار السؤال لا ينتج عنه إيجاب
ولا تحريم- عفا الله عن المسكوت عنه، والله واسع ودائم المغفرة، حليم لا يعاجل بعقاب. **١٠١**
قد سأل مثلها قوم من قبلكم، ثم أصبحوا بسببها كافرين: فقد كلفوا بها فلم يعملوا، فلا تكونوا مثلهم
كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا
منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم. ﴾ [البخاري
٧٢٨٨ * مسلم **١٣٣٧** * الترمذي **٢٦٧٩** * النسائي **٢٦١٩** * ابن ماجة **٢** * أحمد **٧٣٦٧**]. **١٠٢**
ما أمر الله بشق أذن بعض النوق وتحريمها، ولا بترك بعض العبيد والإبل لا يستفاد منهم، ولا بتحريم
بعض المواشي على الناس، ولا بتحريم ركوب بعض ذكور الإبل والحمل عليها، ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب -بهذه الأفعال- وأكثرهم لا يعقلون: لخفة عقولهم لا يهتدون إلى الحق. **١٠٣**

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِۖ
وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًاۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ * جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ
قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ
أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ
ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا
مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ
لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ
فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ
فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا
قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ
عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن
شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ
أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ
أَيْمَٰنِهِمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

وإذا جرى دعوتهم يأتوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول -رغبوا عن القرآن والسنة، ثم- عللوا رغبتهم عن حق سطع: نكتفي بما وجدنا عليه أسلافنا -من معتقدات وعادات وتقاليد- أولو كان أسلافهم -جهلة ضالين- لا يعلمون -شيئا من الحق- ولا -إليه- يهتدون: رغم ذلك يستمرون على تقليدهم؟! **١٠٤**

يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم -فاجتهدوا في إصلاح ظاهركم وباطنكم- لا يضركم -ضلال- من ضل إذا اهتديتم -بإقامة شريعة ربكم، وليس منها بل ولا من العقل ترك تغيير المنكر بحسب القدرة، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ﴿ يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية، وتضعونها على غير موضعها: ﴿ عليكم أنفسكم لا يَضُرُّكم من ضل إذا اهتديتم ﴾، وإنا سمعنا النبي ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا، ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب. ﴾ [أبو داود ٤٣٣٨ ★ الترمذي ٢١٦٨ ★ ابن ماجة ٤٠٠٥ ★ أحمد ١]- إلى الله رجوعكم جميعا في الآخرة فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم به. **١٠٥**

يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا أشرف أحدكم على الموت حين الوصية -إن أراد أن يوصي، وكان عقله ثابتا، يحضر ويشهد- اثنان معروفان بالعدالة من المسلمين، أو آخران من الكفار إن أنتم خرجتم في سفر فأصابتكم مصيبة الموت -وما وجد مسلمَين، فأوقفوهما عندما يأتيان بما ترك ويبلغان وصيته- تحبسونهما من بعد إحدى الصلوات، فيقسمان بالله إن ارتبتم -في الأمر، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتركته فقدوا جام فضة مخوصا بالذهب، فأحلفهما رسول الله ﷺ ثم وجد الجام بمكة، فقالوا: اشتريناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما وإن الجام لصاحبهم، قال: فنزلت فيهم: ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينِكم إذا حضر أحدكم الموت ﴾ ﴾ [البخاري ٢٧٨٠ ★ أبو داود ٣٦٠٦ ★ الترمذي ٣٠٦٠]، أنهما- لا يشتريان بالقسم شيئا من حطام الدنيا -ولا رشوة بها يغيران في الوصية لأحد- ولو كان قريبا، ولا يكتمان شهادة الله -بل يؤديانها تامة- إنهما -إن فعلا ذلك- إذًا لمن المقترفين للآثام العصاة لله. **١٠٦**

فإن تبين أنهما استحقا إثما -بأن حلفا كذبا، أو لم يسوقا كل ما كان مع الميت لورثته- فاثنان يقومان مقامهما من أقرب الناس إلى الميت وأولاهم به، فيقسمان بالله لشهادتهما -أهل الميت، على كذب أو خيانة الشاهدَين- أحق بالتصديق وأولى من شهادتهما على صدقهما وأمانتهما، وما اعتديا -عليهما ولا على الورثة أو الموصى لهم- إنهما -إن فعلا ذلك- إذًا لمن الظالمين لأنفسهما ولغيرهما. **١٠٧**

ذلك -المذكور- أقرب أن يأتي عباد الله بالشهادة على وجهها -سليمة كاملة- أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم -فيفتضح حينئذ أمرهم- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واسمعوا -أوامره سماع وعي وفهم وانتفاع- والله لا يوفق ولا يرشد القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته: إذ عاندوا. **١٠٨**

* يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ
إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًاۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَۖ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيْرًۢا بِإِذْنِيۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ تُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ
بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾
إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ
أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

اذكروا -أيها الناس- يوم -القيامة، حين- يجمع الله الرسل، فيسألهم -عن استجابة أممهم لدعوتهم- ماذا أجيبوا؟ أجابوه -مفوضين له سبحانه الجواب- بأن لا علم لهم -لا بما اشتملت عليه بواطن من قاموا بدعوتهم، ولا بما أحدثوه بعدهم- مؤكدين أنه هو علام كل غائب خفي. **١٠٩**

اذكر أيها النبي الكريم حين خاطب الله عيسى ابن مريم، مذكرا إياه بنعمه عليه وعلى والدته -فالله قد اصطفاهما من جملة من اصطفى كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. ﴾ [آل عمران **٣٣**]- حيث قواه -سبحانه- بجعل المَلَك جبريل عليه السلام معه يؤيده، يكلم الناس في المهد -وهو رضيع، بما فيه صلاح الدنيا والآخرة كما قال تعالى ﴿ فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا. قال إني عبد الله آتانيَ الكتاب وجعلني نبيا. وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا. وبرًّا بوالدتي ولم يجعلني جبَّارا شقيًّا. ﴾ [مريم **٢٩ ~ ٣٢**]- وكهلا كبيرا كذلك يكلمهم، وحيث علمه الكتابة والعلم الشرعي وفوائده وحكمه، والسداد في القول والإصابة في العمل، والتوراة -كتاب موسى عليه السلام، ليحتج عيسى عليه السلام به على اليهود- والإنجيل -الذي أنزله عليه، ليعمل به ويحكم- وحيث يخلق -بأن يصنع للناس- من الطين تماثيل الطير بإذنه -سبحانه- ومشيئته فينفخ فيها فتكون طيرا -حيا- بإذنه -سبحانه- ومشيئته، ويبرئ الأكمه -من ولد أعمى، وقيل من بعينه مسح، وقيل من لا يبصر بالليل، فيبصر- والأبرص -من بجلده بياض، فيعود سليما- بإذنه -سبحانه- ومشيئته، وحيث يخرج الموتى -من قبورهم أحياء- بإذنه -سبحانه- ومشيئته، وحيث كف بني إسرائيل عنه -لما هموا بقتله، فكفاه شرهم- حين جاءهم بالأدلة الجلية البينة على صدقه، فزعم الذين كفروا منهم أن ليس هذا -الذي به جاءهم- إلا سحر واضح. **١١٠**

وحيث ألهم -سبحانه- الحواريين -صفوة أنصاره عليه السلام- أن يؤمنوا به وبرسوله، أجابوا بأن آمنوا، وأشهدوه وطلبوا أن يشهد -يوم القيامة- بأنهم -حقا- مسلمون -لله، وحده دون سواه- منقادون. **١١١**

اذكر حين سأل الحواريون عيسى ابن مريم هل يستطيع ربه أن ينزل عليهم مائدة -طعام- من السماء؟ أجابهم بأن يتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه -ومن جملتها اقتراح ما لا يجوز اقتراحه- إن كانوا غير كاذبين في ادعاء الإيمان. **١١٢**

أجابوه: يريدون أن يأكلوا منها، وتطمئن قلوبهم -زيادة في الاطمئنان كما قال تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تُحيِ الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ [البقرة **٢٦٠**]- ويعلموا -يقينا- أن قد صدقهم -فيما جاءهم به، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ليس الخبر كالمعاينة، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت. ﴾ [أحمد **٢٤٤٧**]- ويكونوا عليها من الشاهدين: عند من لم يحضرها من بني إسرائيل، فتكون شهادة لله بالوحدانية والقدرة المطلقة، ولعيسى عليه السلام بالنبوة والصدق، وتقوم الحجة بشهادتهم على معاصريهم وعلى من يأتي بعدهم. **١١٣**

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى
وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ
مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى
وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ
إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ
وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن
تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ
ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

دعا عيسى ابن مريم -مجيبا طلبهم- الله ربهم أن ينزل عليهم مائدة -طعام- من السماء، يكون يوم نزولها لهم عيدا، لمعاصريهم ومن يأتي بعدهم، وآية منه -سبحانه، دالة على كمال قدرته- ويرزقهم -ما يستعينون به على عبادته- وهو -سبحانه، الغني- خير من يرزق وأفضل من يعطي. **١١٤**

أخبره الله أنه منزلها عليهم -وهو، سبحانه، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الله لا يُخلف الميعاد ﴾ [آل عمران ٩ ۞ الرعد ٣١]- فمن يكفر بعد -إنزالها- منهم فإنه -سبحانه- يعذبه عذابا لا يعذب مثله أحدا من الخلائق جميعا. **١١٥**

واذكر أيها النبي الكريم حين سأل الله عيسى ابن مريم -توبيخا لمن أشركه بالله من أتباعه، ذلك واقع يوم القيامة- أهو أمر الناس أن يتخذوه وأمه إلهين -يعبدونهما- من دون الله؟ أجابه منزها إياه -عن أن يكون له شركاء سبحانه- ومقدسا بأن ما يصح له أن يدعي -لنفسه- ما ليس له بحق، إن كان ادعى شيئا من هذا القبيل فقد علمه -سبحانه- مقرا أنه يعلم ما -هو مضمر- في نفسه، ولا يعلم -عليه السلام- ما في نفسه -سبحانه، لا يعلم إلا ما يطلعه عليه- مؤكدا أنه هو علام كل غائب خفي. **١١٦**

أكد أن ما بلغهم إلا ما أمره -سبحانه- بتبليغه: أن يعبدوا الله ربه وربهم -وحده دون سواه- وكان على ما أظهروا من أقوال وأفعال شاهدا مدة دوامه فيهم -عليه السلام- فلما توفاه الله -كوفاة الأنفس في المنام كما قال تعالى ﴿ الله يتوفَّى الأنفس حين موتها والتي لم تمُت في منامها فيُمسك التي قضى عليها الموت ويُرسل الأخرى إلى أجل مُسَمَّى ﴾ [الزُّمَر ٤٢] ورفع روحه وبدنه إلى السماء كما قال تعالى ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ ﴾ [آل عمران ٥٥]- كان هو الرقيب الحافظ عليهم -سبحانه- يحصي ليجازي كلا بما قدم، وهو على كل شيء مطلع شاهد. **١١٧**

أردف عليه السلام -مستعطفا- إن يعذبهم فإنهم عباده -سبحانه، يفعل بهم ما يشاء ويحكم فيهم بما يريد، وقد استوجبوا عذابه- وإن يغفر لهم -لمن أتى منهم بأسباب المغفرة- فإنه هو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه: مغفرته صادرة عن تمام عزة وحكمة. **١١٨**

فائدة! قوله تعالى ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس ﴾ إلى قوله ﴿ فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ ثلاث آيات من أفضل ما استعمل الدعاة المسلمون مع منكري التوحيد -ولا سيما نصارى الروم والعجم ومن يماثلهم- لأسلوبها الحواري العقلي في تمجيد الله الواحد على لسان المسيح عليه السلام.

وقرآنٌ يُحاوِرُ عقلَ قَومٍ ... إذًا يَهدي بِهِ ناجٍ خبيرُ

أخبر الله أن هذا يوم -القيامة- ينفع الصادقين -صادقي النيات والأقوال والأعمال فيه- صدقهم -الذي كان منهم في الدنيا- لهم جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- أبدا، رضي الله عنهم -بما قدموا في الدنيا- ورضوا عنه -بما جزاهم به- ذلك الفوز والفلاح العظيم لا يعادله شيء. **١١٩**

لله ملك السماوات والأرض وما فيهن: خلقا وملكا وتدبيرا، وحده لا شريك له، وقدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك خلق عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بغير أب. **١٢٠**

★ سورة الأنعام ★

★ مكية ★

كامل الثناء على الله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور -ظلمات الليل والكفر، ونور النهار والإيمان- ثم الذين كفروا -رغم قدرته الشاملة- بربهم يسوون غيره ويميلون عن الحق. ١

فائدة! الظلمات متعددة والنور واحد، كذلك طرق الضلال كثيرة متنوعة وطريق النجاة واحد كما قال تعالى ﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيما فاتَّبِعوه ولا تتَّبِعوا السُّبُل فتَفَرَّق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام ١٥٣].

صِراطُ اللهِ فَذٌّ مُستقيمٌ ... ألا سُبُلُ الضلالِ لنا كثيرُ

هو الذي خلقكم -أيها الناس- من طين -بأن خلق أبا البشر آدم عليه السلام منه كما قال تعالى ﴿ وإذ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا. ﴾ [الإسراء ٦١]- ثم قضى وقتا -فلكل منكم مدة إقامة في الدنيا، وزاد الله في بركة عمر من وصل رحمه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه. ﴾ [البخاري ٢٠٦٧ ★ مسلم ٢٥٥٧ ★ أبو داود ١٦٩٣ ★ أحمد ١٢٥٨٨]- ووقت محدد عنده -لا يعلمه سواه، قضاه لوقوفكم بين يديه يوم القيامة- ثم أنتم -في قدرته على بعثكم وحسابكم- تشكون. ٢

وهو الله -الإله الذي يضرع إليه الخلائق، المعبود بحق- في السماوات وفي الأرض، يعلم سركم -وإن كتم- وجهركم -وقد ظهر- ويعلم ما تكسبون: من خير وشر، وسيجازيكم به. ٣

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم دالة على وحدانيته وصدق نبيه إلا كانوا عنها معرضين منصرفين. ٤

فقد كذبوا بالحق لما جاءهم -عن طريق النبي ﷺ وردوه- فسوف يعاينون -يقينا يوم القيامة- ما كانوا به -من أخبار البعث- يستهزئون. ٥

ألم يعلموا -أهل الكفر، يقينا، وقد عاينوا آثارهم- كم أهلك الله من قبلهم من أمم متتالية؟ أعطاهم الله سلطانا في الأرض -قوة أبدان وطول أعمار وكثرة أموال وأولاد- ما لم يجعل الله مكانا لكم ولا سلطانا -فبلادهم أغنى، وهم أقوى وأبقى وأكثر- وأرسل الله المطر عليهم وفيرا، وجعل الله الأنهار تجري خلال منازلهم وبساتينهم، فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم -إذ كذبوا رسله- وأوجد الله من بعدهم أمة أخرى. ٦

ولو نزل الله عليك أيها النبي الكريم -على مرأى منهم- كتابا -مكتوبا- في صحيفة، فلمسوه بأيديهم لزعم الذين كفروا أن ليس هذا -الذي به جئت- إلا سحر واضح. ٧

فائدة! المتكبر لن يؤمن مهما حاول المصلح، فلا يخالفن المصلح صحيح الدين ولا يبدلنه لإقناعه.

ونَلزمُ دِينَنا لمْ نُلقِ بالًا ... إلى مُتَكَبِّرٍ، فَهُمُ الشُّرورُ

واقترحوا أن ينزل عليه -ﷺ- مَلَك -يكلمهم ويشهد له بالنبوة- ولو أنزل الله مَلَكا -فلم يؤمنوا- لانتهى الأمر -إلى هلاكهم الأبدي، فهذه سنة الله مع كل أمة اقترحت آية محددة فأتاهم الله بها فلم يؤمنوا بعدها، كثمود حين اقترحت الناقة- ثم لا يمهلون: قد استحقوا الإهلاك والمعاجلة بالعقاب. ٨

سُورَةُ الأَنْعَامِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا
يَلۡبِسُونَ ٩ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ
سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠ قُلۡ سِيرُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١
قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ
نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ
فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢ ۞ وَلَهُۥ
مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣ قُلۡ
أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ
يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ
رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ
وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ
لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧
وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨

ولو جعل الله من أرسل إليهم مَلَكا لجعله سبحانه على هيئة رجل -تطيق قواهم البشرية رؤيته وسماعه- ولخلط الله عليهم ما يخلطون: على أنفسهم، إذ سيظنون أنه بشر، فطلبهم مدعاة للبس لا للبيان. **٩**

ولقد استهزئ برسل من قبلك أيها النبي الكريم -فلا تحزن، هذا دأب أهل الكفر- فنزل بالذين سخروا منهم وأحاط ما كانوا به -من عذاب- يستهزئون. **١٠**

أخبرهم -إن كانوا مرتابين- أن يتجولوا في الأرض ثم يتأملوا كيف كان مصير المكذبين بأنبيائهم من الأمم السابقة وما حل بهم من عقاب. **١١**

سلهم لمن ما في السماوات والأرض؟ بادر بالإجابة: لله، أوجب على نفسه الرحمة -تفضلا عليكم وإحسانا، فقضى أن تغلب رحمته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي. ﴾ [البخاري **٣١٩٤** * مسلم **٢٧٥١** * الترمذي **٣٥٤٣** * ابن ماجة **١٨٩** * أحمد **٧٥٠٠**]، رغم أنه قادر على أن يعاجلكم بعقاب- ليجمعنكم -أولكم وآخركم بعد بعثكم أحياء ليجازي كلا بما قدم، في مقام واحد- إلى يوم القيامة لا ريب فيه -فاحذروا مصير المكذبين- الذين خسروا أنفسهم -بالعناد والكفر- فهم لا يؤمنون. **١٢**

وله -سبحانه- ما سكن -فاستقر، وما تحرك أو اضطرب- في الليل والنهار -فجميع المخلوقات عبيد له- وهو السميع لكافة ما يقول عباده، العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. **١٣**

سلهم أيها النبي الكريم -مستنكرا- أغير الله تتخذ وليا يتولى أمورك؟ خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق: أتتركه؟! وهو -الرازق المدبر- يطعم -خلقه- ولا يطعم -من قبل أحد- أخبرهم أنك أمرت أن تكون أول من أسلم -لله، من هذه الأمة- وانقاد، ولا تكونن من المشركين: أمرك ربك بذلك. **١٤**

فائدة! النهي عن أن يكون المسلم من المشركين لا يقتصر على اعتقاده، بل يشمل كذلك مخالطة أهل الشرك، لأنهم يدعون إلى أقوال وأعمال موجبة للنار كما قال تعالى ﴿ ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار ﴾ [البقرة **٢٢١**]، فمن لم يستطع إزالة المنكر فليزل هو عن أهله.

مُخالطةُ الكوافرِ لمْ نُجزها ... فإنْ لِّضرورةٍ يَعفُ الغفورُ

أخبرهم أنك تخاف إن عصيت ربك -حاشاك، فأشركت به أو راءيت، أو خالفت أوامره، ومن جملتها تبليغ ما أمرك بتبليغه كاملا تاما دون تحريف- عذاب يوم عظيم: القيامة. **١٥**

من يصرف عنه -العذاب- يومئذ فقد رحمه -سبحانه، فنجى- وذلك -الثواب في الآخرة عين- الفوز الواضح كما قال تعالى ﴿ فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز ﴾ [آل عمران **١٨٥**]. **١٦**

وإن ينلك الله -أيها الإنسان- بضرر فلا رافع له سواه، وإن ينلك بخير -فلا راد لفضله- فقدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك إصابة من يشاء من خلقه بما يشاء من شر أو خير. **١٧**

وهو القاهر -الغالب- فوق عباده -مكانا وقدرا وقهرا، القادر أن يمنع من يريد من أن يبلغ مراده- وهو الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء. **١٨**

سلهم أيها النبي الكريم أي شيء -في الدنيا، على صدقك- أكبر شهادة؟ بادر بالإجابة: الله، شاهد بينك وبينهم، وأوحي إليك هذا القرآن لتنذرهم به -فتقوم الحجة- ومن بلغ -القرآن من الإنس والجن كذلك هو إنذار له- أئنهم ليشهدون أن مع الله آلهة أخرى: سلهم موبخا؟ أخبرهم -إن أقروا بالشرك به سبحانه- أن لا تشهد، أكد أنما هو إله واحد لا شريك له، وأنك -يقينا- بريء مما يشركون. **١٩**

فائدة! قيام الحجة بمجرد السماع، فكل من بلغه قرآن ربه كما قال تعالى ﴿ وأُوحيَ إليَّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ ﴾ [الأنعام ١٩]، أو سمع برسول دعا للتوحيد كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، ولا يهودي ولا نصراني، ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار. ﴾ [مسلم ١٥٣ * أحمد ٨٢٠٣] فقد قامت عليه الحجة الرسالية وصار مطالبا بالإسلام -ولا يعذر بزعم أن الدعوة وصلته مشوهة أو أن هناك شبهات- فإن مات كافرا -لقلة اهتمامه بالأمر لم يبحثه أو لعدم اقتناع أو لغير ذلك- فإننا نبشره بالنار.

قِيامُ الحُجَّةِ السمْعُ التزِمها ... ونَشهَدُ بَعدَها: لِمَنِ السعيرُ؟

الذين أعطاهم الله الكتب -السماوية: علماء اليهود والنصارى- يعرفون محمدا ﷺ كما يعرفون أبناءهم -فقد أيقنوا أنه جاء بالحق، هؤلاء- الذين خسروا أنفسهم -بالعناد والكفر- فهم لا يؤمنون. **٢٠**

ومن أعظم ظلما ممن افترى على الله كذبا -فزعم أن له ولد أو زوجة أو شركاء، أو نسب إليه ما لم يقل، أو حرم ما أحل أو أحل ما حرم- أو كذب بآياته -منزلة كانت أو كونية أو عقلية- إنه لا نجاة ولا فوز للظالمين. **٢١**

واذكر أيها النبي الكريم يوم -القيامة، حين- يجمع سبحانه خلقه جميعا، ثم يسأل الله الذين أشركوا -موبخا- أين شركاؤهم الذين كانوا يزعمون: أنهم سيشفعون لهم عنده، لأنهم بزعمهم شركاؤه؟ **٢٢**

ثم لم تكن عاقبة شركهم الذي افتتنوا به وافتخروا إلا أن أقسموا بالله ربهم أن ما كانوا مشركين! **٢٣**

تأمل كيف كذبوا على أنفسهم -بإنكار شركهم، ولن يتمكنوا من كتمان الحق كما قال تعالى ﴿ ولا يكتمون الله حديثا ﴾ [النساء ٤٢]- وبطل كذبهم وخذلهم ما كانوا يفترون على الله من طواغيت. **٢٤**

ومنهم من يستمع إليك، وجعل الله على قلوبهم أغطية كراهة أن يفقهوه -القرآن، إذ تشبثوا بكفرهم- وفي آذانهم صمما -فلا يسمعون سماع وعي وفهم وانتفاع- وإن يروا كل آية -منزلة أو كونية أو عقلية- لا يؤمنوا بها، حتى إذا جاءوك يجادلونك يزعم الذين كفروا أن إن هذا إلا أباطيل الأمم السابقة. **٢٥**

وهم ينهون -الناس- عن النبي ﷺ ويبتعدون عنه، وما يهلكون إلا أنفسهم -فوبال ذلك عائد عليهم، فهم يغرقون أنفسهم أكثر في عذاب الله كما قال تعالى ﴿ الذين كفروا وصَدُّوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يُفسدون. ﴾ [النحل ٨٨]، وما يشعرون بذلك لفرط حماقتهم. **٢٦**

ولو يرى الرائي حين عرضوا على النار محبوسين مقيدين -ذلك واقع يوم القيامة- فتمنوا أن يردوا -إلى الدنيا- ولا يكذبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين، لرأى أمرا هائلا مما آلوا إليه. **٢٧**

قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا
ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا
تُشۡرِكُونَ ١٩ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ
ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢١ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ
جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٢٢
ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣
ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤
وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ
وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ
ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ
أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٢٦ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ
يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧

بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ
وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ
بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا
بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾
قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ
بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ
إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٣٢﴾
قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ
رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾
وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ
نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ
ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾

بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل -من أعمال شهدت بها جوارحهم كما قال تعالى ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتُكلِّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون. ﴾ [يس ٦٥]- ولو ردوا -إلى الدنيا، كما تمنوا- لعادوا لما نهوا عنه -من كفر وآثام- وإنهم لكاذبون فيما زعموا من إيمان وإنابة. **٢٨**

وزعموا -في الدنيا- أن ليس حياة إلا حياتهم الدنيا، ولن يبعثوا: بعد الموت للحساب. **٢٩**

ولو يرى الرائي حين عرضوا على ربهم محبوسين مقيدين -ذلك واقع يوم القيامة- سألهم موبخا مقرعا: أليس هذا -البعث الذي كنتم أنكرتم- بالحق الكائن؟ أقروا مقسمين بربهم أن بلى! أمر ربهم: فذوقوا العذاب بسبب كفركم، لرأى أمرا هائلا مما آلوا إليه. **٣٠**

قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله -في الآخرة- حتى إذا جاءتهم الساعة -وقامت القيامة- على غرة دون مقدمات تحسروا أشد حسرتهم على تفريطهم وتقصيرهم في الإعداد لهذا اليوم وندموا، وهم يحملون ذنوبهم على ظهورهم، ألا سيئ ما يحملون من ذنب. **٣١**

وما الحياة الدنيا -لمن لا يعمل طاعة لله- إلا لعب ولهو -لا طائل منها- وللدار الآخرة خير -من دنيا فانية- وأفضل للذين يتقون بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، أفلا تنتفعون بعقولكم؟! **٣٢**

قد يعلم الله إنه ليحزنك أيها النبي الكريم الذي يتفوهون به، فإنهم -في قرارة أنفسهم- لا يكذبونك -بل يعرفون صدقك وأمانتك- ولكن الظالمين لأنفسهم بالكفر بآيات الله -المنزلة والكونية والعقلية- يجحدون: فأنكروها مستكبرين عن الانقياد للحق، ظلما وعنادا ليس جهلا، كصنيع قوم فرعون قبلهم كما قال تعالى ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعُلُوًّا ﴾ [النمل ١٤]. **٣٣**

فائدة! حال المتكبرين واحد في كل عصر ومصر، فيهم من التعالي والعنصرية والظلم ما تعجز الأقلام عن وصفه، فليكن المسلم شهما عزيزا بإسلامه، وليوقن أن من رفعه الله وطهره بالإسلام ليس كمن وضعه بالكفر كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس ﴾ [التوبة ٢٨].

وبالإسلامِ كُنْ شَهمًا عزيزًا ... تَكَبُّرُ كافرٍ مَقَتَ الكبيرُ

ولقد وقع التكذيب لرسل -عدة- من قبلك، فصبروا على ما تعرضوا له من تكذيب وأذى حتى أتاهم نصر الله -فاصبر كما صبروا، فنصر الله قادم لا محالة كما قال تعالى ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. ﴾ [غافر ٥١]- ولا مبدل لكلمات الله -بل لا محالة هي واقعة- ولقد جاءك -ما يخفف من حزنك ويثبت قلبك ويقويه- من خبر -من كان قبلك من- المرسلين. **٣٤**

وإن كان شق عليك -وعلى كل داعية من أمتك، فذلك كائن- وثقل إعراضهم عنك وانصرافهم عما جئتهم به فإن استطعت أن تطلب نفقا في الأرض -فتدخله إلى أعماقها- أو سلما في السماء -فترتقيه إلى أعلاها- فتأتيهم بآية دالة على صدقك -غير ما أيدك به ربك، فافعل!- ولو شاء الله لجمعهم على الهداية كما قال تعالى ﴿ أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ﴾ [الرعد ٣١]، فلا تكونن من الجاهلين بذلك وبحقائق الأمور، الحزانى على من قدر الله كفره. **٣٥**

إنما يستجيب -له ﷺ، وللدعاة من أمته- الذين يسمعون -سماع وعي وفهم وانتفاع- والموتى -فأهل الكفر الذين لا يسمعون لأنه سبحانه أغلق قلوبهم وآذانهم لإصرارهم على ما هم عليه وتعنتهم بمثابة الموتى- يبعثهم الله، ثم إليه وحده يرجعون في الآخرة ليجازيهم أتم الجزاء. **٣٦**

واقترحوا أن ينزل عليه آية دالة على صدقه -فتظل تنزل- من ربه، أخبرهم أيها النبي الكريم أن الله قادر على أن ينزل آية، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن سنة الله مع كل أمة اقترحت آية محددة فأتاهم الله بها فلم يؤمنوا بعدها، كثمود حين اقترحت الناقة، أن يعاجلهم سبحانه بالعقاب ولا يمهلهم. **٣٧**

وما من كائن يدب في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا جماعات -وأجناس- أمثالكم -أيها الناس، في الخلق والرزق والموت، والبعث يوم القيامة بل والقود كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء. ﴾ [مسلم **٢٥٨٢** ⋆ الترمذي **٢٤٢٠** ⋆ أحمد **٧٢٠٤**]- ما فرط سبحانه ولا أغفل ولا ضيع في اللوح المحفوظ من شيء -بل كل شيء أثبت- ثم إلى ربهم يصيرون ليجازيهم بأعمالهم. **٣٨**

والذين كذبوا بآيات الله صم -عن سماع الحق، سماع وعي وفهم وانتفاع- وبكم -لا ينطقون بخير- في الظلمات -كفر وضلال وعناد، لا يبصرون طريق الهداية- من يشأ الله يضلله، ومن يشأ -هدايته- يجعله على طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إلى الله وجنته: دين قويم بغير إفراط ولا تفريط. **٣٩**

سلهم أيها النبي الكريم -زيادة في التنبيه- أن يخبروك: إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة -وقامت القيامة- أغير الله تدعون -والدعاء عبادة- إن كنتم صادقين في زعمكم أن الشرك بالله قد ينفع؟ **٤٠**

بل إياه -سبحانه، مخلصين- تدعون، فيرفع ما تدعون إليه إن شاء، وتنسون -حينئذ- ما تشركون: من طواغيت جعلتموهم بزعمكم شركاء له سبحانه بإمكانهم أن يضروا وينفعوا. **٤١**

ولقد أرسل سبحانه -رسلا- إلى أمم من قبلك أيها النبي الكريم -فكذبوهم- فأخذهم الله بالمصائب في الأموال والأبدان، رجاء أن يقصدوا -إليه وحده- بالتضرع: والدعاء والتذلل، وينقادوا للإيمان. **٤٢**

فهلا حين جاءهم عقاب الله تضرعوا: داعين متذللين؟ ولكن قست قلوبهم -فلم يدعوه سبحانه- وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون -من كفر وضلال وعناد- فاستحسنوا خداعه لهم. **٤٣**

فلما نسوا ما ذكروا به -من عقاب، وأعرضوا عن القصد إليه سبحانه- فتح الله عليهم -استدراجا لهم- أبواب كل شيء -من الخيرات: رزق وصحة ونحو ذلك- حتى إذا فرحوا بما أعطوا -فأعجبوا بحالهم وأصابهم البطر، وظنوا أنما أعطوا الخير لكونهم على صواب- أخذهم سبحانه -بعقابه- على غرة دون مقدمات، فإذا هم -فجأة- ساكتون محزونون يائسون لا يتوقعون خيرا. **٤٤**

فائدة! ما يمتع الله به الكفرة والظلمة في الدنيا من مال وصحة وسلطة لا يشير بحال إلى كونهم على صواب، بل هو استدراج منه ليزدادوا تحصيلا للآثام، واختبار لغيرهم: هل يثبتوا على الطريق القويم؟

ومَتَّعَ كافِرًا فازدادَ إثمًا ... وثَبَّتَ مؤمنًا ربٌّ شَكورُ

* إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ
مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ
ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ
أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ
تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ
مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ
إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا
نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ
إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم
مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا
يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ
عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ
رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾
وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

فاستؤصل القوم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر إلى آخرهم بالإهلاك، وكامل الثناء على الله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. ٤٥

فائدة! هلاك الظلمة نعمة تستحق أن نحمد الله عليها، لا أن نترحم عليهم كما يفعل المرجئة!

ولَسنا أهلَ إرجاءٍ، لِيُحمَدْ ... على إهلاكِ مَنْ ظَلَمَ القديرُ

سلهم أيها النبي الكريم أن يخبروك: إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم -فسلبكم حواسكم- وختم على قلوبكم -فأغلقها فغدت لا يدخلها إيمان ولا تعي خيرا- من إله غير الله -مما عبدتم يقدر أن- يأتيكم بما فقد منكم؟ تأمل كيف ينوع الله الآيات الدالة على كمال قدرته، ثم هم ينصرفون متولين! ٤٦

سلهم -زيادة في التنبيه- أن يخبروك: إن أتاكم عذاب الله -ليلا أو نهارا- على غرة دون مقدمات أو بعد ظهور مقدمات تدل عليه، هل يهلك إلا القوم الظالمون: أنتم وأشباهكم من أهل الكفر؟ ٤٧

وما يرسل الله المرسلين إلا مبشرين -من آمن وأطاع بالمعد لهم من نعيم- ومنذرين -من كفر أو عصى بما هيئ لهم من عذاب إن لم يتوبوا- فمن آمن وأصلح ظاهره وباطنه وما فسد من أحواله فلا خوف عليهم -في الآخرة- ولا هم يحزنون: على ما من الدنيا فاتهم ولا على من في النار ممن أحبوا. ٤٨

والذين كذبوا بآيات الله ينالهم العذاب بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله. ٤٩

أخبرهم أيها النبي الكريم أن لا تخبرهم أن عندك خزائن الله -تمتلكها، فتغني من آمن بك- ولا تعلم الغيب -فتخبرهم بما يستقبلون- ولا تزعم لهم أنك مَلَك -حتى تأتيهم بما سألوك تعنتا كما قال تعالى ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفجُر لنا من الأرض ينبوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتُفَجَّر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تُسقط السماء كما زعمت علينا كِسَفا أو تأتيَ بالله والملائكة قبيلا. أو يكون لك بيت من زُخرف أو تَرقى في السماء ولن نؤمن لرُقِيِّك حتى تُنَزِّل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا. ﴾ [الإسراء ٩٠ ~ ٩٣]- إن تتبع إلا ما يوحى إليك -ليس إلا- سلهم -مقرعا- هل يستوي أعمى كافر وبصير مؤمن؟ أفلا يتفكر هؤلاء؟! ٥٠

وأنذر بالقرآن -الخلق جميعا، واهتم بإنذار من له الإنذار مفيد- الذين يخافون -فيظهر عليهم الخوف- أن يصيروا إلى ربهم ليجازيهم بأعمالهم، ليس لهم من دونه ولي يتولى أمورهم ولا شفيع يشفع لهم عنده -لا أسلاف ولا أوثان ولا غير ذلك- رجاء أن يتقوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. ٥١

ولا تبعد الذين يلازمون دعوة ربهم خاصة أول النهار وآخره يريدون التقرب إليه -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ﴿ كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيِّ يريدون وجهه ﴾ ﴾ [مسلم ٢٤١٣ * ابن ماجة ٤١٢٨]- لا تكلف أمرهم ولا يتكلفون أمرك -بل كل محاسب بعمله- فتبعدهم فتكون -لهم، حاشاك- من الظالمين. ٥٢

ومثلما باعد بينهم في الحظوظ فتن الله بعضهم ببعض مختبرا، ليتساءل الأوفر حظا في الدنيا -منكرين متعالين- أهؤلاء -الأقل حظا- أنعم الله وتفضل عليهم من بيننا: بالسبق للإيمان وإصابة الحق؟ أليس الله بأعلم بالشاكرين: فيزيدهم نعما كما قال تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنَّكم ﴾ [إبراهيم ٧]؟ **٥٣**

وإذا جاءك أيها النبي الكريم الذين يؤمنون بآيات الله فبادرهم بالسلام -إكراما لهم، أما الكافر فكما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام ﴾ [مسلم ٢١٦٧ ★ أبو داود ٥٢٠٥ ★ الترمذي ١٦٠٢ ★ أحمد ٧٦١٧]، أو رده عليهم إن هم بادروا، مبشرا- أوجب ربكم على نفسه الرحمة -تفضلا عليكم وإحسانا- أنه من عمل منكم أمرا سيئا بجهالة -لعمله عالما أنه يعصي الله- ثم تاب من بعده -ومن التوبة رد المظالم إلى أهلها، أو طلب المسامحة- وأصلح ظاهره وباطنه وما فسد من أحواله فأنه -سبحانه- واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. **٥٤**

فائدة! ثواب إلقاء السلام هو كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما ﴿ أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، قال: قال النبي ﷺ: عشر، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال النبي ﷺ: عشرون، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال النبي ﷺ: ثلاثون. ﴾ [أبو داود ٥١٩٥ ★ الترمذي ٢٦٨٩ ★ أحمد ١٩٩٤٨].

نُثابُ على السلامِ بِهِ نُحيِّي ... نُبادِرُ أهلَنا، ولنا الأُجورُ

ومثل ذلك الشرح والتفصيل يفصل الله الأحكام ويبينها، وليستبين -للمؤمن- طريق المجرمين مستحقي العقاب: فيظهر منهجهم جليا، وبذلك يستبين طريق المؤمنين، فيبصر المؤمن أي الطرق هو متبع. **٥٥**

أخبر أيها النبي الكريم الكفار أنك نهيت أن تعبد الذين يدعون ويعبدون من دون الله، أخبرهم أن لا تتبع أهواءهم، قد ضللت إذًا -إن بعت دينك مثلهم، حاشاك- وما أنت من أهل الهداية. **٥٦**

أخبرهم أنك على بينة من ربك -لا هوى وشك، ألا إله إلا هو- وكذبوا به -إذ كذبوا نبيه- ما عندك -ولا في مقدورك- ما يستعجلون به -من خوارق العادة أو من عذاب الله- إن الحكم إلا لله -فالسيادة له وحده- يقص الحق -فلا تتبعوا سواه- وهو خير وأفضل الفاصلين: والفصل بغير ما أنزل باطل. **٥٧**

أخبرهم أن لو أن عندك ما يستعجلون به لانتهى الأمر بينك وبينهم -إلى هلاكهم الأبدي، فينزل من السماء بطلب منك- والله أعلم بالظالمين وبمدة تأخير عذابهم، استدراجا لهم وإعذارا إليهم. **٥٨**

وعند الله مفاتيح الغيب -وخزائنه- لا علم لأحد غيره بشيء منها -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله: ﴿ إنَّ اللهَ عنده علم الساعة ويُنَزِّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إنَّ الله عليم خبير. ﴾ ﴾ [البخاري ٤٦٢٧ ★ أحمد ٤٧٧٦]- ويعلم ما في البر والبحر -من كائنات حية ومن جمادات، علما مفصلا- وما تسقط من ورقة -شجر أو غيره- إلا يعلم مكان وزمان سقوطها، ولا حبة -كائنة- في جوف الأرض المظلم، ولا -شيء- رطب ولا يابس إلا واضحا في اللوح المحفوظ. **٥٩**

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءَۢا
بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل
لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ
خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ
ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ
مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ
وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ
ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ
يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ
يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ
وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ
أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ
هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ
ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن
فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم
بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ
بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ
مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

وهو الذي يتوفاكم -أيها الناس- بالليل -في منامكم كما قال تعالى ﴿ الله يتوفَّى الأنفس حين موتها والتي لم تمُت في منامها فيُمسك التي قضى عليها الموت ويُرسل الأخرى إلى أجل مُسَمًّى ﴾ [الزُّمَر ٤٢]- ويعلم ما كسبتم بجوارحكم -من خير وشر، لم يغفل- بالنهار، ثم يبعثكم في اليقظة -لتستوفى آجالكم- ثم إليه رجوعكم في الآخرة، ثم يخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم به. ٦٠
وهو القاهر -الغالب- فوق عباده -مكانا وقدرا وقهرا، القادر أن يمنع من يريد من أن يبلغ مراده- ويرسل عليكم حفظة -ملائكة كراما، تحفظ أعمالكم وتكتبها كما قال تعالى ﴿ وإنَّ عليكم لحافظين. كراما كاتبين. ﴾ [الانفطار ١٠ ١١]- حتى إذا جاء أحدكم الموت -وعاين ما ينتظره- توفته رسل الله -مَلَك الموت وأعوانه- وهم لا يفرطون -في شيء مما أمرهم الله به- ولا يغفلون ولا يضيعون. ٦١
ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق -مالكهم الحقيقي ومتولي أمورهم للجزاء- ألا له الحكم -وحده: توحيد الحاكمية، وقضاؤه نافذ- وهو أسرع الحاسبين: فإحصاء أعمال الخلائق على كثرة عددكم سهل على الله يسير كما قال تعالى ﴿ ما خلْقكم ولا بعْثكم إلا كنفس واحدة ﴾ [لقمان ٢٨]. ٦٢
سلهم من ينجيهم من ظلمات البر والبحر -إذا التبست عليهم المسالك أو واجهوا شدائد، وحده دون سواه- يدعونه تضرعا -وتذللا، جهرا- وسرا- مقسمين لئن أنجاهم من هذه ليكونن من الشاكرين؟ ٦٣
أخبرهم أيها النبي الكريم أن الله ينجيهم منها ومن كل كرب وغم، ثم هم يشركون: أهكذا شكره؟ ٦٤
أخبرهم أن هو القادر على أن يبعث عليهم عذابا من فوقهم -طوفانا أو صاعقة أو صيحة أو رياحا أو رجما، أو حكام سوء- أو من تحت أرجلهم -خسفا أو غرقا أو زلازل، أو خدم سوء وسفلة خلق- أو يخلطهم فرقا -متباينة الآراء والأهواء- ويذيق بعضهم شدة بعض -مستبيحين بعضهم البعض، بسبب الأئمة المضلين كما ورد عن النبي ﷺ من حديث ثوبان رضي الله عنه ﴿ وإن ربي قال لي: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، ولا أهلكهم بسنة بعامة، ولا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها -أو قال بأقطارها- حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وحتى يكون بعضهم يسبي بعضا، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ﴾ [أبو داود ٤٢٥٢ ★ ابن ماجة ٣٩٥٢ ★ أحمد ٢٢٣٩٥]- تأمل كيف ينوع الله الآيات الدالة على كمال قدرته رجاء أن يفقهوا! ٦٥
وكذب بالقرآن قومك، وهو الحق لا يتطرق إليه باطل، أخبرهم أن لست بموكل بمراقبة تصرفاتهم. ٦٦
لكل خبر وقت يقع فيه -ولكل عمل جزاء- وسوف تعلمون: ذلك أيها الكفار، عند معاينة العاقبة. ٦٧
وإذا رأيت أيها النبي الكريم -وكل فرد من أمتك- الذين يتناولون آياته سبحانه -باستهزاء أو تكذيب أو سخرية ونحو ذلك- فأعرض عنهم منصرفا حتى يتناولوا حديثا غيره، وإما ينسينك الشيطان -مغادرتهم، فأنت كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ إنما أنا بشر أنسى كما تنسون ﴾ [البخاري ٤٠١ ★ مسلم ٥٧٢ ★ أبو داود ١٠٢٠ ★ النسائي ١٢٤٢ ★ ابن ماجة ١٢٠٣ ★ أحمد ٣٦٠٢]، ثم تذكرت- فلا تقعد بعد التذكر مع القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر والتنقص من آيات الله. ٦٨

وما على الذين يتقون -مجالستهم- من حساب الخائضين في آيات الله المتنقصين لها من شيء -بل كل حسابه على نفسه، لا يتحمل غيره منه شيئا- ولكن تذكرة جسيمة -إذ يتعين الإنكار عليهم حال القدرة، أو عدم مجالستهم حال عدمها- رجاء أن يتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. **٦٩**

فائدة! مجالسة أهل الهوى والبدع والمنكرات والمعاصي لغير الإنكار عليهم لا تجوز لما في ذلك من إقرار لهم على الإثم، وهذا منهي عنه كما قال تعالى ﴿ وتَعاونوا على البر والتقوى ولا تَعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [المائدة ٢]، وكل مسؤول عن الإنكار عليهم حال الاستطاعة، كل بقدر استطاعته كما قال تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن ١٦].

مُخالطةُ الفَواسِقِ لمْ نُجِزها ... لِنُنكِرَ مُنكَرًا هُجِرَت وُكورُ

واترك أيها النبي الكريم الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا -فمن أنكر البعث يتصرف كلاعب لاه لا يهتم، ولا متاركة حال القدرة كما قال تعالى في آية السيف ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]- وغرتهم الحياة الدنيا -بزينتها فانخدعوا بها وبإمهال الله إياهم- وذكر بالقرآن، كراهة أن تسلم نفس للهلاك بسبب ما كسبت من عمل، ليس لها من دون الله ولي يتولى أمورها ولا شفيع يشفع لها عنده -لا أسلاف ولا أوثان ولا غير ذلك- وإن تفتدي بكل فداء لا يؤخذ منها، هؤلاء الذين أسلموا للهلاك بسبب ما كسبوا من عمل، لهم شراب من حر متناه شدته وعذاب أليم بسبب كفرهم كما قال تعالى ﴿ كمن هو خالد في النار وسُقُوا ماء حميما فقَطَّع أمعاءهم ﴾ [محمد ١٥]. **٧٠**

سلهم -موبخا- أتدعون وتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم -أحقا يطلب أهل الكفر منكم ذلك؟!- وتردوا عن دينكم -كفارا- بعد إذ وفقكم الله وأرشدكم؟ كالذي هوت به الشياطين -فأضلته- في الأرض حيران، له أصحاب يدعونه إلى طريق الهداية: ائتنا! فلا يجيب؟ أخبرهم أن هدى الله هو الهدى -فدينه الحق هو ما أرسلك به لعباد الله كما قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه ﴾ [آل عمران ٨٥]- وأمرتم لتسلموا وتنقادوا لرب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. **٧١**

وأن أدوا -أنت ومن اتبعك- الصلاة وأظهروا هيئتها وأديموها بشروطها كذلك أمركم رب الخلق، واتقوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وهو الذي إليه تصيرون ليجازيكم بأعمالكم. **٧٢**

وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق: سبحانه، ليس لعبا، بل سيجازي كل نفس مكلفة بما قد كان منها كما قال تعالى ﴿ وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ [الجاثية ٢٢]، واذكر أيها النبي الكريم يوم يأمر -سبحانه الشيء، أيًّا كان تعقيده أو صعوبته- "كن"، فيكون، قوله الحق والصدق الذي لا مراء فيه -ستبعثون بعد موتكم ليحاسبكم- وله الملك -المطلق- يوم -القيامة، حين- ينفخ في الصور كما قال تعالى ﴿ ونُفخ في الصور فصَعِق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ﴾ [الزُّمَر ٦٨]، عالم ما غاب وما شوهد، وهو الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء. **٧٣**

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ
لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن
تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ
وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ
هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ
حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ
أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ
أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ
مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ
قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا
رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ
أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ
أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنٗاۚ
فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

واذكر حين سأل إبراهيم أباه -واسمه- آزر -مستنكرا- أيتخذ أصناما آلهة: يعبدها من دون الله؟ إنه يراه هو وقومه في ضلال واضح عن الحق، لا يعرفون للرشاد سبيلا: هكذا أخبره، عليه السلام. ٧٤

ومثلما أراه ضلال أبيه وقومه يري سبحانه إبراهيم -ببصيرته- ملك وسلطان السماوات والأرض -ليستدل عليه السلام على وحدانية الله- وليكون -بذلك التوفيق من الله- من الموقنين: بأنه سبحانه لا شريك له. ٧٥

فلما أظلم عليه الليل رأى كوكبا، تساءل -مستنكرا، وهو يناظر قومه- هذا ربي؟ فلما غاب أشار إلى -بديهي- أن لا يحب الغائبين: فالرب المعبود حاضر، وهل يغيب الإله ويحتجب عمن يعبده؟! ٧٦

فلما رأى القمر طالعا تساءل -مستنكرا، وهو يناظر قومه- هذا ربي؟ فلما غاب أقسم لئن لم يوفقه ربه -فيثبته علي توحيده- ويرشده ليكونن من القوم الضالين: عن الحق. ٧٧

فلما رأى الشمس طالعة تساءل -مستنكرا، وهو يناظر قومه- هذا ربي؟ هذا -من الكوكب ومن القمر- أكبر! فلما غابت أكد لقومه أنه بريء مما يشركون: فغياب هذه الأشياء دليل جلي على أنها مخلوقة، ليست خالقة. ٧٨

أردف موضحا أنه قصد بعبادته الذي خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق وأخلص له، حنيفا مائلا عن جميع الأديان الباطلة إلى الإسلام، وأكد مجددا أن ليس هو من المشركين الذين يتخذون بأهوائهم وإرادتهم الفاسدة لله أندادا. ٧٩

فائدة! الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله وعظيم قدرته وسلطانه كثيرة، ومن ينتفع بالتفكر فيها هم رزينو العقول كما قال تعالى ﴿ إنَّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأُولي الألباب. ﴾ [آل عمران ١٩٠]، ولكن الشيطان يوسوس للناس ليشكوا في ربهم ويخلط عليهم إيمانهم به، والواجب حيال ذلك هو الإعراض التام عن وسوسته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته. ﴾ [البخاري ٣٢٧٦ * مسلم ١٣٤ * أبو داود ٤٧٢١ * أحمد ٨٣٧٦].

تَفَكَّرَ مسلِمٌ في كَونِ ربِّي ... عَنِ الشَّيطانِ أعرَضَ مُستَنيرُ

ونازعه قومه بالحجج، سألهم أينازعونه بالحجج في الله، وقد وفقه -فثبته علي توحيده- وأرشده؟ ومن ثم أخبرهم أن لا يخاف ما يشركون به -وهل يضر سواه أو ينفع؟- إلا أن يشاء ربه شيئا -كأن يصيبه بعض ضرر بسبب ذنب قد أذنبه، فالأمر لربه ليس لغيره- شمل علم ربه كل شيء -لا يفوته علم شيء من الأشياء- من ثم سألهم أفلا يتذكرون: فيتعظوا، فيدركوا ما هم عليه من ضلال، فيوحدوا الله؟! ٨٠

سألهم -مستنكرا- وكيف يخاف ما أشركوا -برب الخلق أجمعين، وهي مجرد أوثان لا تضر ولا تنفع- ولا يخافون -هم- أنهم أشركوا بالله ما لم ينزل بجعله شريكا له عليهم برهانا؟ أردف سائلا إياهم فأي الفريقين -إذًا، المؤمنين أم المشركين- أحق بالأمن وأولى؟! إن كانوا يعلمون حقيقة الأمور، ويميزون الحق من الباطل والبراهين الصحيحة عن الشبه الواهية فليتبعوا الفريق الذي يتحرى ويتبع الحق. ٨١

الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك بالله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ لما نزلت: ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه: ﴿ يا بُنيَّ لا تُشرك بالله إنَّ الشرك لظلم عظيم ﴾ ﴾ [البخاري ٤٧٧٦ * مسلم ١٢٤ * الترمذي ٣٠٦٧ * أحمد ٣٥٨٩] هؤلاء لهم الأمن -يثبتهم الله دنيا، وينجيهم آخرة- وهم -إلى طريق الفوز- مهتدون. **٨٢**

وتلك -البراهين المذكورة- حجة الله، أعطاها سبحانه إبراهيم على قومه -أرشده إليها، فأوردها عليهم- يرفع الله مراتب من يشاء سبحانه -في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما جميعا- إن ربك -أيها الإنسان- حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه، عليم بحال عباده وبمن يستحق المراتب الرفيعة منهم. **٨٣**

فائدة! مراتب الناس بحسب تقواهم ودرجة إيمانهم، أما الفخر بالآباء والعشيرة الكافرة -أو بالحضارات البائدة الكافرة، كالفراعنة- فمنهي عنه أشد النهي كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء: مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن! ﴾ [أبو داود ٥١١٦ * الترمذي ٣٩٥٥ * أحمد ٨٧٣٦].

ولمْ نَفخَرْ بأسلافٍ عُصاةٍ ... لهمْ مِّنْ ربِّهم وَيلٌ وبُورُ

ومنح الله إبراهيم عليه السلام إسحاق ويعقوب -ابنه وحفيده- كلا وفق الله -إلى الحق وطريقه- وأرشد، ونوحا وفق الله من قبل وأرشد، ومن ذرية نوح عليه السلام داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون كذلك وفق وأرشد، ومثل ذلك الجزاء يجزي الله المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. **٨٤**

وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كذلك وفق وأرشد، كل من الصالحين. **٨٥**

وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا كذلك وفق وأرشد، وكلا أعطى الله -النبوة- زيادة على أهل زمانه. **٨٦**

ومن أسلافهم وذرياتهم وإخوانهم كذلك وفق وأرشد -بعضا منهم- واختارهم الله وجعلهم من خاصته، ووفقهم سبحانه وأرشدهم إلى طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إليه وجنته. **٨٧**

ذلك -المذكور- هدى الله -دينه الحق: توحيده- يوفق به ويرشد من يشاء من عباده، ولو أشرك هؤلاء الأنبياء -حاشاهم- لفسد عنهم -فالشرك محبط للعمل- ما كانوا يعملون من أعمال صالحة. **٨٨**

هؤلاء -الأنبياء- الذين أعطاهم الله الكتب والحكم -والحكمة والعلم- والنبوة، فإن يكفر بنبوة محمد ﷺ وبما جاء به من قرآن وحكمة وعلم -مشركو قريش- هؤلاء فقد هيأ الله لها وألزم بالإيمان بها قوما -هاجروا معه، ومن نصروهم، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم القيامة: اتباعا تاما- ليسوا بها بكافرين. **٨٩**

هؤلاء -الأنبياء- الذين وفق الله وأرشد، فبهداهم -في توحيده وفي صبرهم، متبعا خطاهم متأسيا بهم- اقتده أيها النبي الكريم، أخبر الناس أن لا تسألهم على دعوتك ثوابا، ليس هو -الذي تأتيهم به- إلا تذكرة جسيمة للخلائق جميعا، يذكرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة. **٩٠**

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ
وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ
قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾
وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا
مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ
وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ
وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ
وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ
بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ
قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ
قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى
لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم
مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ
يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ
وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى
غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ
ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا
فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ
ظُهُورِكُمْۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ
شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

وما أعطى اليهود والمشركون الله حق قدره وافيا، حيث زعموا أن ما أنزل الله على بشر أي شيء! سلهم من أنزل التوراة التي جاء بها موسى نورا يضيء في الظلمات وهداية للناس من الضلال؟ يجعلها اليهود صحائف -مكتوبة- يبدونها -حين توافق أهواءهم- ويخفون كثيرا -ومن جملته وجوب الإيمان بالقرآن- وعلم المشركون -من القرآن- ما لم يعلموا هم ولا أسلافهم: كيفية عبادة الله؟ بادر بالإجابة: الله -هو منزلها- ثم اتركهم في تناولهم -الباطل، لهوا وغفلة- يلعبون: فسوف يأتي الأمر بقتال أهل الكتاب كما قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يد وهُم صاغرون. ﴾ [التوبة ٢٩]، وأهل الشرك في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]. **٩١**
وهذا -القرآن- كتاب أنزله الله كثير النفع والخير، مصدق وموافق الذي أنزل قبله من كتب سماوية، ولتنذر بالعقاب -أهل- مكة ومن حولها -حتى تبلغ النذارة سائر الأرض، فتقوم الحجة- والذين يؤمنون بالآخرة -بالبعث إيمانا لا افتراء فيه على الله- يؤمنون به، وهم على صلاتهم يحافظون: لأنهم يعلمون أنها عمود دينهم فهم لا يفرطون فيه ولا يقصرون، بل يؤدونها ويظهرون هيئتها ويديمونها بشروطها. **٩٢**
ومن أعظم ظلما ممن افترى على الله كذبا -فزعم أنه لم ينزل على بشر شيئا- أو زعم أن أوحي إليه، ولم يوح إليه شيء -كمسيلمة الكذاب وأدعياء النبوة- ومن زعم أن سيأتي بما يماثل ما أنزل الله كما قال تعالى ﴿ وإذا تُتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقُلنا مثل هذا ﴾ [الأنفال ٣١]، ولو يرى الرائي إذ الظالمين في غمرات الموت -يغمر عقلهم شدته- والملائكة باسطو أيديهم -بضرب وعذاب وإهانة كما قال تعالى ﴿ ولو ترى إذ يتوفَّى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق. ﴾ [الأنفال ٥٠]، يعنفونهم آمرين- أخرجوا أنفسكم -من أجسادكم لنقبضها كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ وإذا كان الرجل السوء قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة ﴾ [النسائي ١٨٣٣ * ابن ماجة ٤٢٦٢ * أحمد ٨٧٦٩]، وتحد: أخرجوا أنفسكم مما أنتم فيه!- اليوم تجزون عذاب الإهانة والذل بسبب ما كنتم تتقولون على الله غير الحق، وكنتم عن آياته -والإيمان بها كذلك- تستكبرون، لرأى أمرا هائلا مما آلوا إليه. **٩٣**
فائدة! من يضع قوانين مخالفة للشرع فكأنما يقول أنه "أنزل" مثل الذي أنزل الله: يساوي نفسه بالله!

وَمَنْ يَضَعِ القوانينَ الّتي لا ... تُوافِقُ شَرعَنا فهوَ الحَقيرُ

ولقد جاءوا الله -في الآخرة- منفردين -عن عشائرهم- كما خلقهم سبحانه أول مرة -على الصفة التي كانوا عليها عند الخروج من بطون أمهاتهم: حفاة عراة غرلا غير مختونين- وتركوا ما ملكهم الله -من مال وجاه- وراء ظهورهم -رغما عنهم، فلا ينتفعون بشيء كان معهم في الدنيا- وليس يرى الله معهم شفعاءهم الذين زعموا أنهم فيهم شركاء -له يستحقون العبادة لأنهم بزعمهم يشفعون لهم- لقد تقطع بينهم -ما كان من صلة- وبطل كذبهم وخذلهم ما كانوا يزعمون أنهم شركاء لله شفعاء عنده. **٩٤**

إن الله فالق الحب والنوى -فيخرج النبات والأشجار- يخرج الحي من الميت -كإخراج ذرية مؤمنة من كفار والحيوان من النطفة والطائر من البيضة والزرع من الحب- ومخرج الميت من الحي -كما يخرج ذرية كافرة من مؤمنين والنطفة من الحيوان والبيضة من الطائر والحب من الزرع- ذلك -الصانع لهكذا إبداع هو- الله، فكيف -أيها المشركون- تقلبون: عن الحق؟ **٩٥**

فالق ضوء الصباح -فيكشف به الظلام، سبحانه- وجعل الليل سكنا -تسكنون فيه عن الحركة أيها الناس لتستريحوا- والشمس والقمر حسبانا -جريانهما على تقدير قد قدره، لتحسب الأزمنة والأوقات- ذلك -الإبداع- تقدير العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العليم الذي لا يخفى عليه شيء. **٩٦**

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر -حيثما التبست عليكم المسالك أو واجهتم شدائد- قد فصل الله وبين الآيات الدالة على كمال قدرته ليعلمها أناس فينتفعوا وينفعوا. **٩٧**

وهو الذي أوجدكم من نفس واحدة -آدم ﷺ- فمستقر -نهائي لكل نفس هو دار القرار في الآخرة- ومستودع -لها في مراحل انتقالية بين أماكن عدة: أصلاب الآباء فأرحام الأمهات فالحياة الدنيا على الأرض، ثم البرزخ بين الموت والبعث كما قال تعالى ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون ﴾ [المؤمنون ١٠٠]- قد فصل الله وبين الآيات الدالة على كمال قدرته ليفقهها أناس فيؤمنوا بها فينتفعوا وينفعوا. **٩٨**

وهو الذي أنزل من السماء مطرا، فأخرج الله به كل صنف من أصناف النبات، فأخرج الله من النبات الرطب الأخضر -من البقول- يخرج الله منه حبا مركبا بعضه على بعض -كما في سنابل القمح والذرة وسائر الحبوب- ومن النخل من طلعها -أول ما يثمر منها- عذوق دانية -قريبة من الأرض سهل تناولها جدا- يخرج الله، وبساتين مديدة الظل من أعناب، والزيتون والرمان مشتبها -في بعض أوصافه، كمنظر الورق- وغير متشابه -ثمرا ولا طعما- انظروا -أيها الناس- إلى ثمره إذا أثمر ونضوجه -إذا نضج- إن في ذلك -المذكور- لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لقوم يؤمنون بالله استدلالا بما يشاهدون. **٩٩**

وجعل المشركون لله شركاء الجن -والملائكة كذلك أشركوهم به، فعبدوهم كما عبدوه- وخلقهم -الله وحده دون سواه، هم وما أشركوا به- وخرقوا له بنين -اشتقها اليهود والنصارى كما قال تعالى ﴿ وقالت اليهود عُزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ [التوبة ٣٠]- وبنات -اشتقها المشركون، من الأوثان، ومن الملائكة كما قال تعالى ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتَّخذ من الملائكة إناثا ﴾ [الإسراء ٤٠]، جهلا- بغير علم -يتقولون على الله- تنزه وتقدس وتباعد وارتفع عما يصفونه به. **١٠٠**

منشئ السماوات والأرض على وجه الإتقان على غير مثال سابق، كيف يكون له ولد، ولم تكن له زوجة؟ وخلق كل شيء -سبحانه، لا خالق سواه- وهو بكل شيء عليم، فالخالق أعلم بما خلق. **١٠١**

فائدة! انتفاء الشك في وجود خالق واحد للكون مدبر لشؤونه مستحق للعبادة وحده دون سواه موقف برهاني عقلي استدلالي، ليس تسليما عاطفيا.

أفي اللهِ البَديعِ يَشكُّ عقلٌ؟! ... ويَزعُمُ مُلحِدٌ أَنَّىٰ يَحوروا!

* إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ
يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدۡ جَآءَكُم
بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ
وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ
وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعۡ
مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٦﴾
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ
وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ
عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٠٨﴾
وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ
بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ
يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١٠﴾

ذلك -المتصف بهذه الصفات، أيها الناس، هو- الله ربكم، لا معبود بحق سواه، خالق كل شيء، فاعبدوه -وحده دون سواه ولا تشركوا به شيئا ولا أحدا- وهو على كل شيء قائم رقيب حفيظ. **١٠٢**
لا تدركه الأبصار -فلا تحيط به ولا يرى في الدنيا، أما في الآخرة فالرؤيا ثابتة كما قال تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة. ﴾ [القيامة ٢٢ ٢٣]، وكما ورد عن النبي ﷺ من حديث جرير بن عبد الله ﷺ ﴿ إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته ﴾ [البخاري ٥٥٤ * مسلم ٦٣٣ * أبو داود ٤٧٢٩ * الترمذي ٢٥٥١ * ابن ماجة ١٧٧ * أحمد ١٩١٩٠]- وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف في تدبيره الرفيق العالم بدقائق الأمور، الخبير الذي لا يفوته شيء. **١٠٣**
قد جاءكم بينة ساطعة من ربكم، فمن أبصر -فاهتدى- فالنفع له، ومن عمي -فضل- فالضرر عليه، وليس هو -ﷺ- عليكم بحفيظ: من الآثام حتى لا تقع، ولا برقيب يحصي أعمالكم. **١٠٤**
ومثل ذلك التنويع ينوع الله الآيات الدالة على وحدانيته، واعدا متوعدا، وليزعموا -فعاقبة العناد ضلال- أن درست -كتب أمم سابقة، أو دارست أهلها كما قال تعالى ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يُعلِّمه بشر ﴾ [النحل ١٠٣]، فلا قيمة لآرائهم- وليبين الله القرآن -ينوعها- ليعلمه أناس فينتفعوا وينفعوا. **١٠٥**
اتبع ما أوحي إليك أيها النبي الكريم من ربك -فاعمل به كما أنزل، ولا تحد عن شيء منه متبعا آراء مجردة أو أهواء وشهوات- لا معبود بحق سواه، وأعرض عن المشركين لا تبال بهم حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]. **١٠٦**
ولو شاء الله -ألا يشركوا- ما أشركوا، وما جعلك الله عليهم حفيظا -من الآثام حتى لا تقع، ولا رقيبا يحصي أعمالهم- وما أنت بموكل بمراقبة تصرفاتهم: حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف. **١٠٧**
ولا تسبوا -أيها المؤمنون- الذين يدعون ويعبدون من دون الله، فيسبوا -ردا عليكم- الله اعتداء وتسرعا -جهلا- بغير علم، مثل ذلك التزيين زين الله لكل أمة عملهم -من خير وشر، وإن كان سبا لله! فعموا عن الحق- ثم إلى ربهم رجوعهم في الآخرة فيخبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا، ويجازيهم به. **١٠٨**
فائدة! يجب سد الطرق المؤدية إلى الفساد، فإذا خشي المؤمن أن يؤدي الأمر بمعروف أو النهي عن منكر إلى مفسدة أعظم فالواجب حينئذ درء المفسدة بترك الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، أما إذا تساوت المصلحة والمفسدة فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

نُقَدِّمُ دَرءَ مَفسَدَةٍ وسَدُّ الـ ... ذَرائِعِ واجِبٌ، فِقهٌ يَسيرُ

وأقسموا بالله أغلظ الأيمان لئن جاءتهم آية دالة على صدقك -مما اقترحوا- ليؤمنن بها، أخبرهم أيها النبي الكريم أنما الآيات عند الله -وحده، ينزل منها ما يشاء حين يشاء- وما يشعركم -أيها المؤمنون، أو يدريكم- أنها إذا جاءت -كما اقترحوا، فإنهم تعنتا واستكبارا عن الانقياد للحق- لا يؤمنون؟ **١٠٩**
ويقلب الله قلوبهم وأبصارهم -إذا جاءت الآية، فيحول بينهم وبين الإيمان بسبب تعنتهم واستكبارهم- كما لم يؤمنوا به -ﷺ، وبالقرآن- أول مرة، ويتركهم سبحانه في طغيانهم -وتجاوزهم- يتخبطون. **١١٠**

* وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا
يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي
حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ
بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾
وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُواْ
مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

ولو أن الله نزل سبحانه إلى المشركين الملائكة -كما اقترحوا سابقا كما قال تعالى ﴿ وقالوا لولا أُنزل عليه مَلَك ﴾ [الأنعام ٨]- وكلمهم الموتى -ممن يعرفون، بعد أن يحييهم الله- وجمع الله عليهم كل شيء -اقترحوه من الآيات، عيانا- جماعات -فضمنوا صدق النبي ﷺ- ما كانوا ليؤمنوا، إلا أن يشاء الله -لهم الهداية- ولكن أكثرهم يجهلون أنه لا يقع شيء في كون الله إلا بمشيئته. ١١١

فائدة! الاتكال على النفس والعقل، ونظر الأدلة المادية دون رجاء معونة الله وتوفيقه لا يؤدي إلى خير.

مَعونةَ ربِّنا نَرجو، ونَدعو ... ونَنظُرُ في الأدِلَّةِ إذْ نَسيرُ

ومثلما ابتلاك أيها النبي الكريم بهؤلاء جعل سبحانه لكل نبي عدوا: مردة الإنس والجن -تمردوا عليه سبحانه- يوسوس مردة الجن إلى أتباعهم مردة الإنس -كما قال تعالى ﴿ وإنَّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾ [الأنعام ١٢١]- كلاما مزخرفا باطلا -ليخدعوا عباد الله به- ولو شاء ربك -ألا يفعلوه- ما فعلوه -وما تمكنوا، لكنه أراد اختبار عباده- فاتركهم وافتراءاتهم لا تبال بهم حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]. ١١٢

ولتميل إلى باطلهم المزخرف قلوب -بعض عباد الله- الذين لا يؤمنون بالآخرة -بالبعث إيمانا لا افتراء فيه على الله- وليرضوه -ويقبلوا عليه وقد تشربته قلوبهم- وليقترفوا ما هم مقترفون من آثام. ١١٣

أفغير الله تلتمس أيها النبي الكريم حكما -سلهم مستنكرا- وهو الذي أنزل إليهم -وإلى عباده جميعا- القرآن مبينا للحق مستوفيا لتفاصيل أوامره ونواهيه؟! والذين أعطاهم الله الكتب -من يهود ونصارى- يعلمون -أنك نبي كما قال تعالى ﴿ الذين يَتَّبعون الرسول النبي الأمِّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الأعراف ١٥٧]، وكذلك- أنه منزل من ربك بالحق -لا شك فيه، مشتملا على الحق محفوظا في إنزاله من الشياطين- فلا ينتابنك -ولا ينتابن أحدا من أمتك- أدنى شك فيه، ولا في أن المشركين وأهل الكتاب كفار معاندون، يعلمون أنك على حق ساطع كضوء الشمس. ١١٤

فائدة! لم يقبل النبي ﷺ أن يتخذ حكما غير شرع الله، رغم حال الاستضعاف في مكة أول الدعوة.

بشَرعِ اللهِ نَحكُمُ حالَ ضَعفٍ ... كما فَعَلَ النَّذيرُ، فلا تَجوروا

وأتم ربك وعده ووعيده، صدقا وعدلا -فقرآنه صادق الأخبار عادل الأحكام- لا مبدل لكلماته -بل لا محالة هي واقعة- وهو السميع لكافة ما يقول عباده، العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ١١٥

وإن تطع -وكل فرد من أمتك- أكثر من في الأرض -من الخلق- يضلوك عن طريق الله، إن يتبعون إلا الظنون -بغير تحر- وإن هم إلا يكذبون ويتوهمون. ١١٦

فائدة! يستدل على الحق بالطرق الموصلة إليه لا بالأغلبية العددية، فأهل الحق غالبا هم الأقل عددا.

وأكثرُ خَلْقِ ربِّ الخَلْقِ ضالٌّ ... عَنِ الحقِّ استَعاضوا، هُم غَرورُ

إن ربك هو أعلم من يضل عن طريقه، وهو أعلم بالقابلين للهداية. ١١٧

فكلوا -أيها الناس- مما ذكر اسم الله عليه، إن كنتم غير كاذبين في ادعاء الإيمان بأحكامه. ١١٨

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا
لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ
يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ
إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾
أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ
فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ
ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ
عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

وأي شيء يمنعكم -أيها المؤمنون- من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه -عند الذبح أو عند إرسال ذوات الأنياب والمخالب المدربات للصيد- وقد فصل -سبحانه- لكم وبين ما حرم عليكم -كما قال تعالى ﴿ قل لا أجد في ما أوحيَ إليَّ محرما على طاعم يَطعَمه إلا أن يكون مَيتة أو دما مسفوحا أو لحم خِنزير فإنه رجس أو فسقا أُهِلَّ لغير الله به ﴾ [الأنعام ١٤٥]- إلا ما اضطررتم إليه: أو أكرهتم على أكله؟ وإن كثيرا -من الخلق، أيها المؤمن- ليضلون -أنفسهم وغيرهم- بأهوائهم -وآراء ناتجة عن هوى مجرد، جهلا- بغير علم -بمآل أفعالهم- إن ربك هو أعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدوده. **١١٩**

فائدة! الأصل في الأشياء الإباحة، والحرام قد فصله الله مبينا، فما سكت عنه فهو باق على الإباحة.

سُكوتُ الشَّرعِ يُبقي في المُباحِ ... فكُلُّ مُحَرَّمٍ ذَكَرَ البصيرُ

فائدة! ليحذر أهل العلم والدعاة والعاملون للإسلام: الكلام في الدين بغير علم ولا تثبت -كسرد أخبار ونسبتها إلى نبي دون تحقق من درجتها- كذب فاعله في عداد المعتدين المضلين لأنفسهم ولغيرهم.

ومَنْ يَتَقَوَّلوا كَذِبًا وزُورًا ... على الدِّينِ الحَنيفِ لهمْ سعيرُ

واتركوا ظاهر الإثم -مما تعلق بالجوارح كالعري والتبرج وغيرهما- وباطنه -المتعلق بالقلب كالرياء والكبر وغيرهما- في العلن والسر، إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بسبب ما كانوا يقترفون. **١٢٠**

ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه -فإن التبس عليكم الأمر فكما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ أن قوما قالوا: يا رسول الله إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ: سموا الله عليه وكلوه. ﴾ [البخاري ٢٠٥٧ * أبو داود ٢٨٢٩ * النسائي ٤٤٣٦ * ابن ماجة ٣١٧٤]- وإنه -أكل الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه وترك ذكر اسمه عمدا والذبح لغيره- لفسق وخروج عن طاعته، وإن الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم -شياطين الإنس- ليجادلوكم، وإن أطعتموهم -في تحليل ما حرم الله، ولو لم تستحلوه أنتم- إنكم لمشركون: لستم بمسلمين. **١٢١**

أومن كان ميتا -كافرا- فأحياه الله -بالإيمان- وجعل الله له نورا -دينه الحق مع عمل صالح- يمشي به في الناس -ينشر الحق- كمن مثله -من الناس، لكن- في ظلمات الكفر ليس بخارج منها؟ مثلما زين لهم الجدال بالباطل زين الشيطان والهوى للكافرين ما كانوا يعملون من قبائح فاستحسنوها. **١٢٢**

ومثلما ابتلاك أيها النبي الكريم بهؤلاء جعل الله في كل قرية أكابر مجرميها -رؤساء القوم المستكبرين- ليمكروا فيها -ويتآمروا صادين عن دين الله، وصارفين أهلها بل وزائريها عن الاستقامة- وما يمكرون إلا بأنفسهم -ولا يتآمرون إلا عليها، فوبال أفعالهم عائد عليهم- وما يشعرون بذلك لفرط حماقتهم. **١٢٣**

وإذا جاءتهم آية دالة على صدق النبي ﷺ أكدوا -متعنتين- أن لن يؤمنوا حتى يعطوا مثل ما أعطي رسل الله -من رسالة وكتب سماوية كما قال تعالى ﴿ وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. ﴾ [الزخرف ٣١]- الله أعلم بمن يستحق أن يحمل رسالته، سيصيب الذين أجرموا واستحقوا العقاب ذل وإجبار -ثابت لهم- عند الله، وعذاب شديد بسبب مكرهم وتآمرهم. **١٢٤**

فمن يرد الله أن يوفقه ويرشده يشرح صدره للإسلام -فيهيئه لقبول تام- ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا غاية الضيق، كأنما يتنفس صاعدا في السماء -ثقيل عليه الإيمان- مثلما جعل الهدى والضلال بإرادته يجعل الله القاذورات -من خذلان وسخط وعذاب- على الذين لا يؤمنون. **١٢٥**

وهذا طريق ربك أيها النبي الكريم مستقيما واضحا غير معوج موصلا إليه وجنته -فلا يحيدن عنه أحد- قد فصل الله وبين الآيات الدالة على كمال قدرته ليذكرها أناس: فيتعظوا فيؤمنوا، فينتفعوا وينفعوا. **١٢٦**

لهم دار السلام عند ربهم -جنته، يسلم من فيها من كل مكروه- وهو وليهم -يوفقهم في الدنيا، وفي الآخرة يثيبهم- بسبب ما كانوا -في الدنيا، مما وفقهم لعمله من أعمال صالحة- يعملون. **١٢٧**

واذكر أيها النبي الكريم يوم -القيامة، حين- يجمع -سبحانه- خلقه جميعا، من ثم وبخ جماعة الجن أن قد استكثروا من -إضلال- الإنس، ورد أولياؤهم -أتباعهم- من الإنس معترفين لربهم بأن استمتع بعضهم ببعض -الإنس استمتع بالجن حين قبلوا منهم تحسين المنكرات واتباع الشهوات وتلذذوا بها، والجن استمتع بالإنس بالتلذذ بطاعتهم لهم حين أقدموا على المنكرات- وبلغوا -ببلوغهم يوم القيامة- أجلهم الذي وعدهم واستوفوا مدتهم التي كتب لهم، أخبرهم أن النار منزلهم -يعذبون- خالدين فيها، إلا ما شاء الله -من انتقال إلى نوع آخر من العذاب، كشرب الحميم كما قال تعالى ﴿ ثم إنَّ لهم عليها لشَوبا من حميم. ثم إنَّ مرجعهم لإلى الجحيم. ﴾ [الصافات ٦٧ ٦٨]- إن ربك حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه، عليم بحال عباده وبمن يستحق الخلود في النار منهم. **١٢٨**

ومثلما يسلط مردة الجن على أتباعهم من الإنس ليضلوهم يجعل سبحانه بعض الظالمين يتولى بعضا، بسبب ما كانوا يكسبون من ذنوب: طورا يحثونهم على الشر وينفرونهم من الخير ويصدوهم عنه فتزداد آثامهم، وتارة يتسلطون عليهم لإذلالهم أو إهلاكهم أو الانتقام منهم في الدنيا. **١٢٩**

فائدة! يولي الله كل ظالم ظالما، فالرعية متى كانت ظالمة لا تهتم إلا لشؤون دنياها ولا تغير منكرا -خاصة إذا اقترن عدم تغييره بمبرر باطل على غرار "دع الخلق للخالق" وما شابه من الهراء- يسلط عليها حاكما ظالما، فمن أراد الرجوع إلى ربه فليبدأ بتغيير المنكر والعمل على تغيير الحكام الظلمة.

لِنترِكْ ظُلْمَ أنفُسِنا فإلَّا ... نُغَيِّرْ مُنكَرًا يَظلِمْ أميرُ

يا جماعة الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم -من الإنس، ونذر من الجن يبلغون أقوامهم ما جاء به رسل ربهم كما قال تعالى ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضِيَ ولَّوا إلى قومهم مُنذِرين. ﴾ [الأحقاف ٢٩]- يقصون عليكم آيات الله -المنزلة، فتتبعوها، وتحكموا بها وتقضوا- وينذرونكم لقاء يوم قيامتكم هذا: يسألهم ربهم؟ أجابوا بأن شهدوا على أنفسهم -أن رسالة الله قد بلغتهم- وغرتهم الحياة الدنيا -بزينتها فانخدعوا بها وبإمهال الله إياهم- وشهدوا على أنفسهم -مقرين- بأنهم كانوا -في الدنيا، برسل الله وآياته- كافرين: بعد أن كانوا قد أقسموا بالله كذبا كما قال تعالى ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنَّا مشركين. ﴾ [الأنعام ٢٣]. **١٣٠**

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن
يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ
رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ
أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ
أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ
إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى
بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾

ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا
يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾
إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾
وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا
فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ
لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ
يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ
شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

ذلك -الإرسال للرسل والنذر سببه- أن لم يكن ربك أيها النبي الكريم مهلك القرى بظلم -منه حاشاه سبحانه، ولا بسبب ظلم أحد من أهلها دون إنذار- وأهلها غافلون: بل يبعث رسله فيقيم بهم الحجة على عباده قبل العذاب كما قال تعالى ﴿ وما كنَّا مُعَذِّبين حتى نبعث رسولا ﴾ [الإسراء ١٥]. ١٣١

ولكل -من الجن والإنس- مراتب -متفاوتة، فمنها الرفيع ومنها الوضيع- بحسب أعمالهم، وما ربك بغافل عما يعملون من خير وشر، وسيجازيهم به. ١٣٢

وربك الغني عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه ذو الرحمة -الواسعة الشاملة العظيمة بعباده- إن يشأ يذهبكم -أيها المشركون، فتهلكوا- ويستخلف من بعدكم ما يشاء -عمارا وسكانا لأرضه يفعل- كما أوجدكم من ذرية قوم آخرين: قيل أوجد سبحانه قريشا من نسل أهل سفينة نوح ﷺ. ١٣٣

إن ما توعدون -به من بعث وحساب، أيها المشركون، لا محالة- لآت، وما أنتم بفارين من الله. ١٣٤

أخبر قومك -مهددا إياهم ومتوعدا، ليس على سبيل التخيير- أن يعملوا على ما هم عليه -ثابتين على كفرهم- إنك عامل -على دينك ثابت- فسوف يعلمون من تكون له الغلبة والاستمرارية في الدنيا ثم الجنة في الآخرة، إنه لا نجاة ولا فوز للظالمين. ١٣٥

وجعل المشركون لله مما خلق وكثر من الزرع والأنعام -من إبل وبقر وغنم- نصيبا -يصرف فيما شرع الله الصرف فيه كالصدقة ونحوها- فعدوا هذا لله بزعمهم، وهذا -نصيبا آخر عدوه- لشركائهم -لخدمة وسدانة ما أشركوه بالله- فما خصص لشركائهم فلا يصل إلى الله -فلا يصرف إلا لغرضه- وما خصص لله فهو يصل إلى شركائهم -فيمكن أن يصرف لهم- سيئ ما يحكمون. ١٣٦

فائدة! بعض البدع أعظم من الكبائر لأن من شأنها إحداث شيء من التغيير في دين الناس، وصاحب البدعة -وإن تاب قبل مماته- يخلف بعده العديد من المخالفات، أعظمها على الإطلاق ما يتعلق بالعقيدة كالإرجاء وغيره، لذلك ينبغي على كل مسلم -خاصة إن كان ممن يقتدي الناس بهم- أن يحترس في شؤون الدين، لئلا يحدث فيه ما ليس منه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد. ﴾ [البخاري ٢٦٩٧ ★ مسلم ١٧١٨ ★ أبو داود ٤٦٠٦ ★ ابن ماجة ١٤ ★ أحمد ٢٦٠٣٣].

وصاحِبُ بِدعَةٍ ظَلَمَ الخَليقَ ... وتابَ، فلَمْ تَمُتْ بَعدُ الشُّرورُ

ومثلما زينوا ذلك الحكم السيئ في قسمة الأموال بين الله وبين ما أشركوه به من أوثان زين لكثير من المشركين شركاؤهم -من مردة الجن والإنس- قتل أولادهم -ولا سيما الإناث، خشية السبي أو العار أو الافتقار- فاستحسنوه، ليسقطوهم ويهلكوهم -بالوقوع في قتل النفس بغير الحق- وليخلطوا عليهم دينهم -فلا يعرفوا حلالا من حرام، بل وتذهب عقولهم وفطرتهم فيستحسنوا الحرام!- ولو شاء الله -ألا يفعلوه- ما فعلوه -وما تمكنوا، لكنه أراد اختبار عباده- فاتركهم وافتراءاتهم لا تبال بهم حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]. ١٣٧

وعد المشركون بعض الأنعام والزرع محجورة لا يتناول منها إلا من يشاءون -من خدام وسدنة أوثانهم التي أشركوها بالله- بزعمهم، وأنعام -أخرى- حرمت ظهورها -فلا تركب ولا يحمل عليها، بزعمهم- وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها -عند الذبح، بل قد يذكرون أسماء ما أشركوه به، وبعضها لا يحجون عليها- افتراء عليه -فما أمرهم الله بشيء من هذا القبيل- سيجزيهم بسبب افتراءاتهم تلك. **١٣٨**

وزعموا أن ما في بطون بعض الأنعام -من أجنة- حلال لذكورهم -يأكلون منه- ومحرم على نسائهم، وإن يخرج ميتا فهم -ذكورا وإناثا- فيه سواء، سيجزيهم -سبحانه، بسبب- وصفهم -الكاذب وزعمهم هذا- إنه حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه، عليم بحال عباده وبمن يستحق العقاب منهم. **١٣٩**

قد خسر الذين قتلوا أولادهم -ولا سيما الإناث- سفها وخفة عقل -جهلا- بغير علم -بمآل أفعالهم- وحرموا -على بعضهم- ما رزقهم الله، افتراء على الله -فما أمرهم الله بشيء من هذا القبيل- قد ضلوا عن الحق وما كانوا -إلى طريق الفوز- مهتدين. **١٤٠**

وهو الذي أوجد بساتين مديدة الظل مبسوطات -على وجه الأرض كالبطيخ- وغير مبسوطات -قائمة على ساق كالشجر- والنخل والزرع مختلفا ثمره طعما، والزيتون والرمان متشابها -في بعض أوصافه- وغير متشابه -ثمرا ولا طعما- كلوا -إن أردتم- من ثمره إذا أثمر -وإن لم يبلغ حد الحصاد- وأعطوا حقه -تطوعا لأهل الحاجة، إن أردتم أيها الناس- يوم حصاده -أما مقدار زكاة الذي يكال ويدخر من الحبوب والثمار فهو كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر، وما سقي بالنضح نصف العشر. ﴾ [البخاري **١٤٨٣** ★ أبو داود **١٥٩٦** ★ الترمذي **٦٤٠** ★ النسائي **٢٤٨٨** ★ ابن ماجة **١٨١٧**]، ونصابه كما ورد عنه ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ ليس فيما دون خمسة أوساق من تمر ولا حب صدقة ﴾ [البخاري **١٤٠٥** ★ مسلم **٩٧٩** ★ أبو داود **١٥٥٨** ★ الترمذي **٦٢٦** ★ النسائي **٢٤٨٣** ★ ابن ماجة **١٧٩٣** ★ أحمد **١١٩٣١**]، والوسق ستون صاعا والصاع أربعة أمداد، والمد حفنة بكفي الرجل المعتدل- ولا تسرفوا -فلا تتجاوزوا حد الاعتدال في الأكل ولا في التطوع بإخراج زيادة عما تعارفتم عليه، فتضروا عيالكم أو غرماءكم، فإمساك بعض المال أفضل كما ورد عن النبي ﷺ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ﴿ أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ﴾ [البخاري **٢٧٥٧** ★ مسلم **٢٧٦٩** ★ أبو داود **٣٣١٧** ★ الترمذي **٣١٠٢** ★ النسائي **٣٨٢٣** ★ أحمد **١٥٧٧٠**]، إلا من هو منكم في مثل إيمان ويقين أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بجميع ماله- إن الله لا يحب -بل يبغض- المسرفين متجاوزي الحدود. **١٤١**

ومن الأنعام -أوجد الله- حمولة -يصلح لأن يحمل على ظهورها وتركب، ككبار الإبل والبقر- وفرشا -لا تصلح لذلك، لكن تتخذ منها الأصواف والأوبار والأشعار، كالغنم وصغار الإبل والبقر- كلوا -أيها الناس- مما رزقكم الله -مباح ما أحل لكم من الأنعام- ولا تتبعوا طرق ومسالك الشيطان -التي يزينها لكم ويستدرجكم بها- إنه لكم عدو ظاهر العداوة لا يريد إلا الوصول بكم إلى عذاب الله. **١٤٢**

وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ
بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ
ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ
لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً
فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ
عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ
عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟
وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ
مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا
أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ
كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ
وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ
حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ
قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ
أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣
وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ
أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ
عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤ قُل لَّآ أَجِدُ
فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ
فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ
فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا
كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ
شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ
بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦

ثمانية أزواج -فكلوا مما أوجد الله إن أردتم- من الضأن -ذوات الصوف من الغنم- اثنين -ذكر وأنثى- ومن الماعز -ذوات الشعر من الغنم- اثنين -كذلك- سلهم أيها النبي الكريم -مستنكرا- أذكورها حرم -سبحانه، فكل ذكر حرام إذًا- أم إناثها -فكل أنثى حرام إذًا- أما اشتملت عليه أرحام الإناث: فكل مولود ذكر أو أنثى إذًا حرام؟ سلهم أن يخبروك -والمشركون ما قالوا بأي من تلك الأقوال- بعلم -ليس عن جهل أو اتباع هوى- إن كانوا صادقين في زعمهم أن الله هو من حرم ما حرموا. **١٤٣**

ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين -بقية الثمانية- سلهم -مستنكرا- أذكورها حرم -سبحانه، فكل ذكر حرام إذًا- أم إناثها -فكل أنثى حرام إذًا- أما اشتملت عليه أرحام الإناث: فكل مولود ذكر أو أنثى إذًا حرام؟ سلهم -موبخا- أم كانوا شهداء إذ وصاهم الله بهذا: حاضرين للتحريم؟! فمن أعظم ظلما ممن افترى على الله كذبا -فحرم ما أحل سبحانه أو أحل ما حرم- من أجل أن يضل الناس -عن الحق، أو ليصيروا وإن لم يقصد ضالين، جهلا- بغير علم -بما قد لحقه من إثم لإضلالهم، وإن ظن أنه يحقق مصلحة- إن الله لا يوفق ولا يرشد القوم الظالمين لأنفسهم بالإصرار على تبديل شرع الله. **١٤٤**

فائدة! تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم -سواء كان بسن قوانين أو باتباع أعراف وتقاليد تخالف ما أنزل، ومن جملة ذلك عدم إعطاء الإناث نصيبهن الشرعي في الميراث في بعض المناطق- من افتراء الكذب على الله، وهو من أعظم الظلم، وهو ضلال وإضلال، قصد فاعله إضلال غيره أو لم يقصد.

وبَدَّلَ شَرعَ ربِّي ظالمٌ قَدْ ... أضَلَّ الناسَ، هلْ يَهدي الخبيرُ؟

أخبرهم أن لا تجد فيما أوحي إليك محرما على متناول يتناوله -حتى الآن، أما لاحقا فكما قال تعالى ﴿ حُرِّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِل لغير الله به والمُنخنقة والمَوقوذة والمُتردية والنَّطيحة وما أكل السبع إلا ما ذَكَّيتم وما ذُبح على النُصُب ﴾ [المائدة ٣]- إلا أن يكون فارقته الروح من غير تذكية -بإزهاق الروح عمدا بالذبح، فلا تتناولوه، باستثناء ميتة الجراد وكائنات الماء- أو دما -مسفوحا سائلا، أما ما يبقى في اللحم والأعضاء والعروق بعد الذبح فمعفو عنه- أو لحم خنزير فإنه قاذورات -اللحم والحيوان- أو فسقا وخروجا عن طاعته لغير الله ذبح -كالذي يذبح للأصنام والأوثان كالقبور ونحو ذلك، وما يذكر غير اسم الله عليه عند ذبحه، عصيانا لما أمر به سبحانه فلا تتناولوه- فمن دعته الضرورة -أو الإكراه إلى أكل محرم، وهو- غير طالب لذلك المحرم مع قدرته على المباح، ولا متجاوز للقدر الضروري الذي يقيه الضرر فإن ربك واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة به. **١٤٥**

وعلى اليهود حرم سبحانه كل ذي ظفر -ما لم تتفرق أصابعه، كالإبل والنعام والإوز وغيرهم- ومن البقر والغنم حرم الله عليهم شحومهما، إلا ما علق بظهورهما أو احتوت الأمعاء أو ما التصق بعظم، ذلك -التحريم- جزاهم الله بسبب بغيهم -فقد اعتدوا على دماء الناس وأعراضهم وأموالهم، وتكبروا عليهم، وظلموا وصدوا أنفسهم وغيرهم عن طريق الله كما قال تعالى ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرَّمنا عليهم طيبات أُحلت لهم وبصدِّهم عن سبيل الله كثيرا. ﴾ [النساء ١٦٠]- وإن الله لصادق سبحانه. **١٤٦**

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟
لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ
فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ
ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ
تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟
بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم
مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ
إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

فإن كذبك اليهود والمشركون أيها النبي الكريم فأخبرهم أن ربهم ذو رحمة واسعة -لم يعاجلهم بعقاب سبحانه، لكنه لا يغفر لمكذب بنبيه- ولا يرد عقابه عن القوم المجرمين مستحقي العقاب. ١٤٧
سيزعم الذين أشركوا -محتجين بمشيئة الله- أن لو شاء الله ما أشركوا -هم- ولا أسلافهم، ولا حرموا -مما لم يحرم الله- من شيء، مثلما كذبوا كذب الذين من قبلهم -كعاد وثمود وغيرهما- حتى ذاقوا عقاب الله، سلهم أيها النبي الكريم هل عندهم أي علم -أن الله رضي ما يفعلون- فيخرجوه للمؤمنين؟ إن يتبعون إلا الظنون -بغير تحر، أخبرهم بذلك- وإن هم إلا يكذبون ويتوهمون. ١٤٨

فائدة! لكل نفس مكلفة مشيئة وإرادة واختيار كما قال تعالى ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ [الكهف ٢٩]، والله يهدي من هو أهل للهداية، ويضل من هو أهل للضلال كما قال تعالى ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ [الصف ٥]، فالاحتجاج بالقدر على الإصرار على اقتراف الآثام باطل وسفه.

أَصَرَّ على معاصٍ لا يُبالي ... وَلامَ الأبلَهُ القَدَرَا! استَنيروا!

أضف موضحا: فلله الحجة البالغة -القاطعة التي تبطل شبهات عباده، بما أودع في فطرهم وبما أرسل من رسل وأنزل من كتب، وبما يريهم من آيات كونية وعقلية كما قال تعالى ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق ﴾ [فُصِّلَت ٥٣]- فلو شاء لوفقهم وأرشدهم أجمعين. ١٤٩
سلهم أن يحضروا شهداءهم الذين يشهدون أن الله حرم هذا -الذي حرموا- فإن شهدوا -تعصبا- فلا تسلم لهم ولا تصدقهم -فشهادتهم باطلة- ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياته سبحانه -فحرموا ما أحل أو أحلوا ما حرم، كما يفعل الطواغيت الحاكمون بغير شرعه- والذين لا يؤمنون بالآخرة -بالبعث إيمانا لا افتراء فيه على الله- وهم -رغم قدرته الشاملة- بربهم يسوون غيره ويميلون عن الحق. ١٥٠
أخبرهم أن يأتوا تقرأ ما حرم ربهم عليهم -فعليهم- ألا يشركوا به شيئا -من الأشياء، من غير فرق بين حي وميت وجماد وحيوان، ويخلصوا له نياتهم وأعمالهم- وبالوالدين إحسانا -بالأقوال والأفعال، إكراما وعطفا- ولا يقتلوا أولادهم بسبب فقر -واقع- الله يرزق سبحانه الآباء والأولاد، ولا يقربوا مستفحش الذنوب -كالزنا كما قال تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ﴾ [الإسراء ٣٢] وغيره- ما ظهر منها -مما تعلق بالجوارح كالعري والتبرج وغيرهما- وما بطن -المتعلق بالقلب كالرياء والكبر وغيرهما- في العلن والسر، ولا يقتلوا النفس التي حرم الله -قتلها- إلا بالحق -بل هو كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ لا يحل دم رجل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة. ﴾ [البخاري ٦٨٧٨ * مسلم ١٦٧٦ * أبو داود ٤٣٥٢ * الترمذي ١٤٠٢ * النسائي ٤٧٢١ * ابن ماجة ٢٥٣٤ * أحمد ٣٦٢١]- ذلك -المذكور- وصاكم -الله، أيها الناس- به، رجاء أن تعقلوا وتعملوا به فتفوزوا. ١٥١

فائدة! نهى الله عن الاقتراب من الفواحش: مقدماتها والوسائل الموصلة إليها، وليس فعلها فقط.

مَنِ اقتَرَبَ الفَواحِشَ قَدْ أساءَ ... ألا يَخشى مواقَعَةً تُبيرُ؟

وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ
وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا
وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ
ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ
أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ
رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ
وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ
طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾
أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ
مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ
فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ
يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

ولا تتعرضوا لمال اليتيم بوجه من الوجوه، إلا بالذي يصلحه ويحفظه وينميه، حتى يكتمل عقله وقوته -فيصل سن البلوغ وتعلموا منه الرشد كما قال تعالى ﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ [النساء ٦]- واستقيموا في الأخذ والإعطاء عند البيع والشراء: بالعدل، لا يكلف سبحانه نفسا إلا قدر طاقتها -فما لا يمكنكم الاحتراز منه من زيادة أو نقصان في كيل أو وزن ونحو ذلك لا مؤاخذة فيه- وإذا تكلمتم -أو شهدتم- فتحروا العدل -لا تحابوا أحدا- ولو كان قريبا، وبما عاهدتم الله عليه التزموا الوفاء -فاعملوا بما شرع لكم، ومن جملته الوفاء بعهودكم مع الناس- ذلك -المذكور- وصاكم -الله، أيها الناس- به، رجاء أن تذكروا: عاقبة أمركم، فتتعظوا. **١٥٢**

وأن هذا طريقه مستقيما واضحا غير معوج موصلا إليه وجنته -وصاكم به، سبحانه- فاتبعوه، ولا تتبعوا الطرق -الأخرى، فهي عديدة- فتفرق بكم عن طريقه -وتميل عنه، فطريق النجاة والفوز واحد كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ خط رسول الله ﷺ خطا بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما، قال: ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: هذه السبل، ليس منها سبيل، إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ: ﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيما فاتَّبِعوه ولا تتَّبِعوا السُّبُل ﴾ ﴾ [أحمد ٤٤٣٧]- ذلك -المذكور- وصاكم -الله، أيها الناس- به، رجاء أن تتقوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. **١٥٣**

ثم -بعد أن يأتوا تقرأ ما حرم ربهم عليهم أخبرهم أن- أعطى الله موسى التوراة، تماما -لنعمته، وكمالا لإحسانه- على الذي أحسن -عليه السلام، لإحسانه في طاعته سبحانه- وتفصيلا لكل شيء -يحتاج أهلها إلى تفصيله- وهداية من الضلال ورحمة لهم، رجاء أن يؤمنوا بلقاء ربهم: فيستعدوا. **١٥٤**

وهذا -القرآن- كتاب أنزله الله كثير النفع والخير، فاتبعوه -أيها الخلق- واتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، رجاء أن تدركوا رحمة ربكم فتفوزوا. **١٥٥**

كراهة أن تزعموا -أيها المشركون- أنما أنزل الكتب -السماوية- على طائفتين -اليهود والنصارى- من قبلكم -فلا حجة لكم الآن- وأن كنتم عن دراسة كتبهم -وما احتوته من عقائد وأحكام وأخبار وغير ذلك، خاصة أنها ليست بلسانكم- غافلين: لا تدرون ما أنزل الله فيها. **١٥٦**

أو تزعموا أن لو أنكم أنزل عليكم الكتب لكنتم أهدى -إلى الحق- منهم، فقد جاءكم بينة من ربكم -فالقرآن مهيمن على كتبهم كما قال تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مُصدقا لِما بين يديه من الكتاب ومُهيمنا عليه ﴾ [المائدة ٤٨] وبلسانكم كما قال تعالى ﴿ وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل ١٠٣]، فلا حجة لكم الآن- وهداية من الضلال ورحمة لأهله، فمن أعظم ظلما ممن كذب بآيات الله وانصرف عنها متوليا، سيجزي الله الذين ينصرفون عن آياته سبحانه متولين أسوأ العذاب بسبب انصرافهم عنها وتوليهم وجعل غيرهم ينصرفون عن الإقبال عليها وحثهم على التولي إلى الكفر. **١٥٧**

فائدة! علوم القرآن -كتفسيره وإعرابه وناسخه ومنسوخه ونحو ذلك- هي أجل العلوم وأكثرها نفعا.

علومُ كتابِنا خَيرُ العلومِ ... كتفسيرٍ بِهِ يُهدى الجَديرُ

هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ
ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا
لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ
فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾
مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾
قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ
نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم
مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ
خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي
مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿١٦٥﴾

هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة -لقبض أرواحهم فلا ينفع من لم يؤمن قبل الغرغرة شيء- أو يأتي ربك -يوم القيامة، إتيانا يليق به سبحانه للقضاء بينهم كما قال تعالى ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلَل من الغمام والملائكة وقُضِيَ الأمر ﴾ [البقرة ٢١٠]- أو يأتي بعض آيات ربك كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين ﴿ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾ ﴾ [البخاري ٤٦٣٥ * مسلم ١٥٧ * أبو داود ٤٣١٢ * ابن ماجة ٤٠٦٨ * أحمد ٧١٦١]؟! يوم يأتي بعض آيات ربك أيها النبي الكريم لا ينفع نفسا إيمانها -إن- لم تكن آمنت من قبل -إتيانها- أو -آمنت ولم تعمل، فما- كسبت في إيمانها خيرا، أخبرهم أن ينتظروا -حدثا جللا- إنك ومن معك -لعذابهم- منتظرون. ١٥٨

إن الذين فارقوا دينهم بالكلية، أو تفرقوا فيه فأخذوا ببعضه وتركوا بعضه وكانوا فرقا -كاليهود والنصارى وأهل الأوثان والبدع والأهواء- لست منهم في شيء -فأنت بريء من البدع والضلال- إنما أمرهم إلى الله -موكول- ثم يخبرهم -سبحانه، يوم القيامة- بما كانوا -في الدنيا- يفعلون، ويجازيهم به. ١٥٩

من جاء -من المؤمنين، يوم القيامة- بالعمل الحسن فله -من الثواب، على الأقل- عشرة أمثال الذي جاء به، ومن جاء بالعمل السيئ فلا يجزى إلا مثل الذي جاء به، وهم -عند الله- لا يظلمون. ١٦٠

أكد أيها النبي الكريم لعباد الله أنك وفقك ربك وأرشدك إلى طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إليه وجنته: دينا هو عين الاستقامة قائما بمصالح الدنيا والآخرة، ملة إبراهيم حنيفا مائلا عن جميع الأديان الباطلة إلى الإسلام، وما كان من المشركين ولا شأن له بهم وإن زعموا أنهم على ملته. ١٦١

أخبرهم أن صلاتك وعبادتك وحجك وذبيحتك وعمل حياتك وعمل مماتك -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له. ﴾ [مسلم ١٦٣١ * أبو داود ٢٨٨٠ * الترمذي ١٣٧٦ * النسائي ٣٦٥١ * ابن ماجة ٢٤٢ * أحمد ٨٨٤٤]- لله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء: خالصا، لا شريك له سبحانه في شيء من ذلك. ١٦٢

لا شريك له، وبذلك -الإخلاص- أمرت، وأنت أول المسلمين -لله- المنقادين: من هذه الأمة. ١٦٣

سلهم -مستنكرا- أغير الله تلتمس ربا، وهو رب كل شيء: أتعبد مخلوقا؟ وعلى كل نفس ما اكتسبت -من شر، ولها ما كسبت من خير- ولا تجازى نفس بذنب غيرها، ثم إلى ربكم رجوعكم في الآخرة، فيظهر للمختلفين ما أخبرهم به: في الدنيا، ألا نجاة إلا لمؤمن به متبع لأنبيائه. ١٦٤

وهو الذي جعلكم -يا أمة محمد ﷺ- تخلفون من سبقكم من أمم الأرض، ورفع بعضكم -في القوة والحرية والخلق والعلم والفضل والرزق، وغير ذلك- فوق بعض مراتب، ليبلوكم فيما أعطاكم: مختبرا، أتعملون بما أنزل؟ إن ربك -أيها الإنسان- سريع العقاب -يعاقب العصاة يوم القيامة، وهو آت وكل آت قريب، وقد يعاجل بعقوبة في الدنيا- وإنه لواسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. ١٦٥

سُورَةُ الأَعْرَافِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ
لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم
مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ
قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ
إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾
وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ
ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

⋆ سورة الأعراف ⋆

⋆ مكية ⋆

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. ١

كتاب أنزل إليك أيها النبي الكريم، فلا يكن في صدرك مشقة ولا ضيق منه -من تبليغ القرآن خشية أن يكذبك الخلق- لتنذر به -الكفار والعصاة، فتقوم الحجة- وتذكرة جسيمة للمؤمنين: أنزل لينتفعوا بها كما قال تعالى ﴿ وذَكِّر فإنَّ الذكرى تنفع المؤمنين. ﴾ [الذاريات ٥٥]. ٢

اتبعوا -أيها الناس، ولا سيما أهل العلم- ما أنزل إليكم من ربكم -من قرآن وسنة جاء بهما النبي ﷺ كما قال تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [الحشر ٧]- ولا تتبعوا من دونه أولياء -تعبدونهم معه، ولا من دون ما أنزل من طواغيت توالونهم وتطيعونهم فيما يحللون لكم ويحرمون عليكم، فذلك عبادة لهم!- قليلا ما تذكرون: لذا فضلتم الباطل على الحق. ٣

وما أكثر القرى التي أهلكها الله، فجاء أهلها عقاب الله بجوف الليل أو حال نومهم في النهار. ٤

فما كان دعاؤهم حين جاءهم عقاب الله إلا أن أقروا -ليرحمهم سبحانه- أنهم كانوا ظالمين لأنفسهم بالشرك: ولا ينفعهم حينئذ إقرار. ٥

فليسألن الله الذين أرسل إليهم -أأجابوا كما قال تعالى ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المُرسَلين. ﴾ [القَصص ٦٥]؟- وليسألن المرسلين: في الآخرة أبلغوا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلَّغ ﴾ [البخاري ٣٣٣٩ ⋆ الترمذي ٢٩٦١م ⋆ ابن ماجة ٤٢٨٤ ⋆ أحمد ١١٢٨٣]؟ وما أجابتهم أممهم كما قال تعالى ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجِبتم ﴾ [المائدة ١٠٩]؟ ٦

فليقصن الله عليهم -جميعا ما عملوا- بعلم -فهو معهم بعلمه وقدرته- وما كان الله غائبا سبحانه. ٧

ووزن الأعمال يومئذ الحق -فهو العدل، ويكون بالعدل دون ظلم، لتأخذ كل نفس حقها يوم القيامة- فمن رجحت كفة حسناته فهؤلاء هم الفائزون الباقون في النعيم الدائم، الناجون من المهالك. ٨

ومن خفت حسناته -فرجحت كفة سيئاته- فهؤلاء الذين خسروا أنفسهم -فأوردوها المهالك وفاتهم النعيم الدائم- بسبب أن كانوا بآيات الله -المنزلة والكونية والعقلية- يظلمون: إذ كذبوا رسله. ٩

ولقد أعطاكم سبحانه -أيها الناس- سلطانا في الأرض، وهيأ الله لكم فيها أسباب المعيشة -من طعام وشراب وما تقوم به الحياة- قليلا ما تشكرون الله على نعمه. ١٠

ولقد خلق سبحانه أباكم آدم عليه السلام ثم صوره سبحانه، ثم أمر سبحانه الملائكة أن يسجدوا لآدم -تحية وتقديرا، ليس عبادة- فسجدوا -مطيعين- إلا إبليس -هو كما قال تعالى ﴿ وإذ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾ [الكهف ٥٠]- لم يكن من الساجدين: فصار كافرا. ١١

سأل -سبحانه إبليس موبخا، وهو أعلم بحال خلقه- ما منعه -فاضطره إلي- ألا يسجد حين أمره؟ أجاب بأنه -بزعمه وقياسه الباطل- خير منه وأفضل: خلقه الله من نار، وخلق آدم عليه السلام من طين. ١٢

فائدة! القياس إذا ناقض نصا من القرآن أو صحيح السنة فهو باطل لا اعتبار له، لأن مقصود القياس أن يأتي بحكم لم يأت فيه نص، فيقارب الأمور المنصوص عليها ويكون تابعا لها.

دليلُ المؤمنِ النَّصُّ استَجيبوا ... وناقَضَ بالقياسِ فتًى حَسيرُ

أمره فليهبط من الجنة، فما يصح له أن يتكبر فيها فليخرج، إنه -إبليس- من الأذلة المجبرين. ١٣

سأله أن يمهله -سبحانه- إلى يوم يبعثون: يوم القيامة، فلا يقبض الله روحه قبل ذلك. ١٤

أجاب سؤاله: جعله من الممهَلين. ١٥

أقسم فبإغوائه وإضلاله إياه -فمن عزة العزيز أن مشيئته تهيمن على مشيئة إبليس- ليثابرن مجتهدا على إضلال آدم عليه السلام وبنيه وصرفهم عن طريق الله المستقيم الواضح غير المعوج الموصل إليه وجنته. ١٦

ثم ليأتينهم من جميع الجهات والجوانب -بالترغيب في الدنيا والتزهيد في الآخرة وإلقاء الشبهات- ولا يجد الله -حينئذ- أكثرهم شاكرين: فيما يظن إبليس كما قال تعالى ﴿ ولقد صَدَّق عليهم إبليس ظنَّه فاتَّبعوه إلا فريقا من المؤمنين. ﴾ [سبإ ٢٠] وليس جزما منه، فهو لا يعلم ما سيكون منهم. ١٧

أمره أن يخرج من الجنة مذموما منفيا لكفره وعصيان ربه، مبعدا عن رحمة الله، مقسما لمن تبع إبليس من بني آدم ليملأن جهنم من إبليس وذريته وأتباعه من الجن والإنس جميعا. ١٨

وأذن لآدم أن يسكن هو وزوجته -حواء عليها السلام، خلقت منه- الجنة -جنة الخلد- فيأكلا من حيث شاءا ولا يقربا شجرة معينة فيكونا -إن قرباها، لأنفسهما بسبب عصيانهما- من الظالمين. ١٩

فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ستر عنهما من عوراتهما، وزعم أن ما نهاهما ربهما عن -الأكل من- هذه الشجرة إلا كراهة أن يصيرا مَلَكَين، أو يصيرا من -ملوك الجنة- الخالدين: كما قال تعالى ﴿ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدُلك على شجرة الخُلد ومُلك لا يبلى. ﴾ [طه ١٢٠]. ٢٠

وأقسم لهما -بالله- أنه لهما لمن الناصحين: حريص على ما فيه الخير لهما! الشيطان إبليس! ٢١

فأهبطهما بغروره لهما وخداعه -من منزلتهما العالية، وجرأهما على المعصية- فلما ذاقا -من- الشجرة -التي حرمها الله عليهما- بدت لهما عوراتهما -ظاهرة- وبدآ يلزقان عليهما من ورق الجنة -ليستترا- وناداهما ربهما -سائلا معاتبا، وهو أعلم بحال خلقه- ألم ينههما عن -الأكل من- تلك الشجرة -وقد حددها- ويخبرهما أن الشيطان لهما عدو ظاهر العداوة لا يريد إلا الوصول بهما إلى عذاب الله؟ ٢٢

فائدة! جعل الله أول عقوبة لإنسان التعري، واليوم الضالون المضلون يعدون السفور تقدما وتحضرا!

يُعاقِبُ ربُّنا الخَلْقَ العُصاةَ ... عِقابُ الإنسِ أوَّلُهُ السُّفورُ

فائدة! أكل الحرام من أسباب العقوبة بالتعري، ولا يقع السفور في أمة إلا سبق ذلك أكل الحرام.

لِمَنْ أكلوا الحرامَ ولمْ يتوبوا: ... سُفورٌ قادمٌ وهوًى مَريرُ

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾
قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ
أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن
تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ
لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ
ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ
حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾
وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ
قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾
قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ
وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾
فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ
ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾

اعترف آدم وحواء عليهما السلام لربهما أن ظلما أنفسهما -بسبب عصيانهما، معتذرَين إليه بكلمات ألهمهما سبحانه إياها كما قال تعالى ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ [البقرة ٣٧]- من ثم دعواه وإن لم يغفر لهما ويرحمهما بقبول توبتهما ليكونن من الهلكى الخاسرين. **٢٣**

أمرهم -سبحانه- أن يهبطوا -من الجنة إلى الأرض، جاعلا- آدم وحواء عليهما السلام وذريتهما أعداء لإبليس وذريته، ولهم في الأرض مستقر وتمتع -بها- إلى حين: القيامة. **٢٤**

أخبرهم أن في الأرض يحيون وفيها يموتون، ومنها -هم وذريتاهم، للبعث والحساب- يخرجون. **٢٥**

يا بني آدم قد فرض الله عليكم بأمره النازل من السماء لباسا يستر عوراتكم ولباسا طاهرا حسنا -للعبادة كما قال تعالى ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ [الأعراف ٣١]- ولباس التقوى -خشية الله والورع- ذلك خير لباس وأفضل زينة، ذلك -اللباس، الظاهري والحسي- من آيات الله -التي فضل بها الإنسان على الحيوان- رجاء أن يذكروا: ذلك، فيتعظوا، ولا يصيروا كالحيوانات! **٢٦**

يا بني آدم لا يوقعنكم الشيطان في الفتنة -فيخدعكم فتعصوا الله- كما تسبب في إخراج أبويكم -آدم وحواء عليهما السلام- من الجنة، ينزع عنهما لباسهما -بوسوسته، فيظهرا الواجب ستره- ليريهما عوراتهما، إنه يراكم هو ونسله وأنتم لا ترونهم، إن الله جعل سبحانه الشياطين أنصارا وأعوانا للذين لا يؤمنون. **٢٧**

فائدة! التبرج والسفور والتعري ونزع اللباس الظاهري والحسي -تقوى الله- من أهم غايات الشيطان.

لِباسًا يَنزِعُ الشَّيطانُ نَزعًا ... عَنِ الإنسانِ يَفتِنُهُ الغَرورُ

وإذا فعل المشركون فاحشة -كالشرك والطواف بالبيت عراة والزنا كما قال تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ﴾ [الإسراء ٣٢] وغير ذلك- زعموا أن وجدوا عليها أسلافهم -فاقتدوا بهم، ثم لم يتحروا الحق لعدم اهتمامهم به، فأضافوا- والله أمرهم بها! أكد لهم أيها النبي الكريم -موبخا مقرعا- أن الله لا يأمر -مطلقا- بما هو مستفحش من الذنوب، أيتقولون على الله بغير علم ولا دليل؟ **٢٨**

أخبرهم أن أمر ربك بالعدل -لا بالظلم والإثم كما زعموا- ومرهم أن يتوجهوا -إليه سبحانه- مجتهدين في إقامة العبادات -ولا سيما الصلاة في المساجد- ويدعوه مخلصين له الدين -بلا شرك ولا رياء، دعاء عبادة ودعاء مسألة- كما بدأ خلقكم -أيها الناس، وحدد مصيركم كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه مَلَكا بأربع كلمات: فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح ﴾ [البخاري ٣٣٣٢ ★ مسلم ٢٦٤٣ ★ أبو داود ٤٧٠٨ ★ الترمذي ٢١٣٧ ★ ابن ماجة ٧٦ ★ أحمد ٣٦٢٤]- تعودون: فيبعثكم بعد الموت للحساب. **٢٩**

فريقا -سعيدا- وفق وأرشد -سبحانه، فآمن وعمل صالحا- وفريقا -شقيا- وجب عليهم الضلالة -عن الحق إذ ظلموا أنفسهم- إنهم اتخذوا الشياطين أنصارا وأعوانا من دون الله -بلغتهم حجته، فأطاعوهم- ويظنون -بسبب وسوستهم- أنهم -إلى الحق- مهتدون: فلا يعذرون بزعم أنهم لم يستوعبوا الحجة! **٣٠**

۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ
وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا
بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ
بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾
يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ
ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ
بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ
قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

يا بني آدم استروا عوراتكم باللباس الطاهر النظيف عند الصلاة والطواف، وكلوا واشربوا -مما رزقكم الله من الطيبات في غير مخيلة- ولا تسرفوا -فإنه لا يجتمع سرف وتواضع، فلا تتجاوزوا حد الاعتدال ولا تتجاوزوا الحلال إلى الحرام- إنه -سبحانه- لا يحب -بل يبغض- المسرفين متجاوزي الحدود. ٣١

سلهم أيها النبي الكريم من حرم زينة الله -خالقها: لباس وجواهر وغير ذلك- التي أخرج لعباده -إن لم تكن من حرام- والطيبات من الرزق: مآكل وغيرها؟ أخبرهم أنها للذين آمنوا في الحياة الدنيا -بالأصالة وإن شاركهم غيرهم فهي- خالصة يوم القيامة -لا يشاركهم فيها كافر، ولا يتبعهم في انتفاعهم بها في الدنيا مأثم- مثل ذلك الشرح والتفصيل يفصل الله الأحكام ويبينها ليعلمها أناس فينتفعوا وينفعوا. ٣٢

فائدة! الطيبات للمؤمنين في الدنيا والآخرة، أما الكفار ومن استعان بما رزقه الله على معصيته فمسؤول في الآخرة عنها كما قال تعالى ﴿ ثم لتُسألنَّ يومئذ عن النعيم. ﴾ [التكاثر ٨]، ثم عليها يحاسب.

لنا دونَ الكوافرِ طَيِّباتٌ ... وبَعدَ البعثِ حاسَبَهُم خبيرُ

أخبرهم أنما حرم ربك مستفحش الذنوب -كالزنا كما قال تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ﴾ [الإسراء ٣٢] وغيره- ما ظهر منها -مما تعلق بالجوارح كالعري والتبرج وغيرهما- وما بطن -المتعلق بالقلب كالرياء والكبر وغيرهما- في العلن والسر، والإثم -اقترافه- والبغي -من اعتداء على دماء الناس أو أعراضهم، أو شيء من أموالهم، أو التكبر عليهم- بغير الحق، وأن يشركوا بالله ما لم ينزل بجعله شريكا له برهانا، وأن يتقولوا على الله بغير علم ولا دليل: وذلك ضلال وإضلال. ٣٣

فائدة! من التقول على الله بغير علم الخوض بلا دليل في أسمائه أو صفاته أو أفعاله أو شرعه.

نُجافي الجَهلَ، والأسماءَ نُبقي ... أتَعطيلٌ يُضَلُّ بِهِ الخُيُورُ؟

ولكل أمة أجل -محدد- فإذا جاء أجلهم -وهم عصاة لربهم- يستحيل أن يتأخر عذابهم -ولو- ساعة أو يتقدم، كذلك يستحيل أن يتأخر موت أحد أو يتقدم. ٣٤

يا بني آدم إن أنتم أتاكم رسل منكم يقصون عليكم آيات الله -المنزلة، لتتبعوها وتحكموا بها وتقضوا- فمن اتقى بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وأصلح ظاهره وباطنه وما فسد من أحواله فلا خوف عليهم -في الآخرة- ولا هم يحزنون: على ما من الدنيا فاتهم ولا على من في النار ممن أحبوا. ٣٥

والذين كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها -معرضين عن الإيمان بها- هؤلاء ماكثون في النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها. ٣٦

فمن أعظم ظلما ممن افترى على الله كذبا -فزعم أن له ولد أو زوجة أو شركاء، أو نسب إليه ما لم يقل، أو حرم ما أحل أو أحل ما حرم- أو كذب بآياته -منزلة كانت أو كونية أو عقلية- هؤلاء ينالهم نصيبهم مما كتب -في اللوح المحفوظ، فيصيبهم قدر الله- حتى إذا جاءتهم رسل الله -مَلَك الموت وأعوانه- يتوفونهم سألوهم -معنفين- أين ما كانوا يدعون ويعبدون من دون الله؟ أجابوا بأن غابوا عنهم وخذلوهم، وشهدوا على أنفسهم -مقرين- بأنهم كانوا -في الدنيا، برسل الله وآياته- كافرين. ٣٧

قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ
فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ
فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ
عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨
وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ
فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ
وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ
نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ٤٢ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا
لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ
وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣

أمر -سبحانه، يوم القيامة- أن ادخلوا -أيها المكذبون- في جملة أمم قد مضت من قبلكم من الجن والإنس في النار، كلما دخلت أمة دعت على أختها -في الدين، وقد سبقتها إلى النار- بالطرد من رحمة الله وسبتها، حتى إذا تلاحقوا فيها جميعا اشتكت أخراهم -دخولا- أولاهم أن ربنا هؤلاء أضلونا -واشتكى الأتباع السادة والكبراء كما قال تعالى ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكُبراءنا فأضلونا السبيلا. ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا. ﴾ [الأحزاب ٦٧ ٦٨]- فأعطهم عذابا مضاعفا في النار، أخبرهم أن لكل ضعف -العذاب- ولكن لا يعلمون ما أعد لهم من أنواع وأصناف العقاب. **٣٨**
وأخبرت أولاهم -دخولا- أخراهم -والسادة والكبراء أتباعهم- أن لم يكن لهم عليهم أي فضل -فقد كفروا مثلهم في الدنيا- فذوقوا العذاب -جميعكم، الآن- بسبب ما كنتم تكسبون من كفر وآثام. **٣٩**
فائدة! الطواغيت وأكابر المجرمين وأئمة الكفر والضلال وإن كانوا هم وأتباعهم في الكفر سواء إلا أن عذابهم أشد، لأنهم ضلوا وأضلوا من اتبعهم كما قال تعالى ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يُضِلُّونهم بغير علم ﴾ [النحل ٢٥].

أكابرُ مُجرِميها في شَقاءٍ ... فإضلالُ الوَرى إثمٌ كبيرُ

إن الذين كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها -معرضين عن الإيمان بها- لا تفتح لهم أبواب السماء -لا لأعمالهم ولا لدعائهم إن دعوا، ولا لأرواحهم إذا ماتوا- ولا يدخلون الجنة، حتى يدخل حبل السفينة في ثقب إبرة الخياطة -حينها يدخلون!- ومثل ذلك الجزاء يجزي الله المجرمين مستحقي العقاب. **٤٠**
لهم من جهنم فراش -من تحتهم- ومن فوقهم لحف، ومثل ذلك الجزاء يجزي الله الظالمين لأنفسهم باختيار الكفر على الإيمان. **٤١**
والذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة لا يكلف سبحانه نفسا إلا قدر طاقتها -فما تعجز عنه من واجبات يسقط عنها- هؤلاء ماكثون في الجنة هم فيها خالدون لا يخرجون منها. **٤٢**
ونزع الله ما في صدور أهل الجنة من غل وحقد وتنافس -أخرجه جميعه، وحالهم أنهم- تجري خلال منازلهم وبساتينهم الأنهار، وأثنوا على الله الذي وفقهم وأرشدهم -للإيمان به، ولعمل أدى بهم- لهذا -مقرين- وما كانوا ليوفقوا ويرشدوا -لهذا من تلقاء أنفسهم- لولا أن وفقهم الله وأرشدهم -مقسمين- لقد جاءت رسل ربهم بالحق والصدق الذي لا مراء فيه، ونودوا -من قبل الملائكة- أن ها هي الجنة -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما ﴿ ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا ﴾ [مسلم ٢٨٣٧ ⋆ الترمذي ٣٢٤٦ ⋆ أحمد ٨٢٥٨]- أورثتم منازلها بسبب ما كنتم تعملون مما وفقكم الله له لتكونوا أهلا لرحمته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لن يدخل أحدا عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا ﴾ [البخاري ٥٦٧٣ ⋆ مسلم ٢٨١٦ ⋆ أحمد ٩٨٣١]. **٤٣**

ونادى أصحاب الجنة -مبكتين موبخين- أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا -في كتبه وعلى ألسن أنبيائه- حقا -إذ أدخلنا الجنة بسبب إيماننا وعملنا الصالح- فهل وجدتم ما وعد ربكم -بإدخال الكفار والعصاة النار- حقا؟ أجابوا بنعم، فنادى بوضوح مناد -من الملائكة- بينهم داعيا الله أن يطرد الظالمين لأنفسهم أو لغيرهم من رحمته. **٤٤**

الذين يصدون عن طريق الله ويريدون للناس انحرافا عنه، وهم بالآخرة كافرون. **٤٥**

وبين الفريقين حجاب -يحجز بينهم كما قال تعالى ﴿ فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَلِه العذاب ﴾ [الحديد ١٣] ويشرف على الدارين- وعلى الأعراف -شرفات السور الذي يحجز بينهم، أو مواضع مرتفعة- رجال -قيل هم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم- يعرفون كلا -من أصحاب الجنة وأصحاب النار- بعلاماتهم -كبياض الوجه أو سواده ونحو ذلك- ونادوا أصحاب الجنة -يحيونهم- أن سلام عليكم، لم يدخل أهل الأعراف الجنة -بعد- وهم -في دخولها- يطمعون. **٤٦**

فائدة! من استوت حسناته وسيئاته يدخله الله الجنة، لأنه سبحانه أوجب على نفسه الرحمة، تفضلا منه وإحسانا كما قال تعالى ﴿ قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ﴾ [الأنعام ١٢]، فرحمته غلبت غضبه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي. ﴾ [البخاري **٣١٩٤** ★ مسلم **٢٧٥١** ★ الترمذي **٣٥٤٣** ★ ابن ماجة **١٨٩** ★ أحمد **٧٥٠٠**].

على الأعرافِ خَلْقٌ في انتِظارٍ ... برحمةِ ربِّهم توقى السعيرُ

وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار دعوا ربهم ألا يجعلهم -في النار- مع القوم الظالمين. **٤٧**

ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بعلاماتهم -كسواد الوجه، فهم من أصحاب النار- سألوهم -مقرعين موبخين- ماذا نفعهم جمعهم -في الدنيا، للرجال والمال- وما كانوا يستكبرون -على الحق وأهله- وماذا أغنى عنهم؟ **٤٨**

أهؤلاء -مشيرين إلى أصحاب الجنة- الذين أقسمتم -في الدنيا، لفرط استكباركم عليهم- لا ينالهم الله برحمة: فلن يصيبهم منه إذًا أدنى خير؟! ادخلوا الجنة -يا أصحاب الجنة- لا خوف عليكم -في الآخرة- ولا أنتم تحزنون: على ما من الدنيا فاتكم ولا على من في النار ممن أحببتم. **٤٩**

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة، سائلين أن يفيضوا عليهم من الماء -فيوسعوا- أو مما رزقهم الله -من أشربة أخرى أو أطعمة- أجابوهم بأن الله حرم مشارب ومآكل أصحاب الجنة على الكافرين. **٥٠**

الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا -فمن أنكر البعث يتصرف كلاه لاعب لا يهتم- وغرتهم الحياة الدنيا -بزينتها فانخدعوا بها وبإمهال الله إياهم- فاليوم يتركهم الله منسيين -في ناره لا يأبه بهم- كما نسوا لقاء يوم قيامتهم هذا -فتركوا العمل لآخرتهم- وما كانوا بآياته سبحانه -المنزلة والكونية والعقلية، لأي قصور فيها- يجحدون: بل لم يعملوا بها انخداعا بالحياة الدنيا، وظلما وتكبرا على الحق وأهله. **٥١**

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا
رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ
مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا
حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ
أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾
۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا
مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم
بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾
أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ
لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ
ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ
إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا
وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ
لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ
لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ
يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ
فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي
كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ
يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ
بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾
ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾
وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ
إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا
سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

ولقد جاء الله الكفار بكتب -منزلة، آخرها قرآنه- فصلها سبحانه وبين فيها ما يحتاجه أهلها على علم
-منه بأحوالهم في كل عصر ومصر- هداية من الضلال -جاءهم بها- ورحمة لقوم -بها- يؤمنون. **٥٢**
هل ينتظرون إلا مآلها: عقابا يؤول أمرهم إليه، وعدهم ربهم به في كتبه؟ يوم -القيامة- يأتي مآلها، يقر
-حينئذ- الذين نسوها من قبل -في الدنيا، فتركوا العمل لآخرتهم- أن قد جاءت رسل ربهم بالحق
والصدق الذي لا مراء فيه، من ثم يتساءلون -متمنين- فهل لهم من شفعاء فيشفعوا -عند الله- لهم؟
أو يردوا -إلى الدنيا، هل يمكن ذلك؟- فيعملوا غير الذي كانوا يعملون؟ قد خسروا أنفسهم -فأوردوها
المهالك وفاتهم النعيم الدائم- وبطل كذبهم وخذلهم ما كانوا يفترون على الله من طواغيت. **٥٣**
فائدة! لو رد الله الكفار يوم القيامة ووصل لهم دنيا كالتي كانوا فيها لعادوا كفارا ولاقترفوا ذات الآثام
كما قال تعالى ﴿ ولو رُدوا لعادوا لِما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ [الأنعام ٢٨]، فلا يعذر هؤلاء مؤمن.
ولو رُدُّوا لعادوا كافِرِينَ ... فما أمِنَ المُضِلِّينَ العَذيرُ
إن ربكم -أيها الخلائق- الله -الإله الذي يضرع إليه الخلائق، المعبود بحق- الذي خلق السماوات
والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- استواء يليق بجلال وجهه
وعظيم سلطانه لا ندري كيفيته، يجعل الليل يغمر ويغطي النهار -بظلمته، والنهار بضيائه الليل- يطلبه
-كل منهما طلبا- سريعا لا يتخلف عنه، والشمس والقمر والنجوم -خلقها- مذللات -لما يراد منها
من طلوع وأفول وحركة- بأمره -سبحانه- ألا له -وحده دون سواه- الخلق -فهو الخالق- والأمر -فمن
زعم أنه جعل لعباده من الأمر شيئا أو أن يمكنهم التصرف بالمخالفة لشرعه أو أنه "عبد المأمور" فقد
كفر- كثر خير ونفع الله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء، وتعاظم واستحق الثناء. **٥٤**
فائدة! فيما يبدو، خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام ليعلم عباده التأني في الأمور، ولو أراد أن
يخلقها في لحظة أو أقل لفعل كما قال تعالى ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر. ﴾ [القمر ٥٠].
سماواتٌ وأرضٌ خَلْقُهُم في ... تأنٍّ، عَلَّمَ الخَلْقَ القديرُ
ادعوا ربكم تضرعا -وتذللا، جهرا- وسرا، إنه لا يحب -بل يبغض- المعتدين المتجاوزين لحدوده: إذًا
لا تدعوا سواه! ولا تعتدوا في الدعاء، لا برفع صوت ولا بطلب ما لا يجوز طلبه أو ما ليس لكم. **٥٥**
ولا تفسدوا في الأرض -بالكفر وصد الناس عن صحيح الإيمان واقتراف الآثام وموالاة الكافرين وإفساد
المنافع- بعد إصلاحها -ببعث رسل الله- وادعوه خوفا -من عقابه- وطمعا -في ثوابه- إن رحمة الله
-وهو- قريب من المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق: فكونوا منهم لتناولوها قريبا. **٥٦**
وهو الذي يرسل الرياح مبشرات بالمطر الذي هو رحمة منه، حتى إذا حملت -الرياح- ورفعت سحابا
مثقلا بالماء ساق سبحانه السحاب إلى -ومن أجل- بلد مجدب، فأنزل سبحانه بهذا البلد المطر،
فأخرج الله به من جميع أنواع الثمار، مثل ذلك الإحياء للأرض الميتة والإخراج للثمار يخرج الله الموتى
-من قبورهم أحياء- رجاء أن تذكروا: أيها الناس عاقبة أمركم، فتتعظوا. **٥٧**

وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ
إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾
قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ
لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾
أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ
عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٦٣﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ * وَإِلَىٰ
عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ
غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ
إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾
قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

والبلد الطيب -تربته طيبة، إذا مسه مطر- يخرج نباته بإذن ربه ومشيئته -طيبا، كالقلوب الطيبة تمسها المواعظ فتنتفع بها وتنفع غيرها- والذي خبث لا يخرج إلا نكدا -بلد تربته ليست بطيبة- مثل ذلك التنويع ينوع الله الآيات الدالة على كمال قدرته لقوم يشكرون نعمه لا يكفرونها فينتفعوا وينفعوا. ٥٨

لقد أرسل الله نوحا إلى قومه، فدعا قومه أن يعبدوا الله -وحده- ليس لهم أي إله غيره، من ثم أكد أنه يخاف عليهم -إن لم يطيعوه- عذاب يوم عظيم: القيامة، أو يوم فيه يهلكهم الله في الدنيا. ٥٩

كانت إجابة الرؤوس الأعيان من قومه أنهم -حقا- يرونه في ضلال واضح عن الحق، لا يعرف للرشاد سبيلا. ٦٠

أخبر قومه أن ليس به ضلالة، ولكنه رسول من رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. ٦١

يبلغهم رسالات ربه، وينصح لهم -مخلص النية- ويعلم من الله -عن طريق الوحي- ما لا يعلمون. ٦٢

سألهم -مستنكرا- أوتعجبوا أن جاءهم تذكير من ربهم -عن طريق الوحي- على -لسان- رجل منهم -يعرفون حاله ونسبه وصدقه، يبين فيفهموا ما يدعوهم إليه كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليُبيِّن لهم ﴾ [إبراهيم ٤]- لينذرهم عقابه سبحانه إن استمروا على كفرهم؟ وليتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه؟ ورجاء أن يدركوا رحمة ربهم فيفوزوا؟ ٦٣

فكذبوه -رغم أنه مكث فيهم مدة تسعمائة وخمسين عاما يدعو إلى توحيد الله بلا كلل ولا ملل كما قال تعالى ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهُم ظالمون. ﴾ [العنكبوت ١٤]- فأنجاه الله والذين -آمنوا- معه -وكانوا قليل، وأمره الله أن يحمل معهم من كل صنف من الحيوان زوجين: ذكرا وأنثى، كما قال تعالى ﴿ حتى إذا جاء أمرنا وفار التَّنُّور قُلنا احمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل. ﴾ [هود ٤٠]- في السفينة، وأغرق الله الذين كذبوا بآياته سبحانه -بطوفان لا مثيل له، لاستمرارهم على الكفر- إنهم كانوا قوما عميت قلوبهم عن الحق. ٦٤

فائدة! المؤمن مطالب ببذل الجهد والأخذ بالأسباب وفق الأطر الشرعية، وغير مطالب بنتيجة عمله، جهادا كان العمل أو دعوة أو غير ذلك، فمن استدل على خطأ الطريق بعدم وصول سالكيه فقد ظل.

وإنْ نَّعملْ كما أمَرَ الحكيمُ ... وحَدَّدَ لا نُبالِ بما يَصيرُ

وإلى عاد -أرسل الله- أخاهم -في النسب- هودا، دعا قومه أن يعبدوا الله -وحده- ليس لهم أي إله غيره، سائلا إياهم -مستنكرا- أفلا يتقون بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه؟ ٦٥

كانت إجابة الرؤوس الأعيان الذين كفروا من قومه أنهم -حقا- يرونه في سفاهة وخفة عقل، وأنهم -حقا- يظنونه من الكاذبين فيما يخبرهم به. ٦٦

أخبر قومه أن ليس به سفاهة ولا خفة عقل، ولكنه رسول من رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. ٦٧

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن
جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ
وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾
قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾
قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ
أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم
مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾
وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ
هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ
ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

يبلغهم رسالات ربه، وأخبرهم أنه لهم ناصح -مخلص النية، حريص على ما فيه صلاح حالهم- أمين: فيما يبلغ عن ربه، لا يغير مما أوحي إليه شيئا. **٦٨**

سألهم -مستنكرا- أوتعجبوا أن جاءهم تذكير من ربهم -عن طريق الوحي- على -لسان- رجل منهم -يعرفون حاله ونسبه وصدقه، يبين فيفهموا ما يدعوهم إليه كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليُبيِّن لهم ﴾ [إبراهيم ٤]- لينذرهم عقابه سبحانه إن استمروا على كفرهم؟ ونصحهم أن يذكروا -نعم الله المتعاقبة عليهم- حيث جعلهم خلفاء -في الأرض- من بعد قوم نوح -بعد أن كذبوا نبيه فأهلكهم- وزادهم في الأجسام -على أبناء جنسهم الذين سبقوهم- قوة وكمالا، فمن ثم نصحهم -مجددا- أن يذكروا نعم الله الواسعة، رجاء أن يفلحوا فيكون مصيرهم الجنة. **٦٩**

سألوه -مستنكرين- أجاءهم ليعبدوا الله وحده؟ ويتركوا ما كان يعبد -من دونه سبحانه- أسلافهم؟ من ثم تحدوه فليأتهم بما يعدهم -من عذاب إن لم يطيعوه- إن كان -فيما يدعي- من الصادقين. **٧٠**

أجابهم بأنه قد وقع عليهم قذارة -فوجب عذابهم وغدا وقوعه محققا- من ربهم وغضب -ومزيد إغلاق لقلوبهم، قد استوجبوه بتعنتهم واستكبارهم- من ثم سألهم -موبخا مقرعا- أيجادلونه في أسماء سموها هم وأسلافهم -جعلوها لأوثان لا قيمة لها، وعدوها آلهة- ما نزل الله بجعلها تستحق العبادة من برهان يؤيد زعمهم؟! فلينتظروا -ما استعجلوا من عذاب- إنه معهم -لعذابهم الواقع- من المنتظرين. **٧١**

فأنجاه الله والذين -آمنوا- معه برحمة منه سبحانه -إذ وفقهم للإيمان ثم جعل إيمانهم سببا ينالون به رحمته- واستأصل سبحانه الذين كذبوا بآياته سبحانه إلى آخرهم بالإهلاك كما قال تعالى ﴿ كذَّبت عاد فكيف كان عذابي ونُذُر. إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر. تَنزِعُ الناس كأنهم أعجاز نخل مُنقعر. ﴾ [القمر ١٨ ~ ٢٠]، وما كانوا مؤمنين: بل كانوا مشركين به سبحانه. **٧٢**

وإلى ثمود -أرسل الله- أخاهم -في النسب- صالحا، دعا قومه أن يعبدوا الله -وحده- ليس لهم أي إله غيره، من ثم أخبرهم أن قد جاءتهم بينة -يحتج بها على صدقه- من ربهم -كما اقترحوا سابقا كما قال تعالى ﴿ ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين. قال هذه ناقة لها شِرب ولكم شِرب يوم معلوم. ﴾ [الشعراء ١٥٤ ١٥٥]- هذه ناقة -فاضلة شريفة من- الله لهم آية -معجزة- فليتركوها تأكل -وتشرب بالتناوب معهم، فكان الأمر كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ﴿ لما مر رسول الله ﷺ بالحِجر قال: لا تسألوا الآيات وقد سألها قوم صالح، فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها، فأخذتهم صيحة أهمد الله من تحت أديم السماء منهم، إلا رجلا واحدا كان في حرم الله، قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم، أصابه ما أصاب قومه. ﴾ [أحمد ١٤١٦٠]- في أرض الله -ليس عليهم مؤونتها- ولا ينالوها بشيء سيئ أو يتعرضوا لها بأذى، فيأخذهم -إن فعلوا- عذاب أليم. **٧٣**

وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي
ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن
قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ
ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

ونصحهم أن يذكروا -نعم الله المتعاقبة عليهم- حيث جعلهم خلفاء -في الأرض- من بعد عاد -بعد أن كذبوا نبيه فأهلكهم- وأنزلهم في الأرض -مدائن صالح- وأسكنهم إياها، يبنون في سهولها قصورا، وينحتون الجبال -لتصير- بيوتا، فمن ثم نصحهم -مجددا- أن يذكروا نعم الله الواسعة، ولا يسعوا في الأرض بتخريب وإفساد وصد للناس عن دين الله، ولا يمشوا بالكفر مجاهرين، للمعصية ناشرين. **٧٤**

سأل الرؤوس الأعيان الذين استكبروا من قومه من آمن من الذين استضعفوا -متهكمين- أيعلمون أن صالحا -حقا، كما يخبرهم- مرسل من ربه؟ أجابوا بأنهم بما أرسل به -عليه السلام- مؤمنون. **٧٥**

صرح الذين استكبروا بأنهم بالذي آمن به من سألوهم -وهو ما أرسل به صالح عليه السلام- كافرون. **٧٦**

فأصابوا الناقة بجرح قتلها -قتلها واحد ورضي البقية- وتكبروا -بقتلها- عن -طاعة- أمر ربهم، وتحدوا صالحا أن يأتيهم بما يعدهم -من عذاب إن لم يطيعوه- إن كان -كما يدعي- من المرسلين. **٧٧**

فأخذتهم الرجفة -زلزلة في إثر صيحة جاءتهم في الصباح كما قال تعالى ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين. فأخذتهم الصيحة مصبحين. ﴾ [الحجر ٨٢ ٨٣]- فأصبحوا في بلدهم جاثمين: على ركبهم ووجوههم، ملتصقين بالأرض قد هلكوا جميعا. **٧٨**

فائدة! الرضا بالمنكر مشاركة فيه، فعاقر الناقة الذي باشر قتلها شخص واحد كما قال تعالى ﴿ فنادَوا صاحبهم فتعاطى فعَقَر. ﴾ [القمر ٢٩]، لكن لما كان قومه راضين بما فعل عمهم العذاب.

ولا نَرضى بما مَنَعَ القديرُ ... ونُنكِرُ مُنكَرًا، يُخشى الثُّبورُ

فأعرض عنهم متنحيا -بعد يأسه عليه السلام من إجابتهم دعوته- وأكد لقومه -قد يكون قبل نزول عذاب الله بهم: إذ أيقن عليه السلام أنهم هالكون لا محالة كما قال تعالى ﴿ فعقروها فقال تمتَّعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب. ﴾ [هود ٦٥]، وقد يكون بعد نزوله: كما حدث يوم بدر كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه ﴿ وأنه لما كان يوم بدر أمر بصناديد قريش، فألقوا في قليب من قلب بدر، خبيث منتن، قال: ثم راح إليهم، ورحنا معه، ثم قال: يا أبا جهل بن هشام ويا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا وليد بن عتبة هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا، قال: فقال عمر: يا رسول الله أتكلم أجسادا لا أرواح فيها؟ قال: والذي بعثني بالحق، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ﴾ [البخاري ٣٩٧٦ ★ مسلم ٢٨٧٥ ★ أحمد ١٦٣٥٦]- أن قد أبلغهم رسالة ربه -ألا يتعرضوا للناقة بأي سوء- ونصح لهم -مخلص النية، أن يتركوا ما هم عليه من كفر وآثام- ولكن لا يحبون الناصحين: الحريصين عليهم. **٧٩**

ولوطا اذكره أيها النبي الكريم حين سأل قومه -مستنكرا متقززا- أيأتون -تلك- الفاحشة -التي، لفرط شناعتها- ما سبقهم إلى ارتكابها أي أحد من البشر أجمعين؟ **٨٠**

إنهم ليأتون الرجال -في أدبارهم- شهوة -يشتهونهم- من دون النساء -متجاوزين حلائلهم والمحل الفطري للجماع: أي قذارة تلك؟- من ثم أنكر عليهم: بل هم قوم مسرفون متجاوزون للحدود. **٨١**

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن
قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٨٢ فَأَنجَيۡنَٰهُ
وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣ وَأَمۡطَرۡنَا
عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٨٤
وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ
فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ
أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ
ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥ وَلَا
تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ
إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨٦ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ
ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ
حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٧

وما كان جواب قومه إلا أن اقترحوا -مفارقين الحق، ساخرين من أهله- أن يخرجوهم من قريتهم، إنهم أناس يتطهرون من الأقذار ويتنزهون عن الإتيان في الأدبار: لا يليق إذًا مساكنتهم! **٨٢**
فأنجاه الله هو وأهل بيته، إلا امرأته كانت من الباقين مع قومها في عذاب الله. **٨٣**
وأمطر الله عليهم مطرا -غير معتاد، من حجارة، وقلب قريتهم كما قال تعالى ﴿ فجعلنا عاليَها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سِجِّيل. ﴾ [الحِجر ٧٤]- فتأمل أيها النبي الكريم -كذلك أمتك- كيف كان مصير المجرمين مستحقي العقاب. **٨٤**
وإلى مديَن -أرسل الله- أخاهم -في النسب- شعيبا، دعا قومه أن يعبدوا الله -وحده- ليس لهم أي إله غيره، من ثم أخبرهم أن قد جاءتهم بينة -يحتج بها على صدقه- من ربهم -لم يذكرها سبحانه لنا- فليستقيموا في الأخذ والإعطاء عند البيع والشراء، ولا يظلموا الناس بأخذ مكوس ولا يحتالوا عليهم، ولا ينقصوا من قيم سلع غيرهم بتعييب أو تزهيد أو غير ذلك، ولا يفسدوا في الأرض -بالكفر وصد الناس عن صحيح الإيمان واقتراف الآثام وموالاة الكافرين وإفساد المنافع- بعد إصلاحها -ببعث رسل الله- ذلك -المذكور- خير لهم وأفضل إن كانوا غير كاذبين في ادعاء الإيمان. **٨٥**
فائدة! فرض غرامات أو جمارك أو ضرائب أو إتاوات أو مكوس أو غير ذلك مما ينتهب أو يستقطع من أموال المسلمين بغير رضاهم أعظم جرما -فيما يبدو- من زنا امرأة ثيب -حدها الرجم!- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي ﷺ ﴿ فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله إني قد زنيت، فطهرني، وإنه ردها، فلما كان الغد قالت: يا رسول الله لم تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزا، فوالله إني لحبلى، قال: إما لا، فاذهبي حتى تلدي، فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته، قال: اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر، فرمى رأسها، فتنضح الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها فقال: مهلا يا خالد، فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ﴾ [مسلم **١٦٩٥** ★ أبو داود **٤٤٤٢** ★ أحمد **٢٢٩٤٩**].

وأصحابُ المُكوسِ أشدُّ جُرمًا ... مِنَ الحُبلى سِفاحًا، هُم سَجورُ

ولا يقعدوا بكل طريق يتوعدون -بفرض إتاوات أو سلب أموال المارة أو صدهم عن بلوغ شعيب عليه السلام بالقوة، أو بالحيلة بتشويه صورته: وكذلك فعلت قريش لصد الناس عن النبي ﷺ- ويصدون عن طريق الله من آمن به ويريدون لهم انحرافا عنه، ونصحهم أن يذكروا -نعم الله المتعاقبة عليهم- إذ كانوا قليلا -عددهم- فكثرهم، ويتأملوا كيف كان مصير المفسدين: ممن سبقهم من أمم أهلكها الله. **٨٦**
وإن كان طائفة منهم -قليلة العدد لكنها ثابتة- آمنوا بالذي أرسل به وطائفة لم يؤمنوا فليصبروا -مهددا من يظل كافرا- حتى يحكم الله بينهم، وهو خير الحاكمين وأفضل القضاة: دوما ينصر الحق. **٨٧**

خيره الرؤوس الأعيان الذين استكبروا من قومه: ليخرجن شعيبا والذين آمنوا معه من قريتهم، أو ليعودن في ملتهم -فيرتد أتباعه، ويعود شعيب ﵇ إلى ما كان عليه من سكوت قبل أن يبعث، فلا يدعو إلى توحيد الله ولا يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر- سألهم -مستنكرا، وملتمسا ﵇ أن يقروا أن ما يفعلون إكراه للمؤمنين ليس تخييرا- أولو كنا -لكلا الأمرين- كارهين: أنصير كفارا أو نغادر بلدنا؟ **٨٨**

فائدة! سادة الكفار مستكبرون لا يطيقون أهل الإيمان والصلاح، فدعاوى "التعايش السلمي" مردودة.

أنُخدَعُ بالتعايُشِ والكتابُ ... يقولُ استَكبَرَ المَلَأُ؟ استَنيروا!

من ثم أخبرهم أن قد افتروا -هو وأصحابه- على الله كذبا -فالله لا يأمر بعصيان كما قال تعالى ﴿ قل إنَّ الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ [الأعراف ٢٨] فضلا عن الشرك!- إن عادوا في ملة الرؤوس الأعيان بعد إذ نجاهم الله منها، وما يصح لهم أن يعودوا فيها إلا أن يشاء الله ربهم -إضلالهم، فما شاء الله كان، وهو الذي يهدي ويضل- شمل علم ربهم كل شيء -لا يفوته علم شيء من الأشياء- على الله وحده اعتمادهم في جميع أحوالهم -فهو الذي يثبتهم على الإيمان- من ثم دعا ربه أن يحكم فاصلا بينهم وبين قومهم بالحق -بحكم نافذ- وهو -سبحانه- خير الفاتحين وأفضل حكم: دوما ينصر الحق. **٨٩**

وحذر الرؤوس الأعيان الذين كفروا من قومه -بقية قومه- مقسمين لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذًا -بسبب ترك دين أسلافكم، ومن جراء الاستقامة بيعا وشراء- لخاسرون. **٩٠**

فأخذتهم الرجفة -زلزلة في إثر صيحة، كما قال تعالى ﴿ ولما جاء أمرنا نجَّينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة ﴾ [هود ٩٤]- فأصبحوا في بلدهم جاثمين: على ركبهم ووجوههم، ملتصقين بالأرض قد هلكوا جميعا. **٩١**

الذين كذبوا شعيبا كأن لم يقيموا في بلدهم -فقد أهلكهم الله جميعا- الذين كذبوا شعيبا كانوا هم بالغي الخسران الهالكين. **٩٢**

فأعرض عنهم متنحيا -بعد يأسه ﵇ من إجابتهم دعوته- وأكد لقومه -قد يكون قبل نزول عذاب الله بهم، وقد يكون بعد نزوله- أن قد أبلغهم رسالات ربه، ونصح لهم -مخلص النية، أن يتركوا ما هم عليه من كفر وآثام- فكيف يأسف على قوم كافرين: أصروا على الشرك وعلى عدم شكر نعم الله؟ **٩٣**

وما أرسل الله في قرية من نبي -فكذب أهلها به- إلا أخذ الله أهلها بالمصائب في الأموال والأبدان، رجاء أن يلجؤوا -إليه وحده- بالتضرع: والدعاء والتذلل، وينقادوا للإيمان. **٩٤**

ثم بدل الله مكان -الأمور- السيئة -البدائل- الحسنة -من رزق وصحة ونحو ذلك- حتى زاد عددهم ونمت أموالهم، وزعموا أن قد نال أسلافهم العسر واليسر -مثلهم، فهو إذًا عادة مطردة وليس ابتلاء من الله- فأخذهم سبحانه -بعقابه- على غرة دون مقدمات، وهم لا يشعرون بذلك ولا يترقبونه. **٩٥**

فائدة! الابتلاء بالشدة يصبر عليه الكثير، أما الابتلاء بالرخاء فلا يدرك أنه اختبار من الله إلا القليل.

ويَبلونا المَليكُ بما يَسُرُّ ... فَجُلُّ الناسِ في جَهلٍ يُبيرُ

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ
إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟
هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ
كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا
بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا
مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا
ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم
بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ
فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ
لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ
أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾
تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن
قَبْلُۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

ولو أن أهل القرى -الذين أرسل الله فيهم أنبياء- آمنوا -فلم يشركوا بالله ولم يكذبوا بما جاء به أنبياؤه- واتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه لفتح الله عليهم أبواب نفع وخير من السماء والأرض -فلأمطرت السماء وأنتجت الأرض- ولكن كذبوا، فأخذهم الله -بعقابه- بسبب ما كانوا يكسبون من ذنوب. **٩٦**

فائدة! الإيمان والتقوى يفتحان أبواب النفع والخير على المسلمين، فذنوبنا من أسباب ضيق حالنا.

بإيمانٍ معَ التقوى فَربِّي ... يُفَتِّحُ خَيرَهُ فهوَ الشَّكورُ

أفأمن أهل القرى -بعد تكذيبهم- أن يأتيهم عقاب الله بجوف الليل وهم نائمون؟ **٩٧**

أوأمن أهل القرى -بعد تكذيبهم- أن يأتيهم عقاب الله أول النهار وهم -لهوا وغفلة- يلعبون؟ **٩٨**

أفأمنوا مكر الله؟ فلا يأمن مكر الله -واستدراجه للعصاة- إلا القوم الهلكى الخاسرون. **٩٩**

فائدة! لا ينبغي للمؤمن أن يطمئن لإيمانه، ولا أن يغتر بعمله فيأمن مكر الله واستدراجه، بل عليه أن يدعو ربه باستمرار أن يثبته على الحق وألا يبتليه بما يسلب إيمانه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ﴿ كان أكثر دعائه: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت: فقلت: يا رسول الله، ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ قال: يا أم سلمة، إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ، فتلا معاذ: ﴿ ربنا لا تُزغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ ﴾ [الترمذي ٣٥٢٢ * أحمد ٢٦٦٧٩].

مَليكي لا تُزِغْ قَلبًا هَدَيتَ ... وثَبِّتْني على دِيني أسيرُ

أولم يتبين للذين يرثون الأرض من بعد -إهلاك- أهلها أن لو يشاء الله أصابهم سبحانه بسبب ذنوبهم: كما أهلك أهل تلك الأرض التي ورثوها؟ ويطبع سبحانه على قلوبهم -فيغلقها تماما فلا يدخلها إيمان ولا تعي خيرا- فهم لا يسمعون: سماع وعي وفهم وانتفاع، لكن تقوم عليهم الحجة بما سمعوا. **١٠٠**

تلك القرى -التي أهلك أهلها: أقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام- يقص الله عليك أيها النبي الكريم من أخبارها، ولقد جاءتهم رسلهم بالأدلة الجلية البينة على صدقهم، فما كانوا ليؤمنوا -من بعد أن جاءتهم الأدلة- بما كذبوا من قبل -مجيئها، بل هم مستمرون على العناد والكفر- مثل ذلك الطبع الشديد العظيم يطبع الله على قلوب الكافرين: فيغلقها تماما فلا يدخلها إيمان ولا تعي خيرا. **١٠١**

وما وجد الله لأكثر الكافرين من عهد -يحافظون عليه، بل أكثر من عاهد من أهل الكفر أن يؤمن إذا جاءه دليل لم يفعل وظل على عناده وكفره- وإن وجد الله أكثرهم لفاسقين خارجين عن طاعته. **١٠٢**

ثم بعث الله من بعد هؤلاء الأنبياء موسى بآياته سبحانه الدالة على صدقه عليه السلام -وهي تسع كما قال تعالى ﴿ في تسع آيات إلى فرعون وقومه ﴾ [النمل ١٢]- إلى فرعون ورؤوسه الأعيان -من أهل ملكه، وبقية القوم فمن عداهم تبع لهم- فظلموا بسببها أنفسهم فلم يؤمنوا وقد أقامت عليهم الحجة وغيرهم بالصد عن الإيمان، فتأمل أيها النبي الكريم -كذلك أمتك- كيف كان مصير المفسدين: بوار. **١٠٣**

وأخبر موسى فرعون أنه رسول من رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. **١٠٤**

جدير -وواجب- أن لا ينسب إلى الله -فهو لا يخبره- إلا الحق، قد جاءهم -ﷺ- ببينة -يحتج بها على صدقه- من ربهم، من ثم أمره فليرسل معه بني إسرائيل: مطلقا إياهم من الاستعباد. **١٠٥**

أمر إن كان جاء بآية دالة على صدقه فليأت بها إن كان -فيما يدعي- من الصادقين. **١٠٦**

فألقى -ﷺ على الأرض- عصاه، فإذا هي -فجأة- ثعبان ظاهر لمن يشاهد. **١٠٧**

ونزع يده -من جيبه أو من تحت إبطه كما قال تعالى ﴿ اسلُك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمُم إليك جناحك من الرهْب فذانِك برهانان من ربك إلى فرعون وملَئه ﴾ [القصص ٣٢]- فإذا هي -فجأة تخرج- بيضاء -تتلألأ نورا- للناظرين. **١٠٨**

أكد الرؤوس الأعيان من قوم فرعون -حاشية السوء، كذلك فعل هو كما قال تعالى ﴿ قال للمَلإ حوله إنَّ هذا لساحر عليم. ﴾ [الشعراء ٣٤]- إن هذا لساحر -حاشاه- غزير العلم بالسحر. **١٠٩**

يريد أن يخرجهم من أرضهم -بإخراج بني إسرائيل القائمين على خدمتها فتخرب فيستولي بهم عليها، كذلك زعم فرعون ومن حوله- فاستشارهم فيما ينبغي الأمر به. **١١٠**

أشاروا أن يؤخره وأخاه -هارون ﷺ، لا يفصل في أمرهما- ويرسل في مدن مصر جامعين. **١١١**

يأتوه -الجامعون، من مدن مصر- بكل ساحر غزير العلم بالسحر: لهزيمتهما ﷺ. **١١٢**

وجاء السحرة فرعون، سألوا إن لهم لثوابا -كجائزة- إن كانوا هم الغالبين؟ **١١٣**

أجاب بنعم -إن لكم لجائزة إن انتصرتم- وإنكم -حينئذ، مع جائزتكم، مني- لمن المقربين. **١١٤**

خيروا موسى -واثقين بالنصر- إما أن يبتدئ بإلقاء ما معه، وإما أن يكونوا هم المبتدئين. **١١٥**

تحداهم -ﷺ واثقا بنصر ربه، وليفتضح أمرهم مع علمه بأن السحر محرم- ألقوا، فلما ألقوا سحروا أعين الناس -فقلبوها عن صحة إدراكها، وأدخلوا في قلوبهم الرهبة- وجاءوا بسحر -في أعين الناس- عظيم. **١١٦**

فائدة! السحرة -وإن اتصلوا بمردة الجن- ما هم إلا عبيد للمال وخدم للسلطة الطاغية، هدفهم -كما هو حال إعلامي السلطان وعلماء الطواغيت اليوم- خداع الناس لإحراز الأموال والمناصب.

ويَخدَعُ ساحِرٌ عَبدٌ لِمالٍ ... وسُلطانٍ جَهولًا، لا يُنيرُ

وأوحى الله إلى موسى أن يلقي عصاه، فإذا هي -فجأة، بعد إلقائها وانقلابها ثعبانا- تلتهم ما يقلبون: إذ خيلوا لمن يشاهد أن ما ألقوه صار يتحرك. **١١٧**

فائدة! جعل الله آية كل رسول من جنس ما برع فيه من أرسل إليهم، لتقوم عليهم الحجة دامغة.

تَحدَّى ربُّنا الخَلْقَ العَنيدَ ... فكُلٌّ في مَهارتِهِ كَسيرُ

فوقع الحق -وظهر جليا لكل مشاهد- وتبين بطلان ما كان يعملون من سحر. **١١٨**

فغلبوا في هذا المقام -فانهزم السحرة وفرعون والرؤوس الأعيان من قومه- وعادوا أذلة مجبرين. **١١٩**

وألقي السحرة -إذ أيقنوا: ما هذا بسحر، لله- ساجدين. **١٢٠**

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟
أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
* وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾
فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟
هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ
مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾
لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ
إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا
وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ
وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ
أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ
لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾
قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ
عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

أقروا بإيمانهم برب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. **١٢١**
رب موسى وهارون: مؤكدين أنه المستحق للطاعة والعبادة وحده دون سواه. **١٢٢**
أنكر -فرعون- أن آمنوا بالله وبما جاء به موسى ﷺ، قبل أن يأذن لهم! زاعما أن هذا -الإيمان قطعا- مكر مكروه -فتآمروا معه ﷺ، إذ هو بزعمه كبير السحرة كما قال تعالى ﴿ قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ﴾ [طه ٧١ ۞ الشعراء ٤٩]- في مصر ليخرجوا منها أهلها -فيجمع بعضهم ثم يستولي بهم عليها- فسوف يعلمون: أيهما أشد عذابه، ما توعدهم به ﷺ كما قال تعالى ﴿ لا تفتروا على الله كذبا فيُسحتكم بعذاب ﴾ [طه ٦١] أم ما سوف يلاقون منه. **١٢٣**
أقسم -متوعدا- ليقطعن أيديهم وأرجلهم من خلاف -يد من جهة ورجل من الأخرى- ثم ليصلبنهم أجمعين. **١٢٤**
ردوا بأن -لا ضرر من عذاب دنيوي- جميعهم إلى رب الخلائق عائدون: ليجازي كلا بما قدم. **١٢٥**
وأضافوا -غير آبهين بفرعون وتهديده، وكاشفين سريرته- أن ما يكره منهم إلا أن آمنوا بآيات ربهم الدالة على صدق موسى ﷺ لما جاءتهم، داعين ربهم أن يصب عليهم صبرا متواصلا لا ينفد، ويتوفاهم مسلمين -لله- منقادين: مستسلمين له وحده ثابتين على دينهم، لا يتبدل حالهم حتى الموت. **١٢٦**
وسأل الرؤوس الأعيان من قوم فرعون -يحرضونه- أتترك موسى وقومه ليفسدوا في أرض مصر -بزعمهم، بالدعوة لدينهم وتفريق أهلها- ويتركك وآلهتك: لا يعبدك، حيث كان التافه يزعم أنه إله كما قال تعالى ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ [القَصص ٣٨]؟ أكد أن سيداومون على قتل الذكور من أبنائهم واستبقاء إناثهم أحياء ليخدمنهم، وأنهم فوقهم بالقهر والغلبة عالون. **١٢٧**
فائدة! دأب المنتفعين من سلطة ظالمة تحريضها على أهل الإصلاح، ولا سيما الحريصين منهم على دين الناس، لأن في استفاقة الناس ومعرفة حقوقهم وواجباتهم الشرعية تهديد لمصالح المنتفعين.
أمُنتفِعٌ وسُلطانٌ ظَلومٌ ... لِيَبقى مُلكُهُم يؤذى الخُيُورُ؟
أمر موسى قومه أن يستعينوا -على طلب الآخرة وعلى ما سيصيبهم في الدنيا- بالله ويصبروا على طاعته وأقداره، مؤكدا أن الأرض لله -ليست لأحد غيره- يورثها -بعد إهلاك من عليها- من يشاء من عباده، والعاقبة -والنهاية الحسنة في الدنيا والآخرة- للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه. **١٢٨**
أخبروه أن أوذوا -بقتل الذكور من أبنائهم واستبقاء الإناث أحياء للخدمة، وبالعمل الشاق- من قبل أن يأتيهم -برسالة ربهم- ومن بعد ما جاءهم، واساهم راجيا ربهم -بلطفه- أن يهلك عدوهم -فرعون ومن والاه- ويستخلفهم في الأرض -عمارا وسكانا لها- فينظر كيف يعملون: أشكرا يكون أم يكفرون؟ **١٢٩**
ولقد أخذ الله أهل فرعون وأتباعه بالجدب والقحط ونقص الثمار والمزروعات -أصابهم بذلك- رجاء أن يذكروا: حالهم قبل جحودهم بآيات الله ظلما وعنادا، رغم يقينهم بصدق موسى ﷺ كما قال تعالى ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعُلُوًّا ﴾ [النمل ١٤]، فيتعظوا ويؤمنوا بربهم. **١٣٠**

فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ
يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ
مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا
عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ
ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾
وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا
عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ
وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ
ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا
مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا
غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ
مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ
رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا
مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

فإذا جاءهم الأمر الحسن -رزقا كان أو صحة أو غيرهما- زعموا أن لهم هذا -استحقوه لأنهم له أهل- وإن يصبهم أمر سيئ يتشاءموا بموسى ومن معه -من بني إسرائيل، زاعمين أنه قد حل بهم بسببهم- ألا إنما شؤمهم -هو بسبب كفرهم، وهو ملازم لهم، وهو من- عند الله، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن كل أمر خيرا كان أو شرا إنما يحدث بقضاء الله وقدره. ١٣١

وأخبروه أن مهما يأتهم به من آية -معجزة، لصرفهم عما هم عليه- ليسحرهم بها -لما عاينوا ما أتاهم به ظنوا أنه عليه السلام حاشاه ساحر، وكانوا يعظمون السحرة- فما هم له بمطمئنين ولا مصدقي نبوته. ١٣٢

فأرسل الله عليهم الطوفان -فأغرق زرعهم- والجراد -أسرابا، فأكل محاصيلهم- والقمل -فأصاب الزرع أو شعور البشر- والضفادع -فأزعجتهم، وملأت أوعيتهم، فأفسدت أطعمتهم وأشربتهم- والدم -فغدت مياههم دما، وقيل الدم الرعاف- آيات -معجزات- مبينات للحق مستوفيات لتفاصيل حياتهم -يتبع بعضها بعضا، ليرتدعوا- فاستكبروا -عن توحيد الله- وكانوا قوما مجرمين مستحقين للعقاب. ١٣٣

ولما وقع عليهم العذاب المستحق -بذلك الذي أرسله الله عليهم، وقيل أصيبوا بطاعون- سألوا موسى أن يدعو لهم ربه بما أخبرهم عن عهده إليه -أنه رافع عذابه إن آمنوا- مقسمين لئن رفع -ربه، بسبب دعائه عليه السلام- عنهم العذاب المستحق ليطمئنن له ويصدقوا نبوته، وليرسلن معه بني إسرائيل. ١٣٤

فلما رفع الله عنهم العذاب المستحق -رفعا مؤقتا- إلى أجل قدر بقاءهم إليه إذا هم -فجأة- ينكثون: لم يوفوا بشيء مما وعدوا موسى عليه السلام به، لا هم صدقوا نبوته، ولا هم أطلقوا معه بني إسرائيل. ١٣٥

فانتقم الله منهم وعذب، فأغرقهم سبحانه في الماء -بعد أن أوحى إلى موسى عليه السلام أن يسير بقومه بني إسرائيل، معلما أنه سيمكنه من شق طريق لهم في البحر، ومطمئنا ألا يخاف أن يدركهم فرعون ومن معه، ولا يخشى غرقا كما قال تعالى ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يَبَسًا لا تخاف دَرَكًا ولا تخشى. فأتبعهم فرعون بجنوده فغَشِيَهم من اليَمِّ ما غَشِيَهم. ﴾ [طه ٧٧ ٧٨]- بسبب أنهم كذبوا بآياته سبحانه -التي أفحمهم بها موسى عليه السلام- وكانوا عنها -وعما دلت عليه من حق بين ظاهر لا لبس فيه- غافلين: فتكذيبهم بها جعلهم بمثابة الغافلين عنها. ١٣٦

وأورث الله القوم الذين كانوا يستضعفون -بني إسرائيل- مشارق أرض الشام ومغاربها التي بارك الله فيها كما قال تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ [الإسراء ١] -بجعلها منازل صالحين، وبسريان الأنهار وإخراج الثمار على أكمل وجه، بل وأورث ذريتهم الأرض زمن سليمان عليه السلام- وأتم ربك أيها النبي الكريم وعده ووعيده الحسن على بني إسرائيل -كما قال تعالى ﴿ ونريد أن نَّمُنَّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ﴾ [القَصص ٥]- بسبب صبرهم على طاعته وأقداره -فأجاب سبحانه رجاء موسى عليه السلام كما قال تعالى ﴿ قال عسى ربكم أن يُهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض ﴾ [الأعراف ١٢٩]- ودمر سبحانه ما كان يصنع فرعون وقومه -من أبنية وقصور- وما كانوا -من مزارع وبساتين- يعرشون. ١٣٧

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ
عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا
لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ
مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ
أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم
مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ
أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ
مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ
وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ
مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ
سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ
رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ
ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا
تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ
أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣

وجاوز الله ببني إسرائيل البحر -بأن أوحى إلى موسى عليه السلام أن يضربه بعصاه كما قال تعالى ﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فِرق كالطَّود العظيم. ﴾ [الشعراء ٦٣]، فعبروه- فأتوا على قوم -مروا بديارهم- يقيمون على عبادة أصنام لهم، سأل بنو إسرائيل موسى أن يجعل لهم -صنما ليتخذوه- إلها كما لهؤلاء آلهة! أكد أنهم قوم يجهلون أن عاقبة طلبهم هذا نار الآخرة. ١٣٨

فائدة! البقاء في الذل يشوه النفوس، حتى طلب بنو إسرائيل صنما يعبدونه بعد نجاتهم من فرعون!

وَلَسنا مِثلَكُم أهلَ الخُنوعِ ... يَهودٌ شُوِّهوا، فالذُّلُّ قِيرُ

فائدة! الشرك قد يقع من الصالحين من حيث لا يدرون إن هم اقتدوا أو أرادوا التشبه بالكفار كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه ﴿ أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: ﴿ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾، والذي نفسي بيده، لتركبن سنة من كان قبلكم. ﴾ [الترمذي ٢١٨٠ * أحمد ٢١٨٩٧].

تَشَبَّهَ بالكوافِرِ واقتَدى مَنْ ... يُقَلِّدُ غَيرَ واعٍ، فاستَجيروا

أخبرهم أن -عابدي الأصنام- هؤلاء هالك مدمر ما هم فيه، وباطل -لشركهم- ما كانوا يعملون. ١٣٩

سألهم -مستنكرا موبخا، بعد أن عاينوا كل هذه المعجزات- أغير الله يلتمس لهم إلها؟ وهو -سبحانه، بإهلاك أعدائهم واستخلافهم في الأرض- أعطاهم زيادة على أهل زمانهم؟ ١٤٠

واذكروا -يا بني إسرائيل- إذ أنجاكم الله من أهل فرعون وأتباعه الذين كلفوكم وأذاقوكم أسوأ العذاب: داوموا على قتل الذكور من أبنائكم واستبقاء إناثكم أحياء ليخدمنهم، وفي ذلك -العذاب والإهانة، كذلك في نجاتكم- بلاء من ربكم عظيم: فالاختبار ليس مقصورا على الشر بل قد يكون بالخير كما قال تعالى ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء ٣٥]. ١٤١

وواعد الله موسى ثلاثين ليلة -قيل هي ذو القعدة- وأتممها سبحانه بعشر -قيل عشر ذي الحجة- فتم موعد ملاقاة ربه أربعين ليلة -ضربها له، ليتم إنزال التوراة- وأمر موسى أخاه هارون أن يخلفه في قومه -إلى أن يعود إليهم- ويصلح -أمرهم، ويرفق بهم، ولا يطيع عاص- ولا يسلك طريق المفسدين. ١٤٢

ولما جاء موسى لموعد ملاقاة الله -في المكان والزمان المحددَين- وكلمه ربه -بما كلمه به من أوامر ونواه وغير ذلك- سأل ربه أن يريه -نفسه- ينظر إليه، أخبره أن لن -يستطيع عليه السلام، في الدنيا أن- يراه، ولكن لينظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه -لم يتزلزل- فسوف يراه، فلما تجلى ربه للجبل -فأظهر قيل من نوره جزءا يسيرا كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ عن النبي ﷺ في قوله عز وجل: ﴿ فلما تجلَّى ربه للجبل ﴾ قال: فأومأ بخنصره، قال: فساخ. ﴾ [الترمذي ٣٠٧٤ * أحمد ١٣١٧٨]- جعله كسرا -بالأرض مفتتا- وسقط موسى زائلا عقله كأنما ضرب بصاعقة، فلما أفاق نزه الله وقدسه مؤكدا أن تاب إليه -عن سؤال ما لا ينبغي له- وأنه أول المؤمنين من قومه في عصره. ١٤٣

أعلم موسى أنه -سبحانه- اصطفاه على الناس -المعاصرين لـه- برسالاته، وبكلامه -دون وسيط- من ثم أمره فليأخذ ما أعطاه -سبحانه، من شرف عظيم- ويكن -على منته عليه- من الشاكرين. ١٤٤
وكتب الله له في الألواح -التوراة- من كل شيء -يحتاجون في أمور دينهم ودنياهم- موعظة، وتفصيلا لكل شيء -يحتاجون إلى تفصيله- من ثم أمره فليأخذها -التوراة- بجد واجتهاد وحزم ويعمل صابرا على طاعته، ويأمر قومه يأخذوا بأحسنها -وأكملها ثوابا، كالإتيان بالفرائض على أتم وجه والعفو عند المقدرة ونحو ذلك- مخبرا أن سيريهم هلاك ومنازل ومصير الفاسقين الخارجين عن طاعته. ١٤٥
فائدة! على المؤمن أن يأخذ بالأحسن والأكمل ما استطاع إلى ذلك سبيلا كما قال تعالى ﴿ واتَّبِعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم ﴾ [الزُّمَر ٥٥].

ولمْ نَبخَلْ بأحسَنِ ما لدَينا ... بأكمَلِ ما استَطعتُم فلتَسيروا

سيصرف الله -فيمنع ويصد- عن آياته -فلا يفهم المنزلة ولا بها يؤمن، ولا يعتبر بالكونية والعقلية كما قال تعالى ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق ﴾ [فُصِّلَت ٥٣]- الـذين يتكبرون -على الحق وعلى الخلق- في الأرض بغير الحق، وإن يروا كل آية -منزلة أو كونية أو عقلية- لا يؤمنوا بها، وإن يروا طريق الرشاد والصواب لا يسلكوه طريقا، وإن يروا طريق الغواية والخطأ يسلكوه طريقا، ذلك -الاتباع للباطل- بسبب أنهم كذبوا بآياته سبحانه، وكانوا عنها -وعما دلت عليه من حق بين ظاهر لا لبس فيه- غافلين: فتكذيبهم بها جعلهم بمثابة الغافلين عنها. ١٤٦
والذين كذبوا بآياته سبحانه -منزلة كانت أو كونية أو عقلية- ولقاء -الله في- الآخرة فسدت أعمالهم -الصالح منها، كالصدقة ونحوها، ولكفرهم لا يثابون عليها في الآخرة- هل يجزون -يوم الحساب- إلا بحسب ما كانوا -في الدنيا، من كفر وآثام- يعملون؟ ١٤٧
واتخذ قوم موسى من بعد خروجه لمناجاة ربه مما معهم من حلي تمثال عجل له صوت كخوار البقر -إلها- ألم يعلموا -يقينا- أنه -لا روح فيه، وإن كان يخرج صوتا دون حرف- لا -يقدر أن- يكلمهم، ولا يوفقهم أو يرشدهم طريقا فيه خير لهم: إذ لا يدفع ضررا ولا يجلب نفعا كما قال تعالى ﴿ فأخرج لهم عجلا جسدا له خُوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنَسِي. أفلا يَرَون ألَّا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعا. ﴾ [طه ٨٨ ٨٩]؟! اتخذوه -إلها- وكانوا ظالمين لأنفسهم بذلك. ١٤٨
فائدة! من أنكر أن الله يتكلم -بصوت وحرف- فقد أنكر إحدى خصائص الألوهية.

ومَنْ يُنكِرْ كلامَ اللهِ فاهجوا ... أما يَرضى بما قالَ القديرُ؟

ولما تحيروا -وندموا على ما فعلوا بعد عودة موسى ﷺ إليهم، فقد ظلوا يعبدون العجل حتى رجع كما قال تعالى ﴿ قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى. ﴾ [طه ٩١]- وعلموا -يقينا- أنهم -عن الحق- قد ضلوا أقسموا -متضرعين إلى الله وحده لا شريك لـه، مستغيثين به سبحانه- لئن لم يرحمهم ربهم بأن يشرع لهم توبة ويغفر لهم ما فعلوا ليكونن من الهلكى الخاسرين. ١٤٩

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي
فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمْ
دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا
وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ
ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَلِقَآءِ ٱلْأٓخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ
عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ
وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾
وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن
لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى
مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟
يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ
وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ
غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾
وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا
هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ
قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ
رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى
مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

ولما رجع موسى إلى قومه غضبان محزونا -فقد أخبره الله كما قال تعالى ﴿ قال فإنا قد فتنَّا قومك من بعدك وأضلَّهم السامري. ﴾ [طه ٨٥]- ذم ما فعلوه من بعد خروجه، سألهم -مستاء- أتعجلوا سخط ربهم؟ أسئموا من انتظار أمره؟ وألقى الألواح -التوراة- وأخذ برأس أخيه يجره إليه -من الشعر، لظنه أن هارون عليه السلام لم ينكر عليهم- أخبر -هارون عليه السلام مستلينا موسى عليه السلام- ابن أمه أن القوم استضعفوه وكادوا يقتلونه -فلم يستطع الإنكار عليهم أكثر مما فعل- فطلب ألا يشمت به الأعداء -لئلا يفرحوا بإهانته، فهذا مما يستعاذ منه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء. ﴾ [البخاري ٦٦١٦ * مسلم ٢٧٠٧ * النسائي ٥٤٩٢ * أحمد ٧٣٥٥]- ولا يجعله مع القوم الظالمين لأنفسهم بعبادة العجل، فيعامله معاملتهم. ١٥٠
دعا ربه أن يغفر له ولأخيه -فقد أنكر- ويتغمدهما برحمته، وهو -سبحانه- أرحم من كل راحم. ١٥١
فائدة! من آداب الدعاء البدء بالدعاء للنفس قبل الدعاء للغير.

ونَدعو ربَّنا، كُلٌّ لِيبدأْ ... بِذاتِ النَّفسِ قَدْ دَلَّ الغفورُ

إن الذين اتخذوا العجل -إلها- سينالهم غضب من ربهم -فسيأمرهم سبحانه بقتل أنفسهم كما قال تعالى ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾ [البقرة ٥٤]، قيل بأن يقتل من لم يعبد العجل من عبده- وذل وتصاغر في الحياة الدنيا، ومثل ذلك الجزاء يجزي الله المفترين عليه الكاذبين. ١٥٢
والذين عملوا السيئات -وإن أشركوا- ثم تابوا من بعدها -مقرين بذنوبهم، نادمين عليها، عازمين على الإقلاع عنها، مؤدين لحقوق عباد الله حيثما وجدت- وآمنوا -بالله وحده لا شريك له، فانتهى كل من أشرك عن شركه- إن ربك أيها النبي الكريم من بعدها لواسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بهم. ١٥٣
ولما سكت عن موسى الغضب وسكن أخذ الألواح -التي ألقاها وهو غاضب- وفيما كتب فيها هداية من الضلال ورحمة للذين يرهبون ربهم، ومن أجل ربهم -سبحانه، ليس رياء- يرهبون. ١٥٤
فائدة! ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ أن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: لا تغضب، فردد مرارا، قال: لا تغضب. ﴾ [البخاري ٦١١٦ * الترمذي ٢٠٢٠ * أحمد ٨٧٤٤].

مِرارًا قالَ لا تَغضبْ نَبيُّ الـ ... هُدى، وصَّى بِذاكَ فلا تَفوروا

واختار موسى -من- قومه -أخيارهم- سبعين رجلا لموعد ملاقاة الله -في المكان والزمان المحددَين، قيل ليعتذروا مما فعل قومهم- فلما أخذتهم الرجفة -زلزلة، قيل لأنهم لم ينهوا قومهم عن منكر عبادة العجل، وقيل غير ذلك- تضرع إلى ربه ذاكرا أن لو شاء -سبحانه- أهلكهم من قبل وإياه -عليه السلام- من ثم تساءل -مستعطفا ربه- أتهلكنا بسبب ما فعل السفهاء خفاف العقول منا؟ ليست هي إلا فتنتك -واختبار منك- تضل بها من تشاء -عن الحق- وتوفق وترشد من تشاء -فهم عبادك- مقرا أنه متولي أمورهم، فطلب منه المغفرة لهم والرحمة، وهو -سبحانه- خير وأفضل من كل غافر. ١٥٥

۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ
إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي
وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ
فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ
عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ
عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ
ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧
قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي
لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ
فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ وَمِن
قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩

وسأل أن يجعل لهم في هذه الدنيا حسنة -يكرمهم بالتوفيق للأعمال الصالحة وبالعافية والرضا بالرزق- وفي الآخرة -بما أعد لأهل الصلاح من ثواب- إنهم تابوا إليه ورجعوا -مقرين بتقصيرهم- أجاب بأن عذابه يصيب به من يشاء -ممن استحقه- ورحمته شملت كل شيء -في الدنيا والآخرة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة. ﴾ [البخاري ٦٠٠٠ * مسلم ٢٧٥٢ * الترمذي ٣٥٤١ * ابن ماجة ٤٢٩٣ * أحمد ٩٦٠٩]- فسيجعلها -في الآخرة خالصة- للذين يتقون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويخرجون الزكاة الواجبة في أموالهم، والذين هم بآياته سبحانه -المنزلة والكونية والعقلية- يؤمنون. ١٥٦
الذين يتبعون الرسول النبي -العربي- الذي لا يقرأ ولا يكتب -بل جاء بوحي من ربه: محمد ﷺ- الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة -كما جاء على لسان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ﴿ أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا. ﴾، وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا. ﴾ [البخاري ٢١٢٥ * أحمد ٦٦٢٢]- والإنجيل، يأمرهم بما دل الشرع والعقل على حسنه وينهاهم عما دلا على قبحه، ويحل لهم -بوحي من الله- الطيبات -من مآكل ومشارب ومناكح وثياب ومعاملات- ويحرم عليهم -بوحي من الله- الخبائث -القذرة والمضرة والداعية للكبر، كلحم الخنزير والربا وإسبال الثياب- ويزيل عنهم أعباءهم الشاقة -التي بها كلفوا- والأغلال التي كانت عليهم -تقيدهم، كقتل النفس مع التوبة عن الشرك- فالذين آمنوا به وعظموه ونصروه -على من يعاديه- واتبعوا النور الذي أنزل معه -فأقاموا القرآن والسنة- هؤلاء هم الفائزون الباقون في النعيم الدائم، الناجون من المهالك. ١٥٧
توجه أيها النبي الكريم بالخطاب إلى الناس: إنك رسول الله إليهم جميعا -عربهم وعجمهم، أرسلك- الذي له ملك السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، لا معبود بحق سواه، يحيي الخلائق ويميتها، فآمنوا بالله ورسوله النبي -العربي- الذي لا يقرأ ولا يكتب -بل جاء بوحي من ربه: محمد ﷺ- الذي يؤمن بالله -وحده لا شريك له- وكلماته -التي أنزلها عليه وعلى من سبقه من رسله- واتبعوه، رجاء أن تهتدوا وتعملوا بما أنزل وتسلكوا الطريق القويم. ١٥٨
ومن قوم موسى جماعة -مستقيمة- يهدون بالحق -الناس، ويدعون إليه، تفضل الله عليهم بذلك لما صدقوا بآياته تصديقا تاما جازما لا يتخلله ريب، وصبروا على طاعته وأقداره كما قال تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل. وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمَّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون. ﴾ [السجدة ٢٣ ٢٤]- وبه يعدلون ويحكمون. ١٥٩

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ
مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ
فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ
ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾
وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا
حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا
نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾
فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ
لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ
حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ
كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

وقسم الله بني إسرائيل اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولد من ذرية يعقوب عليه السلام، وأوحى سبحانه إلى موسى حين سأله قومه أن يتضرع إلى الله ليسقيهم حين نال منهم العطش أن يضرب بعصاه الحجر، فتدفقت منه اثنتا عشرة عينا -من الماء، بعدد قبائلهم، قيل ثلاثة عيون من كل جهة، وقيل قل التدفق بسبب ذنوبهم- قد علم كل أناس -قبيلة- محل شربهم -حدده سبحانه لهم لئلا يتزاحموا فيتنازعوا- وظلل الله عليهم بالسحاب الساتر، وأنزل الله عليهم المَنّ -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه ﴿ الكمأة من المَنّ الذي أنزل الله على موسى وماؤها شفاء للعين. ﴾ [البخاري ٤٤٧٨ * مسلم ٢٠٤٩ * الترمذي ٢٠٦٧ * ابن ماجة ٣٤٥٤ * أحمد ١٦٢٥] بغير مجهود منهم- وطيرا صغيرا طيب لحمه، كلوا من طيبات ما رزقكم الله -مباح لكم- وما ظلموا الله -وما أنقصوا من ملكه شيئا- ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بجحود نعم ربهم وعدم شكرها، فاستجلبوا العقاب، وزالت النعم. **١٦٠**
واذكر أيها النبي الكريم حين أمروا أن يسكنوا هذه القرية -قيل أنها بيت المقدس، وقيل غير ذلك- ويأكلوا منها حيث شاءوا -مباح لهم- ويسألوا أن تحط عنهم ذنوبهم، ويدخلوا باب البلدة في انحناء وتواضع وذل -إن امتثلوا أوامره- يغفر الله لهم أخطاءهم، سيزيد سبحانه المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق ثوابا على إحسانهم. **١٦١**
فبدل الذين ظلموا منهم أنفسهم بالكفر والاستهزاء بأوامر الله كلاما غير الذي أمروا به -فجاءوا بكلام مهمل لا معنى له من تلقاء أنفسهم، ودخلوا يزحفون على أدبارهم عوضا عن الدخول الذي به أمروا- فأرسل سبحانه عليهم عذابا مستحقا من السماء بسبب ظلمهم أنفسهم بالاستهزاء بأوامره. **١٦٢**
وسل اليهود أيها النبي الكريم -مذكرا موبخا- عن -أهل- القرية التي كانت بقرب البحر، حين كانوا -أسلاف اليهود الذين تخاطبهم- يعتدون في -يوم- السبت -فيتحايلون للصيد فيه وقد حرم الله عليهم ذلك- حين -اختبرهم الله، فكانت- تأتيهم أسماكهم يوم سبتهم ظاهرة -على وجه الماء- وفي أيامهم غير السبت لا تأتيهم، مثل ذلك الابتلاء يبلوهم الله -مختبرا- بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعته: فتحايلوا فكانوا ينصبون الشباك ويحفرون الحفر لتوقع بالأسماك يوم السبت، ثم الأحد يجمعونها. **١٦٣**
فائدة! التحايل على شرع الله اعتداء قد يفضي إلى المعاجلة بعقاب في الدنيا كما قال تعالى ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدَوا منكم في السبت فقُلنا لهم كونوا قردة خاسئين. ﴾ [البقرة ٦٥].

تَجاوزَ حدَّ ربِّ الناسِ عَبدٌ ... تَحايلَ فاعتَدى، بِئسَ المصيرُ

فائدة! عاقب الله قوما بالمسخ لأنهم تحايلوا على شرعه لصيد بعض الأسماك، فهلا اتعظ من يتحايل على شرعه -بل ويضع أقوالا ينسبها إليه أو إلى رسله!- ليضل الناس ويدجنهم لمن يحكم بغير شرعه؟

عَسى ربُّ البَريَّةِ أنْ يَمُدَّ ... عذابًا لِّلمُضِلِّ بِهِ يُبِيرُ

فائدة! الابتلاء قد يكون بسبب الخروج عن طاعة الله، والرسوب حينئذ في الاختبار مؤذن بالهلاك.

إذا أمرٌ أصابَكُمُ اصطِبارٌ ... وإنْ كُنتُم عُصاةً فاستَديروا

وحين سألت جماعة منهم -من القرية، لم يعصوا ولكن لم ينهوا عن المنكر، سألت من ينهى العصاة المتحايلين- لماذا تأمرون قوما محذرين -من التحايل للصيد يوم السبت- الله -كما تخبرونهم، إن لم ينتهوا- مهلكهم؟ أو معذبهم عذابا شديدا؟ أجابوهم بأن معذرة إلى ربهم -يفعلون هذا لئلا يعاقبهم، فالنهي عن المنكر قد أمر الله به- ورجاء أن يتقيه العصاة بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. ١٦٤

فلما نسوا ما ذكروا به -فتركوا ما أمرهم ربهم به- أنجى الله الذين ينهون عن القبائح، وأخذ الله الذين ظلموا أنفسهم بالتحايل -وبالسكوت، ربما- بعذاب قاس بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعته. ١٦٥

فائدة! الصلاح دون سعي جاد للإصلاح ليس يضمن نجاة من الهلاك كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين زينب ﵂ ﴿ يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث ﴾ [البخاري ٣٣٤٦ ★ مسلم ٢٨٨٠ ★ الترمذي ٢١٨٧ ★ ابن ماجة ٣٩٥٣ ★ أحمد ٢٧٤١٣]، فتأمل.

ومَنْ لا يُصلِحوا فَقَدوا الأمانَ ... سُكوتُ الصالحينَ هوَ الثُّبورُ

فلما تكبر المتحايلون -عن الرجوع- عما نهوا عنه عاقبهم الله بجعلهم قردة أذلاء صاغرين. ١٦٦

وحين أعلم ربك أيها النبي الكريم بوضوح ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة -مسلطا- من يكلفهم ويذيقهم أسوأ العذاب -سل اليهود عن هذا- إن ربك لسريع العقاب -يعاقب العصاة يوم القيامة، وهو آت وكل آت قريب، وقد يعاجل بعقوبة في الدنيا- وإنه لواسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. ١٦٧

وقسمهم سبحانه في الأرض جماعات -مشتتا أمرهم- منهم الصالحون -القائمون بحقوق الله والعباد- ومنهم دون ذلك -معتدلون لا يتجاوزون الحدود ليسوا أهل صلاح، وكذلك أهل عصيان- وبلاهم الله بالرخاء والشدة -مختبرا، فالابتلاء يكون بالخير كما يكون بالشر- رجاء أن يرجعوا: إلى الحق. ١٦٨

فخلف من بعد هؤلاء أقوام -سوء- ورثوا التوراة -يقرؤونها ولا يعملون بها- يأخذون الذي يعرض لهم هذا من منافع دنيئة في الدنيا -ليحرفوا كلام الله ويحكموا بغير ما أنزل- ويزعمون -ممنين أنفسهم- أن سيغفر لهم! وإن يأتهم ما يعرض لهم من منافع مثلها -دنيئة زائلة- يأخذوها -مرة تلو الأخرى، ليحرفوا ويحكموا بالآراء والأهواء، غير مبالين بعقوبة- ألم يؤخذ عليهم عهد التوراة الثقيل ألا ينسبوا إلى الله إلا الحق؟ ودرسوا ما في التوراة وما أخذ عليهم: فلم يكن فعلهم عن جهل؟ والدار الآخرة خير -من دنيا فانية- وأفضل للذين يتقون بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، أفلا تنتفعون بعقولكم؟! ١٦٩

والذين يتمسكون بالكتب -السماوية، فيلتزمون بما أنزل الله، عاملين بشرعه حاكمين به- وأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأداموها بشروطها إن الله لا يضيع سبحانه ثواب -المغيرين للفساد- المصلحين. ١٧٠

فائدة! ترك الصلوات المفروضة -تكاسلا كان أو غير ذلك، وإن لم يجحد تاركها وجوبها- كفر كما ورد عن النبي ﷺ من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي ﵁ ﴿ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر. ﴾ [الترمذي ٢٦٢١ ★ النسائي ٤٦٣ ★ ابن ماجة ١٠٧٩ ★ أحمد ٢٢٩٣٧].

ومَنْ يَترِكْ صلاةَ فُروضِ ربِّي ... فهذا كافِرٌ ولهُ السعيرُ

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٦٤
فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ
وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ١٦٥
فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ
سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٦٧
وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ
دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ١٦٨ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ
يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن
يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ
أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦٩ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٧٠

۞ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ
خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا
بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ
يَرۡجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ
مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا
لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ
يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ
ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ
فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

وحين اقتلع الله الجبل ورفعه فوق أسلافهم كأنه سحابة تظلهم، وظنوا -بل أيقنوا- أنه واقع بهم -ساقط عليهم إن عصوا، سل اليهود عن هذا، حينئذ أمرهم- خذوا ما أعطاكم سبحانه -التوراة- بجد واجتهاد وحزم واعملوا صابرين على طاعته، واذكروا ما فيه -من ثواب وعقاب، واقرؤوا وتعلموا واتبعوا- رجاء أن تتقوه -فتوحيد الله وإخلاص النية في العمل وقاية من عقابه- بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. **١٧١**

واذكر أيها النبي الكريم حين أخرج ربك بني آدم منه -ﷺ- من ظهره ذريته، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ أجابوا ببلى، شهدنا: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان -يعني عرفة- فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا، قال: ﴿ ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنَّا عن هذا غافلين ﴾ ﴿ أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنَّا ذُرِّيَّة من بعدهم أفتُهلكنا بما فعل المُبطلون. ﴾ ﴾ [أحمد ٢٤٥٥]، كراهة أن تزعموا يوم القيامة أنكم كنتم عن هذه الحقيقة غافلين: غير منتبهين. **١٧٢**

أو تزعموا أنما أشرك أسلافكم من قبل -زمانكم- وكنتم ذرية من بعدهم -فقلدتموهم فيما عاشوا عليه، لم تحدثوا شركا، فتسألوا ربكم يوم القيامة- أفتهلكنا بسبب ما فعل -أسلافنا- المتبعون باطلا؟ **١٧٣**

فائدة! أودع الله في فطرة الإنسان ما يرشده إلى وحدانيته سبحانه، فأقام عليه بذلك حجة.

كما يُهدى الرضيعُ إلى نِجادٍ ... على توحيدِهِ فَطَرَ الخبيرُ

ومثل ذلك الشرح والتفصيل يفصل الله الآيات ويبينها، ورجاء أن يرجعوا: إلى الحق. **١٧٤**

واقرأ أيها النبي الكريم على الكفار خبر الذي أعطاه الله آياته سبحانه -فتعلم كتبه وعرف منها الحق، كاليهود والنصارى: عرفوا صفة النبي ﷺ في كتبهم- فانسلخ منها -نازعا نفسه عن العمل بها- فأتبعه -ليلحقه، ويتسلط عليه- الشيطان، فكان من الممعنين في الضلال المنقادين للهوى. **١٧٥**

فائدة! العلم الشرعي بغير عمل نافع يستعاذ منه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه ﴿ اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها. ﴾ [مسلم **٢٧٢٢** * النسائي **٥٥٣٨**].

نَعوذُ بربِّنا مِنْ كُلِّ عِلمٍ ... بلا عملٍ كما ذَكَرَ النَّذيرُ

ولو شاء الله لرفعه سبحانه بسببها -منزلة، فلوفقه للعمل بآياته- ولكنه سكن إلى الأرض -مؤثرا دنياه- واتبع هواه -فظل على ضلاله- فمثله -هذا المنسلخ من آيات الله، إن تنصحه يضل أو تتركه يضل- كمثل الكلب، إن تطرده يلهث أو تتركه يلهث، ذلك -المثل- مثل القوم الذين كذبوا بآياته سبحانه -فلم يعملوا بما علموا- فاقصص -هذا- القصص -خاصة على أهل الكتاب- رجاء أن يتفكروا. **١٧٦**

سيئ مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، وأنفسهم كانوا يظلمون: فما ضر تكذيبهم إلا أنفسهم. **١٧٧**

من يوفق الله ويرشد فهو المهتدي -إلى الحق- ومن يضلل فهؤلاء هم بالغو الخسران الهالكون. **١٧٨**

ولقد خلق الله وكثر لجهنم كثيرا من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون بها -ما ينفعهم- ولهم أعين
لا يبصرون بها -آياته الكونية والعقلية، كما قال تعالى ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى
يتبيَّن لهم أنه الحق ﴾ [فُصِّلَت ٥٣]، فيعتبرون- ولهم آذان لا يسمعون بها -آياته المنزلة، سماعَ وعي
وفهم وانتفاع- هؤلاء كالأنعام -من إبل وبقر وغنم، يأكلون ويشربون ويتزاوجون، ولا عقول لهم- بل هم
أضل -إذ خالفوا ما خلقهم الله من أجله كما قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ﴾
[الذاريات ٥٦]- هؤلاء هم الغافلون: المتناهون في الغفلة عما ينفعهم من إيمان وتقوى وعبادة. **١٧٩**
ولله الأسماء -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ؓ ﴿ إن لله تسعة وتسعين اسما، من
أحصاها دخل الجنة. ﴾ [البخاري ٢٧٣٦ ★ مسلم ٢٦٧٧ ★ الترمذي ٣٥٠٨ ★ ابن ماجة ٣٨٦٠ ★
أحمد ٧٥٠٢]- الحسنى -دالة على جلاله وكماله- فادعوه -أيها المسلمون، وتوسلوا إليه، وعظموه-
بها، واتركوا الذين يميلون عن الحق في أسمائه -بتغييرها: كمن يجعل "الله" "اللات"، أو بتحريف
معانيها أو بجعلها لغير الله أو بنفيها عنه أو بتشبيه غيره بها- سيجزون ما كانوا يعملون من كفر. **١٨٠**
فائدة! الدعاء بأسماء الله الحسنى الأنسب للسؤال -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين
عائشة ؓ ﴿ يا رسول الله، أرأيت إن وافقت ليلة القدر، ما أدعو؟ قال: تقولين: اللهم إنك عفو تحب
العفو، فاعف عني. ﴾ [الترمذي ٣٥١٣ ★ ابن ماجة ٣٨٥٠ ★ أحمد ٢٥٤٩٥]- أدعى للإجابة.

بأسماءِ المُجيبِ الحُسنَياتِ ... بأنسَبِها لِنَدعُ، فلا تَجوروا

ومِمن خلق الله جماعة -مستقيمة- يهدون بالحق -الناس، ويدعون إليه- وبه يعدلون ويحكمون. **١٨١**
والذين كذبوا بآيات الله سيستدرجهم سبحانه غافلين: بإدرار النعم عليهم ليتمادوا فيما هم عليه. **١٨٢**
ويمهلهم الله -فيؤخر عنهم عقابه فيزدادوا كفرا فتزداد العقوبة- إن مكائد الله -بهم- متينة شديدة. **١٨٣**
أولم يتفكر هؤلاء: في شأنه ﷺ؟! ليس بصاحبهم -الذي عرفوا، محمد ﷺ- أي جنون -يظهر ذلك
إذا تذكروا خصاله ﷺ وتفكروا متجردين من الأهواء- ليس هو إلا نذير واضح للعصاة بالعقاب. **١٨٤**
أولم ينظروا -معتبرين- في ملك وسلطان السماوات والأرض -فيستدلوا على وحدانية الله- وما خلق الله
من أشياء: تدل على عظيم قدرته؟ وأن لعلها تكون قد اقتربت آجالهم: فيؤمنوا، قبل أن يموتوا كفارا؟!
فبأي حديث بعده -إن لم يأخذوه على محمل الجد، وبأي كتاب بعد الذي احتواه- يؤمنون؟! **١٨٥**
من يضلل الله فلا موفق له ولا مرشد، ويتركهم -سبحانه- في طغيانهم -وتجاوزهم- يتخبطون. **١٨٦**
يسألك المشركون -مستهزئين- وأهل الريبة -شاكين- واليهود أيها النبي الكريم عن الساعة متى رسوها:
فتقوم القيامة؟ أخبرهم أنما علمها عند ربك -قد استأثر به- لا يجليها لوقتها -فيظهرها أو يأتي بها في
وقتها- إلا هو، ثقلت على السماوات والأرض لعظم ما يحدث فيها وعلى قلوب أهلهما لخفاء علمها
عنهم، لا تأتيكم -أيها الخلق- إلا على غرة دون مقدمات، يسألونك كأنك عالم بها مستقص عنها!
أخبرهم أنما علمها عند الله -قد استأثر به- ولكن أكثر الناس لا يعلمون استئثاره سبحانه بذلك. **١٨٧**

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ
بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ
ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ
سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ
وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم
مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ
يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾
أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ
مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ
بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ
فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

قُلْ لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ
أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ
إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا
تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا
ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَـٰلَى
ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ
أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ
أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ
بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ
بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

أخبرهم أن لا تستطيع جلب نفع لنفسك ولا دفع ضرر عنها، إلا ما شاء الله -فله وحده جلب النفع ودفع أو إلحاق الضرر- ولو كنت تعلم الغيب لاستكثرت من الخير -وتعرضت له أينما وجد- وما نالك ما يسوء -فلتلافيته جميعه- لست أنت إلا نذير للعصاة بالعقاب وبشير لقوم يؤمنون بك بالثواب. **١٨٨**

فائدة! لا يجوز قصد النبي ﷺ أو دعاؤه لجلب نفع أو دفع ضرر، ولا يجوز التوسل بميت ولا غائب، ويجوز التوسل بدعاء الصالحين كما جاء على لسان عمر بن الخطاب ﷺ من حديث أنس بن مالك ﷺ ﴿ أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون. ﴾ [البخاري ١٠١٠].

ولمْ نُشرِكْ نَبيًّا بالمُجيبِ ... ويَدعو صالحٌ ربًّا يُجيرُ

هو الذي خلقكم -أيها الناس- من نفس واحدة -آدم ﷺ- وجعل منها زوجها -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع ﴾ [البخاري ٣٣٣١ * مسلم ١٤٦٨ * أحمد ١٠٤٤٨]- ليأنس إليها، فلما جامع زوج زوجته حملت حملا خفيفا -من مني زوجها- فاستمرت بحمله، فلما صارت ذات ثقل -وقد تبين الحمل في بطنها- دعا الزوجان الله ربهما لئن أعطاهما -ولدا- صالحا -صحيحا سالما- ليكونن من الشاكرين. **١٨٩**

فلما أعطاهما -ولدا- صالحا -صحيحا سالما- جعلا له شركاء فيما أعطاهما -فبدلا فطرة الولد وذهبا به إلى الشرك كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ﴾ [البخاري ١٣٥٨ * مسلم ٢٦٥٨ * أبو داود ٤٧١٤ * الترمذي ٢١٣٨ * أحمد ٧١٨١] ولم يشكرا نعمة ربهما- فتباعد الله وارتفع عما يشرك الخلق به. **١٩٠**

أيشركون -بالله- ما لا يخلق شيئا، وهم -كسائر الخليقة: عباد- يتم خلقهم؟! **١٩١**

ولا يستطيعون لعابديهم نصرا -أي نصر، يسألون طواغيت لا قيمة لها! بل- ولا أنفسهم ينصرون. **١٩٢**

وإن تدعوهم -أيها المشركون- سائلين التوفيق والإرشاد -إلى الصواب- لا يتبعوكم -بأي إجابة- سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون: دعاؤكم إياهم وعدمه سواء، فهم طواغيت لا قيمة لها. **١٩٣**

إن الذين تدعون -والدعاء عبادة- من دون الله عباد أمثالكم -فكلكم خلق الله مملوكون لـه، وأنتم أولى بالنفع من الجمادات منهم من أصنام وأوثان كقبر البدوي وغيره، فأنتم أحياء!- فادعوهم -على سبيل الإنذار لا التخيير- فليستجيبوا لكم، إن كنتم صادقين في زعمكم أن الشرك بالله قد ينفع. **١٩٤**

ألهم -ولا سيما الجمادات منهم، كالأصنام والأوثان كالقبور ونحو ذلك- أرجل يمشون بها: في نفع أنفسهم فضلا عن نفعكم؟ أم لهم أيد يبطشون بها: ويضربون، فضلا عن الدفع عنكم؟ أم لهم أعين يبصرون بها: ما لا تبصرون أنتم، فيخبروكم بما غاب عنكم؟ أم لهم آذان يسمعون بها: ما لا تسمعون أنتم، فيخبروكم بما لم ينته إليه سمعكم؟ تحداهم أيها النبي الكريم أن يدعوا شركاءهم -وليستعينوا إن أرادوا بكل من أشركوهم بالله- ثم يدبروا لك المكائد -هم وشركاؤهم، جميعا- ولا يمهلوك. **١٩٥**

إن متولي أموري أيها النبي الكريم الله الذي نزل الكتب -السماوية، ومن جملتها القرآن، أخبرهم، فمن يخافهم وطواغيتهم؟ وأين ما نزلوا من كتب؟- وهو -سبحانه، بالحفظ والرعاية- يتولى الصالحين. **١٩٦**
والذين تدعون وتعبدون من دونه لا يستطيعون نصركم -بل- ولا أنفسهم ينصرون. **١٩٧**
وإن تدعوهم -أيها المشركون- سائلين التوفيق والإرشاد -إلى الصواب- لا -ولن- يسمعوا، وتراهم أيها النبي الكريم -مشركين جهلة- ينظرون إليك -وأنت تنصحهم- وهم لا يبصرون ما فيه صالحهم. **١٩٨**
خذ الزيادة -ما تيسر من أخلاقهم كما جاء على لسان عبد الله بن الزبير ﵄ ﴿ أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس ﴾ [البخاري ٤٦٤٤ ★ أبو داود ٤٧٨٧]، فلا تشق عليهم ولا تكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، واقبل ما تيسر وسمحوا به من أموالهم: كان ذلك قبل فرض أنصبة الزكاة- ومر بأقوال وأعمال حسنة طيبة بحسب ما تعارفوا عليه مما لا يخالف شرع الله، وأعرض عن الجاهلين لا تبال بهم: فلا تقابل جهلهم بجهل إذا أنت أقمت عليهم الحجة وأمرتهم بالمعروف فلم يأتمروا. **١٩٩**
وإما تحسسن -أيها المؤمن- بأدنى وسوسة من الشيطان يريد إفسادا بينك وبين عباد الله فاستعذ بالله -ملتجئا إليه- إنه سميع لكافة ما يقول عباده -ومن جملة ذلك استعاذتهم به، أفيلجأ بعد ذلك إلى غيره عاقل؟- عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. **٢٠٠**
إن الذين اتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه إذا نالهم طائف من الشيطان -متعرضا لهم بوسوسته، أو أخذهم غضب- تذكروا -ربهم- فإذا هم مبصرون: لمواقع الزلل، يهم أحدهم بذنب، أو يغضب، فيتذكر ربه فيبصر ما هو مقدم عليه فيتركه، وإذا وقع ذنب تذكر ربه فأبصر وتاب ولم يتمادى. **٢٠١**
وإخوانهم -شياطين الجن- يمدون إخوانهم -شياطين الإنس- في الغواية والخطأ -فيزيدوهم ضلالا- ثم -عن غوايتهم وإضلالهم- لا يمسكون: كذلك لا يمسك شياطين الإنس عن اقتراف الآثام. **٢٠٢**
وإذا لم تأتهم أيها النبي الكريم بآية -بسبب عدم نزول الوحي عليك- اقترح المشركون -مستهزئين- أن تضعها وتختلقها، أخبرهم أنما تتبع ما يوحى إليك من ربك -فأنت لا تأتي بآيات من تلقاء نفسك- هذا -القرآن- بينة ساطعة من ربهم، وهداية من الضلال ورحمة لقوم -به وبالسنة- يؤمنون. **٢٠٣**
وإذا قرئ القرآن -في الصلاة أو في غيرها- فاستمعوا -أيها المسلمون- له وأنصتوا -لا تشغلوا بغيره، ولا تتكلموا- رجاء أن تدركوا رحمة ربكم فتفوزوا. **٢٠٤**
واذكر ربك أيها النبي الكريم -وكل فرد من أمتك- في نفسك -مخلصا له- تضرعا -وتذللا، بلسانك- وخوفا -بقلبك- ودون الجهر من الكلام -وسطا بين رفع الصوت وخفضه كما قال تعالى ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تُخافِت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ [الإسراء ١١٠] مداوما على ذكره، ولا سيما- أول النهار وآخره، ولا تكن -عن ذكر ربك- من الغافلين: بل كن خاشعا متدبرا حاضر القلب. **٢٠٥**
إن الذين عند ربك -من ملائكة، مع منزلتهم الرفيعة- لا يستكبرون عن عبادته -بل ينقادون لأوامره سبحانه- وينزهونه ويقدسونه، وله -وحده دون سواه- يسجدون. **٢٠٦**

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ
وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ
وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ
وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ
مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ
فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ
لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ
قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ
وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ
فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ
فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ
وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَۤ۩ ﴿٢٠٦﴾

سُورَةُ الأَنفَالِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ١ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥
يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ
وَهُمْ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ
ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٧
لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ٨

★ سورة الأنفال ★

★ مدنية ★

يسألونك أيها النبي الكريم عن الغنائم، أخبرهم أن الغنائم لله والرسول -يضعها حيث يأمر الله- فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأصلحوا الحال بينكم -فاتركوا التشاحن، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبادة بن الصامت ﷺ ﴿ فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء، يقول: على السواء. ﴾ [أحمد ٢٢٧٤٧]- وأطيعوا الله ورسوله -في الظاهر والباطن- إن كنتم غير كاذبين في ادعاء الإيمان بأحكامه. ١

إنما المؤمنون -كاملو الإيمان هم- الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم -خوفا منه، سبحانه- وإذا قرأت عليهم آياته زادتهم إيمانا -فالإيمان يزيد وينقص- وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أحوالهم. ٢

الذين يؤدون الصلاة ويظهرون هيئتها ويديمونها بشروطها، ومما رزقهم الله -فيما أوجبه كالزكوات وعلى من تلزمهم مؤونتهم، وفيما استحسنه كالصدقة ونحوها، في طاعته طلبا لمرضاته- ينفقون. ٣

هؤلاء هم المؤمنون -كاملو الإيمان- حقا -إذ جمعوا بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح- لهم مراتب -رفيعة، متفاوتة بحسب أعمالهم- عند ربهم، ومغفرة، ورزق كريم: الجنة. ٤

فائدة! الإيمان يزيد وينقص -فينبغي تنميته- يزيد بعمل الطاعات، وينقص بتركها وباقتراف الآثام.

يَزيدُ ويَنقصُ الإيمانُ نَمُّوا ... بِطاعاتٍ يؤدِّيها الأجيرُ

كما -نزع الغنائم من أيدي المؤمنين حين اختلفوا وما ظلمهم حاشاه- أخرجك ربك أيها النبي الكريم من بيتك -المدينة، للقاء المشركين يوم بدر- بالحق، وإن فريقا من المؤمنين -للقتال- لكارهون. ٥

يجادلونك في الحق -لكونهم ليسوا على أهبة القتال- بعد ما تبين -أن القتال هو الحق الذي ارتضاه الله لهم وما ظلمهم حاشاه- كأنما يساقون إلى الموت وهم -إلى مقتلهم عيانا- ينظرون. ٦

فائدة! الجدال محله عند اشتباه الحق والتباس الأمر، أما إذا تبين الحق فلا يكون إلا اتباعه.

جدالٌ لا يَجوزُ إذا تَبدَّى ... لنا الحقُّ التَزِمنا، فاستَنيروا

واذكروا -أيها الكارهون للقتال- حين يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم -فإن وعده واقع: العير أو النفير تظفرون بإحداهما، عير قريش وما تحمله قافلة أبي سفيان، أو قتال مشركي قريش والنصر عليهم- وتحبون وتتمنون أن الظفر -بالعير: غنيمة صافية- دون احتكام لسلاح يكون لكم، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته -التي قد وعدكم بها، ويظهر الإسلام ويعلي دعوته، فأظفركم بالنفير، فقتلتم صناديدهم وأسرتم الكثير، وغنمتم أموالهم التي أعدوها لحربكم- ويستأصل الكافرين إلى آخرهم بالإهلاك. ٧

ليحق الحق -بنصر أهله فتعلو دعوته- ويبطل الباطل -ليندثر كما قال تعالى ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ [الأنبياء ١٨]- ولو كره المجرمون مستحقو العقاب ذلك. ٨

اذكروا -أيها المؤمنون- حين تستغيثون ربكم، فاستجاب لكم -دوما يفعل، مطمئنا- أنه ممدكم بألف من الملائكة متتابعين: يوم بدر كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب ﵁ ﴿ نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين، وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه من منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك إنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني مُمِدُّكم بألف من الملائكة مُردِفين. ﴾ ﴾ [مسلم ١٧٦٣ ٭ الترمذي ٣٠٨١ ٭ أحمد ٢٠٨]. **٩**

وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشرى -لتفرحوا- ولتطمئن به قلوبكم -فلا تجزع، ولا تهتم بعدد العدو ولا بعدته- وما النصر إلا من عند الله -ليس بالأسباب المادية المجردة- إن الله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **١٠**

اذكروا حين يغمركم ويغطيكم النعاس، أمنا منه -سبحانه، كما كان يوم بدر- وينزل عليكم من السماء مطرا ليطهركم به -من الحدثين الأصغر والأكبر- ويذهب عنكم وساوس الشيطان -فلا تلين همتكم- وليربط على قلوبكم -بجعلها قوية محتسبة لتثبتوا- ويثبت به الأقدام: ويلبد الأرض الرملية تحتها. **١١**

اذكر أيها النبي الكريم حيث يوحي ربك إلى الملائكة أنه معهم بالعون والتأييد -آمرا: يوم بدر- فليثبتوا الذين آمنوا -بحضور القتال معهم، وتبشيرهم- سيلقي الله في قلوب الذين كفروا الرعب، فاضربوا -أيها الملائكة والمؤمنون- الأعناق وما فوقها، واضربوا منهم -ليتعطلوا عن القتال- كل مفصل وطرف. **١٢**

ذلك -الضرب- بسبب أنهم خالفوا الله ورسوله، ومن يخالف الله ورسوله فإن الله شديد العقاب له. **١٣**

ذلك -العقاب العاجل في الدنيا- فذوقوه -الآن، أيها المخالفون لله ورسوله- وأن للكافرين -مؤجلا في الآخرة، من مات على كفره- عذاب النار: أيقنوا أيها الناس بذلك. **١٤**

يا أيها الذين آمنوا إذا قابلتم الذين كفروا للقتال متقاربي الصفوف فلا تولوهم الظهور فارين. **١٥**

ومن يولهم يومئذ ظهره فارا إلا منعطفا إلى موقع آخر في القتال أو منضما إلى جماعة -مسلمة لتعينه داخل القتال، أو خارج القتال إن كان المسلمون أقل من نصف عدد الكفار وغلب الظن أن مصيرهم إن استمر القتال هو الهلاك- فقد رجع بغضب قد استحقه من الله ومستقره جهنم، وبئس المصير. **١٦**

فائدة! الفرار من الزحف بغير عذر معتبر شرعا من أكبر الكبائر كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات. ﴾ [البخاري ٢٧٦٦ ٭ مسلم ٨٩ ٭ أبو داود ٢٨٧٤ ٭ النسائي ٣٦٧١].

نُلاقي مَنْ يُعادينا شِدادًا ... ونَثبُتُ لا نَفِرُّ ولا نَخورُ

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ
مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ
رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟
فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ
شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ وَإِن
تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ
وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْۖ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ
وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

فلم تقتلوهم -أيها المؤمنون، يوم بدر بحولكم أو بقوتكم- ولكن الله -بعونه وتأييده لكم- قتلهم، وما رميت أيها النبي الكريم حين وحيث رميت، ولكن الله رمى -فبعونه وتأييده أوصل ما رميتهم به مؤثرا- وليختبر المؤمنين منه اختبارا حسنا -فينجحوا فيه، فيظهرهم على عدوهم، ويوصلهم بالجهاد إلى أعلى المراتب فعل ذلك- إن الله سميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. **١٧**
ذلك -كله إنعام من الله- وأن الله موهن مكائد الكافرين: لتصير ضعيفة، أيقنوا أيها الناس بذلك. **١٨**
إن تستفتحوا -أيها المشركون، سائلين الله النصر على النبي ﷺ ومن معه كما جاء على لسان عبد الله بن ثعلبة رضي الله عنهما ﴿ أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة، فكان المستفتح. ﴾ [أحمد ٢٣٦٦١]- فقد جاءكم الفتح! وإن تنتهوا -عما أنتم عليه من كفر وقتال للمؤمنين، وعن الاستفتاح على أنفسكم، فقد يمهلكم الله فتؤمنوا- فهو خير لكم وأفضل، وإن تعودوا -إلى كفركم وقتال المؤمنين، أو إلى الاستفتاح على أنفسكم- يعد الله -فيسلط عليكم المؤمنين وينصرهم كما فعل يوم بدر- ولن تنفعكم ولن تغني عنكم جماعتكم شيئا، ولو كثرت -عددا وعدة- وأن الله مع المؤمنين بالعون والتأييد: أيقنوا أيها الناس بذلك، ومن أعانه الله وأيده فهو المنصور. **١٩**
فائدة! معية الله بعلمه وقدرته عامة شاملة لجميع خلقه كما قال تعالى ﴿ وهو معكم أين ما كنتم ﴾ [الحديد ٤]، ومعيته سبحانه المقتضية للعون والتأييد خاصة بأهل الإيمان كما قال تعالى ﴿ إنَّ معيَ ربي سيهدين ﴾ [الشعراء ٦٢]، وتكون بقدر ما قام به المؤمن من أعمال الإيمان، فإن قصر ضعفت.

مَعِيَّةُ ربِّنا عَونٌ لنا ما ... ظَلَلْنا مؤمنينَ هَدى النَّصيرُ

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله -في الظاهر والباطن- ولا تعرضوا عنه متنحين وأنتم تسمعون: آياته سبحانه يقرأها عليكم ﷺ، وحججه يأتيكم بها. **٢٠**
ولا تكونوا كالذين أقروا أن سمعوا -بآذانهم: مشركين ومنافقين وأهل كتاب- وهم لا يسمعون: سماع وعي وفهم وانتفاع، لكن تقوم عليهم الحجة بما سمعوا. **٢١**
إن شر الكائنات الدابة وأسوأها عند الله -في حكم ربهم- الصم -الذين لا يسمعون سماع وعي وفهم وانتفاع- البكم -الذين لا ينطقون بخير- الذين لا ينتفعون بعقولهم: فلم يحرصوا على تعلم الدين. **٢٢**
ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم -سماع وعي وفهم وانتفاع- ولو أسمعهم لأعرضوا متنحين -فلا نعذر من سمع بنبي يدعو للتوحيد، بزعم أن الدعوة وصلته مشوهة!- وهم معرضون عن الدين منصرفون. **٢٣**
يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم -ملبين دعوته، من التزام بالدين وانقياد للشرع، وجهاد به تدفعون وتطلبون أعداءكم- واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه -بالموت، أو بجعله إن شاء غير قادر على طاعته إن أراد أن يطيعه- وأنكم إليه تصيرون ليجازيكم بأعمالكم. **٢٤**
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة -فقد يتعدى عقابه ويعمكم إن تركتم الواجب فلم تنهوا الذين ظلموا أنفسهم عما يقترفون من منكر، فاحذروا!- واعلموا أن الله شديد العقاب لمن عصاه. **٢٥**

واذكروا -أيها المهاجرون- حيث أنتم قليلو العدد مستضعفون في أرض مكة تخافون أن ينتزعكم الناس
-المشركون- بسرعة من دياركم ويستلبوكم، فآواكم -وأسكنكم المدينة- وقواكم بنصره -على الأعداء-
وأيدكم، ورزقكم من طيبات المآكل وغيرها -ومن جملتها الغنائم التي قد أحلها لكم كما قال تعالى
﴿ فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ﴾ [الأنفال ٦٩]- رجاء أن تشكروه على نعمه ورحمته بكم. **٢٦**
يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول -فتدخلوا النقصان على الفرائض والسنن- وتخونوا أماناتكم
-فتدخلوا النقصان على حقوق الله أو حقوق عباده وما اؤتمنتم عليه- وأنتم تعلمون أنكم تخونون. **٢٧**
واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة -فلكونهم من أكثر ما تحبون كما قال تعالى ﴿ المال والبنون زينة
الحياة الدنيا ﴾ [الكهف ٤٦] يختبركم الله بهم، فلا تخونوا الأمانات، وآثروا أداء حقوق الله وعباده وما
عليه اؤتمنتم على أموالكم وأولادكم- وأن الله عنده -لمن أطاعه- ثواب عظيم: أيقنوا بذلك. **٢٨**
فائدة! خيانة الأمانة إحدى العلامات الدالة على النفاق كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه ﴿ آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان. ﴾ [البخاري **٣٣** ★
مسلم **٥٩** ★ الترمذي **٢٦٣١** ★ النسائي **٥٠٢١** ★ أحمد **٨٦٨٥**].

علاماتُ النِّفاقِ وإنَّ مِنها ... خياناتٌ إذا اؤْتُمِنَ الحَقيرُ

يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يجعل لكم فرقانا -تفترقون بقلوبكم الثابتة
وبصائركم الثاقبة بين الحق والباطل، وينفك أي التباس قد يطرأ عليكم- ويستر عنكم سيئاتكم ويتجاوز
عنها، ويغفر لكم، والله ذو الفضل العظيم: فلله الفضل والمنة. **٢٩**
واذكر أيها النبي الكريم حيث يمكر بك الذين كفروا -فتآمروا- ليحبسوك أو يقتلوك أو يخرجوك -من
بلدك- ويمكرون ويمكر الله -بهم جزاء على تآمرهم، فنجاك ونصرك- والله خير الماكرين وأفضلهم. **٣٠**
وإذا تقرأ عليهم آيات الله -المنزلة في قرآنه- أكدوا أن قد سمعوا -بآذانهم، وأنهم سمعوا نظير لها قبل
ذلك، وزعموا أن- لو يشاءون لصنفوا مثل هذا -القرآن، بزعمهم- إن هذا إلا أباطيل الأمم السابقة. **٣١**
واذكر حين دعوا الله إن كان هذا -الذي تقرأ عليهم- هو الحق من عنده فليسقط عليهم حجارة من
السماء كالمطر، أو يأتهم بعذاب أليم. **٣٢**
فائدة! حال المتكبرين واحد في كل عصر ومصر، فيهم من السفه والغباء ما تعجز الأقلام عن وصفه،
ألم يكن أفضل لهم أن يدعوا الله أن يهديهم إلى الحق أيًّا كان مصدره؟!

ومَنْ يَستكبروا سُفَهاءُ قَومٍ ... تَكَبُّرَ كافِرٍ مَقَتَ الصَّبورُ

وما كان الله ليعذبهم -بعذاب يستأصلهم- وأنت أيها النبي الكريم فيهم -حي مقيم بين أظهرهم- وما
كان الله معذبهم وهم يطلبون المغفرة: منه سبحانه، وحده لا شريك له، مداومين على ذلك. **٣٣**
فائدة! المداومة على الاستغفار من موانع وقوع العذاب.

وداوَمْنا على استِغفارِ ربِّي ... عذابًا يَمنَعُ المَلِكُ الغفورُ

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ
ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ
وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ
وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا
هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ
فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ
فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ
ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟
فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

وأي شيء يمنعهم من أن يعذبهم الله، وهم يصدون -النبي ﷺ ومن معه- عن المسجد الحرام -كما فعلوا عام الحديبية- وما كان مشركو قريش أولياء الله ولا الأولى ببيته الحرام؟ ما أولياء الله والأولى ببيته الحرام إلا المتقون الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون ذلك. **٣٤**

فائدة! صد المسلمين عن المسجد الحرام إثم عظيم اقترفه مشركو قريش، وأعظم منهم جرما وإثما من جعل من المسجد الحرام فخا يتصيد فيه مرتاديه ويسلمهم إلى من يقتلهم أو يسومهم سوء العذاب.

وهذا مُجرمٌ جَعَلَ الطَّوافَ ... بكعبةِ ربِّنا فَخًّا! فثُوروا!

وما كان صلاتهم عند البيت الحرام إلا صفيرا وتصفيقا -اعتبروه صلاة، وشغلوا المؤمنين بأصواتهم عن العبادة- فذوقوا العذاب -أيها المشركون: يوم بدر، ثم في القبر، ثم في الآخرة- بسبب كفركم. **٣٥**

إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن طريق الله -والإيمان بنبيه- فسينفقونها -على تجهيز جيوش والإعداد لمحاربة المسلمين كما فعلوا يوم بدر وأحد والأحزاب وغيرهم، وعلى كل ما يصد الناس عن دينهم وطاعة ربهم والحكم بشرعه- ثم تكون -عاقبة إنفاقهم- عليهم حسرة -فيندموا لذهابها مع فوات المراد من إنفاقها- ثم يغلبون -فتأتي هزيمتهم في آخر الأمر، وينصر الله المؤمنين إذا صبروا على ابتلائه كما قال تعالى ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ [الروم ٤٧]- والذين كفروا -واستمروا على ما هم عليه من كفر- إلى جهنم -يوم القيامة- يصيرون. **٣٦**

فائدة! إنفاق الكفار على حرب الإسلام يذهب هباء، فهم لا يغلبوننا إلا إذا ابتعدنا عن ديننا والجهاد.

ويُنفِقُ فاسقٌ في حَربِ دِينٍ ... فإلَّا نَستَقِمْ غَلَبَ الكَفُورُ

ليميز الله الخبيث من الطيب -فينفصل الكافر عن المؤمن- ويجعل الخبيث -من أشخاص وأعمال وأموال- بعضه على بعض، فيركمه جميعا -فيكومه- فيجعله في جهنم -فيعذب الأشخاص بأعمالهم وأموالهم كما قال تعالى ﴿ يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتُكوى بها جِباههم وجُنوبهم وظُهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون. ﴾ [التوبة ٣٥]- هؤلاء هم بالغو الخسران الهالكون. **٣٧**

أخبر أيها النبي الكريم الذين كفروا إن ينتهوا -عن كفرهم، فيسلموا- يغفر لهم ما قد سبق -فالإسلام يهدم ما كان قبله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه ﴿ أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ ﴾ [مسلم ١٢١ ★ أحمد ١٧٧٧٧]- وإن يعودوا -إلى ما كانوا عليه من كفر- فقد مضت وعرفت سنة -الله في- الأمم السابقة: هلاك المكذبين، فليتوقعوا مصيرا مشابها ليوم بدر. **٣٨**

وقاتلوهم -أيها المؤمنون: طوائف الكفر كافة لا تتركوهم، أهل شرك كانوا أو أهل الكتاب أو غير ذلك- حتى لا تكون فتنة -تردكم عن دين الله وتصد غيركم- ويظهر دين الله على سائر الأديان الكفرية، فإن انتهوا -عن كفرهم فأسلموا- فإن الله بما يعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم. **٣٩**

وإن أعرضوا متنحين عن قبول الإسلام -مؤثرين الاستمرار على ما هم عليه من كفر وباطل- فاعلموا أن الله متولي أموركم -أوهو يعينكم تخشون غيره؟!- أحسن من يتولى الأمور -هو- وأحسن من ينصر. **٤٠**

واعلموا أنما غنمتم من شيء -قد أخذتموه من الكفار عنوة لا صلحا، قليلا كان أو كثيرا، إلا الأسرى الرجال يفعل الإمام فيهم ما يراه أصلح للمسلمين من قتل أو فداء أو استرقاق أو مَنّ أو ضرب جزية مع ترك في الذمة- فأن لله خمسه وللرسول -بعد وفاته ﷺ صاروا ينفقون منه على الجهاد وعدته- ولقرابته واليتامى والمساكين والأغراب المسافرين المنقطعة نفقتهم -وينفق الإمام من الخمس بقدر الحاجة في مصالح المسلمين العامة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه ﴿ ولا يحل لي من غنائمكم مثل هذا إلا الخمس، والخمس مردود فيكم ﴾ [أبو داود ٢٧٥٥] ولو في غير ما ذكر، وبقية الغنيمة للمجاهدين- إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل الله على عبده سبحانه -محمد ﷺ، من عون وتأييد بين- يوم الفرقان -فيه فرق بين الحق والباطل- يوم التقى الجمعان -أنتم ومشركو قريش يوم بدر فانقادوا لأمر الله في الغنائم- وقدرة الله مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك نصر من هم أقل عددا وعدة. ٤١
اذكروا حين أنتم بناحية الوادي الأقرب -إلى المدينة- وهم -مشركو قريش- بناحية الوادي الأبعد -مما يلي مكة- والركب -العير وما تحمله قافلة أبي سفيان- أسفل منكم -في مكان يلي ساحل البحر- ولو تواعدتم -أنتم وهم للقتال- لاختلفتم في الميعاد -وتعسر اللقاء- ولكن -الله جمع بينكم في بدر على غير تواعد- ليتم الله أمرا -نصر الدين وأهله- كان مفعولا -قد قضاه وقدره في الأزل- ليهلك من هلك عن بينة -إذ قامت الحجة على الجميع، فآمن من آمن وكفر من كفر- ويحيى من حي عن بينة -وقد ازدادت وضوحا- وإن الله لسميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ٤٢
اذكر أيها النبي الكريم حيث يريك مشركي قريش الله في منامك قليلي العدد، ولو أراكهم كثيري العدد -فأخبرت أصحابك- لفشلتم -وجبن أصحابك عن القتال- ولتنازعتم في الأمر: أتقاتلون؟ أم لا؟ ولكن الله سلم -فعصمكم من الفشل والتنازع- إنه عليم بكل ما في صدور الخلق من ثبات وجزع. ٤٣
واذكروا -أيها المؤمنون- حيث يريكم مشركي قريش حين التقيتم -للقتال- في أعينكم قليلي العدد، ويقللكم في أعينهم -فصار كل فريق يرى الآخر قليلا، فأقدم الجميع على القتال- ليتم الله أمرا -نصر الدين وأهله- كان مفعولا -قد قضاه وقدره في الأزل- وإلى الله ترجع أمور عباده ليقضي فيها. ٤٤
يا أيها الذين آمنوا إذا قابلتم جماعة -كافرة- للقتال فاثبتوا -لا تنهزموا ولا تتركوا مواقعكم، إلا منعطفين إلى موقع آخر في القتال، أو منضمين إلى جماعة مسلمة لتعينكم داخل القتال كما قال تعالى ﴿ ومن يولِّهم يومئذ دُبُره إلا مُتَحَرِّفا لقتال أو مُتَحَيِّزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ﴾ [الأنفال ١٦] أو خارج القتال إن كنتم أقل من نصف عددهم كما قال تعالى ﴿ الآن خفَّف الله عنكم وعلم أنَّ فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يَغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يَغلبوا ألفين بإذن الله ﴾ [الأنفال ٦٦] وغلب الظن أن مصيركم الهلاك كما فعل خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما عاد بالجيش يوم مؤتة متحيزا إلى المدينة- وأكثروا من ذكر الله ودعائه -تطمئن قلوبكم إن فعلتم كما قال تعالى ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد ٢٨]- رجاء أن تفلحوا -فتنتصروا، أو تستشهدوا- فيكون مصيركم الجنة. ٤٥

۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًاۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ
رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ
كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ وَإِذۡ زَيَّنَ
لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ
ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا
تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذۡ يَقُولُ
ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ
وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَلَوۡ
تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ
وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٥١﴾
كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٥٢﴾

وأطيعوا الله ورسوله -في الظاهر والباطن- ولا تنازعوا فتفشلوا -في القتال بل وفي كل شؤونكم- وتذهب قوتكم -فمآل الاختلاف في الرأي أن تنحل عزائمكم وتجبنوا- واصبروا على طاعة الله وأقداره -تنتصروا إن فعلتم، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس ﵄ ﴿ واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر ﴾ [أحمد ٢٨٠٣]- إن الله مع الصابرين بالعون والتأييد. ٤٦

ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم -مكة، لحماية قافلة أبي سفيان، فلما بلغهم أنها سلمت أصروا على استكمال المسير إلى بدر ليشربوا الخمر وتعزف المعازف- كفرانا بالنعمة وتبطرا ورئاء الناس -ليروا ويسمعوا بخروجهم، فيتحدث العرب بعددهم وعدتهم وقوتهم- ويصدون عن طريق الله -والإيمان بنبيه، غير منتهين- والله على علم تام وإحاطة كاملة بما يعملون في السر والعلن، وسيجازيهم بأعمالهم. ٤٧

فائدة! من لا يخلص نيته لله -كالذي يظهر أعماله تكبرا على العباد، أو مراءاة لهم وانتظارا لمدحهم- لا يوفقه الله، بل يفضحه ويخزيه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جندب بن عبد الله ﵁ ﴿ من سَمَّع سَمَّع الله به ومن يُرائي يُرائي الله به. ﴾ [البخاري ٦٤٩٩ * مسلم ٢٩٨٧ * الترمذي ٢٣٨١ * ابن ماجة ٤٢٠٧ * أحمد ١٨٨٠٨].

أيا مَنْ يَبتَغي غَيرَ المَليكِ ... تُرائي خَلْقَهُ: بِئسَ المصيرُ

واذكر أيها النبي الكريم حين زين لمشركي قريش الشيطان أعمالهم فاستحسنوا خداعه لهم، وأخبرهم -قيل جاءهم على صورة سراقة بن مالك، وقد يكون وسوس لهم كما قال تعالى ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك ﴾ [الحشر ١٦]- ألا غالب لهم اليوم من الناس -إذ بزعمه عددهم وعدتهم لا تسمح لأحد بالنصر عليهم- وأنه غوث لهم -لا يترك أحدا يغير على ديارهم إذا غزوكم، فخرجوا- فلما رأت كل جماعة الأخرى -أنتم وهم- ولى هاربا، وأكد أنه بريء منهم! إنه يرى ما لا يرون -ملائكة تنزل لتساندكم: معللا- إنه يخاف الله! والله شديد العقاب لمن عصاه. ٤٨

اذكر حيث يزعم المنافقون والذين في قلوبهم شك وشبهة -وهو ذات ما يقوم به منافقو العصر مع من يصاول أعداء الله! فتأمل- أن غركم دينكم وخدعكم -إذ جعلكم تقدمون على مستعظم الأمور بثبات من وعده الله نصرا أو شهادة، فخرجتم للقاء من لا قبل لكم بعدده وعدته- ومن يعتمد على الله وحده في جميع أحواله فإن الله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٤٩

ولو يرى الرائي حين يتوفى الذين كفروا الملائكة -بأمره سبحانه- يضربون وجوههم وأدبارهم -وما ذلك إلا بداية الأمر- وذوقوا عذاب التحريق في النار -يبشرونهم بذلك- لرأى أمرا هائلا مما آلوا إليه. ٥٠

ذلك -العذاب مستحق- بسبب ما اقترفت أيديهم -من كفر وآثام- وأن الله لا يظلم عبيده أبدا. ٥١

كحال وصنيع أهل فرعون وأتباعه والذين من قبلهم -من أمم كافرة كعاد وثمود وغيرهما هو حال هؤلاء وصنيعهم- كفروا بآيات الله -المنزلة والكونية والعقلية- فأخذهم الله -بعقابه- بسبب ذنوبهم -وكفرهم بآياته من جملتها- إن الله قوي غالب لا يقهر، شديد العقاب لمن كفر وعصى. ٥٢

ذلك -العذاب الذي حل بتلك الأمم- بسبب أن الله -عادته أن- لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم، حتى يغيروا ما بأنفسهم -من الإيمان والشكر إلى الكفر وكفران النعم، فإن تغير حالهم نـزع نعمه- وأن الله سميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها: حسابهم آت لا محالة. ٥٣
كحال وصنيع أهل فرعون وأتباعه والذين من قبلهم -من أمم كافرة كعاد وثمود وغيرهما هو حال هؤلاء وصنيعهم- كذبوا بآيات ربهم، فأهلكهم سبحانه بسبب ذنوبهم -وتكذيبهم بآياته من جملتها- وأغرق سبحانه أهل فرعون وأتباعه، وكل كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر ولغيرهم بالصد عن الإيمان. ٥٤
إن شر الكائنات الدابة وأسوأها عند الله -في حكم ربهم- الذين كفروا -وتمادوا- فهم لا يؤمنون. ٥٥
الذين عاهدت أيها النبي الكريم منهم -أكابر مجرميهم، أئمة الكفر- ثم ينقضون عهدهم في كل مرة -فدأبهم مخالفة أمر الله في وجوب الوفاء بالعهود- وهم لا يتقون بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه. ٥٦
فائدة! التمادي في الضلال يسلخ الكفار عن الإنسانية فيصيروا شر الدواب: لا يعقلون، بل ولا الفطرة يلتزمون، فما سمعنا عن بهائم "مثلية جنسيا" مثلا! ودأب أئمتهم خيانة العهود مع أهل الإيمان.

تَمادى في الضلالِ فصارَ شرًّا ... يحارِبُ فِطرَةً، والعَهدُ بُورُ

فإن أنت وجدتهم وتمكنت منهم في الحرب فنكل بهم أشد تنكيل حتى يسمع بهم من خلفهم -من أهل الكفر- رجاء أن يذكروا: ما حدث لبني قُرَيظة حين عاهدوك على ألا يعينوا على حربك فخانوا العهد يوم الأحزاب، فيتعظوا ويهابوا جانبك، ولا ينقضوا عهودهم معك، ولا يقدموا على حربك. ٥٧
وإن أنت خفت أيها النبي الكريم -والأمراء من بعدك- من قوم -معاهدين- خيانة -بقرينة أو أمارة تظهر لك ما يريبك- فاطرح -العهد- إليهم -معلما إياهم ولا تباغتهم قبل الإعلام بحرب، فهذا من الخيانة- حتى يتساوى الجميع في معرفة أن العهد قد نقض، إن الله لا يحب -بل يبغض- الخائنين. ٥٨
ولا يظنن الذين كفروا سبقوا وأفلتوا من عقاب الله، إنهم لا يفرون منه سبحانه: وإلى أين يذهبون؟! ٥٩
وأعدوا -أيها المؤمنون- لهم ما استطعتم من قوة -كل شيء يزيدكم قوة، من رأي وسلاح وتدريب وغير ذلك كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عقبة بن عامر ﷺ ﴿ ﴿ وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ﴾ [مسلم ١٩١٧ * أبو داود ٢٥١٤ * الترمذي ٣٠٨٣ * ابن ماجة ٢٨١٣ * أحمد ١٧٤٣٢]- ومن الخيل المرابطة نصرة لدين الله -وغير ذلك مما به تنتقلون وتغيرون- ترهبون بما أعددتم وبسببه أعداء الله وأعدائكم، وآخرين من غيرهم، لا تعلمونهم -ولا علم لكم بما يضمرون كذلك به ترهبونهم- الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء -قليلا كان أو كثيرا- في سبيل الله نصرة لدينه يعد نفعه عليكم -وتعطوا ثوابه يوم القيامة- وافيا، وأنتم -عنده- لا تظلمون. ٦٠
وإن مالوا إلى المسالمة فمل إليها أيها النبي الكريم -والأمراء من بعدك إن لم يكونوا في قوة، وإلا فكما قال تعالى ﴿ فلا تَهِنوا وتَدعوا إلى السَّلم وأنتم الأعلَون ﴾ [محمد ٣٥]- واعتمد على الله وحده في جميع أحوالك، إنه هو السميع لكافة ما يقول عباده، العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ٦١

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ
يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾
ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ
مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم
مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ
خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾
وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾
وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ
فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ
بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ
ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ
صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ
أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ
أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ
ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ
مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ
مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾

وإن يريدوا -فيكن غرضهم من الصلح- أن يخدعوك -بالإعداد لكم وانتظار فرصة سانحة للغدر بكم- فإن كافيك الله -خداعهم- هو الذي قواك بنصره -عليهم- وأيدك، وبالمؤمنين كذلك قواك وأيدك. **٦٢**

فائدة! لا يجوز عقد هدنة مؤبدة لازمة مع الكفار، لأن ذلك يفضي إلى ترك جهاد الطلب إلى الأبد.

نُهادِنُ إنْ رأينا، لا تَجوزُ ... مُوادعةٌ مؤبَّدةٌ تَجورُ

وألف بين قلوب المؤمنين -فجمعها على دينه، فأصبحوا إخوانا متحابين بعد أن كانوا أعداء كما قال تعالى ﴿ إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ [آل عمران ١٠٣]- لو أنفقت أيها النبي الكريم ما في الأرض جميعا -من أموال- ما ألفت بين قلوبهم -ولا استطعت أن توحدهم- ولكن الله ألف بينهم، إنه عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٦٣**

يا أيها النبي كافيك الله -شر العدو- ومن اتبعك -مهتديا بهديك- من المؤمنين كذلك كافيهم. **٦٤**

يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال -مرغبا فيه- إن يكن منكم -أيها المؤمنون- عشرون صابرون على طاعة الله وأقداره -ومن جملتها شدائد الجهاد- يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا، بسبب أنهم قوم لا يفقهون أن المجاهد عملا لآخرته منصور وليس كمن قاتل لدنيا. **٦٥**

الآن خفف الله عنكم، وأظهر علمه بأن فيكم ضعفا، فإن يكن منكم مائة صابرة على طاعته وأقداره -ومن جملتها شدائد الجهاد- يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ومشيئته -فلا يجوز لجيش المسلمين أن يفر من مثلَيه في العدد- والله مع الصابرين بالعون والتأييد. **٦٦**

ما صح لنبي أن يكون له أسرى، حتى يبالغ في قتل الكفار حيث لقيهم -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ لما كان يوم بدر فأخذ -يعني النبي ﷺ- الفداء أنزل الله عز وجل: ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يُثخن في الأرض ﴾ إلى قوله ﴿ لَمَسَّكم فيما أخذتم ﴾ من الفداء، ثم أحل لهم الله الغنائم. ﴾ [مسلم ١٧٦٣ * أبو داود ٢٦٩٠ * أحمد ٢٠٨]، ليوقنوا ألا حلول وسط- تريدون -أيها المؤمنون- ما يعرض لكم من منافع الدنيا -الزائلة، بما أخذتم من فدية أسرى أهل الكفر- والله يريد الآخرة -بنعيمها الدائم لكم، بما يدخره لكم من ثواب قتلهم وإلقاء الرعب في قلوبهم ليكفوا عن الصد عن دينه- والله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٦٧**

لولا فرض من الله سبق -إذ أوجب على نفسه ألا يعذب قبل أن يبين الحكم، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء فتأكلها، قال سليمان الأعمش: فمن يقول هذا إلا أبو هريرة الآن، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم، فأنزل الله: ﴿ لولا كتاب من الله سبق لَمَسَّكم فيما أخذتم عذاب عظيم. ﴾ ﴾ [الترمذي ٣٠٨٥ * أحمد ٧٤٣٣]- لنالكم من أجل ما أخذتم -من غنائم وفدية- عذاب عظيم. **٦٨**

فكلوا مما غنمتم -من الكفار، ومن جملة ذلك فدية أسراهم- حلالا طيبا -فقد أحله الله لكم، لا إثم فيه- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمتقين. **٦٩**

يا أيها النبي أخبر من -وقع يوم بدر- في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبهم خيرا -إن آمنوا وحسن إيمانهم وصلحت قلوبهم- يعطهم خيرا وأفضل مما أخذ منهم -من غنائم وفدية، ويعوضهم في الدنيا- ويغفر لهم -وكفى بها نعمة- والله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. **٧٠**

وإن يريدوا -فيكن غرضهم بما يظهرون من إيمان بك، على سبيل تدبير المكائد- خيانتك -فليس هذا بمستبعد منهم- فقد خانوا الله من قبل -فأشركوا به وقاتلوك- فأمكن منهم -يوم بدر، ونصرك عليهم- والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٧١**

إن الذين آمنوا وهاجروا -إلى حيث لا يفتنون في دينهم- وجاهدوا ببذل أموالهم وأنفسهم في سبيل الله نصرة لدينه، والذين آووا -وأسكنوهم ديارهم- ونصروا هؤلاء -مهاجرون وأنصار- بعضهم أولياء بعض -في النصرة والمعونة- والذين آمنوا ولم يهاجروا -من أراض فيها فتنة في الدين- ليس لكم من نصرتهم ولا معونتهم من شيء -ولا ميراثهم، ونسخت هذه- حتى يهاجروا، وإن طلبوا نصرتكم -على كفار أيها المؤمنون، فهم إخوة- في الدين فعليكم النصر -بكل سبيل قدر المستطاع- إلا على قوم -لم يبدؤوهم بقتال- بينكم وبينهم عهد ثقيل -سار- والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. **٧٢**

فائدة! الإقامة بين أهل الكفر وفي بلادهم محظور -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه ﴿ أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتناصح المسلمين وتفارق المشركين ﴾ [النسائي ٤١٧٧ ★ أحمد ١٩٢٣٨]- فلا يجوز لغير ضرورة، وعلى المسلم تجنب ما يفسد الدين كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ [التحريم ٦].

بَرِيءٌ مِنْ عِبادٍ لَمْ يُنيبوا ... أقاموا بينَ كفَّارٍ نَذيرُ

والذين كفروا بعضهم أولياء بعض -في النصرة والمعونة، فلا تنصروهم أيها المؤمنون، ولا تعينوهم- إلا تفعلوا ما تؤمرون به من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين تكن فتنة في الأرض -فيختلط الحق بالباطل- وفساد كبير: في الدين والدنيا، فلن يجد مسلم من يعينه نصرة للدين، وسيبتعد خلق عن الدين. **٧٣**

والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله نصرة لدينه، والذين آووا -وأسكنوهم ديارهم- ونصروا هؤلاء -مهاجرون وأنصار- هم المؤمنون -كاملو الإيمان- حقا، لهم مغفرة، ورزق كريم: الجنة. **٧٤**

والذين آمنوا من بعد -السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار- وهاجروا وجاهدوا معهم فهؤلاء منهم -تبعا للسابقين الأولين، ليسوا صدرا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها! فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ فقال: دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفقتم مثل أُحد -أو مثل الجبال- ذهبا ما بلغتم أعمالهم. ﴾ [أحمد ١٣٨١٢]، لهم النصرة والمعونة، وكمال الإيمان والمغفرة والجنة بإذنه سبحانه- وذوو القرابة بعضهم أولى ببعض في كتاب الله -قرآنه الذي قد نسخ التوارث بالإيمان والهجرة- وأحق، إن الله بكل شيء عليم، أعطى كل نفس حقها. **٧٥**

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ
فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ
مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ
وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ
بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ
وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ
بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ التَّوۡبَةِ

بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١
فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي
ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ
إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣
إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا
وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ
فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ
وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ
ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ وَإِنۡ أَحَدٞ
مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ
ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦

★ سورة التوبة ★

★ من أسمائها براءة والفاضحة، نزلت بالسيف عقابا، فلم يكتب أولها البسملة، وهي مدنية ★

براءة -هذه، التزموها أيها المؤمنون، واصلة- من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين. ١

فسيروا -أيها المشركون- في الأرض وتحركوا أربعة أشهر -آمنين خلال تلك المدة، ولا عهد لكم ولا أمان بعدها- واعلموا أنكم غير فارين من الله -بل هي مهلة، كي يسلم من أراد الله به خيرا- وأن الله -إن لم ينتهوا عما هم عليه من كفر- مذل الكافرين ومهينهم: في الدنيا بالقتل والجرح والأسر وسبي النساء والذراري وضياع الأموال، وفي الآخرة بالعذاب المذل المهين في النار. ٢

وإعلام واضح من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر -العاشر من ذي الحجة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين يوم النحر، تؤذن بمنى: ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله ﷺ عليا، فأمره أن يؤذن ببراءة ﴾ [البخاري ٣٦٩ ★ مسلم ١٣٤٧ ★ أبو داود ١٩٤٦ ★ النسائي ٢٩٥٨ ★ أحمد ٧٩٧٧]، وقيل الحج الأصغر العمرة- أن الله بريء من المشركين ورسوله بريء منهم، فإن تبتم -أيها المشركون- فهو خير لكم وأفضل -مما أنتم عليه- وإن أعرضتم متنحين عن الإسلام فاعلموا أنكم غير فارين من الله، وبشر الذين كفروا أيها النبي الكريم بعذاب أليم ينتظرهم. ٣

إلا الذين عاهدتم -أيها المؤمنون- من المشركين، ثم لم ينقصوكم شيئا -مما عاهدوا عليه- ولم يعاونوا عليكم أحدا -فهؤلاء مستثنون من مهلة الأربعة أشهر- فأدوا إليهم عهدهم تاما إلى -انقضاء- مدتهم -وإن زادت عن أربعة أشهر- إن الله يحب المتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه. ٤

فإذا انسلخ الأشهر الحرم -بانقضاء أربعة أشهر لغير المعاهدين وللمعاهدين الخائنين تبدأ من يوم النحر العاشر من ذي الحجة، وتمام مدة العهد للمعاهدين غير الخائنين إن زاد المتبقي منه عن أربعة أشهر- فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم -في أي مكان وزمان، حل أو حرم- وخذوهم -أسرى- وحاصروهم ورابطوا وترصدوهم، فإن تابوا -موحدين ربهم- وأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأداموها بشروطها، وأخرجوا الزكاة الواجبة في أموالهم فاتركوهم وشأنهم، إن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. ٥

فائدة! من يمتنعوا عن إقامة الصلاة أو إيتاء الزكاة -ولنا في الصديق رضي الله عنه أسوة- يقاتلوا حتى يرجعوا.

ومَنْ يُضِعِ الصلاةَ أوِ الزكاةَ ... يُقاتَلْ، أو ليَرجِعْ، ذاكَ نورُ

وإن أحد من المشركين سألك أيها النبي الكريم أمنا وحماية فأجبه إلى سؤاله، حتى يسمع -شيئا من القرآن- كلام الله، ثم أوصله إلى مكانه الذي يأمن فيه -وإن لم يسلم، ثم قاتله بعد- ذلك -الأمان لسماع القرآن- بسبب أنهم قوم -جهلة يقلدون أسلافهم- لا يعلمون أن مآل شركهم عذاب أبدي. ٦

فائدة! القرآن كلام الله غير مخلوق، والقول بخلقه -أي بأنه مخلوق كسائر المخلوقات- بدعة شنيعة.

ولا نَرضى بِجَهلٍ وابتِداعٍ ... كلامُ اللهِ قرآنٌ مُنيرُ

كيف يكون للمشركين -وقد خبرتم غدرهم- عهد -يأمنون به- عند الله وعند رسوله؟ إلا الذين عاهدتم -أيها المؤمنون، يوم الحديبية- عند المسجد الحرام، فما داموا مستقيمين لكم -على عهدهم- فكونوا مستقيمين لهم -لا تنقضوا العهد- إن الله يحب المتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه. **٧**
كيف -يكون لهم عهد- وإن يظهروا عليكم -فيظفروا بكم- لا يراعوا فيكم إلها ولا عهدا ولا قرابة ولا أمانا؟ يرضونكم بكلام يتفوهون به وتأبى قلوبهم -كلامهم- وأكثرهم فاسقون خارجون عن طاعة الله. **٨**
اشتروا بآيات الله -ومن جملتها ما يأمر بالوفاء بالعهود- قليلا من حطام الدنيا من مال أو جاه، فصدوا -بما هم عليه أنفسهم وغيرهم- عن طريقه -سبحانه، والإيمان بنبيه- إنهم سيئ ما كانوا يعملون. **٩**
لا يراعون في مؤمن إلها ولا عهدا ولا قرابة ولا أمانا، وهؤلاء هم المعتدون المتجاوزون لحدود الله. **١٠**
فإن تابوا -موحدين ربهم- وأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأداموها بشروطها، وأخرجوا الزكاة الواجبة في أموالهم فإخوانكم في الدين -أيها المؤمنون، فقد صاروا إخوة لكم: مسلمين، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم- ويفصل الله الأحكام ويبينها ليعلمها أناس فينتفعوا وينفعوا. **١١**

فائدة! المسلم قد عصم دينه دمه وماله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث ﷺ ﴿ فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا ﴾ [البخاري ٦٧ * مسلم ١٦٧٩ * أحمد ٢٠٣٨٧]، أما الكفار فعصمتهم بإحدى ثلاث: عقد ذمة -لا "مواطنة"- لمن يقيم في بلاد المسلمين، يعقدها الإمام -الحاكم بشرع الله- أو نائبه، على أن يؤدوا الجزية وتجري عليهم أحكام الإسلام، أو أمان يعطيه أي مسلم -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث علي بن أبي طالب ﷺ ﴿ وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ﴾ [البخاري ٣١٧٩ * مسلم ١٣٧٠ * أبو داود ٢٠٣٤ * الترمذي ٢١٢٧ * أحمد ٦١٥]- للكفار القادمين إلى بلده من غير استيطان -كالتجار، والمستجيرين حتى يعرض عليهم القرآن، ونحوهم- على أن يلتزموا بآداب الإسلام -وتأشيرات وأختام دخول من لا يحكم بشرع الله لا اعتبار لها- أو عهد يعقده الإمام أو نائبه مع فريق أو بلد كافر، يتصالحا فيه على ترك القتال لفترة -هدنة قابلة للتجديد- لازمة لا يجوز أن تكون مؤبدة، ويجوز أن تكون مطلقة بغير فترة ولكن غير لازمة يمكن نقضها في أي وقت دون اعتبار نقضها خيانة.

دَمُ الكفَّارِ عِصمَتُهُ بِعَقدٍ ... فَلَيسَ كمسلِمٍ عَصَمَ القديرُ

وإن نكثوا أيمانهم -التي قطعوها- من بعد أن عاهدوا، وطعنوا في دينكم -فالانتقاص من الدين ينقض العهد- فقاتلوا أئمة الكفر -فكل طاعن في دين الإسلام، أو منكر لمقطوع به أو به مستخف فهو إمام كفر- إنهم لا أيمان لهم -ولا عهود، ولا إيمان- رجاء أن ينتهوا عن كفرهم ونكثهم وعيبهم الدين. **١٢**
ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم -التي قطعوها- وهموا بإخراج الرسول -من مكة- وهم بدءوكم -بالقتال والإعانة عليكم- أول مرة؟! أتخشونهم؟! فالله أحق أن تخشوه وأولى -فهو الضار النافع ليس ينفعكم أو يضركم غيره، أيها المؤمنون في كل عصر ومصر- إن كنتم غير كاذبين في ادعاء الإيمان. **١٣**

كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ
إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ
لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧
كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا
ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ
فَٰسِقُونَ ٨ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن
سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩ لَا يَرۡقُبُونَ
فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠ فَإِن
تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي
ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١ وَإِن
نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ
فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ
يَنتَهُونَ ١٢ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ
وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ
أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ
قُلُوبِهِمْۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾
أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ
وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةًۚ
وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى
ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ
ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

قاتلوهم -أيها المؤمنون، إن تفعلوا- يعذبهم الله بأيديكم -في الدنيا، بالقتل والجرح- ويذلهم ويهينهم -بالأسر وسبي النساء والذراري وضياع الأموال، ومن قتل منهم له عذاب مهين مذل في القبر ثم في النار- وينصركم عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين: ممن لم يشهدوا القتال، يفرحوا لهزيمة الكفار. **١٤** ويذهب غيظ قلوب قوم مؤمنين -نالهم من الكفار أذى- ويتوب الله على من يشاء -من الكفار، كما حدث يوم فتح مكة، فيسلموا- والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **١٥** أم ظننتم -أيها المؤمنون- أن تتركوا دون أن يظهر الله علمه بالذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين -من أهل الكفر- دخلاء وخواصا يطلعون على أسراركم؟ والله خبير بجميع أعمالكم، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. **١٦**

فائدة! من مقاصد الجهاد التمايز بين المؤمنين المخلصين وغيرهم، كذلك الفتن: يظهر الله بها الحق واضحا جليا ليقيم الحجة ويمتاز الناس، فالمسلم ينبغي عليه ألا يتواجد في صفوف أعداء الله الذين يحاربون الدين ويريدون فصله عن واقع الحياة، وإن تظاهروا بالإسلام! فالواجب اعتزال فسطاط الضلال وعدم الالتفات إلى أكاذيبه، أما مخالطتهم فتجعل من يقوم بذلك -وإن أنكر بقلبه- شريكا لهم.

تَمايَزَ مسلِمٌ عَنْ كافِرٍ كي ... يُداسَ فيُنبَذَ الصَّفُّ الضَّريرُ

ما صح للمشركين أن يعمروا مساجد الله -بحال: لا بالعبادة والطاعة، ولا بالنفقة لئلا يعد إنفاقهم منة على المسلمين، وهم- شاهدين على أنفسهم بالكفر -مقرين، بما يجاهرون به من معتقدات وأعمال شركية- هؤلاء -المشركون- فسدت أعمالهم -الصالح منها، كالصدقة ونحوها وكذلك عمارة المسجد الحرام أو غيره، ولكفرهم لا يثابون عليها في الآخرة- وفي النار هم خالدون ليسوا بخارجين منها. **١٧**

فائدة! يبغض الله مقترف المعاصي في الحرم ولو كان مسلما كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه. ﴾ [البخاري ٦٨٨٢]، والملحد هو من يعدل عن الصواب.

مَليكي يُبغِضُ الإلحادَ دَومًا ... وفي الحَرَمِ استَقِم توقَ السعيرُ

إنما -يستحق أن- يعمر مساجد الله -بالعبادة والطاعة والنفقة- من آمن بالله -وحده لا شريك له- واليوم الآخر -البعث والحساب- وأدى الصلاة وأظهر هيئتها وأدامها بشروطها، وأخرج الزكاة الواجبة في أمواله، ولم يخش إلا الله، فلعل هؤلاء أن يكونوا من أهل الهداية: الله -بلطفه- مبلغهم ذلك. **١٨** أجعلتم -أيها الناس، القائمين على- سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله -وحده لا شريك له- واليوم الآخر -البعث والحساب- وجاهد في سبيل الله نصرة لدينه؟ لا يستوون عند الله -ولا ينبغي أن يستووا عندكم!- والله لا يوفق ولا يرشد القوم الظالمين لأنفسهم بالإصرار على الكفر. **١٩** الذين آمنوا وهاجروا -إلى حيث لا يفتنون في دينهم- وجاهدوا في سبيل الله نصرة لدينه ببذل أموالهم وأنفسهم أعظم مرتبة عند الله، وهؤلاء -لا من يؤذيهم!- هم الفائزون بالنعيم الناجون من العذاب. **٢٠**

يبشرهم ربهم برحمة منه -إذ وفقهم للإيمان، وسيجعل إيمانهم سببا ينالون بـه رحمتـه- ورضـا، وجنـات لهم فيها نعيم دائم مستمر. **٢١**

خالدين فيها -ينعمون- أبدا، إن الله عنده -لمن أطاعه- ثواب عظيم. **٢٢**

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم -في النسب- أنصارا وأعوانا إن استحبوا الكفر -فآثروه- على الإيمان، ومن ينصرهم أو يعينهم منكم فهؤلاء هم الظالمون لأنفسهم بتعريضها لسخط الله. **٢٣**

أخبرهم أيها النبي الكريم إن كان آباؤهم -ومنهم الأمهات- وأبناؤهم وإخـوانهم -في النسـب- وأزواجهم وعشيرتهم -وأقاربهم وأصحابهم عموما- وأموال اكتسبوها وتعبوا في تحصيلها وتجارة -بضـائع- يخشـون كسادها -وفوات وقت بيعها- ومساكن يرضـونها -وتميل أنفسـهم إلى البقـاء فيهـا- أحب إليهم من الله ورسوله وجهاد في سبيله -سبحانه- نصرة لدينه فلينتظروا ويترقبوا حتى يأتي الله بأمره -وهو كمـا ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بـالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم. ﴾ [أبو داود ٣٤٦٢ ★ أحمد ٤٨٢٥]- والله لا يوفق ولا يرشد القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته: إذ عاندوا. **٢٤**

لقد نصركم الله -أيها المؤمنون، على قلة عددكم وعدتكم- في مواطن -حرب- كثيرة، ويوم حنين -مـا نصركم سبب مادي- حيث أعجبتكم كثرتكم، فلم تنفعكم ولم تغن عنكم -كـثرتكم- شيئا، وضاقت عليكم الأرض على سعتها، ثم تنحيتم مغادرين: كما ورد عن النبي ﷺ من حـديث البراء بن عـازب رضي الله عنهما ﴿ جاء رجل إلى البراء، فقال: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على نـبي الله ﷺ ما ولى، ولكنه انطلق أخفاء من الناس، وحسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة، فرمـوهم برشـق من نبل كأنها رجل من جراد، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث يقـود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم نـزل نصـرك، قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحـاذي بـه، يعـني النـبي ﷺ. ﴾ [البخاري ٣٠٤٢ ★ مسلم ١٧٧٦ ★ الترمذي ١٦٨٨ ★ أحمد ١٨٤٧٥]. **٢٥**

فائدة! "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب" لا يعد شعرا وإن وافق وزن الشعر، فمـا لا يقصـد بـه إلى الشعر ليس بشعر، والنبي ﷺ كما قال تعالى ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ [يس ٦٩].

نَبيُّ اللهِ ليسَ بِشاعرٍ بَلْ ... رسولٌ لمْ يُعَلَّمْهُ، استَنيروا

ثم أنزل الله سكونا وطمأنينة من عنده على رسوله -ثقة بالنصر- وعلى المؤمنين -ثباتا وشـجاعة- وأنـزل جنودا -من الملائكة- لم يرها المؤمنون، وعذب الذين كفروا -بما أصابهم من قتل وجـرح وأسـر وسـبي نساء وذراري وضياع أموال- وذلك -العذاب- جزاء الكافرين: في الدنيا، حين يجاهد المؤمنون. **٢٦**

فائدة! ما يستجلب نصر الله هو الإيمان واليقين مع الصبر والثبات، وليس الكثرة العددية.

بصبرِ المؤمنينَ معَ اليقينِ ... يُنَزِّلُ سُكْنَةً ربٌّ نَصيرُ

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ
وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ
كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ
اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ
كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا
لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ
نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ
وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ
إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ
وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ
وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم
بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ
قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ
وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ
مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١

ثم يتوب الله من بعد ذلك -العذاب- على من يشاء -فيوفق من يشاء للإسلام، ويرشده اتباع شريعته، ومن ثم يثبته- والله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. **٢٧**

يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس -لما يحملون ويجاهرون به من معتقدات وأعمال شركية- فلا يقربوا المسجد الحرام -ولا يدخلوا الحرم المكي، فلا تمكنوهم من ذلك- بعد عام إعلامهم هذا، وإن خفتم فقرا -من جراء انقطاع ما يجلبونه من تجارة ونحو ذلك- فسوف يغنيكم الله من فضله، إن شاء -فالإيمان لا يقتضي أن يغني الله عباده في الدنيا وليس دليلا على حبه لهم- إن الله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٢٨**

فائدة! نجاسة الكفار معنوية لا حسية، فمباشرة أجسادهم -كجماع الحليلة الكتابية- لا قذارة فيه.

نَجاسةُ أهلِ كُفرٍ لا تُنافي ... مُباشَرَةً بِأجسادٍ تَسيرُ

قاتلوا -أيها المؤمنون- الذين لا يؤمنون بالله -وحده لا شريك له، فاختلقوا له أبناء كعزير والمسيح عليه السلام- ولا باليوم الآخر -ببعثهم ليحاسبوا، فأتوا بما بعضه افتراء كما قال تعالى ﴿ ذلك بأنهم قالوا لن تمسَّنا النار إلا أياما معدودات وغرَّهم في دينهم ما كانوا يفترون. ﴾ [آل عمران ٢٤]- ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله -فلم يلتزموا بشرع الله- ولا يدينون دين الحق -فما هم عليه باطل ليس بمقبول كما قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه ﴾ [آل عمران ٨٥]- من أهل الكتاب من يهود ونصارى حتى يعطوا الجزية -مال يدفعونه جزاء عما يمنحهم المسلمون من أمن إن لم يقبلوا الإسلام، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ﴿ فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية ﴾ [البخاري ٣١٥٩]- بأيديهم عن قهر، وهم أذلة مجبرون. **٢٩**

وزعمت اليهود أن عزير -قيل أملى التوراة على بني إسرائيل من حفظه، فاستنسخوها بعدما فقدوا جميع نسخها ومات جميع حفظتها- ابن الله -زعم ذلك بعضهم ولم ينكره بقيتهم فصاروا شركاء في الإثم- وزعمت النصارى أن المسيح ابن الله، ذلك -الافتراء- كلامهم يتفوهون به -من غير دليل- يشابهون زعم الذين كفروا من قبل -إذ زعم أهل الشرك أن الملائكة أو بعض الأوثان بنات الله كما قال تعالى ﴿ وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ﴾ [الأنعام ١٠٠]- أهلكهم الله! كيف يقلبون: عن الحق؟ **٣٠**

اتخذوا -يهود ونصارى- علماءهم وعبّادهم أربابا من دون الله -يطيعونهم في تحليل ما حرم وتحريم ما أحل- والمسيح ابن مريم -عبده بعضهم- وما أمروا -لا في كتب الله ولا على لسان أحد من رسله- إلا ليعبدوا إلها واحدا -لا شريك له- لا معبود بحق سواه، تنزه وتقدس عما يشرك الخلق به. **٣١**

فائدة! من أطاع غير مكره الذين يحلون ما حرم الله أو يحرمون ما أحل -أيًّا كان مسماهم: رئاسة أو حكومة أو وزارة أو برلمانا أو مجلسا أو محكمة أو لجنة أو هيئة أو إدارة أو غير ذلك، وعلى أي صورة كان كفرهم: دستورا أو قانونا أو ميثاقا أو لائحة أو قرارا أو أمرا أو غير ذلك- فقد وقع في شرك الطاعة.

مَنِ اتَّبَعَ الَّذينَ يُبَدِّلونَ ... شريعةَ ربِّنا فَلَهُ الثُّبورُ

يريد الكفار أن يبطلوا دين الله ويقضوا عليه بأكاذيبهم -كالذي يريد أن ينفخ ليطفئ نورا باهرا، عساه يستقر في ظلمات الكفر هو ومن حوله- ويأبى الله إلا أن يتم دينه ويعليه، ولو كره الكافرون ذلك. **٣٢**
هو الذي أرسل رسوله بالهداية -فيرشد الخلق إلى ما فيه صلاحهم- ودين الحق -عقائد وشعائر وشرائع الإسلام- ليظهره -فيعلو- على سائر الأديان الأخرى، ولو كره المشركون ذلك. **٣٣**
يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من العلماء والعبّاد -يهود ونصارى- ليأخذون أموال الناس بغير حق ولا سند شرعي -ربا ورشوة ونحو ذلك، ومنهم من يأخذها ليحرف كلام الله أو يبدل معانيه، أو يحكم بغير ما أنزل لهم- ويصدون عن طريق الله -والإيمان بنبيه- والذين يكنزون الذهب والفضة -فهم يجمعون أنواع الأموال ويكدسونها- ولا ينفقونها في سبيل الله نصرة لدينه -فلا يؤدون زكاتها كما جاء على لسان عبد الله بن عمر ﷺ من حديث خالد بن أسلم ﴿ خرجت مع عبد الله بن عمر فلحقه أعرابي فقال له: قول الله: ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ قال له ابن عمر: من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهورا للأموال، ثم التفت، فقال: ما أبالي لو كان لي أحد ذهبا، أعلم عدده وأزكيه، وأعمل فيه بطاعة الله عز وجل. ﴾ [البخاري ١٤٠٤ * ابن ماجة ١٧٨٧]- فبشرهم أيها النبي الكريم بعذاب أليم ينتظرهم. **٣٤**
فائدة! كانت الكنيسة في أوروبا تبيع لتابعيها "صكوك غفران" بمقابل مادي، زاعمة أن فيها المغفرة لذنوب المشترين! أي ضلال وإضلال وأكل أموال الناس بالباطل وصد عن سبيل الله أعظم من ذلك؟!

صُكوكٌ تَحمِلُ الأعباءَ عَنكُم؟! ... نَصارى: ضَلَّ مِنْ عَبَثٍ كثيرُ

يوم -القيامة- يحمى عليها -فيوقد على ما جمعوا من أموال بغير حق، وعلى ما لم يؤدوا حقه- في نار جهنم -حتى تلتهب- فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم -فجمعتم في الدنيا وكدستم لتنتفعوا به، يوبخون في تهكم- فذوقوا -سوء عاقبة- ما كنتم تكنزون. **٣٥**
إن عدد الشهور عند الله -في حكمه وقضائه وحكمته- اثنا عشر شهرا في كتاب الله -اللوح المحفوظ مثبتة- أول ما خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم -ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، لا يجوز فيهن القتال- ذلك الدين المستقيم -والحساب الصحيح، فلا اعتبار بما عند الروم أو غيرهم من تقاويم- فلا تظلموا فيهن أنفسكم -أيها المؤمنون، لا باقتراف الآثام فالسيئات فيهن تعظم، ولا بالقتال طلبا إلا أن يكون امتدادا لقتال سابق، أما قتال الدفع فيجوز فيهن كما في غيرهن- وقاتلوا المشركين كافة -جميعا: دفعا وطلبا، وأهل الكتاب من جملتهم كما قال تعالى ﴿ وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾ [المائدة ٧٢]- كما يقاتلونكم كافة، واعلموا أن الله مع المتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه بالعون والتأييد. **٣٦**
فائدة! قتال كفار النظام الدولي كافة واجب على المسلمين: ليس دفعا فحسب، ولكن دفعا وطلبا.

قِتالُ الكافِرينَ بلا تَراخٍ ... جَرى طَلَبًا ودَفعًا، لا نَجورُ

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن
يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ
يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا
فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ
تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ
أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ
أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ
عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ
سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ
ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم
بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ
عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ
شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ إِلَّا تَنصُرُوهُ
فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ
إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ
مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ
لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠

إنما تأخير حرمة شهر من الأشهر الحرم إلى آخر من غيرها -كالقتال في شهر المحرم وكف القتال في شهر صفر عوضا عنه، كان البعض يفعل ذلك إذا أرادوا قتالا فيهن- زيادة في الكفر -على كفرهم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر- يضل به الذين كفروا -يضلهم من سنه، فليس هو إلا مشرع قوانين وضعية- يحلون الشهر الحرام عاما -ويستبدلون به أحد أشهر الحل يحرمونه- ويبقون على حرمته عاما، ليوافقوا عدد ما حرم الله -فتظل أربعة أشهر- فيحلوا -بذلك- ما حرم الله -ويحرموا ما أحل- زين لهم أعمالهم السيئة فاستحسنوا خداع الشيطان والهوى، والله لا يوفق ولا يرشد القوم الكافرين: إذ اتبعوا الهوى. **٣٧**
فائدة! عدم المداومة على إنكار البدع المخالفة للشرع يجعل النفوس تستسيغها ثم تستحسنها.
ولا نَرضى بما مَنَعَ الحكيمُ ... ونُنكِرُ بِدعَةً، دَومًا نُنيرُ

يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا دعيتم إلى النهوض للجهاد في سبيل الله نصرة لدينه تكاسلتم وملتم إلى السكون والاستقرار في أرضكم؟ أرضيتم -يا من دعيتم إلى غزو الروم يوم تبوك، وكان الوقت حارا والزاد قليلا والمعيشة عسرة، ومثلكم كل متقاعس عن جهاد وجب- بالحياة الدنيا -عوضا- عن الآخرة؟ فما تتمتعون به في الحياة الدنيا -الفانية- في -مقابل- الآخرة -ونعيمها الدائم- إلا قليل: لا وزن له. **٣٨**
إلا تنهضوا للجهاد يعذبكم عذابا أليما -ذلا في الدنيا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم. ﴾ [أبو داود **٣٤٦٢** ★ أحمد **٤٨٢٥**]، وفي الآخرة قد يعذبكم لعصيان أمره- ويستبدل -بكم- قوما غيركم -لا يتأخرون عن الجهاد- ولا تضروا النبي ﷺ شيئا -فربه ناصره ومعينه- ولا تصيبوا -ملك- الله بأي ضرر -بعصيان أمره، فالله غني عنكم وعن جهادكم، بل إن ثواب جهادكم لكم كما قال تعالى ﴿ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إنَّ الله لغني عن العالمين. ﴾ [العنكبوت ٦]- وقدرة الله مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك نصر دينه ونبيه دون جهادكم. **٣٩**
إلا تنصروا النبي ﷺ -وتخرجوا معه للجهاد فإن الله ناصره ومعينه- فقد نصره الله، حين أخرجه الذين كفروا -من مكة- ثاني اثنين -يصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه- إذ هما في غار ثور، حين طمأن النبي ﷺ صاحبه ألا يحزن -مما هما فيه، وليطمئن- إن الله معهما بالعون والتأييد -فلن يصيب النبي ﷺ مكروه، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ﴿ قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه، لأبصرنا! فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟ ﴾ [البخاري **٣٦٥٣** ★ مسلم **٢٣٨١** ★ الترمذي **٣٠٩٦** ★ أحمد **١١**]- فأنزل الله سكونا وطمأنينة من عنده على أبي بكر الصديق رضي الله عنه -فالنبي ﷺ لم يزل ساكنا مطمئنا- وأيده -ﷺ- بجنود -من الملائكة، في غزواته وفي غيرها، أيها المؤمنون- لم تروها، وجعل -سبحانه- كلمة الذين كفروا -الشرك بالله، ومحاولة إيذاء النبي ﷺ وهدم الدين- السفلى -المخذولة- وكلمة الله -التوحيد: لا إله إلا الله، ودعوة الإسلام- هي -دائما- العليا -المنصورة- والله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٤٠**

انهضوا للجهاد -أيها المؤمنون- خف عليكم الأمر أو ثقل -شبابا وشيوخا، في اليسر والعسر- وجاهدوا ببذل أموالكم وأنفسكم في سبيل الله نصرة لدينه، ذلك -النفير والجهاد- خير لكم -من أمور دنياكم- وأفضل، إن كنتم تعلمون ما فيهما من عز ووقاية من تسلط العدو في الدنيا، وثواب الله في الآخرة. **٤١**

لو كان -الذي تدعوهم إليه- ما يعرض لهم من منافع قريبة -غنيمة- وسفرا غير شاق لاتبعك المنافقون أيها النبي الكريم، ولكن بعد عليهم السفر وشق، وسيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا معكم، يهلكون أنفسهم -بتعريضها لسخط الله لتخلفهم عن الجهاد وحلفهم به كذبا- والله يعلم: إنهم لكاذبون. **٤٢**

فائدة! الأيمان الكاذبة موجبة للهلاك.

ويُقسِمُ كاذبًا هذا السَّفيهُ ... هلاكًا في انتِظارِكَ تَستَثيرُ

عفا الله عنك -وغفر اجتهادك وتعجلك- لماذا أذنت لهم -في التخلف عن الجهاد، قبل التثبت من صدق أعذارهم- حتى يتبين لك الذين صدقوا -فتأذن حينئذ لمن شئت منهم كما قال تعالى ﴿ فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ﴾ [النور ٦٢]- وتعلم -أهل النفاق- الكاذبين؟ **٤٣**

فائدة! التثبت والتأني وعدم التعجل واجب.

تَعَجَّلَ في القرارِ وما تأنَّى ... تَثَبَّتْ! قَدْ أنارَ لنا الصَّبورُ

لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا ببذل أموالهم وأنفسهم -بل يشق عليهم القعود كما ورد عن النبي ﷺ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ﴿ لما خرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك خلف عليا، فقال له: أتخلفني؟ فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي؟ ﴾ [البخاري ٤٤١٦ * مسلم ٢٤٠٤ * الترمذي ٣٧٢٤ * ابن ماجة ١١٥ * أحمد ١٦٠٠]- والله عليم بالمتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه وبنياتهم، ولهم أتم الجزاء. **٤٤**

فائدة! انقضى استخلاف النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بعودته ﷺ من تبوك، فكان كالوكالة في الحياة: لا يترتب عليه شيء بعد الوفاة، وخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه صحيحة لا مراء في ذلك.

أبو بكرٍ الخليفةُ لا نُماري ... عليًّا وَكَّلَ الدُّورَ البشيرُ

إنما يستأذنك -في القعود عن الجهاد أهل النفاق- الذين لا يؤمنون بالله -وحده لا شريك له- واليوم الآخر -البعث والحساب- وارتابت قلوبهم، فهم في ريبهم يترددون: حيارى لا يتبعون الدين الحق. **٤٥**

ولو -كانوا صادقين في أنهم- أرادوا الخروج -للجهاد- لأعدوا له -ما يحتاج من- عدة -وتأهبوا للغزو- ولكن كره الله نهوضهم، فثبطهم وأوثر أن يقعدوا مع القاعدين من النساء والصبيان وأهل الأعذار. **٤٦**

لو خرجوا فيكم -أيها المجاهدون- ما زادوكم إلا عناء وهلاكا، ولسعوا بينكم بالإفساد، يلتمسون لكم الفتنة وفيكم متحرون سماعهم -ينقلون أقوالهم، فتتأجج الفتن- والله عليم بالظالمين، وسيجازيهم. **٤٧**

فائدة! التمايز بين المؤمنين المخلصين وغيرهم من عوامل النصر، واختلاطهم مدعاة للفساد والفشل.

تَمايَزَ مُخلِصٌ عَنْ غَيرِهِ كي ... يُثيبَ فيُنجِحَ الأمرَ الشَّكورُ

ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ
وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾
لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن
يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾
إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ
أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ
فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم
مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم
مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ
حَسَنَةٞ تَسُؤْهُمْۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدْ
أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل
لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى
ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ
إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ
بِعَذَابٖ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم
مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ
مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ
بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

لقد التمسوا الفتنة -وتشتيت شمل المؤمنين- من قبل -غزوة تبوك- وقلبوا لك أيها النبي الكريم الأمور -والحقائق، مجتهدين في تأجيج الفتن- حتى جاء الحق -ونصركم الله- وهم -لذلك- كارهون. **٤٨**

فائدة! أخطر الفتن أن تقلب الحقائق، فيشرع الباطل ويجرم الحق، وسكوت الحق حينئذ يزيد الفتنة.

ويُقلَبُ باطلٌ حقًّا، لِتُظهِرْ ... حُدودَ اللهِ، أو فِتَنٌ تَمورُ

ومنهم من يطلب أن تأذن له -في القعود عن الجهاد- ولا تعرضه للفتنة -لئلا يفر من القتال أو يهلك فيه، وليتحلل من الإثم بالحصول على الإذن منك- ألا في الفتنة -وفي الإثم، بتخلفهم عن الجهاد واعتذارهم بالباطل- سقطوا -هؤلاء الجهلة!- وإن جهنم لمحيطة بالكافرين لا خروج لهم منها. **٤٩**

فائدة! التخلف عن الجهاد الواجب لغير عذر معتبر شرعا سقوط في الاختبار، ومفسدة مآلها الهلاك.

قُعودُ المسلمينَ عَنِ الجِهادِ ... لنُصرَةِ دِينِنا هَلَكٌ مُبيرُ

إن يصبك أمر حسن -من نصر أو غنيمة- يستاء المنافقون ويحزنوا، وإن تصبك مصيبة -من هزيمة أو شدة- يطمئنوا أنفسهم أن قد أخذوا الحذر واحتاطوا لأمرهم -فلم يخرجوا للقتال، ونجوا بزعمهم- من قبل -أن يصابوا معك- ويعرضوا متنحين عنك، وهم -بما ألم بالمؤمنين، وبنجاتهم منه- فرحون. **٥٠**

أخبرهم أن لن يصيبكم إلا ما كتب الله -في سابق علمه- لكم -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ﴿ لن تجد طعم حقيقة الإيمان، حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له: اكتب، فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات على غير هذا، فليس مني ﴾ [أبو داود **٤٧٠٠** ★ الترمذي **٢١٥٥** ★ أحمد **٢٢٧٠٥**]- هو متولي أموركم، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في جميع أحوالهم. **٥١**

سلهم -موبخا- هل ينتظرون ويرتقبون -أن يحل- بكم إلا إحدى -الخصلتين- الحسنيين: الشهادة أو النصر؟ وأنتم -أهل الإيمان، في كل عصر ومصر- تنتظرون بهم وترتقبون أن يصيبهم الله بعذاب -إما- من عنده -بلا تدخل منكم- أو بأيديكم -قتلا إن أذن الله بحربهم، ولا يستتاب حينئذ من قدرتم عليه منهم- فلينتظروا مرتقبين عاقبتكم الحسنة، أنتم معهم منتظرون مرتقبون عاقبتهم السيئة. **٥٢**

أخبرهم أن ينفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منهم، إنهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله: كفروا بالله، لذلك لن يثيبهم في الآخرة على عمل ظنوه صالحا، أنفقوا طائعين أو مكرهين أو لم ينفقوا. **٥٣**

وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم -مهما كثرت- إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله -فأعمال الكفار لا يقبلها الله، فليتعظ عباده- ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى -في تثاقل، لا يرجون رضا الله، بل ليراهم عباده يصلون- ولا ينفقون إلا وهم كارهون: لا يرجون ثواب الله، بل يعدون إنفاقهم خسارة وضياع مال. **٥٤**

فائدة! التكاسل عن أداء الصلاة والإنفاق عن غير رضا وانشراح صدر من علامات ضعف الإيمان.

نُصلِّي في نشاطٍ لمْ نُنافِقْ ... ونُنفِقُ طائعينَ اقبَلْ بصيرُ

فلا تعجبك أيها النبي الكريم أموالهم ولا أولادهم -فتستحسن ما معهم- إنما يريد الله ليعذبهم بسببها في الحياة الدنيا -فينفقوا مكرهين مما تعبوا ليحصلوه، ويغتموا مما يصيب أموالهم وأولادهم، ولا يكفر عنهم به، بخلاف المسلمين- وتخرج أرواحهم بصعوبة وهم كافرون: أرادهم الله في النار أبدا. ٥٥

فائدة! ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها. ﴾ [البخاري ٥٦٤٠ * مسلم ٢٥٧٢ * أحمد ٢٤٥٧٣].

مَصائبُنا يُكَفِّرُ مِنْ ذُنوبٍ ... بِها عَنَّا الغفورُ فلا يَضيرُ

ويحلفون بالله إنهم لمنكم -في عداد المؤمنين- وما هم منكم، ولكنهم قوم يخافون ويجزعون: تظاهروا بالإسلام لعصمة دمائهم وأموالهم، خوفا وجزعا من أن يحل بهم ما حل بالكفار. ٥٦

لو يجدون ملجأ أو مغارات -في الجبال- أو سردابا -يختبئون فيه- لتنحوا إليه وهم يندفعون. ٥٧

ومنهم من يعيبك أيها النبي الكريم في -شأن- الصدقات، فإن أعطوا منها -ما أرادوا- رضوا -بكيفية قسمة هذه الزكوات الواجبة- وإن لم يعطوا منها إذا هم -فجأة- يسخطون. ٥٨

ولو أنهم رضوا ما أعطاهم الله ورسوله -أيًّا كان، كثيرا أو قليلا- وذكروا أن كافيهم الله، سيعطيهم الله من فضله ورسوله -فيما بعد سيعطيهم- مؤكدين أنهم إلى الله -وعفوه- راجون: لكان أفضل لهم. ٥٩

إنما الصدقات -الزكوات الواجبة تصرف- للفقراء والمساكين والعاملين عليها -الذين يرسلهم لتحصيلها الإمام الحاكم بشرع الله- والمؤلفة قلوبهم -سادة الأقوام قد يعطيهم الإمام ليتألفهم فيسلموا أو يحسن إسلامهم، فيتبعهم أقوامهم- وفي الرقاب -إعانة على تحرير النفوس المسلمة المملوكة، وفداء أسرانا- والغارمين -لتحمل الديات والإصلاح بين المتخاصمين، ومن عليهم ديون لا يستطيعون الوفاء بها لمن أخذها لغير معصية ولا سفه ولا إسراف- وفي سبيل الله نصرة لدينه -للجهاد، ولإقامة الدين- والأغراب المسافرين المنقطعة نفقتهم، فريضة من الله -صرف الزكوات الواجبة في تلك المصارف: دون غيرها، على النحو الذي وضح- والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٦٠

فائدة! لا يعطى فقير كافر من زكاة واجبة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم، فترد في فقرائهم ﴾ [البخاري ١٣٩٥ * مسلم ١٩ * أبو داود ١٥٨٤ * الترمذي ٦٢٥ * النسائي ٢٤٣٥ * ابن ماجة ١٧٨٣ * أحمد ٢٠٧١].

زكاةُ المسلمينَ لهمْ فَلَيسَتْ ... لغَيرِ مَصارِفَ اشتُرِعَتْ تَصيرُ

ومنهم الذين يؤذون النبي، ويصفونه -لما رأوا حلمه- بأنه أذن -يسمع من كل أحد ويصدق ما يخبرونه به- أخبرهم أيها النبي الكريم أن أذن خير لهم -فهو يسمع الخير فيصدقه ويعرض عن الشر لا يأبه به- يؤمن بالله -وحده لا شريك له- ويطمئن للمؤمنين -لا المنافقين- ويصدقهم، ورحمة للذين آمنوا -كل من أظهر الإيمان- منهم -إذ كان سببا في إيمان المؤمنين، ولم يفضح المنافقين- والذين يؤذون رسول الله -أي إيذاء، مهما قل- لهم عذاب أليم: في الدنيا بالقتل إذا قدر عليهم، وفي الآخرة في النار. ٦١

فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾
وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ
قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا
لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي
ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا
هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ
إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ
وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ
وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ
مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ
ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ
بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ
أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن
يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن
تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟
إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم
بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ
بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ
حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

يحلفون بالله لكم -أيها المؤمنون، أنهم ما تفوهوا بشيء فيه إيذاء للنبي ﷺ- ليرضوكم، والله ورسوله أحق أن يرضوه وأولى -بأن يتوبوا عن النفاق، طاعة لهما- إن كانوا غير كاذبين في ادعاء الإيمان. **٦٢**

ألم يعلموا أنه من يخالف ويعادي الله ورسوله فأن له نار جهنم -بلا أنيس- خالدا فيها، ذلك -العذاب والوحدة في الآخرة هو- الذل والمهانة العظيمة. **٦٣**

يحذر المنافقون -ويجب أن يحذروا ويخافوا- أن تنزل -في شأنهم- سورة تخبرهم بما في قلوبهم -من كفر أضمروه، فيعلم المؤمنون بأمرهم- أخبرهم أيها النبي الكريم -مهددا- أن يستمروا على ما هم عليه من استهزاء، إن الله مخرج ما يحذرون: مظهر ما يضمرون، إما بإنزال قرآن أو بإخبارك بأمرهم. **٦٤**

ولئن سألتهم -عن طعنهم في الدين، والانتقاص من قدرك ومن المؤمنين- ليزعمن أنما كانوا يتناولون -الباطل، غير جادين- ويلعبون -ليس إلا!- سلهم -موبخا- أبالله وآياته ورسوله كانوا يستهزئون؟ **٦٥**

لا يعتذروا -فأعذارهم باطلة، أخبرهم- قد كفروا بعد إيمانهم -الذي نقضوه بنفاقهم- إن يعف الله عن طائفة منهم -تابت عن النفاق- يعذب الله طائفة بسبب أنهم كانوا مجرمين مستحقين للعقاب. **٦٦**

فائدة! الهزل في الدين وأخباره وأحكامه، أو الانتقاص منه أو السخرية، أو تناول الله أو أسمائه وصفاته أو أحد من ملائكته ورسله بشيء من ذلك -ولو على سبيل المزاح- كفر مخرج من ملة الإسلام.

تناولُ ربِّنا أو مُصطفَيهِ ... بِسُوءٍ وانتِقاصُ الدِّينِ قِيرُ

المنافقون والمنافقات هم على حد السواء -تشابهت قلوبهم وأعمالهم- يأمرون بما دل الشرع والعقل على قبحه وينهون عما دلا على حسنه، ويقبضون أيديهم -عن كل خير، فيبخلون بأموالهم وبجهدهم، ولا يبذلون شيئا، لا في الجهاد ولا في وجوه البر- نسوا الله -فتركوا ما أمرهم به- فتركهم منسيين -من توفيقه ورحمته، وخذلهم- إن المنافقين هم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله: قد اكتمل فسقهم. **٦٧**

فائدة! المنافقون ذكورا وإناثا وإن تشابهت قلوبهم وأعمالهم فهم -بخلاف أهل الإيمان- قلوبهم ليست في تواد، إلا ما دام الغرض الذي يؤمونه مشتركا بينهم، يوالون الكفار في الظاهر كما قال تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أُخرجتم لَنَخرُجَنَّ معكم ولا نُطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لَنَنصُرَنَّكم والله يشهد إنهم لكاذبون. ﴾ [الحشر ١١]، وعندما تنتهي مصالحهم المشتركة تتخلى طوائف الكفر والنفاق عن بعضها البعض، فهم كما قال تعالى ﴿ بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتَّى ﴾ [الحشر ١٤]، وهم يخافون من أهل الإيمان -الملتزمين بشرع الله دون غيره- كما قال تعالى ﴿ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ﴾ [الحشر ١٣].

تَشابَهَتِ القلوبُ، مُنافِقٌ أو ... كَفورٌ يُبغِضُ الدِّينَ استُطيروا

وعد الله -في كتبه وعلى ألسن أنبيائه، جميع من لم يتب قبل موته من- المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم -يعذبون- خالدين فيها، هي كافيتهم -يستقرون في النار، لا يستحقون غيرها- وطردهم الله من رحمته، ولهم عذاب دائم مستمر. **٦٨**

كالذين من قبلكم، كانوا أشد منكم قوة، وأكثر أموالا وأولادا، فاستمتعوا بحظهم -الذي قدره سبحانه لهم- فاستمتعتم بحظكم كما استمتع الذين من قبلكم بحظهم -واتبعتم أهواءكم كما اتبعوا أهواءهم- وتناولتم -الله وآياته ورسوله، مستهزئين مكذبين ساخرين- كالذي تناولوا -وفعلوا مع من أرسلهم سبحانه إليهم- هؤلاء فسدت أعمالهم في الدنيا -الصالح منها، كالصدقة ونحوها- والآخرة -لا يثابون عليها لكفرهم- وهؤلاء -منافقون وكفار- هم بالغو الخسران الهالكون. ٦٩

فائدة! ليحذر المسلم من متابعة أهل الهوى، فقد ثبت مشابهة بعض أمة الإسلام لليهود والنصارى في الدين -كالغلو في الصالحين واتخاذ القبور مساجد وابتداع أعياد وغير ذلك- والدنيا -كتقليدهم في أخلاقهم وأفعالهم ومظاهرهم وغير ذلك- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ لتتبعن سنن من قبلكم: شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ ﴾ [البخاري ٣٤٥٦ * مسلم ٢٦٦٩ * أحمد ١١٨٠٠].

ونَحذَرُ أنْ نُتابِعَ أهلَ كُفرٍ ... أنَظلِمُ أنفُسًا رَحِمَ الغفورُ؟

فائدة! الإرجاء والجبر دين الملوك: يزيد طغيانهم، فيشيعوا في الأمة عقيدة الاستسلام للواقع والاتكالية بدعوى الإيمان بالقضاء والقدر، والرضا بالبلاء، بل وحرمة دفعه بالجهاد! حدث قديما ويحدث الآن.

ودِينُ الحاكِمِ الإرجاءُ جَبرًا ... يُريدُ رِضًا بِواقِعِهِ، فثُوروا!

ألم يأتهم خبر الذين من قبلهم -من الأمم المكذبة- قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين -قوم شعيب- والمؤتفكات: قرى قوم لوط المنقلبات، جعل ربها عاليها سافلها؟ أتتهم رسلهم بالأدلة الجلية البينة على صدقهم، فما كان الله ليظلمهم -حاشاه، فقد أنذرهم قبل أن يهلكهم- ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر والمعاصي، فاستجلبوا العقاب. ٧٠

والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض -في النصرة والمعونة، فكونوا منهم- يأمرون بما دل الشرع والعقل على حسنه وينهون عما دلا على قبحه، ويؤدون الصلاة ويظهرون هيئتها ويديمونها بشروطها، ويخرجون الزكاة الواجبة في أموالهم، ويطيعون الله ورسوله -في الظاهر والباطن- هؤلاء سيرحمهم الله -وعدا عليه، سبحانه- إن الله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٧١

وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- ومساكن طيبة حسنة في جنات إقامة دائمة غير منقطعة، ورضا من الله -فلا يسخط عليهم أبدا، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: أي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبدا. ﴾ [البخاري ٦٥٤٩ * مسلم ٢٨٢٩ * الترمذي ٢٥٥٥ * أحمد ١١٨٣٥]- أكبر -من كافة النعم الأخرى- ذلك -الثواب- هو الفوز والفلاح العظيم الذي لا يعادله شيء. ٧٢

كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا
وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ
كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ
كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ
نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ
إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم
بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٧٠ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ
أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ
وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ٧٣ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟
وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟
بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٧٤ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا
مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم
مُّعْرِضُونَ ٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ
بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ٧٧
أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ٧٨ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩

يا أيها النبي -والأمراء من بعدك، وكل فرد من أمتك- جاهد الكفار -باليد حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية كما ورد عن النبي ﷺ من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ﴿ فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية ﴾ [البخاري ٣١٥٩]- والمنافقين -باللسان، فتقوم عليهم بذلك الحجة- واغلظ عليهم -فكن خشن الجانب معهما شديد- ومستقرهم جهنم، وبئس المصير. ٧٣ يحلفون بالله ما تفوهوا -بشيء فيه إيذاء للنبي ﷺ- ولقد تفوهوا بكلمة الكفر -فالمرء قد يكفر بكلمة تفوه بها، ولو لم يكن معتقدا أو مستحلا لما به تفوه- وكفروا -علانية- بعد إسلامهم -المزعوم، بظهور المضمر- وهموا بما لم ينالوا -فقد حاولوا إخراج النبي ﷺ والمؤمنين من المدينة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ﴿ فسمع ذلك عبد الله بن أبي بن سلول، فقال: أوقد فعلوها؟ والله، ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ ﴾ ، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ﴾ [البخاري ٤٩٠٥ * مسلم ٢٥٨٤ * الترمذي ٣٣١٥ * أحمد ١٥٢٢٣] فلم ينجحوا- وما كرهوا إلا أن أغناهم الله من فضله -بما أحل لهم من غنائم: لم يحلها قط قبلهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ﴿ وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي ﴾ [البخاري ٣٣٥ * مسلم ٥٢١ * أحمد ١٤٢٦٤]، فلله الفضل والمنة- ورسوله كذلك -ما بخل عليهم بما معه، ﷺ- فإن يتوبوا -عن نفاقهم- يك خيرا لهم وأفضل، وإن يعرضوا متنحين عن التوبة ويستمروا على ما هم عليه يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا -بالقتل والجرح والأسر وسبي النساء والذراري وضياع الأموال- والآخرة -في النار- وليس لهم في -سائر- الأرض من ولي يواليهم فيجلب لهم الخير، ولا نصير ينصرهم فيدفع عنهم الشر. ٧٤ ومنهم من عاهد الله لئن أعطاهم من فضله ليصدقن -الزكاة الواجبة، وقد ينفقون تطوعا- وليكونن من الصالحين. ٧٥

فلما أعطاهم من فضله بخلوا به، وأعرضوا متنحين عن العهد، وهم معرضون عن الدين منصرفون. ٧٦ فجعل -سبحانه- عاقبتهم نفاقا في قلوبهم -ثابتا، متمكنا منها- إلى يوم يلقونه -لا يتوبون عنه- بسبب إخلافهم الله ما وعدوه، وبسبب كذبهم: إذ أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وكذبوا بآياته سبحانه. ٧٧ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم -وإن كتم- وتناجيهم: فيما بينهم؟ وأن الله علام كل غائب خفي؟ ٧٨ الذين يعيبون المطوعين من المؤمنين في -شأن- الصدقات والذين لا يجدون إلا قليلا بحسب طاقتهم -كما جاء على لسان أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه ﴿ لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا: مراء، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا فنزلت: ﴿ الذين يلمزون المُطَّوِّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم ﴾ ﴾ [البخاري ١٤١٥ * مسلم ١٠١٨ * النسائي ٢٥٣٠] يتطوعون فقيرهم بالقليل من المال، أو بجهده البدني لا يجد سواه- فيسخرون منهم، سخر الله منهم -جزاء لهم، فأذلهم ولم يوفقهم لتوبة- ولهم عذاب أليم. ٧٩

اطلب المغفرة أيها النبي الكريم لهم أو لا تطلب المغفرة لهم، إن تطلب المغفرة لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، ذلك -الامتناع من الله عن أن يغفر لهم- بسبب أنهم كفروا بالله ورسوله، والله لا يوفق ولا يرشد القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته: إذ عاندوا. **٨٠**

فرح المتروكون -من المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك- بقعودهم مخالفة لرسول الله، وكرهوا أن يجاهدوا ببذل أموالهم وأنفسهم في سبيل الله نصرة لدينه، ونصحوا -إخوانهم في النفاق- ألا ينهضوا للجهاد في الحر، أخبرهم أن نار جهنم أشد حرا، لو كانوا يفقهون أن نفاقهم مدخلهم إياها. **٨١**

فليضحكوا قليلا -في حياتهم الدنيا الفانية- وليبكوا كثيرا -سيحدث حتما، في الدار الآخرة الباقية- جزاء بسبب ما كانوا يكسبون من كفر ونفاق. **٨٢**

فإن أرجعك الله إلى طائفة منهم -لم تتب عن النفاق- فاستأذنوك أيها النبي الكريم للخروج -في غزو، إذا رأوه يسيرا- فأخبرهم أن لن يخرجوا معك أبدا، ولن يقاتلوا معك عدوا، إنهم رضوا بالقعود أول مرة -عن غزوة تبوك- فليقعدوا مع الخالفين من النساء والصبيان وأهل الأعذار وممن لا خير فيه. **٨٣**

ولا تصل عل أحد منهم مات أبدا -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه؟ وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟! فقال رسول الله ﷺ: إنما خيرني الله فقال: ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة ﴾، وسأزيد على سبعين، قال: إنه منافق! فصلى عليه رسول الله ﷺ، وأنزل الله عز وجل: ﴿ ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ﴾ ﴾ [البخاري ٤٦٧٠ * مسلم ٢٤٠٠ * الترمذي ٣٠٩٨ * النسائي ١٩٠٠ * ابن ماجة ١٥٢٣ * أحمد ٤٦٨٠]- ولا تقم على قبره -داعيا له مستغفرا- إنهم كفروا بالله ورسوله، وماتوا وهم فاسقون خارجون عن طاعة الله: قد اكتمل فسقهم. **٨٤**

فائدة! لا يجوز الاستغفار لمن مات كافرا -كتابيا كان أو غير ذلك- ولا الدعاء له ولا القيام على قبره ولا الترحم عليه، ولا اعتقاد أن ذلك أو غيره أو أن عمله في الدنيا قد ينفعه بأي صورة كما قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. ﴾ [آل عمران ٨٥].

على كُفرٍ يَموتُ، إلى الجحيمِ ... فلا تَدعوا لهُ، مَنَعَ القديرُ

ولا تعجبك أموالهم وأولادهم -فتستحسن ما معهم- إنما يريد الله أن يعذبهم بسببها في الدنيا -فينفقوا مكرهين مما تعبوا في تحصيله، ويغتموا مما قد يصيب أموالهم وأولادهم، ولا يكفر عنهم به، بخلاف المسلمين- وتخرج أرواحهم بصعوبة وهم كافرون: يريدهم الله في النار أبدا. **٨٥**

وإذا أنزلت سورة -من القرآن، آمرة- أن آمنوا بالله، وجاهدوا مع رسوله استأذنك أهل الغنى منهم -في التخلف عن الجهاد- وطلبوا أن تتركهم يكونوا مع القاعدين من النساء والصبيان وأهل الأعذار. **٨٦**

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ
خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ
لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن
تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟
مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ
عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾
وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ
أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ
أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ
جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾
وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ
كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ
مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ
مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟
مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

رضوا -لأنفسهم- بأن يكونوا مع الخوالف من النساء وممن لا خير فيه، وطبع على قلوبهم -فأغلقت تماما فغدت لا يدخلها إيمان ولا تعي خيرا- فهم لا يفقهون شيئا مما فيه صالحهم. **٨٧**

لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا ببذل أموالهم وأنفسهم، وهؤلاء لهم كل الخير -كالنصر والغنيمة وعدم تسلط الكافرين عليهم، والنساء الحسان في الآخرة كما قال تعالى ﴿ فيهنَّ خيرات حِسان. ﴾ [الرحمن ٧٠]- وهؤلاء هم الفائزون الباقون في النعيم الدائم، الناجون من المهالك. **٨٨**

أعد الله لهم -ولمن جاهد من بعدهم نصرة لدينه، ليس نصرة لمن يحكم بغير ما أنزل كما قال تعالى ﴿ الذين آمنوا يُقاتِلون في سبيل الله والذين كفروا يُقاتِلون في سبيل الطاغوت ﴾ [النساء ٧٦]- جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- ذلك الفوز والفلاح العظيم لا يعادله شيء. **٨٩**

وجاء المعذرون من الأعراب -أهل البادية، بما جاءوا به من أعذار، بحق كانت أو بباطل- ليؤذن لهم -من قبل النبي ﷺ في التخلف عن الجهاد- وقعد الذين كذبوا الله ورسوله -منافقوهم، لم يقدموا أي أعذار- سيصيب الذين كفروا منهم -مقدمي الأعذار الباطلة ومن لم يقدم عذرا- عذاب أليم. **٩٠**

ليس على الضعفاء -في أبدانهم أو أبصارهم- ولا على المرضى -الذين لا يقدرون على تحمل مشاق الجهاد، كما قال تعالى ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ [النور ٦١ ۞ الفتح ١٧]- ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون -فيما يلزمهم للجهاد- مشقة ولا ضيق -في التخلف عن الجهاد- إذا نصحوا لله ورسوله -فآمنوا بالله، وعملوا بما أنزل لهم، وتركوا ما يخالف شرعه، وصدقوا ما جاء به ﷺ وأطاعوه، وقدموا له ولأمراء الجهاد المعلومات والنصيحة والرأي، وجميع مما لهم به خبرة أو دراية من أمور الجهاد، ولم يعينوا عدوا بوجه من الوجوه، إذ- ليس على المحسنين -الناصحين المخلصين من أهل الأعذار كما قال تعالى ﴿ لا يُكلِّف الله نفسا إلا وسعها ﴾ [البقرة ٢٨٦]- أي وسيلة إلى مؤاخذة أو تبعة، والله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمحسنين. **٩١**

وعلى الذين إذا ما أتوك أيها النبي الكريم لتحملهم -للجهاد، قيل ما سألوا إلا النعال!- أخبرتهم أن لا تجد ما تحملهم عليه تنحوا -باكين- وأعينهم تفيض بالدموع، حزانى أن لم يتمكنوا من تدبير نفقتهم ولم يجدوا عندك ما يحتاجون: كذلك ليس عليهم أي وسيلة إلى مؤاخذة أو تبعة، بل وهم وغيرهم من أهل الأعذار والإحسان والنصح مأجورون بإذن الله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك، فدنا من المدينة، فقال: إن بالمدينة أقواما، ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة، حبسهم العذر. ﴾ [البخاري ٤٤٢٣ ★ أبو داود ٢٥٠٨ ★ ابن ماجة ٢٧٦٤ ★ أحمد ١٢٠٠٩]. **٩٢**

إنما الوسيلة إلى المؤاخذة والتبعة على الذين يستأذنوك -في التخلف عن الجهاد- وهم أغنياء -قادرون على نفقته- رضوا -لأنفسهم- بأن يكونوا مع الخوالف من النساء وممن لا خير فيه، وطبع الله على قلوبهم -فأغلقها تماما فغدت لا يدخلها إيمان ولا تعي خيرا- فهم لا يعلمون ما فيه صالحهم. **٩٣**

يعتذرون إليكم -أيها المؤمنون، بأعذارهم الباطلة- إذا رجعتم -من جهادكم- إليهم، أخبرهم أيها النبي الكريم ألا يعتذروا، لن تطمئنوا لهم ولن تصدقوهم، قد أخبركم الله -عن طريق الوحي- بشيء مما في سرائرهم، وسيرى الله عملهم، ورسوله: كذلك سيرى، تابوا وأحسنوا؟ أم ظلوا كما هم؟ ثم يردون -بعد الموت- إلى عالم ما غاب وما شوهد، فيخبرهم بما كانوا -في الدنيا- يعملون، ويجازيهم به. **٩٤**

سيحلفون بالله لكم -أيها المؤمنون، تأكيدا لأعذارهم الباطلة- إذا عدتم -من جهادكم- إليهم لتعرضوا عنهم وتنصرفوا، فأعرضوا عنهم منصرفين -ساخطين عليهم- إنهم قاذورات -لما يبطنون من معتقدات قبيحة ويعملون من أعمال سيئة- ومستقرهم جهنم، جزاء بسبب ما كانوا يكسبون من كفر ونفاق. **٩٥**

يحلفون لكم لترضوا عنهم -فلا ترضوا عنهم، ولا تقبلوا أعذارهم الباطلة- فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته. **٩٦**

الأعراب أشد كفرا ونفاقا -إن كفروا ونافقوا كان كفرهم أشد من كفر أهل الحضر ونفاقهم أشد، لأنهم أقسى قلوبا وأغلظ طباعا ممن يسكن أجواء مختلفة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن. ﴾ [أبو داود **٢٨٥٩** ★ الترمذي **٢٢٥٦** ★ النسائي **٤٣٠٩** ★ أحمد **٣٣٦٢**]- وأجدر وأحرى ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله -حيث أنهم في باديتهم أبعد عن سماع آيات الله ومعرفة سنة رسوله، لذلك هم أقل علما بالدين- والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٩٧**

ومن الأعراب من يعد ما ينفق -زكاة واجبة كانت أو غير ذلك- غرامة وخسارة -فهو ينفق إما عصمة لدمه وماله أو رياء، ليس يرجو بما ينفق رضا الله وثوابه، فلا خير له عنده سبحانه- وينتظر ويترقب بكم دوران الزمان -أيها المؤمنون، ليحل بكم شر وهلاك- عليهم دورة الزمان بالسوء -والشر والهلاك، جعل الله ذلك عقابا لهم- والله سميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. **٩٨**

ومن الأعراب من يؤمن بالله -وحده لا شريك له- واليوم الآخر -البعث والحساب- ويعد ما ينفق -لله مخلصا- قربات عند الله -بها يتقرب إليه- وسببا ينال به دعوات الرسول، ألا إن إنفاقهم ودعواته قربة لهم، سيدخلهم الله -بفضله- في رحمته، إن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. **٩٩**

فائدة! الإيمان شرط قبول العمل كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين. ﴾ [مسلم **٢١٤** ★ أحمد **٢٤٦٢١**]، والكافر إن أخلص لله عملا فكما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها. ﴾ [مسلم **٢٨٠٨** ★ أحمد **١٢٢٣٧**].

وفي الدُّنيا سيُطعِمُهُم حَليمٌ ... وللكفَّارِ في الأُخرى سعيرُ

يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ
لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى
ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ
لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ
عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن
تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾
ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ
ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ
ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ
سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٩﴾

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ
لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ
ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ
مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ
نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٖ ١٠١ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا
وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢
خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ
إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ
وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ
إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠٦

والسابقون الأولون -ليسوا كغيرهم كما قال تعالى ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ [الحديد ١٠]- من المهاجرين -وقد تركوا ديارهم لإقامة دين الله ودولة الإسلام- والأنصار -وقد نصروا من هاجر إليهم وأسكنوهم ديارهم- والذين اتبعوهم بإحسان -في الاعتقاد والأقوال والأعمال، إلى يوم القيامة سالكا مسلكهم- رضي الله عنهم -بما قدموا في الدنيا- ورضوا عنه -بما جزاهم به- وأعد لهم جنات تجري بها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- أبدا، ذلك الفوز والفلاح العظيم لا يعادله شيء. ١٠٠

فائدة! الاقتداء بالمهاجرين والأنصار فيما أحسنوا فيه من اعتقاد وأقوال وأعمال يوجب رضا الله والجنة.

بهِ، وبِصَحبِهِ السَّبَّاقِ مِنهُم ... بإحسانٍ لِنَقتَدِ، لا نَحورُ

وممن حولكم -أيها المؤمنون- من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة كذلك منهم منافقون، أقاموا على النفاق وأبوا غيره، لا تعلمهم أيها النبي الكريم -بأعيانهم لمهارتهم في النفاق لكن- الله يعلمهم، سيعذبهم سبحانه مرتين -في الدنيا وفي القبر- ثم يردون -يوم القيامة- إلى عذاب عظيم. ١٠١

وآخرون -كمن تخلفوا عن غزوة تبوك لغير عذر مسوغ لكن لم يعتذروا بأعذار باطلة، وغيرهم- اعترفوا بذنوبهم -مقرين بها نادمين عليها- خلطوا عملا صالحا -دل شرع الله أنه يثاب عليه فاعله، مخلصين لله بغير رياء، وأعظمه الإسلام- وآخر سيئا -تقصيرا في واجبات كان أو تجرؤ على محرمات، ويرجون مغفرة ربهم- الله سيوفقهم -بلطفه- للتوبة، إن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. ١٠٢

خذ من أموالهم صدقة -الزكاة الواجبة وما يتطوعون به- تطهرهم -من آثار ما تابوا عنه- وتنزههم وتنمي حسناتهم وأموالهم بها كما قال تعالى ﴿ يمحق الله الربا ويُربي الصدقات ﴾ [البقرة ٢٧٦]، وادع أيها النبي الكريم لهم -مستغفرا، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما ﴿ كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صل على آل فلان، فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى. ﴾ [البخاري ١٤٩٧ ★ مسلم ١٠٧٨ ★ أبو داود ١٥٩٠ ★ النسائي ٢٤٥٩ ★ ابن ماجة ١٧٩٦ ★ أحمد ١٩١١١]- إن دعاءك سكن لهم -تسكن إليه أنفسهم، وبه تطيب وتطمئن- والله سميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ١٠٣

ألم يعلم المؤمنون المقصرون أن الله هو يقبل التوبة عن عباده -لا يردها- ويأخذ الصدقات -متقبلا إن كانت من حلال وينميها لصاحبها- وأن الله هو الكثير التوبة على عباده، العظيم الرحمة بالتائبين؟ ١٠٤

وأخبر أيها النبي الكريم الناس أن يعملوا، فسيرى الله عملهم، ورسوله والمؤمنون: كذلك سيرون، تابوا وأحسنوا؟ أم ظلوا كما هم؟ وسيردون -بعد الموت- إلى عالم ما غاب وما شوهد، فيخبرهم بما كانوا -في الدنيا- يعملون، ويجازيهم به. ١٠٥

وآخرون -تخلفوا عن غزوة تبوك لغير عذر مسوغ ولم يعتذروا بأعذار باطلة، هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهم- مؤخرون لأمر الله، إما يعذبهم -إن ظلوا على ما هم عليه- وإما يوفقهم للتوبة -إن علم فيهم خيرا- والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ١٠٦

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ
وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ
لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ
مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن
يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ
عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي
ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ
فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠
۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم
بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ
وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ
وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ
بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١

والذين اتخذوا مسجدا -مقرا- للإضرار والكفر -بالدين وذلك بتقوية المنافقين- والتفريق بين المؤمنين، والإعداد انتظارا لمن حارب الله ورسوله من قبل -وهم من جملة المنافقين- وليحلفن ما أرادوا -ببنائه- إلا -الفعلة- الحسنى -رفقا بعباد الله: ضرير وعاجز وعليل وضعيف- والله يشهد: إنهم لكاذبون. **١٠٧**
لا تقم أيها النبي الكريم -مصليا، ولا أحد من أمتك- فيه -ولا فيما يشبهه- أبدا، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم -أسس فيه، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: هو مسجدي هذا. ﴾ [مسلم **١٣٩٨** ★ الترمذي **٣٠٩٩** ★ النسائي **٦٩٧** ★ أحمد **١١٠٤٦**]- أحق أن تقوم فيه وأولى، فيه رجال -يرتادونه- يحبون أن يتطهروا -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهَّروا ﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية. ﴾ [أبو داود **٤٤** ★ الترمذي **٣١٠٠** ★ ابن ماجة **٣٥٧**]- والله يحب المطهرين من الذنوب والجنابة والأقذار. **١٠٨**
فائدة! المساجد التي يؤسسها من يحارب الله ورسوله ممن يحكمون بغير ما أنزل الله ومن يعاونهم من أفراد وأجهزة -ويراقبون فيها عباد الله ويلاحقونهم ويضيقون عليهم- مساجد ضرار، فلا يدخلنها مسلم.
ضِرارًا شَيَّدَ الحُكَّامُ فَخًّا ... وقالوا مَسجِدٌ! أَوَعى الحُضورُ؟
أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ورضا -راجيا ذلك بما يبني لخدمة أهل الإسلام- خير وأفضل، أم من أسس بنيانه على شفير حفير متداعٍ، فانهار بمن بناه -وتهدم هاويا- في نار جهنم؟ والله لا يوفق ولا يرشد القوم الظالمين لأنفسهم بالإصرار على الكفر. **١٠٩**
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم -ونفاقا ثابتا، قد زاد بعد هدمه لما أصابهم من غيظ- إلا أن تقطع قلوبهم -فيموتوا أو يتوبوا- والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **١١٠**
إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم -أغلى ما لديهم، فبذلها سعيا لظهور وتبليغ دينه عظيم- وأموالهم -فأثابهم على جهادهم ببذلها- بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله نصرة لدينه -دفعا وطلبا، باذلين ما في وسعهم من مال وجهد وعلم وغير ذلك- فيقتلون -أعداء الله- ويتم قتل بعضهم، وعدا عليه حقا صادقا واقعا -استحقاق الجنة لمن يجاهد لتكون كلمته هي العليا، ثابتا- في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أكثر وفاء بعهده من الله؟ لا أحد! فاستبشروا -وأظهروا السرور أيها المؤمنون- ببيعكم الذي بايعتم -الله- به! وذلك -البيع الذي تربحون فيه الجنة- هو الفوز والفلاح العظيم الذي لا يعادله شيء. **١١١**
فائدة! فرض الله الجهاد على المسلمين، فصاروا مطالبين به: دفعا -دون إذن الحاكم- للصائل على الدين والدم والعرض والمال والعقل، وطلبا لما تحت حكم الكفرة من أراض ليقيموا شرع الله فيها، فلا تنتظروا أن يهلك الله الكفرة والظلمة ومن والاهم دون جهاد، ولا تلتمسوا طريقا غير الذي فرض ربكم.
نُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ فَرضًا ... مَنِ اتَّبَعَ السبيلَ لهُ الأُجورُ

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ
ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ
وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ
مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا
كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ
إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ
لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ
هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ
عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ
وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾
لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ
فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾

التائبون -الراجعون عما يسخط الله إلى ما يرضيه- العابدون -القائمون بما أمر به بإخلاص- الحامدون -ربهم في السراء والضراء- الصائمون -كذلك الجائلون بأفكارهم في قدرة الله وملكوته- المصلون دوما القائمون على الأمر بما دل الشرع والعقل على حسنه والنهي عما دلا على قبحه، والحافظون لحدود الله -من التبديل والتجاوز: لا يحكمون بغير ما أنزل، ولا يسنون ما يخالف شرعه، ولا يتجاوزون حدود الحلال إلى الحرام، لجهادهم وطاعتهم لهم الجنة- وبشر أيها النبي الكريم المؤمنين بما يسرهم. **١١٢**
ما صح للنبي والذين آمنوا أن يطلبوا المغفرة للمشركين، ولو كانوا أقرباء -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنهما ﴿ لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ، وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال: أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل، فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى كان آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال له النبي ﷺ: لأستغفرن لك، ما لم أنه عنك، فنزلت: ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾، ونزلت: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ ﴾ [البخاري ٣٨٨٤ * مسلم ٢٤ * النسائي ٢٠٣٥ * أحمد ٢٣٦٧٤]- من بعد ما تبين لهم أنهم ماكثون في الجحيم، يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه. **١١٣**
وما كان طلب إبراهيم المغفرة لأبيه إلا بسبب وعد وعده إياه -عليه السلام، كما قال تعالى ﴿ إذ قالوا لقومهم إنا بُرَآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرَنَّ لك وما أملك لك من الله من شيء ﴾ [الممتحنة ٤]- فلما تبين لإبراهيم عليه السلام أن أباه -حين مات كافرا- عدو لله -قد وجبت له النار- تبرأ منه -وكف عن استغفار الله له- إن إبراهيم لكثير الذكر والتضرع إلى الله، كثير الحلم يصبر على الناس والأذى. **١١٤**
فائدة! البراءة من الكفر وأهله واجب متحتم، والاستغفار لمن مات على غير الإسلام لا يجوز بحال.

بَراءتُنا مِنَ الكفَّارِ أمضى ... مِنَ البَتَّارِ، أرشَدَنا النَّصيرُ

وما كان الله ليضل قوما -فيغمرهم في الضلال- بعد إذ وفقهم وأرشدهم -إلى دينه- حتى يبين لهم ما يجب اتقاؤه -فإن لم يجتنبوه حكم عليهم بالضلال- إن الله بكل شيء عليم، بالنيات وبالأفعال. **١١٥**
إن الله له ملك السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، يحيي الخلائق ويميتها وليس لكم من دون الله -أيها المؤمنون- من ولي يواليكم فيجلب لكم الخير، ولا نصير ينصركم فيدفع عنكم الشر. **١١٦**
لقد تاب الله على النبي -متجاوزا عن تعجله في الإذن لبعض من أراد التخلف عن الجهاد قبل التثبت من صدق أعذارهم كما قال تعالى ﴿ عفا الله عنك لِمَ أذنت لهم حتى يتبيَّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين. ﴾ [التوبة ٤٣]- والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة -في غزوة تبوك، رغم شدة الحر وقلة الزاد، فغفر زلاتهم- من بعد ما كاد ينحرف قلوب فريق -محدود- منهم -عن الحق، إذ هموا بالتخلف- ثم وفقهم للتوبة -مما هموا به، فثبتهم- إنه بهم شديد الرأفة، عظيم الرحمة. **١١٧**

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ
بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم
مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ
بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ
وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا
يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ
لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾
وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ * وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ
فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

وعلى الثلاثة -كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ﷺ- الذين أخر قبول توبتهم، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض على سعتها وضاقت عليهم صدورهم -لإعراض الناس عنهم، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث كعب بن مالك ﷺ ﴿ فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا، قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا: قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ ووافى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر ﴾ [البخاري ٤٤١٨ * مسلم ٢٧٦٩ * أبو داود ٢٧٧٣ * أحمد ٢٧١٧٥]- وظنوا -بل أيقنوا- أن لا ملجأ من الله إلا إليه، ثم وفقهم للتوبة -لم يعجل عقابهم- ليتوبوا -ويثبتوا على التوبة- إن الله هو الكثير التوبة على عباده، العظيم الرحمة بالتائبين. **١١٨**

فائدة! يجوز هجران أهل المعاصي من المسلمين تأديبا لهم لينزجروا.

ونَهجُرُ أهلَ عِصيانٍ لِكيلا ... تَزيدَ المُنكَراتُ وتَستطيرُ

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وكونوا مع الصادقين: لا مع المنافقين. **١١٩**
ما صح لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله -إذا استنفرهم للجهاد، أو له خرج- ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه -بل يكابدوا معه مشاق الجهاد- ذلك -الوجوب- بسبب أنهم لا يصيبهم عطش ولا تعب ولا مجاعة في سبيل الله نصرة لدينه، ولا ينزلون منزلا يغيظ الكفار -وجودهم فيه- ولا ينالون من عدو نيلا -قتلا أو جرحا أو أسرا أو سبيا أو غنيمة، أو غير ذلك- إلا كتب لهم به ثواب عمل صالح، إن الله لا يضيع ثواب المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. **١٢٠**
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة، ولا يقطعون واديا -متجاوزين إياه، ولا بحرا ولا نهرا ولا غير ذلك، بأي وسيلة كانت، ولا يسيرون مسيرة- إلا كتب لهم -ثواب ما قاموا به- ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ [النمل ٨٩ ۞ القَصص ٨٤]. **١٢١**

فائدة! تأشيرات ديار الكفار وأختام دخولها ونحو ذلك ليست عقود أمان إذ لا توفر أمانا لنا: ولا لهم!

بلادَ الكُفرِ لمْ نُعطِ الأمانَ ... فتأشيراتُها ليستْ تُجيرُ

وما كان المؤمنون لينهضوا للجهاد كافة -ما صح ذلك طلبا لعدوهم، أما دفعا فيجوز نهوضهم جميعا- فهلا نهض للجهاد من كل فرقة -أو بلد أو قبيلة، أو قوة متخصصة- منهم طائفة: ليس الجميع، فلا يتم استئصالهم إن تعرضوا لهزيمة؟ ليتفقهوا في الدين -فيطلب العلم الشرعي من لم ينهض للجهاد- ولينذروا قومهم -الذين خرجوا- إذا رجعوا إليهم، رجاء أن يحذروا فلا يعملوا بخلاف شرع الله. **١٢٢**

فائدة! إذا داهم العدو ديار المسلمين فالخروج لدفعه فرض عين على كل قادر: المرأة والولد والمدين والعبد، بغير إذن الزوج والأبوين والدائن والسيد، فإن لم يستطع أهلها أو قصروا يتوسع الفرض ليشمل من يمكنه الوصول من رجال المسلمين: ولا سيما الكوادر، شرعية وعسكرية وطبية وهندسية وغيرها.

إذا صالَ العَدُوُّ على دِيارٍ ... فَفَرضٌ دَفعُهُ، عَينًا يَصيرُ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ
ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ
مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن
يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ
رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوۡنَ
أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ
سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ
أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ
لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ
عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ
رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار -الأدنى لإلحاق الضرر بكم فالأدنى- وليجدوا فيكم غلظة وشدة، واعلموا أن الله مع المتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه بالعون والتأييد. **١٢٣**

فائدة! العدو الأدنى منذ قيام النظام الدولي ومؤسساته -وعلى رأسها الأمم المتحدة- لم يعد الأقرب جغرافيا، بل الأقدر على إدارة العالم وتوجيهه والتأثير فيه، ومن ثم الأخطر على الإسلام والمسلمين.

نُجاهِدُ مَنْ يَلينا لا نُبالي ... أكانَ مُلاصِقًا، يُبغى الخطيرُ

وإذا ما أنزلت سورة -من القرآن- فمنهم من يسأل -إخوانه في النفاق متهكما، والمؤمنين عاملا على تشكيكهم في دينهم- أيكم زادته هذه -السورة- إيمانا؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا -فالإيمان يزيد وينقص- وهم -بهذه الزيادة التي أنزلها الله، وبنزول الوحي بما ينفعهم خيرا- يستبشرون. **١٢٤**

وأما الذين في قلوبهم شك وشبهة فزادتهم قذارة -ونفاقا- إلى قذارتهم، وماتوا وهم كافرون. **١٢٥**

أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين: فيختبرهم سبحانه بالمصائب في الأموال أو الأبدان، ويكلفهم بتكاليف تشق عليهم لنفاقهم، كالإنفاق والخروج للجهاد؟ ثم لا يتوبون -عن نفاقهم إذ ثبت في قلوبهم- ولا هم يذكرون: ما حل بهم فيتعظوا كما يتعظ المؤمنون بما يحل بهم من مصائب. **١٢٦**

وإذا ما أنزلت سورة -من القرآن- نظر بعضهم إلى بعض -متسائلين- هل يراكم من -المؤمنين- أحد؟ ثم انصرفوا، صرف الله -عن الحق- قلوبهم، بسبب أنهم قوم لا يفقهون شيئا مما فيه صالحهم. **١٢٧**

لقد جاءكم -أيها الناس- رسول من جنسكم البشري -يريد لكم الهداية- عزيز عليه شاق أن يصيبكم العناء والإثم، حريص عليكم -لا يريد لكم دخول النار- بالمؤمنين شديد الرأفة، عظيم الرحمة. **١٢٨**

فائدة! وجود جماعة تحكم بشرع الله وتجاهد لذاك الغرض، لها إمام يأخذ بالأسباب والوسائل الشرعية ليظهر وينشر الحق من أعظم النعم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ﴿ كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين، وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة، ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق: كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك. ﴾ [البخاري **٣٦٠٦** ★ مسلم **١٨٤٧** ★ أبو داود **٤٢٤٦** ★ ابن ماجة **٣٩٧٩** ★ أحمد **٢٣٢٨٢**].

وجودُ جماعةٍ ولها إمامٌ ... يَقودُ بشَرعِ ربِّي، هلْ نُتيرُ؟

فإن أعرضوا متنحين عن الإيمان فأخبرهم أيها النبي الكريم أن كافيك الله، لا معبود بحق سواه، عليه وحده اعتمدت في جميع أحوالك، وهو رب العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- العظيم. **١٢٩**

★ سورة يونس ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]، تلك آيات الكتاب -المنزل- ذي الحكمة: الحاكم المحكم المشتمل على الحكمة والأحكام. ١

أكان للناس مدعاة للتعجب أن أوحى الله إلى رجل منهم -يعرفون حاله ونسبه وصدقه- أن أنذر الناس: عقاب الله؟ وبشر الذين آمنوا أن لهم -بما يقدمون من إيمان وعمل صالح- منزل صدق ومكان عال عند ربهم؟ كانت إجابة الكافرون -لما أنذرهم- أن هذا -الرجل، يقينا- ساحر واضح السحر. ٢

إن ربكم -أيها المتعجبون- الله -الإله الذي يضرع إليه الخلائق، المعبود بحق- الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- استواء يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه لا ندري كيفيته، يدبر -وحده- أمر الكون وشؤون الخلق، ما من شفيع يشفع لمخلوق عنده إلا من بعد إذنه، ذلك -المتصف بهذه الصفات، أيها الناس، هو- الله ربكم، فاعبدوه -وحده دون سواه ولا تشركوا به شيئا ولا أحدا- أفلا تذكرون: فتتعظوا، فتوحدوا الله ربكم؟! ٣

إليه رجوعكم جميعا في الآخرة، وعد الله حقا صادقا واقعا، إنه يوجد الخلق ابتداء -ثم يميته- ثم -هو وحده- يعيده -حيا- ليجزي الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة بالعدل -فليس ينقص من ثوابهم شيء- والذين كفروا لهم شراب من حر متناه شدته وعذاب أليم بسبب كفرهم كما قال تعالى ﴿ كمن هو خالد في النار وسُقُوا ماء حميما فقَطَّع أمعاءهم ﴾ [محمد ١٥]. ٤

هو الذي جعل الشمس ذات ضياء -بذاتها تضيء، كما قال تعالى ﴿ وجعل القمر فيهنَّ نورا وجعل الشمس سِراجا. ﴾ [نوح ١٦]- والقمر ذا نور، وقدره -حركته والمسافة المقطوعة في اليوم والليلة، فهو ينزل- منازل -ليس يتخطاها، فيتم دورته في مدة محددة، حتى يعود كما قال تعالى ﴿ والقمر قدَّرناه منازل حتى عاد كالعُرجون القديم. ﴾ [يس ٣٩]، فيبدأ دورة جديدة- لتعلموا عدد السنين وحساب الأيام والشهور، ما خلق الله ذلك -الإبداع- إلا بالحق: ليس لعبا، بل سيجازي كل نفس مكلفة بما قد كان منها كما قال تعالى ﴿ وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ [الجاثية ٢٢]، يفصل الآيات الدالة على حكمته وكمال قدرته ويبينها ليعلمها أناس فينتفعوا وينفعوا. ٥

إن في تعاقب الليل والنهار، وما خلق الله في السماوات والأرض -من مكونات كثيرة تعمل في انسجام مبهر- لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لقوم يتقون بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه. ٦

فائدة! المتقون يذكرون الله، ويتفكرون في خلقه ويدعونه سبحانه كما قال تعالى ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقُعودا وعلى جُنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقِنا عذاب النار. ﴾ [آل عمران ١٩١].

وَنَذكُرُ ربَّنا، في الخَلْقِ فَكِّرْ ... وَندعو أنْ قِنا نارًا تَفورُ

سُورَةُ يُونُس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ
أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا
لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ
إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣
إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ
لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤
هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ
لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ
يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ
وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ
بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ
ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ
ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ
لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ
ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ
لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ
ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا
عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ
مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ
لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ
خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾

إن الذين لا يتوقعون لقاءه سبحانه -فلا يخافونه، ولا في ثوابه يطمعون أو يرغبون- ورضوا بالحياة الدنيا -الفانية، عوضا عن الآخرة الباقية- وسكنت إليها أنفسهم، والذين هم عن آيات الله -المنزلة والكونية والعقلية- غافلون: لا يعذرون لا بجهل ولا بتأويل ولا بتقليد أحد، إذ كان بإمكانهم التعلم والتفكر. **٧**
هؤلاء مستقرهم النار بسبب ما كانوا يكسبون من تكذيب بلقاء الله ورضا بالدنيا وغفلة عن آياته. **٨**
إن الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة يوفقهم ربهم ويرشدهم -إلى عمل يرضيه- بسبب إيمانهم -وبعد الموت كما ورد عن النبي ﷺ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ﴿ ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟! فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة ﴾ [أحمد ١٨٥٣٤]، ثم في الآخرة- تجري خلال منازلهم وبساتينهم الأنهار في جنات النعيم الدائم. **٩**
دعواهم في الجنة تنزيهك يا الله وتقديسك، وتحية الله والملائكة لهم وتحية بعضهم لبعض فيها كلام سالم من الإثم، ويسلمون من كل مكروه، وآخر دعواهم -ما يختمون به دعاءهم- أن كامل الثناء على الله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. **١٠**
ولو يعجل الله للناس الشر -فيجيب دعاءهم على أموالهم وأولادهم بل وأنفسهم كما قال تعالى ﴿ وإذ قالوا اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴾ [الأنفال ٣٢]، مثل- استعجالهم -إجابته- بالخير لقضي إليهم أجلهم -وهلكوا، لكنه يمهلهم- فيترك الله الذين لا يتوقعون لقاءه سبحانه -عقابا لهم على عنادهم- في طغيانهم -وتجاوزهم- يتخبطون. **١١**
وإذا نال الإنسان الضرر دعا الله -مجتهدا، في جميع أحواله- مضطجعا أو جالسا أو قائما، فلما رفع الله عنه ضرره مضى -على ما كان عليه- كأن لم يدع الله إلى -رفع- ضرر ناله، مثل ذلك التزيين زين الشيطان والهوى للمسرفين متجاوزي الحدود ما كانوا يعملون من قبائح فاستحسنوها. **١٢**
فائدة! شكر الله على النعم يوجب زيادتها كما قال تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنَّكم ﴾ [إبراهيم ٧]، ودفع النقم والضرر من جملة النعم التي وعد سبحانه بزيادتها، فشكر الله -بالقلب خضوعا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافا، وبالجوارح طاعة وانقيادا- في السراء مؤذن بعدم وقوع -أو بتخفيف أثر- الضراء.
لَئِنْ شَكَرَ الوَرَى رَبِّي لَزَادَ ... مِنَ النِّعَمِ، استَزِيدوا لا تَبورُ
ولقد أهلك الله الأمم المتتالية من قبلكم -أيها المشركون- لما ظلموا -أنفسهم بالكفر واقتراف الآثام- وجاءتهم رسلهم بالأدلة الجلية البينة على صدقهم، وما كانوا ليؤمنوا -من بعد أن جاءتهم الأدلة، بما كذبوا به من قبل مجيئها، بل هم مستمرون على العناد والكفر- مثل ذلك الجزاء بالطبع على القلوب المؤدي إلى الهلاك يجزي الله القوم المجرمين مستحقي العقاب. **١٣**
ثم جعلكم الله -أيها الناس- تخلفون من سبقكم من أمم في الأرض من بعد إهلاكهم -بعد أن كذبوا رسله- لينظر سبحانه كيف تعملون: خيرا فتثابون؟ أم شرا فتعاقبون؟ **١٤**

وإذا تقرأ عليهم آيات الله -المنزلة- مبينة للحق سأل الذين لا يتوقعون لقاءه سبحانه أن تأتي بقرآن غير هذا -الذي يذم الشرك بالله وعبادة الأوثان وأهلها- أو تبدله -مغيرا ما لا يوافق أهواءهم منه- أخبرهم أن ما يصح لك أيها النبي الكريم -ولا لغيرك- أن تبدله من تلقاء نفسك -لا في قليل ولا في كثير، فليس هذا إلا لله، وبالأولى لا يمكنك أن تأتي بغيره- إن تتبع إلا ما يوحى إليك -ليس إلا- مؤكدا أنك تخاف إن عصيت ربك -حاشاك، فأشركت به أو راءيت، أو خالفت أوامره، ومن جملتها تبليغ ما أمرك بتبليغه كاملا تاما دون تحريف- عذاب يوم عظيم: القيامة. **١٥**

أخبرهم أن لو شاء الله ما قرأته عليهم -ولا بلغهم منه شيء على لسانك- ولا أدراهم -سبحانه- به، فقد مكثت بينهم عمرا من قبل نزوله وقراءته عليهم -فقد بعثت وأنت ابن أربعين كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين، فأقام بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشرا، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين. ﴾ [البخاري ٣٨٥١ * مسلم ٢٣٥١ * الترمذي ٣٦٢١ * أحمد ٢١١٠]، لا تقرأ ولا تكتب، ولا تنشد الشعر، ولا تكذب!- أفلا ينتفعون بعقولهم؟! **١٦**

فمن أعظم ظلما ممن افترى على الله كذبا -فزعم أن له ولد أو زوجة أو شركاء، أو نسب إليه ما لم يقل، أو حرم ما أحل أو أحل ما حرم- أو كذب بآياته -منزلة كانت أو كونية أو عقلية- إنه لا نجاة ولا فوز للمجرمين مستحقي العقاب. **١٧**

ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، ويزعمون أن هؤلاء -الأوثان- شفعاؤهم عند الله -تشفع لهم عنده، وتقربهم إليه كما قال تعالى ﴿ والذين اتَّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا لِيُقَرِّبونا إلى الله زُلفى ﴾ [الزُّمَر ٣]- سلهم أيها النبي الكريم أيخبرون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض: أن له شركاء لا يعلمهم يشفعون لعابديهم عنده؟! تنزه وتقدس وتباعد وارتفع عما يشرك الخلق به. **١٨**

فائدة! الطواف بالقبور والأضرحة وسؤال الأموات والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم عبادة لهم من دون الله، ولكن رعاية ذلك رسميا وحمايته بقوة القانون والسلاح وتجريم بل ومعاقبة من ينكره لا يعده علماء الطواغيت شركا! وهو داخل عندهم في الكفر دون كفر والكلام عنه علامة على الخارجية والحركية.

نُكَفِّرُ كُلَّ سُلطانٍ يُحامي ... عَنِ الشِّركِ انبَرى يَفديهِ قِيرُ

وما كان الناس إلا أمة واحدة -على دين واحد- فاختلفوا -بين مؤمن وكافر- ولولا ما سبق من قضاء ربك أيها النبي الكريم -ألا يعجل عقابهم في الدنيا- لقضي بينهم فيما فيه يختلفون: فلجازاهم. **١٩**

ويقترحون أن ينزل عليه آية دالة على صدقه من ربه، فأخبرهم أيها النبي الكريم أنما الغيب لله -يختص وحده بعلمه، ومن جملة ما غاب عن خلق الله نزول الآيات- فلينتظروا -نزول ما يقترحون- إنك معهم من المنتظرين: لمن تكون العاقبة، فسوف يعلمون من تكون له الغلبة والاستمرارية في الدنيا ثم الجنة في الآخرة كما قال تعالى ﴿ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يُفلح الظالمون. ﴾ [الأنعام ١٣٥]. **٢٠**

وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ
لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ
إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ قُل
لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ
فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦﴾
فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا
كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ
سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٩﴾
وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا
ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ
فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾
هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ
وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ
وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ
دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ
مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ
ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ
بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ
أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ
عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ
بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ
إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾

وإذا أذاق الله الناس رحمة من بعد شدة نالتهم -كالأمن بعد خوف والشفاء بعد مرض والغنى بعد فقر والمطر والخصب بعد جدب وقحط ونحو ذلك- إذا لهم -فجأة- مكر في آيات الله -يتآمرون لدفعها، كأن ينسب المشركون الفضل لآلهتهم- أخبرهم أيها النبي الكريم أن الله أسرع مكرا -واستدراجا لهم، ثم عقوبة- إن رسله سبحانه -الحفظة من الملائكة- يكتبون مكرهم ليجازيهم بتآمرهم في الآخرة. **٢١**
هو الذي يسيركم -أيها الناس- في البر والبحر -بما يسر لكم من أسباب، كالأقدام وظهور الدواب، والعقول والأيدي التي تستخدمونها لصناعة وسائل التنقل التي تحملكم برا وبحرا وجوا- حتى إذا كنتم في -المياه، على ظهور- السفن، وجرت بالراكبين -ومنهم مشركون بالله- بريح طيبة -ليست بعاصفة- وفرحوا بذلك جاءتها ريح عاصف -قوي الهبوب- وجاءهم الموج من كل مكان -فلا يمكن تفادي أثره- وظنوا -بل أيقنوا، رغم وجود قليل رجاء- أنهم أحيط بهم -وهلكوا- دعوا الله مخلصين له الدين -بلا شرك ولا رياء- مقسمين لئن أنجيتنا -سبحانك- من هذه -الشدة- لنكونن من الشاكرين. **٢٢**
فلما أنجاهم إذا هم -فجأة- يبغون في الأرض بغير الحق -معتدين بالكفر واقتراف الآثام، فلم يشكروه كما تعهدوا- يا أيها الناس إنما بغيكم -وبال- على أنفسكم، تتمتعون الحياة الدنيا -وهي قطعا فانية- ثم إليه سبحانه رجوعكم في الآخرة فيخبركم سبحانه بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم به. **٢٣**
فائدة! نجى الله طغاة من المحاسبة الدنيوية بعد ما يعرف بثورات الربيع العربي، فعادوا أسوأ مما كانوا.
وَنَجَّى مِنْ طُغَاةِ الأَرضِ قِسمًا ... فهلْ شَكَروا؟ بَلِ الكُفرُ المصيرُ
إنما مثل الحياة الدنيا -في سرعة انقضائها- كمطر أنزله الله من السماء، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام -فشربت الحبوب والثمار وكلأ البهائم ونحو ذلك، فنما النبات- حتى إذا أخذت الأرض لونها المزخرف الزاهي وازينت -بما خرج منها- وظن أهلها -بل أيقنوا، وقد اطمأنوا لما عاينوا- أنهم قادرون -على حصادها والانتفاع بما- عليها جاءها أمر الله -بهلاكها، في أي وقت شاء- ليلا أو نهارا فجعلها سبحانه -كزرع محصود- حصيدا كأن لم تكن غنية -بما عليها عامرة- إلى عهد قريب، مثل ذلك الشرح والتفصيل يفصل الله الآيات ويبينها ليتفكر فيها أناس فيعتبروا، فينتفعوا بها وينفعوا. **٢٤**
والله يدعو -عباده- إلى دار السلام -جنته، يسلم من فيها من كل مكروه، وتحية الله والملائكة لهم وتحية بعضهم لبعض فيها سلام كما قال تعالى ﴿ وتحيتهم فيها سلام ﴾ [يونس ١٠]، يدعوهم الله في الدنيا ببعث الأنبياء، فيقيم عليهم الحجة- ويوفق ويرشد من يشاء إلى طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إليه وجنته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنهما ﴿ إن الله ضرب مثلا صراطا مستقيما، على كنفي الصراط سوران، لهما أبواب مفتحة، على الأبواب ستور، وداع يدعو على رأس الصراط، وداع يدعو فوقه، ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. ﴾، والأبواب التي على كنفي الصراط حدود الله، فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر، والذي يدعو من فوقه واعظ ربه. ﴾ [الترمذي **٢٨٥٩** ★ أحمد ١٧٦٣٦]. **٢٥**

للذين أحسنوا -في دنياهم، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾ [البخاري ٥٠ ★ مسلم ٩ ★ أبو داود ٤٦٩٨ ★ النسائي ٤٩٩١ ★ ابن ماجة ٦٤ ★ أحمد ٩٥٠١]- الجنة، وزيادة -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث صهيب الرومي ﵁ ﴿ إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، ثم تلا هذه الآية: ﴿ للذين أحسنوا الحُسنى وزيادة ﴾ ﴾ [مسلم ١٨١ ★ الترمذي ٢٥٥٢ ★ ابن ماجة ١٨٧ ★ أحمد ١٨٩٣٥]- ولا يلحق وجوههم ما يرهقها من ظلام أو ذل أو تصاغر، هؤلاء ماكثون في الجنة هم فيها خالدون لا يخرجون منها. ٢٦

والذين كسبوا السيئات -بسبب الكفر أو اقتراف الآثام- جزاء -كل- سيئة بمثلها -لا يزاد عليها شيء كما قال تعالى ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يُجزى إلا مثلها وهُم لا يُظلمون ﴾ [الأنعام ١٦٠]- ويلحقهم ما يرهقهم من ذل وتصاغر، ما لهم من الله من عاصم -يحفظهم من عذابه- كأنما غمرت وجوههم وغطيت سوادا من الليل مظلما، هؤلاء ماكثون في النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها. ٢٧

واذكر أيها النبي الكريم يوم -القيامة، حين- يجمع سبحانه خلقه جميعا، ثم يأمر الله -موبخا- الذين أشركوا أن -الزموا- مكانكم أنتم وشركاؤكم -الذين عبدتم من دونه، بلا حركة- ففرق الله بينهم وميز -وبدت العداوة- وأنكر شركاؤهم أن كانوا إياهم يعبدون: بل كانوا يعبدون أهواءهم وضلالهم. ٢٨

فكفى بالله شاهدا بيننا وبينكم، إن كنا عن عبادتكم -لنا- لغافلين: فتخبرهم الطواغيت التي أشركوها بالله أنها ما أمرتهم بعبادتها، ولا علمت بذلك، ولا قبلته منهم. ٢٩

في هذا المقام تختبر كل نفس جزاء ما قدمت سالفا، وردوا إلى الله مولاهم الحق -مالكهم الحقيقي ومتولي أمورهم للجزاء- وبطل كذبهم وخذلهم ما كانوا يفترون على الله من طواغيت. ٣٠

سلهم أيها النبي الكريم من يرزقهم من السماء -بالمطر- والأرض: بالنبات والمعادن والركاز مما دفن أهل الجاهلية من أموال؟ أمن يملك السمع والأبصار: فيزيد في حدتها وينقص منها كيفما يشاء؟ ومن يخرج الحي من الميت -كإخراج ذرية مؤمنة من كفار والحيوان من النطفة والطائر من البيضة والزرع من الحب- ويخرج الميت من الحي: كإخراج ذرية كافرة من مؤمنين والنطفة من الحيوان والبيضة من الطائر والحب من الزرع؟ ومن يدبر -وحده- أمر الكون وشؤون الخلق؟ فسيجيبون -إن عقلوا فأنصفوا مقرين بأن الفاعل ليس إلا- الله، فسلهم -مستنكرا- أفلا يتقون بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه؟ ٣١

فذلك -الرازق المالك المحيي المميت المدبر أيها الناس هو- الله ربكم الحق -لا رب ولا إله غيره- فأي شيء بعد الحق إلا الضلال؟ فكيف تصرف عقولكم عن الحق الظاهر إلى الضلال المبين؟! ٣٢

مثلما ثبتت وحدانية الله، وأن المشركين مصروفون عن الحق إلى الضلال سبق حكم ربك أيها النبي الكريم وقضاؤه ووجب على الذين فسقوا وخرجوا عن طاعته عنادا أنهم لا يؤمنون. ٣٣

۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ
وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ
مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ
جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا
بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾
هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ
ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ
ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ
ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾

قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ
ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ
إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ
لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ
مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾
بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ
بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم
بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنۡهُم مَّن
يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾

سلهم هل من شركائهم -طواغيتهم التي أشركوها بالله- من يوجد الخلق ابتداء -ثم يميته- ثم -حيا- يعيده؟ بادر بالإجابة: الله يوجد الخلق ابتداء -ثم يميته- ثم -هو وحده- يعيده -حيا- فكيف يقلبون: عن الحق؟ **٣٤**

سلهم هل من شركائهم -طواغيتهم التي أشركوها بالله- من يوفق ويرشد إلى الحق؟ بادر بالإجابة: الله يوفق ويرشد للحق، أفمن يوفق ويرشد إلى الحق أحق وأولى أن يتبع؟ أمن لا يوفق بتاتا ولا يرشد أبدا -ولو نفسه!- إلا أن يجري توفيقه وإرشاده -من قبل غيره، سلهم- فما لهم؟ كيف يحكمون: بالباطل ويشركون بالله؟! **٣٥**

وما يتبع أكثرهم -في إشراكهم بالله- إلا ظنونا -لا أصل لها، أن طواغيتهم تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه- إن الظنون -التي لا أصل لها- لا تنفع ولا تغني من الحق شيئا -إذ ليست تقوم مقام العلم الذي يتضح به الحق من الباطل- إن الله عليم بما يفعلون ليس يخفى عليه شيء. **٣٦**

وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله -من بعض خلقه، ولا صح ذلك- ولكن -كان- تصديق وموافقة الذي أنزل قبله من كتب سماوية، وتفصيل الكتاب -مبينا للأحكام التي أنزل الله وللحلال من الحرام- لا ريب فيه -إذ هو كلامه سبحانه، صدق وحق، لم ولن يبلغه تبديل أو تحريف أو زيادة أو نقصان، كتاب كثير النفع والخير لعباده- من رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. **٣٧**

أم يزعم الكفار أن محمدا ﷺ افترى القرآن -حاشاه- لم يوح إليه؟ تحداهم أيها النبي الكريم: فليأتوا بسورة مماثلة -في الإعجاز والبلاغة وحسن النظم- ويدعو من استطاعوا من دون الله -مستعينين بكل نصير ومعين، وبطواغيتهم- إن كانوا صادقين في زعمهم أن القرآن ليس كلام الله. **٣٨**

بل كذبوا بما لم يعرفوا تفسير ما اشتمل عليه، دون أن يأتيهم ما يؤول إليه من أخبار صادقة -مسارعين إلى تكذيب ما جاء به القرآن- مثلما كذبوا كذب الذين من قبلهم -كعاد وثمود وغيرهما- فتأمل أيها النبي الكريم -كذلك أمتك- كيف كان مصير الظالمين لأنفسهم ولغيرهم. **٣٩**

ومن المشركين من يؤمن بالقرآن -في نفسه ولكن يعاند، ومن سيؤمن به في قابل الأيام- ومنهم من لا يؤمن به -في نفسه، ومن سيموت كافرا مكذبا- وربك أعلم بالمفسدين. **٤٠**

وإن كذبوك -وأصروا على التكذيب مستمرين على كفرهم- فأخبرهم أن لك جزاء عملك ولهم جزاء عملهم، هم بريئون مما تعمل وأنت بريء مما يعملون: لا يسأل الله أحدا منكم عن عمل الآخر. **٤١**

فائدة! لا يكتفي المسلمون بمتاركة المشركين حال القدرة، بل ليس الأمر إلا كما قال تعالى في آية السيف ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥].

نُقاتِلُ إنْ قَدَرنا أهلَ شِركٍ ... وهلْ يَرضى مُتارَكَةً قديرُ؟

ومنهم من يستمعون إليك -كثير منهم، خاصة إذا قرأت القرآن- أفأنت تسمع الصم: إذ لا يسمعون سماع وعي وفهم وانتفاع؟ ولو كانوا لا ينتفعون بعقولهم؟ ليس باستطاعتك، فلا تحزن. **٤٢**

ومنهم من ينظر إليك -أقل ممن يستمعون، فليس يؤثر فيهم صدقك ولا حسن خلقك- أفأنت ترشد
العمي -وقد فقدوا البصر والبصيرة- ولو كانوا لا يبصرون ما فيه صالحهم؟ ٤٣
إن الله لا يظلم الناس شيئا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون بالعناد والإصرار على تكذيب الأنبياء والبقاء
على الكفر واقتراف الآثام، فيستجلبون بظلمهم أنفسهم العقاب، ويطمس على أفهامهم وبصائرهم. ٤٤
واذكر أيها النبي الكريم يوم -القيامة، حين- يجمع -سبحانه- خلقه، كأن لم يمكثوا -في الدنيا وفي
القبور- إلا قدر ساعة من النهار لا أكثر، يعرف بعضهم بعضا -في ذلك المقام، كأنهم لم يتفارقوا إلا
قليلا، ويوبخ الظالمون بعضهم بعضا كما قال تعالى ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع
بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استُضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكُنَّا مؤمنين ﴾ [سبإ ٣١]-
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله -في الآخرة- وما كانوا -إلى طريق الفوز- مهتدين. ٤٥
وإن يرك الله أيها النبي الكريم بعض الذي يعد الله الكفار -من عذاب، وهو القادر- أو يتوفك الله فإليه
سبحانه رجوعهم في الآخرة، ثم الله مطلع على ما يفعلون شاهد عليه، وسيجازيهم به. ٤٦
ولكل أمة رسول -أرسله الله إليهم- فإذا جاء رسولهم -وبلغهم رسالته- قضي بينهم بالعدل -فنجى الله
رسوله ومن آمن معه، وأهلك المكذبين به، عقابا لهم في الدنيا- وهم -عند الله- لا يظلمون. ٤٧
ويسأل المشركون النبي ﷺ والمؤمنين -مستنكرين متهكمين- متى هذا الوعد -بالبعث والحساب ثم
الجنة أو النار كما تزعمون، أخبرونا- إن كنتم صادقين؟ ٤٨
أجب أيها النبي الكريم بأن لا تستطيع دفع ضرر عن نفسك ولا جلب نفع لها، إلا ما شاء الله -فله
وحده جلب النفع ودفع أو إلحاق الضرر- لكل أمة أجل -محدد- إذا جاء أجلهم -وهم عصاة لربهم-
فيستحيل أن يتأخر عذابهم -ولو- ساعة أو يتقدم، كذلك يستحيل أن يتأخر موت أحد أو يتقدم. ٤٩
سلهم أن يخبروك: إن أتاهم عذابه -سبحانه، في أي وقت شاء- بجوف الليل أو نهارا، ماذا يستعجل
من الله المجرمون مستحقو العقاب؟ عذابه؟ ما الفائدة العائدة عليهم من استعجال ذلك؟! ٥٠
أثم إذا وقع آمنتم به: بعد أن يقع عذاب الله؟! آلآن -ولا ينفعكم حينئذ إيمان كما قال تعالى ﴿ فلَم
يكُ ينفعهم إيمانهم لمَّا رأَوا بأسنا سُنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون. ﴾ [غافر
٨٥]- وقد كنتم به تستعجلون: أيها الجهلة، كما قال تعالى ﴿ وإذ قالوا اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق
من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴾ [الأنفال ٣٢]؟! ٥١
ثم يوبخ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر في تهكم: ذوقوا عذاب الخلد، هل تجزون -عذابا أبديا ليس له
انتهاء ولا انقطاع- إلا بسبب ما كنتم تكسبون من كفر وآثام وتكذيب بآيات الله ورسله ولقائه؟ ٥٢
ويستخبرك المشركون -مستنكرين متهكمين- أيها النبي الكريم -ما تعدهم به من بعث وحساب وجنة
ونار- أحق هو؟ أقسم -غير مبال بإنكارهم واستهزائهم- أن نعم! وربك إنه لحق -آت لا محالة- وما
هم بفارين من الله كما قال تعالى ﴿ إنَّ ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين. ﴾ [الأنعام ١٣٤]. ٥٣

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ ٤٣
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ٤٤ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ
يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ
مُهْتَدِينَ ٤٥ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ٤٦ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ٤٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٤٨
قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٤٩
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ٥٠ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ
تَسْتَعْجِلُونَ ٥١ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ٥٢ * وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ
أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ٥٣

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ
ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٞ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحْمَةٞ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾
قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٞ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٖ
فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى
ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٖ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٖ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي
ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

ولو أن لكل نفس ظلمت نفسها بالكفر أو باقتراف الآثام -جميع- ما في الأرض -من أموال- لقدمته فدية للانفكاك -من الآخرة- وظهر الندم على أسارير وجوههم لما عاينوا العذاب، وقضي بينهم بالعدل -فينجي الله المؤمنين، ويهلك الكافرين، ويعذب عصاة الموحدين- وهم -عند الله- لا يظلمون. **٥٤**

فائدة! محبة دين الكفار -يهود أو نصارى أو غير ذلك- أو الرضى به -دون مناصرة على المسلمين- كفر مخرج من ملة الإسلام، ومناصرتهم علينا -دون محبة دينهم ولا الرضا به- من نواقض الإسلام.

مَحبَّةُ دِينِ أهلِ الكُفرِ كُفرٌ ... ومُرتَدًّا يُناصِرُهُم أبيروا

ألا إن لله ما في السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، ألا إن وعد الله -البعث والحساب ثم الجنة أو النار- حق صادق واقع، ولكن أكثرهم -كفار- لا يعلمون ما فيه صالحهم. **٥٥**

هو يحيي الخلائق ويميتها وإليه وحده ترجعون في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء. **٥٦**

يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم -القرآن، على لسان محمد ﷺ- وشفاء لما في الصدور -من شك ينتاب البعض، فيبدده القرآن- وهداية من الضلال ورحمة للمؤمنين: به وبالسنة. **٥٧**

أخبر أيها النبي الكريم المؤمنين -مبشرا- أن بفضل الله عليهم وبرحمته بهم -ومن جملة ذلك الإسلام والقرآن- فبذلك فليفرحوا -فذلك هو ما يستحق الفرح- هو خير مما يجمع طلاب الدنيا وأفضل. **٥٨**

فائدة! الفرح بفضل الله ورحمته محمود، أما الفرح بحطام الدنيا فمذموم كما قال تعالى ﴿ إنَّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إنَّ مفاتحه لتنوأُ بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إنَّ الله لا يحب الفرحين. ﴾ [القَصص ٧٦]، كذلك الفرح بالعلوم المادية ليس أمرا محمودا كما قال تعالى ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون. ﴾ [غافر ٨٣]، فلنسع لتحصيل ما ينفعنا من علوم، ولا نغتر بتقدم مادي عند أقوام كفرة.

بفضلِ اللهِ نَفرحُ لا بدُنيا ... برحمتِهِ هَدى، عَلِمَ الخَبُيرُ

سلهم أن يخبروك: ما قدر الله لكم -أيها المشركون- بأمره النازل من السماء من رزق -ومن جملة رزقه المواشي كما قال تعالى ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ [الزُّمَر ٦] وما أنبته بالمطر- فجعلتم منه حراما، وحلالا -بعضه الآخر- سلهم: آلله أذن لهم: أن يحللوا ويحرموا؟ أم على الله يفترون؟ **٥٩**

وما ظن الذين يفترون على الله الكذب -فالتحليل والتحريم من خصوصياته! ماذا يرونه صانعا بهم- يوم القيامة؟! إن الله لذو فضل واسع على الناس، ولكن أكثرهم لا يشكرونه على ما تفضل به عليهم. **٦٠**

وما تكون أيها النبي الكريم في شأن -من شؤون الحياة- وما تقرأ منه من قرآن -نزل فيه- ولا تعملون -أيها الناس- من عمل إلا كان الله عليكم شاهدا سبحانه، إذ تندفعون فيه، وما يغيب عن ربك من مقدار وزن ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا واضحا في اللوح المحفوظ كما قال تعالى ﴿ وعنده مفاتِح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبَّة في ظُلُمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. ﴾ [الأنعام ٥٩]. **٦١**

أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ
ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ
ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ
يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ
وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٦٦ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ
سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۢ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ
مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ
لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠

ألا إن أولياء الله -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى، قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله، على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية: ﴿ ألا إنَّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ﴾ ﴾ [أبو داود ٣٥٢٧]- لا خوف عليهم -في الآخرة- ولا هم يحزنون: على ما من الدنيا فاتهم ولا على من في النار ممن أحبوا. ٦٢

الذين آمنوا وكانوا يتقون بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه: هذه بعض صفات أولياء الله. ٦٣

لهم البشرى في الحياة الدنيا -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ﴿ سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿ لهم البُشرى في الحياة الدنيا ﴾ قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، أو تُرى له. ﴾ [الترمذي ٢٢٧٥ * ابن ماجة ٣٨٩٨ * أحمد ٢٢٦٨٧]- وفي الآخرة -عند الموت ثم في القبر وعند البعث كما قال تعالى ﴿ إنَّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تَتنزَّل عليهم الملائكة ألَّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. ﴾ [فُصِّلَت ٣٠]- لا تبديل لكلمات الله -بل لا محالة تقع، ومن جملتها وعوده- ذلك -الثواب- هو الفوز والفلاح العظيم الذي لا يعادله شيء. ٦٤

ولا يحزنك أيها النبي الكريم كلام المشركين -وما يتفوه به من طعن فيك وفي دينك- إن العزة -الغلبة والقوة والمنعة- لله جميعا -ما كان منها مع المؤمنين فهو من فيضه وليس لغيرهم نصيب فيها كما قال تعالى ﴿ ولله العِزَّة ولرسوله وللمؤمنين ولكنَّ المنافقين لا يعلمون ﴾ [المنافقون ٨]- هو السميع لكافة ما يقول عباده، العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ٦٥

فائدة! على كل مسلم مسئولية تحقيق العزة للمؤمنين عبر الالتزام بتعاليم الدين ظاهرا وباطنا، والنصح للمسلمين، والجهاد -لتكون كلمة الله هي العليا- بماله ويده ولسانه، كل في فنه على قدر طاقته.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ربَّكَ قَدْ أعَزَّ ... بإسلامٍ مَنِ اجتهَدوا؟ فَسِيروا!

ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض -يفعل فيهم ما يشاء- وما يتبع الذين يدعون ويعبدون من دون الله شركاء -له، فليسوا آلهة- إن يتبعون إلا الظنون -بغير تحرٍ- وإن هم إلا يكذبون ويتوهمون. ٦٦

هو الذي جعل لكم -أيها الناس- الليل لتسكنوا فيه -فتستريحوا- والنهار -لسعيكم وعملكم- مضيئا، إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لقوم يسمعون: سماع وعي وفهم وانتفاع. ٦٧

زعموا -يهود ونصارى ومشركون- أن اتخذ الله ولدا، تنزه وتقدس -بل ليس لغيره الكمال التام المطلق، سبحانه- هو الغني عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه، له ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، ليس عندكم أي برهان يؤيد زعمكم هذا! أتقولون على الله بغير علم ولا دليل؟ ٦٨

أخبرهم أيها النبي الكريم أن الذين يفترون على الله الكذب لا نجاة لهم ولا فوز. ٦٩

يتمتعون في الدنيا، ثم إلى الله رجوعهم في الآخرة، ثم يذيقهم الله العذاب الشديد بسبب كفرهم. ٧٠

۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ
عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ
فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ
ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ
إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾
فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ
وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ
ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾
قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ
ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾

واقرأ أيها النبي الكريم على الكفار خبر نوح، حين لام قومه -متحديا- يا قوم إن كان شق عليكم وثقل مقامي -بينكم- وتذكيري بآيات الله الدالة على وحدانيته فعلى الله وحده اعتمادي في جميع أحوالي، فليحكموا أمرهم ويجمعوا شركاءهم -مستعينين بالذين أشركوهم بالله- ثم لا يكن أمرهم عليهم سرا ولا ملتبسا -بل يعلنوا بوضوح ما ينوون فعله- ثم ليمضوا إلى فعل ما بدا لهم به، ولا يمهلوه. **٧١**

فإن أعرضوا متنحين عن الإيمان فما سألهم -على دعوته- أي ثواب -فليتفكروا!- ليس ثوابه -آمنوا أو ظلوا كفارا- إلا على الله، وأضاف أن أمر -من قبل الله- أن يكون من المسلمين -لله- المنقادين. **٧٢**

فكذبوه، فنجاه الله ومن -آمنوا- معه في السفينة -كما قال تعالى ﴿ قُلنا احمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ﴾ [هود ٤٠]- وجعلهم سبحانه يخلفون قومهم، وأغرق الله الذين كذبوا بآياته -بطوفان لا مثيل له، لاستمرارهم على الكفر- فتأمل أيها النبي الكريم -كذلك أمتك- كيف كان مصير المنذرين عقاب الله ولم يرجعوا عن غيهم. **٧٣**

ثم بعث الله من بعد نوح عليه السلام رسلا -كهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام- إلى قومهم، فجاءوهم بالأدلة الجلية البينة على صدقهم، فما كانوا ليؤمنوا -من بعد أن جاءتهم الأدلة- بما كذبوا به من قبل -مجيئها، بل هم مستمرون على العناد والكفر- مثل ذلك الطبع الشديد العظيم يطبع سبحانه على قلوب المعتدين المتجاوزين لحدوده: فيغلقها تماما فلا يدخلها إيمان ولا تعي خيرا. **٧٤**

ثم بعث الله من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون ورؤوسه الأعيان -من أهل ملكه، وبقية القوم فمن عداهم تبع لهم- بآياته سبحانه الدالة على صدقهما -وهي تسع كما قال تعالى ﴿ في تسع آيات إلى فرعون وقومه ﴾ [النمل ١٢]- فاستكبروا -عن توحيد الله- وكانوا قوما مجرمين مستحقين للعقاب. **٧٥**

فلما جاءهم الحق -والآيات المعجزات- من عند الله زعموا أن هذا -يقينا- سحر واضح. **٧٦**

سألهم موسى -مستنكرا- أيزعمون الحق -سحرا- لما جاءهم -معجزا واضحا، ليس فيه لبس- أسحر هذا؟! ولا نجاة ولا فوز للساحرين! **٧٧**

فائدة! السحر من أكبر الكبائر، واللجوء إلى السحرة للتداوي أو لفك سحر لا يجوز، ومن تعلم علما من العلوم المرتبطة بالنجوم وادعاء علم الغيب -كالأبراج ونحو ذلك من الهراء- فقد تعلم جزءا من السحر، وكلما زاد تعلمه زاد وزره كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد. ﴾ [أبو داود **٣٩٠٥** * ابن ماجة **٣٧٢٦** * أحمد **٢٠٠٠**]، أما الاهتداء بالنجوم لمعرفة الاتجاهات أو الأوقات فليس من السحر.

غدا مُتَداوِيًا لِّيُزيلَ سِحرًا ... أَتَقصِدُ ساحِرًا؟ هذا فُجورُ!

سألوا -مخاطبين موسى عليه السلام، بعد أن عجزوا أمام الحق- أجاءهم ليصرفهم ويبعدهم عما وجدوا عليه أسلافهم: من معتقدات وعادات وتقاليد؟ ويكون له ولأخيه -الرياسة الدينية، ومن ثم- الكبرياء -الملك والعز والسلطان- في أرض مصر؟ وأكدوا أن ما هم لهما بمطمئنين ولا مصدقي نبوتهما. **٧٨**

وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ
عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ
ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ
خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن
كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾
فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾
وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ
وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ
قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ
وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

وأمر فرعون أن يأتوه -من مدن مصر- بكل ساحر غزير العلم بالسحر: لهزيمتهما عليهما السلام. ٧٩
فلما جاء السحرة -خيروا موسى عليه السلام بين أن يبتدئ بإلقاء ما معه أو يبتدئوه هم بالإلقاء كما قال تعالى ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقيَ وإما أن نكون نحن المُلقين. ﴾ [الأعراف ١١٥]- تحداهم موسى -واثقا بنصر ربه، وليفتضح أمرهم مع علمه بأن السحر محرم- أن يلقوا ما هم ملقون. ٨٠
فلما ألقى السحرة -سحروا أعين الناس، فقلبوها عن صحة إدراكها، وأدخلوا في قلوبهم الرعب، وكان سحرهم في أعين الناس عظيما كما قال تعالى ﴿ قال ألقوا فلما ألقَوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم. ﴾ [الأعراف ١١٦]- أخبرهم موسى أن ما جاءوا به السحر -ليس آية معجزة من الله- إن الله سيبطله -فيصير لا مفعول له- إن الله لا يصلح عمل المفسدين: بل مآله إلى بوار. ٨١
ويحق الله الحق بكلماته -التي وعد بها، ويظهر الحق- ولو كره المجرمون مستحقو العقاب ذلك. ٨٢
فما اطمأن لموسى ولا صدقه -وقد هزم السحرة كما قال تعالى ﴿ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون. ﴾ [الأعراف ١١٧]- إلا ذرية -بعض صغار السن- من قومه -عليه السلام، أو من قوم فرعون- على خوف من فرعون ورؤوسهم الأعيان أن يفتنهم -فرعون، فيعذبهم ليصرفهم عن إيمانهم إن كشف الأمر- وإن فرعون لمتعال طاغ في أرض مصر، وإنه لمن المسرفين متجاوزي الحدود. ٨٣
فائدة! صغار السن أقرب إلى الفطرة واتباع الحق: فلما يلتفتون إلى مصالح متوهمة يعتبرها الأكبر سنا.
صِغارُ السِّنِّ أفضَلُ مِنْ كِبارٍ ... مَصالِحُهُم بِفِطرَتِهِم تَمورُ
ووصى موسى قومه -أهل دينه- إن كانوا -حقا- آمنوا بالله فعليه وحده ليعتمدوا في جميع أحوالهم، إن كانوا مسلمين -لله- منقادين: مكررا شرطه تأكيدا، فمن تمام الإيمان تفويض الأمر إلى الله. ٨٤
فأجابوا بأن على الله وحده اعتمادهم في جميع أحوالهم، داعين ربهم ألا يجعلهم فتنة للقوم الظالمين لأنفسهم بالكفر: فيعذبوهم ليتركوا بعض دينهم، ويفتن غيرهم فيعرضوا عن الحق ليتجنبوا العذاب. ٨٥
وينجيهم برحمته من القوم الكافرين: ليسلموا من شرهم، ويثبتوا إن عذبوهم فلا يرتدوا عن دينهم. ٨٦
وأوحى الله إلى موسى وأخيه أن أنزلا قومكما بمصر بيوتا، واجعلوا بيوتكم قبلة -تصلون فيها، فلا يعلم الكفار- وأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأديموها بشروطها، وبشر -يا موسى- المؤمنين بما يسرهم. ٨٧
ودعا موسى ربهما أنه -سبحانه- أعطى فرعون ورؤوسه الأعيان -من أهل ملكه- زينة -يتزينون ويتمتعون بها- وأموالا في الحياة الدنيا، ليضلوا -الناس عوضا عن شكر الله ويضلوا هم- عن طريقه، داعيا ربهما أن امح على أموالهم واشدد على قلوبهم -لئلا تلين للحق- فلا يؤمنوا حتى يعاينوا العذاب الأليم. ٨٨
فائدة! يجوز الدعاء على الكفرة والظلمة الذين يضلون الناس، وهو فعل موسى عليه السلام، وهارون عليه السلام الذي أمن على دعائه، وسبقهما إلى ذلك نوح عليه السلام كما قال تعالى ﴿ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّارا. ﴾ [نوح ٢٦]، فلا تلقوا بالا إلى أقوال المرجئة وعلماء السلطان وأذناب الطواغيت.
ونَدعو اللهَ لا تَترُكْ عليها ... ظَلومًا صَدَّ خَلْقَكَ لا يَحورُ

قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ
فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ
قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ
مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ
خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي
بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ
مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن
قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾
وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

أخبر -سبحانه- أن قد أجيبت دعوتهما -كان هارون ﵇ يؤمن على دعاء أخيه على فرعون ومن والاه من أهل ملكه- فأمرهما أن يستقيما -مداومَين على الالتزام بالطريق الواضح غير المعوج- ولا يسلكا طريق الذين لا يعلمون بعادة الله في إجراء الأمور تعجيلا وتأجيلا على ما يقتضيه علمه وحكمته. **٨٩**

فائدة! الذي يؤمن على الدعاء -قائلا "آمين"- شريك للداعي، فلا يؤمنن مسلم على دعاء لطاغوت.

يُؤَمِّنُ مؤمنٌ، آمينَ تَغدو ... شَراكَتُهُ إذا دُعيَ الكبيرُ

وجاوز الله ببني إسرائيل البحر -بأن أوحى إلى موسى ﵇ أن يضربه بعصاه كما قال تعالى ﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فِرق كالطَّود العظيم. ﴾ [الشعراء **٦٣**]، فعبروه- فأتبعهم فرعون وجنوده -ولحقوهم، ودخلوا البحر! فقد كانوا يطاردونهم- ظلما وحسدا وحرصا على دنيا فانية واعتداء وتسرعا، حتى إذا أدركه الغرق -إذ انطبق البحر فجزم بهلاكه وتلفظ بشهادة الحق- زعم أن آمن أنه لا معبود بحق سوى الذي آمنت به بنو إسرائيل، وهو من المسلمين -لله- المنقادين. **٩٠**

آلآن -تؤمن عند معاينة الموت- وقد عصيت -الله، يا فرعون، ويا كل من يؤخر التوبة إلى وقت خروج الروح- قبل -أن يدركك الموت، فقضيت حياتك ضالا مضلا- وكنت من المفسدين؟ **٩١**

فائدة! معاينة الموت تمنع قبول التوبة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر ﵄ ﴿ إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر. ﴾ [الترمذي **٣٥٣٧** * ابن ماجة **٤٢٥٣** * أحمد **٦١٦٠**].

يُغَرغِرُ ظالمٌ ويقولُ: تُبتُ ... فلا يَرضى ولا يَعفو الصَّبورُ

فاليوم يترك الله بدنك بمرتفع من الأرض -ميتا، وكنت ترعم أنك الإله كما قال تعالى ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ [القصص **٣٨**]- لتكون لمن بعدك آية -يعتبرون بها، لئلا يغتروا بنعم الله- وإن كثيرا من الناس عن آيات الله -المنزلة والكونية والعقلية- لغافلون: فما عذرهم؟ **٩٢**

ولقد أنزل الله بني إسرائيل منزل صدق -وأسكنهم سبحانه أرض الشام على كثرة نفعها وخيرها- ورزقهم الله من طيبات المآكل وغيرها، فما اختلفوا -فغدوا أحزابا- حتى علموا -يقينا- من كتبهم أن عليهم اتباعه ﷺ كما قال تعالى ﴿ الذين يَتَّبِعون الرسول النبي الأمِّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الأعراف **١٥٧**]، إن ربك أيها النبي الكريم يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه -من الدين- يختلفون: فيجازيهم. **٩٣**

فإن كنت في -أهل- شك مما أنزل الله إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتب -السماوية- من قبل زمنك -سؤال إشهاد عن تلك الأخبار فهي ليست مما كتموا، فيزول الشك من نفوس أهله، فتواطؤك مع أهل الكتاب غير محتمل- لقد جاءك -أيها الشاك الدين- الحق من ربك، فلا ينتابنك أدنى شك فيه. **٩٤**

ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله -فكذبوا نبيه أو تركوا شرعه- فتكون من الهلكى الخاسرين. **٩٥**

إن الذين سبق عليهم حكم ربك أيها النبي الكريم وقضاؤه ووجب -بأن يموتوا كفارا- لا يؤمنون. **٩٦**

ولو جاءتهم كل آية -منزلة أو كونية أو عقلية- حتى يعاينوا العذاب الأليم: فلا تحزنن على كافر. **٩٧**

فهلا كانت قرية -واحدة من القرى التي أهلكها الله- آمنت -إيمانا يعتد به، خالصا لله، قبل أن يأتيها عذابه، لم تؤخره كما فعل فرعون- فنفعها إيمانها؟ إلا قوم يونس، لما آمنوا -إيمانا صادقا يعتد به- رفع الله عنهم عذاب الذل والمهانة في الحياة الدنيا، ومتعهم سبحانه إلى حين: حضور آجالهم. ٩٨

ولو شاء ربك أيها النبي الكريم -أن يؤمن الخلق- لآمن من في الأرض كلهم جميعا -مجتمعين على الإيمان، لا يختلفون فيه- أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين؟ ليس باستطاعتك، فلا تحزن. ٩٩

وما صح لنفس -بل وليس باستطاعتها- أن تؤمن إلا بإذن الله ومشيئته، ويجعل -سبحانه- القاذورات -من خذلان وسخط وعذاب- على الذين لا ينتفعون بعقولهم: لأنهم لا يتفكرون في آياته ولا يعتبرون بها، منزلة كانت أو كونية أو عقلية. ١٠٠

أخبرهم أن يتأملوا ماذا في السماوات والأرض: من آيات دالة على وحدانية الله وعظيم قدرته وسلطانه؟ وماذا تنفع أو تغني الآيات والنذر -من رسل وإنذارات بالعقاب- عن قوم -قضى الله بأن يموتوا كفارا، فهم- لا يؤمنون؟ ١٠١

فهل ينتظر المكذبون بك -ويتوقعون- إلا مثل أيام الذين مضوا من قبلهم: كيوم إغراق فرعون؟ أخبرهم فلينتظروا -نزول عذاب الله- إنك معهم من المنتظرين: لمن تكون العاقبة، فسوف يعلمون من تكون له الغلبة والاستمرارية في الدنيا ثم الجنة في الآخرة كما قال تعالى ﴿ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يُفلح الظالمون. ﴾ [الأنعام ١٣٥]. ١٠٢

ثم ينجي الله رسله سبحانه والذين آمنوا -فلا يصيبهم عذابه إذا أنزله على أقوامهم الكافرة- مثل ذلك الإنجاء حقا على الله -أوجبه على نفسه- ينج المؤمنين: بمحمد ﷺ، إن قدر إهلاك أقوامهم. ١٠٣

توجه أيها النبي الكريم بالخطاب إلى الناس: إن كنتم في شك من ديني -لا يمكنكم الجزم أنه هو الحق- فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله -فالشرك بالله كفر في ديني- ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم -وحده لا شريك له، فاحذروا أن يتوفاكم كفارا- وأمرت أن أكون من المؤمنين: مخلصا لله ديني. ١٠٤

وأن أقبل على الدين وتوجه واثبت حنيفا مائلا عن جميع الأديان الباطلة إلى الإسلام -أخبرهم أن الله أمرك بذلك- ولا تكونن -ولا أحد من أمتك- من المشركين -حاشاك- يعدونك واحدا منهم. ١٠٥

فائدة! تمايزوا أهل الإسلام! لا تكونوا ممن يعتبرون الكفار -أو يعدهم الكفار- منهم: لسنا "شركاء في الوطن" ولا في غيره، بل نسعى لإقامة شرع الله كاملا كما أمر سبحانه، لا لتذويب الفروق مع الكفر!

تَمايَزَ مسلِمٌ عَنْ غَيرِهِ كي ... يقولَ صَراحةً: أنتُم شُرورُ

ولا تدع -ولا أحد من أمتك- من دون الله -حاشاك- ولا تعبد ما لا ينفعك ولا يضرك، فإن فعلت -داعيا طواغيت لتجلب لك نفعا أو تدفع عنك ضررا- فإنك إذًا من الظالمين لأنفسهم بالشرك. ١٠٦

فائدة! دعوة الموتى أو الاستغاثة بقبور من يقول الجهلة عنهم "أولياء الله" شرك أكبر مخرج من الملة.

وهذا ساذَجٌ يَدعو القُبورَ ... أتى شِركًا، ألا يكفي القديرُ؟!

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ
لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ
كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾
فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ
قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْۖ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ
بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ
إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

وإن ينلك الله -أيها الإنسان- بضرر فلا رافع له سواه، وإن يردك بخير فلا راد لفضله -فلا يستطيع أحد منعه- يصيب به من يشاء من عباده، وهو الواسع والدائم المغفرة، العظيم الرحمة بالمؤمنين. **١٠٧**
توجه أيها النبي الكريم بالخطاب إلى الناس: قد جاءكم الحق -في كتاب- من ربكم، فمن اهتدى وآمن فإنما النفع له، ومن ضل وكفر فإنما الضرر عليه لا يتعداه، وما أنا بموكل بمراقبة تصرفاتكم. **١٠٨**
فائدة! من الضلال والإضلال إطلاق مصطلح الشهادة -الإسلامي- على هلكى من أعوان الطواغيت.
وما نالَ الشهادةَ هالِكٌ قَدْ ... قَضى عَبدًا لطاغوتٍ، فَغُوروا!
واتبع ما يوحى إليك -فاعمل به لا تحد عنه، ولا تبتدع، ولتتبعك أمتك- واصبر -على إيذاء الكفار- حتى يحكم الله -فسيأتي أمره بقتال أهل الشرك في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]، وأهل الكتاب كما قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجِزية عن يد وهُم صاغرون. ﴾ [التوبة ٢٩]- وهو خير الحاكمين وأفضل القضاة: دوما ينصر الحق. **١٠٩**

★ سورة هود ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]، كتاب أحكمت آياته -متقنة لا نقص فيها ولا خلل، وجمعت في اللوح المحفوظ- ثم بينت بتفصيل -الحلال والحرام والأمر والنهي والوعد والوعيد والأخبار والقصص وغير ذلك أتم بيان- من عند حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه -هو من أحكم آيات قرآنه وهو من فصلها- خبير لا يخفى عليه شيء. ألا تعبدوا -أيها العباد- إلا الله، إنه -ﷺ- يقينا- لكم منه -سبحانه- نذير للعصاة بالعقاب وبشير للمطيعين بالثواب. **٢ ١**
وأن اطلبوا المغفرة من ربكم -على ما اقترفتم من كفر وآثام، أمرهم ﷺ بذلك- ثم توبوا إليه -عازمين على الثبات على التوبة بلا انتكاس، إن تفعلوا- يمتعكم -سبحانه- متاعا حسنا -بمنحكم ما تتمتعون به من رزق طيب حسن وصحة وغير ذلك- إلى حضور آجالكم والموت، ويعط كل ذي فضل -تفضل بفضل ماله أو جهده أو غير ذلك على غيره، طاعة لربه، ثواب- فضله، وإن تعرضوا متنحين عما أمركم ربكم فإنه -ﷺ- يخاف عليكم عذاب يوم كبير: يوم القيامة، أو يوم فيه يهلككم الله في الدنيا. **٣**
إلى الله رجوعكم في الآخرة، وقدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك البعث والحساب. **٤**
ألا إن من المؤمنين من يكره أن يفضي إلى السماء عريانا كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ كان الرجل يجامع امرأته فيستحي، أو يتخلى فيستحي، فنزلت: ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ﴾ ﴾ [البخاري ٤٦٨٢] -ومن الكفار من يطوون صدورهم كاتمين ما فيها من شك من دينه- ليستخفوا منه -سبحانه- ألا حين يغطون أنفسهم بثيابهم -وفي كل حين، مؤمنين كانوا أو كفارا- يعلم ما يسرون وما يظهرون من أقوال وأعمال، إنه عليم بكل ما في صدور الخلق من إيمان وكفر، ومن خير وشر. **٥**

وما من كائن يدب في الأرض إلا على الله -تفضلا منه لا وجوبا- رزقه -وتوفير ما يتقوت به في مراحل خلقه وحياته- ويعلم -سبحانه- مستقره -في الأرض، وفي أي مكان يموت- ومستودعه -بين صلب الأب فرحم الأم وما يجرى مجراها كالبيضة ونحوها- كل -ذلك- واضح في اللوح المحفوظ. ٦

وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- على الماء -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما ﴿ كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء ﴾ [البخاري ٧٤١٨ ★ أحمد ١٩٨٧٦]- ليبلوكم -أيها الناس، بناء على سلامة ما تعتقدون، مختبرا- أيكم أحسن -لله- عملا -من ذكر وتفكر ودعاء كما قال تعالى ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقُعودا وعلى جُنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقِنا عذاب النار. ﴾ [آل عمران ١٩١]، ورضا بقدره وبما قسم لهم- ولئن أخبرتهم أيها النبي الكريم أنهم مبعوثون من بعد الموت -راجعون إلى الله ليجازيهم بأعمالهم- ليخبرنك الذين كفروا أن ليس هذا -الذي به جئت- إلا سحر واضح. ٧

ولئن أخر الله عنهم العذاب إلى مدة معدودة ليتساءلن -متهكمين- ماذا يحبسه: مانعا ذلك العذاب أن يأتيهم، وقد وعدوا به إن ظلوا على ما هم عليه؟ ألا حين يأتيهم ليس -بحال من الأحوال- مصروفا عنهم، ونزل بهم وأحاط ما كانوا به -من عذاب- يستهزئون. ٨

ولئن أذاق الله الإنسان منه سبحانه رحمة -كالغنى والصحة والأمن والذرية ونحو ذلك- ثم نزعها الله منه إنه -حين تنزع منه- لكثير اليأس مستسلم له، عظيم الكفران بنعم ربه لا يشكر ما سلف منها. ٩

ولئن أذاقه الله نعمة وخير بعد شدة نالته -كالأمن بعد خوف والشفاء بعد مرض والغنى بعد فقر والمطر والخصب بعد جدب وقحط ونحو ذلك- ليظنن أن ذهب العقوبات المهلكات عنه -بلا رجعة! ونسي شكر ربه، وقضى حياته الدنيا غافلا- إنه لكثير الفرح والبطر، متكبر -على الناس- مفتخر. ١٠

إلا الذين صبروا على طاعة الله وأقداره وعملوا الأعمال الصالحة، هؤلاء لهم مغفرة وثواب كبير. ١١

فلعلك أيها النبي الكريم -لفرط تعنتهم واستكبارهم- تارك بعض ما يوحى إليك، وضائق به صدرك -لا تريد أن تبلغه- خشية أن يقترحوا أن ينزل عليك كنز -يغنيك- أو يجيء معك مَلَك: يكلمهم ويشهد لك بالنبوة؟ لا تأبه بهم! إنما أنت نذير للعصاة بالعقاب، والله على كل شيء قائم رقيب حفيظ. ١٢

فائدة! لمظاهر الغنى تأثير في نفوس العوام -ولا سيما الفساق منهم كما قال تعالى ﴿ ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي مُلك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون. أم أنا خير من هذا الذي هو مَهين ولا يكاد يُبين. فلولا أُلقيَ عليه أسَورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مُقترنين. فاستخفَّ قومَه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين. ﴾ [الزخرف ٥١ ~ ٥٤]- ومن ثم في قراراتهم، وأهل الاستبداد -كذلك المتحكمون فيما يطلق عليه "اللعبة الديموقراطية"- يوظفون ذلك مستخفين بهم.

أطاغوتًا: بِفِسقِ الناسِ تَلهو؟ ... أبِالمالِ انبَهَرتُم؟ أم حَميرُ؟

* وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ
مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ وَهُوَ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ
عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن
قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ
مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨
وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠
إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم
مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ
وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ
وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا
ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ
كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ
بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ
أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

أم يزعم الكفار أن محمدا ﷺ افترى القرآن -حاشاه- لم يوح إليه؟ تحداهم أيها النبي الكريم: فليأتوا بعشر سور مماثلة -في الإعجاز والبلاغة وحسن النظم- يفترونها هم، ويدعو من استطاعوا من دون الله -مستعينين بكل نصير ومعين، وبطواغيتهم- إن كانوا صادقين في زعمهم أن القرآن ليس كلام الله. **١٣**
فإلم يستجب أنصاركم وأعوانكم وطواغيتكم لكم -أيها الكفار، وعجزتم عن الإتيان بعشر سور مماثلة له- فاعلموا -يقينا- أنما أنزل بعلم الله -الذي لا تحيط به عقول عباده، والإتيان بمثله خارج عن قدرة غيره سبحانه- وأن لا معبود بحق سواه، فهل أنتم -بعد الذي جاءكم- مسلمون -لله- منقادون؟ **١٤**
من كان يريد -بالأعمال الصالحة، كالصدقة ونحوها- الحياة الدنيا -الفانية- وما يتزين به فيها -ومن جملة ذلك أن يكون مجتمعه متآلفا وأن يذكر في مجتمعه بذكر حسن ونحو ذلك- يعطهم الله جزاء أعمالهم وافيا فيها، وهم فيها -جزاء على ما عملوا، بإذن الله- لا ينقصون. **١٥**
هؤلاء الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار، وفسد ما صنعوا فيها -من أعمال صالحة، لا يثابون عليها في الآخرة لأنهم لم يريدوا بها رضا الله- وباطل -لانتفاء الإيمان- ما كانوا -في الدنيا- يعملون. **١٦**
أفمن كان على بينة من ربه -لا هوى وشك، ألا إله إلا هو، كطالب دنيا؟- ويتلو يقينه هذا بربه ويتبعه شاهد من القرآن -يشهد بصحته- ومن قبل الشاهد -شاهد سابق- كتاب موسى -التوراة بما فيها من توحيد الله وبعثة محمد ﷺ، جعله الله- إماما -يقتدى به- ورحمة -لأهله من الحكم بالأهواء- هؤلاء -على بينة من ربهم- يؤمنون بالقرآن، ومن يكفر به من الأحزاب -أهل الملل الأخرى- فالنار موعده: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، ولا يهودي ولا نصراني، ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار. ﴾ [مسلم ١٥٣ ★ أحمد ٨٢٠٣]، فلا تك في شك أو ريبة من القرآن ولا أن مآل غير المسلم النار، إنه الحق من ربك -أيها الإنسان- ولكن أكثر الناس لا يؤمنون: فاحذر! كما قال تعالى ﴿ وإن تُطع أكثر من في الأرض يُضلوك عن سبيل الله إن يَتَّبعون إلا الظنَّ وإن هم إلا يَخرصون. ﴾ [الأنعام ١١٦]. **١٧**
ومن أعظم ظلما ممن افترى على الله كذبا -فزعم أن له ولد أو زوجة أو شركاء، أو نسب إليه ما لم يقل، أو حرم ما أحل أو أحل ما حرم- هؤلاء يعرضون -بأقوالهم وأعمالهم- على ربهم، ويشهد الأنبياء والحفظة من الملائكة ومحمد ﷺ وأمته -لفضحهم- أن هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا طرد الله الظالمين من رحمته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: ﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ ﴾ [البخاري ٢٤٤١ ★ مسلم ٢٧٦٨ ★ ابن ماجة ١٨٣ ★ أحمد ٥٤٣٦]. **١٨**
الذين يصدون عن طريق الله ويريدون للناس انحرافا عنه، وهم بالآخرة عظيمو الكفر. **١٩**

هؤلاء لم يكونوا فارين من الله في الأرض -بل يدركهم قدره وإن شاء عذبهم- وليس لهم من دون الله أي أنصار أو أعوان -ينفعونهم أو يدفعون عنهم عذابه، لا من أشركوهم به، ولا من أغراهم بتحريم ما أحل أو بتحليل ما حرم فأطاعوه وكفروا، هؤلاء- يضاعف لهم العذاب -في الآخرة، لضلالهم وإضلال غيرهم- ما كانوا يستطيعون السمع -سماع وعي وفهم وانتفاع- وما كانوا يبصرون ما فيه صالحهم. **٢٠**
هؤلاء الذين خسروا أنفسهم -فأوردوها المهالك وفاتهم النعيم الدائم- وبطل كذبهم وخذلهم ما كانوا يفترون على الله من طواغيت. **٢١**
حقا إنهم في الآخرة هم الأشد خسرانا: وأي خيبة أعظم من الحرمان من الجنة بل ودخول النار؟ **٢٢**
إن الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة وأخبتوا إلى ربهم -فخضعوا له وتواضعوا- هؤلاء ماكثون في الجنة هم فيها خالدون لا يخرجون منها. **٢٣**
مثل الفريقين كالذي جمع بين العمى والصمم -فريق الكفار- والذي جمع بين البصر والسمع -فريق المؤمنين- هل يستوي هذا وذاك؟ أفلا تذكرون: فتتعظوا بما بين الفريقين من تفاوت واضح؟! **٢٤**
ولقد أرسل الله نوحا إلى قومه -فأخبرهم ﷺ- أنه لهم -لمن يظل كافرا- نذير واضح بالعقاب. **٢٥**
أن لا يعبدوا إلا الله -دعاهم ﷺ إلى ذلك- من ثم حذرهم أنه يخاف عليهم -إن لم يطيعوه- عذاب يوم أليم: القيامة، أو يوم فيه يهلكهم الله في الدنيا. **٢٦**
فكانت إجابة الرؤوس الأعيان الذين كفروا من قومه أن ما يرونه إلا بشرا مثلهم -ليس مَلَكا ولا جنيا، بل زعموا أنه ليس يريد إلا السيادة عليهم، وأن الله لو شاء أن يرسل أنبياء لأنزل ملائكة كما قال تعالى ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضَّل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ﴾ [المؤمنون **٢٤**]- وما يرونه اتبعه إلا الذين هم أراذلهم -ليس سادتهم، فعندهم اتباع هؤلاء له ليس يجعله أهلا للزعامة- فيما يبدو لهم من الرأي -من غير تعمق- وما يرون لهم -هو، ﷺ، ومن اتبعه- عليهم من فضل -يتميزون به- بل يظنونهم كاذبين فيما يخبرونهم به. **٢٧**
فائدة! دأب المتكبرين تأييد الفساد ومحاربة محاولات الإصلاح والمصلحين والاستهزاء بهم كما قال تعالى ﴿ وكذلك فتنَّا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا ﴾ [الأنعام **٥٣**]، خاصة أن أتباع الرسل جلهم من الضعفاء كما جاء على لسان أبي سفيان بن حرب ﷺ من حديث عبد الله بن عباس ﷺ عندما سأله قيصر الروم عن النبي ﷺ ﴿ وسألتك: أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فزعمت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل ﴾ [البخاري **٧** ٭ مسلم **١٧٧٣** ٭ أحمد **٢٣٧٠**].

وَمَنْ يَستكبروا أنجاسُ قَومٍ ... مُحارَبةُ الصلاحِ هوَ الثُّبورُ

سأل قومه أن يخبروه: إن كان على بينة من ربه -ﷺ، لا هوى وشك، ألا إله إلا هو- وأعطاه رحمة من عنده -الإيمان والرسالة- فعميت عليهم -فلم يبصروا الحق، لعدم تفكرهم- أيلزمهم ﷺ بقبول ما جاء به -ويدخل الإيمان في قلوبهم عنوة!- وهم لذلك كارهون؟ **٢٨**

أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ
ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ
وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾
فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا
وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ
وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلِۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ
عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠
بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا
تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ
أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ
إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا
فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا
يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ
نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن
يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ
قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ
فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا
وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾

وذكر قومه أن لا يسألهم على دعوته مالا، ليس ثوابه -آمنوا أو ظلوا كفارا- إلا على الله، وما هو بمبعد الذين آمنوا -بالله وحده لا شريك له، حاشاه ﷺ- إنهم ملاقو ربهم -يوم القيامة، وهو مجازيهم على الإيمان والعمل وليس على الغنى أو الشرف أو الحسب أو غير ذلك مما يعتبر الناس في الدنيا- ولكنه يراهم قوما يجهلون ذلك، ويجهلون ما فيه صالحهم. **٢٩**

وسأل قومه من يمنعه من -عذاب- الله إن أبعدهم: بغير ذنب اقترفوه؟ أفلا يذكرون: فيتعظوا بإيمان من آمن به، فيدرك بقية قومه ما هم عليه من ضلال؟! **٣٠**

وأضاف أن لا يخبرهم أن عنده خزائن الله -يمتلكها، فيغني من آمن به- ولا يعلم الغيب -فيخبرهم بما يستقبلون- ولا يزعم أنه مَلَك -بل هو بشر كما وصفوه- ولا يزعم أن الذين تحتقرهم أعين الرؤوس الأعيان من قومه لن يعطيهم الله خيرا -ولن يخبر الذين اتبعوه بذلك!- الله أعلم بما في أنفسهم -من إيمان، وسيجازيهم به- إنه -إن فعل شيئا من ذلك حاشاه- إذًا لمن الظالمين لنفسه ولغيره. **٣١**

تعنت قوم نوح -لما حاججهم بالحق- زاعمين أن قد جادلهم -دافعا معتقداتهم- فأكثر جدالهم، من ثم تحدوه فليأتهم بما يعدهم -من عذاب إن لم يطيعوه- إن كان -فيما يدعي- من الصادقين. **٣٢**

فائدة! الأمة بحاجة إلى علماء وطلبة علم ودعاة ووعاظ ومفكرين يواجهون الانحرافات والفكر الخبيث والانبطاح للنظام الدولي، لئلا تفسد المجتمعات ويتم اختراقها من قبل أعدائها، كل على قدر طاقته، بما توجبه الأدلة الشرعية: دون ظلم أو عدوان كما قال تعالى ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾ [الأنعام ١٥٢]، ودون مداهنة أحد، فالأمة لا تنتصر إلا بالجهر بالحق ناصعا وبإقامة العدل، وهذا من جهاد اللسان.

جِهادٌ بِاللِّسانِ لِدَحضِ فِكرٍ ... خبيثٍ وانبِطاحٍ، لا تَجوروا

أخبرهم أنما يأتيهم به الله -ليس هو، ﷺ- إن شاء -أن يعاقبهم في الدنيا، وهو فاعل في الآخرة- وما هم بفارين من الله كما قال تعالى ﴿ إنَّ ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين. ﴾ [الأنعام ١٣٤]. **٣٣**

وأضاف أن لا ينفعهم نصحه إن أراد أن ينصح لهم -مخلص النية- إن كان الله يريد أن يغويهم -وعن الحق يضلهم، فكل أمر بمشيئته كما قال تعالى ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ [الإنسان ٣٠ ۞ التكوير ٢٩]- هو ربهم -خالقهم وسيدهم- وإليه وحده يرجعون في الآخرة ليجازيهم أتم الجزاء. **٣٤**

أم يزعم الكفار من قومه أنه افترى ما جاء به -حاشاه- لم يوح إليه؟ أخبرهم -يا نوح- إن افتريته فعليك جزاء إجرامك -من الله، فعقابه قد حق- وأنت بريء مما يجرمون: فلست معاقبا بسبب تكذيبهم. **٣٥**

وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن -بالفعل- فتم مواساته -من قبل ربه- ألا يحزن أو يهتم بسبب ما كانوا يفعلون من كفر وتكذيب واستهزاء، وكذب عليه. **٣٦**

ويصنع السفينة بأعين الله -بمرأى منه وفي حفظه- وما أوحاه سبحانه -إليه من علم يوظفه لصناعتها، كذلك أمره- ونهاه أن يخاطبه في -شأن- الذين ظلموا أنفسهم بتكذيبه وغيرهم بالصد عن الإيمان، مؤكدا أنهم مغرقون: قدر الله غرقهم، في موعد محدد لن يتقدم ولن يتأخر. **٣٧**

ويصنع السفينة -عليه السلام، شارعا فيما أمره الله به- وكلما مر عليه رؤوس أعيان من قومه سخروا منه: أين ستجري هذه؟! أجابهم بأن إن يسخروا منهم -الآن- فإنه والمؤمنين يسخرون من الكفار -الآن بسبب جهلهم وغفلتهم عما هو واقع بهم، وفي قابل الأيام وهم يغرقون سيسخرون منهم- كما يسخرون. **٣٨**
فسوف يعلمون من يأتيه عذاب يذله ويهينه -في الدنيا- ويحل عليه -بعدها- عذاب دائم مستمر. **٣٩**
حتى إذا جاء أمر الله -بهلاكهم- واشتد الماء -إيذانا ببدء طوفان لا مثيل له كما قال تعالى ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء مُنهمر. وفجَّرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قُدِر. ﴾ [القمر ١١ ١٢]- أمر الله أن احمل -يا نوح- في السفينة من كل -صنف من الحيوان- زوجين اثنين -ذكرا وأنثى- وأهل بيتك كذلك احملهم فيها، إلا من سبق عليه حكم الله -بأن يغرق بكفره- ومن آمن كذلك احمله، وما آمن معه -بعد تسعمائة وخمسين عاما يدعوهم كما قال تعالى ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهُم ظالمون. ﴾ [العنكبوت ١٤]- إلا قليل. **٤٠**
فائدة! الأغلبية العددية ليست المعيار المعتبر لمعرفة الحق، فأكثر بني آدم في النار كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين ﴾ [البخاري **٣٣٤٨** ★ مسلم **٢٢٢** ★ أحمد **١١٢٨٤**].

وأكثرُ خَلْقِ ربِّ الناسِ ضالٌّ ... فلا يَهتَمَّ بالعَدَدِ الخُيُورُ

ودعا -عليه السلام من أمره الله أن يحملهم- أن اركبوا في السفينة -مسمين الله- وسمى الله: بسم الله جريانها ورسوها، إن ربه لواسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. **٤١**
وهي تجري بهم -بعد أن ركبوا وتحركت بهم وزاد الماء واضطرب- في موج -عال مرتفع- كالجبال، ونادى نوح ابنه، وكان في موقع عزل فيه نفسه -عن الناس، فلم يبلغه دعوة أبيه لركوب السفينة، فدعاه عليه السلام- يا بني اركب معنا، ولا تكن مع الكافرين. **٤٢**
أخبره أن سيأوي إلى جبل يحميه -ارتفاعه- من الماء، أكد -عليه السلام لابنه- أن لا عاصم اليوم من أمر الله -يحفظهم- إلا من رحم -سبحانه، في السفينة- وفرق بينهما الموج، فكان -ابنه- من المغرقين. **٤٣**
وأمرت الأرض أن تبتلع ماءها -الذي غمرها- والسماء أن تكف -عن إنزال الماء- ونقص الماء -إلى أن جفت الأرض- وانتهى الأمر -إلى مصير أبدي- واستوت -السفينة بالمؤمنين، راسية- على -جبل- الجودي، وقضي -أن اهلكوا- هلاكا للقوم الظالمين لأنفسهم بالكفر، وبعدا وطردا من رحمة الله. **٤٤**
ونادى نوح ربه فسأل ربه: إن ابنه من أهله، وإن وعده -سبحانه- الحق الصادق الواقع -وقد وعد بنجاة أهل بيته ومن آمن في السفينة كما قال تعالى ﴿ قُلنا احمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن ﴾ [هود ٤٠]، ولم يكن يعلم أن ابنه ممن قد سبق عليه حكم الله بأن يغرق بكفره، فقد كان فيما يبدو منافقا يظهر الإيمان ويبطن الكفر- مؤكدا وهو -سبحانه- أعدل الحاكمين وأتقنهم وأكثرهم علما وحكمة. **٤٥**

وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ
قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا
مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ
وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا
بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾
وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ
وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ
مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ
ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي
وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ
بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي
مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ
مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا
تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ
وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ
مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ
وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾
وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ
إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ
مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ
بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾

أجاب -سبحانه- يا نوح إنه -الهالك غرقا- ليس من أهلك -دينا، وإن كان منهم نسبا- إنه -سؤالك- عمل غير صالح -إذ مات ابنك كافرا، فنهاه- فلا يسأله ما ليس له بجواز سؤاله علم، مشددا أنه يأمره محذرا أن يكون من الجاهلين بمآل عصيان الله، المعتدين في الدعاء بسؤال ما لا يجوز لهم. ٤٦

فائدة! لا يجوز دعاء الله بما لا يعلم المسلم مطابقته للشرع، وطلب ما لا يجوز اعتداء في الدعاء.

بما لا يَعلمون دَعا الحَيارى ... ويَعلمُ مسلِمٌ أو يَستشيرُ

اعتذر مستعيذا بربه أن يسأله ما ليس له به بجواز سؤاله علم، ودعاه -مقرا بكمال قدرته- إلا يغفر له ويرحمه -فيقبل توبته متجاوزا عن زلته- يكن -عليه السلام، حاشاه- من الهلكى الخاسرين. ٤٧

نودي نوح أن اهبط -بمن معك من السفينة إلى الأرض التي جفت، آمنين- بسلام من الله -وتحية، من الله وملائكته- وأبواب نفع وخير عليه -فقد تجاوز سبحانه عن زلتك- وعلى أمم ممن معك -في السفينة، وأمم مؤمنة من ذرياتهم فتح سبحانه عليهم أبواب نفعه وخيره- وأمم -أخرى من ذرياتهم، لن تؤمن- سيمتعهم الله -في الدنيا- ثم ينالهم منه سبحانه -في الآخرة- عذاب أليم. ٤٨

تلك -القصة- من أخبار الغيب يوحيها الله إليك أيها النبي الكريم، لم تكن تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا -الوحي- فاصبر -على إيذاء أهل الكفر، حتى يأتي أمر الله لاحقا بقتال أهل الشرك في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]، وبقتال أهل الكتاب كما قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يد وهُم صاغرون. ﴾ [التوبة ٢٩]- إن العاقبة -والنهاية الحسنة في الدنيا والآخرة- للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه. ٤٩

وإلى عاد -أرسل الله- أخاهم -في النسب- هودا، دعا قومه أن يعبدوا الله -وحده- ليس لهم أي إله غيره، من ثم أخبرهم أن ما هم إلا مفترون على الله كاذبون: من أين جاءوا بما أشركوه به؟ ٥٠

ذكر قومه أن لا يسألهم على دعوته ثوابا، ليس ثوابه -آمنوا أو ظلوا كفارا- إلا على -الله- الذي خلقه على غير مثال سابق، أفلا ينتفعون بعقولهم؟! ٥١

ونصح -عليه السلام- قومه أن يطلبوا المغفرة من ربهم -على ما اقترفوا من كفر وآثام- ثم يتوبوا إليه -عازمين على الثبات على التوبة بلا انتكاس، إن يفعلوا- يرسل -سبحانه- المطر عليهم وفيرا، ويزدهم قوة إلى قوتهم -في الأبدان، وطولا في الأعمار وكثرة في الأموال والأولاد، وقد سأل نوح عليه السلام قومه مثل ذلك من قبل هود عليه السلام كما قال تعالى ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفَّارا. يُرسل السماء عليكم مدرارا. ويُمدِدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا. ﴾ [نوح ١٠ ~ ١٢]- ونهاهم أن يعرضوا متنحين عما يدعوهم إليه -يهلكوا إذًا فيظلوا- مجرمين مستحقين للعقاب. ٥٢

أنكروا أن هودا جاءهم ببينة -يحتج بها على صدقه- وعاندوا كافرين: ما هم بتاركي -عبادة- آلهتهم من أجل قوله -فهو خال بزعمهم عن برهان- وما هم له بمطمئنين ولا مصدقي نبوته. ٥٣

أضافوا أن ما يعتقدون ويرون إلا أن أصابه بعض آلهتهم بسوء -فألم به جنون، حاشاه- أخبرهم -ﷺ- أنه يشهد الله -على نفسه- وأشهدهم أنه بريء مما يشركون: من طواغيت زعموا أنها تستطيع أن تنفع عباد الله وتضرهم. ٥٤

من دون الله -بريء هو ﷺ من إشراكهم به سبحانه- فتحداهم أن يدبروا له المكائد -هم وشركاؤهم- جميعا، ثم لا يمهلوه. ٥٥

أكد أنه اعتمد على الله ربه وربهم وحده في جميع أحواله، ما من كائن يدب إلا هو -سبحانه- عليه قادر له مالك قاهر، إن ربه على طريق مستقيم: سبحانه، قوله الحق، ووعده الصدق، وكافة أفعاله في غاية الإحكام، فلن ينصرهم على نبي من أنبيائه. ٥٦

فإن تعرضوا متنحين عما جئت به فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم -ليس علي إلا هذا كما قال تعالى ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [النور ٥٤ ۞ العنكبوت ١٨]، وقد قامت عليكم به الحجة- ويستخلف ربي قوما غيركم -عمارا وسكانا لأرضه إن شاء، ليسوا يشركون به- ولا تصيبون -ملك- ربي بأي ضرر -بكفركم، فهو غني عنكم، وهو يحفظني منكم- إن ربي على كل شيء رقيب مهيمن. ٥٧

ولما جاء أمر الله -بهلاكهم- نجى الله هودا والذين آمنوا معه برحمة منه سبحانه -إذ وفقهم للإيمان ثم جعل إيمانهم سببا ينالون به رحمته- ونجاهم الله من عذاب غليظ: استمر إلى أن أهلك قومهم جميعا كما قال تعالى ﴿ فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحِسات ﴾ [فُصِّلَت ١٦]. ٥٨

وتلك -أخبار- عاد، جحدوا بآيات ربهم -فأنكروها- وعصوا رسله -فمن عصى أحدهم فقد عصاهم جميعا، فدعوتهم واحدة- واتبعوا -فأطاعوا- أمر كل جبار متسلط على عباد الله معاند له. ٥٩

وأتبعوا في هذه الدنيا طردا من رحمة الله -ألحقه بهم لا يفارقهم- ويوم القيامة كذلك لحقهم، ألا إن عادا كفروا ربهم -فأشركوا به، ونعمه كفروا ما شكروا منها شيئا- ألا هلاكا لعاد قوم هود، وبعدا وطردا من رحمة الله. ٦٠

وإلى ثمود -أرسل الله- أخاهم -في النسب- صالحا، دعا قومه أن يعبدوا الله -وحده- ليس لهم أي إله غيره، هو -سبحانه- أوجدهم -بأن بدأ خلقهم- من الأرض -من ترابها، فما هم إلا ذرية آدم ﷺ- واستخلفهم فيها -عمارا وسكانا لها- فنصحهم أن يطلبوا منه -سبحانه- المغفرة -على ما اقترفوا من كفر وآثام- ثم يتوبوا إليه -عازمين على الثبات على التوبة بلا انتكاس- مؤكدا أن ربه -بأحوالهم عالم- قريب، مجيب: دعوة من يدعوه من المؤمنين بما يجوز وبقلب حاضر لو كان كسبه حلالا. ٦١

كانت إجابتهم أن أخبروا صالحا أن قد كان فيهم مرجوا -يرجون أن ينتفعوا بعقله ورأيه، وأن يكف عن عيب آلهتهم كذلك!- قبل هذا -الذي به جاءهم- من ثم سألوه -مستنكرين- أينهاهم أن يعبدوا ما -ظل- يعبد أسلافهم؟ وأضافوا أنهم -يقينا- في شك مما يدعوهم إليه مريب لا تطمئن قلوبهم لعبادة الله وحده وترك عبادة طواغيتهم. ٦٢

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي
جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن
دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾
فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي
قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾
وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا
وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي
هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا
بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ
ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ
وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾
قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ
مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي
مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ
فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ
عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا
نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ
خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾
كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا
بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ
سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ
أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ
قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ
فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾

سأل قومه أن يخبروه: إن كان على بينة من ربه -عليه السلام-، لا هوى وشك، ألا إله إلا هو- وأعطاه منه رحمة -الإيمان والنبوة- فمن يمنعه من -عذاب- الله إن عصاه: حاشاه، فأشرك به أو راءى، أو خالف أوامره، ومن جملتها تبليغ ما أمره بتبليغه كاملا تاما دون تحريف؟ فما يزيدونه -بمحاولتهم صده عن دعوته- إلا خسارة -إن أطاعهم، حاشاه- وقناعة منه بخسارتهم إن هم استمروا على ما هم عليه. ٦٣

وأخبر قومه أن هذه ناقة -فاضلة شريفة من- الله لهم آية -معجزة- فليتركوها تأكل -وتشرب بالتناوب معهم، فكان الأمر كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ﴿ لما مر رسول الله ﷺ بالحِجر قال: لا تسألوا الآيات وقد سألها قوم صالح، فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها، فأخذتهم صيحة أهمد الله من تحت أديم السماء منهم، إلا رجلا واحدا كان في حرم الله، قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم، أصابه ما أصاب قومه. ﴾ [أحمد ١٤١٦٠]- في أرض الله -ليس عليهم مؤونتها- ولا ينالوها بشيء سيئ أو يتعرضوا لها بأذى، فيأخذهم -إن فعلوا- عذاب قريب ليس يتأخر. ٦٤

فأصابوا الناقة بجرح قتلها، فأخبرهم أن يتمتعوا -بالحياة- في بلدهم ثلاثة أيام -فالعذاب آت بعدها لا محالة- ذلك وعد -واقع، من الله على لسان صالح عليه السلام- غير مكذوب. ٦٥

فلما جاء أمر الله -بهلاكهم- نجى الله صالحا والذين آمنوا معه برحمة منه سبحانه -إذ وفقهم للإيمان ثم جعل إيمانهم سببا ينالون به رحمته- ومن ذل ومهانة يومئذ -أن يظل ملتصقا بهم- كذلك نجاهم، إن ربك أيها النبي الكريم هو القوي القادر، العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء. ٦٦

وأخذ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر الصيحة -شديدة في غاية الشدة ارتعدوا لها- فأصبحوا في بلادهم جاثمين: على ركبهم ووجوههم، ملتصقين بالأرض قد هلكوا جميعا. ٦٧

كأن لم يقيموا في بلادهم -فقد أهلكهم الله جميعا لم يترك أحدا- ألا إن ثمود كفروا ربهم -فأشركوا به، ونعمه كفروا ما شكروا منها شيئا- ألا هلاكا لثمود، وبعدا وطردا من رحمة الله. ٦٨

ولقد جاءت رسل الله -ملائكة في هيئة رجال- إبراهيم بالبشارة بالولد، ألقوا تحية السلام، رد السلام -بأحسن مما حيوه به- فما مكث -غير مبطئ- أن جاء -مسرعا، إكراما لأضيافه- بعجل مشوي. ٦٩

فلما رأى أيدي أضيافه لا تصل إليه -لا يمدونها ليأكلوا- استنكر فعلهم، وأضمر منهم خوفا -وكانت العادة عندهم أن الضيف الذي يأتي بشر أو بلاء لا يأكل من طعام مضيفه- طمأنته الملائكة -وقد أخبرهم بخوفه كما قال تعالى ﴿ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وَجِلون. ﴾ [الحِجر ٥٢]- ألا يخاف، مضيفين أنهم أرسلوا -من قبل الله- إلى قوم لوط: ليهلكوهم. ٧٠

وامرأة إبراهيم عليه السلام قائمة -وهو جالس- فضحكت -سارة رضي الله عنها، سرورا بالأمن، وبإهلاك الله لأهل الكفر والفساد- فبشرها -الملائكة، بأمر- الله بإسحاق -يولد لها- ومن وراء إسحاق -يولد له- يعقوب. ٧١

تساءلت متعجبة أتلد وهي عجوز؟ وهذا زوجها -إبراهيم عليه السلام، قد صار- شيخا: لا تحبل ممن في مثل سنه النساء؟! إن هذا لشيء عجيب! **٧٢**

أجابتها الملائكة متسائلين -مستنكرين- أتعجب من أمر الله: القادر الذي لا يعجزه شيء، ولا يخفى ذلك على مثلها أبدا؟ رحمة الله وأبواب نفعه وخيره عليكم أهل بيت إبراهيم عليه السلام -ومن جملة ذلك أن الأنبياء من ذريتكم- إنه محمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، عظيم رفيع الشرف مبجل. **٧٣**

فلما ذهب عن إبراهيم الروع -واطمأن أنهم لم يأتوه هو وأهل بيته بشر ولا بلاء- وجاءته البشارة بالولد -شرع- يجادل -ملائكة- الله في -إهلاك- قوم لوط: لخوفه على لوط عليه السلام كما قال تعالى ﴿ قال إنَّ فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لنُنَجِيَنَّه وأهله إلا امرأته ﴾ [العنكبوت ٣٢]. **٧٤**

إن إبراهيم لكثير الحلم يصبر على الناس والأذى، كثير الذكر والتضرع إلى الله، راجع إليه طائع. **٧٥**

يا إبراهيم أعرض عن هذا -الجدال- منصرفا -أخبرته الملائكة- إنه قد جاء أمر ربك -بهلاك قوم لوط، وانتهى الأمر- وإنهم آتيهم عذاب -واقع لا محالة- غير مردود: لا يرده جدال ولا دعاء. **٧٦**

ولما جاءت رسل الله -ملائكة في هيئة رجال، وقيل في هيئة غلمان حسان- لوطا ساءه مجيئهم وعجز وبهم ضاق صدرا -خوفا عليهم من قومه- وأكد -ظانا- أن هذا يوم عصيب: شديد الشر والوطأة. **٧٧**

وجاءه قومه يسارعون إليه، ومن قبل -مجيئهم- كانوا يعملون السيئات -إذ كانت عادتهم إتيان الرجال في أدبارهم- عرض على قومه تزويجهم بناته -أو نساء قومه، فنبي القوم أب لهم- هن أطهر لهم -وأنزه من إتيان الذكور المحرم- فحثهم أن يتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولا يذلوه ولا يمتهنوه في أضيافه -جالبين له العار إن أصروا على ما يريدون بهم- من ثم سألهم -موبخا- أليس منهم رجل رشيد ذو عقل سديد: فئة من يرشدهم إلى الصواب وترك المنكر، ألا يستجيب له أو يساعده أحد؟! **٧٨**

أقسموا لقد علم أن ليس لهم في بناته -ولا في نساء قومه- من حاجة، وأنه ليعلم ما يريدون. **٧٩**

تمنى لو أن له بهم قوة -يدفعهم بها- أو يأوي إلى منعة -عشائرية- شديدة: وكان له أكثر مما تمنى، الله، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ويرحم الله لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد ﴾ [البخاري ٣٣٧٢ ★ مسلم ١٥١ ★ الترمذي ٣١١٦ ★ ابن ماجة ٤٠٢٦ ★ أحمد ٨٣٢٩]. **٨٠**

طمأنوا لوطا أنهم رسل ربه، لن -يتركوهم- يصلوا إليه -بسوء- من ثم أمروه فليسر بأهل بيته في ظلمة الليل، ولا يلتفت منهم أحد -إلى ما يحدث خلفه ولا إلى ما ترك من مال- إلا امرأته: إنه مصيبها ما أصاب قومها -من عذاب- إن موعد عذابهم الصبح، أليس الصبح -لو يعلم الفسقة- بقريب؟ **٨١**

فائدة! اللواط -عمل قوم لوط: إتيان الذكور في أدبارهم- يقاس على الزنا عند بعض أهل العلم، فيرجم المحصن ويجلد البكر، وبعضهم يرى قتل اللوطي مطلقا -ولو كان بكرا- كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ في البكر يوجد على اللوطية؟ قال: يرجم. ﴾ [أبو داود ٤٤٦٣].

ومفعولٌ بِهِ أو فاعلٌ ما ... لكُمْ لِلِواطِكُم إلَّا القُبورُ

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ
قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا
يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾
قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾
قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ
يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ
مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾

فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا
حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ
وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ
شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ
وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ
وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ
أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ
أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ
ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم
بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ
مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ
لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ
عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ
أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ
مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

فلما جاء أمر الله -بهلاكهم- جعل -الملائكة، بأمر- الله عالي قرى قوم لوط سافلها -فقلبت بهم- وأسقط سبحانه عليها حجارة من طين صلب كالمطر، متراكمة متتابعة يتلو بعضها بعضا. **٨٢**

معلمة بعلامات مميزة -تلك الحجارة- عند ربك أيها النبي الكريم، وما هي من الظالمين لأنفسهم بالكفر أو باقتراف الآثام ولغيرهم بالصد عن الإيمان وطريق الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ببعيد: بل يهلك الله الظالمين إن شاء، ويترك آثار من شاء منهم ظاهرة قريبة من غيرهم ليتعظوا. **٨٣**

وإلى مديَن -أرسل الله- أخاهم -في النسب- شعيبا، دعا قومه أن يعبدوا الله -وحده- ليس لهم أي إله غيره، وأمرهم ألا يتلاعبوا في المكيال والميزان -عند البيع أو الشراء- إنه يراهم بخير -في سعة من رزق الله، فلا يكفروا نعمة الله فيزيلها- وإنه يخاف عليهم -إن لم يطيعوه- عذاب يوم محيط: بهم من كل جانب لا فرار لهم منه، يوم القيامة، أو يوم فيه يهلكهم الله في الدنيا. **٨٤**

وأمر قومه أن يستقيموا في الأخذ والإعطاء عند البيع والشراء: بالعدل، ولا يظلموا الناس بأخذ مكوس ولا يحتالوا عليهم، ولا ينقصوا من قيم سلع غيرهم بتعييب أو تزهيد أو غير ذلك، ولا يسعوا في الأرض بتخريب وإفساد وصد للناس عن دين الله، ولا يمشوا بالكفر مجاهرين، للمعصية ناشرين. **٨٥**

فائدة! الغش -وأعظمه غش الحاكم للرعية- من الكبائر كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا. ﴾ [مسلم ١٠١ * أحمد ٩٣٩٦].

يَغُشُّ المسلمينَ شَغوفُ حُكمٍ ... سِلاحٌ لِلصُّدورِ بِهِ يُشيرُ

ما يبقيه الله -بعد أن يؤدوا حقوق عباده بالعدل هو قطعا- خير لهم -مما يأخذون بالتلاعب أو البخس أو التطفيف أو الاحتيال- وأفضل، إن كانوا غير كاذبين في ادعاء الإيمان -فليقبلوا إذًا بالحلال دون غيره- وليس هو -عليه السلام- عليهم بحفيظ من الآثام حتى لا تقع، ولا برقيب يحصي أعمالهم. **٨٦**

سألوا شعيبا -مستنكرين متهكمين- أصلاته -التي يتعبد بها الله وحده لا شريك له، فهي أساس دينه- تأمره -أو يأمره دينه- أن يتركوا -عبادة- ما -ظل- يعبد أسلافهم؟ أو أن يفعلوا في أموالهم ما يشاءون: من معاملات اعتادوها وألفوها، تلاعبا كانت أو بخسا أو تطفيفا أو احتيالا أو غير ذلك؟ من ثم أضافوا -مستهزئين- أنه -حقا- هو الكثير الحلم الصبور على الناس والأذى، الرشيد ذو العقل السديد. **٨٧**

سأل قومه أن يخبروه: إن كان على بينة من ربه -عليه السلام-، لا هوى وشك، ألا إله إلا هو- ورزقه منه رزقا حسنا -واسعا حلالا من فضله سبحانه، ومن جملة ذلك النبوة، فهل يترك ذلك ليتلاعب أو يبخس أو يطفف أو يحتال؟ أم يترك تكاليف النبوة فلا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر؟!- ولا يريد -بنهيه عن التلاعب والبخس والتطفيف والاحتيال- أن يخالفهم إلى ما ينهاهم عنه -فيفعله دونهم، إن كان ذلك ما ذهبوا إليه!- ما يريد إلا الإصلاح ما استطاع -بدعوتهم إلى توحيد الله: وكفى بذلك إصلاحا، وترك المعاصي- وما توفيقه -إلى ما حصل من خير- إلا بالله -بعونه وتأييده سبحانه- عليه وحده اعتمد في جميع أحواله، وإليه وحده يرجع طائعا إن أذنب، وإليه وحده يدعو، وإليه وحده رجوعه في الآخرة. **٨٨**

وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ
قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم
بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ
وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ
سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ
وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا
شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾

ونصح قومه ألا يحملنهم خلافهم وعداؤهم معه -على العناد، فمآل ذلك- أن يصيبهم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط منهم ببعيد: لا مكانا ولا زمانا، ولا سببا للهلاك. **٨٩**

ويطلبوا المغفرة من ربهم -على ما اقترفوا من كفر وآثام- ثم يتوبوا إليه -عازمين على الثبات على التوبة بلا انتكاس- إن ربه عظيم الرحمة بالتائبين، محب لهم محبوب في قلوبهم. **٩٠**

كانت إجابتهم أن أخبروا شعيبا أن ليسوا يفقهون كثيرا مما يحدثهم به -كالبعث والحساب، فلا عهد لهم بذلك، بل ولا حاجة!- وأنهم ليرونه فيهم ضعيفا -ليس من رؤسائهم، وقيل ضعيف البدن، وقيل ضعيف البصر، ولا يستطيع حماية نفسه بحال من الأحوال- ولولا عشيرته -قيل كانت على ملتهم- لرجموه -سبا، أو بالحجارة- وما هو عليهم بعزيز ذي قدر. **٩١**

سأل قومه أعشيرته -ﷺ- أعز عليهم -وأعظم قدرا- من الله؟ وتركوه -سبحانه، فلم يعتدوا بنبيه الذي أرسله لهدايتهم- مطروحا وراء ظهورهم لم يبالوا به، من ثم أكد أن ربه على علم تام وإحاطة كاملة بما يعملون في السر والعلن، وسيجازيهم بأعمالهم. **٩٢**

وهدد قومه -متوعدا إياهم، ليس على سبيل التخيير- أن يعملوا على ما هم عليه -ثابتين على كفرهم- إنه عامل -على دينه ثابت- سوف يعلمون من يأتيه عذاب يذله ويهينه، ومن هو كاذب -فيما يدعي: هو أم هم، سوف يعلمون ذلك يقينا حين يأتي العذاب، ويذوق الكاذب وبال أمره- وأردف مشددا أن يترصدوا ما يقضي به الله، إنه معهم رقيب منتظر. **٩٣**

ولما جاء أمر الله -بهلاكهم- نجى الله شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منه سبحانه -إذ وفقهم للإيمان ثم جعل إيمانهم سببا ينالون به رحمته- وأخذت الذين ظلموا أنفسهم بالكفر الصيحة -شديدة ارتعدوا لها- فأصبحوا في بلادهم جاثمين: على ركبهم ووجوههم، ملتصقين بالأرض قد هلكوا جميعا. **٩٤**

كأن لم يقيموا في بلادهم -فقد أهلكهم الله جميعا لم يترك أحدا- ألا هلاكا لمدين، وبعدا وطردا من رحمة الله كما هلكت وبعدت وطردت ثمود. **٩٥**

فائدة! التطفيف من كبائر الذنوب، ولا يقتصر التطفيف على تجارة السلع بل يشمل الخدمات، ما كان مدفوع الثمن منها كالاستشارات والتدريب والنقل وغير ذلك، وما يكون في أحيان كثيرة مجانيا كتحفيظ القرآن ونحو ذلك.

يُطَفِّفُ عاصيًا ويَظُنُّ ذاكَ ... ذَكاءً، لا يَرَى بُعدًا يُبِيرُ

ولقد أرسل الله موسى بآياته سبحانه الدالة على صدقه ﷺ -وهي تسع كما قال تعالى ﴿ في تسع آيات إلى فرعون وقومه ﴾ [النمل ١٢]- وبرهان واضح الدلالة. **٩٦**

إلى فرعون ورؤوسه الأعيان -من أهل ملكه، وبقية القوم فمن عداهم تبع لهم- فاتبعوا أمر فرعون -لهم بالكفر، فلم ينكروا زعمه أنه إلههم المعبود كما قال تعالى ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ [القَصص ٣٨]- وليس لأمر فرعون أدنى علاقة بالرشد: بل هو الضلال المبين. **٩٧**

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ
ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ بِئْسَ
ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَۖ
مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ
أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأٓخِرَةِۚ
ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾
وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي
ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾
۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

يتقدم قومه يوم القيامة، فأوردهم النار -إلى أن يدخلوها مع فرعون- وبئس المورد الذي يوردهم إياه. **٩٨**

وأتبعوا في هذه -الدنيا، وفي البرزخ حالهم كما قال تعالى ﴿ النار يُعرضون عليها غُدُوًّا وعَشِيًّا ﴾ [غافر ٤٦]- طردا من رحمة الله -ألحقه بهم لا يفارقهم- ويوم القيامة كذلك لحقهم، بئس ما ترادف عليهم وتتابع من عذاب وطرد من رحمة الله. **٩٩**

ذلك -المذكور- من أخبار القرى يقصه الله عليك أيها النبي الكريم، منها قائم -بعد هلاك أهله، باق المعالم- وحصيد: كزرع محصود، صار لا أثر له. **١٠٠**

وليس ظلما منه سبحانه -إهلاكهم في الدنيا، ثم عذابهم بعدها- ولكن ظلموا أنفسهم كفرا وعصيانا لربهم، فما نفعتهم آلهتهم التي يدعون ويعبدون من دون الله وما أغنت عنهم من شيء -قط- لما جاء أمر ربك أيها النبي الكريم -بهلاكهم- وما زادهم طواغيتهم غير هلاك وخسران. **١٠١**

ومثل ذلك الإهلاك أخذ ربك إذا أخذ -بعذابه- القرى وهي ظالمة -عصاة لا يتوب أهلها- إن أخذه أليم شديد: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ﴿ إن الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿ وكذلك أخْذ ربك إذا أخَذ القرى وهي ظالمة إنَّ أخذه أليم شديد. ﴾ ﴾ [البخاري ٤٦٨٦ ⋆ مسلم ٢٥٨٣ ⋆ الترمذي ٣١١٠ ⋆ ابن ماجة ٤٠١٨]. **١٠٢**

إن في ذلك -الإهلاك والعذاب للظلمة- لآية دالة على كمال قدرة الخالق لمن خاف عذاب الآخرة، ذلك يوم -القيامة- مجموع له الناس -للحساب- وذلك يوم مشهود: لا يتخلف عنه منهم أحد. **١٠٣**

وما يؤخره الله إلا لأجل معدود: معلوم متى يأتي قد أحصى الله ذلك، ولا يعلمه غيره سبحانه. **١٠٤**

يوم -القيامة، حين- يأت -وكل آت قريب- لا تتكلم نفس -بشفاعة أو اعتذار كما قال تعالى ﴿ هذا يوم لا ينطقون. ولا يؤذن لهم فيعتذرون. ﴾ [المُرسَلات ٣٥ ٣٦]- إلا بإذنه -سبحانه- ومشيئته، فمن النفوس شقي كتب عليها الشقاء، وسعيد كتب لها السعادة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ لما نزلت هذه الآية: ﴿ فمنهم شقي وسعيد ﴾ سألت رسول الله ﷺ، فقلت: يا نبي الله، فعلى ما نعمل؟ على شيء قد فرغ منه؟ أو على شيء لم يفرغ منه؟ قال: بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له. ﴾ [الترمذي ٣١١١]. **١٠٥**

فأما الذين كتب عليهم الشقاء ففي النار، لهم فيها -مما يلاقون- أنفاس وأصوات مرتفعة. **١٠٦**

خالدين فيها -يعذبون- إلا ما شاء ربك -من انتقال إلى نوع آخر من العذاب، كشرب الحميم كما قال تعالى ﴿ ثم إنَّ لهم عليها لشَوبا من حميم. ثم إنَّ مرجعهم لإلى الجحيم. ﴾ [الصافات ٦٧ ٦٨]، أو من شاء أن يخرجه من النار من عصاة الموحدين- إن ربك -أيها الإنسان- فعال لما يريد: مكثر من الأفعال، لا يرده راد عن مراده. **١٠٧**

وأما الذين كتب لهم السعادة ففي الجنة خالدين فيها -ينعمون- إلا ما شاء ربك -من إدخال عصاة الموحدين النار قبل إدخالهم الجنة- عطاء غير مقطوع: نعيما مستمرا منه سبحانه لأهل الجنة. **١٠٨**

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٖ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٖ ﴿١٠٩﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٞ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكّٖ مِّنْهُ مُرِيبٖ ﴿١١٠﴾
وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٞ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ
ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ
لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾
فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا
كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٖ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

فلا تك -أيها الإنسان- في شك أو ريبة من -بطلان- ما يعبد هؤلاء -الكفار، بمختلف طوائفهم- ما يعبدون إلا كما -ظل- يعبد أسلافهم من قبل -فهم في تقليد أعمى لأسلافهم، وهم سواء في الكفر- وإن الله لمعطيهم سبحانه نصيبهم -من العذاب حيثما شاء، ومن رزق الدنيا- وافيا غير منقوص. ١٠٩

ولقد أعطى الله موسى التوراة، فاختلفوا في شأنها -آمن البعض وكفر البعض، دأب الناس، فلا تحزن- ولولا ما سبق من قضاء ربك أيها النبي الكريم -ألا يعجل عقابهم في الدنيا- لقضي بينهم، وإن الكفار -في كل عصر ومصر- لفي شك من الكتب المنزلة مريب لا تطمئن قلوبهم لها. ١١٠

وإن كلا -من المختلفين: أهل الإيمان وأهل الكفر- إلا ليعطينهم ربك جزاء أعمالهم وافيا، إنه بجميع أعمالهم خبير، ما يظهرون منها وما يبطنون، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. ١١١

فاستقم -مداوما على الالتزام بالطريق الواضح غير المعوج- كما أمرت أيها النبي الكريم -فلا تجتهدن بهواك متخليا عن الوحي! أنت- ومن تاب معك -وكل فرد من أمتك- ولا تطغوا متجاوزين لحدود الله -فتقترفوا الآثام، أو تغلوا في المعتقدات أو الأعمال كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ﴿ أتصوم النهار؟ قلت: نعم، قال: وتقوم الليل؟ قلت: نعم، قال: لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني ﴾ [البخاري ١٩٧٥ * مسلم ١١٥٩ * النسائي ٢٣٩٠ * أحمد ٦٤٧٧]- إنه بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. ١١٢

ولا تميلوا -أيها المؤمنون- إلى الذين ظلموا أنفسهم أو غيرهم -بمودة أو مداهنة ولا تشاركوهم ظلمهم وأعظمه الشرك كما قال تعالى ﴿ إنَّ الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان ١٣] ولا تزينوا أي ظلم، بل أنكروا قدر المستطاع ولا ترضوا- فتنالكم -إن ملتم إليهم- النار، وليس لكم من دون الله أي أنصار أو أعوان -ينفعونكم أو يدفعون عنكم عذابه، لا الذين ظلموا ولا غيرهم- ثم -من عذاب الله- لا تنصرون. ١١٣

وأد الصلاة وأظهر هيئتها وأدمها بشروطها -أيها المسلم- طرفي النهار -أول وآخره- وساعات من الليل، إن الحسنات -إذا عملتها، ومن جملتها الصلاة- يذهبن السيئات كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن، ما اجتنبت الكبائر. ﴾ [مسلم ٢٣٣ * الترمذي ٢١٤ * أحمد ٨٧١٥]، ذلك -المذكور- تذكرة جسيمة للذاكرين. ١١٤

واصبر -أيها المؤمن- على طاعة الله وأقداره، فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. ١١٥

فهلا كان من الأمم المتتالية من قبلكم -أيها المؤمنون- أهل بقية -دين وعقل- ينهون عن الفساد في الأرض؟ إلا قليلا ممن أنجى الله منهم -نهوا عن الكفر والعصيان، وعن المجاهرة بذلك- واتبع الذين ظلموا أنفسهم ما أبطروا فيه من ترف ونعيم -فآثروا شهواتهم- وكانوا مجرمين مستحقين للعقاب. ١١٦

وما كان ربك أيها النبي الكريم ليهلك القرى بسبب ظلم -منه حاشاه سبحانه، ولا بسبب ظلم أحد من أهلها- وأهلها -مغيرون للفساد- مصلحون. ١١٧

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾
إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ
ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾
وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ
فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا
عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ
ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة -على دين واحد- ولا يزالون مختلفين: في الحق كما قال تعالى ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴾ [الأنعام ٣٥]، فهم على أديان بل ومسالك شتى. **١١٨**

إلا من رحم ربك -فوفقه للإسلام، واتبع مسلك الحق- ولذلك -الاختلاف، ولرحمة من يعبده منهم كما أمر كما قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ﴾ [الذاريات ٥٦]- خلقهم، وأتم ربك وعده ووعيده: ليملأن جهنم -يوم القيامة من مستحقي دخولها- من الجن والإنس جميعا. **١١٩**

وكلا يقص الله عليك -مما تحتاج- من أخبار الرسل ما يثبت الله به قلبك -المتوقد- ويقويه، وجاءك في هذه -السورة- الحق -بعث وحساب ثم جنة أو نار- وموعظة وتذكرة جسيمة للمؤمنين. **١٢٠**

فائدة! فليتذكر المؤمنون الحق: الركون إلى الظلمة بمودة أو مداهنة أو مشاركتهم في ظلمهم أو تزيينه -أيها العاملون بالإعلام- ليستسيغه الناس أو الرضا به أو عدم إنكاره قدر المستطاع مفض إلى هلاك.

ولمْ نَركَنْ إلى مَنْ يَظلِمونَ ... مِنَ السُّفَهاءِ، بَلْ يُعصى الحَقيرُ

وأخبر الذين لا يؤمنون -مهددا إياهم ومتوعدا، ليس على سبيل التخيير- أن يعملوا على ما هم عليه -ثابتين على كفرهم- إنكم -أنت ومن اتبعك- عاملون: على دينكم ثابتون. **١٢١**

وينتظروا -ما قدر الله لهم فلا فكاك منه، وأن يحل بك شر كما قال تعالى ﴿ أم يقولون شاعر نَتربَّص به رَيب المَنون. ﴾ [الطور ٣٠]- إنكم منتظرون: نصرا عليهم ثم عذابا أبديا لمن ماتوا كفارا. **١٢٢**

ولله ما غاب في السماوات والأرض -وحده يعلمه جميعه- وإليه يرجع الأمر كله -يوم القيامة للحساب والجزاء- فاعبده أيها النبي الكريم -وكل فرد من أمتك- واعتمد عليه وحده في جميع أحوالك، وما ربك بغافل عما تعملون -أيها الخلق- من خير وشر، وسيجازيكم به. **١٢٣**

★ سورة يوسف ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]، تلك آيات الكتاب -المنزل- الواضح ألفاظه ومعانيه المبين للحلال والحرام. **١**

إن الله أنزل سبحانه كتابه قرآنا عربيا، رجاء أن تعقلوا -أيها العرب- فتؤمنوا به وتعملوا بما جاء فيه، ثم تبلغوه إلى غيركم فتفوزوا. **٢**

الله يقص سبحانه عليك أيها النبي الكريم أحسن القصص -أكثره صدقا وبلاغة ومواعظ وعبرا وحكما- بإيحائه سبحانه إليك هذا القرآن، وإن كنت من قبل إيحائه إليك لمن الغافلين: إذ لم تكن تدري بعد ما كتب الله السماوية ولا كيفية عبادته وأداء الصلاة كما قال تعالى ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ [الشورى ٥٢]. **٣**

اذكر حين ذكر يوسف لأبيه -يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام- يا أبت إني رأيت -في المنام- أحد عشر كوكبا، والشمس والقمر رأيتهم -مع تلك الكواكب- لي ساجدين. **٤**

نصح ابنه ألا يقصص رؤياه على إخوته -خشية أن يحسدوه وهم غير أشقاء- فيدبروا له مكيدة شديدة -للإضرار به عليه السلام- إن الشيطان للإنسان عدو ظاهر العداوة لا يريد إلا الوصول به إلى عذاب الله. **٥**

ومثل ذلك الاختيار والاصطفاء الذي رأيته في منامك يختارك ربك -يا يوسف- ويجعلك من خاصته، ويعلمك تأويل الرؤى، ويتم نعمه عليك -في الدنيا بالعلم والنبوة، وذلك بعد أن أنعم عليك الإيمان به وحده لا شريك له، وفي الآخرة بالجنة- وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل -زمنك هذا- إبراهيم وإسحاق، إن ربك عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٦**

فائدة! الرؤيا في المنام ثابتة شرعا، والصادق منها هو من مبشرات النبوة كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو تُرى له ﴾ [مسلم **٤٧٩** ★ أبو داود **٨٧٦** ★ النسائي **١٠٤٥** ★ ابن ماجة **٣٨٩٩** ★ أحمد **١٩٠٠**]، فيستبشر بها المؤمن وتثبته على الحق، وربما نبهته من غفلة.

يَرى الرؤيا مُبَشِّرَةً عِبادٌ ... يُثَبِّتُهُم بِها ربٌّ شَكورُ

لقد كان في -خبر- يوسف وإخوته آيات دالة على كمال قدرة الخالق للسائلين عنها من الناس. **٧**

حيث أقسم إخوته ليوسف وأخوه -الشقيق- أحب إلى أبيهم منهم وهم جماعة ذات عدد -فرغم أنهم كانوا عشرة فضلهما عليهم- إن أباهم -في زعمهم، حاشاه- لفي ضلال واضح عن الرأي السديد. **٨**

من ثم اقترحوا فيما بينهم أن يقتلوا يوسف! أو يقذفوه في أرض -مجهولة، بعيدا عن أبيهم، إن يفعلوا- يخلص لهم أبوهم فيقبل عليهم، ويكونوا من بعد غياب يوسف عليه السلام قوما صالحين: ظلوا يغرون أنفسهم بسهولة التوبة مما سيفعلون، وبأنهم سيخلصون لربهم ويطيعون أبيهم بعد أن يزول حسدهم لأخيهم. **٩**

فائدة! إظهار حب زائد لأحد الأبناء دون الآخرين يورث الحسد بين الإخوة، وقد يفضي إلى عداوة.

ويُبدي حُبَّهُ دونَ اكتِراثٍ ... لأبناءٍ أخاهُم لنْ يَزوروا

اقترح متكلم من الإخوة ألا يقتلوا يوسف ويلقوه في مكان شديد الظلمة من البئر يغيبه عن الأنظار -إن يفعلوا- يعثر عليه ويأخذه بعض المسافرين -فيغيب عنهم ويتحقق المراد- إن كانوا فاعلين به شيئا. **١٠**

سألوا أباهم -مستنكرين- ما له لا يأمنهم على يوسف -أيساوره قلق عليه منهم؟ إنه أخوهم!- وإنهم له لناصحون: عليه حريصون، زعموا! **١١**

من ثم اقترحوا أن يرسل يوسف عليه السلام معهم -إلى الصحراء- باكرا يتنزه ويلعب، مؤكدين وإنهم له -من الأذى- لحافظون. **١٢**

أخبرهم إنه -وإن كان فراقا مؤقتا، فلفرط حب يعقوب عليه السلام ليوسف عليه السلام- ليحزنه أن يذهبوا به، ويخاف أن يأكله الذئب وهم عنه غافلون: غير منتبهين. **١٣**

أقسموا لئن أكله الذئب -وهو بينهم- وهم جماعة ذات عدد إنهم إذًا لخاسرون: صاروا لا خير فيهم، لضعفهم وعجزهم عن حماية أخيهم الصغير. **١٤**

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ
إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ
وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ
وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ
إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾
ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ
وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ
لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ
ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ
يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ
وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ
أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ
إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ وَجَآءُوٓ
أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ
وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ
بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ
وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ
فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ
بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ
دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ وَقَالَ
ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ
أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ
ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢

فلما ذهبوا به -من عند أبيهم يعقوب ﷺ- وأجمعوا -رأيهم على- أن يجعلوه في مكان شديد الظلمة من البئر يغيبه عن الأنظار -فعلوا ذلك- وأوحى الله إلى يوسف ﷺ -آنذاك، مطمئنا ومبشرا- ليخبرنهم ﷺ بأمرهم وصنيعهم هذا، وهم -حال إخبارهم، به وبأنه أخوهم- لا يشعرون. **١٥**

وجاء إخوة يوسف ﷺ أباهم عشاء -أول الليل- يبكون: تصنعا، ويخفي تصنعهم ظلمة الليل. **١٦**

أخبروا أباهم -معتذرين- أنهم ذهبوا يتسابقوا -في الرمي، أو عدوا على الأقدام أو على الدواب- وتركوا يوسف عند أمتعتهم -يحرسها، ويرتاح فلا تصيبه مشقة- فأكله الذئب، مؤكدين -أنهم يعلمون، لأنه بزعمهم قد غلب عليه سوء الظن- وليس هو بمطمئن لهم ولا مصدقهم، ولو كانوا صادقين. **١٧**

وجاءوا على قميصه بدم كذب -غير دم يوسف ﷺ، لطخوه به- أكد -أبوهم أنهم كاذبون، قيل لأنه رأى القميص لا خرق به- بل سولت لهم أنفسهم أمرا -قبيحا فأغرتهم به- فصبر جميل -سيصبره- لا شكوى فيه، والله المطلوب منه العون على -إظهار حقيقة- ما يصفون: من كذب، وعلى احتماله. **١٨**

فائدة! العمل بالقرائن مشروع حال عدم وجود بينة: كما استدل يعقوب ﷺ على كذب أبنائه، وكما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ الأيم أولى بنفسها من وليها، والبكر تستأمر في نفسها، قيل: يا رسول الله إن البكر تستحيي أن تتكلم؟ قال: إذنها سكوتها. ﴾ [مسلم ١٤٢١ ★ أبو داود ٢٠٩٨ ★ الترمذي ١١٠٨ ★ النسائي ٣٢٦٠ ★ ابن ماجة ١٨٧٠ ★ أحمد ١٨٨٨].

ونَعمَلْ بالقَرائنِ إنْ عَدِمنا ... دليلًا بَيِّنًا، أفلا نَسيرُ؟

وجاء مسافرون، فأرسلوا من يستقي لهم الماء، فأرسل دلوه -في البئر، فتعلق يوسف ﷺ بحبل الدلو، فلما خرج ورآه- استبشر فرحا: هذا غلام! وأخفوه -من يستقي الماء ومن معه عن المسافرين الآخرين، أخفوا أنهم وجدوه في البئر، لئلا يشاركوهم فيه أو يمنعوهم أن يتملكوه، وقيل إخوته الذين ذهبوا إليه يطعمونه أخفوا أنه أخوهم، فسكت يوسف ﷺ خشية أن يقتلوه- زاعمين أنه بضاعة -عبد مملوك ليس إلا- والله عليم بأعمالهم لا تخفى عليه، وسيجازيهم بها. **١٩**

وباعوه بثمن معيب زهيد -حرام، فثمن المرء الحر حرام- دراهم معدودة -جد قليلة- وكانوا فيه -حرصا على التخلص منه سريعا ولئلا ينكشف أمرهم، فهم يعلمون أنه حر لا يجوز بيعه- من الزاهدين. **٢٠**

وأمر الذي اشتراه من مصر -وكان مشتريه النهائي هو العزيز، خازن ملك مصر- امرأته أن تحسن منزله -فتكرمه- لعله ينفعهم -في القيام ببعض الشؤون- أو يتخذونه ولدا -يتبنونه- ومثلما نجاه مما حدث له جعل الله مكانا ليوسف في أرض مصر وسلطانا -قادما- وليعلمه سبحانه -بعد أن جعل له مكانا- تأويل الرؤى، والله غالب على أمره لا مكره له، أمره نافذ، ولكن أكثر الناس -لأنهم ليسوا أهل إيمان كما قال تعالى ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين. ﴾ [يوسف ١٠٣]- لا يعلمون ذلك. **٢١**

ولما اكتمل عقله وقوته أعطاه سبحانه حكما -وحكمة- وعلما -بالدين، كذلك بتأويل الرؤى- ومثل ذلك الجزاء يجزي الله المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. **٢٢**

وطلبت -امرأة العزيز- التي هو في بيتها من يوسف ﷺ برفق ولين وإعمال حيلة أن يجامعها، وأغلقت الأبواب بإحكام -إمعانا في الخلوة- ودعته إلى نفسها، استعاذ بالله -مما تدعوه إليه، معللا ﷺ لها امتناعه- إنه ربه أحسن منزله -فربه الله جعل له مكانا في أرض مصر وأكرمه، وربه سيده زوجها: وذلك أقرب إلى فهمها! قد أمرها بذلك كما قال تعالى ﴿ وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه ﴾ [يوسف ٢١]، فهل يظلم نفسه بعصيان ربه وخيانة سيده؟- إنه لا نجاة ولا فوز للظالمين. **٢٣**

ولقد همت به -مصرة على جماعه- وهم بها -فخطر على نفسه ذلك- لولا أن رأى برهان ربه -شيئا لم يذكر لنا، لفعل ما هم به- مثل ذلك البرهان رأى ليصرف الله عنه القبائح وما هو مستفحش من الذنوب -كالزنا كما قال تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ﴾ [الإسراء ٣٢] وغيره، بل وليزيد سبحانه في حسناته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة. ﴾ [البخاري ٧٥٠١ * مسلم ١٢٩ * الترمذي ٣٠٧٣ * أحمد ٧١٩٦]، وليعصمه ويبعده عن الخيانة- إنه من عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله واستخلصهم الله واصطفاهم لنفسه. **٢٤**

واستبقا -إلى- الباب -يريد أن يخرج وتريد أن تمنعه من الخروج، فجذبته من ثيابه- وشقت قميصه من الخلف، وصادفا سيدها -زوجها- لدى الباب، تساءلت -محتالة لنفسها- ما جزاء من أراد بأهلك -امرأتك، يا عزيز- أمرا سيئا؟ إلا أن يسجن؟ أو عذاب أليم: يناله؟ **٢٥**

دافع عن نفسه مؤكدا أن هي طلبت منه برفق ولين وإعمال حيلة أن يجامعها، وأدلى شاهد من أهلها -أحد أقربائها- برأيه: إن كان قميصه شق من الأمام فصدقت، وهو -فيما دافع به عن نفسه، حاشاه ﷺ- من الكاذبين. **٢٦**

وإن كان قميصه شق من الخلف فكذبت -لم يرد بها فعلا قبيحا- وهو من الصادقين. **٢٧**

فلما رأى -العزيز، وقيل الشاهد الذي أدلى برأيه- قميص يوسف ﷺ شق من الخلف عاتبها مؤكدا أن الذي قذفته به ﷺ من جملة مكائدهن -معشر النساء- إن مكائدهن -هائلة- عظيمة. **٢٨**

خاطب -العزيز، وقيل الشاهد، موجها- يوسف أن أعرض منصرفا عن -الخوض في- هذا -الأمر- وأمر المرأة أن تطلب المغفرة لذنبها، إنها كانت من الخاطئين متعمدي الخطأ. **٢٩**

وتحدث نسوة -محدودو العدد- في المدينة بأن امرأة العزيز تطلب من فتاها -الذي يخدمها، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ لا يقل أحدكم: أطعم ربك وضئ ربك اسق ربك وليقل: سيدي، مولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي، أمتي وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي. ﴾ [البخاري ٢٥٥٢ * مسلم ٢٢٤٩ * أحمد ٨١٩٧]- برفق ولين وإعمال حيلة أن يجامعها جازمات بأن قد غلبها حبه حتى غدا من قلبها موضع غلافه، مؤكدات أنهن -حقا- يرونها في ضلال واضح عن الرأي السديد. **٣٠**

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ
وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا
ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ
قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ
أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ
هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾
۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا
وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ
أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ
عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ
وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ
إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾
فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ
أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى
خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

فلما سمعت بمكرهن -وغيبتهن إياها وهي امرأة العزيز، قيل قصدن بما قلن رؤية يوسف عليه السلام- أرسلت إليهن وأعدت لهن مجلسا فيه وسائد يتكئن عليها -وطعاما يحتاج إلى أن يقطع، قيل هو الأترج: من البرتقاليات- وأعطت كل واحدة منهن سكينا، وأمرت أن يخرج عليهن، فلما رأين يوسف عليه السلام أعظمنه -واندهشن لحسنه، فهو كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ فإذا أنا بيوسف، فإذا هو قد أعطي شطر الحسن ﴾ [مسلم ١٦٢ * أحمد ١٢٥٠٥]، وذهلن عن تقطيع ما في أيديهن من طعام- وجرحن أيديهن، ونزهن الله أن يكون -يوسف عليه السلام- هذا بشرا! مرجحات أن ليس هذا إلا مَلَك كريم: ولا يلزم من قولهن أن الملائكة أجمل صورا من البشر، إذ أنهن تكلمن بغير دليل. **٣١**
عقبت -امرأة العزيز، لما رأت افتنانهن به عليه السلام- فذلك الذي لامونها في حبه، معترفة ولقد طلبت منه برفق ولين وإعمال حيلة أن يجامعها، فاستعصى عاصما نفسه، من ثم توعدته ولئن لم يفعل -بها- ما تأمره -به من فاحشة- ليسجنن، وليكونن -في تصورها القاصر- من الأذلة المجبرين. **٣٢**
دعا مناجيا ربه أن السجن أحب إليه مما يدعونه -هؤلاء النسوة- إليه -إذ يشرن عليه بأن يطاوع امرأة العزيز فيما تطلب من زنا وخيانة- وإلا يصرف -سبحانه- عنه مكائدهن -وحثه عليه السلام على الفاحشة، وقيل أرادت كل واحدة منهن أن يزني بها- يمل إليهن مشتاقا، ويكن -إن فعل شيئا من ذلك حاشاه- من -المؤثرين للحرام من شهوات الدنيا الفانية على نعيم الآخرة الدائم- الجاهلين. **٣٣**
فاستجاب له ربه، فصرف عنه مكائدهن -وعصمه، فلم يقع في أي من ذلك- إنه هو السميع لكافة ما يقول عباده -ومن جملته دعاؤهم والتجاؤهم إليه- العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. **٣٤**
ثم بدا للعزيز ومن يدبر الأمر معه من بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءته عليه السلام ليسجننه -إنفاذا لما به توعدته امرأة العزيز، ودرءا لمحاولاتها غوايته، وسترا للفضيحة- حتى حين: انقطاع ما شاع عنها. **٣٥**
فائدة! دأب المتكبرين اعتبار مصالح لا تمت لشرعٍ ولا عقل ولا عدل ولا مروءة -ولا قانون- بصلة.
ومَنْ يَستكبروا أنجاسُ خَلْقٍ ... يَظُنُّونَ الوَرَى سَبيًا! فثُوروا!
ودخل معه السجن فتيان، ذكر أحدهما أنه يرى نفسه -في المنام- يعصر -عنبا، ليصير- خمرا، وذكر الآخر أنه يرى نفسه -في المنام- يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه، من ثم طلبا منه أن يخبرهما بتأويل ما يرون، مؤكدَين أنهما يريانه من المحسنين في معاملة الخلائق. **٣٦**
أخبرهما -يوسف عليه السلام، ليريهما غزير علمه بتأويل الرؤى من ثم يدعوهما إلى توحيد الله- أن لا يأتيهما طعام -في المنام، وقيل في اليقظة مثلما قال بعده عيسى عليه السلام لبني إسرائيل كما قال تعالى ﴿ وأنبِّئكم بما تأكلون وما تدَّخرون في بيوتكم ﴾ [آل عمران ٤٩]- يرزقانه -أيًّا كان مصدره- إلا أخبرهما بما هو آت قبل أن يأتيهما -فيأتي الطعام على الحال والمآل الذي يخبرهما به- مؤكدا أن ذلك -التأويل ليس من قبيل الكهانة والتنجيم ونحو ذلك، بل هو علم- مما علمه ربه -عن طريق الوحي، ومعللا ذلك- إنه ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله -ما تلبس بها أصلا- وهم بالآخرة عظيمو الكفر. **٣٧**

واتبع ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب -التوحيد- ما صح لهم -هو وآبائه الأنبياء عليهم السلام- أن يشركوا بالله أي شيء، ذلك من فضل الله عليهم -إذ وفقهم للإيمان به وحده- وعلى الناس -إذ بعث فيهم النبي تلو النبي ليرشدوهم إلى الحق وطريقه- ولكن أكثر الناس لا يشكرونه على ما تفضل به عليهم. **٣٨**
سأل مخاطبا مصاحبَيه في السجن -مستنكرا، عليه السلام- أأرباب متفرقون -في ذواتهم وأعدادهم، مختلفون في صفاتهم وخصائصهم بل وفيما صنعوا منه! متعددون في أفعالهم وأوامرهم المزعومة- خير وأفضل: لمن يدعوهم ويعبدهم؟ أم الله الواحد المتفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، القهار الذي لا يغالبه أحد، القادر على منع غيره أن يبلغ مراده؟ **٣٩**
ما يعبد مصاحبَيه وأهل الشرك من دونه -سبحانه- إلا أسماء سموها هم وأسلافهم -جعلوها لأوثان لا قيمة لها، وعدوها آلهة، أكد لهم عليه السلام- ما أنزل الله بجعلها تستحق العبادة أي برهان يؤيد زعمهم، إن الحكم إلا لله -هو من يأمر وينهى ويشرع الشرائع ويسن الأحكام- أمر ألا يعبدوا إلا إياه -فالحكم بما أنزل لعباده عبادة- ذلك الدين المستقيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون حقائق الأشياء، فلا يوحدون الله أو يراءون كما قال تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهُم مشركون. ﴾ [يوسف ١٠٦]. **٤٠**
فائدة! المسميات لا تغير الحقائق والأحكام: كما أن تسمية "اللات" لم تجعل من صنم إلها فالربا حرام وإن أطلق عليه أسماء مخادعة على غرار "فوائد" أو "أرباح"، والخمور بأنواعها محرمة أيًّا كان تصنيفها: "مشروبات روحية" أو غير ذلك، والحكم بغير شرع الله كفر وظلم وفسق وإن أطلق عليه "مدنية" أو "علمانية" أو "ليبرالية" أو "شيوعية" أو "ديموقراطية" أو غير ذلك من شعارات الخداع.

يُخادِعُ فاجِرٌ سَمَّى حرامًا ... بِنَعتٍ حَيَّرَ الخَلْقَ: استَشيروا!

أضاف مخاطبا مصاحبَيه في السجن -مخبرا بتأويل ما رأيا في منامهما، وقيل لم يريا شيئا في المنام، ولكن ذكرا له عليه السلام ما ذكرا لاعبَين أو ليختبرا علمه- أما أحدهما -بعد أن يخرج من السجن ويعود لما كان عليه- فيسقي سيده -الذي يخدمه: الملك- خمرا، وأما الآخر فيصلب -ويموت- فتأكل الطير من رأسه، من ثم أكد أن انتهى الأمر الذي فيه يستفتيان: صادقَين كانا فيما زعما أنهما رأيا في المنام أو كاذبَين، فما سألا عنه فتأوله عليه السلام واقع لا محالة بحسب ما تأول. **٤١**
وطلب من الذي ظن -بل أيقن، وقد سمع التأويل- أنه ناج منهما أن يذكره عند سيده -فيخبر الملك بما وقع عليه عليه السلام من ظلم- فأنساه الشيطان ذكر -خبر يوسف عليه السلام عند- سيده -وقيل أنسى الشيطان يوسف عليه السلام ذكر الله ربه، فابتغى فرجا من عند غير الله واستعان بمخلوق- فمكث -يوسف عليه السلام- في السجن بضع -من ثلاث إلى تسع، قيل مكث بعد خروج مصاحبه سبع- سنين. **٤٢**
وذكر الملك أنه يرى -في المنام- سبع بقرات سمان يأكلهن سبع -بقرات، هزيلات- عجاف، وسبع سنبلات خضر وأخر -سبع بلغن حد الحصاد وصرن- يابسات كذلك يرى، من ثم خاطب الرؤوس الأعيان -من أهل ملكه- طالبا أن يفتوه في رؤياه، إن كانوا للرؤى -إلى بلوغ المراد بها- يعبرون. **٤٣**

وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾
مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ
أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ
مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ
لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾
وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ
سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ
فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ
سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ
مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي
بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾
قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ
لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ
ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

أجاب الرؤوس الأعيان بأن أخلاط أحلام -هو ما يراه الملك: شيء من الرؤى الكاذبة التي لا حقيقة لها- وما هم بتأويل الأحلام -المختلطة التي يرون ألا معنى لها- بعالمين. **٤٤**

وذكر الذي نجا من مصاحبَيه في السجن وتذكر بعد مدة -غزير علمه عليه السلام بتأويل الرؤى- أنه -بإمكانه أن- يخبرهم بتأويل الرؤيا، فطلب أن يرسلوه إليه عليه السلام. **٤٥**

خاطب يوسف الصديق -كثير الصدق، وقد أرسلوه إليه وما زال عليه السلام في سجنه- طالبا أن يفتيهم في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع -بقرات، هزيلات- عجاف، وسبع سنبلات خضر وأخر -سبع بلغن حد الحصاد وصرن- يابسات، رجاء أن يرجع إلى الناس -الملك والرؤوس الأعيان، بتأويل الرؤيا- رجاء أن يعلموا قدر علمك -أيها الصديق يوسف- وفضلك. **٤٦**

أخبره أن يزرعون سبع سنين متوالية متتابعة، فالذي يحصدون -في سنين الخصب هذه- فليتركوه -لئلا يفسد- في سنابله، إلا القليل الذي يأكلون. **٤٧**

ثم يأتي من بعد ذلك -الخصب- سبع شداد -على أهلهن، سنين قحط مجدبة- يأكل أهلهن فيها ما ادخروا من أجلهن، إلا القليل الذي يدخرون: من حبوب، للاستخدام لاحقا في الزراعة. **٤٨**

ثم يأتي من بعد ذلك -القحط- عام فيه يغاث الناس -بنزول المطر- وفيه يعصرون: ما يستعملون في طعامهم وشرابهم، كالعنب خمرا والسمسم زيتا ونحو ذلك، واللبن يحلبون. **٤٩**

وأمر الملك أن يأتوه به -عليه السلام، لما بلغه تأويل الرؤيا- فلما جاءه رسول الملك أخبره أن يرجع إلى سيده -الملك، فيا لصبره عليه السلام كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي ﴾ [البخاري ٣٣٧٢ * مسلم ١٥١ * الترمذي ٣١١٦ * ابن ماجة ٤٠٢٦ * أحمد ٨٣٢٩]، رفض الخروج من السجن قبل ظهور براءته!- فيسأله -ولم يشر إلى ما حدث من امرأة العزيز، ولا إلى ما حدث من بقية النسوة، فيا لأدبه!- عن شأن النسوة اللاتي جرحن أيديهن وحالهن، مؤكدا أن ربه بمكائدهن عليم، لا يخفى عليه شيء مما قلن أو فعلن. **٥٠**

فائدة! توقع أي شيء، حتى لا تنتكس إن فتنت وتستطيع الثبات على الحق فلا تنكسر أمام أحد.

تَوَقَّعْ أيَّ شَيءٍ لا تَظُنَّ الـ ... شُرورَ بَعيدةً، كُسِرَ الكَثيرُ!

سأل -الملك، أو من ينوب عنه- النسوة ما خطبهن -وشأنهن- إذ طلبن من يوسف برفق ولين وإعمال حيلة أن يجامعهن: ما حملهن على ذلك الفعل؟ نزهن الله أن يكن علمن عليه أي فعل قبيح، أكدت امرأة العزيز -مبرئة له، عليه السلام- أن الآن ظهر الحق جليا، مقرة -على نفسها- أنها طلبت منه برفق ولين وإعمال حيلة أن يجامعها، وإنه -فيما دافع به عن نفسه- لمن الصادقين: هو إذًا بريء بالكلية. **٥١**

ذلك -الإقرار، تضيف امرأة العزيز- ليعلم -كل منهما- أنها لم تخنه في غيابه -فلم تنسب إلى يوسف عليه السلام ما لم يكن منه بعد أن غاب في السجن، ولم تفسد على العزيز زوجها فراشه- وأن الله لا يسدد مكائد الخائنين، ولا يوفق ولا يرشد أصحابه حتى يوقعوه على وجه يكون له تأثير ثابت. **٥٢**

وأقرت -مجددا- بأن لا تبرئ نفسها، إن النفس -البشرية لميلها إلى الشهوات- من شأنها الإكثار من الأمر بالقبائح، إلا ما رحم ربها -من نفوس فعصمها عن الأمر بالقبائح، ورحمة ربها هي ما تكف ما شاء رحمته من نفوس عن أن تأمر بالقبائح- إن ربها واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. **٥٣**

وأمر الملك أن يأتوه به -عليه السلام، لما ظهرت براءته، إن يفعلوا- يجعله خالصا لنفسه -ينتفع دون الناس بعلمه- فلما -جاءه- كلمه -عليه السلام، فتبين للملك علمه وفضله، وقيل دعاه يوسف عليه السلام إلى توحيد الله- أخبره أنه الآن صار عنده متمكن ذا مكانة -نافذ أمره- أمين: مأمون على شؤون الدولة. **٥٤**

طلب أن يوليه حفظ خزائن أرض مصر وغلالها، مؤكدا أنه -عليه السلام- حفيظ حاسب لا يضيع ما يتولى، عليم بكيفية تدبير هكذا أمر. **٥٥**

فائدة! يجوز طلب المنصب لمن كان أهلا له إذا دعت الحاجة، ما لم يؤد ذلك إلى محذور شرعي.

وَيَطلبُ مَنصِبًا أهلٌ لهُ إنْ ... دَعا أمرٌ إذا أُمِنَ الفُجورُ

ومثلما نجاه من كل ما حدث جعل الله مكانا ليوسف في أرض مصر وسلطانا، ينزل منها حيث يشاء، يصيب الله برحمته سبحانه -في الدنيا بالإحسان إليه، وفي الآخرة بدخول الجنة والنجاة من العذاب- من يشاء سبحانه، ولا يضيع الله ثواب المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. **٥٦**

فائدة! ما لم يؤد إلى محذور شرعي، يجوز تولي العمل من يد كافر، إن كان متول العمل مستقل القرار عاملا بشرع الله لا ينقض عمله الكافر، أما إذا كان الكافر يتدخل أو يوجه العمل لخدمة شهواته فلا يجوز تولي العمل، كما لا يجوز المشاركة في هيئات حاكمة أو ملتزمة بغير شرع الله، ولا المشاركة في مجالس تسن ما يخالف شرعه، ولا تولي عمل يشترط له القسم على احترام أو الالتزام بما يخالفه.

تَوَلِّي مِنْ يَدِ الكفَّارِ شُغلًا ... فهذا جائزٌ ما لمْ تَجوروا

ولثواب -أعمالهم في- الآخرة خير -من دنيا فانية- وأفضل للذين آمنوا وكانوا يتقون بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه. **٥٧**

وجاء إخوة يوسف -ببضاعة- فدخلوا عليه، فعرفهم -إذ فارقهم رجالا- وهم له منكرون: لم يعرفوه. **٥٨**

ولما جهزهم بما طلبوه -وتحدثوا- طلب أن يأتوه بأخ لهم من أبيهم -شقيقه، ليعلم صدقهم، ثم مرغبا في الإتيان به سألهم- ألا يرون أنه مستقيم في الأخذ والإعطاء؟ وهو خير وأفضل المضيفين؟ **٥٩**

من ثم توعدهم: فإن لم يأتوه به فلا تجارة لهم معه ولا طعام لهم عنده، ولا يقربوا بلاده مجددا. **٦٠**

أخبروه أن سيطلبوا من أبيه برفق ولين وإعمال حيلة أن يحضروه معهم، وهم -قطعا- فاعلون ذلك. **٦١**

وأمر فتيانه -الذين في خدمته عليه السلام- أن يجعلوا بضاعتهم في متعلقاتهم، رجاء أن يعرفوها إذا عادوا إلى أهلهم -ويدركوا أنه أعطاهم طعاما بلا مقابل- رجاء أن يرجعوا: إليه بأخيهم لما عاينوا من إحسان. **٦٢**

فلما رجعوا إلى أبيهم أخبروه أن تم منعهم من التجارة وشراء الطعام، فطلبوا أن يرسل معهم أخاهم -إن يفعل- يتاجروا ويأتوا بالطعام، مؤكدين وإنهم له -من الأذى- لحافظون. **٦٣**

* وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ
إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ
لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾
قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ
ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ
إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾
وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا
تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي
بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ
لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾
فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ
فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن
قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ
مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا
مَا نَبْغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ
لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي
بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا
نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ
وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن
شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ
يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ
قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُۖ
قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

سألهم -أبوهم يعقوب عليه السلام، مبكتا موبخا- هل -يفترض، أو يعقل- أن يأمنهم عليه؟! كما أمنهم على أخيه -يوسف عليه السلام، فخانوا الأمانة- من قبل؟ فالله -ليس هم- خير وأفضل من يحفظ، وهو أرحم من كل راحم: لعله عليه السلام قرر متوكلا على الله أن يرسله معهم، لكن أراد أن يؤنبهم ليبالغوا في حفظه. **٦٤**

فائدة! فلنحذر، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين. ﴾ [البخاري ٦١٣٣ * مسلم ٢٩٩٨ * أبو داود ٤٨٦٢ * ابن ماجة ٣٩٨٢ * أحمد ٨٩٢٨].

أَيُلدَغُ مؤمنًا جُحرٌ مِرارًا؟ ... مُحالٌ، قَدْ نفى هذا البشيرُ

ولما فتحوا أمتعتهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم، سألوا أباهم -منكسرين، مؤكدين أنهم لا يبالغون في وصفهم إحسان مضيفهم- ماذا يلتمسون: أكثر من هذا؟ هذه بضاعتهم ردت إليهم! وذكروا -محاولين طمأنة أبيهم على سلامة أخيهم معهم- أن من شأنهم جلب الطعام لأهلهم، وحفظ أخيهم، وجلب مزيد من الطعام مقدار حمل بعير -عند مرافقته لهم: قيل كان يوسف عليه السلام يعطي كل رجل من الطعام مقدار حمل بعير- ذلك مقدار من الطعام -حصولهم عليه- يسير: وأمر لا مخاطرة فيه. **٦٥**

أجابهم بأن لن يرسل أخاهم معهم، حتى يعطوه عهدا مؤكدا من الله -فيقسموا بالله- ليأتنه به -فيردوه إليه سالما- إلا أن يحاط بهم -فيغلبهم أمر أو يهلكهم عدو دونه وهم عن أخيهم يدافعون- فلما أعطوا يعقوب عليه السلام عهدهم المؤكد ذكرهم -مشهدا الله- أن الله على شرطه وقسمهم قائم رقيب حفيظ. **٦٦**

ونصح بنيه ألا يدخلوا -مصر: قيل كانت أبوابها أربعة- من باب واحد -فذلك أسلم لهم، لئلا يعمهم أحد بضرر أو يصيبهم أحد بعين، فالعين كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ العين حق. ﴾ [البخاري ٥٧٤٠ * مسلم ٢١٨٧ * أبو داود ٣٨٧٩ * ابن ماجة ٣٥٠٧ * أحمد ٨٢٤٥]- ويدخلوا من أبواب متفرقة، وأكد أن لا ينفعهم ولا يغني عنهم -تدبيره واحتياطه هذا- من الله -إن قدر ضررا- أي شيء، إن الحكم إلا لله -لا يشاركه فيه أحد، وهو من بيده سلامتهم- عليه وحده اعتمد في جميع أحواله، وعليه وحده فليعتمد المتوكلون المفوضون إليه أمرهم في جميع أحوالهم. **٦٧**

ولما دخلوا -مصر- من -أبواب متفرقة- حيث أمرهم أبوهم ما كان -هذا الاحتياط- ينفعهم ولا يغني عنهم من الله -إن قدر ضررا- أي شيء، إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها -إذ أظهر لهم حرصه على سلامتهم- وإنه لصاحب علم -يعمل بعلمه، فالعلم بلا عمل نافع كما ورد عن النبي ﷺ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه ﴿ اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ﴾ [مسلم ٢٧٢٢ * النسائي ٥٥٣٨]- لما علمه الله -من وجوب الأخذ بالأسباب، مع الإيمان بالقدر- ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك. **٦٨**

فائدة! الأخذ بالأسباب واجب، مع الإيمان التام بأن الأمر كله بيد الله، وأن الحذر لا يدفع القدر.

ونأخُذُ حِذرَنا أَمرَ المَليكُ ... ولا يُغني مِنَ القَدَرِ الحَذيرُ

ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه -قيل ضمه معه في منزله- من ثم أخبره -دون أن يعرف إخوته- أنه هو أخوه -شقيقه- فلا يحزن أو يهتم بسبب ما كانوا يعملون فيما مضى من أعمال مؤذية. **٦٩**

فلما جهزهم بما طلبوه وضع -عليه السلام، أو من في خدمته- إناء يشرب فيه ويكال به في متعلقات أخيه -شقيقه، خلسة- ثم نادى بوضوح مناد أيتها القافلة إنكم لسارقون: أنتم حفنة من اللصوص! **٧٠**

سأل إخوة يوسف عليه السلام وهم مقبلون على المنادي ومن معه ماذا يفقدون: هل ضاع منهم شيء؟ **٧١**

أجابوهم بأنهم يفقدون مكيال الملك، ولمن جاء به -فأعاده من تلقاء نفسه، قبل أن يبدأ التفتيش عنه مكافأة قدرها- حمل بعير -من الطعام- وهو -الذي يخاطبهم- بأداء تلك المكافأة كفيل ضامن. **٧٢**

أقسم إخوة يوسف عليه السلام بالله العظيم لقد علم المنادي ومن معه -من معاينة أحوالهم، وقد جاءوهم قبل ذلك- أن ما جاءوا ليفسدوا في أرض مصر، وما كانوا -في حياتهم لصوص- سارقين. **٧٣**

سألوهم فما جزاء سرقة مكيال الملك -في شريعتهم- إن كانوا كاذبين في ادعاء البراءة؟ **٧٤**

أجابوهم بأن جزاء سرقته من وجد في متعلقاته -يسترق- فهو -نفسه- جزاء سرقته -فيصير مملوكا لمن سرق منه، قيل لمدة سنة- مثل ذلك الجزاء يجزون -في شريعتهم- الظالمين لغيرهم بسرقتهم. **٧٥**

فبدأ -قيل كان المفتش يوسف عليه السلام بعد أن أعادوهم إليه- بأوعيتهم -يفتش متعلقاتهم- قبل وعاء أخيه -شقيقه- ثم استخرج الإناء من وعاء أخيه -شقيقه- مثلما ألهمه وضع الإناء في متعلقات شقيقه ألهم الله يوسف مكيدة سؤال إخوته ما جزاء السارق في شريعتهم، ما كان ليأخذ أخاه -شقيقه- في -حال اتبع- دين ملك مصر -وقانونه، الذي يعاقب السارق بعقاب غير الاسترقاق- إلا أن يشاء الله، يرفع الله مراتب من يشاء سبحانه -في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما جميعا- وفوق كل صاحب علم -رفعه الله بعلمه، كيوسف عليه السلام- من هو أغزر منه علما -في فن آخر أو في بعض الفروع والجزئيات- وأكثر معرفة وتمكنا، حتى ينتهي العلم إلى الله العليم بكل شيء. **٧٦**

فائدة! يجوز التوصل إلى الأغراض الصحيحة بالحيلة ما لم يخالف ذلك شرعا ثابتا أو يضر بريئا، وقد سمى الله قانون الملك الذي حكم به أرض مصر دينا، فتأمل، يا من تطيع من يحكم بغير شرع الله.

تَحايَلَ مسلِمٌ فأتى بِحقٍّ ... سَلِمتَ أخي إنِ اتُّقِيَتْ شُرُورُ

زعموا -مبرئين أنفسهم- أن إن يسرق -أخاهم غير شقيق، فلا عجب- فقد سرق أخ له -شقيق، يعنون يوسف عليه السلام- من قبل، فأسرها يوسف في نفسه، ولم يبد ما أصابه من أذى بسبب مقالتهم تلك لهم، حدث -نفسه- بأنهم شر مكانا وأسوأ منزلة -عند الله، بسبب حسدهم المستمر عليه وعلى شقيقه، وبسبب تدبير المكيدة له عليه السلام في السابق- والله أعلم بما يصفونه به من سرقة، وبافترائهم عليه. **٧٧**

فائدة! عدم إظهار ما يصيب المؤمن من أذى من جراء الكلام السيئ في حقه من مكارم الأخلاق.

يُصيبُ أذى كلامِهِمِ الخَلوقَ ... فيُخفي ما بِهِ فهوَ الوَقورُ

أضافوا مخاطبين العزيز -يوسف عليه السلام، الممتنع المتصرف في شؤون مصر- أن لأخيهم أبا شيخا كبيرا -يحبه كثيرا ويشق عليه فراقه- من ثم سألوه -مستعطفين- فليأخذ أحدهم مكانه، مؤكدين أنهم يرونه من المحسنين في معاملة الخلائق. **٧٨**

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ
ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟
وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾
قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ
مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ
إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ
قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم
مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ
ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾
ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾
وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ
فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾
قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي
وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾

استعاذ بالله من أن يأخذوا -هو عليه السلام، أو من معه- إلا من وجدوا أمتعتهم عنده، إنهم -إن فعلوا ذلك، حاشاه عليه السلام- إذًا لظالمون لأنفسهم بتعريضها لسخط الله ولغيرهم بوضع العقوبة في غير موضعها. **٧٩**

فائدة! استهداف غير معصومي الدم -بذمة أو بأمان أو بعهد- من الكفار "المدنيين" لمصلحة جائز، وإن لم يبادرونا بقتال، وليس أخذا لأحد بجريرة غيره إذ هم من جملة الحربيين، بل ولا إثم إن أصيب من لا يجوز تقصد قتله كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث الصعب بن جثامة رضي الله عنه ﴿ سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل الدار من المشركين يبيتون، فيصاب النساء والصبيان؟ قال: هم منهم. ﴾ [البخاري **٣٠١٢** ★ مسلم **١٧٤٥** ★ أبو داود **٢٦٧٢** ★ الترمذي **١٥٧٠** ★ ابن ماجة **٢٨٣٩** ★ أحمد **١٦٤٢٢**].

ولمْ يؤخَذْ بِغيرِ جَرِيرَةٍ مَنْ ... دمًا لمْ يَعصِمِ افتَرَسَ الهَصورُ

فلما يئسوا تماما من يوسف عليه السلام -أن يجيب طلبهم- انفردوا -للتشاور- متناجين، ذكرهم أكبرهم سنا -وقيل أرجحهم عقلا- أن أباهم قد أخذ عليهم عهدا مؤكدا من الله -فقد أقسموا له بالله أن يردوا إليه ابنه سالما- ومن قبل -عهدهم هذا- تفريطهم -إذ قصروا وخانوا أباهم- في يوسف -أم ليسوا يذكرون كيف غيبوه عنه؟ فاستحياء من أبيه- فلن يغادر أرض مصر حتى يأذن له أبوه، أو يحكم الله له -فيقدر له مغادرتها، منفردا كان أو بصحبة أخيه- وهو خير الحاكمين وأفضل القضاة: دوما ينصر الحق. **٨٠**

أمرهم أن يرجعوا إلى أبيهم، فيخبروه -بلين-يا أبانا إن ابنك -فيما ظهر لنا- سرق، وما شهدنا إلا بما علمنا -إذ رأينا المتاع المفقود يستخرج من متعلقاته، وأن في شريعتنا السارق يسترق- وما كنا -حين أقسمنا أن نرده إليك سالما- للغيب حافظين: فلم نتصور أنه قد يسرق! **٨١**

وسل -إن أردت التحقق من صدقنا أهل- القرية التي كنا فيها -مصر- والقافلة التي أقبلنا فيها -ممن صاحبنا في رحلة العودة- وإنا -فيما نخبرك به، هذه المرة- لصادقون. **٨٢**

أخبرهم -يعقوب عليه السلام أنهم كاذبون: أخوهم ليس يسرق- بل سولت لهم أنفسهم أمرا -قبيحا فأغرتهم به- فصبر جميل -سيصبره- لا شكوى فيه، راجيا الله أن يأتيه بهم جميعا -يوسف عليه السلام وشقيقه، مع الابن الذي أبى مغادرة أرض مصر، بلطفه سبحانه- إنه هو العليم الذي لا يخفى عليه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٨٣**

وأعرض عنهم متنحيا، وأبدى شديد أسفه على -فراق- يوسف، وانقلب سواد عينيه بياضا من الحزن -وكثرة البكاء- فهو مكظوم مليء بالحزن يكتم حزنه. **٨٤**

أقسموا بالله العظيم -مشفقين عليه، يريدونه أن يكف عن البكاء- أن لا يزال يذكر يوسف -متفجعا عليه- حتى تتضرر صحته ويشتد به المرض، أو يكون -مما يعتريه من غم- من الهالكين الميتين. **٨٥**

أخبرهم أنما يشكو ما أصابه ما بثه منه ولم يستطع أن يخفي عنهم وما استطاع من شديد حزن إلى الله -وحده دون سواه- ويعلم من الله -عن طريق الوحي، وأن الله جاعل رؤيا ابنه يوسف عليه السلام التي رآها في منامه حقا، فهو إذًا حي- ما لا يعلمون. **٨٦**

أمر بنيه أن يذهبوا فيلتمسوا -بجميع الوسائل- أخبار يوسف وأخيه، ولا ييأسوا من رحمة الله وفرجه، إنه لا ييأس من رحمة الله وفرجه إلا القوم الكافرون الذين يجهلون عظيم قدرته. **٨٧**

فائدة! لا تيأسوا من رحمة الله واجتهدوا عباد الله، فمن آثار اليأس والإحباط ترك العمل والاستسلام التام للفشل، ولا تتعجلوا، فمن تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه، فنصر الله وتمكينه واستخلاف المؤمنين في أرضه قادم لا محالة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ﴿ تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة: على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة: على منهاج نبوة، ثم سكت ﴾ [أحمد ١٨٤٠٦].

ولا نَتَعَجَّلُ الفَتحَ المُبينَ ... ولمْ نَيأسْ: على العَمَلِ الأُجورُ

فلما -امتثلوا أمر أبيهم وخرجوا إلى مصر باحثين عنهما- دخلوا على العزيز -يوسف عليه السلام- ذاكرين أن نالهم وأهلهم الضرر -فقرا وحاجة- وجاءوا ببضاعة كاسدة رديئة، فسألوه أن يعطيهم من الطعام مقدارا وافيا لا نقص فيه ويتصدق عليهم -بزيادة العطاء متغاضيا عن رداءة بضاعتهم، وبرد أخيهم إليهم- إن الله يجزي المتصدقين: خير جزاء، في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما جميعا. **٨٨**

سألهم -موبخا- هل علموا ما فعلوا بيوسف وأخيه -شقيقه، الذي أدخلوا عليه الحزن والهم بأعمالهم المؤذية- حيث هم في حال جهلهم لا علم لهم بعاقبة أفعالهم وما يترتب عليها من جزاء؟ **٨٩**

استفهموا -في تعجب- أئنك لأنت يوسف؟! أجابهم بأنه -المظلوم- يوسف، وهذا -المظلوم- أخوه -شقيقه، مقرا أنهم أتوه بأخيه لم يخدعوه ويأتوا بغيره- قد أنعم الله وتفضل عليهما -بالإيمان والتقوى، والخلاص مما كانا فيه، والتجمع بعد فراق- إنه من يتق بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ويصبر على طاعته وأقداره فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. **٩٠**

أقسموا بالله العظيم -معتذرين إلى يوسف عليه السلام- لقد قدمه الله عليهم وفضله -بما اختصه به من مكارم أخلاق وصفات كمال، وعلم وحكم وملك- واعترفوا أن كانوا خاطئين متعمدي الخطأ. **٩١**

أخبرهم أن لا لوم عليهم ولا توبيخ اليوم -فقد انقطع تقريعه عليه السلام لهم إذ اعترفوا بذنوبهم- طالبا المغفرة من الله لهم، وهو أرحم من كل راحم. **٩٢**

أمرهم -لما علم ما صار لأبيه- أن يذهبوا بقميصه هذا -الذي أعطاهم إياه- فيلقوه على وجه أبيه -إن يفعلوا- يأت -إلى مصر، ويعد كسابقه- بصيرا صحيح البصر، ويأتوه بأهلهم أجمعين: في مصر. **٩٣**

ولما خرجت القافلة وانفصلت -عن مصر- أخبر أبوهم -يعقوب عليه السلام، من معه من أهل بيته- إنه ليجد رائحة يوسف -يشمها، كأن الريح تحملها- لولا أن يسفهوا رأيه ويظنوا فساد عقله: لفهموا مراده. **٩٤**

أقسموا بالله العظيم إنه لفي توهمه البعيد السابق -إمكانية رؤية يوسف عليه السلام مجددا- وحبه القديم. **٩٥**

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ
مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ
مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا
ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾
قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ
جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ
وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ
ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾
ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ
بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ
أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ
يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ
أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ
لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ * رَبِّ
قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ
فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ
تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ
ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ
وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

فلما أن جاء البشير -يبشره بقرب لقاء أبنائه- ألقى قميص يوسف عليه السلام على وجهه فارتد -يعقوب عليه السلام كما كان- بصيرا صحيح البصر، ذكرهم -موبخا- ألم يخبرهم أنه يعلم من الله -عن طريق الوحي، وأن الله جاعل رؤيا ابنه يوسف عليه السلام التي رآها في منامه حقا، فهو إذًا حي- ما لا يعلمون: كما قال تعالى ﴿ قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون. ﴾ [يوسف ٨٦]؟ ٩٦
سألوا أباهم أن يطلب لهم مغفرة ذنوبهم، معترفين بأنهم كانوا خاطئين متعمدي الخطأ. ٩٧
وعدهم أن سوف يطلب لهم المغفرة من ربه -لم يستغفر يعقوب عليه السلام لهم مباشرة، قيل أخره إلى وقت السحر لأنه من أوقات إجابة الله الدعاء- إنه هو الواسع والدائم المغفرة، العظيم الرحمة بالتائبين. ٩٨
فلما دخل أهل يوسف عليه -بعد أن ارتحلوا إليه- آوى إليه أبويه -قيل خرج في استقبالهما إلى أطراف مصر وضمهما معه في مكانه- ورحب بأهله بأن ادخلوا مصر إن شاء الله -من كل أذى- آمنين. ٩٩
ورفع أبويه على العرش -فأجلسهما على سرير الملك الذي يدير عليه شؤون الحكم- وسقطوا له سجدا -الأبوان والإخوة، تحية وتقديرا، ليس عبادة، وكان ذلك جائزا في شريعتهم، وهو غير جائز في الشريعة الإسلامية كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. ﴾ [الترمذي ١١٥٩]- وذكر لأبيه أن هذا تأويل رؤياه -التي رآها- من قبل -كما قال تعالى ﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عَشَر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. ﴾ [يوسف ٤]- قد جعلها ربه حقا -فوقع تأويلها- وقد أحسن به -سبحانه- إذ أخرجه من السجن، وجاء بهم من البادية -التي أقاموا فيها زمنا، وليسوا من أهلها- من بعد أن أفسد الشيطان بوسوسته بينه وبين إخوته، إن ربه لطيف في تدبيره رفيق عالم بدقائق الأمور ليأتي كل شيء على وجه الصواب كما يشاء، إنه هو العليم الذي لا يخفى عليه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ١٠٠
دعا ربه -مقرا بفضله- قد أعطاه بعض الملك -فكان يوسف عليه السلام على خزائن مصر في زمن خاص- وعلمه تأويل الرؤى، خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، هو متولي أموره في الدنيا والآخرة، من ثم دعا أن يتوفاه -سبحانه- حين ينتهي أجله- مسلما، ويلحقه -في الجنة- بالصالحين. ١٠١
فائدة! لا يجوز للمسلم تمني الموت من جراء ضرر ينزل به كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنيا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي. ﴾ [البخاري ٥٦٧١ * مسلم ٢٦٨٠ * أبو داود ٣١٠٨ * الترمذي ٩٧١ * النسائي ١٨٢٠ * ابن ماجة ٤٢٦٥ * أحمد ١١٩٧٩].

تَمنِّي الموتِ ليسَ لنا فَنَحنُ ... خَلائفُهُ نُعمِّرُها نُنيرُ

ذلك -المذكور- من أخبار الغيب يوحيه الله إليك أيها النبي الكريم، وما كنت لديهم -حاضرا معهم- حيث أحكموا أمرهم وأجمعوا وهم يمكرون: بيوسف عليه السلام يتآمرون عليه عازمين على التخلص منه. ١٠٢
وما أكثر الناس ولو حرصت -على هدايتهم باذلا ما في وسعك، وأقمت عليهم الحجة- بمؤمنين. ١٠٣

وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا
وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ
ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ
هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ
وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن
قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ
جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ
مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ
وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾

وما تسألهم أيها النبي الكريم على دعوتك أي ثواب، ليس هو -الذي تأتيهم به- إلا تذكير للخلائق جميعا، يذكرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة. ١٠٤

وكم من آية دالة على وحدانية الله وعظيم قدرته وسلطانه في السماوات والأرض يمرون عليها وهم -مع كونهم مشاهدين لها- عنها -وعن تأملها والتفكر فيها والاعتبار بها- معرضون منصرفون. ١٠٥

وما يؤمن أكثرهم بالله -أنه الخالق الرازق- إلا وهم مشركون: فمنهم من يعبد أصناما أو أوثانا -كالقبور- أو غير ذلك، ومنهم من يزعم أنه سبحانه اتخذ ولدا، ومنهم من يحل ما حرم أو يحرم ما أحل أو يعطل شرعه أو بغيره يحكم أو يطيع من يفعل شيئا من ذلك، ومنهم المرائي الذي لا يخلص لله عمله. ١٠٦

أفأمنوا -وقد أعرضوا عن آيات الله وأشركوا به- أن يأتيهم من عذاب الله ما يغمرهم ويغطيهم؟ أو تأتيهم الساعة -وتقوم القيامة- على غرة دون مقدمات، وهم لا يشعرون بذلك ولا يترقبونه؟ ١٠٧

أخبر أيها النبي الكريم الذين لم يؤمنوا أن هذه -الدعوة- طريقك، تدعو إلى الله على بينات ساطعات -من معرفة بالحق وبراهين عليه- أنت ومن اتبعك -مهتديا بهديك- ونزه الله وقدسه عما يشرك الخلق به، وأكد أن لست أنت من المشركين الذين يتخذون بأهوائهم وإرادتهم الفاسدة لله أندادا. ١٠٨

وما أرسل الله من قبلك أيها النبي الكريم إلا رجالا -ليسوا ملائكة ولا جنا، ولا إناثا- من أهل المدن -ليسوا من أهل البادية- يوحي سبحانه إليهم -وأنت أحدهم- أفلم يتجول هؤلاء المكذبون بك في الأرض فيتأملوا كيف كان مصير الذين من قبلهم: فيتعظوا؟! ولدار الآخرة خير -من دنيا فانية- وأفضل للذين اتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، أفلا تنتفعون -أيها الخلق- بعقولكم؟! ١٠٩

حتى إذا يئس الرسل تماما -من إيمان من ظل مكذبا- وظن أقوامهم أن الرسل قد كذبوهم -إذ أنذروا عذابا لم يأتهم- وظن الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم كما جاء على لسان أم المؤمنين عائشة ﵂ من حديث عروة بن الزبير ﴿ ﴿ حتى إذا استيأس الرسل ﴾ قال: قلت: أكُذِبوا أم كُذِّبوا؟ قالت عائشة: كُذِّبوا، قلت: فقد استيقنوا أن قومهم كَذَّبوهم فما هو بالظن؟ قالت: أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وظنوا أنهم قد كُذِبوا؟ قالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها، قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كَذَّبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كَذَّبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك. ﴾ [البخاري ٤٦٩٥] جاءهم -من حيث لم يحتسبوا، بعد الصبر- نصر الله، فنجي من يشاء سبحانه -الرسل ومن آمن بهم- ولا يرد عقاب الله عن القوم المجرمين مستحقي العقاب. ١١٠

لقد كان في قصص الرسل -ومن جملتهم يوسف ﵇- عبرة وعظة لأهل العقول الرزينة، ما كان -هذا القرآن- حديثا يفترى -من بعض الخلق على الله، ولا صح ذلك- ولكن -كان- تصديق وموافقة الذي أنزل قبله من كتب سماوية، وتفصيل كل شيء -مبينا لكل ما يحتاج الخلق من عقائد وشعائر وشرائع وبراهين، وموجها إلى اتباع سنة النبي ﷺ- وهداية من الضلال ورحمة لقوم -به وبالسنة- يؤمنون. ١١١

سُورَةُ الرَّعْدِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم
بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ
وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ
ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ
قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ
وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ
فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ
فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ
أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

★ سورة الرعد ★

★ مدنية، وقيل مكية، والراجح أن أغلبها نزل بمكة ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]، تلك آيات الكتاب -المنزل- والذي أنزل إليك أيها النبي الكريم من ربك الحق لا يتطرق إليه باطل، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون: فاحذر! كما قال تعالى ﴿ وإن تُطع أكثر من في الأرض يُضلوك عن سبيل الله إن يَتَّبعون إلا الظنَّ وإن هم إلا يَخرصون. ﴾ [الأنعام ١١٦]. ١

الله الذي رفع السماوات بغير أعمدة ترونها -أيها الناس- ثم استوى على العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- استواء يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه لا ندري كيفيته، وذلل الشمس والقمر -لما يراد منهما من طلوع وأفول وحركة- كل يجري لزمن محدد في علم الله، يدبر -وحده- أمر الكون وشؤون الخلق يفصل الآيات الدالة على حكمته وكمال قدرته ويبينها رجاء أن توقنوا بلقاء ربكم: فتستعدوا. ٢

وهو الذي بسط الأرض -لتباعد أطرافها لا ينافي ذلك أنها كروية كما قال تعالى ﴿ يُكوِّر الليل على النهار ويُكوِّر النهار على الليل ﴾ [الزُّمَر ٥]- إلى ما لا يدرك منتهاه، وجعل فيها جبالا تثبتها كالأوتاد كما قال تعالى ﴿ والجبال أوتادا. ﴾ [النبإ ٧] وأنهارا -من المياه العذبة ينتفع بها الخلق- ومن جميع أنواع الثمار جعل فيها صنفين اثنين -على الأقل، فيهما تباين في اللون أو الطعم أو الحجم أو النفع أو غير ذلك- يجعل الليل يغمر ويغطي النهار -بظلمته، والنهار بضيائه الليل- إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق ليتفكر فيها أناس فيعتبروا، فينتفعوا بها وينفعوا. ٣

وفي الأرض قطع -وبقاع- متجاورات -رغم ذلك التجاور بعضها طيب خصب التربة والآخر غير ذلك- وبساتين مديدة الظل من أعناب، وزرع، ونخيل صنوان -مجتمع في أصل واحد- وغير صنوان -منفرد الأصل- يسقى -كل ذلك- بماء واحد -ليس فيه اختلاف- ويفضل الله بعضها على بعض في الأكل -فيخالف سبحانه بينها لونا وطعما ونفعا، رغم تجاورها وسقيها بذات الماء- إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لمن لهم عقول يعملونها فيفهموا بها. ٤

وإن تعجب أيها النبي الكريم -من تكذيبهم لك، بعد أن كانوا يعدونك الصادق المصدوق!- فمدعاة للتعجب -بل أعجب من تكذيبهم لك- تساؤلهم -مستنكرين- أئذا صاروا ترابا أئنهم -من قبورهم- لمخلوقون من جديد؟ هؤلاء -المكذبون المنكرون لكمال قدرته سبحانه هم- الذين كفروا بربهم -وفي الكفر تمادوا- وهؤلاء الأغلال في أعناقهم -أعمالهم السيئة الفاسدة تكبلهم وتغلهم عن الإيمان بما جاءهم به رسل الله في الدنيا كما قال تعالى ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهُم مُّقمحون. ﴾ [يس ٨]، وهي واقع حقيقي لا مراء فيه، وجزء من عقابه سبحانه لهم في الآخرة كما قال تعالى ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يُسحبون. في الحميم ثم في النار يُسجرون. ﴾ [غافر ٧١ ٧٢]، يشدون فيها- وهؤلاء ماكثون في النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها. ٥

ويستعجلك المكذبون بك أيها النبي الكريم بالعقوبة المهلكة -كما قال تعالى ﴿ وإذ قالوا اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴾ [الأنفال ٣٢]- قبل إيمان من آمن منهم وقبل استكمال مدتهم في الدنيا وإحسان الله إليهم بالسلامة فيها، وقد مضت من قبلهم العقوبات لأمثالهم -من المكذبين بأنبيائهم، أفلا يعتبرون؟- وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم أنفسهم باقتراف الآثام -فيتجاوز لا يعاجل بعقاب، ليتوب من قدر له سبحانه التوبة- وإن ربك لشديد العقاب لمستمر على العناد والكفر. ٦

ويقترح الذين كفروا أن ينزل عليه آية دالة على صدقه من ربه، إنما أنت منذر -من كفر أو عصى بما هيئ لهم من عذاب إن لم يتوبوا- ولكل قوم هاد: يرشدهم إلى الحق، فيتبعه أهل الهداية. ٧

الله يعلم -أدق تفاصيل- ما تحمل كل أنثى -في بطنها- وما يحدث في الأرحام من نقص -في وزن الجنين ومدة الحمل وغير ذلك- وما يحدث من زيادة، وكل شيء عنده -مقدر- بمقدار: لا يزيد عليه ولا يتقدم، ولا ينقص عنه ولا يتأخر كما قال تعالى ﴿ إنا كل شيء خلقناه بِقَدَر. ﴾ [القمر ٤٩]. ٨

عالم ما غاب وما شوهد الكبير لا أكبر منه، المستعلي على جميع خلقه بذاته وقدره وقهره. ٩

متساو -في علمه سبحانه، أيها الناس- منكم من أسر القول -فأضمره في نفسه- ومن جهر به، ومن هو مستخف بظلمة الليل مستتر ومن هو ظاهر -بأعماله- نهارا كذلك متساو في علمه سبحانه. ١٠

له -الإنسان، على كل حال- ملائكة يعقب بعضها بعضا بالليل والنهار من جميع جوانبه، يحفظونه مما أمر الله أن يحفظوه منه، ويحفظون عليه بأمر الله أقواله وأعماله يكتبون إياها، إن الله لا يغير ما بقوم -من نعمة وعافية، فيسلبهم ذلك- حتى يغيروا ما بأنفسهم -من إيمان وشكر وطاعة إلى كفر وكفران نعم وعصيان- وإذا أراد الله بقوم أمرا سيئا فلا مرد له -يأتيهم، إذ يطمس على الأفهام والبصائر فيختاروا ما فيه هلاكهم- وليس لهم من دونه من وال يتولى شؤونهم: أفلا يتلقون صنيعه بالامتثال والتعظيم؟ ١١

هو الذي يريكم -أيها الناس- البرق -لتخافوا من الصواعق والعواصف- خوفا، وطمعا -في المطر ورزقه سبحانه تطمعوا- وينشئ -سبحانه- السحاب المثقل بالماء. ١٢

وينزهه الرعد ويقدسه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن الرعد، ما هو؟ قال: ملك من الملائكة، موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار، يسوق بها السحاب حيث شاء الله، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: زجره بالسحاب إذا زجره، حتى ينتهي إلى حيث أمر، قالوا: صدقت ﴾ [الترمذي ٣١١٧ * أحمد ٢٤٨٣] متلبسا ومقرونا بالثناء عليه كما قال تعالى ﴿ وإن من شيء إلا يُسَبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [الإسراء ٤٤]، والملائكة من الخوف منه كذلك تفعل، ويرسل الصواعق، فيصيب بها من يشاء -من خلقه، فيهلكه- وهم -رغم ما يعاينون من آيات دالة على كمال قدرته- يجادلون في -شأن- الله -فتارة ينكرون البعث، وطورا يستعجلون بالعقوبة!- وهو شديد الحول والقوة والحيلة. ١٣

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ
أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ
هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ
أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ
بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ
يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟
مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا
لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا
كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا
وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ
لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ
تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ
ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ
كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ
وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ
ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ
لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾

له دعوة الحق -توحيده سبحانه وإخلاصه بالدعاء والعبادة، لا مدخل للباطل فيها بوجه من الوجوه- والذين يدعون ويعبدون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء -مما يطلب منهم أهل الشرك تحقيقه- إلا كما يستجاب للذي يبسط كفيه يشير بهما إلى الماء -عطشانا- ليبلغ الماء فمه! وما هو ببالغه، وما دعاء الكافرين -لطواغيتهم- إلا في ضلال وضياع وبعد عن الحق، ليس ينفعهم بوجه من الوجوه. ١٤

ولله يسجد -منقادا- من في السماوات -من ملائكة- والأرض طوعا -الذين آمنوا طواعية من أهلها- وكرها -كمنافق يظهر الإسلام ليعصم دمه وماله، ومن أسلم بعد هزيمة أو أسر، أو خشية القتل بعد أن ظهر الدين كما قال تعالى في آية السيف ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]، والذي يعاين عذاب الله نازلا به كفرعون حين أدركه الغرق: فلا ينفعه حينئذ إيمان كما قال تعالى ﴿ فلَم يكُ ينفعهم إيمانهم لمَّا رأوا بأسنا ﴾ [غافر ٨٥]- وظلالهم كذلك تسجد -منقادة- أول النهار وآخره. ١٥

سلهم أيها النبي الكريم من رب السماوات والأرض؟ بادر بالإجابة: الله -هو وحده ربها- من ثم سلهم -مستنكرا- أفاتخذوا من دونه أولياء -يعبدونهم معه أو طواغيت يناصرونهم رجاء منفعة أو دفع عذابه- لا يستطيعون جلب نفع لأنفسهم ولا دفع ضرر عنها؟ سلهم -مجددا، مقرعا- هل يستوي أعمى كافر وبصير مؤمن؟ أم هل تستوي ظلمات الليل والكفر ونور النهار والإيمان؟ أم جعلوا لله شركاء -أشركوهم به، فعبدوهم كما عبدوه، ظانين أنهم- خلقوا كخلقه، فتشابه الخلق -خلق الله وخلق من أشركوهم به- عليهم؟ أخبرهم أن الله -وحده دون سواه- خالق كل شيء، وهو الواحد المتفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، القهار الذي لا يغالبه أحد، القادر على منع غيره أن يبلغ مراده. ١٦

أنزل من السماء مطرا فسالت أودية بقدر ما تسع -منها ما يسع الكثير ومنها غير ذلك، كذلك القرآن أنزله فسالت قلوب بالإيمان، ومن القلوب ما لا يسع شيئا كتلك التي يعتريها شك في ربها- فحمل ماء السيل غثاء ورغوة مرتفعَين فوقه -كما يحمل الإيمان بقايا الكفر والباطل- ومما يوقد الناس عليه في النار -من معادن- ملتمسين اتخاذه حليا أو أشياء للتمتع بها -ينشأ خبث- مثل الغثاء والرغوة على الماء، مثل ذلك الضرب يضرب الله -أمثالا، مبينا- الحق والباطل، فأما الغثاء والرغوة -والكفر والباطل، وإن علا في بعض الأحيان- فيذهب مدفوعا متفرقا، وأما ما ينفع الناس -من ماء صاف ومعدن ثمين، وإيمان- فيمكث في الأرض، مثل ذلك الضرب يضرب الله الأمثال: مبينا الحق من الباطل. ١٧

للذين استجابوا لربهم -ملبين دعوته، فآمنوا به وانقادوا لشرعه- الجنة، والذين لم يستجيبوا له -فماتوا على كفرهم ليس ينفعهم يوم القيامة شيء، بل- لو أن لهم ما في الأرض جميعا -من أموال- ومثله مضافا إليه لقدموه فدية للانفكاك -من الآخرة- هؤلاء لهم عسير الحساب -فكفرهم أبطل الصالح من أعمالهم كالصدقة ونحوها، ولن تغفر ذنوبهم- ومستقرهم جهنم، وبئس الفراش وما مهدوا لذواتهم. ١٨

فائدة! لا يجوز اعتقاد أن الله قد يستثني أحدا ممن يموت على غير الإسلام من الخلود في النار.

وغَيرُ المسلمينَ مُخَلَّدونَ ... بلا موتٍ لَظًى لهمُ استَجيروا

أفمن يعلم أنما أنزل إليك أيها النبي الكريم من ربك الحق لا يتطرق إليه باطل كمن هو أعمى كافر؟ إنما يتذكر -ما أمر الله به وما عنه نهى، فلا يتجاوز الحدود- أهل العقول الرزينة. **١٩**

الذين يلتزمون الوفاء بعهد الله -أن يعملوا بما شرع لهم، ومن جملته الوفاء بعهودهم مع الناس- ولا ينقضون -مع أحد- العهد الثقيل. **٢٠**

والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل -من أرحام وحقوق وغير ذلك- ويخشون ربهم -خشية تدفعهم إلى تقواه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه- ويخافون -يوم القيامة- عسير الحساب. **٢١**

والذين صبروا على طاعة الله وأقداره تقربا إلى ربهم، وأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأداموها بشروطها، وأنفقوا مما رزقهم الله -من أموال، مخلصين له نياتهم وأعمالهم، في الزكاة الواجبة وصدقات التطوع- سرا وعلانية -في كل حال بغير رياء- ويدفعون بالإحسان سوء من أساء إليهم والعمل السيئ بالعمل الصالح والذنوب بالتوبة، هؤلاء لهم عاقبة الدار: الجنة في الآخرة. **٢٢**

جنات إقامة دائمة غير منقطعة يدخلونها -هم- وأهل الصلاح من آبائهم -ومنهم الأمهات- وأزواجهم وذرياتهم، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب: من أبواب منازلهم في الجنة، مهنئين. **٢٣**

تحييهم بالسلام بسبب صبرهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو ﵄ ﴿ أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا، وتسد بهم الثغور، ويتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنِعم عُقبى الدار. ﴾ ﴾ [أحمد ٦٥٧٠] فما أحسن عاقبة الدار. **٢٤**

والذين ينقضون عهد الله -فتركوا العمل بما بلغه عنه الأنبياء: عبادته وحده واتباعهم- من بعد توكيده، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل -من أرحام وحقوق وغير ذلك- ويشيعون الفساد في الأرض -بالكفر والكيد لدين الله وصد الناس عنه، وبالتعامل بالربا وإشاعته، وبإتيان المعاصي ونشر الرذيلة والترويج لها وغير ذلك- هؤلاء لهم الطرد من الرحمة، ولهم المصير السيئ في الدار الآخرة: النار. **٢٥**

الله يوسع في الرزق لمن يشاء -كافرا كان أو مؤمنا- ويضيق على من يشاء -فسعة الرزق ليست كرامة وضيقه ليس إهانة- وفرحوا بالحياة الدنيا، وما الحياة الدنيا في -مقابل- الآخرة إلا -سقط- متاع. **٢٦**

ويقترح الذين كفروا أن ينزل عليه آية دالة على صدقه من ربه، أجبهم أيها النبي الكريم بأن الله يضل من يشاء -عن الحق بعدله، لا شأن لآيات أو معجزات بذلك- ويوفق إليه ويرشد من رجع طائعا. **٢٧**

الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله -وتوحيده، وبتلاوة القرآن وسماعه وغير ذلك من أنواع الذكر- ألا بذكر الله -وحده لا شريك له- تطمئن القلوب: المؤمنة غير الكافرة، التي ترجع إلى الله طائعة. **٢٨**

* أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾
وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾
وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ
مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ
ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا
مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ
إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩
كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ
عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا
سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ
بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ
ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم
بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ
ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٣١ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن
قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ
عِقَابِ ٣٢ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ
لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم
بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ
ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤

الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة حياة طيبة -في الآخرة- لهم، وحسن مآب: الجنة، يرجع إليها المؤمن العامل. **٢٩**

مثلما أرسل الرسل لتنذر أمم غافلة أرسلك الله أيها النبي الكريم في أمة قد مضت من قبلها أمم، لتقرأ عليهم -القرآن- الذي أوحاه سبحانه إليك، وهم يكفرون بالرحمن -ذلك حالهم- أخبرهم أن هو ربك -الذي أرسلك رحمة للخلق أجمعين كما قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين. ﴾ [الأنبياء ١٠٧]- لا معبود بحق سواه، عليه وحده اعتمدت في جميع أحوالك، وإليه وحده توبتك الحقة. **٣٠**

ولو أن قرآنا -نزل، فحين قرئ- سيرت به الجبال -فزالت عن أماكنها- أو قطعت به الأرض -فصارت جزرا وكتلا متفرقة- أو كلم به الموتى -فسمعوه وفهموه وتصرفوا كالأحياء: ما آمن أحد، إلا من يشاء الله أن يهديه كما قال تعالى ﴿ ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكنَّ أكثرهم يجهلون. ﴾ [الأنعام ١١١]- بل لله الأمر جميعا -ما شاء من آيات أتى بها، فهدى بها من شاء وأضل من شاء- أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لوفق الناس وأرشدهم جميعا: فلآمنوا دون أن يأتيهم بآيات؟ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بسبب ما صنعوا -من تحد لأنبياء الله- داهية شديدة تقرعهم -من عند الله أو بأيدي المؤمنين كما قال تعالى ﴿ ونحن نتربَّص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ﴾ [التوبة ٥٢]- أو تحل قريبا من بلدهم -فإذًا تفزعهم- حتى يأتي وعد الله -بموتهم أو هلاك بلدهم أو قيام القيامة- إن الله لا يخلف الميعاد. **٣١**

ولقد استهزئ برسل من قبلك أيها النبي الكريم -فلا تحزن، هذا دأب أهل الكفر- فأمهل الله الذين كفروا -فأخر عنهم عقابه فازدادوا كفرا- ثم أخذهم سبحانه -بعقابه- فكيف كان عقابه؟ إهلاك! **٣٢**

أفمن هو قائم -متول لأمور خلقه، مدبر لأحوالهم وأرزاقهم، رقيب- على كل نفس بما كسبت -من عمل، يحفظه ويحصيه، كأوثان الكفار التي لا تستطيع فعل شيء من هذا؟- وجعل الكفار لله شركاء، سلهم أيها النبي الكريم أن يسموهم -بإضافة أفعالهم إليهم كما يضاف إلى الله أفعاله، فيقال: "الله الخالق الرازق" ونحو ذلك، لتظهر قدراتهم!- أم يخبرون الله بما لا يعلم -أن له شركاء!- في الأرض؟ أم بظاهر من القول: فيتعلقون بمجاز باطل لا حقيقة له ويسمون أوثانهم شركاء الله؟! بل زين الشيطان والهوى للذين كفروا مكرهم -وتآمرهم التافه- فاستحسنوه، وجرى صدهم عن الطريق القويم -التوحيد والإسلام، فصدوا غيرهم- ومن يضلل الله فليس لكائن من كان أن يرشده. **٣٣**

فائدة! يزين الشيطان والهوى لأئمة الضلال إفسادهم فيعتقدوا أنهم محقون: حربنا معهم إذًا عقدية.

وزُيِّنَ للذي كَفَرَ الضلالُ ... وصُدَّ عَنِ السبيلِ، لهُ العَسِيرُ

لهم عذاب في الحياة الدنيا -بما يصيبهم بأيدي المؤمنين بإذن الله، من قتل وجرح وأسر وسبي نساء وذراري وضياع أموال- ولعذاب الآخرة أشق -من عذاب الدنيا: مهين مذل في النار، أليم دائم ليس ينقطع- وما لهم من الله من واق يقيهم عذابه. **٣٤**

صفة الجنة التي وعد المتقون الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه: تجري خلالها الأنهار، ما فيها من مآكل -ومشارب، ونعيم- دائم -لا ينقطع ولا ينقص- وظلها كذلك دائم -لا يزول ولا يتقلص- تلك -الجنة المذكورة هي- عاقبة الذين اتقوا، وعاقبة الكافرين النار. ٣٥

والذين أعطاهم الله الكتب -من يهود ونصارى وأسلموا كعبد الله بن سلام ﷺ ومن آمن معه- يفرحون بما أنزل إليك أيها النبي الكريم، ومن الأحزاب -أهل الملل الأخرى، ولا سيما أهل الكتاب من يهود ونصارى، وكذلك المجوس عبدة النار- من ينكر بعضه -مما لا يوافق أهواءهم- أخبرهم أنما أمرت أن تعبد الله ولا تشرك به -وتوحيد الله اتفقت عليه الشرائع السماوية جميعها، قبل تحريف ما حرف منها- إليه -وحده دون سواه- تدعو وإليه مآب: الجنة، ترجع إليها بتوحيده سبحانه وطاعته. ٣٦

ومثلما أنزل كتبه على أمم سابقة بألسنتهم أنزل الله كتابه حاكما محكما متقنا مشتملا على الحكمة والأحكام عربيا، ولئن اتبعت -وأمتك من ورائك- أهواءهم -حاشاك- بعد ما جاءك من العلم -الحق، فإيثار الباطل على الحق جرم عظيم- ليس لك من الله من ولي يتولى أمرك ولا واق يقيك عذابه. ٣٧

فائدة! نزل القرآن بلسان عربي، أليس واجب العرب إذًا أن يبلغوه -دقيقا مفصلا- إلى غيرهم؟

لِسانٌ أَنزَلَ اللهُ الحكيمُ ... بِهِ القرآنَ، يا عُرُبٌ: أَنيروا

ولقد أرسل الله رسلا -رجالا من جنس البشر، ليسوا إناثا، ولا ملائكة ولا جنا كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم ﴾ [يوسف ١٠٩ ۞ النحل ٤٣]- من قبلك أيها النبي الكريم، وجعل سبحانه لهم أزواجا -من النساء- وذرية -توالدت منهم ومن أزواجهم- وما صح لرسول أن يأتي بآية -من الآيات التي يقترحها عليه قومه ليعرفوا بزعمهم صدقه ولا من غيرها- إلا بإذن الله ومشيئته، لكل أمر قضى الله وقوعه موعد محدد لا يتقدم ولا يتأخر، وكتاب أثبته فيه بتفاصيله. ٣٨

يمحو الله ما يشاء -فيغير ما من شأنه التغيير وتبديل الحال، كغفران ذنب أو نسخ آية أو فقر بعد غنى أو شفاء من مرض أو غير ذلك- ويثبت -ما يشاء سبحانه، ومن جملة ما يثبت ما يغيره أو يبدل حاله- وعنده أصل الكتاب: اللوح المحفوظ، كل شيء مثبت فيه، ومن جملة ذلك ما يمحو وما يثبت. ٣٩

وإن يرك الله أيها النبي الكريم بعض الذي يعد الله الكفار -من عذاب، وهو القادر يقينا- أو يتوفك الله فإنما عليك البلاغ -لا الهداية- وعليه سبحانه الحساب: فسيحاسبهم على معتقداتهم وأعمالهم. ٤٠

أولم يعلموا -قدرته- أن الله يأتي سبحانه الأرض ينقصها الله من أطرافها: بقبض أهل العلم والخير طورا وتارة بالتسليط عليها، كأن يفتح على المسلمين بعض أرض الكفار؟ أو بتدمير شيء منها؟ والله يحكم لا معقب لحكمه -بنقض أو تغيير، والمعطل لأحكامه كافر- وهو سريع الحساب أحصى عملهم. ٤١

وقد مكر الذين من قبلهم -كعاد وثمود وغيرهما، فتآمروا على أنبيائهم- فلله المكر جميعا -فهو الأقدر على التدبير، ولا يستطيع أحد فعل إلا ما قدر سبحانه حدوثه- يعلم ما تكسب كل نفس -من خير، وما تكتسب من شر- وسيعلم الكفار لمن عاقبة الدار: أتكون الجنة لهم؟ أم لأهل الإيمان؟ ٤٢

۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ
أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ
مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ
وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا
بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣

سُورَةُ إِبۡرَاهِيمَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١
ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ
لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣ وَمَآ
أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ
فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ ٤ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ
قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ
ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥

ويزعم الذين كفروا أن لست مرسلا -من قبل الله- أخبرهم أيها النبي الكريم أن كفى بالله شاهدا بينك وبينهم على صدقك، ومن عنده علم -من أهل- الكتاب: من يهود ونصارى كذلك قد شهد بصدقه ﷺ من أسلم منهم، كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره ممن آمن من علماء أهل الكتاب. ٤٣

★ سورة إبراهيم ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]، كتاب أنزله سبحانه إليك أيها النبي الكريم، لتخرج الناس من ظلمات الكفر والضلال والمعاصي إلى نور الإيمان والهدى والطاعة بإذن ربهم ومشيئته، إلى طريق -ربهم- العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ترشدهم بقرآنه، فتصل بهم إلى جنته سبحانه. ١

الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وشدة الحسرة والهلاك للكافرين من عذاب شديد. ٢

الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة -وإن لم يستحلوا ما يفعلون ولا هم جحدوا شيئا من الشرع- ويصدون عن طريق الله ويريدون للناس انحرافا عنه، هؤلاء في ضلال عن الحق وبعد كبير. ٣

وما أرسل الله من رسول إلا -متحدثا- بلسان قومه، ليبين لهم -فيتضح ما أرسله الله به، وتقوم الحجة- فيضل الله من يشاء -عن الحق بعدله، فالبيان يقيم الحجة، لكن لا يوجب حصول الهداية- ويوفق ويرشد من يشاء، وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٤

فائدة! كل رسول أرسله رب الناس إلى قومه خاصة، وأرسل محمد ﷺ خاتما للأنبياء إلى الخلق كافة كما قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ [سبإ ٢٨]، وكما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون. ﴾ [مسلم ٥٢٣ ★ الترمذي ١٥٥٣م ★ أحمد ٩٣٣٧]، ونزل القرآن بالعربية كما قال تعالى ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون. ﴾ [يوسف ٢]، فصار واجبا على العرب أن يبلغوه، فكانت الفتوحات لتبليغ دين الله.

كتابًا أَنزَلَ اللهُ اختِتامًا ... لِكُلِّ الخَلْقِ، بَلِّغَهُ الخُيُورُ

ولقد أرسل الله موسى بآياته سبحانه الدالة على صدقه عليه السلام -وهي تسع كما قال تعالى ﴿ في تسع آيات إلى فرعون وقومه ﴾ [النمل ١٢]، آمرا- أن أخرج قومك من ظلمات الكفر والضلال والمعاصي -والجهل لئلا يسبب شركا كما قال تعالى ﴿ قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴾ [الأعراف ١٣٨]، بإذن الله ومشيئته- إلى نور الإيمان والهدى والطاعة -والعلم- وذكرهم بأيام الله -ففيها أنعم وأقواما عذب، كيوم إغراق فرعون- إن في ذلك -التذكير، وفي تلك الأيام- لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لكل كثير الصبر على طاعة الله وأقداره، كثير الشكر لله على نعمه. ٥

واذكر أيها النبي الكريم حين نصح موسى -حاثا- قومه أن يذكروا نعم الله عليهم، حيث أنجاهم من أهل فرعون وأتباعه الذين كلفوهم وأذاقوهم أسوأ العذاب -بالعمل الشاق- وداوموا على ذبح الذكور من أبنائهم واستبقاء إناثهم أحياء ليخدمنهم، وفي ذلك -العذاب والإهانة، كذلك في نجاتهم- بلاء من ربهم عظيم: فالاختبار ليس مقصورا على الشر بل قد يكون بالخير كما قال تعالى ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء ٣٥]. ٦

فائدة! من وسائل الدعوة النافعة ذات التأثير تذكير الناس بنعم الله عليهم، ولا سيما الكبير منها أو غير معتاد الحدوث، كالنصر على عدو وكنجاتهم من هلاك محقق.

نُذَكِّرُ خَلْقَهُ نِعَمًا ونَدعو: ... إلهَكُمُ اتَّقُوا، كَيلٌ يَسيرُ!

واذكروا -يا بني إسرائيل- حين أعلم ربكم بوضوح: لئن شكرتم -نعمه- ليزيدنكم -نعما، وطاعة له- ولئن كفرتم -نعمه لم تشكروها فانتظروا ما يحل بكم- إن عذابه -سبحانه- لشديد. ٧

فائدة! من شكر الله على نعمة من نعمه زاده منها، فمن شكره على رزق وسع عليه رزقه، ومن شكره على ما أقدره سبحانه عليه من طاعة زاده طاعة، فالنعم إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت.

نُذَكِّرُ خَلْقَهُ نِعَمًا فَأَدُّوا ... لِرَبِّي شُكرَها يَزِدِ الشَّكُورُ

وأكد موسى أن إن يكفروا هم ومن في الأرض جميعا -فلم يؤمنوا بالله أو أشركوا، أو لم يشكروا نعمه- فإن الله لغني عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه، محمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. ٨

ألم يأتكم -أيها الكفار- خبر الذين من قبلكم -من الأمم المكذبة- قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم -كقوم لوط وغيرهم- لا يعلمهم -ولا يحصي عددهم- إلا الله؟ جاءتهم رسلهم بالأدلة الجلية البينة على صدقهم، فوضعوا أيديهم في أفواههم -لفرط غيظهم، تحسرا من عجزهم عن إلحاق عظيم ضرر برسلهم الذين جاءوا بذم الشرك وبمن آمن بهم كما قال تعالى ﴿ وإذا خلَوا عضُّوا عليكم الأنامل من الغيظ ﴾ [آل عمران ١١٩]- وأكدوا -لرسلهم- أنهم كفروا بما أرسلوا به، وأنهم -حقا- في شك مما يدعونهم إليه مريب لا تطمئن قلوبهم لعبادة الله وحده وترك عبادة طواغيتهم. ٩

سألت رسلهم -مقرعين موبخين- أفي -وجود، أو وحدانية- الله شك؟ خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق؟! يدعوكم -سبحانه، إلى توحيده- ليغفر لكم بعض ذنوبكم -إن فعلتم كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]، ولا يغفر ما يتعلق بحقوق عباد الله- ويؤخركم -فلا يستأصلكم في الدنيا- إلى حضور آجالكم والموت، أخبرهم الكفار أنهم -رسلهم- ليسوا إلا بشر مثلهم -ليسوا ملائكة ولا جنا، زاعمين أنهم لا يريدون إلا سيادة عليهم، ولو شاء الله أن يرسل مرسلين لكانوا من الملائكة كما قال تعالى ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضَّل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ﴾ [المؤمنون ٢٤]- يريدون أن يصدوهم عما كان يعبد أسلافهم، من ثم طلبوا فليأتوهم ببرهان واضح الدلالة: يدل على صدقهم. ١٠

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى
ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ
لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى
لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ
مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا
بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩
۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم
بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ
عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ
أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ
ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ
عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ
كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

أجابتهم رسلهم بأنهم -بالفعل- ليسوا إلا بشر مثلهم -ليسوا ملائكة ولا جنا- ولكن الله ينعم على من يشاء من عباده ويتفضل -بالنبوة، وبالتوفيق والإرشاد: هل الرسل وأتباعهم كمن أشرك بالله؟!- وما صح لهم أن يأتوهم ببرهان إلا بإذن الله ومشيئته -كما قال تعالى ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ﴾ [الرعد ٣٨ ۞ غافر ٧٨]- وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في جميع أحوالهم. ١١

وأي شيء يمنعنا من أن نعتمد على الله وحده في جميع أحوالنا -وأي عذر لنا إن لم نعتمد عليه دون سواه، تساءلت رسلهم- وقد وفقنا وأرشدنا إلى شرائعنا: لنبلغ طريق الحق والسلامة من عذابه؟ ولنصبرن على إيذائكم لنا -بالاستهزاء والتكذيب والسخرية، مستمرين على دعوتنا إلى توحيد الله وإقامة شرعه- وعلى الله وحده فليعتمد المتوكلون المفوضون إليه أمرهم في جميع أحوالهم. ١٢

وخير الذين كفروا رسلهم: ليخرجنهم من أرضهم، أو ليعودن في ملتهم -فيرتد أتباعهم، ويعود رسلهم إلى ما كانوا عليه من سكوت قبل أن يبعثوا، فلا يدعون إلى توحيد الله ولا يأمرون بمعروف أو ينهون عن منكر- فأوحى إلى الرسل ربهم ليهلكن الظالمين لأنفسهم بالكفر ولغيرهم بالصد عن الإيمان. ١٣

وليسكننهم سبحانه الأرض -هم وأتباعهم- من بعدهم -مستخلفا إياهم فيها، عمارا وسكانا لها- ذلك -الإهلاك للظالمين وإسكان الرسل وأتباعهم أرضهم- لمن خاف القيام بين يديه -للحساب- وخاف وعيد الله: لأهل الكفر والعصيان بالعذاب، مستحضرا عظمته سبحانه ومراقبته له. ١٤

واستفتح الرسل -سائلين الله النصر على أعدائه، ودعوه أن يفصل بينهم وبين الذين كفروا من أقوامهم بحكمه الحق- وخاب وخسر كل جبار متسلط على عباد الله معاند له. ١٥

من بعد هلاك هذا الجبار المعاند جهنم -هي مصيره- ويسقى -في جهنم- من قيح أهل النار. ١٦

يحتسيه متكلفا شربه مرة تلو الأخرى ولا يستطيع أن يبلعه إلا بصعوبة، وتأتيه -من شدة ما يقاسي من عذاب جهنم، وشدة حرارة ومرارة ونتن ما يشربه ويشوى به كما قال تعالى ﴿ وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمُهل يشوي الوجوه ﴾ [الكهف ٢٩]- أسباب الموت من كل جهة، وما هو بميت -بل يظل حيا، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم: يا أهل النار لا موت ويا أهل الجنة لا موت، خلود. ﴾ [البخاري ٦٥٤٤ ★ مسلم ٢٨٥٠ ★ أحمد ٦١٣٨]، فلن يموت فيستريح- ومن بعد خلوده في النار عذاب غليظ: ينتظره، كما قال تعالى ﴿ كمن هو خالد في النار وسُقُوا ماء حميما فقَطَّع أمعاءهم ﴾ [محمد ١٥]. ١٧

مثل الذين كفروا بربهم: أعمالهم -الصالح منها، كالصدقة ونحوها- كرماد -شيء قد احترق- ذهبت به الريح الشديدة في يوم عاصف -ريحه قوية الهبوب- لا يثابون مما كسبوا على شيء -بطل عملهم في الآخرة لانتفاء التوحيد- ذلك -العمل مع انتفاء الإيمان- هو الضلال عن الحق والبعد الكبير. ١٨

فائدة! من مات على غير الإسلام لا ينفعه في الآخرة شيء مما عمل في الدنيا من أعمال صالحة.

ولا يَرضى الغَنِيُّ بكافرٍ لَمْ ... يَمُتْ مُستَسلِمًا، ولهُ السعيرُ

ألم ينته علمك -أيها المخلوق- أن الله خلق السماوات والأرض بالحق: ليس لعبا، بل سيجازي كل نفس مكلفة بما قد كان منها كما قال تعالى ﴿ وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ [الجاثية ٢٢]؟ إن يشأ يذهبكم -أيها الخلق، فتهلكوا- ويأت بخلق جديد: هم أفضل منكم، وأكثر عبادة وطاعة يفعل. ١٩

وما ذلك -الإهلاك، والإتيان بخلق جديد أفضل منكم حالا- على الله بصعب ممتنع. ٢٠

وظهروا -من قبورهم، وظهرت نياتهم وأعمالهم- لله جميعا، فذكر -المؤيدون- الضعفاء الذين استكبروا أنهم كانوا لهم تبعا -فنفذوا توجيهاتهم في الدنيا- فهل هم مغنون عنهم -دافعون- من عذاب الله أي شيء؟ زعم الذين استكبروا -متنصلين من كل من اتبعهم أو أيدهم- أن لو وفقهم الله وأرشدهم لما فيه صلاحهم لأرشدوهم -بدورهم- من ثم أكدوا -جميعهم: ضعفاء ومستكبرين- أن سواء عليهم أجزعوا -فلم يصبروا على ما هم فيه- أم صبروا ما لهم -من العذاب- من مخلص أو مفر. ٢١

وأخبر الشيطان -الضعفاء والذين استكبروا- لما انتهى الأمر -ودخلوا النار- أن الله وعدهم وعد الحق -بالبعث والحساب ثم الجنة أو النار، فأنجز وعده- ووعدهم -الشيطان، أن لن يصيبهم مكروه بعد أن يموتوا، مهما فعلوا في الدنيا- فأخلفهم، وأقر أن لم يكن له عليهم أي برهان يقنعهم بعصيان الله، ولا قوة قاهرة يتسلط بها عليهم فيجبرهم، إلا أن دعاهم -دون أدنى حجة أو قهر، لعصيان الله- فاستجابوا له -ملبين دعوته!- فلا يلوموه -ابتداء، أو يكفوا عن توجيه أي لوم له- وليلوموا أنفسهم -على غبائهم المفرط واستجابتهم له، وما عاشوا فيه في الدنيا من ضلال- ما هو بمستجيب لصراخهم -ولا مغيثهم من العذاب- وما هم بمستجيبين لصراخه، مصرحا بأنه كفر بما أشركوه من قبل -في الدنيا، فتبرأ من إشراكهم له مع الله في العبادة، وطاعتهم له في عصيان ربهم- إن الظالمين لأنفسهم بالكفر واقتراف الآثام ولغيرهم بإضلالهم وصدهم عن الإيمان وتزيين المعاصي لهم عذاب أليم. ٢٢

فائدة! نفى الله سلطان الحجة والقهر عن الشيطان، وأثبت له كيدا ضعيفا كما قال تعالى ﴿ إنَّ كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ [النساء ٧٦]، وإغواء كما قال تعالى ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. إنما سلطانه على الذين يَتَوَلَّونَه والذين هم به مشركون. ﴾ [النحل ٩٩ ١٠٠].

نَفى ربِّي عَنِ الشَّيطانِ قَهرًا ... لِعَبدٍ، كَيدُهُ حُجَجٌ دُحورُ

وأدخل الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- بإذن ربهم ومشيئته -إذ وفقهم للإيمان والعمل الصالح، وجعل إيمانهم وعملهم سببا به يخلدون في جنته- تحية الله والملائكة لهم وتحية بعضهم لبعض فيها كلام سالم من الإثم، ويسلمون من كل مكروه. ٢٣

ألم ينته علمك أيها النبي الكريم كيف ضرب الله مثلا: كلمة طيبة -التوحيد: لا إله إلا الله- كشجرة طيبة -قيل هي النخلة- أصلها ثابت -راسخ في الأرض- وفرعها -مرتفع منتشر- في السماء. ٢٤

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾
وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ
أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا
قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ
أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ
مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ
بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن
قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ
مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا
وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ
ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ
تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ
مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ
فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

تعطي -هذه الشجرة الطيبة- وتثمر ثمرها كل وقت بإذن ربها ومشيئته -كذلك المؤمن نفعه لا ينقطع- ويضرب الله الأمثال -مبينا- للناس، رجاء أن يتذكروا ما أمر به وما نهى عنه، فلا يتجاوزوا الحدود. **٢٥**

ومثل كلمة خبيثة -الكفر: عدم توحيد الله- كشجرة خبيثة -قيل هي الحنظل- اقتلعت من أصلها وتم انتزاعها من فوق الأرض -كذلك الكافر لا خير فيه وعمله باطل- ليس لها أي استقرار أو ثبات. **٢٦**

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت كما ورد عن النبي ﷺ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما ﴿ المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ ﴾ [البخاري ٤٦٩٩ * مسلم ٢٨٧١ * أبو داود ٤٧٥٠ * الترمذي ٣١٢٠ * النسائي ٢٠٥٧ * ابن ماجة ٤٢٦٩ * أحمد ١٨٥٧٥] في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين لأنفسهم بالكفر -فلا يوفقهم لشهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله- ويفعل الله ما يشاء: يهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله، مشيئته نافذة غالبة للأسباب. **٢٧**

فائدة! السؤال في القبر وعذاب الظالمين فيه واقع لا محالة.

سُؤالُ القبرِ لا يَرتابُ فيهِ ... مِنَ الخَلْقِ المُكَلَّفِ مُستَنِيرُ

ألم ينته علمك أيها النبي الكريم -وكل فرد من أمتك- إلى خبر الذين بدلوا ما أنعم الله به عليهم -من بعثة رسول فيهم وأمن في الحرم وتجارة مزدهرة بعد فقر وإطعام بعد جوع كما قال تعالى ﴿ لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف. ﴾ [قريش ١ ~ ٤]- كفرا، وأنزلوا -من اتبعهم من- قومهم -بسبب كفرهم وعدم شكرهم نعم الله- دار البوار والهلاك؟ **٢٨**

جهنم -هي دار البوار والهلاك- يقاسون حرها، وبئس المقر. **٢٩**

وجعلوا لله أندادا ونظراء ومثلاء، ليضلوا -غيرهم، ويضلوا هم- عن طريقه، أخبرهم أيها النبي الكريم أن يتمتعوا -في الدنيا، بما هم فيه من ضلال- فإن مصيرهم -في الآخرة- إلى النار. **٣٠**

مر عباد الله الذين آمنوا أن يؤدوا الصلاة ويظهروا هيئتها ويديموها بشروطها، وينفقوا مما رزقهم الله -من أموال، مخلصين له نياتهم وأعمالهم، في الزكاة الواجبة وصدقات التطوع- سرا وعلانية -في كل حال بغير رياء- من قبل أن يأتي يوم -القيامة، ويحتاجون إلى أي شيء يزحزحهم عن النار- لا بيع فيه -ولا تنفع فدية- ولا صداقة صديق. **٣١**

الله الذي خلق السماوات والأرض، وأنزل من السماء مطرا، فأنبت به ما تنتفعون به من أنواع الثمار، وذلل لكم -أيها الناس- السفن لتجوب المياه بأمره -وقدرته- وذلل لكم الأنهار: تشربون منها، وتسقون النبات والحيوان والطير. **٣٢**

وذلل لكم الشمس والقمر -لما يراد منهما من طلوع وأفول وحركة- مستمرين بغير توقف، وذلل لكم الليل -لتسكنوا وتستريحوا- والنهار: مضيئا لتسعوا بما ينفعكم. **٣٣**

وأعطاكم من كل ما سألتموه -ومن كل ما لم تسألوه- وإن تحاولوا عد نعم الله -الظاهرة- لا -تقدروا، بحال من الأحوال، لكثرتها وتعددها أن- تحصوها، إن الإنسان لشديد الظلم لنفسه، شديد الكفران والجحود لنعمه سبحانه. ٣٤

واذكر أيها النبي الكريم حين دعا إبراهيم ربه أن يجعل هذا البلد -مكة، بعد أن سكنها الناس- آمنا، ويجنبه -زيادة في العصمة والتثبيت- وبنيه أن يعبدوا الأصنام: فلم يعبدها أحد من صلبه. ٣٥

فائدة! قدم إبراهيم عليه السلام طلب الأمن لأن انعدامه يشغل العقول، فتذهل عن التفكير السديد، مما قد يؤدي إلى ضلال، ولم يقدمه لفضل الأمن على التوحيد! فالتوحيد أهم قطعا كما قال تعالى ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ [البقرة ١٩١]، وكما قال سبحانه ﴿ والفتنة أكبر من القتل ﴾ [البقرة ٢١٧].

وَندعو ربَّنا: يا ربِّ أمنًا ... لِتَعصِمَنا بِهِ، كَفَرَ الكثيرُ!

أضاف داعيا ربه أن الأصنام أضللن كثيرا من الناس -الذين عدوها آلهة!- فمن تبعه -عليه السلام، في توحيد الله وطاعته- فإنه من أهل دينه، ومن عصاه فإن ربه واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. ٣٦

أردف مخاطبا رب العباد أنه أسكن بعض ذريته -إسماعيل عليه السلام- بواد لا زرع فيه -ولا ماء: مكة- عند بيته -سبحانه- المحرم -الذي يحرم فيه ما يستباح في غيره، ويحرم أن تنتهك حرمته- ليؤدوا الصلاة ويظهروا هيئتها ويديموها بشروطها -لربهم، معتنين بها غاية العناية- من ثم سأله فليجعل قلوب وفود من الناس تنزع وتحضر مسرعة إليهم، ويرزقهم من أنواع الثمار، رجاء أن يشكروه على نعمه. ٣٧

فائدة! الإقامة ببلد صالح أهله أثره طيب، وتفسد الذرية بهجرة الآباء إلى بلاد محاربة للدين والفطرة.

يُهاجِرُ طالِبًا عَيشًا رَغيدًا ... إلى بَلَدٍ يُحارِبُنا! يَجورُ

أضاف مخاطبا رب العباد أنه -سبحانه- يعلم ما يخفي عباده وما يظهرون من أقوال وأعمال -مستويان في علمه- وليس يخفى على الله أي شيء في الأرض ولا في السماء: بل قد أحاط علمه بكل شيء، ظاهرا وباطنا، ومما لا يخفى عليه سبحانه افتقار عباده إليه. ٣٨

أثنى كامل الثناء على الله الذي منحه على كبر سنه -عليه السلام، ولديه- إسماعيل وإسحاق، إن ربه لسميع الدعاء: مستجيب لمن يدعوه من المؤمنين بما يجوز وبقلب حاضر لو كان كسبه حلالا. ٣٩

من ثم دعا ربه أن يجعله مؤديا للصلاة مظهرا هيئتها مديمها بشروطها، وبعض ذريته -لعلمه أن البعض لن يؤديها على أتم وجه- كذلك يجعلهم يحذون حذوه، ويتقبل ربهم دعاءه وعبادته. ٤٠

من ثم طلب من ربهم المغفرة له ولوالديه -قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله قد وجبت له النار ولا يجوز الدعاء له إذ مات كافرا- وللمؤمنين -جميعهم، ذكورا وإناثا- يوم -القيامة، حين- يقوم الحساب. ٤١

ولا تظنن -أيها الإنسان- الله غافلا عما يعمل الظالمون لأنفسهم أو لغيرهم -ليس يدري ما يعملون، أو أنه يعاملهم معاملة الغافل حاشاه فيتغاضى عما يعملون- إنما يؤخرهم -فهم ليسوا أهلا لفضله- ليوم -القيامة، من هول ما ترى- تشخص فيه الأبصار: فتظل الأعين مفتوحة لا تطرف. ٤٢

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ
رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ
ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن
تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّىۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ
إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى
وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ
ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِىۚ رَبَّنَا
وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ
وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ
فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ
دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ
مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ
ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ
وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا
تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ
ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ
وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ
مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ
وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ
وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾

مسرعين -إلى إجابة الداعي إذ يدعوهم للحساب- رافعي رؤوسهم -إلى أعلى لا ينظر أحد إلى أحد- لا ترجع إليهم أبصارهم ولا ترمش أعينهم، وقلوبهم -عن كل شيء إلا الفزع والغم- خالية. **٤٣**
وأنذر أيها النبي الكريم الناس يوم -موتهم، أو القيامة- يأتيهم العذاب، فيسأل الذين ظلموا أنفسهم بالكفر واقتراف الآثام ربهم أن يؤخرهم قليلا -فيمهلهم ولا يبدأ عذابهم ويحييهم فترة وجيزة، أو يردهم إلى الدنيا، إن يفعل- يجيبوا دعوته -فيؤمنوا به ويوحدوه ويتداركوا ما قد وقعوا فيه من أخطاء: وهم كما قال تعالى ﴿ ولو رُدوا لعادوا لِما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ [الأنعام ٢٨]- ويتبعوا الرسل، أولم تكونوا أقسمتم من قبل -هذا اليوم، أيها الظالمون- أن ليس لكم أي زوال: فلستم تنتقلون من الدار الدنيا إلى دار أخرى كما قال تعالى ﴿ وأقسموا بالله جَهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ﴾ [النحل ٣٨]؟ **٤٤**
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم كفرا وعصيانا لربهم -كعاد وثمود وغيرهما، فنزلتم بديارهم، وعملتم بمثل عملهم- وتبين لكم -مما أبقى ربكم من آثارهم- كيف فعل الله بهم -وكيف أهلكهم- وضرب الله لكم الأمثال: مبينا في كتبه وعلى ألسن أنبيائه، رجاء أن تعتبروا بها فلا تهلكوا مثلهم. **٤٥**
وقد مكروا مكرهم -مستفرغين وسعهم في رد الحق وإثبات الباطل، ثم تآمروا عليه ﷺ كما قال تعالى ﴿ وإذ يَمكر بك الذين كفروا ليُثبِتوك أو يقتلوك أو يُخرجوك ﴾ [الأنفال ٣٠]- وعند الله مكرهم -قد أثبته، وهم مجازون به- وما كان مكرهم -رغم شدته- لتزول منه الجبال: بل قدراتهم محدودة. **٤٦**
فلا تظنن -أيها الإنسان- الله مخلف وعده -أصلا، ومن جملة وعده نصر صفوة عباده- رسله -ومن اهتدى بهديهم كما قال تعالى ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. ﴾ [غافر ٥١]- إن الله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، ذو انتقام ممن تعمد عصيانه. **٤٧**
يوم -القيامة- تبدل الأرض -بأخرى كما ورد عن النبي ﷺ من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ﴿ يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي، ليس فيها علم لأحد. ﴾ [البخاري ٦٥٢١ * مسلم ٢٧٩٠]، والناس يومئذ كما ورد عنه ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ سألت رسول الله ﷺ: ﴿ يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسماوات ﴾، فأين يكون الناس يومئذ؟ قال: على الصراط. ﴾ [مسلم ٢٧٩١ * الترمذي ٣١٢١ * ابن ماجة ٤٢٧٩ * أحمد ٢٤٠٦٩]- فأعدوا لذلك الموقف- والسماوات كذلك تبدل، وظهروا -من قبورهم، وظهرت نياتهم وأعمالهم- لله الواحد المتفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، القهار الذي لا يغالبه أحد، القادر على منع غيره أن يبلغ مراده. **٤٨**
ويرى الرائي المجرمين مستحقي العقاب يومئذ مشدودين في الأغلال والقيود. **٤٩**
ألبستهم من قطران -نتن الرائحة، شديد الاشتعال- وتغمر وجوههم وتغطيها النار. **٥٠**
ليجزي الله كل نفس جزاء ما كسبت من عمل، إن الله سريع الحساب أحصى عملها. **٥١**
هذا -القرآن- بلاغ للناس -من الله- ولينذرهم به -عقابه إن استمروا على عصيانه- وليعلموا أنما هو إله واحد لا شريك له -فالطواغيت لن تنفعهم- وليذكر أهل العقول الرزينة: بآيات الله، فيتعظوا. **٥٢**

⋆ سورة الحِجر ⋆

⋆ مكية ⋆

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]، تلك -سورة من- آيات الكتاب -المنزل- وقرآن واضح ألفاظه ومعانيه مبين لتوحيد الله وعظيم قدرته: فتأمل. ١

ربما -في بعض المواضع، حين يدركون مآلهم عند الموت ويوم القيامة، وحين يخرج عصاة المسلمين من النار ويظلون هم خالدين فيها أبدا- يحب ويتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين -لله- منقادين. ٢

اتركهم أيها النبي الكريم يأكلوا ويتمتعوا -بما في الدنيا من حطام زائل- ويلههم الأمل -بالبقاء على ما هم عليه من أهواء وشهوات عن اتباعك- فسوف يعلمون عاقبة صنيعهم: حين يأتي الأمر بقتالهم في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]، ثم بعد الموت. ٣

وما أهلك الله من قرية -من القرى الظالمة- إلا ولها موعد مكتوب معلوم: يهلك أهلها حين يبلغونه. ٤

لا تتقدم أي أمة -ظالمة- أجلها -المحدد، فتهلك قبل أن يحين- ولا -عنه إذا حان- يتأخرون. ٥

وتهكم المشركون -بالنبي ﷺ- يا أيها الذي -يدعي أنه- نزل عليه الذكر -القرآن، فهو تذكير للخلق بما فيه صلاحهم- إنك -إن ظننت أننا سنتبعك- لمجنون. ٦

من ثم سألوه هلا يأتيهم بالملائكة -تشهد أمامهم له بالنبوة- إن كان -فيما يدعي- من الصادقين. ٧

ما ينزل الله الملائكة إلا بالحق -الذي يستدعي أن ينزلهم، كتنزيل القرآن وإهلاك الأمم المكذبة ونحو ذلك، وفق ما تقتضيه حكمته- وما كانوا إذًا -إذا نزلت الملائكة كما اقترحوا فلم يؤمنوا- ممهَلين: بل يصيرون مستحقين للهلاك والمعاجلة بالعقوبة. ٨

إن الله هو نزل سبحانه الذكر -القرآن، فهو تذكير للخلق بما فيه صلاحهم، ومعه السنة تحوي كثيرا من التفاصيل- وإن الله له لحافظ سبحانه: فلم ولن يبلغ القرآن تبديل أو تحريف أو زيادة أو نقصان، ولم ولن تضيع السنة إلا أن يشاء الله أن ينزع العلم من الأرض قبيل القيامة. ٩

ولقد أرسل الله من قبلك أيها النبي الكريم -رسلا- في فرق الكفر وجماعاتهم وطوائفهم السابقة. ١٠

وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون: دأب أهل الكفر، فلا تحزن أيها النبي الكريم. ١١

مثلما أنفذ التكذيب والاستهزاء والسخرية في قلوب أهل الكفر السابقين الهالكين ينفذه الله في قلوب المجرمين -المعاصرين- مستحقي العقاب. ١٢

لا يؤمن المجرمون -المعاصرون- مستحقو العقاب بما جاءهم منه سبحانه، وقد مضت سنة -الله في- الأمم السابقة: هلاك المكذبين، فليتوقعوا مصيرا مشابها. ١٣

ولو فتح الله على الكفار بابا من السماء، فظلوا فيه يصعدون: يشاهدون بأم أعينهم قدرة الله وملكوته، أو ظل الملائكة فيه يصعدون والكفار يشاهدون ذلك بأم أعينهم. ١٤

لزعم الكفار أنما غطيت أبصارهم بشيء أسكرها، بل -لتمادوا زاعمين أن- هم قوم جرى سحرهم. ١٥

سُورَةُ الحِجْر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ رُّبَمَا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ
وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا
مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ٥ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ
ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦ لَّوۡمَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ
إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم
مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ
فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣
وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤
لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥

وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ
فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا
رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ
فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا
عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ وَأَرۡسَلۡنَا
ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ
لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا
ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٦﴾ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن
قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا
مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ
مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ
أَجۡمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

ولقد جعل الله في السماء منازل ظاهرة للشمس والقمر والنجوم والكواكب، وزينها الله للناظرين: خاصة من يعتبر منهم، بكائنات مضيئة كما قال تعالى ﴿ وزيَّنَّا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ [فُصِّلَت ١٢]. ١٦
وحفظها الله من كل شيطان مطرود مبعد: فلا يسمع شيئا من الوحي ولا مما يتداول فيها. ١٧
إلا من استرق السمع -إلى ما يتداوله الملائكة- فأتبعه -ليلحقه- شهاب واضح: مستهدفا إياه، كما قال تعالى ﴿ ولقد زيَّنَّا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ﴾ [المُلك ٥]. ١٨
والأرض بسطها الله -لتباعد أطرافها لا ينافي ذلك أنها كروية كما قال تعالى ﴿ يُكوِّر الليل على النهار ويُكوِّر النهار على الليل ﴾ [الزُّمَر ٥]- إلى ما لا يدرك منتهاه، وألقى سبحانه فيها جبالا تثبتها كالأوتاد كما قال تعالى ﴿ والجبال أوتادا. ﴾ [النبإ ٧]، وأنبت الله فيها من كل نبات وثروة بوزن معلوم. ١٩
وهيأ الله لكم -أيها الناس- فيها أسباب المعيشة -من طعام وشراب وما تقوم به الحياة- ومن لستم أنتم ترزقون -بل الله، من عبيد وخدم وحيوان ونحو ذلك- كذلك هيأ لكم، وهيأ لهم أسباب معيشتهم. ٢٠
وما من شيء إلا عند الله خزائنه -وبيده إيجاده- وما يخرجه سبحانه بأمره النازل من السماء إلا بمقدار محدد قد قدره: فينتفع به عباده، ولا يزداد طغيانهم وعصيانهم كما قال تعالى ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغَوا في الأرض ولكن يُنَزِّل بقدَر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير. ﴾ [الشورى ٢٧]. ٢١
وأرسل الله الرياح لواقح -تحمل سحابا مثقلا بالماء كما قال تعالى ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بُشرا بين يدَي رحمته حتى إذا أقَلَّت سحابا ثقالا ﴾ [الأعراف ٥٧]- فأنزل سبحانه من السماء مطرا، فأسقاكم الله -أيها الناس، وأرضكم ودوابكم- منه، ولا طاقة لكم بتخزينه: بل الله يخزنه في الأرض لكم. ٢٢
وإن الله لهو -دون غيره- يحيي سبحانه الخلائق ويميتها سبحانه، وهو -الباقي- الوارث سبحانه. ٢٣
ولقد علم الله من تقدم من خلقه ولقد علم الله من تأخر: ولادة وموتا، وطاعة وجهادا وغير ذلك. ٢٤
وإن ربك أيها النبي الكريم هو يجمع خلقه -يوم القيامة- إنه حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه، عليم بحال عباده وبما يستحقه كل منهم. ٢٥
ولقد خلق الله الإنسان -آدم عليه السلام- من طين يابس، من أصل تراب مبلل أسود متغير الرائحة. ٢٦
والجن -أباه، قيل إبليس- خلقه سبحانه من قبل -خلق آدم عليه السلام- من نار الحرارة القاسية. ٢٧
واذكر أيها النبي الكريم حين أخبر ربك الملائكة أنه خالق بشرا من طين يابس، من أصل تراب مبلل أسود متغير الرائحة. ٢٨
من ثم أمرهم فإذا سوى خلقه وعدل صورته ونفخ فيه من روحه -فأحياه- فليسجدوا له مسرعين: تحية لآدم عليه السلام وتقديرا ليس عبادة. ٢٩
فسجد الملائكة كلهم أجمعون: مطيعين كما أمرهم الله، لم يتخلف منهم أحد. ٣٠
إلا إبليس -هو كما قال تعالى ﴿ وإذ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾ [الكهف ٥٠]- امتنع أن يكون مع الساجدين: فصار كافرا. ٣١

سأل -سبحانه، وهو أعلم بحال خلقه- إبليس أي شيء يمنعه من أن يكون مع الساجدين؟ **٣٢**
أجاب بأنه -أفضل خلقا كما قال تعالى ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار ﴾ [الأعراف ١٢ ۞ ص ٧٦]- لم يكن ليسجد لبشر خلقه الله من طين يابس، من أصل تراب مبلل أسود متغير الرائحة. **٣٣**
أمره فليخرج من الجنة، فإنه -إبليس- مطرود مبعد. **٣٤**
وأخبره أن عليه الطرد من الرحمة إلى يوم الدين: يوم القيامة، يوم يدين الله عباده ويحاسبهم. **٣٥**
سأل ربه فليمهله إلى يوم يبعثون: يوم القيامة، فلا يقبض الله روحه قبل ذلك. **٣٦**
أجاب سؤاله، فجعله من الممهَلين. **٣٧**
إلى يوم الوقت المعلوم: يوم القيامة، وقت النفخة الأولى في الصور قبيل البعث. **٣٨**
أقسم بإغواء ربه وإضلاله إياه -فمن عزة العزيز أن مشيئته تهيمن على مشيئة إبليس- ليزينن لآدم ﷺ وبنيه في الأرض -فيشغلوا عن طاعة الله، ثم يستحسنوا عصيانه- وليغوينهم أجمعين: ليضلوا. **٣٩**
إلا عباد الله منهم الذين أخلصوا دينهم لله واستخلصهم الله واصطفاهم لنفسه: ليس يقدر عليهم. **٤٠**
فائدة! اعترف إبليس بربه وبكمال قدرته، وبأنه لن يستطيع إضلال من يستخلصه الله ويصطفيه لنفسه، وهو رغم ذلك كافر كما قال تعالى ﴿ إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين. ﴾ [ص ٧٤]، فالإيمان قول وعمل ونية، فمن أخرج العمل عن مسمى الإيمان -كالمرجئة- فكأنما جعل إبليس مؤمنا!

ولَسنا أهلَ إرجاءٍ وبؤسٍ ... فإبليسُ الإمامُ بِهِم يَسيرُ!

أخبره أن هذا طريق عليه مستقيم: سبحانه، حق عليه أن يحافظ عليه لا يعوج مهما حاول إبليس. **٤١**
أضاف أن عباده ليس لإبليس عليهم برهان يقنعهم بعصيانه -سبحانه، حق عليه- ولا قوة قاهرة يتسلط بها عليهم فيجبرهم، إلا من اتبع إبليس من الممعنين في الضلال المنقادين للهوى. **٤٢**
وإن جهنم لموعد عذابهم أجمعين: يجمع الله أتباع إبليس فيها، وهو معهم. **٤٣**
لها سبعة أبواب -قيل بعضها فوق بعض- لكل باب منهم جزء مقسوم: من أتباعه، يدخلون منه. **٤٤**
إن المتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه في جنات -بساتين مديدة الظل- وفيها عيون ليس ينضب ما فيها من شراب. **٤٥**
ادخلوا الجنات بسلام -من كل آفة، يجري إخبارهم، من المكدرات والمخاوف- آمنين. **٤٦**
ونزع الله ما في صدور أهل الجنة من غل وحقد وتنافس -أخرجه جميعه، فصاروا- إخوانا -متحابين- على أسرة -في مجالس مهيأة للسرور، يجلسون ينظر بعضهم إلى وجوه بعض- متقابلين. **٤٧**
لا ينالهم فيها تعب، وما هم منها بمخرجين: بل خالدون، لن يخرجهم منها أحد ولا شيء. **٤٨**
أخبر عباد الله أيها النبي الكريم أنه هو الواسع والدائم المغفرة، العظيم الرحمة بالمؤمنين. **٤٩**
وأن عذابه -سبحانه- هو العذاب الأليم. **٥٠**
وأخبرهم عن أضياف إبراهيم: ملائكة في هيئة رجال، أرسلهم الله. **٥١**

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن
لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾
قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾
لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾
۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾
قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٖ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٖ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٞ
وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٞ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

اذكر حين دخلوا عليه، فألقوا تحية السلام، أخبرهم -عليه السلام-، حيث ظن كما هي العادة عندهم عندما لا يأكل الضيف من طعام مضيفه أنهم جاءوا بشر أو بلاء- أنه منهم -خائف- وجل. **٥٢**

طمأنته الملائكة ألا يوجل -فلا داعي للخوف، بل- إنهم يبشرونه بولد ذكر غزير العلم: إسحاق عليه السلام كما قال تعالى ﴿ وبشَّرناه بإسحاق نبيا من الصالحين. ﴾ [الصافات ١١٢]. **٥٣**

سألهم -متعجبا- أبشروه -بولد- وقد نال منه كبر السن؟ فبماذا يبشرون؟! **٥٤**

أكدوا أن بشروه بالحق والصدق الذي لا مراء فيه، ناصحين فلا يكن من القانطين اليائسين. **٥٥**

نفى عن نفسه القنوط واليأس متسائلا -عليه السلام- وهل يقنط من رحمة ربه وييأس إلا -أهل الكفر كما قال تعالى ﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ [يوسف ٨٧]- الضالون عن الحق؟ **٥٦**

فائدة! اليأس من رحمة الله عند الإسراف في المعاصي قد يكون أعظم عند الله مما أسرف العبد فيه.

أَمِنْ رَحَماتِ رَبِّي قَدْ يَئِسْتُم؟ ... لَهذا الجُرمُ أعظَمُ، بَلْ مُبِيرُ

من ثم سأل -عليه السلام- المرسلين فما خطبهم: والشأن الذي أرسلهم الله به؟ **٥٧**

أخبروه أنهم أرسلوا -من قبل الله- إلى قوم مجرمين مستحقين للعقاب: ليهلكوهم. **٥٨**

إلا أهل بيت لوط، إنهم -الملائكة- لمنجوهم أجمعين. **٥٩**

إلا امرأته قدر الله إنها لمن الباقين مع قومها في عذابه. **٦٠**

فلما جاء أهل بيت لوط المرسلون: ملائكة في هيئة رجال، وقيل في هيئة غلمان حسان. **٦١**

أخبرهم أنهم قوم منكرون: غير معروفين له. **٦٢**

طمأنوه: بل جاءوه بما كان قومه فيه -من عذاب- يشكون. **٦٣**

وأتوه بالحق والصدق الذي لا مراء فيه، وأكدوا إنهم -فيما يخبرونه به- لصادقون. **٦٤**

أمروه فليسر بأهل بيته في ظلمة الليل، ويكن من ورائهم -سائرا خلفهم، لئلا يضل أحد- ولا يلتفت منهم أحد -إلى ما يحدث خلفه ولا إلى ما ترك من مال- ويمضوا -مباشرة، إلى- حيث يؤمرون. **٦٥**

وأوحى الله إليه ذلك الأمر أن -قومه- هؤلاء مستأصلون إلى آخرهم بالإهلاك صباحا: قضي الأمر. **٦٦**

وجاء أهل مدينة لوط عليه السلام -مسرعين كما قال تعالى ﴿ وجاءه قومه يُهرَعون إليه ﴾ [هود ٧٨]، طمعا في فعل الفاحشة، فقد كانت عادتهم إتيان الرجال في أدبارهم- يستبشرون. **٦٧**

أخبرهم أن هؤلاء أضيافه، فمن ثم طلب منهم ألا يفضحوه: بتعرضهم لهم بالفاحشة، فيعلم الأضياف أن ليس للوط عليه السلام قدر عند قومه وأنه عاجز عن حماية من نزل بداره، وألا يفضحوهم فيفضحوه، فمن فضح الضيف فقد فضح المضيف. **٦٨**

وحثهم أن يتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولا يذلوه -عليه السلام- ولا يمتهنوه. **٦٩**

سأله قومه -مستنكرين- أولم ينهوه عن البشر أجمعين: عن ضيافة أحد، وعن التحدث إليهم في شأن أحد إن قصدوه بفعل الفاحشة؟ **٧٠**

عرض تزويجهم بناته -أو نساء قومه، فنبي القوم أب لهم- إن كانوا فاعلين شيئا لقضاء شهوتهم. **٧١**
وحياتك أيها النبي الكريم إنهم لفي محبة فاحشتهم التي تغطي عقولهم حتى السكر يتخبطون. **٧٢**
فائدة! يحلف رب الخلق بما يشاء، أما الخلق فكما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ من حلف بغير الله فقد أشرك. ﴾ [أبو داود ٣٢٥١ * الترمذي ١٥٣٥ * أحمد ٥٣٧٥].
ونُقسِمُ بالقديرِ بلا شَريكٍ ... أغَيرَ اللهِ يَلتَمِسُ الأجيرُ؟
فأخذتهم الصيحة -قوية- عند شروق الشمس. فجعل -الملائكة، بأمر- الله عالي قرى قوم لوط سافلها -فقلبت بهم- وأسقط سبحانه عليهم حجارة من طين صلب كالمطر. إن في ذلك -المذكور- لآيات دالة على كمال قدرة الخالق للمتفكرين المتبصرين. وإنها لعلى طريق مقيم: ثابت بين الحجاز والشام يسلكه المارة. إن في ذلك -الأثر- لآية دالة على كمال قدرة الخالق للمؤمنين. **٧٣ ~ ٧٧**
وإن كان أهل القرية ذات الشجر الملتف -مدين- لظالمين لأنفسهم ولغيرهم. **٧٨**
فانتقم الله منهم وعذب، وإنهما -قرى قومي لوط وشعيب عليهما السلام- لبطريق مسلوك واضح. **٧٩**
ولقد كذب -ثمود- أصحاب الحِجر -مكان بين الحجاز والشام- المرسلين: فمن كذب أحدهم فقد كذبهم جميعا، فدعوتهم واحدة. وأعطاهم الله آياته سبحانه -أعظمها ناقة أخرجها من صخرة، ليؤمنوا بصدق صالح عليه السلام- فكانوا عنها معرضين منصرفين. وكانوا ينحتون من الجبال -لتتخذ- بيوتا، آمنين: يظنون أنها لا تنهدم. فأخذتهم الصيحة -شديدة في غاية الشدة ارتعدوا لها- صباحا. فماذا نفعهم ما كانوا يكسبون -من أموال وبيوت نحتوها في الجبال حين جاء العذاب- وماذا أغنى عنهم؟ **٨٠ ~ ٨٤**
وما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق: ليس لعبا، بل سيجازي كل نفس مكلفة بما قد كان منها كما قال تعالى ﴿ وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ [الجاثية ٢٢]، وإن الساعة لآتية -فستقوم القيامة- فاصفح الصفح الجميل: بغير عتاب، إلى أن ينسخ الصفح في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]. **٨٥**
إن ربك أيها النبي الكريم هو الخلاق الذي خلق كل شيء، العليم الذي لا يخفى عليه شيء. **٨٦**
ولقد أعطاك سبحانه سبعا من الآيات تكرر -في كل صلاة، سورة الفاتحة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم. ﴾ [البخاري ٤٧٠٤ * أبو داود ١٤٥٧ * الترمذي ٣١٢٤ * أحمد ٨٦٨٢]- والقرآن العظيم كذلك أعطاك سبحانه سائره. **٨٧**
لا تطمحن ببصرك إلى ما متع سبحانه به أصنافا من الكفار من متع زائلة، ولا تحزن على تكذيبهم ولا على من مات كافرا، وتواضع للمؤمنين وكن رفيقا بهم. **٨٨**
وأخبرهم أنك أنت النذير الواضح للعصاة بالعقاب. **٨٩**
كما أنزل الله على المقتسمين: أنذرهم، كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ﴿ كما أنزلنا على المقتسمين. ﴾ قال: آمنوا ببعض وكفروا ببعض، اليهود والنصارى. ﴾ [البخاري ٤٧٠٦]. **٩٠**

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾
وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ
ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي
وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا
مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ
إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ
عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن
مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾
يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾
وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

الذين قسموا القرآن كما جاء على لسان عبد الله بن عباس ﵄ ﴿ ﴿ الذين جعلوا القرآن عِضين. ﴾ قال: هم أهل الكتاب، جزؤوه أجزاء، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. ﴾ [البخاري ٤٧٠٥]. **٩١**

فوربك أيها النبي الكريم ليسألنهم سبحانه أجمعين: يوم القيامة، سؤال تقريع وتوبيخ. **٩٢**

عما كانوا يعملون: في الدنيا، من كفر وتكذيب بما أنزل، وغير ذلك من آثام، ذلك آت. **٩٣**

فاجهر بما تؤمر -بإظهاره كما هو، لا بما تريد ولا بما "يناسب العصر" ولا بما يرضي الطواغيت، وإن كنت في مكة أول الدعوة والحال حال استضعاف- وأعرض عن المشركين لا تبال بهم حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]. **٩٤**

إن الله كفاك سبحانه -أئمة الكفر- المستهزئين: بك وبدعوتك، بما شاء من عقوبات أنزلها بهم. **٩٥**

الذين يجعلون مع الله إلها آخر -يشركونه به، ويستهزئون برسله- فسوف يعلمون عاقبة صنيعهم. **٩٦**

ولقد يعلم الله أنك يضيق صدرك بسبب ما يتناقلون من كفر وتكذيب واستهزاء، وكذب عليك. **٩٧**

فواظب على تنزيه ربك وتقديسه متلبسا ومقرونا بالثناء عليه، وكن -مصليا- من الساجدين. **٩٨**

واعبد ربك -مكثرا من العبادة والذكر، مداوما على ذلك- حتي يأتيك -وأنت على ذلك- الموت. **٩٩**

★ سورة النحل ★

★ مكية ★

أتى أمر الله -بعقابكم أيها الكفار يوم القيامة، وهو يوم آت لا محالة، وكل آت قريب- فلا تستعجلوه -قبل وقته كما قال تعالى ﴿ وإذ قالوا اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴾ [الأنفال ٣٢]- تنزه وتقدس وتباعد وارتفع عما يشرك الخلق به. **١**

ينزل الملائكة بالوحي -فيحيي به أرواحا وقلوبا- على من يشاء من عباده -ممن يعلمه صالحا للنبوة، آمرا- أن أنذروا أنه لا معبود بحق سواه، فاتقوه سبحانه -أيها الخلق- بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. **٢**

خلق السماوات والأرض بالحق: سبحانه، ليس لعبا، بل سيجازي كل نفس مكلفة بما قد كان منها كما قال تعالى ﴿ وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ [الجاثية ٢٢]، تباعد وارتفع عما يشرك الخلق به. **٣**

خلق الإنسان من نطفة -من المني الخارج عند الجماع- فإذا هو -فجأة، على ضعفه، وعلى طريقة خلقه تلك- خصيم ظاهر الخصومة بين المجادلة لخالقه! **٤**

والأنعام -من إبل وبقر وغنم- خلقها -سبحانه- لكم فيها -أيها الناس، فيما تأخذون منها من أصواف وأوبار وأشعار وجلود- دفء، وما تنتفعون به من نسل تتاجرون فيه وغير ذلك، ومن لحومها وشحومها تأكلون. **٥**

ولكم فيها جمال -وزينة حال النظر إليها، خاصة- حين تردونها إلى مراحها -من مراعيها- آخر النهار، وحين تخرجونها إلى مراعيها باكرا. **٦**

وتحمل -بعضها- أثقالكم -من أبدان وأمتعة- إلى بلاد لم تكونوا واصليها -لو لم يكن معكم أنعاما، ولا سيما الإبل- إلا بمشقة شديدة على الأنفس، إن ربكم لشديد الرأفة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. **٧**
والخيل والبغال والحمير -خلقها ربكم- لتركبوها، وزينة -هي حال ركوبها، أو النظر إلى بعضها- ويخلق ما لا تعلمون: فعلمكم مهما بلغ كما قال تعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ [الإسراء ٨٥]. **٨**
فائدة! ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ﴿ ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير فنهانا رسول الله ﷺ عن البغال والحمير، ولم ينهنا عن الخيل. ﴾ [البخاري ٤٢١٩ ★ مسلم ١٩٤١ ★ أبو داود ٣٧٨٩ ★ الترمذي ١٧٩٣ ★ النسائي ٤٣٢٩ ★ ابن ماجة ٣١٩١ ★ أحمد ١٤٨٤٠].

حلالًا نأكُلُ الخَيلَ اقتِداءً ... ولَمْ تؤكَلْ بِغالٌ أو حَميرُ

وعلى الله بيان الطريق القويم -التوحيد والإسلام، بإرسال الرسل وإنزال الكتب ليظهر بين الطرق- ومنها جائر -وكذلك خلق، عن الحق مائل- ولو شاء لوفقكم -سبحانه، أيها الخلق- وأرشدكم أجمعين. **٩**
هو الذي أنزل من السماء مطرا -عذبا، فتتكون منه الأنهار والآبار والينابيع والعيون- لكم -أيها الناس- منه شراب، ومنه -يرتوي- شجر -ونبات من الأرض- فيه ترعون المواشي. **١٠**
ينبت لكم بالماء الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن جميع أنواع الثمار، إن في ذلك لآية دالة على كمال قدرة الخالق ليتفكر فيها أناس فيعتبروا، فينتفعوا بها وينفعوا. **١١**
وذلل لكم الليل -لتسكنوا وتستريحوا- والنهار -مضيئا لتسعوا بما ينفعكم- والشمس والقمر -لما يراد منهما من طلوع وأفول وحركة- والنجوم مذللات بأمره -سبحانه- إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لمن لهم عقول يعملونها فيفهموا بها. **١٢**
وما خلق لكم وكثر في الأرض -من كل حيوان ونبات ومعدن- مختلفا ألوانه وهيئاته كذلك مذلل، إن في ذلك لآية دالة على كمال قدرة الخالق ليذكرها أناس: فيتعظوا فيؤمنوا، فينتفعوا وينفعوا. **١٣**
وهو الذي ذلل المياه لتأكلوا منها لحما طريا -سمكا وأحياء مائية غيره- وتستخرجوا منها حليا تلبسونها -رجالا ونساء، للزينة كما قال تعالى ﴿ مَرَجَ البحرَين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان. فبأي آلاء ربكما تُكَذِّبان. يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان. ﴾ [الرحمن ١٩ ~ ٢٢]- ويرى الرائي السفن تشق بمقدمتها في المياه -تركبونها أيها الناس، للتنزه بها- ولتلتمسوا من فضله -بالصيد والغوص والتجارة وغير ذلك، ولتنتفعوا بالتنقل- ورجاء أن تشكروه على نعمه ورحمته بكم. **١٤**
فائدة! التحلي بالجواهر والأحجار الكريمة -كاللؤلؤ والمرجان- مشروع للمسلمين ذكورهم وإناثهم، أما التحلي بالذهب فحرام على الذكور كما ورد عن النبي ﷺ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿ إن نبي الله ﷺ أخذ حريرا فجعله في يمينه، وأخذ ذهبا فجعله في شماله، ثم قال: إن هذين حرام على ذكور أمتي. ﴾ [أبو داود ٤٠٥٧ ★ النسائي ٥١٤٤ ★ ابن ماجة ٣٥٩٥ ★ أحمد ٩٣٥].

بِأحجارٍ تَحَلَّى المسلمونَ ... ذُكورُهُمُ اتَّقوا ذَهَبًا يَضيرُ

وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ
وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم
مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم
بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا
أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣
وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا
وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ
فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ
غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم
مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا
يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم
مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ
أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم
بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

وألقى -طارحا- في الأرض جبالا تثبتها كالأوتاد كما قال تعالى ﴿ والجبال أوتادا. ﴾ [النبإ ٧] كراهة أن تضطرب بكم يمنة ويسرة، وأنهارا -من المياه العذبة تنتفعون بها، جعلها الله فيها- وطرقا، رجاء أن تهتدوا إلى مقاصدكم. **١٥**

ومعالم -كالجبال، جعلها الله في الأرض للناس يهتدون بها- وبنجوم السماء -ليلا- هم يهتدون. **١٦**

أفمن يخلق -هذه المخلوقات- كمن لا يخلق: شيئا؟ أفلا تذكرون: فتتعظوا، فتوحدوا الله ربكم؟! **١٧**

وإن تحاولوا عد نعم الله -ظاهرة كانت أو باطنة- لا -تقدروا، بحال من الأحوال، لكثرتها وتعددها أن- تحصوها، إن الله لواسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين: وكفى بها نعمة. **١٨**

والله يعلم ما تسرون -أيها الخلق، جميعه يعلمه- وما تظهرون من أقوال وأعمال. **١٩**

والذين يدعون ويعبدون من دون الله لا يخلقون شيئا، وهم -كسائر الخليقة: عباد- يتم خلقهم. **٢٠**

أموات غير أحياء -هي الأوثان، ومن أشركها بالله- وما يشعرون متى يبعثون: إذ سيدخل جميعهم النار كما قال تعالى ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَب جهنم أنتم لها واردون. ﴾ [الأنبياء ٩٨]. **٢١**

إلهكم -أيها الخلق- إله واحد لا شريك له، فالذين لا يؤمنون بالآخرة -بالبعث إيمانا لا افتراء فيه على الله- قلوبهم منكرة -لوحدانية الله الخالق- وهم -مستمرون على الكفر والعناد واحتقار المؤمنين، وعن قبول الحق- مستكبرون. **٢٢**

حقا إن الله يعلم ما يسرون وما يظهرون من أقوال وأعمال -وهو قطعا مجازيهم بما قالوا وعملوا- إنه لا يحب -بل يبغض- المستكبرين عن قبول الحق، المستمرين على الكفر والعناد واحتقار المؤمنين. **٢٣**

وإذا سئل الكفار ماذا أنزل ربهم -على محمد ﷺ- زعموا -هذا القرآن- أباطيل الأمم السابقة. **٢٤**

ليحملوا ذنوبهم كاملة يوم القيامة -فعاقبة أعمالهم في الآخرة كما قال تعالى ﴿ وهُم يحملون أوزارهم على ظهورهم ﴾ [الأنعام ٣١]- ومن ذنوب الذين يضلونهم -عن الحق، أو ليصيروا وإن لم يقصدوا ضالين، جهلا- بغير علم -بما قد لحقهم من إثم لإضلالهم- ألا سيئ ما يحملون من ذنب. **٢٥**

فائدة! من سن سنة سيئة -كمن شكك الناس في دينهم أو استباح دماء المسلمين ونحو ذلك- كان عليه وزرها ومن أوزار من يعمل بها كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل. ﴾ [البخاري ٣٣٣٥ * مسلم ١٦٧٧ * الترمذي ٢٦٧٣ * النسائي ٣٩٨٥ * ابن ماجة ٢٦١٦ * أحمد ٣٦٣٠].

ولَسنا كابنِ آدمَ سَنَّ قتلًا ... لهُ كِفلٌ مِّنَ الآثامِ بُورُ

قد مكر الذين من قبلهم -كعاد وثمود وغيرهما، فتآمروا على أنبيائهم- فأتى الله -على- بنيانهم -فدمر ما شيدوا ظانين أنه ينفعهم أو يحميهم- من القواعد -فخرب أساسه، وهدم أصولهم وقواعدهم الباطلة وأفسد مكرهم- فسقطت عليهم أسقف أبنيتهم من فوقهم -وسقطت مرجعياتهم- وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون بإتيانه: لم يتوقعوا أن يهلكوا تحت أسقف ما شيدوا ليحميهم فصار وبالا عليهم. **٢٦**

ثم يوم القيامة يذلهم -بإدخالهم النار- ويهينهم، ويسألهم -سبحانه، موبخا- أين شركاؤه الذين كانوا يخالفون -أهل الإيمان- بسببهم؟ أكد أهل العلم أن الذل والمهانة اليوم وما يسوء على الكافرين: واقع بهم كما قال تعالى ﴿ سأل سائل بعذاب واقع. للكافرين ليس له دافع. ﴾ [المعارج ١ ٢]. ٢٧

فائدة! لأقوال أهل العلم الشرعي -الصادعين بالحق في الدنيا- اعتبار عند الله يوم القيامة.

ويَصدَعُ عالِمٌ بالحقِّ صَدعًا ... ففي أُخراهُ يَعتَبِرُ القديرُ

الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم بالكفر واقتراف الآثام، فانقادوا مسالمين -عند الموت وبعده، منكرين- ما كانوا يعملون من سوء -بل منهم من أقسم كذبا أن لم يكن مشركا كما قال تعالى ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنَّا مشركين. ﴾ [الأنعام ٢٣]- بلى: كنتم، إن الله عليم بما كنتم تعملون من أعمال -وتعتقدون من معتقدات- ليس يخفى عليه شيء، وسيجازيكم أتم جزاء. ٢٨

فادخلوا -أيها الكفار- أبواب جهنم -عددها كما قال تعالى ﴿ لها سبعة أبواب ﴾ [الحجر ٤٤] قيل بعضها فوق بعض، تعذبون- خالدين فيها، فلبئس منزل المتكبرين على الحق. ٢٩

وسئل الذين اتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ماذا أنزل ربهم؟ أقروا -أنه أنزل- خيرا: للذين أحسنوا -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾ [البخاري ٥٠ * مسلم ٩ * أبو داود ٤٦٩٨ * النسائي ٤٩٩١ * ابن ماجة ٦٤ * أحمد ٩٥٠١]- في هذه الدنيا حسنة -فيكرمهم الله بالتوفيق للأعمال الصالحة وبالعافية والرضا بالرزق- ولدار الآخرة خير -من دنيا فانية- وأفضل، ولنعم أحسن دار المتقين: تنتظرهم. ٣٠

جنات إقامة دائمة غير منقطعة يدخلونها، تجري خلالها الأنهار لهم فيها ما يشاءون، مثل ذلك الجزاء يجزي الله المتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه. ٣١

الذين تتوفاهم الملائكة طيبين -طاهرين من الكفر، وطيبة نياتهم وأقوالهم وأعمالهم- يحيي الملائكة -من يقبضون أرواحهم- سلام عليكم، ادخلوا الجنة بسبب ما كنتم تعملون مما وفقكم الله له لتكونوا أهلا لرحمته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لن يدخل أحدا عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا ﴾ [البخاري ٥٦٧٣ * مسلم ٢٨١٦ * أحمد ٩٨٣١]. ٣٢

هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة -لقبض أرواحهم فلا ينفع من لم يؤمن قبل الغرغرة شيء- أو يأتي أمر ربك أيها النبي الكريم: بعذابهم في الدنيا وهلاكهم، أو بعلامة لا يقبل بعدها إيمان؟! مثلما فعلوا فعل الذين من قبلهم -كعاد وثمود وغيرهما: ظلوا مكذبين- وليس ظلما من الله -هلاكهم في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما جميعا- ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر والمعاصي، فاستجلبوا العقاب. ٣٣

فأصابهم جزاء ما عملوا من عمل سيئ -عقابا مستحقا- ونزل بهم وأحاط ما كانوا به -من عذاب- يستهزئون. ٣٤

ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ
ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭۚ بَلَىٰٓ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُوا۟ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى
هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾
جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ
لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾
ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ
ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن
تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن
شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ
حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾
وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ
وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

وزعم الذين أشركوا -محتجين بمشيئة الله- أن لو شاء الله ما عبدوا من دونه من شيء -أشركوه به- هم ولا أسلافهم، ولا حرموا من دونه من شيء -مشرعين بأهواء وآراء مجردة، بها حكموا- مثلما فعلوا فعل الذين من قبلهم -كعاد وثمود وغيرهما- فهل على الرسل إلا البلاغ الواضح: ليس هداية أحد؟ ٣٥

فائدة! تحريم ما أحل الله -كوضع قوانين تجرم زواج القادرين على النكاح قبل بلوغ عمر معين- شرك.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ تَجريمَ الحلالِ ... مِنَ الكُفرِ البَواحِ؟ ألا نَثورُ؟!

ولقد بعث الله في كل أمة رسولا -لإقامة الحجة عليهم كما قال تعالى ﴿ وما كنَّا مُعَذِّبين حتى نبعث رسولا ﴾ [الإسراء ١٥]، داعيا- أن اعبدوا الله -وحده- واجتنبوا الطاغوت -كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع مما يناقض أصل الإيمان، كرؤوس الضلال الذين لا يحكمون بما أنزل ربهم- فمنهم من وفق الله وأرشد -فآمن به، مجتنبا اتباع أو طاعة أو موالاة الطاغوت، وعمل صالحا- ومنهم من وجبت عليه الضلالة -عن الحق، بسبب ظلمه نفسه، فلا تأمنوه- فتجولوا في الأرض -أيها الناس- فتأملوا كيف كان مصير المكذبين بأنبيائهم من الأمم السابقة وما حل بهم من عقاب. ٣٦

إن تحرص أيها النبي الكريم -باذلا جهدك، والدعاة من أمتك- على هداهم فإن الله لا يوفق ولا يرشد من يضل -فقد سبق عليهم حكمه بالضلال- وليس لهم من ينصرهم ويدفع عنهم عذابه سبحانه. ٣٧

وأقسم المكذبون بأنبيائهم بالله أغلظ الأيمان: لا يبعث الله من يموت، بلى! يبعث الله من يموت من الناس، وعدا عليه حقا صادقا واقعا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك سهل على الله يسير. ٣٨

ليبين لهم الذي يختلفون فيه -في الدنيا، فيتضح لهم ألا شريك له، وأنه يبعث عباده ويحاسبهم، وغير ذلك مما جاءت به الأنبياء- يبعثهم سبحانه، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين في جدال الأنبياء وفي ادعاء أن لله شركاء وفي اتباع وطاعة وموالاة طواغيتهم وفي إنكار البعث والحساب. ٣٩

إنما أمر الله لشيء إذا أراده سبحانه أن يأمره الله بالتَّكُّون فيكون، لا يستعصي عليه ولا يمتنع منه. ٤٠

والذين هاجروا -إلى حيث لا يفتنون في دينهم- في الله -حصرا، طالبين رضاه ليس إلا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه. ﴾ [البخاري ١ * مسلم ١٩٠٧ * أبو داود ٢٢٠١ * الترمذي ١٦٤٧ * النسائي ٧٥ * ابن ماجة ٤٢٢٧ * أحمد ١٦٨]- من بعد ما جرى ظلمهم -ومن جملة ذلك التضييق عليهم- لينزلنهم الله في الدنيا مسكنا حسنا عزيزا واسعا رزقه كما قال تعالى ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مُراغَما كثيرا وسَعَة ﴾ [النساء ١٠٠]، وليوفقنهم لما يحب ويرضى، ولثواب -أعمالهم في- الآخرة أكبر -من الدنيا وما فيها كما قال تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قُرَّة أعيُن جزاء بما كانوا يعملون. ﴾ [السجدة ١٧]- لو كان أهل الظلم يعلمون ذلك، ولو كان المتقاعسون عن هجرة وجبت يعلمون ثواب المهاجرين. ٤١

الذين صبروا على طاعة الله وأقداره، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أحوالهم: يمدحهم الله. ٤٢

وما أرسل الله من قبلك أيها النبي الكريم إلا رجالا -ليسوا ملائكة ولا جنا، ولا إناثا- يوحي سبحانه
إليهم -وأنت أحدهم- فاسألوا أهل الذكر -القرآن، أيها الناس- إن كنتم لا تعلمون أمرا من الأمور. ٤٣
فائدة! يلزم عوام المسلمين إذا جهلوا شيئا من أمر دينهم سؤال أهل الذكر -أهل القرآن كما قال تعالى
﴿ إنا نحن نزّلنا الذّكر وإنا له لحافظون. ﴾ [الحِجر ٩] ومعه السنة تحوي تفاصيل كثيرة، وهي من
الوحي كما ورد عن النبي ﷺ من حديث المقدام بن معديكرب ﷺ ﴿ ألا إني أوتيت الكتاب ومثله
معه ﴾ [أبو داود ٤٦٠٤ ★ أحمد ١٧١٧٤]- والعمل بقولهم وتجنب الأهواء والآراء المجردة.

ونَسألُ أهلَ ذِكرٍ إنْ جَهِلنا ... بما قالوا خُذوا، نِعمَ المُشيرُ

بالأدلة الجلية البينة على صدقهم والكتب السماوية -أرسلهم الله- وأنزل سبحانه إليك الذكر -القرآن،
فهو تذكير للخلق بما فيه صلاحهم، ومعه السنة تحوي كثيرا من التفاصيل- لتبين للناس ما نزل إليهم
-من توحيد الله وبعث وحساب وأحكام وشرائع وغير ذلك، فيتضح جليا- ورجاء أن يتفكروا. ٤٤
أفأمن الذين مكروا السيئات -مستفرغين وسعهم في رد الحق وإثبات الباطل، بل والتآمر عليه ﷺ كما
قال تعالى ﴿ وإذ يَمكر بك الذين كفروا ليُثبِتوك أو يقتلوك أو يُخرجوك ﴾ [الأنفال ٣٠]، بعد ذلك-
أن يخسف الله بهم -كما فعل بقارون- الأرض؟ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بإتيانه؟ ٤٥
أو يأخذهم -بعذابه- حال سفرهم، أو حال اجتهادهم في تدبير الحيل؟ فما هم بفارين من الله. ٤٦
أو يأخذهم -بعذابه- حال خوفهم: متوقعين عذابه لكن لا يملكون دفعه؟ أو ينقصهم واحدا تلو الآخر
حتى يهلكوا جميعا دون معاجلة؟ فإن ربكم -أيها الناس- لشديد الرأفة، عظيم الرحمة بالتائبين. ٤٧
أولم ينظروا إلى ما خلق الله: متأملين؟ كل شيء تميل ظلاله يمنة ويسرة، سجدا لله وهم ذليلون. ٤٨
ولله -وحده دون سواه- يسجد -منقادا- كل ما في السماوات والأرض من كائنات تدب، والملائكة
كذلك يسجدون -مع منزلتهم الرفيعة، حيثما كانوا- وهم -عن السجود لله- لا يستكبرون. ٤٩
يخافون -مع منزلتهم الرفيعة- ربهم من فوقهم -على عرشه سبحانه، قاهرا لعباده جميعا كما قال تعالى
﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ [الأنعام ١٨ و٦١]- ويفعلون ما -به- يؤمرون: مباشرة، بغير جدال. ٥٠
ونهى الله عباده أن يتخذوا إلهين -معبودَين- اثنين، إنما هو إله واحد لا شريك له، فإياه فارهبوه. ٥١
ولله ما في السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وله الدين واجبا دائما لا يزول -إخلاصا وخضوعا
وطاعة- أفغير الله -أيها الناس- تتقون: أتحذرون غضب من ليس يضر أو ينفع؟! ٥٢
وما بكم من نعمة -أصابتكم، دينية كانت كمعرفة الحق واتباعه وعمل الخيرات ونحو ذلك، أو دنيوية
كالصحة والأمان والرزق ونحو ذلك- فمن الله -وحده دون سواه- ثم إذا نالكم الضرر فإليه -وحده دون
سواه- ترفعون أصواتكم مستغيثين. ٥٣
ثم إذا رفع -وحده دون سواه- الضرر عنكم إذا فريق منكم -فجأة، عوضا عن شكره- بربهم يشركون:
داعين وعابدين غيره! ٥٤

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ
ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾
أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ
أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ
فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ
رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ
يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾
وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ
وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ
ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا
كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجۡعَلُونَ
لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ
تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٥٨﴾
يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ
أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٠﴾
وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ
وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ
سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ وَتَصِفُ
أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ
وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ
فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾

ليكفروا بما أعطاهم سبحانه -فعاقبة شركهم أن جحدوا نعم الله بعد أن رفع عنهم ما نالهم من ضرر- فتمتعوا -أيها المشركون، بما أنتم فيه من ضلال في الدنيا- فسوف تعلمون عاقبة صنيعكم. ٥٥

ويجعلون لما لا يعلمون -أنه لا يعلم شيئا وليس يضر أو ينفع: الطاغوت كما قال تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل ٣٦]- نصيبا مما رزقهم الله -من أموال ووقت وجهد- قسما بالله العظيم لتسألن -أيها المشركون- عما كنتم تفترون على الله من كذب. ٥٦

ويجعلون لله البنات -ينسبون إليه أوثانا إناثا، وملائكة كما قال تعالى ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتَّخذ من الملائكة إناثا ﴾ [الإسراء ٤٠]- تنزه وتقدس، والذي يشتهون لهم: مفضلين الأولاد الذكور. ٥٧

وإذا بشر أحد هؤلاء المشركين بالأنثى -بأن ولدت له بنت- ظل وجهه -الذي تغير من الغم- مسودا، وهو مكظوم مليء بالحزن يكتم حزنه. ٥٨

يتخفى من القوم من جراء ما بشر به من خبر سيئ -لشدة حزنه وللعار الذي بزعمه أصابه، ثم لا يزال مترددا- أيترك ابنته -تعيش- على -ما في ذلك له من- إهانة وذل؟ أم يخفيها -حية!- في التراب؟ ألا سيئ ما يحكمون: ينسبون إلى الله ما يكرهون لأنفسهم، ويقتلون بناتهم بغير ذنب ولا جريرة. ٥٩

للذين لا يؤمنون بالآخرة -بالبعث إيمانا لا افتراء فيه على الله- الوصف السيئ -كفر وجهل بالله وشرك وكذب عليه سبحانه- ولله الوصف الأعلى كما قال تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى ١١]، وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٦٠

ولو يؤاخذ الله الناس ويعاتبهم بسبب ظلمهم أنفسهم بالكفر واقتراف الآثام وغيرهم بالصد عن الإيمان ما ترك على الأرض أي كائن يدب -ثم يبعثون كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ حتى إذا كانوا بالبيداء، خسف بهم، فقلنا: يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس؟ قال: نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكا واحدا، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم ﴾ [البخاري ٢١١٨ * مسلم ٢٨٨٤ * أحمد ٢٤٧٣٨]- ولكن يؤخرهم -فلا يستأصلهم في الدنيا- إلى حضور آجالهم والموت، فإذا جاء أجلهم -وهم عصاة لربهم- يستحيل أن يتأخر عذابهم -ولو- ساعة أو يتقدم، كذلك يستحيل أن يتأخر موت أحد أو يتقدم. ٦١

ويجعلون لله ما يكرهون -نسبته إليهم، من بنات- وتنطق ألسنتهم الكذب أن لهم -المنزلة- الحسنى -أحسن حال في الدنيا ثم الجنة إن صح أنهم يبعثون- حقا إن لهم النار، وإنهم -فيها- متروكون. ٦٢

قسما بالله العظيم لقد أرسل سبحانه -رسلا- إلى أمم من قبلك أيها النبي الكريم، فزين لهم الشيطان أعمالهم فاستحسنوا خداعه لهم، فهو وليهم اليوم -في الدنيا يطيعونه ويتبعونه، وليستنصروه يوم القيامة إن كان يستطيع دفع أو تغيير ما هم حتما صائرون إليه- ولهم -في الآخرة- عذاب أليم. ٦٣

وما أنزل الله عليك القرآن إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه -فيتضح لهم ألا شريك له، وأنه يبعث عباده ويحاسبهم، وغير ذلك من أحكام وشرائع- وهداية من الضلال ورحمة لقوم -به وبالسنة- يؤمنون. ٦٤

والله أنزل من السماء مطرا، فأحيا به الأرض -بأن أخرج النبات- بعد موتها وجفافها، إن في ذلك لآية دالة على كمال قدرة الخالق لقوم يسمعون: سماع وعي وفهم وانتفاع. ٦٥

وإن لكم -أيها الناس- في الأنعام -من إبل وبقر وغنم- لعبرة وعظة، يسقيكم سبحانه مما في بطون إناثه من بين بقايا طعام في كروشها ودم لبنا خالصا -من حمرة الدم ومن قذارة ما في تلك الكروش- سهلا بلعه -يطيب- للشاربين. ٦٦

ومن ثمار النخيل والأعناب -لكم كذلك عبرة وعظة، يسقيكم سبحانه خمرا مما- تتخذون منه مسكرا -قيل نزول الآية كان قبل تحريم الخمر- ورزقا حسنا -واسعا حلالا، تمرا وعنبا وزبيبا ودبسا وغير ذلك- إن في ذلك لآية دالة على كمال قدرة الخالق لمن لهم عقول يعملونها فيفهموا بها. ٦٧

وألهم ربك أيها النبي الكريم النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا، ومن -تجاويف- الشجر، ومما يعرش الناس: من مزارع وبساتين. ٦٨

ثم تأكل من جميع أنواع الثمار، فتسلك طرق ربها التي ذللها -لها-، وعلمها أن تدخلها لطلب الرزق في الجبال والأشجار وغير ذلك- مطيعة ذليلة، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه -عسل النحل- فيه شفاء للناس -به تعالج بعض الأمراض، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية بنار، وأنهى أمتي عن الكي. ﴾ [البخاري ٥٦٨٠ * ابن ماجة ٣٤٩١ * أحمد ٢٢٠٨]- إن في ذلك لآية دالة على كمال قدرة الخالق ليتفكر فيها أناس فيعتبروا، فينتفعوا بها وينفعوا. ٦٩

والله خلقكم -أيها الناس، من عدم- ثم -بعد استيفاء آجالكم- يتوفاكم، ومنكم من يمتد عمره إلى أردأ مراحل العمر لكي لا يستطيع تحصيل مزيد علم وقد يصير إلى خرف، إن الله عليم لا يخفى عليه شيء، قدير لا يعجزه شيء. ٧٠

والله فضل بعضكم على بعض في الرزق -فجعلكم متفاوتين: غني وفقير، مالك ومملوك، ونحو ذلك- فليس الذين فضلوا بجاعلي ما رزقهم الله من فضله لما ملكوا من عبيد وإماء حتى يتساووا فيه: فكيف إذًا يساوي المشركون مخلوق بخالقه ويعبدونه معه؟ أليس الأولى أن يساوي المالك نفسه بمملوكه، وكلاهما مخلوق؟! أفبنعم الله -ومن أعظمها أن جعلهم عبادا له وحده- يجحدون: فيشركون بالله؟ ٧١

والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا -من النساء، حواء عليها السلام من زوجها آدم عليه السلام، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع ﴾ [البخاري ٣٣٣١ * مسلم ١٤٦٨ * أحمد ١٠٤٤٨]- وجعل لكم من -جماع- أزواجكم بنين، وأحفادا -أولاد أولادكم- ورزقكم من طيبات المآكل وغيرها، أفبالباطل -وبطواغيتهم عديمة الفائدة- يؤمنون، وبنعم الله -التي لا تعد ولا تحصي كما قال تعالى ﴿ وإن تعُدُّوا نِعمة الله لا تُحصُوها إنَّ الإنسان لظلوم كَفَّار ﴾ [إبراهيم ٣٤]، ومن أعظمها إرسال النبي ﷺ- هم يكفرون: كفرا عظيما وجحودا بنعمه، فيشركون بالله؟ ٧٢

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ
أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ
بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ
ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾
وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا
وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات -بإنزال مطر- والأرض -بإخراج نبات، إذ لا تملك طواغيتهم عديمة الفائدة من أمر الرزق- شيئا -قليلا ولا كثيرا- ولا -تصرفا- يستطيعون. **٧٣**
فلا تضربوا -أيها الناس- لله الأمثال -فهو ليس مثل ملوك الدنيا تحتاجون من يدخلكم عليهم- إن الله يعلم -كل أمر- وأنتم لا تعلمون أن طواغيتكم لا تقربكم إليه، بل توسلكم بهم شرك به سبحانه. **٧٤**
ضرب الله مثلا: عبدا مملوكا لا يقدر على -التصرف في- شيء، ومن رزقه الله من جهته سبحانه رزقا حسنا -واسعا حلالا، وهو حر- فهو ينفق منه -في وجوه الخير- سرا وجهرا، هل يستوي العبد والمنفق الحر؟ فكيف إذًا تستوي طواغيت لا تملك من أمرها شيئا والله الخالق الرازق القدير؟ أيستوي مخلوق وخالقه فيعبد معه؟ أليس أولى أن يستوي الحر والعبد إذ أن كلاهما مخلوق؟! كامل الثناء على الله، بل أكثرهم -مشركون- لا يعلمون ذلك ولا ما فيه صالحهم، إما لجهل أو لعناد. **٧٥**
وضرب الله مثلا: رجلين، أحدهما أبكم -لا ينطق- لا يقدر على -التصرف في- شيء، وهو حمل ثقيل ووبال على من يتولى أمره، كلما جرى تكليفه بأمر أو إرشاده إلى شيء فيه صالحه لا يتمكن من تحصيله، هل يستوي هو ومن يأمر -الناس- بالعدل -والاستقامة، مع كونه سليم النطق والفهم- وهو على طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إلى الله وجنته: دين قويم بغير إفراط ولا تفريط؟ كذلك لا يستوي ما يعبد المشركون من دون الله من طواغيت عديمة الفائدة والله الخالق الرازق القدير. **٧٦**
ولله -وحده دون سواه- غيب السماوات والأرض -يعلمه جميعه- وما أمر الساعة -فالقيامة وقت قيامها من جملة ما غاب عن خلقه سبحانه كما قال تعالى ﴿ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله ﴾ [الأحزاب ٦٣]- إلا كالنظر الخاطف أو هو أقرب -فهي تأتي على غرة دون مقدمات كما قال تعالى ﴿ لا تأتيكم إلا بغتة ﴾ [الأعراف ١٨٧]- إن الله قدرته مطلقة لا يعجزه شيء. **٧٧**
فائدة! موت المرء ساعته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم، فقال: إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم. ﴾ [البخاري ٦٥١١ * مسلم ٢٩٥٢]، وسؤاله هو كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿ كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم، واسألوا له بالتثبيت، فإنه الآن يُسأل. ﴾ [أبو داود ٣٢٢١].

وموتُ المَرءِ ساعتُهُ فتوبوا ... ويُسألُ حينَها قالَ النَّذيرُ

والله أخرجكم -أيها الناس- من بطون أمهاتكم -أطفالا- لا تعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والأبصار والقلوب -لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا، فتعلموا، وتعملوا- رجاء أن تشكروه على نعمه ورحمته بكم. **٧٨**
ألم ينظروا إلى الطير -متأملين، إذ هي- مذللات -مهيآت للطيران- في كبد السماء -بعيدا جدا عن الأرض- ما يمسكهن -في الجو عن أن تسقط- إلا الله؟ إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لقوم يؤمنون بالله استدلالا بما يشاهدون. **٧٩**

والله جعل لكم من بيوتكم -المبنية- سكنا -تتخذونها مواضع استقرار- وجعل لكم من جلود الأنعام -من إبل وبقر وغنم- بيوتا -كالخيام ونحوها- تستخفون حملها وقت ترحالكم، ووقت نزولكم ومبيتكم يسهل نصبها، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا -لبيوتكم، جعله لكم- وتمتعا -بما تصنعون منها، من ثياب وأكسية ونحو ذلك- إلى حين: تلفها أو رغبتكم عنها، أو موتكم أو انقضاء الدنيا. **٨٠**
والله جعل لكم مما خلق -من تلال وأشجار وسحاب وأبنية وجدران وغير ذلك- ظلالا -تستظلون بها من الحر- وجعل لكم من الجبال أكنانا -من مغارات وكهوف ونحو ذلك، تستكنون بها مستترين من البرد والحر والمطر والعواصف والعدو، بل وتعتزلون عن البشر إن أردتم- وجعل لكم ألبسة تدفع عنكم الحر -والبرد- وألبسة -من دروع وسترات وأقنعة واقية ونحو ذلك- تدفع عنكم ضرر استهداف بعضكم بعضا، مثل ذلك الإتمام يتم -سبحانه- نعمه عليكم -الدينية كمعرفة الحق واتباعه وعمل الخيرات ونحو ذلك، والدنيوية كالصحة والأمان والرزق ونحو ذلك- رجاء أن تسلموا وتنقادوا له سبحانه. **٨١**
فائدة! اتخاذ الدروع وأدوات الوقاية إعداد يغفل عنه الكثير، خاصة في المواجهات غير العسكرية مع الأنظمة الطاغوتية، لما يروجه البعض من هراء "ضرورة مواجهة الظلم سلميا، بصدور عارية!".

وقالَ التافِهُ: انتَفِضوا بِسِلمٍ! ... وصَدرٍ لا يُغَطِّيهِ الذُّكورُ!

فإن أعرضوا متنحين عن قبول الإسلام -وقد علموا أن الله قد أتم عليهم نعمه- فإنما عليك أيها النبي الكريم البلاغ الواضح: ليس هداية أحد. **٨٢**
يعرفون نعم الله -التي لا تعد ولا تحصي كما قال تعالى ﴿ وإن تعُدُّوا نِعمة الله لا تُحصُوها إنَّ الإنسان لظلوم كَفَّار ﴾ [إبراهيم ٣٤]، ومن أعظمها إرسال النبي ﷺ- ثم ينكرونها -عوضا عن أداء شكرها، فالقليل منهم يعمل عقله- وأكثرهم الكافرون: جحودا بنعم الله وآياته، ظلما وعنادا ليس جهلا، كصنيع قوم فرعون قبلهم كما قال تعالى ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعُلُوًّا ﴾ [النمل ١٤]. **٨٣**
واذكر أيها النبي الكريم يوم -القيامة، حين- يبعث الله من كل أمة شهيدا -نبيهم الذي عرفوه، ليشهد على أعمالهم- ثم لا يؤذن للذين كفروا -بالنطق، فكيف يعتذرون كما قال تعالى ﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون. ﴾ [المُرسَلات ٣٦]؟- ولا هم يردون إلى الدنيا ليعملوا ما يرضي الله. **٨٤**
وإذا رأى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر العذاب -يوم القيامة- فلا يخفف عنهم، ولا هم يمهلون ليتوبوا بعد أن مضى وقت الإمهال بانقضاء حياتهم الدنيا. **٨٥**
وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم -الذين أشركوهم بالله حاولوا إلقاء جرم شركهم عليهم، فلذلك- أخبروا ربهم أن هؤلاء شركاؤهم الذين كانوا يدعون ويعبدون من دونه، فرد عليهم شركاؤهم -بأمر الله- مخبرين أنهم -قطعا، في إلقاء جرم شركهم عليهم، وفي عبادة غير الله كما قال تعالى ﴿ واتَّخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عِزًّا. كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضِدًّا. ﴾ [مريم ٨١ ٨٢]- كاذبون. **٨٦**
وانقادوا إلى الله يومئذ مسالمين، وبطل كذبهم وخذلهم ما كانوا يفترون على الله من طواغيت. **٨٧**

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتًا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ
وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾
وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ
ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ
عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ
ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا
وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ
شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٨٤﴾
وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ
يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ
رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ
فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى
ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٨٧﴾

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا
فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي
كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ
شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ
شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ * إِنَّ ٱللَّهَ
يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ
ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠
وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ
بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ
غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا
بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ
بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٩٢
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن
يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٣

الذين كفروا وصدوا عن طريق الله -والإيمان بأنبيائه- زادهم سبحانه عذابا -لأنهم أضلوا غيرهم- فوق العذاب -الذي أعده لمن كفر به- بسبب فسادهم وإفسادهم: ضلوا وأضلوا بكفرهم من اتبعهم. **٨٨**

واذكر أيها النبي الكريم يوم -القيامة، حين- يبعث الله في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم -نبيهم الذي يعرفونه، ليشهد على أعمالهم- وجاء سبحانه بك شهيدا على هؤلاء -الأمم جميعها- ونزل الله عليك القرآن تبيانا لكل شيء -ففيه كثير مما يحتاجه العباد، ثم يحيل إلى السنة التي هي كذلك من الوحي كما ورد عن النبي ﷺ من حديث المقدام بن معديكرب رضي الله عنه ﴿ ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ﴾ [أبو داود ٤٦٠٤ * أحمد ١٧١٧٤]، وقد أمر الله في القرآن باتباعه ﷺ والعمل بسنته كما قال تعالى ﴿ قل إن كنتم تُحبُّون الله فاتَّبعوني يُحبِبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [آل عمران ٣١]- وهداية -القرآن، ومعه السنة- من الضلال ورحمة وبشرى للمسلمين بما ينتظرهم من نعيم. **٨٩**

إن الله يأمر بالعدل -في أداء حقوقه سبحانه بغير إفراط ولا تفريط، وحقوق عباده بغير جور ولا محاباة- والإحسان -استحبابا، في عبادته وفي معاملة عباده- وإعطاء الأقارب -بصلتهم والقيام باحتياجاتهم بحسب القدرة- وينهى عما هو مستفحش من الذنوب -كالزنا كما قال تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ﴾ [الإسراء ٣٢] وغيره- والمنكرات -مما أنكره الشرع ونهى عنه كالظلم، وأعظم الظلم الشرك كما قال تعالى ﴿ إنَّ الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان ١٣]- والبغي -من اعتداء على دماء الناس أو أعراضهم، أو شيء من أموالهم، أو التكبر عليهم- يأمركم -سبحانه- محذرا، رجاء أن تذكروا: أيها الناس عاقبة أمركم، فتتعظوا. **٩٠**

والتزموا الوفاء بما عاهدتم الله عليه -ومن جملته الوفاء بعهودكم مع الناس- إذا عاهدتم، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها -فتحنثوا وقد أقسمتم بالله، اتباعا للأهواء والشهوات، إلا أن تروا خيرا مما أقسمتم عليه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ﴿ وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ثم أرى خيرا منها إلا كفرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير ﴾ [البخاري ٣١٣٣ * مسلم ١٦٤٩ * أبو داود ٣٢٧٦ * النسائي ٣٧٨٠ * ابن ماجة ٢١٠٧ * أحمد ١٩٥٥٨]- وقد جعلتم الله عليكم -وعلى ما أقسمتم عليه شاهدا وله ضامنا- كفيلا، إن الله يعلم ما تفعلون، وسيجازيكم به. **٩١**

ولا تكونوا -بعدم الوفاء بعهودكم ونقض الأيمان سفهاء- كالتي نقضت غزلها من بعد إحكام -فتعبت في غزله، ثم في نقضه! فجعلته- قطعا، تتخذون أيمانكم خديعة بينكم -في حال- أن تكون جماعة هي أكثر من جماعة: عددا أو عدة أو مالا، لا تغدروا بهم بعد معاهدتهم وتوكيد الأيمان والقسم بالله إن بدا لكم أن أعداءهم أكثر نفعا لكم، إنما يبلوكم الله -مختبرا، بما يأمركم- به -وبما عنه ينهاكم- وليبينن يوم القيامة للمختلفين ما تجاهله بعضهم: في الدنيا، ألا نجاة إلا لمؤمن به متبع لأنبيائه. **٩٢**

ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة -على دين واحد- ولكن يضل من يشاء -عن الحق بعدله، وقد أقام الحجة- ويوفق ويرشد من يشاء، ولتسألن -في الآخرة- عما كنتم -في الدنيا- تعملون: ذلك آت. **٩٣**

ولا تتخذوا أيمانكم خديعة بينكم -بعد أن بايعتم النبي ﷺ- فتزل أقدام بعد ثبوتها -على طريق الحق ونصرة الدين- وتذوقوا ما يسوء بسبب صدكم -أنفسكم، وغيركم ممن يقتدي بكم، أو ممن ينفر من أفعالكم!- عن طريق الله -والإيمان بنبيه- ولكم -في الآخرة، إن فعلتم ذلك- عذاب عظيم. **٩٤**

ولا تشتروا بعهد الله -فتنقضوه- قليلا من حطام الدنيا من مال أو جاه، إنما عند الله -من نصر وغنيمة وعزة وتمكين في الدنيا، ونعيم في الآخرة- هو خير لكم وأفضل، إن كنتم تعلمون قدر الله وقدرته. **٩٥**

ما عندكم -في الدنيا، مهما بلغ- ينفد، وما عند الله -في الآخرة من جزاء- باق -دائم، لا زوال له- وليجزين سبحانه الذين صبروا على طاعته وأقداره ثوابهم -في الآخرة- بأحسن ما كانوا يعملون كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ [النمل ٨٩ ۞ القصص ٨٤]. **٩٦**

من عمل صالحا، ذكرا كان أو أنثى، وهو مؤمن كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [مسلم ٨ ٭ أبو داود ٤٦٩٥ ٭ الترمذي ٢٦١٠ ٭ النسائي ٤٩٩٠ ٭ ابن ماجة ٦٣ ٭ أحمد ٣٦٧] فليحيينه الله حياة طيبة -في الدنيا بالإيمان والتوفيق للطاعة والطمأنينة والرزق الحلال والقناعة ونحو ذلك، وفي الآخرة بالجنة- وليجزينهم سبحانه ثوابهم -في الآخرة- بأحسن ما كانوا يعملون. **٩٧**

فائدة! الإيمان بالله مع العمل الصالح يؤدي إلى حياة طيبة في الدنيا والآخرة.

وإنْ نؤمِنْ بخالقِنا الشَّكورِ ... ونَعمَلْ صالحًا تَطِبِ الأمورُ

فإذا قرأت أيها النبي الكريم -وكل فرد من أمتك- القرآن فاستعذ -قبل الشروع في قراءته- بالله -ملتجئا إليه- من -وساوس- الشيطان المطرود المبعد. **٩٨**

إنه -الشيطان: مع كونه ضعيفة مكائده- ليس له برهان يقنع الذين آمنوا وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أحوالهم بعصيان ربهم، ولا قوة قاهرة يتسلط بها عليهم فيجبرهم على ذلك. **٩٩**

فائدة! الإيمان بالله مع حسن التوكل والاعتماد عليه في جميع الأحوال يبطل مفعول وسوسة الشيطان.

على اللهِ التَّوكُّلُ واستَعيذوا ... بهِ فرَجيمُ جنٍّ لا يَغورُ!

إنما تسلط الشيطان -بالوساوس يكون- على الذين ينصرونه ويعينونه -باتخاذه وليا يطيعونه في إغوائه لهم- والذين هم بسببه -لطاعته في إغوائه لهم بالله- مشركون. **١٠٠**

وإذا بدل الله آية -من القرآن- مكان آية والله أعلم بما ينزل -وبما ينسخ، فيبطل حكمه ويغيره كما قال تعالى ﴿ ما ننسخ من آية أو نُنسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ [البقرة ١٠٦]- زعموا أيها النبي الكريم أنما أنت -حاشاك- مفتر على الله كاذب، بل أكثرهم لا يعلمون حكمة الله في تبديل الآيات. **١٠١**

أخبرهم أن نزله المَلَك جبريل عليه السلام من -عند، وبأمر- ربك بالحق -لا شك فيه، مشتملا على الحق محفوظا في إنزاله من الشياطين- ليثبت الذين آمنوا -على الإيمان، إذا عرفوا ما في تبديل الآيات من مصالح لهم- وهداية -القرآن، ومعه السنة- من الضلال وبشرى للمسلمين بما ينتظرهم من نعيم. **١٠٢**

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ
ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ
عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ
يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم
بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا
مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ
وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾
فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾
إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ
هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ
وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۢۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ
لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ
لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ
ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾
مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ
مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ
صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى
ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ
وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ
وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾

ولقد يعلم الله أنهم يزعمون أنما يعلم النبي ﷺ -القرآن ليس المَلَك جبريل عليه السلام، بل- بشر -قرأ كتب سابقة، كالتوراة والإنجيل- لسان الذي -يتحدث به من- يميلون عن الحق إليه -زاعمين أنه يعلمه- أعجمي -غير فصيح! فكيف تلقاه النبي ﷺ منه؟- وهذا -القرآن- لسان عربي واضح. **١٠٣**

إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يوفقهم ولا يرشدهم الله -ما داموا على ما هم عليه من عناد: يخالفون النبي ﷺ فيما جاء به، ويلقون شبهات ليشككوا في صدقه- ولهم -في الآخرة- عذاب أليم. **١٠٤**

إنما يفتري الكذب -ليس الذين آمنوا، بل- الذين لا يؤمنون بآيات الله، وهؤلاء هم بالغو الكذب. **١٠٥**

من كفر بالله من بعد إيمانه -هم بالغو الكذب- إلا من جرى إكراهه -على الكفر إكراها معتبرا- وقلبه مطمئن بالإيمان -لم تهتز عقيدته، فهذا مؤمن ليس بمرتد- ولكن من شرح بالكفر صدرا -باعتقاد، أو قول أو فعل زائد عما ينجيه، متعمدا- فعليهم غضب من الله، ولهم -في الآخرة- عذاب عظيم. **١٠٦**

فائدة! من ضوابط الإكراه على الكفر ألا يكون للمكره مخرج، وأن يغلب على ظنه الضرر البالغ -كبتر طرف ونحو ذلك- والصبر أفضل كما ورد عن النبي ﷺ من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه ﴿ شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون. ﴾ [البخاري **٣٦١٢** ★ أبو داود **٢٦٤٩** ★ أحمد **٢١٠٥٧**].

يَجوزُ النُّطقُ بالكُفرِ المؤدِّي ... لِدَفعِ عظيمِ ضُرٍّ، أم صَبيرُ؟

ذلك -الارتداد عن الإسلام، فالعذاب من الله- بسبب أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة -فقط، فدعكم ممن اشترط استحلال أو غيره- وأن الله لا يوفق ولا يرشد القوم الكافرين: إذ اتبعوا الهوى. **١٠٧**

هؤلاء -المرتدون عن الإسلام- الذين طبع الله على قلوبهم -فأغلقها تماما فغدت لا يدخلها إيمان ولا تعي خيرا- وسمعهم -فليسوا يسمعون سماع وعي وفهم وانتفاع- وأبصارهم -فليسوا يبصرون الحق رغم وضوحه- وهؤلاء هم الغافلون: المتناهون في الغفلة عما ينفعهم من إيمان وتقوى وعبادة. **١٠٨**

حقا إنهم في الآخرة هم بالغو الخسران الهالكون. **١٠٩**

ثم إن ربك أيها النبي الكريم للذين هاجروا -إلى حيث لا يفتنون في دينهم- من بعد ما فتنوا -فعذبهم الكفار، أو فتنوا في دينهم فارتدوا كعبد الله بن أبي السرح رضي الله عنه ثم تابوا- ثم جاهدوا -بالنفس والمال واللسان والرأي والعلم- وصبروا على طاعة الله وأقداره، إن ربك من بعدها لواسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بهم: كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكرِه ﴾ إلى قوله ﴿ لهم عذاب عظيم ﴾ فنسخ واستثنى من ذلك فقال: ﴿ ثم إنَّ ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنوا ثم جاهدوا وصبروا إنَّ ربك من بعدها لغفور رحيم. ﴾ ﴾ [النسائي **٤٠٦٩**]. **١١٠**

اذكر أيها النبي الكريم يوم -القيامة، حين- تأتي كل نفس تجادل -مدافعة- عن نفسها -لا تهتم لغير ذاتها- وتعطى كل نفس جزاء ما عملت من عمل وافيا، وهم -عند الله- لا يظلمون. ١١١

وضرب الله مثلا: قرية كانت آمنة -كما كانت مكة آمنة لا يخاف أهلها- مطمئنة -مستقرة لا ينزعج أهلها- يأتيها رزقها واسعا -إذ يجلب الناس التجارة إليها- من كل مكان، فكفر أهلها بنعم -قليلة مما أنعم عليهم- الله -عوضا عن أداء شكرها، ومن جملة نعم الله إرسال الأنبياء، ومن كفر نعمه التكذيب بهم- فأذاقهم الله الجوع والخوف الظاهر عليهم -هزالا وفزعا- بسبب ما كانوا يصنعون. ١١٢

ولقد جاءهم رسول منهم -يعرفون حاله ونسبه وصدقه، أرسله الله إليهم، تماما كما أرسل محمدا ﷺ إلى أهل مكة- فكذبوه، فأخذهم العذاب -نازلا من الله- وهم ظالمون لأنفسهم بتعريضها لسخط الله بسبب كفرهم وعدم شكرهم نعم الله ولرسولهم بتكذيبه ولغيرهم بالصد عن الإيمان. ١١٣

فكلوا مما رزقكم الله -يا أيها الذين آمنوا، مباح ما أحل لكم، مما كان كسبه- حلالا -وليس مأخوذا بغير حق- طيبا -غير خبيث من النبات والحيوان- واشكروا نعم الله -كالغنائم التي قد أحلها لكم، ولا تجحدوا أيًّا من نعمه، بل استعينوا بها على طاعته- إن كنتم إياه -وحده دون سواه- تعبدون. ١١٤

إنما حرم عليكم ما فارقه الروح من غير تذكية -بإزهاق الروح عمدا بالذبح، فلا تتناولوه، باستثناء ميتة الجراد وكائنات الماء- والدم -المسفوح السائل، أما ما يبقى في اللحم والأعضاء والعروق بعد الذبح فمعفو عنه- ولحم الخنزير، وما لغير الله ذبح -كالذي يذبح للأصنام والأوثان كالقبور ونحو ذلك، وما يذكر غير اسم الله عليه عند ذبحه- فمن دعته الضرورة -أو الإكراه إلى أكل محرم، وهو- غير طالب لذلك المحرم مع قدرته على المباح، ولا متجاوز للقدر الضروري الذي يقيه الضرر فإن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة به. ١١٥

ولا تحللوا أو تحرموا -من تلقاء أنفسكم- بوصف كاذب من ألسنتكم -فلا تتكلموا في الدين بآرائكم وأهوائكم المجردة بغير علم، فتضلوا أنفسكم أو غيركم، وتصيروا معتدين متجاوزين لحدود الله كما قال تعالى ﴿ وإنَّ كثيرا لَّيُضِلون بأهوائهم بغير علم إنَّ ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ [الأنعام ١١٩]، زاعمين أن- هذا حلال وهذا حرام، لتفتروا على الله الكذب -فعاقبة كلامكم في الدين بغير علم سيؤول بكم إلى أن تسندوا إلى الله ما لم يأت به- إن الذين يفترون على الله الكذب لا نجاة لهم ولا فوز. ١١٦

يتمتعون قليلا -فالدنيا فانية، ثم تزول- ولهم -في الآخرة- عذاب أليم. ١١٧

وعلى اليهود حرم الله ما قص سبحانه عليك أيها النبي الكريم من قبل -كما قال تعالى ﴿ وعلى الذين هادوا حرَّمنا كل ذي ظُفُر ومن البقر والغنم حرَّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون. ﴾ [الأنعام ١٤٦]- وليس ظلما منه سبحانه -تحريم بعض الأطعمة التي كانت حلالا لهم- ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ببغيهم وصدهم أنفسهم وغيرهم عن دين الله صدا كثيرا ملازما لهم، فاستجلبوا العقاب، وزالت النعم. ١١٨

* يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن
كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ
رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾
فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ
ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ
هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ١١٩ إِنَّ
إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠
شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١
وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢
ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ
فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٢٤ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ
وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥
وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن
صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ
إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧
إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨

ثم إن ربك للذين عملوا العمل السيئ بجهالة -لعمله عالمين أنهم يعصون الله- ثم تابوا من بعد ذلك -العمل السيئ الذي عملوا، ومن التوبة رد المظالم إلى أهلها، أو طلب المسامحة- وأصلحوا ظاهرهم وباطنهم وما فسد من أحوالهم، إن ربك من بعدها لواسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. **١١٩**

إن إبراهيم كان أمة -إماما معلما، غزير العلم والخير- قانتا -مطيعا خشوعا- لله، حنيفا مائلا عن جميع الأديان الباطلة إلى الإسلام، ولم يك من المشركين ولا علاقة له بهم وإن زعموا أنهم على ملته. **١٢٠**

شاكرا لنعمه -التي أنعم الله عليه، وإن كان لا يستطيع أن يشكرها جميعها- اختاره -سبحانه- وجعله من خاصته، ووفقه وأرشده إلى طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إليه وجنته. **١٢١**

وأعطاه الله في الدنيا رزقا حسنا -فلما يحب ويرضى وفقه، وأجاب دعاءه كما قال تعالى ﴿ رب هَبْ لي حُكما وألحقني بالصالحين. ﴾ [الشعراء ٨٣]- وإنه في الآخرة لمن الصالحين. **١٢٢**

ثم أوحى سبحانه إليك أيها النبي الكريم أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا مائلا عن جميع الأديان الباطلة إلى الإسلام، وما كان من المشركين ولا شأن له بهم وإن زعموا أنهم على ملته. **١٢٣**

فائدة! الولاء للمؤمنين والبراء من أهل الكفر من ملة إبراهيم عليه السلام التي أمرنا الله باتباعها: كما قال تعالى ﴿ قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا بُرآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [الممتحنة ٤].

وَنَبرأُ مِنْ كَفورٍ لا نُوالي ... فإبراهيمُ مِلَّتُهُ طَهورُ

إنما جعل -تعظيم- السبت -فرضا- على الذين اختلفوا فيه -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع: اليهود غدا، والنصارى بعد غد. ﴾ [البخاري ٨٧٦ * مسلم ٨٥٥ * النسائي ١٣٦٧ * ابن ماجة ١٠٨٣ * أحمد ٧٢١٤]، إذ زعم اليهود أنه أفضل من الجمعة- وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون: فيجازي كلا بما قدم. **١٢٤**

ادع -والدعاة من أمتك- إلى طريق ربك بالحكمة -تبعا لحال المدعو، بالعلم لا بالجهل- والموعظة الحسنة -المشتملة على ما تيسر لك من حجج قطعية وظنية، وترغيب وترهيب- وجادلهم -محاورا- بأحسن قول وفكر وأدب، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن طريقه، وهو أعلم بالقابلين للهداية. **١٢٥**

وإن أردتم أن تعاقبوا -أيها المؤمنون، معتد على بدن أو مال- فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به -لا تتجاوزوه- ولئن صبرتم -حال قدرتكم، على معتد أهل للمغفرة- لهو خير للصابرين وأفضل: من الانتصاف. **١٢٦**

واصبر أيها النبي الكريم -وكل فرد من أمتك- على طاعة الله وأقداره، وما صبرك إلا بتوفيق الله وتثبيته، ولا تحزن على تكذيبهم ولا على من مات كافرا، ولا يضق صدرك بما يعملون من مكر وتآمر. **١٢٧**

إن الله مع الذين اتقوا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والذين هم محسنون في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق بالعون والتأييد. **١٢٨**

* سورة الإسراء *

* من أسمائها بنو إسرائيل، وهي مكية *

تنزه وتقدس -الله- الذي أسرى بعبده -ورسوله، محمد ﷺ، فسار بروحه وجسده- ليلا من المسجد الحرام -في مكة- إلى المسجد الأقصى -في بيت المقدس- الذي بارك سبحانه حوله -بجعله منازل صالحين، وبسريان الأنهار وإخراج الثمار على أكمل وجه- ليريه الله -نزرا- من آياته سبحانه الدالة على كمال قدرته، إنه هو السميع لكافة ما يقول عباده، البصير الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. ١

وأعطى الله موسى التوراة، وجعله سبحانه -موسى عليه السلام، والتوراة- هداية لبني إسرائيل من الضلال -آمرا- ألا تتخذوا من دونه -سبحانه- وكيلا تعتمدون عليه. ٢

ذرية من حمل الله -في السفينة، فأنجى من الغرق- مع نوح -أنتم يا بني إسرائيل، من هؤلاء، فتذكروا نعم الله عليكم، واقتدوا بسلفكم واشكروا الله على نعمه- إنه -نوح عليه السلام- كان عبدا شكورا. ٣

وأوحى الله إلى بني إسرائيل في التوراة ليفسدن في الأرض -بمخالفة شرع الله والمكر والخديعة وصد الناس عن الحق- مرتين، وليتكبرن تكبرا كبيرا: مستكبرين عن طاعة الله، مستعلين على عباده بالظلم والبغي، معتدين على دمائهم وأعراضهم وأموالهم بغير حق، متكبرين عليهم. ٤

فإذا جاءت بوادر أولى عصرَي إفساد يهود بعث الله عليكم -أيها المسلمون، مسلطا- عبادا له سبحانه أهل شدة شديدة -في الحرب، يبدو أنهم الروم الصليبيون بأممهم المختلفة منذ عهد نابليون بونابرت- فطافوا خلال دياركم -وداروا في أرضكم مفسدين- وكان -ذلك- وعدا مفعولا: واقعا لا محالة. ٥

ثم رد الله لكم -أيها المسلمون- الغلبة عليهم، وأمددكم سبحانه بأموال وبنين، وجعلكم الله -وذلك وعد مفعول، حين ترجعون إلى دينكم ليس قبل، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم. ﴾ [أبو داود ٣٤٦٢ * أحمد ٤٨٢٥]- أكثر عددا واستعدادا للقتال. ٦

إن أحسنتم -أيها المسلمون، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾ [البخاري ٥٠ * مسلم ٩ * أبو داود ٤٦٩٨ * النسائي ٤٩٩١ * ابن ماجة ٦٤ * أحمد ٩٥٠١]- أحسنتم لأنفسكم -فالنفع عائد عليكم- وإن أسأتم -نياتكم أو أعمالكم- فلها -الإساءة، والضرر- فإذا جاءت بوادر عصر إفساد يهود الآخر -يبدو أنه وعد تسلطهم مع المسيح الدجال، إذ لا علو لليهود إلا بمساندة غيرهم كالصليبيين والدجال وغيرهم كما قال تعالى ﴿ ضُربت عليهم الذِّلَّة أين ما ثُقِفوا إلا بِحَبل من الله وحَبل من الناس ﴾ [آل عمران ١١٢]، جاءوكم- ليفعلوا بكم ما يظهر آثار المساءة على وجوهكم، وليدخلوا المسجد -الأقصى- كما دخلوه أول مرة -عصر إفسادهم الأول- وليدمروا إهلاكا مدة علوهم ما غلبوا عليه من بلادكم تماما. ٧

سُورَةُ الإِسۡرَاءِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى
ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ
هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ٢
ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣
وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا
بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ
ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ
عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦
إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا
جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ٧

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ
أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ
مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾
مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ
مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

ربكم -أيها المسلمون- سيرحمكم -بلطفه، فتنتصرون على اليهود والدجال برحمته، لا نصر عليهم إلا بذلك- وإن عدتم -إلى طاعته، عاملين بشرعه- عاد الله -بنصره لكم وعونه وتأييده- وجعل الله جهنم للكافرين -اليهود ومن والاهم والدجال، ومن عطل العمل بشرع الله- محبسا وفراشا لا يفارقونه أبدا. ٨

إن هذا القرآن يوفق ويرشد لأقوم الطرق وأبلغها -الإسلام، الدين الحق- ويبشر المؤمنين الذين يعملون -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة أن لهم ثوابا كبيرا: الجنة. ٩

وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة -بالبعث إيمانا لا افتراء فيه على الله- أعد سبحانه لهم عذابا أليما. ١٠

ويدع الإنسان -لفرط جهله- بالشر -على نفسه أو زوجه أو ولده أو ماله خاصة عند الغضب، مثل- دعاءه -سبحانه- بالخير -ولو استجاب الله دعاءه بالشر لهلك كما قال تعالى ﴿ ولو يُعجِّل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقُضِيَ إليهم أجلهم ﴾ [يونس ١١]- وكان الإنسان عجولا يستثقل الصبر. ١١

وجعل الله الليل والنهار آيتين دالتين على كمال قدرته، فمحى الله آية الليل -بجعله مظلما- وجعل الله آية النهار -واضحة- مضيئة -وعاقب بينهما- لتلتمسوا فضلا من ربكم -رزقا بالتجارة أو بغيرها يا عباد الله- ولتعلموا عدد السنين وحساب الأيام والشهور، وكل شيء -تحتاجون- فصله الله وبينه تماما. ١٢

وكل إنسان جعل الله ما طار عنه -فعمل من خير وشر- ملازما له ملازمة القلادة للعنق -حتى يحاسبه عليه- ويخرج الله له يوم القيامة كتابا -فيه جميع عمله: كل صغيرة وكبيرة- يجده مفتوحا مبسوطا. ١٣

اقرأ -أيها الإنسان- كتابك: يقال له، كفى بنفسك اليوم على نفسك حاسبا شاهدا. ١٤

فائدة! حساب الله للمؤمنين إحسان وفضل منه سبحانه لا مناقشة وعدل كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ من حوسب عذب، قالت عائشة: فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿ فسوف يُحاسب حسابا يسيرا. ﴾؟ قالت: فقال: إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك. ﴾ [البخاري ١٠٣ * مسلم ٢٨٧٦ * أبو داود ٣٠٩٣ * الترمذي ٢٤٢٦ * أحمد ٢٤٢٠٠].

على الإحسانِ والفضلِ الحِسابُ ... لأهلِ الدِّينِ، قَدْ هَلَكَ الفَجورُ

من اهتدى وآمن فإنما النفع له، ومن ضل وكفر فإنما الضرر عليه لا يتعداه، ولا تجازى نفس بذنب غيرها، وما كان الله معذبا سبحانه حتى يبعث سبحانه رسولا: يقيم على عباده الحجة. ١٥

فائدة! يعذر بالجهل مسلم لم يبلغه حكم الدين في مسألة فقهية، ولا يعذر من أعرض عن تعلمها.

بِجَهلٍ يَعذُرُ الخَلْقَ البصيرُ ... وأعرَضَ جاهِلٌ فَلهُ السعيرُ

وإذا أراد الله أن يهلك قرية أمر الله منعميها الذين أبطرهم الترف -بطاعته، وزادهم عددا- ففسقوا فيها وخرجوا عن طاعته، فنفذ القضاء والقدر ووجب عليها العذاب، فدمرها سبحانه تماما. ١٦

وما أكثرها الأمم المتتالية -الفاسقة الخارجة عن طاعته- التي أهلكها الله -كعاد وثمود وغيرهما- من بعد -أن أهلك قوم- نوح، وكفى بربك أيها النبي الكريم بذنوب عباده خبيرا بصيرا: ليس يخفى عليه شيء مما أظهروا منها أو أبطنوا، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. ١٧

من كان يريد -بالأعمال الصالحة، كالصدقة ونحوها المنفعة- العاجلة عجل الله له في الدنيا -من حطامها الزائل- ما يشاء سبحانه -تعجيله- لمن يريد الله -التعجيل له- ثم جعل سبحانه له جهنم، يقاسي حرها مذموما لعدم إخلاصه واختيار الدنيا على الآخرة، مبعدا عن رحمة الله. **١٨**

ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها -فعمل الصالحات مخلصا نيته- وهو مؤمن كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب ﷺ ﴿ فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [مسلم **٨** ★ أبو داود **٤٦٩٥** ★ الترمذي **٢٦١٠** ★ النسائي **٤٩٩٠** ★ ابن ماجة **٦٣** ★ أحمد **٣٦٧**] فهؤلاء كان سعيهم مشكورا وعملهم مقبولا. **١٩**

كلا -من الفريقين، من أراد الدنيا ومن أراد الآخرة- يزيد ربك دون انقطاع، هؤلاء وهؤلاء، من عطائه، وما كان عطاء ربك أيها النبي الكريم -في الدنيا، عن أحد، مؤمنا كان أو كافرا- محظورا ممنوعا. **٢٠**

تأمل -وكل فرد من أمتك، ولا سيما أهل العقول الرزينة- كيف فضل الله -في عطائه الدنيوي- بعض عباده على بعض؟ وللآخرة أكبر مراتب -في العطاء، من الدنيا- وأكبر -للمؤمنين- تفضيلا. **٢١**

لا تجعل -أيها المخلوق- مع الله إلها آخر -تشركه به- فتقعد -عما يصلحك، فتصير- مذموما لكفرك وعصيان ربك، مخذولا منه سبحانه، لا مغيث لك ولا ناصر. **٢٢**

وقضى ربك -آمرا، أيها العباد- ألا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحسانا -بالأقوال والأفعال، إكراما وعطفا- إما يبلغن عندك -أيها العبد المسلم، في رعايتك- الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تتأفف من أي منهما -في ضجر، ولا تتفوه أو تتصرف بما يشير إلى شيء من ذلك- ولا تزجرهما ولا تغلظ على أي منهما في قول أو فعل، وتلطف لهما في القول بكلام كريم طيب. **٢٣**

وتواضع لهما ذلا وانصياعا من الرحمة بهما والرفق، وادع ربك أن يرحمهما من أجل وبمقدار ما ربياك -إذ كنت- صغيرا: فليحذر من لا يحسن تربية أبنائه فقد تنقلب دعوتهم له، فتصير عليه! **٢٤**

فائدة! لا تطلب الرحمة لوالدين ماتا كافرَين كما قال تعالى ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قُربى من بعد ما تبيَّن لهم أنهم أصحاب الجحيم. ﴾ [التوبة ١١٣]، إذ قد تبين أنهما من أصحاب الجحيم، وليحذر من لا يحسن تربية أبنائه أن تنقلب دعوتهم له فتصير عليه.

ولا نَدعو لوالدٍ كَفورٍ ... قَضَت، وإذا تَرَبَّوا لنْ يُبيروا!

ربكم أعلم بما في نفوسكم -أيها العباد من إخلاص وعدمه، وتوبة من الإثم أو إصرار عليه وغير ذلك- إن تكونوا صالحين -قاصدين الصلاح- فإنه كان لكثيري الرجوع بالتوبة واسع ودائم المغفرة. **٢٥**

وأعط -أيها المسلم- الأقارب حقهم -فصل الرحم، وأعطهم ما يحتاجون من نفقة ونحو ذلك، هم- والمساكين والأغراب المسافرين المنقطعة نفقتهم، ولا تبذر تبذيرا: منفقا المال في غير موضعه. **٢٦**

إن المبذرين كانوا -بطاعة أمرهم لهم بإنفاق المال في غير موضعه- إخوان الشياطين، وكان الشيطان لربه عظيم الكفران لا يشكر نعمه، ولا يوسوس إلا بشر محض لا خير فيه البتة. **٢٧**

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ
ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ
سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ
عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ
فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ
تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا
مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ
إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ
أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا
جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ
فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ
كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا
مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا
كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ
أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ
خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ
سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ
وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي
ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي
هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ
مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ
ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ
ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ
ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾

وإما تعرضن منصرفا عن الأقارب والمساكين والأغراب المسافرين ملتمسا رحمة من ربك ترجوها -ليس عندك شيء: تنتظر رزقه- فتلطف لهم في القول بكلام ميسور لين كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ والكلمة الطيبة صدقة ﴾ [البخاري ٢٩٨٩ * مسلم ١٠٠٩ * أحمد ٨١٨٣]. **٢٨**

ولا تجعل -أيها المسلم- يدك مغلولة إلى عنقك -فتبخل على نفسك أو من تعول- ولا توسعها مبالغا في الإنفاق فتقعد -عما يصلحك -عما يصلحك، فتصير- ملوما من نفسك والناس على فعلك، فارغ اليد فقيرا. **٢٩**

إن ربك يوسع في الرزق لمن يشاء -كافرا كان أو مؤمنا- ويضيق على من يشاء -فسعة الرزق ليست كرامة وضيقه ليس إهانة- إنه كان بعباده خبيرا بصيرا: ليس يخفى عليه شيء مما يظهرون أو يبطنون، يعلم أحوالهم ويدبر أمورهم. **٣٠**

ولا تقتلوا أولادكم خشية فقر، الله يرزق سبحانه الأولاد والآباء، إن قتلهم كان خطأ متعمدا كبيرا. **٣١**

ولا تقربوا -أيها المسلمون- الزنا -فاجتنبوا مقدماته والوسائل الموصلة إليه، ومن جملتها إطلاق النظر إلى المحرمات- إنه كان فاحشة، وسيئ طريق ومنهج ومصير من يسلكه. **٣٢**

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله -قتلها- إلا بالحق -بل هو كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ﴿ لا يحل دم رجل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة. ﴾ [البخاري ٦٨٧٨ * مسلم ١٦٧٦ * أبو داود ٤٣٥٢ * الترمذي ١٤٠٢ * النسائي ٤٧٢١ * ابن ماجة ٢٥٣٤ * أحمد ٣٦٢١]- ومن تم قتله مظلوما -بغير حق- فقد جعل الله لولي دمه سلطانا -على القاتل، فله أن يقتص أو يأخذ الدية أو يعفو دون دية- فلا يسرف -إن اختار القصاص- في القتل -فلا يقتل بطريقة أبشع ولا يقتل غير من قتل ولا يمثل- إنه كان منصورا: حق على الإمام المسلم فهو لا يحكم إلا بما أنزل الله أن يسلمه القاتل. **٣٣**

ولا تتعرضوا لمال اليتيم بوجه من الوجوه، إلا بالذي يصلحه ويحفظه وينميه، حتى يكتمل عقله وقوته -فيصل سن البلوغ وتعلموا منه الرشد كما قال تعالى ﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ [النساء ٦]- والتزموا الوفاء بما عاهدتم -الله أو الناس- عليه، إن -صاحب- العهد كان -يوم القيامة، على مدى التزامه بالوفاء بعهوده- مسئولا. **٣٤**

واستقيموا في أخذ وإعطاء إذا تاجرتم واعدلوا، ذلك -العمل- خير -وأربح- وأفضل، وأحسن مآلا. **٣٥**

ولا تتبع -أيها الإنسان- ما ليس لك به علم -بل أعرض عما لا أصل له كما قال تعالى ﴿ وما يَتَّبِع أكثرهم إلا ظنًّا إنَّ الظنَّ لا يُغني من الحق شيئا ﴾ [يونس ٣٦]، وتثبت مما تقول وتفعل- إن السمع والبصر والقلب -المتوقد- كل هؤلاء كان -الإنسان، يوم القيامة- عما استخدمهم فيه مسئولا. **٣٦**

ولا تمش في الأرض مختالا مفتخرا، إنك -باختيالك وتفاخرك على الناس- لن تخرق الأرض -بشق أو بثقب- ولن تطاول الجبال ولن تبلغ ارتفاعها: فقدراتك محدودة، فعلام التكبر والاختيال إذًا؟! **٣٧**

كل ذلك -المأمور به والمنهي عنه- كان السيئ منه عند ربك مكروها لا يرضاه سبحانه. **٣٨**

ذلك -المأمور به والمنهي عنه- مما أوحى إليك ربك أيها النبي الكريم من الأحكام المحكمة -التي ليس يتطرق إليها فساد- ولا تجعل -ولا أحد من أمتك- مع الله إلها آخر -تشركه به، حاشاك- فتلقى في جهنم ملوما من نفسك والناس على فعلك، مبعدا عن رحمة الله. **٣٩**

أفاختار لكم ربكم الصفوة واختصكم بالبنين -أيها المشركون- واتخذ -لنفسه، بزعمكم- من الملائكة إناثا: عدهم بنات له؟ إنكم لتزعمون زعما عظيما: بالغ العظم في القبح والجرأة على الله! **٤٠**

ولقد نوع الله -بالأمثال والمواعظ- في هذا القرآن ليذكر الخلق، وما يزيدهم -التذكير، فأكثرهم كما قال تعالى ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين. ﴾ [يوسف ١٠٣]- إلا نفورا وتباعدا: فاتبعوا الحق عباد الله! لا الظنون والآراء المجردة والأغلبية العددية كما قال تعالى ﴿ وإن تُطع أكثر من في الأرض يُضلوك عن سبيل الله إن يَتَّبعون إلا الظنَّ وإن هم إلا يَخرصون. ﴾ [الأنعام ١١٦]. **٤١**

أخبرهم أيها النبي الكريم أن لو كان معه -سبحانه- آلهة -تستحق العبادة- كما يزعم أهل الشرك إذًا لالتمسوا إلى صاحب العرش الملك الأعلى طريقا: يصلون به إلى ملكه ويصاولونه للاستيلاء عليه. **٤٢**

تنزه وتقدس وتباعد وارتفع عما يزعمون علوا -وارتفاعا وتباعدا- كبيرا. **٤٣**

تنزهه وتقدسه السماوات السبع والأرض ومن فيهن -ممن خلق سبحانه- وما من شيء -كائنا ما كان- إلا ينزهه ويقدسه متلبسا ومقرونا بالثناء عليه، ولكن لا تفقهون -أيها الناس، كيفية ولا لغة- تنزيههم وتقديسهم، إنه كان حليما لا يعاجل بعقاب، واسع ودائم المغفرة. **٤٤**

وإذا قرأت أيها النبي الكريم القرآن جعل الله بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة -بالبعث إيمانا لا افتراء فيه على الله- حجابا ساترا: يسترهم عن فهم وإدراك ما فيه من مواعظ. **٤٥**

وجعل الله على قلوبهم أغطية كراهة أن يفقهوه -القرآن، إذ تشبثوا بكفرهم- وفي آذانهم صمما -فلا يسمعون سماع وعي وفهم وانتفاع- وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده تنحوا مفارقين نفورا وتباعدا. **٤٦**

فائدة! المؤمنون تطمئن قلوبهم بذكر الله وتوحيده، والكفار ينفرون وتنقبض قلوبهم من توحيد الله كما قال تعالى ﴿ وإذا ذُكر الله وحده اشمأزَّت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ [الزُّمَر ٤٥].

قلوبٌ تَطمَئنُّ بِذِكرِ رَبِّي ... فلَسنا كالَّذينَ بِهِم ضُمورُ

الله أعلم بما يستمعون به -من استخفاف بك وبما أنزل الله- حين يستمعون إليك -وأنت تقرأ القرآن- وحين هم -فيما بينهم- يتناجون، حيث يخبر الظالمون لأنفسهم بالكفر -بعضهم بعضا- أن ما يتبعون -إن هم اتبعوك- إلا رجلا جرى سحره. **٤٧**

تأمل -وكل فرد من أمتك- كيف ضربوا لك الأمثال -في وصفك، فزعموا أنك حاشاك كاهن وشاعر وساحر ومسحور ومجنون، واقترحوا عليك بعض العجائب المادية- فضلوا -مبتعدين عن الحق وطريقه- فلا يستطيعون إيجاد مخرج لهم من تناقض وتضارب أقوالهم، ولا طريق إلى القدح في نبوتك. **٤٨**

وتساءلوا -مستنكرين- أئذا صاروا عظاما وترابا باليا أئنهم -للحساب- لمبعوثون خلقا جديدا؟ **٤٩**

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم
بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾
قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾
سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن
لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ
ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا
مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ
وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾
نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ
إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ
كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى
صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ
إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ
إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا
مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ
يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ
بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن
دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

أخبرهم أيها النبي الكريم أن يكونوا حجارة أو حديدا: ليس عظاما وترابا باليا فحسب. **٥٠**
أو خلقا -آخر- مما يكبر في صدورهم -مما هو أكبر عند منكري البعث أو أشد صلابة من الحجارة والحديد: حال أجسادهم بعد موتهم ليس يغير حقيقة أنهم مبعوثون، فالله لا يعجزه شيء- فسيسألون من -إلى الحياة- يعيدهم؟ أجبهم بأن -الله- الذي خلقهم أول مرة على غير مثال سابق، فسيحركون إليك رؤوسهم سخرية واستهزاء، ويسألون متى البعث؟ أجبهم بأن لعله يكون قريبا: كل آت قريب. **٥١**
يوم يدعوهم -خالقهم وسيدهم سبحانه، للحساب- فيستجيبون -منقادين لأمره- مثنين عليه -له كامل الثناء- ويظنون -عندما يعاينون القيامة، أنهم- ما مكثوا -في الدنيا، ثم في البرزخ بين الموت والبعث كما قال تعالى ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون ﴾ [المؤمنون ١٠٠]- إلا قليلا: من الزمن. **٥٢**
ومر عباد الله -أهل الإيمان- أن يحاوروا بأحسن قول وفكر وأدب، إن الشيطان يفسد بوسوسته بينهم -وبين غيرهم- إن الشيطان كان للإنسان عدوا ظاهر العداوة لا يريد إلا الوصول به إلى عذاب الله. **٥٣**
فائدة! على الدعاة والعاملين للإسلام محاورة الخلق ودعوتهم بأحسن قول وفكر وأدب، فنحن بحاجة إلى توجيه الناس، ولسنا بحاجة إلى قبيح ألفاظ أو سوء معاملة.

ونَدعو خَلْقَ ربِّي بالهُدوءِ ... مُحاوَرةً وفِكرًا قَدْ يُنيرُ

ربكم -أيها الناس- أعلم بكم -لا يخفى عليه شيء من أحوالكم- إن يشأ يرحمكم -يوفقكم للإيمان وصالح الأعمال- أو إن يشأ يعذبكم -يضلكم إذًا عن الحق وطريقه- وما أرسلك سبحانه أيها النبي الكريم عليهم وكيلا: فتراقبهم، بل هو كما قال تعالى ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ [الشورى ٤٨]. **٥٤**
وربك أعلم بمن في السماوات والأرض -من مخلوقات، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم- ولقد فضل سبحانه بعض الأنبياء على بعض -بمزيد من مزايا الكمال- وأعطى الله داود زبورا: كتابا سماويا. **٥٥**
أخبر الكفار أن يدعوا الذين زعموا -أنهم آلهة، كالجن والملائكة وعزير والمسيح ﷺ وغيرهم، فعبدوا- من دونه -سبحانه- فلا تملك طواغيتهم رفع الضرر عنهم -إن أصابهم- ولا -له- تحويلا. **٥٦**
هؤلاء الذين يدعون ويعبدون يلتمسون إلى ربهم الوسائل -فقد أسلموا، كما جاء على لسان عبد الله بن مسعود ﷺ ﴿ كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الجن، فأسلم النفر من الجن، واستمسك الإنس بعبادتهم، فنزلت: ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ ﴾ [البخاري ٤٧١٤ ★ مسلم ٣٠٣٠]، فتقرب إلى ربك أيها الإنسان بما شرع لك، دون أي وسيط، بل ويتنافس الذين يدعون- أيهم -إليه- أقرب، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، إن عذاب ربك كان جديرا بأن يحذره الخلق. **٥٧**
فائدة! محبة الله ورجاؤه وخوفه من العبادات القلبية: تنبعث من القلب، وتظهر آثارها على الجوارح.

عِباداتُ القلوبِ رجاءُ ربِّي ... وخَوفٌ بالمَحبَّةِ يا غفورُ

وما من قرية -من القرى الظالمة- إلا الله مهلكها سبحانه قبل يوم القيامة -فيستأصل أهلها إذا استشرى ظلمهم- أو معذبها سبحانه عذابا شديدا، كان ذلك -المصير- في اللوح المحفوظ مكتوبا. **٥٨**

وما منع الله -وهو القادر- أن يرسل سبحانه بالآيات -فترك إنزالها، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا، ونؤمن بك، قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم، قال: فدعا فأتاه جبريل، فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: بل باب التوبة والرحمة. ﴾ [أحمد ٢١٦٦]- إلا أن كذبت بها الأمم السابقة، وأعطى الله ثمود الناقة -آية واضحة- مضيئة، فظلموا بها -وقتلوها بكفرهم، فاستحقوا المعاجلة بالعقوبة- وما يرسل سبحانه بالآيات إلا تخويفا: فإن لم يؤمن من اقترحها أهلكه الله. ٥٩

واذكر حين أخبرك سبحانه أن ربك أحاط -علما وقدرة- بالناس -فهو مانعك منهم- وما جعل سبحانه الرؤيا التي أراك الله إلا فتنة للناس -واختبارا: أيؤمنون أن شجرة لا تحترق كما قال تعالى ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم. ﴾ [الصافات ٦٤]؟- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ قال: هي رؤيا عين، أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به، ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ﴾ شجرة الزقوم. ﴾ [البخاري ٤٧١٦ * الترمذي ٣١٣٤ * أحمد ١٩١٦]، ويخوفهم الله بالآيات، فما يزيدهم -تخويفه- إلا طغيانا كبيرا: وتجاوزا لكل حد. ٦٠

واذكر حين أمر سبحانه الملائكة أن يسجدوا لآدم -تحية وتقديرا، ليس عبادة- فسجدوا -مطيعين- إلا إبليس -هو كما قال تعالى ﴿ وإذ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾ [الكهف ٥٠]- سأل -إبليس- أيسجد لمن خلق -سبحانه- طينا: من طين! يصح هذا؟ ٦١

سأل -إبليس الله في الاستكبار- أن يخبره: هذا -المخلوق- الذي كرم -سبحانه- عليه؟ من ثم أردف مقسما لئن أخره -سبحانه، فأبقاه حيا- إلى يوم القيامة ليقودن ذريته -إلى الضلال، مستوليا على بني آدم- إلا قليلا: ممن أخلصوا دينهم لله واستخلصهم الله واصطفاهم لنفسه، لن يستطيع إضلالهم. ٦٢

أخبره -سبحانه- أن يذهب -ممهلا كما سأل، وليفعل ما يستطيع- فمن تبعه منهم -فأطاعه وعصى الله- فإن جهنم جزاؤهم -جميعا، إبليس وذريته وأتباعه من الجن والإنس- جزاء وافرا مدخرا لهم. ٦٣

وأخبره أن يستفزز من استطاع منهم -داعيا- بصوته، ويجمع عليهم فرسانه ومشاته -أعوانه- ويشاركهم في الأموال والأولاد -بحثهم على الإثم: ربا وعدم تأديب أولاد وغير ذلك- ويعدهم -بباطل من جملته أن يخوفهم بأنصاره جهاد أعداء الله كما قال تعالى ﴿ إنما ذلكم الشيطان يُخوِّف أولياءه فلا تخافوهم وخافونِ ﴾ [آل عمران ١٧٥]- وما يعدهم الشيطان -في الواقع- إلا غرورا يغرهم به ويخدعهم. ٦٤

إن عباد الله ليس لإبليس عليهم برهان يقنعهم بعصيانه -سبحانه، حق عليه قد أوجبه على نفسه- ولا قوة قاهرة يتسلط بها عليهم فيجبرهم، وكفى بربك أيها النبي الكريم وكيلا يعتمد عليه. ٦٥

ربكم -أيها الناس، هو وحده- الذي يسوق برفق لكم السفن في المياه، لتلتمسوا من فضله -بالصيد والغوص والتجارة وغير ذلك، ولتنتفعوا بالتنقل- إنه كان بكم -خاصة إن آمنتم- عظيم الرحمة. ٦٦

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ
وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَاۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا
ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ
فِى ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ
قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ
مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ
فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى
ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا
نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧ أَفَأَمِنتُمۡ
أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ
لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ٦٨ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً
أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ
ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ٦٩ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ
ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ يَوۡمَ نَدۡعُواْ
كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ
يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ٧١ وَمَن كَانَ
فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢ وَإِن
كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ
عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ
لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ
ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥

وإذا نالكم -أيها المشركون- الضرر في المياه -حال ركوبكم السفن، فخشيتم الغرق والهلاك- ضل -عن خاطركم، فنسيتم- من تدعون وتعبدون، إلا إياه -سبحانه، فاستغثتم به وحده- فلما نجاكم إلى البر أعرضتم منصرفين عن توحيده، وكان الإنسان عظيم الكفران بنعم ربه لا يشكر ما سلف منها. **٦٧**

أفأمنتم -أيها المشركون، بعد هذا الكفران بنعم الله- أن يخسف بكم -كما فعل بقارون- جانب البر -بعد إذ نجاكم إليه- أو يرسل عليكم -من السماء أو بواسطة الريح- برد أو حصى أو حجارة؟ ثم لا تجدوا لكم -إن أخذكم سبحانه بعذابه- وكيلا تعتمدون عليه؟ **٦٨**

أم أمنتم -بعد هذا الكفران بنعم الله- أن يعيدكم في المياه -مستقرين، إذا اشتد احتياجكم إلى تنقل أو صيد أو غوص أو تجارة أو غير ذلك- مرة أخرى، فيرسل عليكم ريحا قوية قاصفة -تحطم سفنكم- فيغرقكم بسبب كفرانكم بنعمه؟ ثم لا تجدوا لكم على الله ثائرا مطالبا بتبعة ما فعل بكم. **٦٩**

ولقد كرم الله بني آدم -إذ خلق أباهم بيده، وعلمه الأسماء كلها، وأمر الملائكة بالسجود له، وخلق من أجل بنيه كل ما في الأرض، وأعطاهم العقل والعلم، وأنزل لهم لباسا يستر عوراتهم، وغير ذلك- وحملهم سبحانه -بما يسر لهم من أسباب، كظهور الدواب، والعقول والأيدي التي تستخدم لصناعة وسائل التنقل التي تحملهم- في البر والبحر -والجو، فلله الحمد والمنة- ورزقهم الله من طيبات المآكل وغيرها، وفضلهم الله على كثير ممن خلق سبحانه تفضيلا عظيما: أفلا يشكرون نعم الله؟ **٧٠**

يوم -القيامة- يدعو الله كل أناس -فريق من البشر- بإمامهم -الذي كانوا يقتدون به في الدنيا، فهنيئا لمن كان إمامه محمدا ﷺ، وبصحائف أعمالهم- فمن أعطي صحيفة عمله بيمينه فهؤلاء يقرؤون صحائف أعمالهم، ولا ينقص ثوابهم قدر خيط في نواة تمر. **٧١**

ومن كان في هذه -الدنيا- أعمى -البصيرة- فهو في الآخرة أعمى -البصر كما قال تعالى ﴿ قال رب لِمَ حشرتني أعمى ﴾ [طه ١٢٥]- وأشد -من العميان- ابتعادا عن الطريق القويم: فيقاد إلى النار. **٧٢**

وإن كاد المشركون ليفتنونك أيها النبي الكريم -ليصرفوك- عن الذي أوحى سبحانه إليك، لتفتري عليه سبحانه -فتتقول- غيره، وإذًا -لو وافقتهم، حاشاك- لاتخذوك صفيا خالص المحبة. **٧٣**

ولولا أن ثبتك سبحانه -على الحق- لقد كدت تميل إليهم -وإلى ما اقترحوا- شيئا قليلا. **٧٤**

فائدة! الدين لا يقوم بأهل تنازل، فادعو كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين أم سلمة ﵂ ﴿ كان أكثر دعائه: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ﴾ [الترمذي **٣٥٢٢** ⋆ أحمد **٢٦٦٧٩**].

تنازَلَ زاعمًا أنَّ التخَلِّي ... عَنِ الحقِّ انتِصارٌ! ذا ضَريرُ!

إذًا -لو ملت عن الحق إلى ما اقترحوا، حاشاك، ولو شيئا قليلا- لأذاقك الله عذابا مضاعفا في الحياة -الدنيا- وعذابا مضاعفا بعد الممات، ثم لا تجد لك على الله نصيرا ينصرك ويدفع عنك عذابه. **٧٥**

فائدة! خطأ العظيم عظيم: يقتدي به كثير من الخلق، ويصعب إقناعهم بعدها بالحق.

وأخطأَ قُدوَةٌ لِلخَلْقِ، هذا ... عظيمٌ، ضَلَّ خَلفَكُمُ الكثيرُ

وإن كاد المشركون ليستفزونك -بعداوتهم- من أرض مكة ليخرجوك منها كما قال تعالى ﴿ وإذ يَمكر
بك الذين كفروا ليُثبتوك أو يقتلوك أو يُخرجوك ﴾ [الأنفال ٣٠]، وإذًا -لو استطاعوا طردك ولم يمنعك
الله منهم إلى أن أمرك بالهجرة- لا يمكثون بعدك إلا قليلا: من الزمن، إذ وجبت لهم العقوبة. ٧٦
سنة من قد أرسل الله قبلك من رسله سبحانه -سنها: يعاقب الذين يخرجون رسولهم، ولم يستأصلهم
جميعا يوم بدر إذ هو أمرك بالهجرة- وما أجرى الله به العادة لا يمكن تحويله: عقابهم واقع. ٧٧
أد الصلاة وأظهر هيئتها وأدمها بشروطها -أيها المسلم- من زوال الشمس -ظهرا وعصرا- إلى اجتماع
ظلمة الليل -مغربا وعشاء- وقرآن الفجر -صلاة الصبح- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه ﴿ ﴿ وقرآن الفجر إنَّ قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ قال: تشهده ملائكة الليل والنهار. ﴾ [البخاري
٦٤٨ * مسلم ٦٤٩ * الترمذي ٣١٣٥ * النسائي ٤٨٦ * ابن ماجة ٦٧٠ * أحمد ٧١٨٥]. ٧٨
ومن الليل فتهجد بالقرآن -وكل فرد من أمتك، فصل متطوعا- نافلة لك، سيبعثك ربك -بلطفه- مقاما
يحمده عباده: شفيعا لهم، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ﴿ عسى أن يبعثك
ربك مقاما محمودا ﴾ سئل عنها، قال: هي الشفاعة. ﴾ [الترمذي ٣١٣٧ * أحمد ٩٦٨٤]. ٧٩
وادع ربك -وكل فرد من أمتك- أن يدخلك -فيما قدر من شؤون- مدخل صدق -فتطيعه ما حييت-
ويخرجك مخرج صدق، ويجعل لك من عنده برهانا قاطعا وقوة قاهرة ينصرك بها على مناوئيك. ٨٠
وأخبر الكفار أن جاء الحق -الإسلام، والجهاد، ونصر الله للدين وأهله- وتلاشى الباطل واضمحل، إن
الباطل -كفرا كان أو غير ذلك- كان متلاش مضمحل واه: ليس يثبت أمام الحق. ٨١
وينزل الله من القرآن ما هو شفاء -قلوب من الكفر والجهل والشك، وأبدان من الأسقام بالتعوذ والرقية-
ورحمة للمؤمنين -فالعاملين بآياته لهم الصلاح والفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، والمتدبرين والتالين
لهم عظيم الأجور- ولا يزيد الظالمين لأنفسهم بتكذيبه إلا خسارا: هم سائرون إلى هلاك محقق. ٨٢
وإذا أنعم الله على الإنسان -بالصحة أو الأمان أو الرزق أو غير ذلك- أعرض منصرفا عن الشكر وابتعد
متكبرا، وإذا ناله الشر -من مرض أو خوف أو فقر أو غير ذلك- كان كثير اليأس مستسلما له. ٨٣
أخبر الناس أن كل يعمل وفق ما يشابه حاله وخليقته، فربهم أعلم بمن هو أهدى -إليه- طريقا. ٨٤
ويسألك نفر من اليهود عن الروح كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ فمر
بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيء فيه بشيء
تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم، ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه
يوحى إليه، فقمت، فلما انجلى عنه قال: ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من
العلم إلا قليلا. ﴾ ﴾ [البخاري ١٢٥ * مسلم ٢٧٩٤ * الترمذي ٣١٤١ * أحمد ٣٦٨٨]. ٨٥
ولئن شاء الله ليذهبن سبحانه بالذي أوحى سبحانه إليك -ماحيا إياه من قلوب عباده ومن الكتب، فلا
يكون له أثر- ثم لا تجد لك برد ما قد ذهب به على الله وكيلا تعتمد عليه: فمن يملك رده؟! ٨٦

وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ
وَإِذٗا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا
قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ
ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ
إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ
بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحْمُودٗا ﴿٧٩﴾
وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٖ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٖ
وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ
ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ
شِفَآءٞ وَرَحْمَةٞ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾
وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ
ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلّٞ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلٗا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ
أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴿٨٧﴾ قُل
لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ
لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ
ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ
لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ
وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ
كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ
قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ
وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ
سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ
أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا
رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ
لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٩٦﴾

إلا رحمة من ربك -بك وبأهل الإيمان، لم يشأ أن يذهب بالذي أوحى إليك- إن فضله -سبحانه- كان عليك -وعلى أمتك- كبيرا: فقد ختم بك الرسل، وأنزل عليك القرآن والسنة ناسخَين لما قبلهما من كتب سماوية ومن شرائع كما قال تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مُصدقا لِما بين يديه من الكتاب ومُهيمنا عليه ﴾ [المائدة ٤٨]، وأعطاك مقام الشفاعة المحمود من عباده وغير ذلك. **٨٧**

تحدى أهل الكفر: لئن اجتمعت الإنس والجن -فأصروا- على أن يأتوا بمثل هذا القرآن -في الإعجاز والبلاغة وحسن النظم- لا يأتون بمثله -وليحاولوا إن أرادوا!- ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا معينا. **٨٨**

ولقد نوعَ الله للناس في هذا القرآن أمثالا متعددة -ليتذكروا ويتعظوا- فأبى أكثر الناس إلا كفورا: امتنعوا عن تصديقه، وجحدوا نعم الله، وظلوا على ما هم عليه من ضلال. **٨٩**

وأخبرك المشركون أيها النبي الكريم أن لن يطمئنوا لك ولن يصدقوك حتى تفجر لهم من أرض مكة عين ماء لا تنضب. **٩٠**

أو يكون لك بستان مديد الظل، فيه نخيل وعنب، فتفجر الأنهار خلالها -لنفسك- بقوة وغزارة. **٩١**

أو تسقط السماء كما زعمت -أنه سبحانه إن شاء أهلكهم- عليهم قطعا -من العذاب- أو تأتي بالله والملائكة -جميع أصنافهم ضامنين لك، عيانا- قبائل مجتمعة. **٩٢**

أو يكون لك بيت مزخرف -بالذهب- أو تصعد في السماء، ولن يطمئنوا لصعودك ولن يصدقوه -ولو عاينوه!- حتى تنزل عليهم -من السماء- كتابا -يدل على صدقك- يقرؤونه، سلهم أيها النبي الكريم -متعجبا- منزها ربك -عن أن يعجزه شيء مما اقترحوا- ومقدسا إياه هل كنت إلا بشرا -لست مَلَكا ولا جنيا- رسولا: من جملة من أرسلهم سبحانه، منتهى أمره أن يتبع ما يوحيه الله إليه كما قال تعالى ﴿ إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ وما أنا إلا نذير مبين ﴾ [الأحقاف ٩]؟! **٩٣**

فائدة! للمال عند أهل الكفر وأتباعهم من الفساق منزلة الآيات المعجزات كما جاء على لسان فرعون كما قال تعالى ﴿ فلولا أُلقيَ عليه أسَورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مُقترنين. ﴾ [الزخرف ٥٣].

جَعَلتُم مالَ فَردٍ أهلَ فِسقٍ ... بِمَنزِلَةِ الخَوارِقِ! يا حَميرُ!

وما منع الناس -من المشركين- أن يؤمنوا إذ جاءتهم الهداية -وأرسل الله إليهم رسولا- إلا أن تساءلوا -مستنكرين، مفترضين السوء كما قال تعالى ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصُدُّونا عمَّا كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ﴾ [إبراهيم ١٠]- أبعث الله -من جنس البشر- بشرا رسولا؟ **٩٤**

أخبرهم أن لو كان في الأرض ملائكة يمشون -لا أجنحة لهم ولا يستطيعون النفاذ إلى السماء لسماع ما يجب عليهم معرفته والعمل به، بل يقيمون في الأرض- مطمئنين -مستقرين فيها مستوطنين- لنزل سبحانه عليهم من السماء -من جنس الملائكة- مَلَكا رسولا: تطيق قواهم رؤيته وسماعه. **٩٥**

أخبرهم أيها النبي الكريم أن كفى بالله شاهدا بينك وبينهم على صدقك، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا: ليس يخفى عليه شيء مما يظهرون أو يبطنون، يعلم أحوالهم ويدبر أمورهم. **٩٦**

ومن يوفق الله ويرشد فهو المهتد -إلى العمل الصالح الموجب لجزاء حسن- ومن يضلل فلن تجد لهم أنصارا وأعوانا من دونه -ينفعونهم أو يدفعون عنهم عذابه- ويجمعهم سبحانه يوم القيامة -مسحوبين- على وجوههم، عميا -لا يبصرون- وبكما -لا ينطقون- وصما -لا يسمعون- مستقرهم جهنم، كلما خبت -فسكن لهيبها، دون تخفيف عذاب كما قال تعالى ﴿ خالدين فيها لا يُخفَّف عنهم العذاب ولا هم يُنظَرون. ﴾ [البقرة ١٦٢ ۞ آل عمران ٨٨]- زادهم سبحانه اشتعالا في النار المستعرة. **٩٧**
ذلك -المصير- جزاؤهم بسبب أنهم كفروا بآيات الله -المنزلة والكونية والعقلية- وتساءلوا -مستنكرين- أئذا صاروا عظاما وترابا باليا أئنهم -للحساب- لمبعوثون خلقا جديدا؟ **٩٨**
أولم يعلم منكرو البعث -يقينا- أن الله الذي خلق السماوات والأرض -وخلقهما أمر عظيم كما قال تعالى ﴿ لَخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ [غافر ٥٧]- قادر على أن يخلق مثلهم: وخلق البشر أسهل؟ وجعل لهم وقتا محددا لا ريب فيه -وزاد بركة عمر من يصل الأرحام كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه. ﴾ [البخاري ٢٠٦٧ * مسلم ٢٥٥٧ * أبو داود ١٦٩٣ * أحمد ١٢٥٨٨] ثم يموتون ثم يبعثون للحساب- فأبى الظالمون لأنفسهم بإنكار البعث إلا كفورا: إذ تعنتوا وأنكروه رغم وضوح الأدلة. **٩٩**
أخبرهم أيها النبي الكريم أن لو هم يملكون خزائن رحمة ربك -وأرزاقه وفضله- إذًا لأمسكوا -شحا من جهتهم وبخلا، وجهلا بالعواقب- خشية -الفقر الذي قد يصيبهم من جراء- الإنفاق، وكان الإنسان -ولا سيما الذي لا يرجو ثوابا من الله- بخيلا ممسكا. **١٠٠**
ولقد أعطى الله موسى تسع آيات بينات وأدلة جلية -على صدق نبوته، قيل هي عصاه ويده ولسانه، والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وشق البحر- فاسأل أيها النبي الكريم بني إسرائيل حين جاء أسلافهم -بالآيات- فكذبه فرعون مواجها موسى أنه -حقا- يظنه -بل يوقن أنه- جرى سحره. **١٠١**
أقسم -عليه السلام- لقد علم -فرعون، يقينا كما قال تعالى ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعُلُوًّا ﴾ [النمل ١٤] أن- ما أنزل هذه الآيات إلا رب السماوات والأرض: بينة ساطعة -يستدل بها من أراد الله له الهداية على عظيم قدرته- وأكد مواجها فرعون أنه -حقا- يظنه -بل يوقنه- مهلكا. **١٠٢**
فأراد أن يستفز -فرعون بعداوته- موسى عليه السلام وقومه بني إسرائيل من أرض مصر -فيقتلهم جميعا أو منها يخرجهم- فأغرقه الله ومن معه -من جنود- جميعا: لم يترك منهم أحدا. **١٠٣**
فائدة! أعوان الطواغيت من جنود وضباط شركاء لهم في جرائمهم كما قال تعالى ﴿ إنَّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ [القَصص ٨]، ولا اعتبار لكونهم مأمورين يعملون تحت "مظلة القانون".
أطاغوتًا وجُندُكُمُ البَغايا ... لكُمْ مِّنَّا حُروبٌ تَستطيرُ
وأمر الله من بعد هلاكه بني إسرائيل أن يسكنوا أرض الشام -كما قال تعالى ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدَّسة ﴾ [المائدة ٢١]- فإذا جاءت بوادر عصر إفساد يهود الآخر جاء سبحانه بهم خليطا. **١٠٤**

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
ٱلْإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ
هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾
وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾
قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ
عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ
وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ
خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ ۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ
ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ
بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الكَهْفِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾
قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾
مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾

وبالحق أنزله الله -قرآنا محفوظا في إنزاله من الشياطين- وبالحق نزل -مشتملا على الحق لا يتطرق إليه باطل- وما أرسلك الله أيها النبي الكريم إلا مبشرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للعصاة بالعقاب. ١٠٥

وقرآنا فرقه الله -فنزله منجما ليس دفعة واحدة ووضحه ليفرق بين الحق والباطل- لتقرأه على الناس على تمهل في التلاوة -فذلك أدعى للفهم والتدبر وأسهل للحفظ- ونزله الله شيئا فشيئا: تبعا للحاجة. ١٠٦

أخبر الكفار أن يؤمنوا بالقرآن، أو لا يؤمنوا -فلن يزيده إيمانهم به قدرا، ولن ينقصه كفرهم به منزلة- إن أهل العلم من قبله -الذين قرؤوا ما سبقه من كتب سماوية، كعبد الله بن سلام ﵁ وغيره ممن آمن من علماء أهل الكتاب- إذا يقرأ عليهم -القرآن- يسقطون على وجوههم -لله- سجدا. ١٠٧

وينزهون ربهم ويقدسونه، مؤكدين أن كان وعد ربهم -ببعث نبي خاتم- مفعولا: واقعا لا محالة. ١٠٨

ويسقطون على وجوههم -سجدا- يبكون، ويزيدهم -القرآن وتدبر آياته- خضوعا وللقلب حضورا. ١٠٩

أخبر أيها النبي الكريم أهل الإسلام أن يدعوا -بكلمة- الله أو يدعوا -بكلمة- الرحمن، أيًّا ما يدعوا -بهما، أو بغيرهما من أسمائه- فله الأسماء -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ إن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة. ﴾ [البخاري ٢٧٣٦ * مسلم ٢٦٧٧ * الترمذي ٣٥٠٨ * ابن ماجة ٣٨٦٠ * أحمد ٧٥٠٢]- الحسنى -دالة على جلاله وكماله- ولا تعلن بصلاتك كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس ﵄ ﴿ ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ أي بقراءتك، فيسمع المشركون، فيسبوا القرآن ﴿ ولا تُخافت بها ﴾ عن أصحابك، فلا يسمعوا ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ ﴾ [البخاري ٤٧٢٢ * مسلم ٤٤٦ * الترمذي ٣١٤٥ * النسائي ١٠١١ * أحمد ١٨٥٣]. ١١٠

وأثن على الله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك -أخبر الكفار مشركين وأهل كتاب بذلك- ولم يكن له ولي -يمنعه- من الذل -إذ ليس يصيبه ذل، سبحانه- وعظمه تعظيما تاما. ١١١

* سورة الكهف *

* مكية *

كامل الثناء على الله الذي أنزل على عبده -ورسوله، محمد ﷺ- القرآن، ولم يجعل له اعوجاجا: إذ ليس فيه أدنى اختلال أو التباس أو ميل عن الحق أو اضطراب أو تناقض أو ضعف مطابقة للواقع. ١

قيما ناسخا لما قبله من شرائع سماوية، مستقيما ثابت الاستقامة غير معوج لا اضطراب فيه ولا تناقض قائما على مصالح العباد، لينذر -الكفار والعصاة- عقابا شديدا من عند الله، ويبشر المؤمنين الذين يعملون -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة أن لهم ثوابا حسنا: الجنة. ٢

ماكثين -في الثواب الحسن في الآخرة، خالدين- فيه أبدا. ٣

وينذر الذين زعموا أن اتخذ الله ولدا بالعقاب: أهل الكتاب من يهود ونصارى قلدوا المشركين الذين افتروا تلك الفرية الشنيعة كما قال تعالى ﴿ وقالت اليهود عُزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يُضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنَّى يؤفكون. ﴾ [التوبة ٣٠]. ٤

ليس لديهم به أي علم -أن اتخذ الله ولدا- ولا لدى أسلافهم -الذين قلدوهم- كبرت -هكذا- كلمة يتناقلونها بأفواههم -وعظمت شناعتها، وعقوبتها- ما يتفوهون إلا بكذب لا أساس له من الصحة. ٥
فلعلك أيها النبي الكريم مجهد نفسك أو مهلكها على إثر إعراضهم عنك إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، أسفا: أحرصا على هدايتهم تغتم لئلا يموتوا كفارا؟ بل لا ينبغي لك ولا يكونن منك ذلك. ٦
إن الله جعل سبحانه ما على الأرض -من مخلوقات، ولا سيما أهل العلم- زينة لها، ليبلوهم الله -فهم عباده، وقد خلق من أجلهم ما في الأرض جميعا، إما للانتفاع والاستمتاع أو للاعتبار كما قال تعالى ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ﴾ [البقرة ٢٩]، مختبرا- أيهم أحسن -لله- عملا. ٧
وإن الله لجاعل سبحانه ما على الأرض ترابا قطع نباته: أفلا تزهدون في دنيا فانية طلبا لآخرة باقية؟ ٨
أم ظننت أيها النبي الكريم أن -قصة- أصحاب الكهف والرقيم -قيل هو المكان الذي خرجوا منه أو إليه، وقيل هو اللوح الذي كتبت فيه أسماؤهم، وقيل هو اسم كلبهم الذي رافقهم- كانوا من آيات الله ذات العجب؟ بل آياته سبحانه وخلقه ومعجزاته كذلك، وأعجب من ذلك. ٩
اذكر حين أوى الفتية إلى الكهف -فنزلوه متخذين منه مأوى- فدعوا ربهم أن يعطيهم من عنده رحمة -فلهم يغفر، ويرزقهم ويثبتهم وينجيهم- ويهيئ لهم من أمر هجرهم للكفار رشادا: إلى طريق الحق. ١٠
فضرب الله على آذانهم -بالنوم الثقيل المانع من وصول الأصوات- في الكهف سنين كثيرة. ١١
ثم بعثهم الله -موقظا من نوم طويل- ليظهر الله علمه: أي الحزبين -المتنازعين في مدة إقامتهم فيه: فتية الكهف أم أهل المدينة الذين استيقظ الفتية على عهدهم- أحصى -وأدق- لما مكثوا زمنا. ١٢
الله يقص سبحانه عليك أيها النبي الكريم خبرهم بالحق والصدق الذي لا مراء فيه، إنهم فتية -قليلو العدد- آمنوا بربهم، وزادهم سبحانه توفيقا وإرشادا: إلى الحق وطريقه، ومن ثم الثبات عليه. ١٣
وربط الله على قلوبهم -بجعلها قوية محتسبة ليثبتوا- حين قاموا -قيل بين يدي ملك كافر يأمر عباد الله بعبادة الطواغيت- فذكروا أن ربهم رب السماوات والأرض -لا إله غيره- لن يدعوا ولن يعبدوا من دونه إلها -لا اشتراكا ولا استقلالا- لقد زعموا إذًا -إن هم أقروا بإله غيره- زعما جائرا مجاوز الحد. ١٤
فائدة! الثبات من الله، والعواطف الدينية بغير صدع بالحق وعمل لنصرة دين الله لا تقيم ملة، والحياة في سبيل الله كالموت في سبيله سبحانه، فالمجاهد بلسانه وقلمه ليس دون المجاهد بنفسه وسلاحه، والمنهزمون أمام ضغوط الواقع وهجوم المستبدين وأهل المكر ليسوا يصلحون قادة للأمة، ومن لم يثبت على قوله ومنهجه ومبادئه لا يوثق به، فقد يتغير زاعما أن جديده الحق وقديمه باطل.

ثَباتٌ مِنْ قديرٍ ثُمَّ صَدعٌ ... بِحقٍّ فالسِّلاحُ بِهِ نَسيرُ

هؤلاء قومنا -أردفوا مشيرين إليهم في احتقار، ذاكرين أنهم- اتخذوا من دونه -سبحانه- آلهة -يعبدونها معه- هلا يأتون على جواز ذلك ببرهان واضح؟ فمن أعظم ظلما ممن افترى على الله كذبا: فزعم أن له ولد أو زوجة أو شركاء، أو نسب إليه ما لم يقل، أو حرم ما أحل أو أحل ما حرم. ١٥

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾
وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ
رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ
فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ
ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم
بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾
وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾
هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ
يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾
۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ
ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ
مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن
يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا
وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم
بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ
فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ
لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا
يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ
طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ
بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ
أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾

واذكروا حين اعتزلتموهم -قومكم- وما يعبدون، إلا الله -لم تعتزلوا عبادته- فأووا إلى الكهف -فانزلوا به متخذين منه مأوى، إن تفعلوا- يمد لكم ربكم من رحمته -فلكم يغفر ما اقترفتم من آثام، ويرزقكم ويثبتكم وينجيكم- ويهيئ لكم من أمر هجركم للكفار ما تستخدمون وينفعكم من وسائل ومرافق. ١٦

فائدة! اعتزال من لا يقبل النصح -ما أمكن- يكون أحيانا مفيدا، خاصة إن كان ممن يخشى شره.

ونَنصَحُ ثُمَّ نَعتزِلُ المُصِرَّ ... فكَم قاسى مِنَ البِدَعِ الخُيُورُ

ويرى الرائي الشمس إذا طلعت تتنحى عن كهفهم -إذ اتخذوه مأوى- ناحية اليمين، وإذا غربت تعدل عنهم ناحية الشمال -فلا تصيبهم أبدا- وهم في مكان متسع منه -رغم ذلك هم في ظل دائم- ذلك -الظل- من آيات الله الدالة على قدرته، من يوفق الله ويرشد فهو المهتد -إلى العمل الصالح الموجب لجزاء حسن- ومن يضلل فلن تجد له وليا يواليه فيجلب له الخير مرشدا إياه إلى الحق وطريقه. ١٧

ويظنهم مستيقظين وهم نيام -في الواقع- ويقلبهم الله ناحية اليمين وناحية الشمال -فاستحضر الصورة- وكلبهم ماد ذراعيه بمدخل الكهف، لو اطلع عليهم لتنحى عنهم فرارا ولملئ -جميعه- منهم رعبا! ١٨

فائدة! مما ينصر الله به أولياءه المجاهدين إلقاء الرعب في قلوب أعدائه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ونصرت بالرعب ﴾ [البخاري ٢٩٧٧ * مسلم ٥٢٣ * الترمذي ١٥٥٣م * النسائي ٣٠٨٧ * أحمد ٧٥٨٥]، أفلا نمتثل أمر الله ونجاهد أعداءنا وأعداءه؟

بِرُعبٍ في قلوبٍ قَدْ تَّحاشَتْ ... رِضا ربِّي نُصِرنا إذْ نُغِيرُ

ومثلما فعل بهم ذلك كله بعثهم الله -موقظا من نوم طويل- ليسأل بعضهم بعضا، تساءل متكلم منهم كم مكثوا؟ أجابوا بأن مكثوا يوما أو جزءا من يوم، من ثم استدركوا: ربهم أعلم بما مكثوا -من وقت، إذًا فليشتغلوا بما يعنيهم ويتركوا ما سواه- فليبعثوا أحدهم بفضتهم هذه إلى المدينة -التي قد غادروها- فلينظر -باحثا- أي أهلها أنزه وأنفع طعاما -وأحل كسبا، وليس حراما ولم يذبح لصنم أو وثن كالقبور ولم يذكر غير اسم الله عليه عند ذبحه- فليأتهم برزق -ليأكلوا- منه، وليتلطف -في الدخول والخروج، والمعاملة في المدينة لئلا تتوجه إليه الأنظار، ويكن لطيفا لبقا- ولا يشعرن بهم أحدا: لئلا يتعقبه. ١٩

فائدة! الوكالة في الشراء مشروعة -وكذلك في البيع- والشركة في الوكالة صحيحة.

نُوَكِّلُ مَنْ نَّرى: فَردًا وجَمعًا ... لِبيعٍ أو شراءٍ إذْ يُديرُ

فائدة! إمساك ما يحتاج إليه المرء -كالمال- لا ينافي التوكل على الله، بل هو أخذ بالأسباب.

وإمساكُ الَّذي نَحتاجُ خَيرٌ ... وقَدْ يَنفي تَوَكُّلَنا ضَجورُ

فائدة! الشراء ممن عرف عنه أنه أطيب كسبا مندوب، ومقاطعة الغاصب وأعوانه براءة منهم واجبة.

نُعامِلُ طَيِّبَ الكَسبِ الحلالِ ... ونَهجُرُ غاصِبًا، فابرَأْ ظَفِيرُ

أكدوا أنهم إن يظهروا عليهم -فيظفروا بهم- يرجموهم -سبا، أو بالحجارة- أو يعيدوهم في ملتهم -إذًا يحملوهم على ترك التوحيد- ولن يفلحوا إذًا -إن ارتدوا- ولن ينالوا مطلوبهم أبدا: لا دنيا ولا آخرة. ٢٠

ومثلما أنام فتية الكهف وأيقظهم أعثر الله عليهم -أهل المدينة، وأطلعهم على أمرهم- ليعلموا أن وعد الله -البعث والحساب ثم الجنة أو النار- حق صادق واقع وأن الساعة لا ريب فيها -تأتيهم القيامة، حتما- حيث يتنازع أهل المدينة بينهم أمر الفتية -بعد موتهم- فاقترحوا أن يبنوا على مدخل كهفهم بنيانا -يحميهم، فهم لا يعلمون ما يجب فعله بهم- ربهم أعلم بهم -فليشتغلوا إذًا بما يعنيهم ويتركوا ما سواه- من ثم أقسم أصحاب الغلبة والنفوذ ليتخذن على كهفهم -للعبادة- مسجدا. **٢١**

فائدة! ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. ﴾ [البخاري **٤٣٧** ☆ مسلم **٥٣٠** ☆ أبو داود **٣٢٢٧** ☆ النسائي **٢٠٤٧** ☆ أحمد **٧٨٣١**].

مَنِ اتَّخَذَ القُبورَ لهُ مُصَلَّى ... عليهِ اللعنةُ، ابتَدَعَ الحَقيرُ

سيزعمون -متنازعين في شأنهم أن عددهم- ثلاثة رابعهم كلبهم، ويزعمون خمسة سادسهم كلبهم ظنا -من المتنازعين- من غير يقين ولا دليل ولا قرينة، ويزعمون سبعة -ولعله إلى الصواب أقرب- وثامنهم كلبهم، أخبرهم أيها النبي الكريم أن ربك أعلم بعددهم -فليشتغلوا إذًا بما يعنيهم ويتركوا ما سواه- ما يعلمهم -ذواتا وعددا- إلا -عباد- قليل، فلا تجادل مشككا في شأنهم إلا جدالا ظاهرا -بلا تعمق، فاقتصر على ما أوحي إليك- ولا تستفت فيهم -في شأنهم بلا دليل- من المتنازعين أحدا. **٢٢**

ولا تقطعن أيها النبي الكريم -ولا أحد من أمتك- بشيء أنك فاعل ذلك -الأمر- في قابل الأيام. **٢٣**

إلا أن يشاء الله -فاقرن فعلك بمشيئة الله، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون. ﴾ [البخاري **٢٨١٩** ☆ مسلم **١٦٥٤** ☆ الترمذي **١٥٣٢** ☆ النسائي **٣٨٣١** ☆ أحمد **٧٧١٥**]- واذكر ربك -وكل فرد من أمتك- إذا نسيت -أن تقرن فعلك بمشيئته سبحانه، فاقرنها حين تتذكر قائلا "إن شاء الله"- وارج ربك -بلطفه- أن يوفقك ويرشدك لأقرب من -خبر فتية الكهف- هذا رشادا: فيعطيك ما هو أقوى حجة وأبلغ هداية لعباده. **٢٤**

ومكثوا في كهفهم -نياما- ثلاثمائة سنين، وازدادوا -قيل بعد استيقاظهم، من السنين- تسعا. **٢٥**

أخبرهم أن الله أعلم بما مكثوا -من وقت، إذًا فليشتغلوا بما يعنيهم ويتركوا ما سواه- له -وحده دون سواه- غيب السماوات والأرض -يعلمه جميعه- ما أبصره وما أسمعه -يبصر ويسمع كل شيء- ليس لهم من دونه من ولي يتولى أمورهم، ولا يشرك في حكمه -قدريا كان أو شرعيا- أحدا: فالتشريع لله وحده ليس لمخلوق أن يشرع، إنما له أن يتبع، والحكم بغير ما أنزل الله شرك به سبحانه. **٢٦**

واقرأ ما أوحي إليك أيها النبي الكريم من قرآن ربك -وكل فرد من أمتك، وتأملوا وتدبروا واتبعوا ما فيه- لا مبدل لكلماته -بل لا محالة هي واقعة- ولن تجد من دونه -سبحانه- ملاذا تلجأ أو تميل إليه. **٢٧**

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ فَقَالُواْ
ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ
رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ قُل رَّبِّيٓ
أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً
ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ
إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾
وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾
قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ
أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ
أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن
شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ
وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ
ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ
فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ
لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ
تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

وألزم نفسك بصحبة الذين يلازمون دعوة ربهم خاصة أول النهار وآخره يريدون التقرب إليه -فلا تبعدهم كما قال تعالى ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيِّ يريدون وجهه ﴾ [الأنعام ٥٢]، لا لفقر ولا لأسباب دنيوية كما ورد عن النبي ﷺ من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما ﴿ مر رجل على رسول الله ﷺ، فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يستمع، قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يستمع، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا. ﴾ [البخاري ٥٠٩١ * ابن ماجة ٤١٢٠]- ولا تتجاوز عيناك عنهم -منصرفا- تريد زينة الحياة الدنيا -فتجالس طالبي المال والجاه- ولا تطع -ولا أحد من أمتك- من جعل الله قلبه غافلا عن ذكره سبحانه، واتبع هواه -فظل على ضلاله- وكان أمره تجاوزا عن حد الاعتدال. **٢٨**

فائدة! التجاوز عن حد الاعتدال مذموم، تفريطا وتضييعا كان أو إفراطا وإسرافا.

ولنْ نَّتجاوزَ الحدَّ اجتِنابًا ... لإفراطٍ وتَفريطٍ يَضيرُ

وأخبر الناس أن -هذا القرآن هو- الحق من ربهم، فمن شاء -أن يؤمن به وبما فيه- فليؤمن ومن شاء -أن يكفر- فليكفر -إعلاما لهم على سبيل الإنذار لا التخيير، فمن شاء الله له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر كفر كما قال تعالى ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين. ﴾ [التكوير ٢٩]- إن الله أعد سبحانه للظالمين لأنفسهم بالكفر -في الآخرة، وقد فضلوا كفرهم- نارا أحاط بهم سورها -ليس لهم منها فرار ولا خلاص- وإن يستغيثوا -من العذاب- يغاثوا بماء كالحديد المذاب أو كعكر الزيت المغلي يشوي الوجوه، بئس الشراب -الذي يغاثون به- وساءت -النار- مجلسا ومنزلا ومجتمعا. **٢٩**

إن الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة -وأحسنوا في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق- إن الله لا يضيع ثواب من أحسن -له سبحانه- عملا: فاتبع السنة ولم يشرك ولم يرائي. **٣٠**

هؤلاء -أهل الإيمان والعمل الصالح والإحسان، ثواب الله- لهم جنات إقامة دائمة غير منقطعة تجري خلال منازلهم وبساتينهم الأنهار، يزينون فيها بأساور من ذهب -تحلي أيديهم المتوضئة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء. ﴾ [مسلم ٢٥٠ * النسائي ١٤٩ * أحمد ٨٨٤٠]- ويلبسون ثيابا خضرا -لونها- من حرير رقيق وحرير غليظ، متكئين فيها على الأسرة المزينة، ما أحسن الثواب -الذي لهم- وحسنت -الجنان- مجلسا ومنزلا ومجتمعا. **٣١**

واضرب أيها النبي الكريم للناس مثلا: رجلين، جعل الله لأحدهما بستانين مديدَي الظل من أعناب، وأحاطهما سبحانه بنخل، وجعل الله بين البستانين -بين أعنابهما ونخلهما- زرعا. **٣٢**

كلا البستانين أعطى وأثمر ثمره، ولم ينقص منه شيئا -بل أعطاه تاما- وأجرى الله خلالهما نهرا. **٣٣**

وكان لصاحب البستانين أموال متعددة، فذكر لصاحبه -متباهيا عليه- وهو يحاوره أنه أكثر منه مالا، وأقوى جانبا وعشيرة، وأكثر ولدا وأنصارا وأتباعا وخدما. **٣٤**

ودخل بستانه -إحداهما، ومعه صاحبه- وهو ظالم لنفسه -إذ كفر بالله وبنعمه، وأصابه العجب، وإلى الدنيا اطمأن- ذكر -لصاحبه، متباهيا بماله- أن ما يظن أن يفنى هذا -البستان- أو يهلك أبدا. **٣٥**

وما يظن الساعة قائمة -فأنكر البعث، بل- ولئن رد إلى ربه -على فرض قيامها- ليجدن خيرا وأفضل من بستانه معادا: فيكرمه ربه حينئذ، فلفرط جهله قاس حال الآخرة على حال الدنيا! **٣٦**

أنكر عليه صاحبه -مفارقا إياه- وهو يحاوره -مذكرا بقدرة ربه- سائلا أكفر بالذي خلقه من تراب -بأن خلق أباه آدم عليه السلام منه- ثم -بعد آدم وحواء عليهما السلام، وهو من جملة من خلقهم ربه- من نطفة -من المني الخارج عند الجماع- ثم سوى خلقه وعدل صورته -فصيره، من العدم- رجلا: أينكر قدرة خالقه؟ أم يظنه لا يمكنه بعثه كما قال تعالى ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يُحييَ الموتى. ﴾ [القيامة ٤٠]؟ **٣٧**

لكن صاحبه -المؤمن أكد: الشأن عنده- هو الله ربه -فسيلتزم شكر نعمه- ولا يشرك بربه أحدا. **٣٨**

وهلا حين دخل بستان نفسه ذكر أن "ما شاء الله لا قوة إلا بالله"؟ إن يره هو أقل منه مالا وولدا. **٣٩**

فائدة! "ما شاء الله لا قوة إلا بالله" تحصن المسلم من أن يحسد نفسه أو ماله أو ذريته.

وحَصَّنَ نفسَهُ عَبدٌ فَطينٌ ... بِسُوءٍ لَمْ يُصِبها إذْ يَسيرُ

فيرجو ربه -بلطفه- أن يعطيه -في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما جميعا- خيرا من بستانه وأفضل -بل- ويرسل عليه عذاب حساب من السماء -على كفر صاحبه- فيصبح ترابا تزلق فيه الأقدام. **٤٠**

أو يصبح ماءه -الذي يرويه، في الأرض بعيدا- غائرا، فلن يستطيع له طلبا: فلا يصل إليه صاحبه. **٤١**

فائدة! يجوز الدعاء بمحق وإتلاف أموال الكفرة والظلمة وكل من كان ماله سببا في طغيانه أو تكبره.

ونَدعو اللهَ لا تَترِكْ لِطاغٍ ... مِنَ الأموالِ شَيئًا، هُم شُرورُ

وأحيط بأموال صاحب البستانين المتعددة -فهلكت- فأصبح -صاحبها- يقلب كفيه -ضاربا إحدى يديه على الأخرى، نادما- على ما أنفق في عمارة أرضه وما عليها وإصلاحها وصيانتها، وهي خاوية موحشة ساقطة دعائمها وأبنيتها، ويتحسر متمنيا لو لم يشرك بربه أحدا. **٤٢**

فائدة! من عجل الله له العقوبة في الدنيا -لعله أراد به خيرا- فليصبر وليتب، وإلا فالهلاك مصيره.

إذا ضَرَرٌ أصابَكُم اصطِبارًا ... لَعَلَّ اللهَ خَيرًا يَستثيرُ

ولم تكن له جماعة تنصره أو تعينه أو تمنعه مما فعل الله به -فلم ينفعه شيء ولا أحد بأدنى نفع- وما كان ممتنعا -بقوته أو بأمواله- عن إهلاك الله لأرضه ولا منتصرا منه سبحانه. **٤٣**

في هذا المقام الولاية -والنصرة- لله الحق -وحده دون سواه، لا يستطيعها غيره- هو -سبحانه- خير وأفضل ثوابا -إذ يضاعف الثواب لأوليائه، ويجعل عاقبتهم في الآخرة الجنة- وخير وأفضل عاقبة. **٤٤**

واضرب أيها النبي الكريم للناس مثل الحياة الدنيا -الفانية، في سرعة انقضائها- كمطر أنزله سبحانه من السماء، فخالط نبات الأرض -فنما النبات- فأصبح مهشما تفرقه الرياح -في كل اتجاه- وكان الله على كل شيء مقتدرا: له مطلق القدرة، يحيي ويميت وينمي ويفني، ويبعث ويحاسب ويجازي. **٤٥**

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ
خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ
بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾
لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ
جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ
مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ
عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ
مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ
فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى
ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟
حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ
بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾
وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

المال والبنون زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات -من أعمال صالحة باقية الأثر مؤدية للجنة- خير عند ربك وأفضل ثوابا -من الحياة الدنيا بأسرها- وخير وأفضل أملا: يؤمله بشر. ٤٦

فائدة! ورد عن النبي ﷺ من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿ فما الباقيات يا عثمان؟ قال: هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴾ [أحمد ٥١٣].

ومَنْ ذَكَرَ الشَّكورَ بِباقياتٍ ... وهُنَّ الصالحاتُ لهُ الأُجورُ

واذكر يوم -القيامة، حين- يسير الله الجبال -فيزيلها عن أماكنها، فلا يبقى لها أي أثر كما قال تعالى ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا. ﴾ [طه ١٠٥]- ويرى الرائي الأرض ظاهرة -مستوية ليس عليها أي شيء كما قال تعالى ﴿ فيذرها قاعا صفصفا. ﴾ [طه ١٠٦]، ويظهر سبحانه ما في جوفها من موتى وكنوز وغير ذلك كما قال تعالى ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها. ﴾ [الزلزلة ٢]- وجمع الله الخلائق -جميعا- فلم يترك سبحانه أو ينس منهم أحدا. ٤٧

وعرضوا على ربك مصفوفين، لقد جئتم ربكم كما خلقكم سبحانه أول مرة -على الصفة التي كنتم عليها عند الخروج من بطون أمهاتكم: حفاة عراة غرلا غير مختونين، فهل أعددتم ليومكم هذا؟- بل زعمتم -في الدنيا، يا منكري البعث- ألن يجعل سبحانه لكم موعدا يجازيكم فيه بأعمالكم. ٤٨

ووضعت كتب الأعمال، فيرى الرائي المجرمين مستحقي العقاب حذرين خائفين مما فيه، ويتساءلون متعجبين -ومتحسرين- مال هذا الكتاب لا يترك أو ينسى صغيرة ولا كبيرة -مما عملوا في الدنيا- إلا أحصاها؟! ووجدوا ما عملوا حاضرا -مسجلا لهم- ولا يظلم ربك أحدا: بل يجازي كلا بما قدم. ٤٩

واذكر حين أمر سبحانه الملائكة أن يسجدوا لآدم -تحية وتقديرا، ليس عبادة- فسجدوا -مطيعين- إلا إبليس، كان من الجن -قيل هو أبوهم- فخرج عن الطاعة بعد أمر ربه -حيث أنه أبى أن يسجد لآدم عليه السلام- أفتتخذونه -بعد هذا أيها الناس، هو- وذريته أنصارا وأعوانا من دون الله -تطيعونهم وتعصونه سبحانه- وهم لكم أعداء؟! بئس بدل الظالمين لأنفسهم: إذ استبدلوا بطاعة الله طاعة الشيطان! ٥٠

ما أشهد الله من زعم الكفار أنهم شركاء له خلق السماوات والأرض -حين خلقهم- ولا خلق أنفسهم -فلم يشهدوا ولم يحضر أحد منهم أيًّا من تلك الأحداث- وما كان الله متخذ المضلين -من شياطين الجن ولا من أوليائهم من الإنس- أعوانا يقوونه على خلق المخلوقات أو على تدبير شؤون الكون. ٥١

واذكر يوم -القيامة، حين- يأمر -سبحانه من أشرك به- أن ينادوا شركاءه الذين زعموا -أنهم شركاء له في خلق المخلوقات أو في تدبير شؤون الكون- فدعوهم، فلم يستجيبوا لهم -فضلا عن أن ينفعوهم أو يدفعوا عنهم عذاب الله أو يشفعوا لهم- وجعل سبحانه بين المشركين وشركائهم مهلكا وعداوة. ٥٢

ورأى المجرمون مستحقو العقاب النار، فظنوا -بل أيقنوا- أنهم مخالطوها واقعون فيها مجتمعون، ولم يجدوا عنها مكانا ينصرفون إليه: إذ ليس باستطاعتهم الهرب، فقد جعل الله للنار سورا يحيط بمن فيها كما قال تعالى ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سُرادقها ﴾ [الكهف ٢٩]. ٥٣

ولقد نوع الله في هذا القرآن للناس أمثالا متعددة -ليتذكروا ويتعظوا- وكان الإنسان -في غالب الأمر، ولا سيما الكافر المجادل بباطل كما قال تعالى ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليُدحِضوا به الحق ﴾ [الكهف ٥٦]- أكثر المخلوقات -في أكثر الأحيان بغير حق- جدالا ومدافعة بالقول. ٥٤

وما منع الناس -من المشركين- أن يؤمنوا إذ جاءتهم الهداية -وأرسل الله إليهم رسولا- ويطلبوا المغفرة من ربهم إلا -طلب- أن تأتيهم سنة -الله في- الأمم السابقة -يقترحون آية فتأتيهم، فيكذبوا فيهلكوا- أو -تعنتهم أن- يأتيهم العذاب عيانا فجأة أنواعا وأصنافا كما قال تعالى ﴿ وإذ قالوا اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴾ [الأنفال ٣٢]. ٥٥

وما يرسل الله المرسلين إلا مبشرين -من آمن وأطاع بالمعد لهم من نعيم- ومنذرين -من كفر أو عصى بما هيئ لهم من عذاب إن لم يتوبوا- ويجادل الذين كفروا بالباطل ليغلبوا -فيسقطوا- به الحق -إذ يحاولون بإصرار هدم براهينه- وتجرأوا على آياته سبحانه -المنزلة والكونية والعقلية- وما جرى إنذارهم به كما قال تعالى ﴿ أن أنذِروا أنه لا إله إلا أنا فاتّقون ﴾ [النحل ٢]، واتخذوا ذلك محل استهزاء. ٥٦

ومن أعظم ظلما ممن جرى تذكيره بآيات ربه فأعرض عنها منصرفا -لم يهتم- ونسي ما اقترفت يداه -من كفر وآثام- إن الله جعل سبحانه على قلوبهم أغطية كراهة أن يفقهوه -القرآن، إذ تشبثوا بكفرهم- وفي آذانهم صمما -فلا يسمعون سماع وعي وفهم وانتفاع- وإن تدعهم أيها النبي الكريم -والدعاة من أمتك- إلى طريق الهداية فلن يهتدوا إذًا أبدا: فقد أغلق الله قلوبهم وآذانهم لتعنتهم. ٥٧

وربك الواسع والدائم المغفرة ذو الرحمة -الواسعة الشاملة العظيمة بعباده- لو يؤاخذهم ويعاتبهم بسبب ما كسبوا من عمل لعجل لهم العذاب -في الدنيا، لاستحقاقهم ذلك- بل لهم موعد -مكان وزمان لحسابهم، لابد لهم من ذلك- لن يجدوا من دون موعدهم ملجأ يؤلون إليه أو يتحصنون به. ٥٨

وتلك القرى -والأمم السابقة التي سكنتها، كعاد وثمود وغيرهما- أهلكهم سبحانه لما ظلموا -أنفسهم بالكفر واقتراف الآثام- وجعل الله لمهلكهم موعدا: محددا، لا يتقدمون عنه ولا يتأخرون. ٥٩

واذكر أيها النبي الكريم حين أخبر موسى فتاه -الذي يخدمه- أن لا يزال -يواصل مسيره- حتى يبلغ ملتقى البحرين، أو يظل يسير زمنا طويلا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه ﴿ قام موسى النبي خطيبا في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: يا رب، وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتا في مكتل، فإذا فقدته فهو ثم، فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحملا حوتا في مكتل، حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما، فانسل الحوت من المكتل، ﴿ فاتخذ سبيله في البحر سربا ﴾ ﴾ [البخاري ١٢٢ * مسلم ٢٣٨٠ * الترمذي ٣١٤٩ * أحمد ٢١١١٨]. ٦٠

فلما بلغا ملتقى بين البحرين -حيث يجتمع البحران المفترقان- نسيا سمكتهما -التي اتخذاها زادا: تركها فتاه- فاتخذت -السمكة- طريقها -حتى نزلت- في البحر منسلة: فيما يشبه السرداب. ٦١

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ
إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ
مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ
وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٗاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا
أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ
لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ
مَوْئِلٗا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا
لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ
بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا
وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن
تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ
صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ
ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾
فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا
لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ
لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾

فلما جاوزا -ملتقى البحرين- أمر فتاه أن يعطيهما غداءهما -سمكتهما- مقسما لقد لقيا من سفرهما هذا -بعد مجاوزة ملتقى البحرين- تعبا. **٦٢**

سأل -الفتى موسى ﷺ في تعجب- أن يخبره: ماذا دهاه؟ حين أويا إلى الصخرة -فنزلا عندها- فإنه نسي السمكة -فلم يذكر له أنها انسلت، مرجحا- وما أنساه أمرها إلا الشيطان -بوسوسته- كراهة أن يذكر ما حدث -فيتوقفا عن السير- وأكد أن اتخذت -السمكة- طريقها إلى البحر بصورة عجيبة. **٦٣**

أجابه -ﷺ- بأن ذلك ما كانا يلتمسا -فمن خرجا يبحثا عنه هناك عند تلك الصخرة- فارتدا على آثار أقدامهما يتتبعانها: راجعَين على الطريق الذي جاءا منه، لئلا يضلا عن موضع الصخرة. **٦٤**

فوجدا عبدا من عباده سبحانه -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي بن كعب ﷺ ﴿ فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوب، أو قال تسجى بثوبه، فسلم موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم ﴾ [البخاري ١٢٢ * مسلم ٢٣٨٠ * الترمذي ٣١٤٩ * أحمد ٢١١١٨]- أعطاه الله رحمة من عنده سبحانه -قيل هي الزيادة في العلم، وقيل النبوة- وعلمه الله من عنده سبحانه علما: اختصه به، ولا يوجد علوم "باطنية لَدُنِّية" في شريعتنا. **٦٥**

سأله موسى -وهو من هو، ﷺ- هل يتبعه، على أن يعلمه مما علم -الخضر- من رشد؟ **٦٦**

فائدة! لا ينبغي ترك طلب العلم مهما بلغت مرتبة الطالب، وينبغي التواضع للمعلم المؤمن.

نَظَلُّ نُحَصِّلُ العِلمَ ابتِغاءً ... لِمَرضاةِ العليمِ ونَستنيرُ

أجابه بأنه -لما سيراه من علم مختلف طابعه عما لديه، ﷺ- لن يستطيع أن يصبر معه. **٦٧**

وكيف يصبر -وهو من هو، ﷺ- على ما -ظاهره منكر، وهو- لم يحط به -وبخفاياه- خبرا؟ **٦٨**

طمأنه -ﷺ- أن سيجده إن شاء الله -على ما سيرى- صابرا -مطيعا- ولا يعصي له أمرا. **٦٩**

أخبره -مشترطا- فإن اتبعه فلا يسأله عن شيء، حتى يبدأ -الخضر- له بذكره وبيان وجهه. **٧٠**

فانطلقا -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي بن كعب ﷺ ﴿ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة، فمرت بهما سفينة، فكلموهم أن يحملوهما، فعرف الخضر، فحملوهما بغير نول ﴾ [البخاري ١٢٢ * مسلم ٢٣٨٠ * الترمذي ٣١٤٩ * أحمد ٢١١١٨]- حتى إذا ركبا في السفينة خرقها -بشق أو بثقب- سأله -ﷺ متحيرا- أخرقها ليغرق أصحابها؟ مقسما لقد اقترف شيئا شديدا. **٧١**

أجابه -الخضر، مذكرا- بأنه ذكر أنه لن يستطيع أن يصبر -على ما سيرى- معه. **٧٢**

اعتذر -ﷺ- سائلا ألا يؤاخذه أو يعاتبه بسبب نسيانه، ولا يكلفه أمرا يرهقه ويعسر عليه. **٧٣**

فانطلقا -بعد نزولهما من السفينة- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي بن كعب ﷺ ﴿ فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه، فاقتلع رأسه بيده ﴾ [البخاري ١٢٢ * مسلم ٢٣٨٠ * الترمذي ٣١٤٩ * أحمد ٢١١١٨]، سأله -ﷺ متحيرا- أقتل نفسا زكية -طاهرة بريئة لم تذنب- بغير نفس: لم تقتل أحدا ليقتلها به؟ مقسما لقد اقترف شيئا فظيعا منكرا. **٧٤**

۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي
عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ
أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا
الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا
وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ
رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ
وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن
يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ
وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾
وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

أجابه -الخضر، مذكرا موبخا- بأنه ذكر له أنه لن يستطيع أن يصبر -على ما سيرى- معه. **٧٥**

فائدة! ينبغي التماس الأعذار للأخيار -قبل اعتبار مفارقتهم- وعدم مؤاخذتهم بأول زلة.

ألا قَبلَ التَّفَرُّقِ عَنْ خُيُورٍ ... مَعاذيرَ التَمِسها: قَدْ أُثيروا

اعتذر -عليه السلام- نادما، مشيرا عليه- إن سأله عن شيء بعد هذه المرة فلا يصاحبه -حيث أنه- قد بلغ ما يعذر به في شأنه: فقد خالفه مرتين، فلا تثريب عليه إذًا إن فارقه بعد ثلاث مخالفات. **٧٦**

فانطلقا -سيرا- حتى إذا أتيا أهل قرية -قيل أنها أنطاكية، وقيل غير ذلك- سألا أهلها طعاما، فأبوا أن يؤدوا حق الضيافة إليهما، فوجدا فيها جدارا أوشك أن يسقط فأعاد إقامته وإصلاحه، أخبره -عليه السلام- أن لو شاء -الخضر- لاتخذ على إعادة بنائه ثوابا: من المال، أليس ذلك أولى مع هؤلاء البخلاء؟ **٧٧**

أخبره أن هذا -الاقتراح منه عليه السلام أن يتخذ الخضر على إعادة بنائه شيئا هو وقت وموضع، وسبب- فراق بين شخصيهما، من ثم أردف ذاكرا أن سيخبره بما يؤول إليه ما لم يستطع أن يصبر على معرفته. **٧٨**

أما السفينة فكانت لمساكين -ملاحين ضعفاء لا يملكون دفع صائل عليهم- يعملون في البحر، فأراد -بخرقها- أن يحدث بها عيبا -لم يرد أن يغرق أصحابها، حاشاه- وكان وراءهم -يلاحقهم أو يعترض طريقهم- ملك يأخذ كل سفينة -صالحة غير ذات عيب، من أصحابها- غصبا. **٧٩**

وأما الغلام فكان أبواه مؤمنَين -وكان كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه ﴿ الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا ﴾ [مسلم ٢٦٦١ * أبو داود ٤٧٠٥ * الترمذي ٣١٥٠ * أحمد ٢١١٢٢]- فخشي -بما علمه الله- أن يكلفهما -الغلام- ما يرهقهما، طغيانا -وتجاوزا للحدود- وكفرا: لحقهما عليه، أو يحملهما حبهما له أو حاجتهما إليه على الطغيان وتجاوز الحدود، والكفر بالله. **٨٠**

فأراد -بما علمه الله- أن يبدلهما ربهما -ذرية- خيرا منه وأفضل نزاهة من الإثم ونفعا للناس، وأقرب رحمة وبرا. **٨١**

وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة -عمران القرية- وكان تحته كنز لهما -قيل كان كنزهما المدفون تحته علما ومالا- وكان أبوهما صالحا -فاعتنى الله بذريته- فأراد ربك -يا موسى- أن يبلغا أوج قوتهما وعقلهما ويستخرجا كنزهما، رحمة من ربك -فلو سقط الجدار لظهر الكنز- وما فعلت أيًّا من ذلك عن أمري -اجتهادا من الخضر، فلا يعلم ما في قابل الأيام إلا الله ومن يرشده الله إلى شيء من غيبه كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ردا على كتاب نجدة بن عامر ﴿ وسألت: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل من صبيان المشركين أحدا؟ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يقتل منهم أحدا، وأنت فلا تقتل منهم أحدا، إلا أن تكون تعلم منهم ما علم الخضر من الغلام حين قتله ﴾ [مسلم ١٨١٢ * أحمد ٢٢٣٥]- ذلك -تفسير- ما يؤول إليه ما لم تسطع الصبر على معرفته: صار لك ساطعا. **٨٢**

ويسألونك أيها النبي الكريم -قيل اليهود، وقيل المشركون بتلقين من اليهود- عن ذي القرنين، أخبرهم أن ستقرأ عليهم -مما يأتيك بطريق الوحي- من خبره ذكرا: به يتذكرون ويتعظون. **٨٣**

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ
سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۖ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ثُمَّ
أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا
لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ
وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن
تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي
بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ
بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ
قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾

إن الله جعل سبحانه مكانا له وسلطانا في الأرض، وأعطاه الله من كل شيء وسيلة تبلغه ما يريد. **٨٤**
فأخذ -ذو القرنين- بالأسباب والوسائل التي أعطاه الله إياها، وعمل بها سائرا في الأرض. **٨٥**
حتى إذا بلغ أقصى الغرب وجد الشمس -رأى انعكاس أشعتها كأنها- تغرب في عين حارة ذات طين أسود، ووجد عند العين قوما، خير الله ذا القرنين: إما أن يعذب -القوم- وإما أن يحسن إليهم. **٨٦**
أكد -ذو القرنين- أن من ظلم -نفسه بالكفر، مصرا عليه بعد أن يدعوه إلى الإيمان- فسوف يعذبه، ثم يرد -بعد الموت- إلى ربه، فيعذبه -سبحانه- عذابا فظيعا منكرا. **٨٧**
وأما من آمن -فقبل دعوته- وعمل -تصديقا لإيمانه- صالحا فله -منه سبحانه- جزاء الجنة، وسييسر ذو القرنين عليه أمره -في الدنيا، واعدا أن لن يأمره بأمر شاق- وسيخاطبه برفق ولين. **٨٨**
ثم أخذ -ذو القرنين- بالأسباب والوسائل التي أعطاه الله إياها، وعمل بها سائرا في الأرض. **٨٩**
حتى إذا بلغ أقصى الشرق وجد الشمس تطلع على قوم لم يجعل سبحانه لهم من دونها ما يقيهم أو يسترهم: لا سحاب ولا بيوت ولا خيام ولا جبال ولا أشجار ولا غير ذلك، وربما لا ثياب أيضا! **٩٠**
مثلما فعل مع أهل الغرب فعل مع هؤلاء، وقد أحاط الله بما لديه -من إيمان وعمل- علما وخبرا. **٩١**
ثم أخذ -ذو القرنين- بالأسباب والوسائل التي أعطاه الله إياها، وعمل بها سائرا في الأرض. **٩٢**
حتى إذا بلغ -فجوة- بين الجبلين وجد عندهما قوما لا يكادون يفقهون كلام ولغة غيرهم. **٩٣**
أخبروا ذا القرنين -قيل فهم ما تكلموا به من جملة الأسباب والوسائل التي أعطاه الله إياها- أن يأجوج ومأجوج -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه ﴿ ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم كما قال الله: ﴿ وهُم من كل حَدَب ينسلون ﴾ قال: فيمر أولهم ببحيرة الطبرية فيشرب ما فيها، ثم يمر بها آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ﴾ [مسلم **٢٩٣٧** ★ الترمذي **٢٢٤٠** ★ ابن ماجة **٤٠٧٥** ★ أحمد **١٧٦٢٩**]- مشيعون للفساد في الأرض -بسائر الوجوه: قتل ونهب وبغي- من ثم سألوه -في تأدب- فهل يجعلوا له أموالا، على أن يجعل بينهم وبين هؤلاء سدا: ليحجزهم عنهم؟ **٩٤**
أجابهم بأن الذي أعطاه سلطانا فيه ربه -من إيمان، وأسباب ووسائل- خير -من أموالهم- وأفضل، من ثم سأل فليعينوه بقوة -الأبدان وآلات البناء، إن يفعلوا- يجعل بينهم وبين هؤلاء ردما: ليحجزهم. **٩٥**
فائدة! من أراد بقوم خيرا فليشركهم في العمل النافع لهم، أما أخذ أموالهم لتوفير احتياجاتهم وتركهم جهلة لا يحسنون فعل ما ينفعهم -كما يفعل بنا النظام الدولي بإشراف حكام أرضنا العملاء- فخيانة.

خيانتُكُم لنا يا أهلَ حُكمٍ ... أضعتُم مالَنا، جَهلٌ يَفورُ

من ثم أمرهم أن يعطوه قطع الحديد الضخمة، حتى إذا ساوى بين جانبي الجبلين -إذ وضع الحديد بينهما- أمر أن يوقدوا بالمنافخ -على ما بنى حتى يحمى- حتى إذا جعل البناء نارا أمر أن يعطوه -ما يملأ به فراغاته- يفرغ عليه قطرا: معدن مذاب قيل هو النحاس، وقيل الرصاص، وقيل الحديد. **٩٦**
فما اسطاعوا -اليسير السهل- أن يرتقوه -لارتفاعه- وما استطاعوا -الصعب، لصلابته- له ثقبا. **٩٧**

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ
كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾
أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا
أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾
الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ
بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا
لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ
الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا
أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

أكد -ذو القرنين- أن هذا -الردم المنيع- رحمة من ربه -بعباده، من يأجوج ومأجوج وإفسادهم- فإذا جاء وعد ربه -فأذن بخروجهم- جعله كسرا مستويا بالأرض، وكان وعد ربه حقا صادقا واقعا. ٩٨

وترك الله بعض الخلق -من إنس وجن- يوم القيامة -ويأجوج ومأجوج يوم خروجهم على الناس بعد أن ينهدم السد- يختلط ببعض في اضطراب كالموج، ونفخ في الصور كما قال تعالى ﴿ ونُفخ في الصور فصَعِق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ﴾ [الزُّمَر ٦٨]، فجمع سبحانه الخلق -جميعا، للحساب والجزاء- جمعا تاما على أكمل صفة. ٩٩

وعرض الله جهنم يوم القيامة للكافرين عرضا: فأظهرها جليا، فهم يشاهدون مصيرهم بأم أعينهم. ١٠٠

الذين كانت أعينهم -في الدنيا، لكفرهم- في غطاء عن ذكره سبحانه -يسترها عن تدبر آياته المنزلة والكونية والعقلية- وكانوا لا يستطيعون -لشدة عداوتهم للحق- سمعا: سماع وعي وفهم وانتفاع. ١٠١

أفظن الذين كفروا أن يتخذوا عباد الله -من ملائكة وشياطين وإنس، وحيوان وجماد- من دونه سبحانه أولياء: يعبدونهم معه، أفظنوهم ينفعونهم؟ إن الله أعد سبحانه جهنم للكافرين مهيأة لضيافتهم. ١٠٢

سل أيها النبي الكريم هل أخبرهم -يا عباد الله عن الله، منذرا محذرا- بالأشد خسرانا لأعمالهم؟ ١٠٣

الذين ضل سعيهم -فتعبوا في إتقان أعمال تخالف شرع الله!- في الحياة الدنيا -لهم ذم خاص، هم الأشد خسرانا لأعمالهم، وسيعلمون في الآخرة- وهم يظنون -في الدنيا- أنهم يحسنون صنعا: فأصول الدين الظاهرة كتوحيد الله وإفراده بالعبادة والكفر بالطاغوت لا عذر فيها بجهل أو بتأويل أو بتقليد. ١٠٤

هؤلاء الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، ففسدت أعمالهم -الصالح منها، كالصدقة ونحوها، ولكفرهم لا يثابون عليها في الآخرة- فلا يقيم سبحانه لهم يوم القيامة وزنا: لا يعبأ بهم مطلقا. ١٠٥

ذلك -المصير- جزاؤهم: جهنم -وأين سيذهب من لا يعبأ بهم ربهم؟- بسبب كفرهم، وتجرأوا على آياته سبحانه -المنزلة والكونية والعقلية- ورسل سبحانه -فيا ويلهم- واتخذوا ذلك محل استهزاء. ١٠٦

إن الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة كانت لهم جنات الفردوس -أعلاها درجة وأحسنها مرتبة، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ﴾ [البخاري ٧٤٢٣ ★ أحمد ٨٤١٩]- مهيأة لضيافتهم. ١٠٧

خالدين فيها -ينعمون- لا يلتمسون عنها تحولا: إذ لا تتوق أنفسهم إلى سواها. ١٠٨

أكد أيها النبي الكريم أن لو كان البحر حبرا لكلمات ربك -لكتابة علمه وحكمته وأسراره- لنفد البحر -وجف- قبل أن تنفد كلمات ربك، ولو جاء سبحانه بمثله مددا لكذلك نفدت تلك البحار. ١٠٩

أخبر الناس أنما أنت بشر مثلهم يوحى إليك أنما إلههم -الذي يضرع إليه الخلائق، المعبود بحق- إله واحد لا شريك له -لا يمكن أبدا أن يكون غير ذلك- فمن كان يتوقع لقاء ربه -ويريد ثوابه ويرجو فضله- فليعمل -تصديقا لإيمانه- عملا صالحا -دل شرعه سبحانه أنه يثاب عليه فاعله، مخلصا لله بغير رياء- ولا يشرك بعبادة ربه أحدا: لا شرك جلي فيعبد معه غيره، ولا شرك خفي فيرائي بعمله. ١١٠

سُورَةُ مَرۡيَمَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ
نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي
وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤
وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي
عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ
ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧
قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا
وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ
رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ
شَيۡـٔٗا ٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ
ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١

★ سورة مريم ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. ١

ذكر رحمة ربك أيها النبي الكريم -إذ أصابت- عبده زكريا: هو هذا الخبر الذي يقص الله عليك. ٢

حين نادى ربه نداء خفيا: داعيا في الخفاء بلا رياء، لم يطلع على زكريا عليه السلام أحد وهو يدعو ربه. ٣

دعا ربه أنه وهن عظمه وانتشر شيب الرأس -ضعفا- ولم يكن بدعائه ربه خائبا: بل يستجاب له. ٤

فائدة! يستحب للمرء أن يجمع في دعائه بين الخضوع والتذلل وإظهار الضعف وذكر نعم الله عليه.

ونَدعو اللهَ في ضَعفٍ نُناجي ... وشُكرٍ للذي وَهَبَ البصيرُ

وأردف ذاكرا أنه يخاف -فعل- الموالي -أقاربه وأنصاره- من بعده -أيقومون بأمر الدين كما ينبغي؟ أم تراهم يتهاونون؟- وكانت امرأته عاقرا -لا تلد- من ثم دعاه فليرزقه من عنده وليا: يتولى أمر الدين. ٥

يرثه -علما ونبوة ليس مالا وحرفة، فالأنبياء لا تورث كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ إنا معشر الأنبياء لا نورث ﴾ [أحمد ٩٩٧٢]، وكان عليه السلام كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ كان زكريا نجارا. ﴾ [مسلم ٢٣٧٩ ★ ابن ماجة ٢١٥٠ ★ أحمد ٧٩٤٧]- ويرث -العلم والنبوة- من آل يعقوب، من ثم دعا ربه وليجعل وريثه راضيا بالقضاء والقدر، مرضيا أخلاقا وأفعالا. ٦

يا زكريا إن الله يبشرك بولد ذكر اسمه يحيى، لم يجعل الله له من قبل نظيرا: نادته الملائكة كما قال تعالى ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يُصلِّي في المِحراب أنَّ اللهَ يُبشِّرك بيحيى ﴾ [آل عمران ٣٩]. ٧

فائدة! يستحب اختيار الأسماء ذات المعاني الطيبة والأسماء التي يحبها الله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن. ﴾ [مسلم ٢١٣٢ ★ أبو داود ٤٩٤٩ ★ الترمذي ٢٨٣٣ ★ ابن ماجة ٣٧٢٨ ★ أحمد ٤٧٧٤].

بأسماءٍ أحَبَّ إلى المَليكِ ... تَسَمَّينا كما قالَ البشيرُ

سأل ربه -متعجبا عليه السلام، ليس منكرا لكمال قدرته سبحانه- كيف يكون له غلام وكانت امرأته عاقرا -لا تلد- وقد بلغ من كبر السن حالة اليبس والجفاف: هل يصيرا أصحاء؟ أم غير ذلك؟ ٨

جاءته الإجابة: كذلك أمر ربك -ترزقان إياه مخالفة للمألوف- هو على الله هين، وقد خلقك الله من قبل -من عدم- ولم تك شيئا: فخلق ولد لك كخلقك، كل ذلك يسير جدا عليه سبحانه. ٩

سأل ربه أن يجعل له علامة -ليتأكد أن ما سمعه ليس وسوسة شيطان- أجابه بأن علامته ألا يكلم الناس -فلا يستطيع لسانه الكلام إلا المداومة على ذكر الله- ثلاث ليال -لا يستطيع التواصل خلالها معهم، إلا إشارة وإيماء، رغم كونه- سويا: خلقة، صحيحا ليس به علة تمنعه من الكلام. ١٠

فخرج على قومه من المحراب -مكان عبادته- فأشار إليهم وأومأ -من غير كلام، وقيل كتب لهم على الأرض- أن نزهوا وقدسوا -الله- طيلة الوقت: وصلوا أول النهار وآخره. ١١

أمر يحيى أن يأخذ التوراة بجد واجتهاد وحزم ويعمل صابرا على طاعته، وأعطاه الله الحكم -والحكمة والعلم- صبيا: لم يبلغ الحلم بعد، ويعمل عليه السلام بما أنزل الله، فتأمل. **١٢**
وحنانا من عنده سبحانه -كائنة في قلبه عليه السلام يتحنن بها على عباد الله، ورحمه الله- ونزاهة من الإثم ونفعا للناس -أعطاه كل ذلك- وكان تقيا يمتثل أوامر الله ويجتنب نواهيه. **١٣**
وبارا بوالديه -كثير الإحسان إليهما- ولم يكن جبارا متسلطا على عباد الله -لله أو لوالديه- عصيا. **١٤**
وسلام عليه -من الله- وتحية له وأمان يوم ولد -لشيخ كبير طاعن في السن وامرأة عقيم لا تلد- ويوم يموت، ويوم -القيامة، حين- يبعث حيا: قد أمن وسلم من الشرور في تلك المواطن الموحشة. **١٥**
واذكر أيها النبي الكريم في القرآن مريم -قاصا خبرها- حيث تنحت عن أهلها واعتزلت إلى مكان من جانب الشرق منهم. **١٦**
فاتخذت من دون أهلها حجابا -يسترها عنهم، قيل لتعبد الله منفردة خاشعة- فأرسل الله إليها روحه سبحانه -بأن كلف المَلَك جبريل عليه السلام أن يذهب إليها- فتمثل لها في صورة بشر سويا: خلقة. **١٧**
أخبرته أنها تستعيذ بالرحمن منه -فلا ينالها منه سوء- إن كان تقيا يمتثل أوامر الله ويجتنب نواهيه. **١٨**
أخبرها أنما هو رسول ربها -أرسله الذي استعاذت به- ليمنحها غلاما طاهرا من الإثم نافعا للناس. **١٩**
سألت -متعجبة رضي الله عنها- كيف يكون لها غلام، ولم ينلها -بجماع- بشر؟ ولم تك بغيا زانية؟ **٢٠**
جاءتها الإجابة: كذلك أمر ربك -ترزقين إياه مخالفة للمألوف- هو على الله هين، وليجعل الله هذا الغلام -وخلقه من غير أب- آية للناس دالة على كمال قدرته، ورحمة منه سبحانه -به وبها وبمن آمن به واهتدى بهديه من أمته- وكان -خلقه بهذه الطريقة- أمرا مقدرا في قضاء الله واقعا. **٢١**
فحملته -رضي الله عنها- فتنحت به -عيسى عليه السلام- واعتزلت إلى مكان -عن الناس وأعينهم- قصي بعيد. **٢٢**
فألجأها المخاض إلى جذع نخلة، تمنت أن ماتت قبل هذا -الحال- وكانت نسيا لا يذكر أبدا. **٢٣**
فائدة! حكم تمني الموت هو كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنيا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي. ﴾ [البخاري **٥٦٧١** * مسلم **٢٦٨٠** * أبو داود **٣١٠٨** * الترمذي **٩٧١** * النسائي **١٨٢٠** * ابن ماجة **٤٢٦٥** * أحمد **١١٩٧٩**]، مع ما ورد عنه ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون ﴾ [الترمذي **٣٢٣٣** * أحمد **٣٤٨٤**].
تَمنِّي الموتِ ليسَ لنا ولَكِنْ ... مِّنَ الفِتَنِ العظيمةِ نَستَجيرُ
فناداها -عليه السلام: عيسى، وقيل المَلَك جبريل- من تحتها ألا تحزن، قد جعل ربها تحتها ماء ساريا. **٢٤**
ونصحها أن تهز إلى جهتها بجذع النخلة -محركة إياه، إن تفعل- تساقط عليها رطبا طريا طيبا. **٢٥**
فائدة! الأخذ بالأسباب والوسائل -مع الإيمان بأن كل شيء بيد الله- من تمام التوكل عليه سبحانه.
ونأخُذُ بالوسائلِ والمُتاحِ ... وقَدْ يَنفي تَوَكُّلَنا حَميرُ

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾
وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ
وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ
مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ
مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ
مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ
قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾

فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ
إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ
بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾
يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ
أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي
ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي
نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي
جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ
وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ
ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ
إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ
فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ
بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ
وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾

من ثم طمأنها: فلتأكل -من الرطب- وتشرب -من الماء- وتقر عينها وتطب نفسها -بابنها- فإن هي
رأت من البشر أحدا فلتذكر -إشارة وإيماء- أنها نذرت للرحمن -عن الكلام- صوما -فالسكوت أبلغ
وأولى من أن تحدث الناس بحجة لا تستطيع عقولهم استيعابها- فلن تكلم اليوم إنسيا. **٢٦**
فائدة! خاطبت الملائكة غير الأنبياء كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ أن رجلا زار
أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا
لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل،
قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه. ﴾ [مسلم **٢٥٦٧** ★ أحمد **٧٩١٩**].

يُخاطِبُ مَنْ يَشاءُ بِهِم يُنادى ... ملائكةٍ يُكَلِّفُهُم قديرُ

فأتت به -عيسى عليه السلام- قومها تحمله، أقسموا يا مريم لقد اقترفت شيئا فريا: عظيما، أبغير زواج؟! **٢٧**
أضافوا -مستنكرين- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ﴿ لما قدمت نجران
سألوني، فقالوا: إنكم تقرؤون: ﴿ يا أخت هارون ﴾، وموسى قبل عيسى، بكذا وكذا! فلما قدمت
على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم. ﴾ [مسلم
٢١٣٥ ★ الترمذي **٣١٥٥** ★ أحمد **١٨٢٠١**] ما كان أبوك امرأ سوء زان وما كانت أمك بغيا زانية. **٢٨**
فأشارت إليه -عيسى عليه السلام- سأل قومها -متعجبين- كيف يكلمون من لا يزال في المهد صبيا؟! **٢٩**
أجابهم -عليه السلام- بأنه عبد الله -ليس إلا- أعطاه -سبحانه- الإنجيل، وجعله نبيا: قد قضى بذلك. **٣٠**
وجعله كثير النفع والخير أين ما حل، وأوصاه بالصلاة والزكاة -مالا ونفسا تتقي الإثم- ما دام حيا. **٣١**
وبارا بوالدته -كثير الإحسان إليها- ولم يجعله جبارا متسلطا على عباد الله -عاصيا لله- خائبا. **٣٢**
والسلام عليه -كالذي وجهه سبحانه إلى يحيى عليه السلام- والتحية له والأمان يوم ولد -من غير أب- ويوم
يموت، ويوم -القيامة، حين- يبعث حيا: قد أمن وسلم من الشرور في تلك المواطن الموحشة. **٣٣**
ذلك -الموصوف هو- عيسى ابن مريم، قول -الله- الحق الذي فيه -الضالون- يشكون: يقينا. **٣٤**
ما صح لله أن يتخذ أي أولاد -لا عزير ولا المسيح عليه السلام ولا الملائكة ولا غير ذلك- تنزه -عن ذلك-
وتقدس، إذا قضى أمرا فإنما يأمره -سبحانه- بالتَّكوُّن فيكون، لا يستعصي عليه ولا يمتنع منه. **٣٥**
وإن الله -وحده دون سواه- ربه ورب بني إسرائيل -الذي خلقه وخلقهم ورزقه ورزقهم وأعطاه الإنجيل
وجعله نبيا، أقر عيسى ابن مريم عليه السلام بذلك- من ثم أمر بني إسرائيل فليعبدوا الله وحده لا شريك له،
هذا -الإخلاص لله بعبادته دون سواه- طريق مستقيم واضح غير المعوج موصل إلى الله وجنته. **٣٦**
فاختلف الأحزاب من بينهم -فالبعض آمن، ومن زعم أن عيسى عليه السلام الإله أو ابنه ونحو ذلك كفر، وبه
كذب اليهود- فشدة الحسرة والهلاك للذين كفروا من شهود -أحداث- يوم عظيم: القيامة. **٣٧**
ما أسمعهم وما أبصرهم يوم يأتون الله -للحساب، حين لا تنفعهم أسماع ولا أبصار!- لكن الظالمون
لأنفسهم بالكفر اليوم -في الدنيا- في ضلال واضح عن الحق، لا يعرفون للرشاد سبيلا. **٣٨**

وأنذر الخلق أيها النبي الكريم يوم الحسرة، إذ انتهى الأمر -إلى مصير أبدي، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت! وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت! وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضِيَ الأمر وهم في غفلة ﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿ وهم لا يؤمنون ﴾ ﴾ [البخاري ٤٧٣٠ * مسلم ٢٨٤٩ * الترمذي ٣١٥٦ * أحمد ١١٠٦٦]- وهم في غفلة -بالدنيا- وهم لا يؤمنون. **٣٩**

إن الله هو يرث سبحانه الأرض ومن عليها -فيميت من على الأرض جميعا، فلا يرثها أو يرثهم غيره- وإليه سبحانه وحده يرجعون في الآخرة ليجازيهم أتم الجزاء. **٤٠**

واذكر في القرآن إبراهيم -قاصا خبره- إنه كان صديقا -كمل تصديقه وعمله- نبيا. **٤١**

حين سأل أباه -مستنكرا متلطفا- يا أبت لماذا تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفعك ولا يغني عنك -من الله، إن قدر ضررا في الدنيا- شيئا: وفي الآخرة إنما العبرة بالإيمان والأعمال الصالحة؟ **٤٢**

أضاف مخاطبا أباه أنه قد جاءه من العلم -عن طريق الوحي- ما لم يأته، من ثم نصحه فليتبعه -إن يفعل- يرشده طريقا سويا: موصلا إلى النجاة. **٤٣**

من ثم حذر أباه ألا يعبد الشيطان -بطاعته إذ يعبد الأصنام- إن الشيطان كان للرحمن عصيا. **٤٤**

من ثم نبه أباه أنه يخاف -بما علمه الله- أن يصيبه عذاب من الرحمن، فيكون للشيطان وليا: فيقرن معه في الآخرة في النار لموالاته له في الدنيا. **٤٥**

سأله أبوه -موبخا- أتارك أنت آلهتي يا إبراهيم معرض عن عبادتها؟ من ثم أقسم -متوعدا- لئن لم يكف -عن دعوة التوحيد وعيب آلهته- ليرجمنه -سبا، أو بالحجارة- وأمره أن يفارقه زمنا طويلا. **٤٦**

حياه إبراهيم عليه السلام بالسلام -متاركة له لجهله كما قال تعالى ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ [الفرقان ٦٣]- واعدا -قبل أن يموت كافرا ويتبين له أنه عدو لله كما قال تعالى ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن مَّوعدة وعدها إيَّاه فلما تبيَّن له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾ [التوبة ١١٤]- أن سيطلب له المغفرة من ربه، إنه -سبحانه- كان به كثير الحفاوة والبر واللطف، يجيبه إذا دعاه. **٤٧**

وأكد أن سيعتزله هو وقومه وما يدعون ويعبدون من دون الله، ويدعو ربه -وحده دون سواه، دعاء عبادة ودعاء مسألة- لعله لا يكون بدعاء ربه -عاصيا له سبحانه- خائبا. **٤٨**

فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله منحه الله إسحاق ويعقوب -ابنه وحفيده- وكلا جعل الله نبيا. **٤٩**

ومنحهم الله من رحمته سبحانه -كتبا وحكمة وملكا- وجعل الله لهم ثناء حسنا في كل الملل. **٥٠**

واذكر في القرآن موسى -قاصا خبره- إنه كان أخلص دينه لله واستخلصه الله واصطفاه لنفسه، وكان رسولا -أرسله الله بالتوراة إلى بني إسرائيل ليبلغهم شرعه- نبيا. **٥١**

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾
وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾
يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ
عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ
أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن
رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ
صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ
كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ
ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن
ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ
خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾
إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ
وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا
سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي
نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ
مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾

وناداه الله من جانب -جبل- الطور الأيمن -بالنسبة إليه ﷺ- وقربه الله -منزلة، فكلمه- مناجيا. ٥٢

ومنحه الله من رحمته سبحانه أخاه هارون نبيا: استجابة لدعائه كي يساعده كما قال تعالى ﴿ واجعل لي وزيرا من أهلي. هارون أخي. اشدُد به أزري. وأشركه في أمري. ﴾ [طه ٢٩ ~ ٣٢]. ٥٣

واذكر في القرآن إسماعيل -قاصا خبره- إنه كان صادق الوعد -يفي بوعوده كلها، ومن جملتها الصبر على الذبح كما قال تعالى ﴿ ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ [الصافات ١٠٢]- وكان رسولا -قيل أرسله أبوه إبراهيم ﷺ ليبلغ شريعته إلى قبيلة جُرهم- نبيا. ٥٤

وكان يأمر أهل بيته -وقومه- بالصلاة والزكاة -مالا ونفسا تتقي الإثم- وكان عند ربه -عنه- مرضيا. ٥٥

واذكر في القرآن إدريس -قاصا خبره- إنه كان صديقا -كمل تصديقه وعمله- نبيا. ٥٦

ورفعه الله مكانا -منزلة بين الصالحين وذكرا بين الخلق، فصار- عليا: منزلة وذكرا. ٥٧

هؤلاء -المذكورون من أول السورة هم- الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء من ذرية آدم وممن حمل الله مع نوح -في السفينة- ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل -يعقوب ﷺ- وممن وفق الله وأرشد -إلى الإسلام- واختار سبحانه وجعل من خاصته، إذا تقرأ عليهم آيات الرحمن -المنزلة- سقطوا سجدا وباكين. ٥٨

فخلف من بعد هؤلاء أقوام -سوء- أضاعوا الصلاة -يهملونها حتى يخرج وقتها، أو يفرطون في أركانها وواجباتها، أو ينكرون وجوبها- واتبعوا الشهوات -فاعلين ما تشتهيه أنفسهم من محرمات كالزنا وشرب الخمر وغير ذلك- فسوف يلقون جزاء الغواية والخطأ: شر وخيبة في النار. ٥٩

إلا من تاب -عن إضاعة الصلاة واتباع الشهوات- وآمن -فإضاعة الصلاة ولو دون إنكار وجوبها مآله الشرك والكفر كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله ﷺ ﴿ إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة. ﴾ [مسلم ٨٢ * أبو داود ٤٦٧٨ * الترمذي ٢٦١٩ * النسائي ٤٦٤ * ابن ماجة ١٠٧٨ * أحمد ١٤٩٧٩]- وعمل -تصديقا لإيمانه- صالحا، فهؤلاء يدخلون الجنة، ولا ينقص ثوابهم شيئا: مهما قل، بل سيعطيهم سبحانه ما لهم تاما وافيا بحسب نياتهم وأعمالهم. ٦٠

جنات إقامة دائمة غير منقطعة التي وعد الرحمن عباده بالغيب -لم يروها، ولكن صدقوا وعده سبحانه أنهم سيدخلونها- إنه كان وعده منجزا آتيا لا محالة. ٦١

لا يسمعون فيها باطلا لا طائل منه، إلا كلاما سالما من الإثم -يسمعونه، وتحية الله والملائكة لهم وتحية بعضهم لبعض- ولهم رزقهم فيها -مما يشتهون من طيبات المآكل وغيرها- طيلة الوقت. ٦٢

تلك الجنة التي يورث الله منازلها من عباده سبحانه من كان تقيا يمتثل أوامر الله ويجتنب نواهيه. ٦٣

وما تتنزل الملائكة إلا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس ﷺ ﴿ قال رسول الله ﷺ لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت: ﴿ وما نتنزَّل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا ﴾ ﴾ [البخاري ٣٢١٨ * الترمذي ٣١٥٨ * أحمد ٢٠٤٣]، له -سبحانه- المستقبل والماضي والحاضر -الدنيا والآخرة، زمانا ومكانا، عليم مدبر رقيب- وما كان ربك نسيا ينسى أحدا أو شيئا. ٦٤

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ
هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ
أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ
وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾
وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾
قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ
مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ
مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ
وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

رب السماوات والأرض وما بينهما -الخالق المالك المدبر- فاعبده -وحده لا شريك له، مخلصا نيتك وعملك- واصطبر لعبادته -فلا تشغل عنها بأمور الدنيا- هل تعلم له نظيرا: فيستحق العبادة مثله؟ **٦٥**

ويتساءل الإنسان -الكافر، مستنكرا متهكما- أئذا ما مات لسوف يخرج -من قبره- حيا؟ **٦٦**

أولا يذكر الإنسان -الكافر- أن الله خلقه سبحانه من قبل -من عدم- ولم يك شيئا؟ فبعثه أسهل! **٦٧**

فوربك أيها النبي الكريم ليجمعنهم الله -يوم القيامة- والشياطين -الذين أضلوهم، معا- ثم ليحضرنهم سبحانه حول جهنم -أذلة- باركين على ركبهم. **٦٨**

ثم لينزعن الله من كل فرقة -ضالة- أيهم أشد على الرحمن عتوا وتمردا: فيخرج أئمتهم بالقوة. **٦٩**

ثم لله أعلم بالذين هم أولى بالنار وأحق بمقاساة حرها: أئمة الضلال الذين أخرجهم الله بالقوة. **٧٠**

وإن منكم -من أحد أيها الناس- إلا وارد النار كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ قال: يردونها، ثم يصدرون بأعمالهم. ﴾ [الترمذي ٣١٦٠ ★ أحمد ٤١٢٨]، كان -ورودكم النار- على ربك -أيها الإنسان أمرا- محتوما مقدرا في قضاء الله واقعا. **٧١**

ثم ينجي الله الذين اتقوا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويترك سبحانه الظالمين لأنفسهم أو لغيرهم في النار -أذلة- باركين على ركبهم. **٧٢**

وإذا تقرأ عليهم آيات الله -المنزلة- مبينة للحق سأل الذين كفروا الذين آمنوا أي الفريقين -فريق الكفار أم فريق المؤمنين- خير مقاما وأفضل مسكنا وأحسن ناديا ومجلسا؟ أيهم أكبر جاها وأكثر أنصارا؟ **٧٣**

وما أكثر الأمم المتتالية -الفاسقة الخارجة عن طاعته- التي أهلكها الله -كعاد وثمود وغيرهما- قبل هؤلاء الكفار هم أحسن -منهم- أثاثا -لبيوتهم- وأموالا وأمتعة ومنظرا وتنعما وحظوظا دنيوية. **٧٤**

أخبرهم أيها النبي الكريم أن من كان في الضلالة -غارقا مستقرا، عن طريق الحق بعيدا- فليمدد له الرحمن مدا -فيمهله لا يعاجله بعقاب فلا يكون له عذر كما قال تعالى ﴿ أَوَلَم نُعَمِّركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ [فاطر ٣٧]، ويستدرجه فيتمادى في ضلاله كما قال تعالى ﴿ إنما نُملي لهم ليزدادوا إثما ﴾ [آل عمران ١٧٨] عقابا له على عناده كما قال تعالى ﴿ ونُقَلِّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونَذَرهم في طغيانهم يعمهون. ﴾ [الأنعام ١١٠]- حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب -في الدنيا بالقتل والجرح والأسر وسبي النساء والذراري وضياع الأموال- وإما الساعة -فتقوم القيامة- فسيعلمون من -الكافرون أم المؤمنون- هو شر مكانا وأسوأ منزلة، وأضعف جندا وأعوانا. **٧٥**

ويزيد الله الذين اهتدوا هداية -إيمانا ويقينا وطاعة، وعلما وبصيرة في الدين- والباقيات الصالحات -من أعمال صالحة باقية الأثر مؤدية للجنة- خير عند ربك وأفضل ثوابا -من الحياة الدنيا بأسرها- وخير ردا للثواب -على فاعلها من أعمال الكفار التي تردهم إلى العذاب- وأفضل عاقبة ومرجعا. **٧٦**

فائدة! مثلما تجر المعاصي بعضها بعضا، كذلك الهداية تجر بعضها بعضا وتؤدي إلى مزيد خير.

وتَبقى الصالحاتُ لعاملٍ قَدْ ... هَدى ربِّي فآمَنَ لا يَحورُ

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾
أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾
وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

أفرأيت -أيها الإنسان- وتأملت الذي كفر بآيات الله، وأقسم -مستهزئا- ليعطين مالا وولدا: كما جاء على لسان خباب بن الأرت ﷺ ﴿ جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقا لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ فقلت: نعم، فقال: إن لي هناك مالا وولدا، فأقضيك! فنزلت: ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا. ﴾ ﴾ [البخاري ٢٠٩١ * مسلم ٢٧٩٥ * الترمذي ٣١٦٢ * أحمد ٢١٠٦٨]؟ **٧٧**

أطلع الغيب: فعلم مصيره؟ أم اتخذ عند الرحمن عهدا: بإسلامه وصار أهلا للجنة؟ **٧٨**

كلا! ليس الأمر كما يزعم، سيكتب الله ما يتفوه به -ويعمل، في صحيفة عمله- ويمد سبحانه له من العذاب مدا: فيزيده عذابا فوق العذاب، إذ جمع بين الكفر بآيات الله والاستهزاء. **٧٩**

ويرثه الله ما يزعم -من مال وولد بعد موته- ويأتي -للقاء- الله -يوم القيامة- فردا: بلا مال ولا ولد. **٨٠**

واتخذوا من دون الله آلهة -يعبدونها معه- ليكونوا لهم عزا: غلبة وقوة ومنعة، فيدفعوا عنهم. **٨١**

كلا! ليس الأمر كما ظنوا، سيكفرون بعبادة آلهتهم -وينكرون شركهم كما قال تعالى ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنَّا مشركين. ﴾ [الأنعام ٢٣]، بل وستكفر آلهتهم بعبادتهم لها كما قال تعالى ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنَّا ندعو من دونك فألقَوا إليهم القول إنكم لكاذبون. ﴾ [النحل ٨٦]- ويكون بعضهم لبعض -يوم القيامة- ضدا متعادين. **٨٢**

ألم ينته علمك أيها النبي الكريم أن الله أرسل سبحانه الشياطين على الكافرين -مسلطا، بسبب ما هم عليه من عناد واستمرار على الكفر- تدفعهم -إلى عصيانه سبحانه- دفعا وتحرضهم تحريضا؟ **٨٣**

فلا تعجل عليهم -متمنيا عقابهم: دعهم يزدادوا إثما- إنما يعد الله لهم -الأعمار والأعمال- عدا. **٨٤**

اذكر يوم -القيامة، حين- يجمع الله المتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه إلى الرحمن ركبانا مكرمين. **٨٥**

ويسوق الله المجرمين مستحقي العقاب إلى جهنم مشاة عطاشا. **٨٦**

لا يملك الخلق الشفاعة، إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا: بإسلامه وصار صالحا أهلا للشفاعة. **٨٧**

وزعم الكفار أن اتخذ الرحمن ولدا! **٨٨**

لقد اقترفتم -أهل الكتاب وأهل الشرك بزعم أن عزير أو عيسى عليه السلام أو الملائكة ذريته- شيئا فظيعا. **٨٩**

تكاد السماوات يتشققن منه -لثقل فظاعته- وتنشق الأرض وتسقط الجبال منهدمة. **٩٠**

أن نسبوا للرحمن ولدا: وكفى به سببا تزول من أجله السماوات والأرض والجبال. **٩١**

وما ينبغي للرحمن ولا يليق به حالا -سبحانه- أن يتخذ ولدا. **٩٢**

إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن -يوم القيامة- عبدا: خاضعا، مقرا بعبوديته له. **٩٣**

لقد أحصاهم -سبحانه، كل من في السماوات والأرض- وعدهم عدا: ما خفي عليه منهم شيء. **٩٤**

وكلهم آتيه -سبحانه، لا محالة- يوم القيامة فردا: ليس ينفعه من الدنيا إلا إيمان وعمل صالح. **٩٥**

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم
مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ
لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ
فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ
ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا
فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ
أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ
أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

إن الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة سيجعل لهم الرحمن محبة صادقة: في صدور عباده المؤمنين -دون أن يطلبوها أو يسعوا إليها- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ إذا أحب الله عبدا نادى جبريل: إني قد أحببت فلانا فأحبه، قال: فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قول الله: ﴿ إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا. ﴾، وإذا أبغض الله عبدا نادى جبريل: إني أبغضت فلانا، فينادي في السماء ثم تنزل له البغضاء في الأرض. ﴾ [البخاري ٣٢٠٩ * مسلم ٢٦٣٧ * الترمذي ٣١٦١ * أحمد ٧٦٢٥]. **٩٦**

فإنما يسر الله القرآن -فنزل سهلا- بلسانك -العربي- أيها النبي الكريم لتبشر به المتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه، وتنذر به قوما شديدي الخصومة: للدين ولأهله، فتقوم عليهم الحجة. **٩٧**

وما أكثر الأمم المتتالية -الفاسقة الخارجة عن طاعته- التي أهلكها الله -كعاد وثمود وغيرهما- قبل هؤلاء شديدي الخصومة للدين ولأهله، هل تشعر من تلك الأمم الهالكة بأي أحد أو تحس بوجوده؟ أو تسمع لهم صوتا -ولو- خافتا خفيا؟ **٩٨**

* سورة طه *

* مكية *

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. **١**

ما أنزل الله عليك أيها النبي الكريم القرآن لتشقى: فلا تحزنن على كفر الناس وتكذيبهم به. **٢**

إلا تذكرة لمن يخشى: فما أنزله إلا لينتفع به من يخشى الله، أما غيرهم فهو يقيم عليهم الحجة. **٣**

تنزيلا -له مدح خاص- ممن خلق الأرض والسماوات العليا المرتفعة: سبحانه وتعالى. **٤**

الرحمن على العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- استوى استواء يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه لا ندري كيفيته. **٥**

له ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وما بينهما، وما تحت التراب الندي. **٦**

وإن تعلن بالقول -ذكرا لله أو غير ذلك- فإنه يعلم السر -بل- وأخفى: منه يعلمه، كخواطر النفس. **٧**

لا معبود بحق سواه، له الأسماء -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ إن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة. ﴾ [البخاري ٢٧٣٦ * مسلم ٢٦٧٧ * الترمذي ٣٥٠٨ * ابن ماجة ٣٨٦٠ * أحمد ٧٥٠٢]- الحسنى: دالة على جلاله وكماله. **٨**

وهل أتاك أيها النبي الكريم خبر موسى وقصته: وما لاقى من مشاق؟ **٩**

حين رأى -في سفره- نارا، فأمر أهل بيته ألا يتحركوا: إنه أبصر نارا، رجاء أن يأتيهم منها بشعلة، أو يجد على النار هداية: إلى الطريق، فيكون عندها أحد من البشر يرشده كيف يتجه. **١٠**

فلما أتى النار نودي "يا موسى": جرى مناداته -من قبل الله- باسمه. **١١**

أخبره أنه هو ربه -من يكلمه، آمرا- فاخلع نعليك: إنك بالواد المقدس -المطهر المسمى- طُوى. **١٢**

وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا
يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا
وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن
لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ
أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ
أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

وأخبره أنه اختاره -للنبوة والرسالة- من ثم أمره فليستمع لما -إليه- يوحى. **١٣**

إنه -قطعا- هو الله لا معبود بحق سواه فليعبده، ويؤد الصلاة ويظهر هيئتها ويديمها بشروطها ليذكر الله إذا ذكرها كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ ﴾ [البخاري ٥٩٧ ★ مسلم ٦٨٤ ★ أبو داود ٤٤٢ ★ الترمذي ١٧٨ ★ النسائي ٦١٣ ★ ابن ماجة ٦٩٦ ★ أحمد ١١٩٧٢]. إن الساعة آتية يكاد الله يخفيها -فليس يظهر إلا علامات القيامة- لتجزى كل نفس بجزاء ما تسعى: عملا وتركا. فلا يصدنه عنها -فينصرف عن العمل لها- من لا يؤمن بها واتبع هواه -فظل على ضلاله- فيسقط ويهلك. **١٤ ~ ١٦**

فائدة! شأن الصلاة عظيم، وإضاعتها هلاك، فمن نسي صلاة من الصلوات فليصلها حين يتذكرها.

صلاتُكَ أدِّها، والمَرءُ يَنسى ... إضاعَتُها هلاكٌ يا ظَفِيرُ

سأل -سبحانه، وهو أعلم بحال خلقه، لكن جذبا للاهتمام- وما تلك بيده اليمنى موسى؟ أجاب بأن هي عصاه يتكئ عليها -في القيام والوقوف والمشي- ويضرب بها الشجر لتتساقط الأوراق على غنمه -ويزجر غنمه بها- وله فيها منافع وأغراض أخرى. أمر موسى أن يلقيها. فألقاها، فإذا هي -فجأة- حية تتحرك بسرعة وخفة: ثعبان على الأرض. أمره أن يأخذها ولا يخاف -مطمئنا- سيعيدها سبحانه إلى حالتها الأولى. ويضمم يده إلى جنبه -إن يفعل- تخرج بيضاء -تتلألأ نورا- من غير عيب ولا برص -هذه- آية أخرى. ليريه الله من آياته سبحانه الكبرى الدالة على كمال قدرته فعل ذلك. **١٧ ~ ٢٣**

من ثم أمره أن يذهب إلى فرعون، إنه طغى: متجاوزا كل حد. **٢٤**

دعا ربه أن يشرح له صدره: فيهيئه ليستطيع موسى عليه السلام تحمل الأذى وكتم الغضب والغيظ. **٢٥**

وييسر له أمره: الذي كلفه به، فيسهله عليه. **٢٦**

ويطلق لسانه ويزيل ما قد يكون به من ثقل أو عجمة، ويمكنه من النطق بالفصيح من الكلام. **٢٧**

يفقه فرعون وقومه كلامه: إن فعل سبحانه، فيفهموا حين يبلغهم عليه السلام ما أمره الله بتبليغه. **٢٨**

ويجعل له وزيرا من أهل بيته: مؤازرا له ومعينا. **٢٩**

هارون أخوه: هو من يسأل موسى عليه السلام ربه أن يجعله وزيرا له. **٣٠**

يقوي بهارون عليه السلام ظهره: فيعينه على ما هو مقدم عليه. **٣١**

ويشركه في أمره: الذي كلفه به، فلا يتحمل تكاليفه وحده، ويشركه كذلك في أمر النبوة. **٣٢**

كي ينزهاه -سبحانه- ويقدساه تنزيها وتقديسا كثيرا: متعاونَين على البر والتقوى. **٣٣**

ويذكراه -سبحانه، ذكرا- كثيرا: شاكرَين على ما تفضل به عليهما من نعم. **٣٤**

إنه -سبحانه- كان بهما بصيرا: لا يخفى عليه شيء من أحوالهما، ويعلم ما يحتاجان. **٣٥**

أكد الله أن قد أعطيت ما سألت يا موسى. **٣٦**

ولقد أنعم سبحانه وتفضل عليه مرة -قبل هذه- أخرى: مذكرا إياه. **٣٧**

حين ألهم الله أمه -أو أرسل مرسلا يخبرها، ولم تصر من الأنبياء بذلك- ما أوحى: لحفظه ﵇. ٣٨
أن تقذفه في التابوت -صندوق- فتقذفه في الماء -ملقية إياه، قيل في النيل- فليلقه الماء بالساحل
-رادا إياه، بمشيئة الله، أمر واجب الوقوع- يأخذه -حينئذ- عدو لله وعدو لموسى ﵇ -فرعون- وألقى
الله عليه محبة منه -فحببه ﵇ إلى العباد- وليتربى على عينه: سبحانه، بمرأى منه وفي حفظه. ٣٩
حيث تمشي أخته -مستقصية أخبار أخيها، ﵇- فسألت -من أخذوه، مقترحة- هل تدلهم على من
يضمه ويقوم بكفالته: فقد كان لا يقبل الرضاعة كما قال تعالى ﴿ وحرَّمنا عليه المراضع ﴾ [القَصص ١٢]؟ فأرجعه الله إلى أمه كي تقر عينها وتطيب نفسها -بابنها- ولا تحزن، وقتل نفسا -خطأ كما قال
تعالى ﴿ فَوَكَزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان ﴾ [القَصص ١٥]- فنجاه الله من الغم
-والخوف والعقوبة- وفتنه الله مختبرا ممحصا مرارا -وخلصه في كل مرة- فمكث سنين في أهل مدين
-بعد خروجه من مصر هاربا- ثم جاء على قدر -في وقت وموضع قدر الله أن يكلم فيه- موسى. ٤٠
واصطنعه الله -وأحسن إليه ﵇، واختاره- لنفسه: سبحانه، ليكون رسوله. ٤١
أمره أن يذهب هو وأخوه -هارون ﵇- بآياته -سبحانه، عصا موسى ﵇، ويده ولسانه- الدالة على
كمال قدرته، ولا يضعفا في ذكره -سبحانه، وشكر نعمه- ولا يفترا، ولا يبطئا في تبليغ رسالته. ٤٢
أمرهما أن يذهبا إلى فرعون، إنه طغى: متجاوزا كل حد. ٤٣
فليلينا له الخطاب ويتلطفا، رجاء -منهما، أما الله فيعلم مآله- أن يتذكر -ما أمر الله به وما عنه نهى-
أو يخشى: عقاب ربه، فلا يستمر على العناد والكفر. ٤٤

فائدة! الرفق واللين هما وسيلة الدعاة والعاملين للإسلام لاكتساب قلوب العباد، أما الغلظة في الدعوة فنتائجها كما قال تعالى ﴿ ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضُّوا من حولك ﴾ [آل عمران ١٥٩].

ونَدعو خَلْقَ ربِّي يا دُعاةً ... بلُطفٍ لا نُعادي، لا تَثوروا!

أخبرا ربهما أنهما -قطعا- يخافا أن يبادرهما بعقوبة -فلا يتما دعوته- أو أن يطغى: متجاوزا حده. ٤٥
طمأنهما ألا يخافا، مؤكدا أنه -سبحانه، قطعا- معهما بالعون والتأييد، يسمع ويرى كل شيء. ٤٦
فليأتياه -قاصدَين فرعون- فيخبراه أنهما رسولا ربه، فيأمراه أن يرسل معهما بني إسرائيل -مطلقا إياهم
من الاستعباد- ولا يعذبهم -فيكف عما يفعله بهم- مؤكدان أن قد جاءاه بآية دالة على صدقهما من
ربه، والسلام -أمنا من عقابه سبحانه- على من اتبع الهداية: الدين الحق، توحيد الله وعبادته. ٤٧
إنهما قد أوحي إليهما أن العذاب -بالهلاك في الدنيا ثم العذاب بعدها واقع- على من كذب -بآيات
الله ورسله، لم يتبع الهداية- وأعرض متنحيا عن طاعة ربه. ٤٨
سأل -فرعون، وقد ذهبا إليه يدعوانه- فمن ربكما يا موسى؟ ٤٩
أجابه بأن ربهما الذي أعطى كل شيء -يحتاجه- خلقه، ثم وفق وأرشد: إلى الانتفاع بما أعطى. ٥٠
سأله فما شأن الأمم المتتالية السابقة وحالها: لم تؤمن بمثل هذا، بل كانت على الشرك؟ ٥١

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ
فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا
تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا
لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ
عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾
فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ
كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ
وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا
خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ
أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا
مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ
فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا
سُوٗى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴿٥٩﴾
فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ
وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ
ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم
مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾
فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾

أجابه بأن علمها عند ربه في اللوح المحفوظ، لا يغيب ربه -عن شيء- ولا يخطئ ولا ينسى. **٥٢**
الذي جعل لكم -أيها الناس- الأرض ممهدة، وانفذ لكم فيها طرقا، وأنزل من السماء مطرا، فأخرج سبحانه به أصنافا من نبات متفرقة مختلفة. **٥٣**
كلوا -مباح لكم ما أنبت ربكم- وارعوا أنعامكم -من إبل وبقر وغنم- إن في ذلك -المذكور- لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لأهل العقول. **٥٤**
منها -من ترابها- خلقكم سبحانه -بأن خلق أباكم آدم ﷺ منه- وفيها يعيدكم سبحانه -فبعد الموت في الأرض تدفنون- ومنها يخرجكم سبحانه -للحساب- مرة أخرى. **٥٥**
ولقد أرى الله فرعون آياته سبحانه الدالة على كمال قدرته -التي بها أرسل موسى وهارون ﷺ- كلها، فكذب -مستكبرا عن توحيد الله، ظلما وعنادا ليس جهلا كما قال تعالى ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعُلُوًّا ﴾ [النمل ١٤]- وامتنع: عن الإيمان. **٥٦**
سأل أجئتنا لتخرجنا -فرعون وقومه- من أرضنا -مصر، لتستولي على ملكها- بسحرك يا موسى؟ **٥٧**
من ثم أقسم فليأتينه بسحر مماثل -يبطل ما جاء به، فيظهر أنه ليس نبيا- فطلب منه أن يحدد موعدا -مكانا وزمانا- لا يتخلف عنه هو ومن معه ولا موسى ﷺ -وليكن- مكانا مستويا وسطا بينهما. **٥٨**
حدد -ﷺ- يوم الزينة -العيد- وأن يجمع الناس -للاحتفال- أول النهار: هذا موعد لقائهم. **٥٩**
فأعرض فرعون متنحيا، فجمع مكائده -ممن يكيد بهم لتثبيت ملكه من أهل السحر كما قال تعالى ﴿ فجُمع السحرة لميقات يوم معلوم. ﴾ [الشعراء ٣٨]- ثم -في الموعد المحدد- أتى. **٦٠**
حذرهم موسى شدة الحسرة والهلاك: لا يفتروا على الله كذبا، فيستأصلهم -سبحانه- بعذاب -فعاقبة سحرهم أن يظن الناس أن ما جاءوا به من عند الله- وقد خاب وخسر من افترى: متقولا على الله. **٦١**
فائدة! خاب وخسر علماء السلطان الذين اشتروا بدينهم دنيا أسيادهم! يضللون الأمة ويفترون على الله الكذب، وجزاؤهم كما قال تعالى ﴿ قل إنَّ الذين يفترون على الله الكذب لا يُفلحون. متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون. ﴾ [يونس ٦٩ ٧٠]، وكيف لا يحكم بكفر من عطل الشريعة؟ ونصب نفسه محللا محرما محسنا مقبحا؟ وجعل محاكم تعمل بغير ما أنزل الله لها المرجعية في الحكم والقضاء، لا يمكن مساءلتها أو التعقيب والاعتراض على أحكامها؟

شريعةُ ربِّكُم عُلَماءَ زُورٍ! ... ألَمْ يُكفَرْ بِها؟ أفَلَنْ تَغُوروا؟!

فتنازع السحرة أمرهم -متناظرين- بينهم -فكلام موسى ﷺ ليس مما اعتادوا عليه- وتناجوا سرا. **٦٢**
استقر رأيهم -أجل!- إن هذان -موسى وهارون ﷺ، حاشاهما- لساحران، يريدان أن يخرجاهم من أرضهم -مصر- بسحرهما، ويذهبا بطريقة عيشهم -فيقضيا على سيرتهم الحسنة- وحالهم الأمثل. **٦٣**
من ثم تواصوا -شاحذين هممهم- فأجمعوا مكائدكم -محكمين أمركم غير مختلفين، على نصر مؤزر عازمين- ثم تقدموا في صف -مجتمعين- وقد أفلح ونال مطلوبه اليوم من استعلى: غالبا خصمه. **٦٤**

خيروا موسى -واثقين بالنصر- إما أن يبتدئ بإلقاء ما معه، وإما أن يكونوا المبتدئين بالإلقاء. ٦٥
تحداهم -عليه السلام- واثقا بنصر ربه، وليفتضح أمرهم مع علمه بأن السحر محرم- بل ألقوا -فألقوا ما معهم-
فإذا حبالهم وعصيهم -فجأة- يخيل إليه من -عظم- سحرهم أنها -ثعابين- تتحرك بسرعة وخفة. ٦٦
فأضمر في نفسه خوفا موسى: من أن يختلط الأمر على الناس فلا يؤمنوا بسبب ما صنع السحرة. ٦٧
فائدة! يشفق الأنبياء والدعاة وأهل الإصلاح على الناس مما قد يعرضهم للفتنة والتكذيب بالحق كما
ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ لما كان ليلة أسري بي، وأصبحت بمكة،
فظعت بأمري، وعرفت أن الناس مكذبي، فقعد معتزلا حزينا ﴾ [أحمد ٢٨١٩].

ويُشفِقُ مُصلِحٌ مِنْ فِتنَةٍ قَدْ ... تُصيبُ الناسَ إنْ شُهِدَ المُثيرُ

طمأنه سبحانه ألا يخاف، إنه هو -عليه السلام-، بنصر واضح يزيل أي التباس- الغالب المستعلي عليهم. ٦٨
وأمره أن يلقي ما في يده اليمنى، تلتهم -عصاه بعد إلقائها- ما صنعوا -من حبال وعصي- إنما صنعوا
مكيدة ساحر -ليس آية معجزة من الله- ولا نجاة ولا فوز للساحر حيثما كان وأينما توجه. ٦٩
فألقي السحرة -إذ أيقنوا: ما هذا بسحر، لله- سجدا، أقروا بإيمانهم برب هارون -الذي لم يذكر أنه
أضمر في نفسه خوفا- وموسى: مؤكدين أنه سبحانه المستحق للعبادة والطاعة وحده دون سواه. ٧٠
أنكر -فرعون- أن اطمأنوا لموسى عليه السلام وصدقوه، قبل أن يأذن لهم! زاعما أنه -قطعا، حاشاه- كبيرهم
-ومعلمهم- الذي علمهم السحر، مقسما فليقطعن أيديهم وأرجلهم من خلاف -يد من جهة ورجل
من الأخرى- وليصلبنهم -ملصقين- في جذوع النخل، وليعلمن أيهما أشد عذابا وأدوم: ما توعدهم به
عليه السلام كما قال تعالى ﴿ لا تفتروا على الله كذبا فيُسحتكم بعذاب ﴾ [طه ٦١] أم عذابه. ٧١
أجابوا بأن لن يقدموه على ما جاءهم -به عليه السلام- من الأدلة الجلية البينة، ولن يفضلوه على -الله- الذي
خلقهم على غير مثال سابق، فليفعل ما هو فاعل -من قطع وصلب وعذاب- إنما قضاؤه وسلطانه في
هذه الحياة الدنيا: الفانية على كل حال، ولا سبيل له عليهم بعدها. ٧٢
أكدوا أنهم آمنوا بربهم ليغفر لهم أخطاءهم الكثيرة وما أكرههم فرعون عليه من السحر -قيل أنه أخذهم
صغارا وأجبرهم على تعلمه- والله خير -من الحياة الدنيا بأسرها- وأفضل، وأدوم: ثوابا، وعذابا. إنه من
يأت ربه مجرما مستحقا للعقاب فإن له جهنم لا يموت فيها -فيستريح- ولا -مرتاحا- يحيا. ٧٣ ٧٤
ومن يأته مؤمنا قد عمل -تصديقا لإيمانه- الأعمال الصالحة فهؤلاء لهم المراتب الرفيعة العالية: في
الجنة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف
من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم،
قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا
بالله وصدقوا المرسلين. ﴾ [البخاري ٣٢٥٦ * مسلم ٢٨٣١]. جنات إقامة دائمة غير منقطعة تجري
خلالها الأنهار، خالدين فيها -ينعمون- وذلك -الثواب- جزاء من تنزه من الإثم. ٧٥ ٧٦

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ
أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا
تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ
كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ
لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا
عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ
عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا
فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن
طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ
وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن
قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ
رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ
يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ
أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم
مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ
أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

ولقد أوحى سبحانه إلى موسى أن أسر بعبادي -سائرين في الليل كما قال تعالى ﴿ فأسر بعبادي ليلا إنكم مُتَّبعون. ﴾ [الدخان ٢٣]- فاضرب لهم طريقا في البحر يابسا -كما قال تعالى ﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ﴾ [الشعراء ٦٣]- لا تخاف أن تدرك، ولا تخشى: الغرق. **٧٧**
فأتبعهم فرعون بجنوده -ولحقوهم- فغمرهم وغطاهم من الماء ما -هو مهول- غمرهم وغطاهم. **٧٨**
وأضل فرعون -عن الحق- قومه -فأغرقهم، دنيا وآخرة- وما -إلى طريق الفوز والنجاة- أرشد. **٧٩**
يا بني إسرائيل قد أنجاكم الله من عدوكم -فرعون ومن والاه- وواعدكم سبحانه -أن يأتي نبيكم موسى عليه السلام لمناجاته سبحانه، وليتنزل التوراة من أجلكم- جانب -جبل- الطور الأيمن -بالنسبة إليكم- ونزل الله عليكم المَنّ -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه ﴿ الكمأة من المَنّ الذي أنزل الله على موسى وماؤها شفاء للعين. ﴾ [البخاري ٤٤٧٨ * مسلم ٢٠٤٩ * الترمذي ٢٠٦٧ * ابن ماجة ٣٤٥٤ * أحمد ١٦٢٥] بغير مجهود منهم- وطيرا صغيرا طيب لحمه. **٨٠**
كلوا من طيبات ما رزقكم الله -مباح لكم- ولا تطغوا فيه متجاوزين لحدود الله -بالإسراف فيه أو جحد نعم الله أو عدم شكرها أو عصيان المنعم، فالمادة هي بذرة الطغيان، وليس يجتمع تواضع وإسراف- فيحل عليكم غضبه -سبحانه- ومن يحلل عليه غضبه -سبحانه- فقد صار إلى الهاوية وهلك. **٨١**
وإن الله لكثير المغفرة ستار لمن تاب -من كل كفر- وآمن -بعد السماع بالإسلام لا يتحقق ذلك إلا في أهله كما قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. ﴾ [آل عمران ٨٥]- وعمل -تصديقا لإيمانه- صالحا، ثم -استقام، وثابتا على ذلك- اهتدى. **٨٢**
سأل -سبحانه، وهو أعلم بحال خلقه- وما حمله على أن يتعجل عن قومه -إلى موعد مناجاته كما قال تعالى ﴿ وواعدناكم جانب الطور الأيمن ﴾ [طه ٨٠]- ويخرج من بينهم موسى؟ **٨٣**
أجاب -عليه السلام معتذرا- بأنهم ها هنا على مقربة منه، وجاء متعجلا إلى ربه ليزداد رضاه عنه ويدوم. **٨٤**
أكد فإنه سبحانه قد فتن سبحانه قومه من بعد خروجه مختبرا، وأضلهم -عن الحق- السامري. **٨٥**
فرجع موسى إلى قومه غضبان محزونا، سأل قومه -موبخا مقرعا- ألم يعدهم ربهم وعدا حسنا كما قال تعالى ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى. ﴾ [طه ٨٢]؟! أفطال عليهم العهد: زمنا، فكان ما فعلوا نسيانا لما وعدهم ربهم به؟ أم أرادوا أن -يفعلوا ما بسببه- يحل عليهم غضب من ربهم، فأخلفوا موعده: الذي وعودوه إياه عليه السلام، بالثبات على طاعة ربهم حتى يجتمعوا مجددا؟ **٨٦**
أجابوه بأن ما أخلفوا موعده بأمرهم واختيارهم، ولكنهم -اضطروا، إذ أنهم- حملوا ذنوبا من زينة القوم -بسبب حلي قيل استعاروها من قوم فرعون قبل الخروج من أرض مصر ولم يردوها، وقيل اغتنموها من فرعون وجنوده بعد غرقهم ولم تكن حلالا لهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ﴿ وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي ﴾ [البخاري ٣٣٥ * مسلم ٥٢١ * أحمد ١٤٢٦٤]- فقذفوها -في النار، طلبا للخلاص من الإثم- فمثلما قذفوا ما معهم ألقى -ما معه- السامري. **٨٧**

فأخرج لهم -من الحلي- عجلا تمثالا له خوار -كصوت البقر- فزعم من فتن به أن هذا إلههم -الذي يستحق العبادة!- وإله موسى، فنسي: موسى عليه السلام أن يذكر لهم أن هذا إلهه! أو نسي مكان الموعد، فخرج يطلب إلهه في غير موضعه! بل نسي السامري دينه، فمال بصياغة العجل عن كل حق. **٨٨**
أفلا يرون ألا يرد على كلامهم: فما هو إلا تمثال عجل لا روح فيه، وإن كان يخرج صوتا دون حرف؟ ولا يستطيع دفع ضرر عنهم ولا جلب نفع لهم؟ **٨٩**
ولقد خاطبهم هارون من قبل -عودة موسى عليه السلام- مؤكدا لقومه أنما فتنوا به -فلأنه من حلي رسبوا في الاختبار- وأن ربهم الرحمن -ليس العجل!- فليتبعوه -في عبادة الرحمن وحده- ويطيعوا أمره. **٩٠**
أخبروه أن لن يزالوا على عبادة العجل مقيمين حتى يرجع إليهم موسى: يخبرهم ما الصواب. **٩١**
سأل -موسى عليه السلام، بعد عودته- هارون ما منعه حين رأى -كثيرا من- قومه ضلوا: فعبدوا العجل. **٩٢**
ألا يتبعه: ما اضطره إلى ذلك؟ ألا يفارقهم منكرا عليهم فيلحق بأخيه عليه السلام؟ أفعصى أمره؟ **٩٣**
طلب -هارون عليه السلام مستلينا موسى عليه السلام- من ابن أمه ألا يجره من لحيته ولا من -شعر- رأسه كما قال تعالى ﴿ وأخذ برأس أخيه يجرُّه إليه ﴾ [الأعراف ١٥٠]، من ثم أخبره أنه خشي أن يلومه -إن لحق به، منكرا على المفتونين بالعجل- على فرقة -كانت ستحدث- بين بني إسرائيل -فريق مفتون بالعجل وآخر منكر، وعلى تركهم، ليس لهدمه "وحدتهم القومية" إنما لإهماله وصيته كما قال تعالى ﴿ وقال موسى لأخيه هارون اخلُفني في قومي وأصلح ﴾ [الأعراف ١٤٢]- وعلى عدم انتظار رأيه. **٩٤**
سأل -موسى عليه السلام- فما خطبك يا سامري: والشأن الذي حملك على فعل ما فعلت؟ **٩٥**
أجاب بأن بصر بما لم يبصر به بنو إسرائيل -فلم يعرفوا من قبل صناعة تماثيل تخرج أصواتا- فكان قد تحصل على نصيب قليل كقبضة اليد من أثر الرسول -موسى عليه السلام، من سنته وشرعه- فطرح ما تحصل عليه -من علم بسنته وراء ظهره وجحده وكفر، وقيل أن ما بصر به هو أثر فرس الرسول المَلَك جبريل عليه السلام وهو يغرق فرعون، فأخذ قبضة من تراب حافر فرسه فطرحها مع الحلي في النار ليصنع لهم عجلا يخرج صوتا يفتنهم- ومثل ذلك التزيين للكفر والإغراء به سولت له نفسه: فأغرته بما قام به. **٩٦**
أمره فليذهب -من بينهم ويخرج عنهم- فإن له في الحياة ألا يخالط أحدا ولا يخالطه أحد -فعقابا له أمر موسى عليه السلام بني إسرائيل ألا يخالطوه ما دام حيا ليعيش منبوذا- وإن له موعدا -لعذابه: يوم القيامة- لن يخلفه، وأمره أن ينظر إلى إلهه -العجل- الذي ظل -فترة وجيزة- على عبادته مقيما: ليحرقنه -عليه السلام بالنار، ويبردنه بالمبرد- ثم ليقتلعنه ويلقينه في الماء ينثره فيه فلا يبقى له أثر. **٩٧**
فائدة! خلق فتنة لإضلال عوام الناس ليس بالأمر الصعب، والساعي لذلك يجب عقابه وجعله عبرة.
وإضلالُ الوَرى ما كان صَعبًا ... مصيرُ المُشعِلِينَ لها مَرِيرُ
إنما إلهكم -المعبود، أيها الناس- الله الذي لا معبود بحق سواه، شمل علمه كل شيء: سبحانه، لا يفوته علم شيء من الأشياء. **٩٨**

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا
وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ
مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي
وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ
إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾
أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي
وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ
بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ
ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكۡرٗا ﴿٩٩﴾ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ﴿١٠٠﴾
خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴿١٠١﴾ يَوۡمَ يُنفَخُ
فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ
أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ﴿١٠٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ
فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴿١٠٧﴾ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ
لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ﴿١٠٨﴾
يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ
قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلۡمٗا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ
ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ
ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا
فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١١٣﴾

مثلما قص من أخبارهما ﷺ يقص الله عليك أيها النبي الكريم من أخبار ما قد سبق -فيثبت به قلبك كما قال تعالى ﴿ وكلًا نقُص عليك من أنباء الرسل ما نُثبِّت به فؤادك ﴾ [هود ١٢٠]، ويصير علمك به دليلا أنك نبي- وقد أعطاك الله من عنده سبحانه ذكرا: قرآنا، تذكيرا للخلق بما فيه صلاحهم. **٩٩**
من أعرض عن القرآن -ومعه السنة- منصرفا فإنه يحمل يوم القيامة ذنبا: يستوجب العقاب. **١٠٠**
فائدة! من الناس معرض عن القرآن لا يؤمن به، ومنهم معرض يعطله فلا يعمل به ولا يحكم بما جاء فيه، ومنهم معرض لا يقرأه ولا يتعبد به، ومنهم معرض لا يفهمه ولا يهتم بتفسيره ولا بتدبر معانيه.

وأَعرَضَ عَنْ كتابِ اللهِ خَلْقٌ ... بما عَمِلوا لهمْ خِزيٌ وبُورُ

خالدين في الذنب -وعقابه، لإعراضهم عن القرآن- وسيئ لهم يوم القيامة ما -من ذنب- حملوا. **١٠١**
يوم -القيامة- ينفخ في الصور كما قال تعالى ﴿ ونُفخ في الصور فصَعِق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ﴾ [الزُّمَر ٦٨]، ويجمع الله المجرمين مستحقي العقاب يومئذ -من الخوف والعطش- زرقا: ألوانهم. **١٠٢**
يتحدثون بينهم بصوت خافت زاعمين أن ما مكثوا -في الدنيا وفي القبور- إلا -أياما- عشرا. **١٠٣**
الله أعلم بما يزعمون، إذ يزعم أمثلهم حالا وأكملهم عقلا ورأيا -من الهول- أن ما مكثوا إلا يوما. **١٠٤**
ويسألك العباد أيها النبي الكريم عن الجبال، فأجبهم بأن يقتلعها ربك وينثرها فلا يبقى لها أثر. فيتركها -أرضا- ظاهرة مستوية ليس عليها شيء. لا يرى الرائي فيها ارتفاعا ولا انخفاضا. **١٠٥ ~ ١٠٧**
يومئذ يتبع الخلق الداعي -إذ يدعوهم للحساب- لا انحراف ولا معدل لهم عن إجابة دعوته لا فرار منه، وسكنت الأصوات للرحمن تواضعا وتذللا، فلا تسمع -أيها الإنسان- إلا صوتا خافتا خفيا. **١٠٨**
يومئذ لا تنفع الشفاعة، إلا -شفاعة- من أذن له الرحمن -في أن يشفع لموحد- ورضي له قولا. **١٠٩**
يعلم ما مضى من أمر عباده وما يستقبلونه لم يقع بعد، ولا يحيطون بذاته وصفاته ومعلوماته علما. **١١٠**
وخضعت وجوه العباد وذلت واستكانت للحي دائم البقاء، القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع خلقه، وبه قام جميع الخلق -فهو الخالق الرازق المدبر- وقد خاب وخسر من حمل -لنفسه أو لغيره- ظلما: وأعظم الظلم الشرك كما قال تعالى ﴿ إنَّ الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان ١٣]. **١١١**
ومن يعمل من الأعمال الصالحة، وهو مؤمن كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [مسلم ٨ ★ أبو داود ٤٦٩٥ ★ الترمذي ٢٦١٠ ★ النسائي ٤٩٩٠ ★ ابن ماجة ٦٣ ★ أحمد ٣٦٧] فلا يخاف ظلما -فلن يعذب بذنب لم يقترفه- ولا هضما: فلن ينقص من ثوابه شيئا. **١١٢**
ومثلما أنزل كتبه على أمم سابقة بألسنتهم أنزل الله كتابه قرآنا عربيا، ونوع الله فيه -ضروبا وأصنافا- من الوعيد -لأهل الكفر والعصيان بالعذاب- رجاء أن يتقوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، أو يحدث لهم -القرآن- تذكرا واعتبارا. **١١٣**

فتباعد وارتفع -عما يصفه الكفار به- الله الملك الحق -مالك كل شيء، بيده الثواب والعقاب، لا يتحقق ملكا كاملا إلا له- ولا تعجل أيها النبي الكريم بالقرآن -فتحرك به لسانك، خشية نسيانه- من قبل أن يقضى إليك وحيه -ويفرغ، بل أطرق للوحي منتبها- وسل ربك أن يزيدك -بكتابه- علما. ١١٤
ولقد أوصى الله آدم -ألا يقرب الشجرة- من قبل -هذا الزمان- فنسي -لم يعمل بالعهد- ولم يجد الله له عزما: على معصيته، فلم يوطن نفسه على عدم العمل بالوصية، بل وسوس له الشيطان، فزل. ١١٥
واذكر حين أمر سبحانه الملائكة أن يسجدوا لآدم -تحية وتقديرا، ليس عبادة- فسجدوا -مطيعين- إلا إبليس -هو كما قال تعالى ﴿ وإذ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾ [الكهف ٥٠]- امتنع: فصار كافرا. ١١٦
فحذر الله آدم أن هذا عدو له ولزوجته -حواء عليها السلام- فلا يخرجنهما -إبليس- من الجنة -إن أطاعاه فيما يوسوس به- فيشقى: من التعب في تحصيل ما لابد لهما منه، بعد أن كان مرتاحا. ١١٧
إن له -آدم عليه السلام- ألا يجوع في الجنة، ولا يعرى: وعد من الله لا ريب في تحققه. ١١٨
وأنه لا يعطش فيها، ولا يصيبه حر. ١١٩
فائدة! كما يجب محاربة الفقر والجوع والعطش، ويجب اتقاء الحرارة الشديدة يجب محاربة العري والسفور، والحر ليس مبررا للتعري أو لكشف ما دل الشرع على وجوب ستره.

مُحارَبَةُ التَّعَرِّي كالطَّعامِ ... يَجِبْ تَوفيرُهُ، ذُمَّ السُّفورُ

فوسوس إليه الشيطان، سأل آدم -مغويا مضلا- هل يدله على شجرة الخلد -تلك التي من أكل منها لا يموت أبدا- وملك -دائم مستمر، لمن أكل منها- لا يزول ولا ينقضي ولا ينقطع؟ ١٢٠
فأكلا منها -وهي شجرة نهاهما الله عنها كما قال تعالى ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكُلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ [الأعراف ١٩]- فبدت لهما عوراتهما -ظاهرة- وبدآ يلزقان عليهما من ورق الجنة -ليستترا- وعصى آدم ربه -بالأكل مما حرم عليه- فمال عن الرشد. ١٢١
ثم اختاره ربه وجعله من خاصته، فوفقه للتوبة -وقبل توبتهما- ووفق وأرشد: إلى الثبات عليها. ١٢٢
أمرهم -سبحانه- أن يهبطا من الجنة جميعا، آدم وحواء عليهما السلام وذريتهما أعداء لإبليس وذريته، فإن هم أتاهم منه هداية فمن اتبع نبييه -فعمل بالشرع- فلا يضل -في الدنيا- ولا -في الآخرة- يشقى. ١٢٣
ومن أعرض منصرفا عن ذكره -سبحانه، ودعائه، ودينه الحق- فإن له معيشة شديدة الضيق -في الدنيا بغير قناعة ولا طمأنينة، وفي القبر كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ أن النبي ﷺ سمع صوتا من قبر فقال: متى مات هذا؟ قالوا: مات في الجاهلية، فسر بذلك، وقال: لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر. ﴾ [النسائي ٢٠٥٨ * أحمد ١٢٠٠٧]- ويجمعه الله يوم القيامة -مساقا مع أمثاله- أعمى: مسلوب البصر والحجة. ١٢٤
سأل ربه لماذا جمعه -مساقا مع هؤلاء- أعمى، وقد كان -في الدنيا- بصيرا صحيح البصر؟ ١٢٥

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾
فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ
عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾
وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ
يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾
وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾
فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ
وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ
تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ
لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم
بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ
مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ
ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ
فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

وبخه: مثلما أتته آيات الله فنسيها -لم يعمل بها- ومثل نسيانه هذا اليوم -متروكا معذبا- ينسى. **١٢٦**

ومثل ذلك الجزاء يجزي الله من أسرف -مفرطا في تجاوز حدود الله- ولم يؤمن بآيات ربه الدالة على وحدانيته وكمال قدرته، ولعذاب الآخرة أشد وأدوم: من كل ما قد يقاسيه في الدنيا وفي القبر كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿ القبر أول منازل الآخرة فإن ينج منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه ﴾ [الترمذي ٢٣٠٨ ★ ابن ماجة ٤٢٦٧ ★ أحمد ٤٥٤]. **١٢٧**

أفلم يتبين للكفار كم أهلك الله قبلهم من الأمم المتتالية -وهم- يمشون في مساكن بعض تلك الأمم ويرون ما أبقى الله من آثارهم؟ إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لأهل العقول. **١٢٨**

ولولا ما سبق من قضاء ربك أيها النبي الكريم -ألا يعجل عقابهم في الدنيا، بل يؤخر عقابه عنهم فلا يستأصلهم بعذاب- لكان ملازما -لا يتأخر عنهم، فقد استحقوه- وأجل محدد كذلك سبق من قضاء ربك: لبعض العذاب يأتيهم يوم بدر، ثم لوقوفهم بين يديه يوم القيامة. **١٢٩**

فاصبر على ما يتفوه به أهل الكفر: حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]، وواظب على تنزيه ربك وتقديسه متلبسا ومقرونا بالثناء عليه قبل شروق الشمس وقبل غروبها، ومن ساعات الليل فواظب على تنزيه وتقديسه وأطراف النهار كذلك -فكن مداوما على الصلوات الخمس في أوقاتها- رجاء أن -تنال ما به نفسك- ترضى. **١٣٠**

ولا تطمحن ببصرك إلى ما متع سبحانه به أصنافا من الكفار من متع زائلة وبهجة دنيوية -إنما متعهم- ليفتنهم سبحانه فيما أنعم به عليهم: مختبرا، أيشكرون أم أنهم يكفرون؟ ورزق ربك -من ثواب أعده لأهل جنته في الآخرة- خير -مما أعطى الكفار- وأفضل وأدوم. **١٣١**

ومر أهل بيتك -وأمتك- بالصلاة، واصطبر عليها -فلا تشغل عنها بأمور الدنيا- لا يسألك سبحانه رزقا -تحصله لنفسك ولمن عليك مؤونتهم- الله يرزقك سبحانه -ويكفيكم، فهو الرزاق- والعاقبة -والنهاية الحسنة في الدنيا والآخرة- للتقوى بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه: فكونوا من أهل التقوى. **١٣٢**

فائدة! الأخذ بالأسباب واجب، لكن لا يجوز الانشغال بأسباب الرزق عن العبادة، ولا سيما الصلاة.

ونأخُذُ بالوسائلِ قَدْ أُمِرنا ... ويُشغَلُ عَنْ صلاةٍ مَنْ يَجورُ

واقترحوا أن يأتيهم بآية دالة على صدقه من ربه، أولم تأتهم بينة ما في الكتب السابقة: كما قال تعالى ﴿ الرسول النبي الأمِّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الأعراف ١٥٧]؟ **١٣٣**

ولو أن الله أهلكهم سبحانه بعذاب من قبل أن يرسله ﷺ إليهم لتساءلوا -يوم القيامة، متحججين- ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا، فنتبع آياتك -التي جاء به رسولك- من قبل أن نذل -بالعذاب في الدنيا- ونخزى: بدخول النار في الآخرة؟ **١٣٤**

أخبرهم أيها النبي الكريم أن كل منتظر مرتقب، فلينتظروا -بك الموت- مرتقبين -إن أرادوا- فسيعلمون -قريبا- من أصحاب الطريق السوي الموصل إلى النجاة، ومن -من ضلاله إليه- اهتدى. **١٣٥**

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١
مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ
يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ
تُبۡصِرُونَ ٣ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٤ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ
ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥
مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦
وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ
ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا
لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ
ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩
لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠

★ سورة الأنبياء ★

★ مكية ★

اقترب للناس حسابهم -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿ القبر أول منازل الآخرة فإن ينج منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه ﴾ [الترمذي ٢٣٠٨ ★ ابن ماجة ٤٢٦٧ ★ أحمد ٤٥٤]- وهم في غفلة -بالدنيا- معرضون عن الآخرة منصرفون. ١

فائدة! الأعمال التي ورد في السنة النبوية المطهرة أنها تنفع الميت المسلم هي قضاء الصيام والدين والنذر عنه، والدعاء له بالمغفرة والرحمة ونحو ذلك، والتصدق والحج والعمرة عنه، وإشراكه بالأضحية عند ذبحها، ونشر علمه النافع إن كان من أهل العلم، أما الميت الكافر فلا ينفعه شيء.

وَمَوتانا فَينفَعُهُم هَدايا ... عَلِمناها، ومَوتاهُم دُحورُ

ما يأتيهم من قرآن حديث النزول من ربهم للتذكر والاتعاظ إلا استمعوه وهم -لهوا وغفلة- يلعبون. ٢

لاهية قلوبهم -عن القرآن غافلة وبتدبر آياته غير آبهة، لكن الحجة قامت عليهم بمجرد السماع وصاروا مطالبين بالإسلام- وتناجوا سرا الذين ظلموا أنفسهم بالكفر -مستنكرين، وحاسدين- هل هذا -الذي يزعم أنه مرسل- إلا بشر مثلهم: ليس مَلَكا ولا جنيا؟ أفيتبعون من أتى السحر، وهم يبصرون ذلك؟ ٣

أكد -ﷺ- أن ربه يعلم كل ما يتفوه به الخلق في السماء والأرض -ومن جملته ما تناجى به هؤلاء- وهو السميع لكافة ما يقول عباده، العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ٤

بل -اضطرب المشركون، فقد- زعموا أن أخلاط أحلام -هو ما جاء به محمد ﷺ: شيء من الرؤى الكاذبة التي لا حقيقة لها- بل افترى ما جاءهم به -حاشاه- بل هو شاعر -فما جاء به هو من جنس الشعر ليس من عند ربه- من ثم اقترحوا فليأتهم بآية دالة على صدقه كما أرسل -الرسل- السابقون: إلى أممهم بآيات معجزات، كعصا موسى عليه السلام وناقة صالح عليه السلام وغيرهما. ٥

ما آمن قبل هؤلاء المشركين من قرية أهلكها الله -بسبب بقاء أهلها على الكفر، رغم نزول ما اقترحوا من آيات- أفهم -إن أنزل الله ما اقترحوا من آيات- يؤمنون؟ ٦

وما أرسل الله قبلك أيها النبي الكريم إلا رجالا -ليسوا ملائكة ولا جنا، ولا إناثا- يوحي سبحانه إليهم -وأنت أحدهم- فاسألوا أهل الذكر -القرآن، أيها الناس- إن كنتم لا تعلمون أمرا من الأمور. ٧

وما جعلهم الله تماثيل -لها أجساد لكن- لا يأكلون الطعام! وما كانوا خالدين: في الدنيا لا يموتون، بل الرسل كسائر البشر، يأكلون ويشربون، ويموتون. ٨

ثم صدقهم الله الوعد -منجزا ما أوحاه إليهم- فأنجاهم الله ومن يشاء سبحانه -ممن تفضل عليه فوفقه فاتبعهم وآمن بما جاءوا به- وأهلك الله المسرفين متجاوزي الحدود. ٩

لقد أنزل الله إليكم -أيها المشركون- كتابا -القرآن، شرفكم أن أنزله بلسانكم- فيه ذكركم -دينكم! وأحكامكم، وما تصيرون إليه من ثواب أو عقاب، به تتذكرون وتتعظون- أفلا تنتفعون بعقولكم؟! ١٠

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ
لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى
ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾
وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾
لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ
مَن قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

وما أكثر ما أباد الله من قرى كان أهلها ظالمين لأنفسهم بالكفر، وأوجد الله بعدهم قوما آخرين. **١١**
فلما أحسوا عقاب الله -فأدركوا مصيرهم- إذا هم منها يركضون مسرعين فارين. **١٢**
لا تركضوا مسرعين فارين! وارجعوا -أيها الكفار- إلى ما أبطرتم فيه من ترف ونعيم، ومساكنكم -فبها افتخرتم، ارجعوا إليها!- رجاء أن تسألون: فيقصدكم الناس لمعرفة ما حل بكم، فيعتبروا بذلك. **١٣**
تحسروا على أنفسهم، معترفين بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر. **١٤**
فما زالت تلك دعواهم -يتحسرون على أنفسهم، معترفين بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر- حتى جعلهم الله -كزرع محصود- حصيدا ميتين لا حركة لهم كنار خامدة. **١٥**
وما خلق الله السماء والأرض وما بينهما لاعبا سبحانه: ليس عبثا، بل دليل على قدرة مطلقة. **١٦**
لو أراد الله أن يتخذ سبحانه لهوا -زوجة أو ولدا أو غير ذلك- لاتخذه الله من عنده سبحانه -ليس من عند مخلوقاته- إن كان سبحانه فاعلا: شيئا من ذلك، حاشاه. **١٧**
بل يقذف الله بالحق -الذي يحمل أسباب القوة في ذاته- على الباطل -وما يروجه الكفار: زعم اليهود والنصارى أن له أولاد كما قال تعالى ﴿ وقالت اليهود عُزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ [التوبة ٣٠]، واختلق المشركون له بنات من الأوثان، ومن الملائكة كما قال تعالى ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتَّخذ من الملائكة إناثا ﴾ [الإسراء ٤٠]- فيهدمه ويقطعه، فإذا هو -فجأة- متلاش واه، ولمن زعم له زوجة أو ولدا شدة الحسرة والهلاك -في الآخرة- من جراء وصفهم الله بما لا يليق به. **١٨**
فائدة! لا يقوم الدين إلا بالعقيدة، فالنبي ﷺ لم يبدأ دعوته للكفار من نواح اجتماعية أو اقتصادية.
عقيدتُنا هيَ التوحيدُ حَصرًا ... لِنُظهِرْها، وإنْ سَئِمَ الحَميرُ!
وله من في السماوات والأرض -يفعل فيهم ما يشاء- ومن عنده -من ملائكة، مع منزلتهم الرفيعة- لا يستكبرون عن عبادته -بل ينقادون لأوامره سبحانه- ولا يتعبون ولا يكلون. **١٩**
ينزهون ويقدسون -الله- الليل والنهار -مواظبين على ذلك بلا انقطاع- لا يضعفون ولا يسأمون. **٢٠**
أم اتخذ المشركون آلهة من الأرض هم يبعثون -خلق الله- أحياء: أتقدر آلهتهم على ذلك؟! **٢١**
لو كان في السماوات -ملائكة- والأرض -أصنام وأوثان وشياطين، ومشرعون وحاكمون بغير شرع رب السماوات والأرض، وغير ذلك من الطواغيت- آلهة إلا الله -تستحق العبادة- لفسدتا -لتنازعهم جميعا على الملك كما قال تعالى ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذًا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا. ﴾ [الإسراء ٤٢]- فتنزه الله رب العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- وتقدس عما يصفونه به. **٢٢**
لا يسأل عما يفعل -من قبل أحد، لعظيم سلطانه- وهم يسألون: من قبل الله، ويجازون بأفعالهم. **٢٣**
أم اتخذ المشركون من دون الله آلهة: يعبدونها معه، أتستحق العبادة؟! سلهم أيها النبي الكريم أن يأتوا ببرهانهم! هذا ذكر من -آمن- معك -القرآن- وذكر من -كان- قبلك: التوراة والإنجيل، أفيها شرك؟ بل أكثرهم -جهلة يقلدون أسلافهم- لا يعلمون الحق، فهم معرضون عن الإسلام منصرفون. **٢٤**

وما أرسل الله من قبلك من رسول إلا يوحي سبحانه إليه أنه لا معبود بحق سواه، فاعبدوه: وحده، ولا
تنقطعوا عن عبادته، وإن هاجرتم فرارا بدينكم أيها الخلق. ٢٥
وزعم الكفار أن اتخذ الرحمن ولدا، تنزه -عن ذلك- وتقدس، بل عباد مكرمون اتخذهم. ٢٦
لا يتكلم عباده المكرمون بشيء حتى يأمرهم أو يأذن لهم، وهم بأمره يعملون: لا يخالفونه أبدا. ٢٧
يعلم ما مضى من أمر عباده المكرمين وما يستقبلونه لم يقع بعد، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى -له الله
الشفاعة من أهل التوحيد لا أهل الشرك كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]، وهم أهل لأن يشفعوا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ﴾ [البخاري ٧٤٣٩ * مسلم
١٨٣ * أحمد ١١٨٩٨]- وهم من خشيته حذرون خائفون: يطيعونه، ولا يأمنون تبدل حالهم. ٢٨
ومن يزعم منهم -من باب الافتراض- أنه إله من دونه -سبحانه، على خلق الله طاعته في معصية الله-
فذلك -الزاعم- يجزيه الله جهنم، مثل ذلك الجزاء يجزي الله الظالمين لأنفسهم بالكفر. ٢٩
أولم يعلم الذين كفروا -قدرته- أن السماوات والأرض كانتا ملتزقتين، ففصل الله بينهما؟ وجعل الله من
الماء كل شيء حي -فهو داخل في تكوين الخلايا، وهو ضروري للحياة- أفلا يؤمنون: بالخالق؟ ٣٠
وجعل الله في الأرض جبالا تثبتها كالأوتاد كما قال تعالى ﴿ والجبال أوتادا. ﴾ [النبأ ٧] كراهة أن
تضطرب بهم يمنة ويسرة، وجعل الله فيها مسالك نافذة طرقا، رجاء أن يهتدوا إلى مقاصدهم. ٣١
وجعل الله السماء سقفا محفوظا -فلا يقع كما قال تعالى ﴿ ويُمسك السماء أن تقع على الأرض ﴾
[الحج ٦٥] ولا يرتاده شيطان كما قال تعالى ﴿ وحفظناها من كل شيطان رجيم. ﴾ [الحجر ١٧]-
وهم عن آياتها -التي فيها، كالشمس والقمر والنجوم- معرضون عن التدبر والتفكر منصرفون. ٣٢
وهو الذي خلق الليل -بل وظلله، ليسكنوا ويستريحوا- والنهار -مضيئا ليسعوا بما ينفعهم- والشمس
والقمر -لما يراد منهما من طلوع وأفول وحركة- كل جرم فلكي يسبح في مدار خاص. ٣٣
وما جعل الله لبشر من قبلك أيها النبي الكريم الخلد -وإنك ميت كما قال تعالى ﴿ إنك ميِّت وإنهم
ميِّتون. ﴾ [الزُّمَر ٣٠]- أفإن مت -على عظيم قدرك- فهم -على كفرهم ودناءتهم- الخالدون؟! ٣٤
كل نفس -مؤمنة كانت أو كافرة- ذائقة الموت -حتما: الدنيا فانية فاعملوا للآخرة- ويبلوكم الله -في
الدنيا مختبرا، أيها الناس- بالشر والخير فتنة: واختبارا، أتصبرون في الشدائد والمصائب وعلى تكاليفه،
وتشكرون في الرخاء؟ وإليه سبحانه وحده ترجعون في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء. ٣٥
فائدة! الصبر التام الذي يترتب عليه جزيل الثواب في المصائب هو ما يكون في أوجها كما ورد عن
النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ الصبر عند الصدمة الأولى. ﴾ [البخاري ١٢٨٣ * مسلم
٩٢٦ * أبو داود ٣١٢٤ * الترمذي ٩٨٨ * النسائي ١٨٦٩ * ابن ماجة ١٥٩٦ * أحمد ١٢٣١٧].

وعندَ الصدمةِ الأُولى لِنَصبِرْ ... فيُجزِلَ أجرَنا ربٌّ شَكورُ

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ
بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم
بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ
وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾
۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ
جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ
يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ
ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ
وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ
ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ
ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا
ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ
كَٰفِرُونَ ٣٦ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ
ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا
هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا
يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٤٠ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ
بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ
بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤١ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ
مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ٤٢
أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ
أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ٤٣ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي
ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٤٤

وإذا رآك أيها النبي الكريم الذين كفروا ما يتخذونك إلا محل استهزاء: أهذا الذي يذكر -بكل العيب- آلهتكم؟ وهم بذكر الرحمن -قرآنه، وتوحيده سبحانه- عظيمو الكفر: فمن أولى وأحق بالاستهزاء؟ **٣٦**
خلق الإنسان من عجل -وطين، يستثقل الصبر كما قال تعالى ﴿ وكان الإنسان عجولا ﴾ [الإسراء ١١]- سيريكم الله -أيها المستعجلون بعذابه كما قال تعالى ﴿ وإذ قالوا اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴾ [الأنفال ٣٢]- آياته -يوم القيامة، وهو يوم آت لا محالة، وكل آت قريب- فلا تستعجلوه سبحانه طالبين أن يريكم آياته قبل أوانها. **٣٧**
ويسأل المشركون النبي ﷺ والمؤمنين -مستنكرين متهكمين- متى هذا الوعد -بالبعث والحساب ثم الجنة أو النار كما تزعمون، أخبرونا- إن كنتم صادقين؟ **٣٨**
لو يعلم الذين كفروا -حالهم- حين لا يكفون عن وجوههم النار! ولا عن ظهورهم -إذ تكون النار من أمامهم ومن خلفهم محيطة بهم لا يستطيعون صرفها- ولا ينصرهم أحد: لما استعجلوا العذاب. **٣٩**
بل تأتيهم -القيامة والنار- على غرة دون مقدمات، فتفاجئهم وتشل أركانهم، فلا يستطيعون ردها، ولا هم يمهلون ليتوبوا بعد أن مضى وقت الإمهال بانقضاء حياتهم الدنيا. **٤٠**
ولقد استهزئ برسل من قبلك أيها النبي الكريم -فلا تحزن، هذا دأب أهل الكفر- فنزل بالذين سخروا منهم وأحاط ما كانوا به -من عذاب- يستهزئون. **٤١**
فائدة! كان الله يهلك أهل الباطل إن شاء، وبعد أن شرع الجهاد صار مصاولة أعدائه واجبا على أهل الإيمان، فإن لم يكن لنا بهم طاقة فيجب دراسة الوضع بعناية والإعداد لمصاولتهم بكل السبل، وبذل الأعمار والأموال في ذلك كما قال تعالى ﴿ وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تُنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تُظلمون. ﴾ [الأنفال ٦٠]، فما لا يقوم الواجب إلا به -إن كان في أصله مباحا- فهو واجب، ومن زعم أن واجبنا اليوم طلب النصرة من عسكر الطواغيت لإقامة شرع الله فقد ضل وأضل.

أعِدُّوا للطَّواغِيتِ العَتادَ ... بِهِ والحُجَّةِ اقتَحَمَ الصُّقورُ

سلهم -موبخا- من يحرسهم ويحفظهم بالليل والنهار من الرحمن: وعذابه، وقد استحقوه؟ بل هم عن ذكر ربهم -قرآنه، وتوحيده سبحانه- معرضون منصرفون. **٤٢**
أم لهم آلهة تمنعهم من دون الله: فلا يمكنه عذابهم؟! لا يستطيع طواغيتهم نصر أنفسهم -فضلا عن دفع الضرر عن عابديهم أو جلب النفع لهم- ولا هم من الله -وعذابه- يجارون: لن يجيرهم أحد. **٤٣**
بل متع الله هؤلاء -المشركين- وأسلافهم -بما أنعم عليهم زمنا طويلا- حتى طال عليهم العمر -زمنا، فاغتروا بأعمار طويلة عاشوها في رخاء- أفلا يرون أن الله يأتي سبحانه الأرض ينقصها الله من أطرافها: بقبض أهل العلم والخير طورا وتارة بالتسليط عليها، كأن يفتح على المسلمين بعض أرض الكفار؟ أو بتدمير شيء منها؟ أفهم الغالبون: أم قضاء الله وقدره؟ **٤٤**

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ
ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ
مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ
مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ
أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ
لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا
بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾
وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

أخبر أيها النبي الكريم الناس أنما تنذرهم بالوحي -الذي يوحى إليك: عقاب العصاة آت- ولا يسمع الصم -إذ لا يسمعون سماع وعي وفهم وانتفاع- الدعاء -الذي ينذرهم- إذا ما جرى إنذارهم. ٤٥

ولئن نالهم أقل شيء من عذاب ربك -فكيف سيصبرون على عذاب أليم مهين دائم لا انقطاع له؟- ليتحسرن على أنفسهم، معترفين بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر. ٤٦

وينصب الله الموازين العادلة ليوم القيامة -لوزن الأعمال- فلا تظلم نفس شيئا -فلا يزاد في سيئاتها ولا ينقص من حسناتها- وإن كان -الموزون أعمالا في خفة- وزن حبة من خردل أتى الله بها، وكفى بالله حاسبا سبحانه: يحصي الأعمال، فهو كما قال تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [الشورى ١١]. ٤٧

ولقد أعطى الله موسى وهارون ما يفرق بين الحق والباطل -كالعصا واليد وانشقاق البحر وغير ذلك- وضياء -التوراة- وذكرا للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه للتذكر والاتعاظ. ٤٨

الذين يخشون ربهم بالغيب -لم يروا عذابه، فهؤلاء ممن ينفعهم التذكر وبه يتعظون- وهم من الساعة حذرون -لا يأمنون تبدل حالهم قبل الموت، من الحساب وأهوال القيامة- خائفون. ٤٩

وهذا قرآن كثير النفع والخير أنزله الله للتذكر والاتعاظ، أفأنتم له -رغم كونه موافقا للتوراة- منكرون؟ ٥٠

ولقد أعطى الله إبراهيم رشده من قبل -هذا الزمان، فوفقه فرأى ببصيرته ما اشتمل عليه ملك السماوات والأرض من أدلة على وحدانية الله كما قال تعالى ﴿ وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين. ﴾ [الأنعام ٧٥]- وكان الله به عالما سبحانه: يعلم أنه جدير بما أعطاه. ٥١

اذكر أيها النبي الكريم حين سأل أباه وقومه -عليه السلام- مستنكرا- ما هذه التماثيل -أصنام صنعوها مماثلة لبعض مخلوقات الله- التي هم لعبادتها مقيمون؟ ٥٢

أجابوه بأنهم وجدوا أسلافهم لها عابدين: على صفة الدوام بغير انقطاع، فقلدوهم. ٥٣

أقسم لقد كانوا هم وأسلافهم في ضلال واضح عن الحق، لا يعرفون للرشاد سبيلا. ٥٤

فائدة! تقليد الأسلاف والاحتجاج بأنهم كانوا على غير توحيد الله لن ينفع أحدا كما قال تعالى ﴿ أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنَّا ذُرِّيَّة من بعدهم أفتُهلكنا بما فعل المُبطلون. ﴾ [الأعراف ١٧٣]، وكما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ أن رجلا قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفى دعاه، فقال: إن أبي وأباك في النار. ﴾ [مسلم ٢٠٣ * أبو داود ٤٧١٨ * أحمد ١٢١٩٢]، إذ لا عذر بجهل في توحيد الله الذي هو أصل الدين، فلا تعذروا من لم يعذره الله.

أيُعذَرُ بالجَهالةِ مَنْ قَضى لا ... يُوَحِّدُ ربَّهُ؟ غَرَّ الغَرورُ!

سألوه أجاءهم بالحق -فهو جاد فيما يدعي- أم هو -حاشاه- من -أهل العبث- اللاعبين؟ ٥٥

أكد: بل ربهم رب السماوات والأرض الذي خلقهن على غير مثال سابق -لا شريك له سبحانه- وهو على ذلك -المذكور- من الشاهدين: يوقن ألا إله إلا رب السماوات والأرض، ليس عابثا لاعبا. ٥٦

وأقسم بالله العظيم ليدبرن لأصنامهم مكيدة بعد أن يتنحوا -عن أماكنها- مغادرين. ٥٧

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾
قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ
بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ
فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ
عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾
وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ
وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةًۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

فجعل أصنامهم حطاما وقطعا صغيرة -فكسرهم لما غادر قومه- إلا كبيرا لهم -صنما لعله أكبرهم شأنا
وقدرا عندهم لم يحطمه- رجاء أن يرجعوا إليه: يسألوه عما حدث، فيدركوا أنه لا يضر ولا ينفع. **٥٨**
تساءلوا -لما رأوها محطمة- من فعل هذا بآلهتهم؟ من ثم أكدوا إن الذي حطمها لمن الظالمين! **٥٩**
أجاب بعضهم بأن سمعوا فتى يذكرهم -بكل العيب، وربما سمعوه يتوعدهم- يدعى إبراهيم. **٦٠**
أمر بعضهم فليأتوا به على مرأى من الناس، رجاء أن يشهدوا: عليه أنه الفاعل وأنه كان يعيبهم. **٦١**
سألوه -وقد أتوا به، عليه السلام- أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ **٦٢**
أكد -عليه السلام متهكما، ومبطلا اتهامهم- بل فعله كبيرهم هذا -لعله أراد أن الصنم الذي لم يحطمه كان
سببا في تحطيمها لا من قام بتحطيمها، لأنه عليه السلام لما وجد الأصنام متراصة حوله تعظيما له حطمها
كلها إمعانا في إذلاله- فليسألوهم -مشيرا عليه السلام على قومه، لعل كبيرهم هذا غضب لأن الأقل منه شأنا
وقدرا يعبد معه؟ فليجيبوا- إن كانوا ينطقون! **٦٣**
فائدة! المعاريض -كلام يفهم على غير مراده- لا يجوز أن تستخدم في شر، كما ورد عن النبي ﷺ
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله،
قوله: ﴿ إني سقيم ﴾ وقوله: ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾، وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار
ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن
سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك ﴾
[البخاري ٣٣٥٨ ٭ مسلم ٢٣٧١ ٭ أبو داود ٢٢١٢ ٭ الترمذي ٣١٦٦ ٭ أحمد ٩٢٤١].
مَعاريضُ الكلامِ فلا تُجازى ... ومَنْ يأكُلْ بها حقًّا حَقيرُ
فرجعوا إلى أنفسهم -وأيقنوا ضلالهم- فاعترفوا أنهم هم -وليس من حطم أصنامهم- الظالمون. **٦٤**
ثم انتكسوا وعادوا إلى ضلالهم، أقسموا لقد علمت -يا إبراهيم- ما هؤلاء -الأصنام- ينطقون! **٦٥**
سألهم -عليه السلام مستنكرا- أفيعبدون من دون الله ما لا ينفعهم شيئا -البتة- ولا يضرهم؟! **٦٦**
من ثم تأفف منهم -في ضجر من غبائهم!- ومما يعبدون من دون الله، أفلا ينتفعون بعقولهم؟! **٦٧**
رأوا -لما ألجمهم بالحجة- أن يحرقوه وينصروا آلهتهم، إن كانوا فاعلين: به شيئا يوازي جرمه! **٦٨**
أمر الله النار أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم: لا تؤذيه بحرها، ولا تؤذيه بالبرد الذي صار فيها. **٦٩**
وأرادوا به مكيدة، فجعلهم الله الأشد خسرانا. **٧٠**
ونجاه الله ولوطا -إذ أخرجهما بقدرته- إلى أرض الشام التي بارك الله فيها كما قال تعالى ﴿ سبحان
الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ [الإسراء ١]
-بجعلها منازل صالحين، وبسريان الأنهار وإخراج الثمار على أكمل وجه- للخلائق جميعا. **٧١**
ومنح الله إبراهيم عليه السلام -بعد دعاء منه ابنه- إسحاق، ويعقوب -حفيده- نافلة -زيادة منه سبحانه، دون
أن يسأله عليه السلام- وكلا -من إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب عليهم السلام- جعل الله -أهل طاعة- صالحين. **٧٢**

وجعلهم الله أئمة -يقتدي بهم عباد الله في الخير- يرشدون إلى الحق بأمره سبحانه، وأوحى الله إليهم فعل الخيرات -ومن أعظمها إقامة شرعه- وتأدية الصلاة وإظهار هيئتها وإدامتها بشروطها، وإخراج الزكاة الواجبة في أموالهم، وكانوا لله -وحده دون سواه- عابدين: على صفة الدوام بغير انقطاع. **٧٣**

ولوطا أعطاه الله حكما -وحكمة- وعلما -بالدين- ونجاه الله من القرية التي كان يعمل أهلها الخبائث -إذ كانت عادة قومه إتيان الرجال في أدبارهم، فأهلكهم سبحانه- إنهم كانوا قوم سوء -وأهل فساد- فاسقين خارجين عن طاعة الله. **٧٤**

وتغمده الله برحمته سبحانه -حيث وفقه للإيمان وجعل إيمانه سببا ينال به رحمته، وبإيمانه نجاه مما أصاب أهل العناد والفسق والكفر من عذاب- إنه من الصالحين. **٧٥**

ونوحا اذكره أيها النبي الكريم حين نادى ربه من قبل -هؤلاء الأنبياء، داعيا- فاستجاب الله له، فنجاه سبحانه هو وأهل بيته -مع أهل دينه- من الكرب العظيم: والغم الذي سببه قومه بأفعالهم. **٧٦**

ونصره الله من القوم الذين كذبوا بآياته سبحانه -فمنعه منهم، فلم يستطيعوا أن يضروه- إنهم كانوا قوم سوء -وأهل فساد- فأغرقهم الله أجمعين: ما نجا منهم فرد. **٧٧**

وداود وسليمان اذكرهما حيث يحكمان في -شأن- الزرع، حين انتشرت فيه غنم القوم وأقبلت تأكله ليلا بلا راع -وليسوا أصحابه- وكان الله لحكمهما شاهدا سبحانه: لم يغب عن علمه. **٧٨**

ففهم الله سليمان القضية -قيل حكم داود ﷺ بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم عوضا عن زرعه، وحكم سليمان ﷺ بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم فينتفع بألبانها وأصوافها ونحو ذلك، ويقوم أصحاب الغنم على الزرع فيعيدوه كما كان قبل أن تأكله غنمهم، ثم يسترد كل طرف ما كان له- وكلا -من داود وسليمان ﷺ- أعطى الله حكما -وحكمة- وعلما -بالدين- وذلل الله مع داود الجبال ينزهن -الله- ويقدسن، والطير كذلك ذللها، وكان سبحانه فاعلا: ذلك كله، قادرا على ذلك. **٧٩**

فائدة! للحاكم بشرع الله -لا بغيره- حالتان كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه ﴿ إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر. ﴾ [البخاري ٧٣٥٢ * مسلم ١٧١٦ * أبو داود ٣٥٧٤ * الترمذي ١٣٢٦ * ابن ماجة ٢٣١٤ * أحمد ١٧٧٧٤].

لهُ أجرانِ مُجتهدٌ مُصيبٌ ... ويُخطئُ: حينَها أجرًا يَصيرُ

وعلم الله داود ﷺ صناعة دروع لكم -أيها الناس، في الحرب- تلبس، لتحميكم من ضرر استهداف بعضكم بعضا، فهل أنتم شاكرون نعمة الله عليكم كما يجب؟ **٨٠**

ولسليمان -ذلل الله- الريح -إن أراد ﷺ- عاصفة -قوية الهبوب- تجري بأمره -حين يأمرها- إلى أرض الشام التي بارك الله فيها كما قال تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ [الإسراء ١] -بجعلها منازل صالحين، وبسريان الأنهار وإخراج الثمار على أكمل وجه- وكان الله بكل شيء عالما سبحانه: لا يخفى عليه شيء من الأشياء. **٨١**

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ
ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا
عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ
إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ
فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ
ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ
رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ
وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾
وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾
وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ
فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي
كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ
مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ
إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾
فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا
لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ
وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

ومن الشياطين -ذلل الله- من يغوصون له -عليه السلام-، يستخرجون له من المياه أو يشيدون فيها ما يريد- ويعملون عملا دون ذلك -كيفما شاء عليه السلام كما قال تعالى ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ﴾ [سبإ ١٣]- وكان الله لهم حافظا سبحانه: للأعداد والأعمال، لا يستطيعون الهرب ولا التمرد ولا إفساد أو سرقة شيء. **٨٢**

وأيوب اذكره حين نادى ربه -داعيا- أنه ناله الضرر، وهو -سبحانه- أرحم من كل راحم. **٨٣**

فاستجاب الله له، فرفع ما به من ضرر، وأعطاه الله -بعد شفائه- أهل بيته -فرد عليه من فقد منهم- ومثلهم معهم -فتضاعف عددهم- رحمة من عنده سبحانه -به عليه السلام- وتذكرة جسيمة للعابدين: على صفة الدوام الذين لا ينقطعون عن عبادته، ألا اصبروا وادعوا الله مثلما فعل عليه السلام. **٨٤**

وإسماعيل وإدريس وذا الكفل اذكرهم، كل من الصابرين على طاعة الله وأقداره. **٨٥**

وتغمدهم الله برحمته سبحانه -حيث وفقهم للإيمان وجعل إيمانهم سببا ينالون به رحمته، وبإيمانهم نجاهم مما أصاب أهل العناد والفسق والكفر من عذاب- إنهم من الصالحين. **٨٦**

وذا النون -صاحب السمكة: يونس عليه السلام- اذكره حين ذهب مغاضبا -لقومه مغادرا- فظن أن لن يضيق الله عليه -فلن يقضي عليه بعقوبة- فنادى في الظلمات -ليل وماء وبطن سمكة ابتلعته، بعد أن اقترع ركاب السفينة على مغادرتها لئلا تغرق كما قال تعالى ﴿ وإنَّ يونس لمن المُرسَلين. إذ أبَق إلى الفُلك المشحون. فساهَم فكان من المُدحَضين. فالتقمه الحوت وهو مُليم. ﴾ [الصافات ١٣٩ ~ ١٤٢]، داعيا- أن لا معبود بحق سواك، تنزهت وتقدست -يا الله!- إني كنت -لنفسي- من الظالمين. **٨٧**

فاستجاب الله له، ونجاه سبحانه من الغم -والخوف والعقوبة- ومثلما نجاه ينجي الله المؤمنين. **٨٨**

فائدة! ورد عن النبي ﷺ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ﴿ دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له. ﴾ [الترمذي ٣٥٠٥ * أحمد ١٤٦٢].

هوَ المعبودُ سُبحانَ المُجيبِ ... فيَدعو مسلِمٌ: ظُلمي كثيرُ

وزكريا اذكره حين نادى ربه -داعيا- رب لا تتركني فردا -بغير وريث: لعلمه ونبوته ليس لماله أو حرفته- وأنت -سبحانك- خير وأفضل الوارثين: فلا يضيع الله دينه، بل ييسر له من عباده من يقوم عليه. **٨٩**

فاستجاب الله له، ومنحه سبحانه يحيى، وأصلح الله له زوجته -كانت عقيما لا تلد- إنهم -زكريا عليه السلام زوجته وابنه، والأنبياء جميعا- كانوا يبادرون إلى تقديم الخيرات -مغتنمين مواسم الطاعة- ويدعون الله راغبين -في ثوابه- وراهبين -من عقابه، في الرخاء والشدة- وكانوا له سبحانه متواضعين متذللين. **٩٠**

فائدة! اغتنام مواسم الطاعة -كرمضان وعشر ذي الحجة ونحو ذلك- والمبادرة إلى أعمال الخير ودعاء الله طمعا في ثوابه وخوفا من عقابه من هدي الأنبياء والصالحين.

مَواسِمُ طاعةِ الربِّ اغتَنِمها ... دَعا طَمَعًا وخَوفًا مُستَجيرُ

وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ
لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ
يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ
هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾

والتي صانت فرجها اذكرها -ما مسها بشر- فنفخ الله فيها من روحه سبحانه -كلف به المَلَك جبريل عليه السلام فحملت بعيسى ابن مريم عليه السلام- وجعلها الله وابنها آية دالة على كمال قدرته للخلائق جميعا. ٩١

فائدة! لا تبتل في شريعتنا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يجد فعليه بالصوم فإنه له وِجاء. ﴾ [البخاري ١٩٠٥ * مسلم ١٤٠٠ * أبو داود ٢٠٤٦ * الترمذي ١٠٨١ * النسائي ٢٢٤١ * ابن ماجة ١٨٤٥ * أحمد ٣٥٩٢].

تَزَوَّجْ ما استَطعتَ أخي فهذا ... أغَضُّ وأحصَنُ، انتَشَرَ المُثيرُ!

إن هذه ملتكم: ملة واحدة -توحيد الله والانقياد له، لا خلاف في ذلك- وهو ربكم -الخالق الرازق، وحده دون سواه- فاعبدوه: وحده، ولا تنقطعوا عن عبادته، وإن هاجرتم فرارا بدينكم أيها الخلق. ٩٢

وتفرق الخلق واختلفوا في أمر الدين، كل إليه سبحانه راجعون ليجازيهم بأعمالهم. ٩٣

فمن يعمل من الأعمال الصالحة، وهو مؤمن كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [مسلم ٨ * أبو داود ٤٦٩٥ * الترمذي ٢٦١٠ * النسائي ٤٩٩٠ * ابن ماجة ٦٣ * أحمد ٣٦٧] فلا كفران لسعيه -ولا جحود لعمله، ولا تضييع لثوابه- وإن الله له كاتب حافظ سبحانه. ٩٤

وممتنع على قرية أهلكها الله -لكفر أهلها أن يتقبل أعمالهم، إذ- أنهم لا يرجعون: إليه تائبين. ٩٥

حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج، وهم من كل مرتفع من الأرض يسرعون كما ورد عن النبي ﷺ من حديث النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه ﴿ ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم كما قال الله: ﴿ وهُم من كل حَدَب ينسلون ﴾ قال: فيمر أولهم ببحيرة الطبرية فيشرب ما فيها، ثم يمر بها آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ﴾ [مسلم ٢٩٣٧ * الترمذي ٢٢٤٠ * ابن ماجة ٤٠٧٥ * أحمد ١٧٦٢٩]. ٩٦

واقترب -بخروج يأجوج ومأجوج- الوعد الحق -القيامة- فإذا هي -فجأة، عندما تقوم- شاخصة أبصار الذين كفروا -مفتوحة أعينهم من الهول لا تطرف- متحسرين على أنفسهم، معترفين بأن قد كانوا في غفلة -بالدنيا- عن هذا -لم يعدوا له، فيستدركوا: ليس غفلة- بل كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر. ٩٧

إنكم -أيها المشركون- وما تعبدون من دون الله -من أوثان وممن يرضى بعبادتكم له من جن أو إنس، كالذين يحلون لكم الحرام أو يحرمون عليكم الحلال فتطيعوهم كما قال تعالى ﴿ اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ [التوبة ٣١]- حطب ووقود جهنم، أنتم لها واردون: جميعكم فيها. ٩٨

لو كان هؤلاء -الذين عبدتم من دون الله- آلهة ما وردوها -دخولا، لا هم ولا عابديهم- وكل -عابدين ومعبودين- فيها خالدون لا يخرجون منها. ٩٩

لهم فيها -مما يلاقون- أنفاس -وأصوات- مرتفعة، وهم فيها لا يسمعون. ١٠٠

إن الذين سبقت لهم من الله الجنة -فقضى أنهم من أهل السعادة، ومن جملتهم عزير والمسيح عليه السلام: عبدهما وكذلك الملائكة جهلة، لكنهما لم يرضيا بعبادة الخلق لهما- هؤلاء عن جهنم مبعدون. ١٠١

لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾
يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا
بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا
فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ
ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾
إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ
إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٨﴾
فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ
أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ
ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ
فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم
بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

لا يسمع المبعدون عن جهنم صوت حركتها، وهم فيما اشتهت أنفسهم -من نعيم دائم في الجنة- خالدون لا يخرجون منه. **١٠٢**

لا يحزنهم الفزع الأكبر -إذ أنهم آمنون من أهوال القيامة- وتتلقاهم الملائكة -مستقبلين مهنئين- هذا يومكم الذي كنتم -على ألسن أنبياء الله- توعدون. **١٠٣**

يوم يطوي سبحانه السماء -على اتساعها- كطي الصحيفة على ما هو مكتوب فيها، كما بدأ الله أول خلق يعيده سبحانه -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ إنكم محشورون حفاة عراة غرلا، ثم قرأ: ﴿ كما بدأنا أول خلق نُعيده وعدا علينا إنا كنَّا فاعلين ﴾، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم ﴾ [البخاري ٣٣٤٩ * مسلم ٢٨٦٠ * الترمذي ٢٤٢٣ * النسائي ٢٠٨٢ * أحمد ١٩٥٠]- وعدا عليه سبحانه، إن الله كان سبحانه فاعلا: جميع ما وعد بإنجازه، قادرا على ذلك. **١٠٤**

ولقد كتب سبحانه في الكتب السماوية من بعد -الكتابة في- اللوح المحفوظ أن الأرض يرثها عباده الصالحون: أمة محمد ﷺ آخر الزمان تحت قيادة المسيح عليه السلام كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ﴾ [البخاري ٣٤٤٨ * مسلم ١٥٥ * أبو داود ٤٣٢٤ * الترمذي ٢٢٣٣ * ابن ماجة ٤٠٧٨ * أحمد ٧٩٠٣]، وفي الآخرة يرث المسلمون الجنة كما قال تعالى ﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنِعم أجر العاملين. ﴾ [الزُّمَر ٧٤]. **١٠٥**

إن في هذا -القرآن- لبلاغا لقوم عابدين: يعبدون الله بما شرع لهم من صلاة وجهاد وغيرهما، ليبلغوا مبتغاهم كما قال تعالى ﴿ فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز ﴾ [آل عمران ١٨٥]. **١٠٦**

وما أرسلك الله أيها النبي الكريم إلا رحمة للخلائق جميعا: إنسهم وجنهم، للمؤمنين هداية، وللكفار أمن من الاستئصال كما قال تعالى ﴿ وما كان الله ليُعذِّبهم وأنت فيهم ﴾ [الأنفال ٣٣]. **١٠٧**

أخبر الناس أنما يوحى إليك أنما إلههم -الذي يضرع إليه الخلائق، المعبود بحق- إله واحد لا شريك له -لا يمكن أبدا أن يكون غير ذلك- فهل هم -بعد الذي جاءهم- مسلمون -لله- منقادون؟ **١٠٨**

فإن أعرض الكفار متنحين عن الإسلام فأخبرهم أن أعلمتهم بوضوح حتى يتساوى الجميع في معرفة الحق، ولست تدري، أقريب أم بعيد ما يوعدون: به ومتى يأتي وعد الله بعذابهم وغلبة المسلمين؟ **١٠٩**

إنه -سبحانه- يعلم الجهر من أقوالهم -جميعه، بل- ويعلم ما يكتمون، وسيجازيهم به. **١١٠**

ولست تدري، لعله فتنة لهم -فربما يكون إمهالهم اختبارا منه سبحانه ليظهر صنيعهم، أخبرهم بذلك- وتمتع -بأعمارهم- إلى حين: حضور آجالهم، فيتمادى من لم يكتب له التوبة في كفره وضلاله؟ **١١١**

سأل ربه -مفوضا ﷺ أمره إليه- أن يحكم -بينه وبين الكفار- بالحق -فقضاؤه نافذ- وربهم الرحمن المطلوب منه العون على -إظهار حقيقة- ما يصفون: به ربهم ورسوله من كذب، وعلى احتماله. **١١٢**

سُورَةُ الحَجِّ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١
يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ
ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ
وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ
بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ
مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم
مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ
مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ
وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا
يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا
ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥

★ سورة الحج ★

★ مدنية، وقيل مكية، والراجح أن أغلبها نزل بمكة ★

يا أيها الناس اتقوا ربكم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن زلزلة -الأرض لقيام- الساعة شيء عظيم. ١

يوم ترونها تغفل كل مرضعة عن رضيعها، وتسقط كل ذات حمل جنينها، ويرى الرائي الناس -يظنهم- سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد: أذهب عقولهم، وأمة الإسلام كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما ﴿ أن النبي ﷺ قال لما نزلت: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم. ﴾ إلى قوله ﴿ ولكنَّ عذاب الله شديد ﴾ قال: أنزلت عليه هذه وهو في سفر، فقال: أتدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذلك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار، فقال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله ﷺ: قاربوا، وسددوا، فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية، قال: فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمت وإلا كملت من المنافقين، وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبروا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبروا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا، قال: لا أدري قال الثلثين أم لا. ﴾ [الترمذي ٣١٦٨ ★ أحمد ١٩٨٨٤]. ٢

ومن الناس من يجادل في الله -وقدرته، فيزعم أنه غير قادر على البعث، جهلا- بغير علم، ويتبع -فيما يدعي ويعتقد- كل شيطان -من الجن والإنس- متمرد على الله. ٣

كتب على كل شيطان متمرد على الله أنه من اتخذه وليا -يطيعه في إغوائه له، كمن يقلد أهل الكفر والبدع- فأنه يضله -عن الحق- ويرشده -بما يزين له من باطل- إلى عذاب النار المستعرة. ٤

فائدة! اتباع أهل البدع كالمرجئة وغيرهم من فرق الأهواء والكلام والضلال لا يؤدي إلى خير.

وصاحِبَ بِدعَةٍ تَبِعوا فَضَلُّوا ... بشَرعِ اللهِ يَلتَزِمُ الخُيُورُ

يا أيها الناس إن كنتم مرتابين من البعث فإن الله -الذي سيبعثكم- خلقكم سبحانه من تراب -بأن خلق أباكم آدم عليه السلام منه- ثم -بعد آدم وحواء عليهما السلام- من نطفة -من المني الخارج عند الجماع- ثم من علقة -من دم جامد متكون من المني- ثم من مضغة -من لحم متكون من العلقة- مخلقة -قد نفخ فيها الروح وصارت ظاهرة التصوير- وغير مخلقة -قذفتها الرحم لم تكتمل خلقتها- ليبين الله لكم -أصل نشأتكم، ويظهر كمال قدرته- ويقر الله في الأرحام ما يشاء سبحانه -فيثبت ولا يسقط- إلى وقت الولادة، ثم يخرجكم الله -من بطون أمهاتكم- أطفالا -ضعفاء- ثم لتكتمل عقولكم وقوتكم، ومنكم من يتوفى -فيموت غضا- ومنكم من يمتد عمره إلى أردأ مراحل العمر لكيلا يستطيع تحصيل مزيد من علم وقد يصير إلى خرف، ويرى الرائي الأرض هامدة -مجدبة بلا نبات- فإذا أنزل الله عليها المطر اهتزت وربت -فخرج نباتها، وارتفعت لنموه- وأنبتت من كل صنف -حسن- بهيج. ٥

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي
ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى
وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي
ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ
أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ
وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن
ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ
يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

ذلك -المذكور من أطوار خلق الإنسان وإخراج النبات- بسبب أن الله هو الحق -لتوقنوا ألا إله سواه، فمن ذا الذي يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك؟- وأنه يحيي الموتى -للحساب، أم ترونه أكثر صعوبة من خلق الناس من عدم؟- وأن قدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك إحياء الموتى للحساب. **٦**
وأن الساعة آتية لا ريب فيها -فالقيامة حتمية- وأن الله -كما يخرج النبات- يبعث من في القبور. **٧**
ومن الناس من يجادل في الله -وشرائعه الواضحة، بل وفي ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، جهلا- بغير علم ولا هداية -بل قد يختار اتباع من يزيده ضلالا- ولا كتاب منير مضيء مبين للعقائد والفقه. **٨**
لاويا عنقه -تكبرا وإعراضا عن الحق- ليضل -الناس وإن أنكر، ويضل هو- عن طريق الله، له في الدنيا ذل ومهانة -بالقتل والجرح والأسر وسبي النساء والذراري وضياع الأموال، حين نقوم بما فرض الله علينا ونجاهده كما قال تعالى ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويُخزهم وينصركم عليهم ويَشف صدور قوم مؤمنين. ﴾ [التوبة ١٤]- ويذيقه سبحانه يوم القيامة عذاب التحريق في النار. **٩**
فائدة! الجهاد ليس مقصورا على القتال، فقول الحق، وتوضيح العقائد والشرائع، وإظهار كيد أعداء الله بنا، ونصرة المظلوم والبذل لرفع الظلم عنه كل ذلك جهاد، ونحتسب من قتل منا دون ذلك شهيدا.

نُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ دَومًا ... بأيدينا وألسِنَةٍ تُنيرُ

ذلك -العذاب مستحق- بسبب ما اقترفت يداه -من كفر وآثام- وأن الله لا يظلم عبيده أبدا. **١٠**
ومن الناس من يعبد الله على غير ثبات -قلقا مشترطا- فإن أصابه خير -دنيوي- اطمأن -قلبه، وتحقق شرطه- به -فثبت على دينه وعبادته- وإن أصابته فتنة -فاختبره الله- انقلب على وجهه -مرتدا إلى ما كان عليه، فهجر هذا القلق دينه وعبادته كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء! ﴾ [البخاري ٤٧٤٢]- خسر الدنيا -فلن تزيده ردته حظا فيها- والآخرة -فلن يكون مصيره إلا النار- ذلك هو الخسران الواضح. **١١**
يدعو -والدعاء عبادة- من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه -من أصنام أو أوثان كقبر البدوي وغيره، أو طواغيت أو شياطين، سائلا حاجته- ذلك -الشرك بالله- هو الضلال عن الحق والبعد الكبير. **١٢**
يدعو -هذا المشرك- ويعبد لمن ضره أقرب من نفعه -إي وربي، طواغيت يتولونها تحصيلا لمصالح! وأي مصلحة ترجى مع الشرك؟!- لبئس من يتولى أمرهم -وضرره محقق- ولبئس العشير المعاشر. **١٣**
إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة جنات تجري خلالها الأنهار، إن الله يفعل ما يريد: ليس يرده أحد عن مراده. **١٤**
من كان يظن -متوهما- أن لن ينصره الله -ﷺ، ومن اتبعه- في الدنيا والآخرة -كما قال تعالى ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. ﴾ [غافر ٥١]- فليربط بحبل إلى السماء -إن استطاع فليصعد- ثم ليقطع -نصر الله النازل- فلينظر: هل تذهبن مكائده ما يغيظه؟ هيهات! **١٥**

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ
وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ
ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن
مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ
ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ
مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ
مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ
أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ
ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾

ومثلما أنزل أدلة واضحة على البعث أنزل الله القرآن آيات بينات وأدلة جلية -واضحة الدلالة- وأن الله
يوفق ويرشد من يريد: إذ أنزل أنه من لم يرد به هداية ضل، وصار القرآن حجة عليه لا حجة له. **١٦**
إن الذين آمنوا من هذه الأمة، واليهود والصابئة -أمة قديمة منهم موحدون، وقيل بعضهم اتبع بعض
أنبياء الله- والنصارى والمجوس عبدة النار والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم -جميعا، بحكمه الحق
النافذ- يوم القيامة -فلأهل الإيمان دون غيرهم النجاة- إن الله على كل شيء مطلع شاهد. **١٧**
ألم ينته علمك -أيها الإنسان- أن الله يسجد له -انقيادا- من في السماوات ومن في الأرض -ممن
عبد أهل الشرك والجهل من ملائكة وإنس وجن- والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والكائنات
الدابة كذلك يسجدون له -وقد عبدهم كثير- وكثير من الناس: يسجدون له انقيادا وطاعة؟ وكثير -من
الخلق لامتناعه عن السجود طاعة- وجب له العذاب، ومن يهن الله -فيقبضه إليه كافرا- فليس له من
مكرم، إن الله يفعل ما يشاء: يكرم من يشاء ويهين من يشاء، مشيئته نافذة غالبة للأسباب. **١٨**
هذان فريقان مختصمان -مؤمن وكافر، من جملتهم أهل بدر كما جاء على لسان أبي ذر الغفاري رضي الله عنه
﴿ نزلت: ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ في ستة من قريش: علي وحمزة وعبيدة بن الحارث
وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. ﴾ [البخاري **٣٩٦٦** ★ مسلم **٣٠٣٣** ★ ابن ماجة
٢٨٣٥]- اختصموا في ربهم -في توحيده أو في شرائعه الواضحة أو في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله-
فالذين كفروا تحيطهم نار كأنها ثياب قطعت لهم، يصب من فوق رؤوسهم الحر المتناهي شدته. **١٩**
يصهر بذلك الماء ما في بطونهم -من أمعاء وأحشاء- والجلود كذلك به تصهر: فكأنهم يذوبون. **٢٠**
ولهم مطارق من حديد: يضربون بها، فتقمعهم وتذلهم. **٢١**
كلما أرادوا أن يخرجوا منها -مما يلاقون فيها- من غم -وعقاب أليم مهين- أعيدوا فيها، وذوقوا عذاب
التحريق في النار: يقال لهم تبكيتا. **٢٢**
إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة جنات تجري خلالها الأنهار،
يزينون فيها بأساور من ذهب -تحلي أيديهم المتوضئة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه ﴿ تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء. ﴾ [مسلم **٢٥٠** ★ النسائي **١٤٩** ★ أحمد **٨٨٤٠**]-
وباللؤلؤ، وتكون ملابسهم فيها من حرير. **٢٣**
فائدة! الحرير محرم على الذكور من أمتنا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه
﴿ حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأحل لإناثهم. ﴾ [الترمذي **١٧٢٠** ★ النسائي **٥١٤٨** ★
أحمد **١٩٥٠٣**]، إلا لعذر كما ورد عنه ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ أن النبي ﷺ رخص
لعبد الرحمن بن عوف والزبير في قميص من حرير من حكة كانت بهما. ﴾ [البخاري **٢٩١٩** ★ مسلم
٢٠٧٦ ★ أبو داود **٤٠٥٦** ★ الترمذي **١٧٢٢** ★ ابن ماجة **٣٥٩٢** ★ أحمد **١٢٢٣٠**].
وَمَنْ لَّبِسَ الحَرِيرَ مِنَ الذُّكورِ ... فَلَيسَ لَهُ خَلاقٌ أو حَرِيرُ

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ
وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾
وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ
بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ
مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا
وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ
وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾
ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ
رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ
فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

ووفقوا وأرشدوا إلى الطيب من القول -كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، والقرآن- ووفقوا وأرشدوا إلى طريق -ربهم- المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ليصل بهم بإذنه إلى جنته سبحانه. **٢٤**

إن الذين كفروا ويصدون عن طريق الله -والإيمان بنبيه، غير منتهين- والمسجد الحرام -كقريش عام الحديبية ومن يحكم بلاد الحرمين ويتربص بأناس- الذي جعله الله -من مناسك الحج والعمرة- للناس سواء المقيم في مكة والطارئ عليه من غير أهلها -خسروا- ومن يرد فيه بميل عن الحق بظلم -نفسه بما يسخط الله، أو غيره بصده عن دينه أو مناسكه- يذقه الله -في الآخرة- من عذاب أليم. **٢٥**

فائدة! صد المسلمين عن المسجد الحرام -أيًّا كانت الأسباب، سياسية أو غيرها- جرم عظيم.

وهذا فاسقٌ جَعَلَ الوصولَ ... إلى البيتِ الحرامِ لهُ يُديرُ!

فائدة! تضاعف الحسنات في الأمكنة والأزمنة الفاضلة، كالحرمين والمسجد الأقصى والأشهر الحرم ورمضان، وتعظم السيئات فيها.

ونَغتَنِمُ الفَواضِلَ مِنْ زَمانٍ ... وأمكِنَةٍ، ونَحذَرُ لا نَجورُ

واذكر أيها النبي الكريم حين أنزل الله إبراهيم مكان البيت الحرام -وأسكنه حدوده وقد بينها له، آمرا- أن لا تشرك بي شيئا -ولا أحدا، مهما ارتفع قدره!- وطهر بيتي -من أوثان وشرك وأقذار، ليغدو مهيأ- للطائفين والقائمين -بأمر الله، المعتكفين- والركع السجود: المصلين، وغيرهم من المتعبدة. **٢٦**

وناد بوضوح -يا إبراهيم، ويا محمد- الناس بالحج -داعيا، إن تفعل- يأتوك -ملبين- مشاة، وعلى كل -وسيلة تنقل، كناقة- هزيلة -أنهكها السفر- يأتين -براكبيهم- من كل مسلك نافذ بعيد سحيق. **٢٧**

ليشهدوا ما يعود عليهم بالنفع -في الدنيا بالتجارة وغيرها إذا حضروا الأسواق، وفي الآخرة لهم ثواب جزيل مع مغفرة ذنوب- ويذكروا اسم الله في أيام معلومات -معينات: يوم النحر عاشر ذي الحجة وأيام التشريق الثلاثة التي تليه، عند ذبح الهدايا التي أهدوها إلى بيت الله- على ما رزقهم من بهيمة الأنعام -مما لا ناب له- فكلوا منها -أيها المهدون، إن أردتم- وأطعموا البؤساء الفقراء. **٢٨**

ثم ليقضوا مناسك حجهم -فيؤدوا ما بقي منها، ويتحللوا بحلق رؤوسهم أو أخذ شيء من شعورهم، ويزيلوا الوسخ والأذى الذي لحق بهم بسبب الإحرام- وليلتزموا وفاءهم قياما بما ألزموا به أنفسهم -ومن جملته ذبح الهدايا- وليطوفوا -طواف الإفاضة- بالبيت العتيق: القديم، الكعبة كما قال تعالى ﴿ إنَّ أول بيت وضع للناس للذي بِبَكَّة مباركا وهدى للعالمين. ﴾ [آل عمران ٩٦]. **٢٩**

ذلك -المذكور أوجبه الله- ومن يعظم حرمات الله -في الحج وغيره، فيجتنب نواهيه- فهو خير له عند ربه وأفضل -في الآخرة، من أن يلقى الله متهاونا بشيء منها- وأحلت لكم -أيها الناس- الأنعام -من إبل وبقر وغنم- إلا ما يقرأ عليكم -تحريمه في القرآن أو السنة- فاجتنبوا القاذورات من الأوثان -التي أشركها الكفار بالله، والتي يذبح لها من أصنام وقبور وغيرهما- واجتنبوا قول الزور: ومن جملته شهادة الباطل، لكن أعظمه الشرك بالله، كتحريم ما أحل أو تحليل ما حرم أو ذكر غير اسمه عند الذبح. **٣٠**

حنفاء مائلين عن جميع الأديان الباطلة إلى الإسلام -مستقيمين- لله غير مشركين به -كذلك كونوا- ومن يشرك بالله فكأنما سقط من السماء، فتنتزعه الطير بسرعة وتستلبه -وبالمخالب تقطعه- أو تصير به الريح إلى الهاوية -قاذفة إياه- في مكان بعيد فيهلك. **٣١**

ذلك -المذكور أوجبه الله- ومن يعظم معالم دين الله الظاهرة -ومن جملتها الحج ومناسكه، فيؤدي ما افترض الله عليه على أتم وجه، ويهدي الأفضل- فإن تعظيمها من تقوى -الله، ومحلها- القلوب. **٣٢**

لكم -أيها الحجيج- في الهدايا -التي تهدونها إلى بيت الله من إبل وبقر وغنم- ما يعود عليكم بالنفع -في الدنيا: ركوب وحمل ونسل ولحم ولبن وصوف ونحو ذلك- إلى وقت ذبحها، ثم -تنتهي منافعها الدنيوية وتبدأ منافع دينية في- محل ذبحها -وهو- البيت العتيق: القديم، الحرم المكي كاملا. **٣٣**

ولكل أمة -وأهل دين- جعل الله منسكا -وذبح، وشريعة- ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام -مما لا ناب له- فإلهكم -الذي يضرع إليه الخلائق، المعبود بحق- إله واحد لا شريك له، فله أسلموا وانقادوا، وبشر أيها النبي الكريم المخبتين -الخاضعين لله المتواضعين- بما يسرهم. **٣٤**

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم -خوفا منه، سبحانه- والصابرين على ما أصابهم -من أقدار الله وأذى عباده- والمؤدي الصلاة المظهري هيئتها المديميها بشروطها، ومما رزقهم الله -فيما أوجبه كالزكوات وعلى من تلزمهم مؤونتهم، وفيما استحسنه كالصدقة ونحوها، في طاعته طلبا لمرضاته- ينفقون. **٣٥**

والأنعام البدينة -إبلا وبقرا- جعلها سبحانه لكم -أيها الحجيج- من معالم دين الله الظاهرة، لكم فيها خير -ديني ودنيوي- فاذكروا اسم الله عليها -عند الذبح قولوا: "بسم الله"، حال كونها- قائمة مربوطة اليد -خالصة لله: لا تشركوا به في التسمية شيئا ولا أحدا- فإذا سقطت بعد نحرها على الأرض فكلوا منها -أيها المهدون، إن أردتم- وأطعموا الفقير المتعفف عن السؤال وغير المتعفف، مثلما ذللها للنفع الدنيوي ذللها الله لكم فانقادت لتزهق أرواحها، رجاء أن تشكروه على نعمه ورحمته بكم. **٣٦**

لن ينال الله لحوم هذه الهدايا ولا دماؤها -فلن ترفع إليه- ولكن يناله التقوى منكم -فيرفع إليه، ويظهر مدى امتثالكم أوامره واجتنابكم نواهيه- مثلما ذللها فانقادت حيث تذبح ذللها لكم لتكبروا الله -عند ذبحها بعد قولكم: "بسم الله" فتقولوا: "الله أكبر"- على ما وفقكم وأرشدكم إليه من شرائع وشعائر الدين، وبشر أيها النبي الكريم المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق بما يسرهم. **٣٧**

فائدة! تلطيخ الجدران والممتلكات -والأوجه!- بدماء الأضاحي وغيرها من الذبائح ليس فيه خير بل ذلك من عمل الجاهلية، ومن لطخها تقربا إلى الجن لتحرسها أو تدفع عنه الأذى فقد أشرك بالله.

تَفاءلَ جاهِلٌ بِدَمٍ أُريقَ ... فلُطِّخَ باليَدَينِ بِهِ الصُّخورُ!

إن الله يدافع عن الذين آمنوا -فيوفقهم، ويدفع عنهم كثيرا من شرور الكفار ووسوسة الشيطان والنفس كما قال تعالى ﴿ إنَّ النفس لأمَّارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾ [يوسف ٥٣]، ويخفف وقع البلاء حين يقع- إن الله لا يحب -بل يبغض- كل كثير الخيانة عظيم الكفران بنعم ربه لا يشكرها. **٣٨**

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾
ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾
لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ
ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ
مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ
أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ
وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ
عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ
رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ
صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ
كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ
قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ
لُوطٖ ﴿٤٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ
ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ
مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ
لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا
لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

أذن للذين يجري قتالهم -وأعظم القتال الصد عن دين الله، بالقتال- بسبب أنهم جرى ظلمهم -فإن بادرهم ظالموهم فليقاتلوا، وليستعدوا هم للمبادرة- وإن الله على نصرهم لقدير: لا يعجزه شيء، يوفقهم ويدفع عنهم كثيرا من الشر، وهو قادر على نصرهم دون قتال، لكن حكمته اقتضت أن يختبرهم. **٣٩** الذين جرى إخراجهم من ديارهم بلا أدنى حق -كما فعل مشركو مكة وكما يطارد الطواغيت المؤمنين وليس لهم جرم- إلا أن أقروا بأن ربهم الله -لا شريك له- ولولا -سنة التدافع- دفع الله الناس -فساد- بعضهم ببعض لهدمت صوامع -الرهبان- وبيع -كنائس النصارى- وصلوات -معابد اليهود: جميعها مواطن عبادة غير المسلمين- ومساجد -المسلمين- يذكر فيها اسم الله -بواسطة المسلمين، ذكرا- كثيرا، وليؤيدن الله بنصره ومعونته من ينصر دينه، إن الله لقوي قادر، عزيز في قدرته لا يعجزه شيء. **٤٠**

فائدة! لمن يشير علينا بعدم مصاولة أهل الفساد والنفاق والكفر -ومن جملتهم من لا يحكم بما أنزل الله- والانكفاء على شعائرنا التعبدية: سيهدمون علينا مساجدنا إن لم نجاهدهم، بل هم يفعلون الآن!

نُجاهِدُهُم فَقَدْ قالَ الخَبيرُ ... إنِ الطاغوتَ أهمَلتُم يُبيروا

فائدة! تزل الأقدام وتسقط الدول إذا دعيت لنصرة الحق وأهله فخذلتهم، فيخذلها الله بالمثل.

ودِينُ اللهِ مَنْ يَنصُرْهُ يُنصَرْ ... ومَنْ يَخذُلْهُ يُسقِطْهُ النَّصيرُ

الذين إن أعطاهم الله سلطانا في الأرض -فلإقامة دين الله يجب أن يسعى أهله للتمكين- أدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأداموها بشروطها، وأخرجوا الزكاة الواجبة في أموالهم، وأمروا بما دل الشرع والعقل على حسنه ونهوا عما دلا على قبحه، ولله وحده مرجع الأمور ومصير العباد، ليجازي كلا بما قدم. **٤١** وإن يكذبك قومك أيها النبي الكريم فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود. وقوم إبراهيم وقوم لوط. وأصحاب مديَن -قوم شعيب- وجرى تكذيب موسى -كذبه فرعون وقومه، وقارون- فأمهل الله الكافرين -فأخر عنهم عقابه فازدادوا كفرا- ثم أخذهم سبحانه -بعقابه- فكيف كان إنكاره عليهم؟ **٤٢ ~ ٤٤** فكم من قرية أهلكها سبحانه وأهلها ظالمون لأنفسهم بالكفر -كذبوا نبيه- فهي خاوية موحشة ساقطة دعائمها وأبنيتها، وآبارها معطلة متروكة، وقصورها عالية حصينة: مهجورة، لم تمنعهم من الهلاك. **٤٥** أفلم يتجول هؤلاء المكذبون بك في الأرض -فيتأملوا مصير الأمم السابقة وما حل بهم من عقاب- فتكون لهم قلوب يعقلون بها: آيات الله وقدرته؟ أو آذان يسمعون بها: ما يقص عليهم من آيات وأخبار وغير ذلك، سماع وعي وفهم وانتفاع؟ فإنها -الأبصار- لا تعمى الأبصار -فعمى العيون لا تأثير له في الدين- ولكن تعمى القلوب التي في الصدور: بالطمس على الفهم والبصيرة، ذلك الخلل المعتبر. **٤٦**

فائدة! العقل عقلان: عقل إدراك ومحله الدماغ، وعقل رشد ومحله القلب، فعقل الإدراك يتعلق بتلقي المدخلات -ومن جملتها أمور الدين- وبالتكليف عند التلقي، أما عقل الرشد فيتعلق بالتصرف بعد التلقي، فيحمل أو يصرف عن العمل، فبعض الكفار وإن كان لهم عقول إدراك ليس لهم عقول رشد.

دِماغُ المَرءِ لِاستِقبالِ أمرٍ ... ولِلقَلبِ القرارُ هوَ المُديرُ

ويستعجلك المكذبون بك بالعذاب كما قال تعالى ﴿ وإذ قالوا اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴾ [الأنفال ٣٢]- ولن يخلف الله وعده -أبدا، فعذابهم إن لم يؤمنوا آت لا محالة، لكن لن يعذبهم الله في الدنيا وأنت حي مقيم بين أظهرهم كما قال تعالى ﴿ وما كان الله ليُعذِّبهم وأنت فيهم ﴾ [الأنفال ٣٣]- وإن يوما عند ربك أيها النبي الكريم كألف سنة مما -في الدنيا- تعدون: لا تقيسوا ما يخبركم الله به من غيب بمقاييس الحياة الدنيا. ٤٧

وكم من قرية أمهلها الله -فأخر عنها عقابه فازدادت كفرا- وأهلها ظالمون لأنفسهم بالكفر، ثم أخذها الله -بعقابه- وإليه سبحانه المرجع في الآخرة. ٤٨

توجه أيها النبي الكريم بالخطاب إلى الناس -ليتركوا الكفر- إنما أنت لهم نذير واضح بالعقاب. ٤٩

فالذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة لهم مغفرة، ورزق كريم: الجنة. ٥٠

والذين سعوا في آيات الله مثبطين -عباد الله لئلا يؤمنوا، باذلين جهودهم للتكذيب بها- مقدرين أنهم يعجزون الله ويفرون منه، هؤلاء ماكثون في الجحيم، يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه. ٥١

وما أرسل الله من قبلك أيها النبي الكريم من رسول ولا نبي -فالنبي مرسل، لكن ليس برسالة مستقلة أو شريعة جديدة على من أرسله الله إليهم، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا- إلا إذا قرأ -ما أنزل الله عليه- ألقى الشيطان في قراءته -ما يلبس به على من يسمع، موقعا في مسامعهم ما لم يتكلم به الرسول أو النبي- فينسخ الله ما يلقي الشيطان -فيبطله ويزيله- ثم يحكم الله آياته -فيثبتها ويحفظها- والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٥٢

ليجعل -سبحانه- ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم شك وشبهة -فيختبر الله من يؤثر فيهم أدنى شيء ويفضي بهم إلى التباس وحيرة- والقاسية قلوبهم -التي لا تعي خيرا ولا تجدي فيها موعظة- وإن الظالمين لأنفسهم بالكفر أو بعدم اليقين لفي غاية الخلاف والعداء مع الحق والمفارقة له. ٥٣

فائدة! أهل اليقين يسعون للحكم بشرع الله، ويوقنون أنه الأحسن على الإطلاق لأنه من عنده سبحانه كما قال تعالى ﴿ أفحُكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حُكما لقوم يوقنون. ﴾ [المائدة ٥٠].

لِحُكمِ الشَّرعِ نَسعى لمْ نُداهِنْ ... ونوقنُ أنَّهُ الأجدى، فَسِيروا

وليعلم أهل العلم -يقينا- أن الذي تقرأ عليهم هو الحق من ربك أيها النبي الكريم، فيؤمنوا به -إيمانا كاملا، ويثبتوا على ذلك- فتخبت له قلوبهم -فتخضع وتتواضع- وإن الله لموفق الذين آمنوا ومرشدهم إلى طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إليه وجنته. ٥٤

ولا يزال الذين كفروا في شك منه وريبة، حتى تأتيهم الساعة -وتقوم القيامة- على غرة دون مقدمات -بموتهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عثمان بن عفان ﷺ ﴿ القبر أول منازل الآخرة فإن ينج منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه ﴾ [الترمذي ٢٣٠٨ * ابن ماجة ٤٢٦٧ * أحمد ٤٥٤]- أو يأتيهم عذاب يوم عقيم: لا رحمة فيه يفضي إلى موتهم، كأيام بدر وبني قُريظة. ٥٥

وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ
أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٨﴾
قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٥٠﴾
وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ
إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي
ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ
مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ
فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ
مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ
تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟
أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ
خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ
وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ
بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

الملك -المطلق- يومئذ لله -وحده دون سواه- يحكم بين المؤمنين والكافرين -يوم القيامة، كل بما استحق- فالذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة في جنات النعيم الدائم. **٥٦**

والذين كفروا وكذبوا بآياته سبحانه فهؤلاء لهم عذاب مهين مذل. **٥٧**

والذين هاجروا في سبيل الله نصرة لدينه -حصرا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه. ﴾ [البخاري ١ * مسلم ١٩٠٧ * أبو داود ٢٢٠١ * الترمذي ١٦٤٧ * النسائي ٧٥ * ابن ماجة ٤٢٢٧ * أحمد ١٦٨]- ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله -في البرزخ بين الموت والبعث كما قال تعالى ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون ﴾ [المؤمنون ١٠٠] وبعد ذلك- رزقا حسنا، وإن الله لهو -الغني- خير من يرزق وأفضل من يعطي. **٥٨**

ليدخلنهم -سبحانه- مدخلا يرضونه -جنته، لا يخرجهم منها- وإن الله لعليم بنياتهم وبأفعالهم، حليم لا يعاجل -من يفرط منهم أحيانا أو يقصر- بعقاب. **٥٩**

فائدة! ما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ لا هجرة بعد الفتح ﴾ [البخاري ٢٧٨٣ * مسلم ١٣٥٣ * أبو داود ٢٤٨٠ * الترمذي ١٥٩٠ * النسائي ٤١٧٠ * أحمد ١٩٩١] لا ينافي أن هجرة إلى دار إسلام -أرض يقام فيها شرع الله وتحكم به- اليوم أجرها بإذن الله عظيم.

يُهاجِرُ طالِبًا شَرعًا ويَسعى ... فنِعمَ العَبدُ هذا لا يَخورُ!

ذلك -المذكور من ثواب المهاجر مخلص النية وحلم الله على من يفرط أحيانا أو يقصر قضى به الله- ومن عاقب -معتد عليه في بدن أو مال- بمثل ما عوقب به -لم يتجاوزه- ثم اعتدي عليه -مجددا- ليؤيدنه الله بنصره ومعونته، إن الله لعفو -عمن يرجح الثأر على الصفح- واسع ودائم المغفرة. **٦٠**

ذلك -المذكور من نصر للمعتدى عليه وعفو عمن يرجح الثأر على الصفح- بسبب أن الله -قادر لا يعجزه شيء، فمن كمال قدرته أنه سبحانه- يدخل الليل في النهار فيطول وقت النهار، ويدخل النهار في الليل فيطول وقت الليل، ويعاقب بينهما، وأن الله سميع لكافة ما يقول عباده، بصير لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. **٦١**

ذلك -المذكور من تعاقب الليل والنهار- بسبب أن الله هو الحق -لتوقنوا ألا إله سواه، فمن ذا الذي يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك؟- وأن ما يدعون ويعبدون من دونه -من طواغيت- هو الباطل -الذي لا أساس له- وأن الله هو العلي على الجميع بذاته وقدره وقهره، الكبير لا أكبر منه: أفلا تتقونه؟ **٦٢**

ألم ينته علمك -أيها الإنسان- أن الله أنزل من السماء مطرا، فتصبح الأرض مخضرة: بإذنه سبحانه قد أنبتت؟ إن الله لطيف في تدبيره رفيق عالم بدقائق الأمور، خبير لا يفوته شيء. **٦٣**

له ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وإن الله -وإن دعاهم إلى الإيمان به والتقوى- لهو الغني عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه، المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. **٦٤**

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي
فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ
أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ
فِي ٱلْأَمْرِۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ
ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ
عِلْمٌۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَۖ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن
ذَٰلِكُمُۚ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

ألم ينته علمك -أيها الإنسان- أن الله ذلل لكم ما في الأرض: إما للانتفاع والاستمتاع أو للاعتبار؟ والسفن تجوب المياه بأمره -وقدرته- كذلك ذللها؟ ويمسك السماء أن تقع على الأرض -فلا تسقط محطمة إياها- إلا بإذنه ومشيئته؟ إن الله بالناس لشديد الرأفة -بالمؤمنين- عظيم الرحمة. ٦٥

وهو -سبحانه- الذي أحياكم -أيها العباد، إذ أوجدكم من عدم- ثم يميتكم -بعد استيفاء آجالكم- ثم يحييكم -للحساب، فذلك عليه هين- إن الإنسان لعظيم الكفران بنعم ربه لا يشكرها. ٦٦

لكل أمة -وأهل دين- جعل الله منسكا -وذبح، وشريعة- هم متبعوه، فلا ينازعنك أيها النبي الكريم -وأمتك من ورائك- في الأمر -فلا تتركوا كافرا وإن ادعى الإسلام يجادلكم ليثنيكم عن إقامة شريعة الإسلام- وادعُ إلى -توحيد- ربك -فقد أرشدك- إنك لعلى هداية تذهب بك صوب الاستقامة. ٦٧

وإن جادلوك -وأمتك من ورائك، لتطيعوهم فالردة المآل كما قال تعالى ﴿ ولا تأكلوا مما لم يُذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإنَّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون. ﴾ [الأنعام ١٢١]- فأجبهم -متوعدا، حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]- بأن الله أعلم بما يعملون، وسيجازيهم به. ٦٨

فائدة! من أساليب جدال أهل الباطل ادعاء أن الحرام ليس حراما، بل هو مثل الحلال لا فرق بينهما كما قال تعالى ﴿ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرَّم الربا ﴾ [البقرة ٢٧٥].

يُجادِلُنا بباطِلِهِ ويَهذي ... حرامًا كالحلالِ يَرى الضَّريرُ!

الله -العالم بما يعملون- يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون: فيجازي كلا بما قدم. ٦٩

ألم تعلم أيها النبي الكريم -يقينا- أن الله يعلم جميع ما في السماء والأرض؟ إن ذلك -العلم الشامل- في اللوح المحفوظ، إن ذلك -الحكم بينكم، والعلم الشامل- على الله يسير. ٧٠

ويعبد الكفار من دون الله ما لم ينزل بجعله شريكا له برهانا، وما ليس لهم بكونه إلها علم -فقد قلدوا أسلافهم عن عمى- وليس للظالمين لأنفسهم بالكفر من نصير ينفعهم أو يدفع عنهم عذاب الله. ٧١

وإذا تقرأ عليهم آيات الله -المنزلة- مبينة للحق تعرف أيها النبي الكريم -والدعاة من أمتك، بل وكل من له أدنى عقل- في وجوه الذين كفروا -من العبوس- الإنكار -لكلام الله- يكادون -لفرط غيظهم- يبطشون بطشا شديدا بالذين يقرؤون عليهم آيات الله، سلهم -موبخا مقرعا- أفتخبرهم بشر من ذلك -الغيظ والعبوس والإنكار- وأسوأ؟ النار! وعدها الله الذين كفروا -يدخلونها حتما- وبئس المصير. ٧٢

فائدة! حال كثير من أهل البدع من فرق الأهواء والكلام والضلال مثل حال الكفار: إذا خاطبهم أهل السنة والجماعة -المتمسكون بالسنة المجتمعون عليها- بكلام الله أو بسنة رسوله ﷺ امتعضوا، بل أن منهم من يحرض السلطات الطاغوتية والطوائف الممتنعة عن الحكم بما أنزل الله على البطش بأهل العلم، فيدخلون أنفسهم -بجهلهم وغبائهم- في وعيد الله: النار، فإعانة الكافر على المسلم كفر.

إذا تُتلى عليهم آيُ ربِّي ... فمُبتَدِعٌ يُحَرِّضُ مَنْ يَضيرُ!

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ
وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ
ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ
مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ
رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧
وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ
وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ
إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي
هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨

يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له: إن الذين تدعون وتعبدون من دون الله -يا أهل الكفر والردة، من طواغيت- لن يخلقوا ذبابا -من صغار الكائنات الحية، لن يستطيعوا- ولو اجتمعوا لذلك الغرض، وإن يسلبهم الذباب شيئا -مما عليهم من طيب، أو مما وضعتم أمامهم من طعام أو شراب أو قرابين، أيها الجهلة- لا يملكوا -مهما حاولوا- إنقاذه أو تخليصه منه، ضعف -الطاغوت- الطالب -لخلق ذباب ولن يستطيع، بل من تمام عجزه لا يستطيع تحصيل ما أخذ الذباب منه، ويعدونه إلها!- والمطلوب: ذباب من أضعف ما خلق الله، أقام به سبحانه الحجة على عباده. ٧٣

ما أعطى عابدو الطواغيت الله حق قدره وافيا، إن الله لقوي قادر، عزيز في قدرته لا يعجزه شيء. ٧٤

الله يصطفي من الملائكة رسلا -كالمَلَك جبريل ومَلَك الموت عليهما السلام- ومن الناس -وآخر رسله محمد ﷺ، وسبحانه أعلم بمن يستحق أن يحمل رسالته كما قال تعالى ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ [الأنعام ١٢٤]- إن الله سميع لكافة ما يقول عباده، بصير لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. ٧٥

يعلم ما مضى من أمر من اصطفى من رسل -ملائكة كانوا أو بشرا- وما يستقبلونه لم يقع بعد، وإلى الله ترجع أمور عباده ليقضي فيها. ٧٦

يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا -فأدوا صلاتكم على أتم وجه، في خشوع- واعبدوا ربكم -الخالق الرازق، وحده دون سواه، كما أمر، فأحيوا السنة، ولا تحدثوا في الدين ما ليس فيه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد. ﴾ [البخاري ٢٦٩٧ * مسلم ١٧١٨ * أبو داود ٤٦٠٦ * ابن ماجة ١٤ * أحمد ٢٦٠٣٣] فالبدعة في الدين هلاك- وافعلوا الخير -من صلة الأرحام والصدقة ونحو ذلك- رجاء أن تفلحوا فيكون مصيركم الجنة. ٧٧

وجاهدوا في الله حق جهاده -مخلصي النية بغير رياء، ممتثلي أوامره مجتنبي نواهيه، ومستفرغي الوسع في نصرة دينه بالحجة والسلاح- هو اختاركم وجعلكم من خاصته -تحملون دينه، فاحملوه بحق- وما جعل عليكم في الدين من مشقة ولا ضيق -فدينكم سمح: كلفكم بما تقدرون عليه وسهل عليكم، وشرع لكم التخلص من الذنوب- ملة أبيكم إبراهيم -اتبعوها، هي توحيد الله- هو -سبحانه- سماكم المسلمين من قبل -في كتبه السابقة- وفي هذا -القرآن- ليكون الرسول شهيدا عليكم -وعلى صدق ما شهدتم به- وتكونوا شهداء على الناس كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلَّغ ﴾ [البخاري ٣٣٣٩ * الترمذي ٢٩٦١م * ابن ماجة ٤٢٨٤ * أحمد ١١٢٨٣]، فأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأديموها بشروطها، وأخرجوا الزكاة الواجبة في أموالكم، والتجؤوا إلى الله -وثقوا بوعده- وتمسكوا به، هو متولي أموركم -فأخلصوا له- فأحسن من يتولى الأمور -هو- وأحسن من ينصر. ٧٨

⋆ سورة المؤمنون ⋆

⋆ المؤمنون مرفوع على الحكاية، وهي مكية ⋆

قد أفلح المؤمنون ونالوا مطلوبهم. ١

الذين هم في صلاتهم متواضعون متذللون: لربهم، حاضرة قلوبهم، لا يلتفتون ولا يعبثون. ٢

والذين هم عن الباطل والمعاصي وما لا خير فيه ولا فائدة معرضون منصرفون. ٣

والذين هم لإخراج زكاة أموالهم ولتطهير أنفسهم من الإثم فاعلون. ٤

والذين هم لفروجهم -عن الزنا والشذوذ الجنسي، وعن أنظار الناس وملامسة أبدانهم- حافظون. ٥

إلا على أزواجهم أو ما ملكوا من إماء، فإنهم لا يلامون على جماعهن وما دون ذلك مما أحل الله. ٦

فائدة! لا يحل للمرأة أن تجامع عبدا تملكه، ولا أن تستمتع به، ولا أن تكشف جسدها أمامه.

يُجامِعُ مسلِمٌ أَمَةً لديهِ ... لِتُلمَسَ حُرَّةٌ سيقَت مُهورُ

فمن التمس الاستمتاع بغير زوجاته وإمائه فهؤلاء هم العادون المجاوزون إلى ما ليس يحل لهم. ٧

والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون: لا ينقصون من حقوق الله ولا من حقوق عباده شيئا. ٨

والذين هم على صلواتهم يحافظون: تامة غير منقوصة، يؤدونها ويظهرون هيئتها ويديمونها بشروطها. ٩

هؤلاء هم الوارثون: يرثون أرض الجنة وينزلون من منازلها حيث يشاءون. ١٠

الذين يرثون الفردوس -أعلى الجنان وأحسنها مرتبة، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة ﴾ [البخاري ٧٤٢٣ ⋆ أحمد ٨٤١٩]- هم فيها خالدون لا يخرجون منها. ١١

ولقد خلق الله الإنسان من ولد -آدم ﷺ، الذي خلقه سبحانه- من طين. ١٢

ثم جعله الله -نسلا من- نطفة -من المني الخارج عند الجماع- في استقرار متمكنة في الرحم. ١٣

ثم خلق الله النطفة علقة -من دم جامد متكون من المني- فخلق الله العلقة مضغة -من لحم متكون من العلقة- فخلق الله المضغة عظاما -فصارت هيكلا للبدن- فكسا الله العظام لحما، ثم أوجده الله خلقا آخر -كان جمادا فصار روحا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ﴿ إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه مَلَكا بأربع كلمات: فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح ﴾ [البخاري ٣٣٣٢ ⋆ مسلم ٢٦٤٣ ⋆ أبو داود ٤٧٠٨ ⋆ الترمذي ٢١٣٧ ⋆ ابن ماجة ٧٦ ⋆ أحمد ٣٦٢٤]- فكثر خير ونفع الله أحسن الخالقين -وليس غيره يخلق من عدم- وتعاظم واستحق الثناء. ١٤

ثم إنكم -أيها الناس- بعد ذلك -الإيجاد من عدم- لميتون: لا محالة، بعد استيفاء آجالكم. ١٥

ثم إنكم يوم القيامة تبعثون: يحييكم الله للحساب والجزاء. ١٦

ولقد خلق الله فوقكم سبع -سماوات- طوابق، وما كان الله عن الخلق غافلا سبحانه: فينهار بهم. ١٧

سُورَةُ المُؤۡمِنُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾
وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ
فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ
وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ
وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾
وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ
فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ
مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ
أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ
إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾
وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ
ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ
وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ١٩ وَشَجَرَةٗ
تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ٢٠
وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا
مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٢١ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٢٢
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا
ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥
قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ
ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ
فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ
ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧

وأنزل الله من السماء مطرا بمقدار قد قدره، فأسكنه سبحانه في الأرض -مخزنا إياه على سطحها وفي باطنها: أنهارا وآبارا وينابيع وعيونا- وإن الله على ذهاب به لقادر سبحانه: إذًا لهلك الناس جميعا. **١٨**

فأوجد الله لكم به بساتين مديدة الظل من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة متعددة، ومما تخرج هذه البساتين تأكلون. **١٩**

وشجرة تخرج من -جبل- طور سيناء -تنبت عليه- كذلك أوجدها سبحانه لكم بالماء، تنبت بالدهن -زيت الزيتون، يدهن به البدن والشعر- ويصبغ فيه -الخبز وغيره من الطعام- ويؤكل. **٢٠**

وإن لكم -أيها الناس- في الأنعام -من إبل وبقر وغنم- لعبرة وعظة، يسقيكم سبحانه مما في بطون إناثها -لبنا- ولكم فيها ما تنتفعون به من أصواف وأوبار وأشعار وجلود، ونسل تتاجرون فيه، وظهور وقوة تستخدمونها للركوب وحمل الأغراض وغير ذلك من عمل شاق، ومن لحومها وشحومها تأكلون. **٢١**

وعليها -ولا سيما الإبل- وعلى السفن تحملون: للتنقل، فهي تحملكم مع بضائعكم برا وبحرا. **٢٢**

ولقد أرسل الله نوحا إلى قومه، فدعا قومه أن يعبدوا الله -وحده- ليس لهم أي إله غيره، سائلا إياهم -مستنكرا- أفلا يتقون بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه؟ **٢٣**

فكانت إجابة الرؤوس الأعيان الذين كفروا من قومه أن ما هذا -الذي يزعم أنه مرسل- إلا بشر مثلهم -ليس مَلَكا ولا جنيا- يريد أن يسود عليهم -ليس إلا- ولو شاء الله -أن يرسل رسلا- لأنزل ملائكة، من ثم أردفوا مؤكدين أن ما سمعوا بمثل هذا -الذي ادعاه نوح ﷺ- في آبائهم وأسلافهم. **٢٤**

ليس هو -ﷺ-، حاشاه- إلا رجل به جنون -زعموا، ليصرفوا عنه قومه- من ثم نصحوهم فلينتظروا به مرتقبين حتى حين: اتضاح أمر جنونه للناس، أو وقوع مكروه يقضي عليه، أو تعافيه من جنونه. **٢٥**

دعا -ﷺ- ربه أن ينصره -فينتقم من قومه- بسبب تكذيبهم له. **٢٦**

فائدة! يجوز الدعاء على الذين يكذبون أهل العلم الثقات محاولين صرف الناس عن دينهم كما قال تعالى ﴿ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّارا. إنك إن تذرهم يُضلُّوا عبادك ﴾ [نوح ٢٦ ٢٧]، ففعلهم ليس من قبيل المناظرة أو ما يطلق عليه "الرأي والرأي الآخر"، بل هو فعل الكفرة.

وَندعو اللهَ لا تُنظِرْ مُضِلًّا ... كَفورًا كَذَّبَ العُلَماءَ، غُوروا!

فأوحى الله إلى نوح ﷺ أن يصنع السفينة بأعين الله -بمرأى منه وفي حفظه- وما أوحاه سبحانه -إليه من علم يوظفه لصناعتها، كذلك أمره- فإذا جاء أمر الله -بهلاكهم- واشتد الماء -إيذانا ببدء طوفان لا مثيل له كما قال تعالى ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء مُنهمر. وفجَّرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قُدِر. ﴾ [القمر ١١ ١٢]- فلينفذ في السفينة من كل -صنف من الحيوان- زوجين اثنين -ذكرا وأنثى- وأهل بيته -مع أهل دينه- كذلك ينفذهم فيها، إلا من سبق عليه حكم الله منهم -بأن يغرق بكفره- ونهاه أن يخاطبه في -شأن- الذين ظلموا أنفسهم بتكذيبه وغيرهم بالصد عن الإيمان، مؤكدا أنهم مغرقون: قدر الله غرقهم، في موعد محدد لن يتقدم ولن يتأخر. **٢٧**

فإذا استقررتم -يا نوح، أنت ومن اتبعك- على السفينة فأثن على الله الذي نجاكم من القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر: فلم يصيبوكم بسوء، وأهلكهم، ونجاكم من الهلاك معهم. ٢٨
وادع ربك أن ينزلك إنزالا -في موضع- كثير النفع والخير، وأثن عليه: هو خير وأفضل المضيفين. ٢٩
فائدة! ﴿ رب أنزلني مُنزلا مباركا وأنت خير المُنزلين ﴾ يجوز الدعاء به عند النزول من وسائل التنقل وعند نزول مواضع جديدة، كدخول منازل جديدة ونحو ذلك.

لِخَيرِ المُنزِلِينَ الحَمدُ بارِكْ ... لنا في مَوضِعٍ نَزَلَ الخُيُورُ

إن في ذلك -المذكور من أمر نوح عليه السلام، وإنجاء الله للمؤمنين- لآيات دالة على كمال قدرة الخالق، وإن كان الله لمبتل سبحانه: مختبرا عباده، ليظهر المؤمن من الكافر، ثم ينصر المؤمنين إن صبروا. ٣٠
ثم أوجد الله من بعد قوم نوح الذين أهلكهم أمة أخرى. ٣١
فأرسل الله فيهم رسولا منهم -يعرفون حاله ونسبه وصدقه، يبين فيفهموا ما يدعوهم إليه كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليُبيِّن لهم ﴾ [إبراهيم ٤]، فدعاهم- أن يعبدوا الله -وحده- ليس لهم أي إله غيره، سائلا إياهم -مستنكرا- أفلا يتقون بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه؟ ٣٢
وكانت إجابة الرؤوس الأعيان من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء -الله في- الآخرة وأبطرهم سبحانه في ترف ونعيم الحياة الدنيا -إذ لم يشكروا نعمه فزادهم طغيانا- أن ما هذا -الذي يزعم أنه مرسل- إلا بشر مثلهم -ليس مَلَكا ولا جنيا- يأكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشربون: لا فضل له عليهم. ٣٣
فائدة! الترف من أنواع الابتلاء بالخير كما قال تعالى ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء ٣٥].

إذا تَرَفًا قَضى ربِّي لِنَشكُرْ ... أيَترِكُ شُكرَهُ عَبدٌ فَقيرُ؟

ولئن أطاعوا بشرا مثلهم -ليس مَلَكا ولا جنيا، فاتبعوا من بزعمهم لا فضل له عليهم- إنهم إذًا -بسبب ترك دين أسلافهم- لخاسرون. ٣٤
أيعدهم -هذا الذي يزعم أنه مرسل، تساءلوا مستنكرين- أنهم إذا ماتوا وصاروا ترابا وعظاما أنهم -من قبورهم أحياء، للحساب- مخرجون؟ ٣٥
بعيد، بعيد ما توعدون: به من إخراجكم من قبوركم أحياء بعد موتكم، زعموا. ٣٦
ليس حياة إلا حياتنا الدنيا يموت الأحياء ويولد غيرهم، ولن نبعث: بعد الموت للحساب، زعموا. ٣٧
ليس هو -عليه السلام، حاشاه- إلا رجل افترى على الله كذبا، وما هم له بمطمئنين ولا مصدقي نبوته. ٣٨
دعا -عليه السلام- ربه أن ينصره -فينتقم من قومه- بسبب تكذيبهم له. ٣٩
أجابه -سبحانه- بأن عما قليل -من الزمان: قريبا جدا- ليصبحن -على تكذيبهم له- نادمين. ٤٠
فأخذتهم الصيحة -قوية- بالحق -فقد استحقوا الاستئصال- فجعلهم الله غثاء -كالذي يحمله السيل من رغوة وما يجرفه من فتات- فهلاكا للقوم الظالمين لأنفسهم بالكفر، وبعدا وطردا من رحمة الله. ٤١
ثم أوجد الله من بعد هؤلاء القوم الذين أهلكهم أمما متتالية أخرى. ٤٢

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى
نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا
مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ
مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾
أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾
۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ
وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ
مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم
بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

لا تتقدم أي أمة -ظالمة- أجلها -المحدد، فتهلك قبل أن يحين- ولا -عنه إذا حان- يتأخرون. **٤٣**

ثم أرسل الله رسله سبحانه تترا -يتبع بعضهم بعضا- كلما جاء أمة رسولها -يبلغهم رسالة الله- كذبوه، فأتبع الله بعضهم بعضا -بالاستئصال فلحقوهم- وجعلهم الله أحاديث -يتحدث بها عباده، متذكرين ما حل بهم من عقاب- فهلاكا لقوم لا يؤمنون -برسالات ربهم- وبعدا وطردا من رحمة الله. **٤٤**

ثم أرسل الله موسى وأخاه هارون بآياته سبحانه الدالة على صدقهما -وهي تسع كما قال تعالى ﴿ في تسع آيات إلى فرعون وقومه ﴾ [النمل ١٢]- وبرهان واضح الدلالة. **٤٥**

إلى فرعون ورؤوسه الأعيان -من أهل ملكه، وبقية القوم فمن عداهم تبع لهم- فاستكبروا -عن توحيد الله- وكانوا قوما مستعلين على الناس بالظلم والبغي. **٤٦**

فتساءلوا -مستنكرين- أيطمئنون لبشرين مثلهم -ليسا مَلَكَين ولا جنيَّين- ويصدقون نبوتهما، وقومهما -بنو إسرائيل- لفرعون ورؤوسه الأعيان -من أهل ملكه- مطيعون خاضعون خضوع العبيد؟ **٤٧**

فكذبوا موسى وهارون عليهما السلام، فكانوا من -جملة الأمم- المهلكين: أهلكهم الله كغيرهم من الكفار. **٤٨**

ولقد أعطى الله موسى التوراة، رجاء أن يهتدي بنو إسرائيل ويعملوا بما فيها ويسلكوا الطريق القويم. **٤٩**

وجعل الله -عيسى- ابن مريم وأمه آية دالة على كمال قدرته، وآواهما الله إلى موضع مرتفع من الأرض مستو صالح للاستقرار وجار: به الماء. **٥٠**

يا أيها الرسل كلوا من الطيبات غير الخبيثة من نبات وحيوان، واعملوا -تصديقا لإيمانكم- صالحا، إن الله بما تعملون عليم لا يخفى عليه شيء من نياتكم وأعمالكم، وسيجازيكم بها. **٥١**

وإن هذه ملتكم: ملة واحدة -توحيد الله والانقياد له، لا خلاف في ذلك- وهو ربكم -الخالق الرازق، وحده دون سواه- فاتقوه سبحانه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. **٥٢**

فتفرق الخلق واختلفوا في أمر الدين طوائف، كل حزب بما لديه -يزعم أنه الحق- فرح معجب. **٥٣**

فاتركهم أيها النبي الكريم مغمورين في غفلتهم بالدنيا حتى حين: إتيان أمر الله في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]، أو عذاب من عند الله ليس بأيديكم كما قال تعالى ﴿ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ﴾ [التوبة ٥٢]. **٥٤**

أتظن هذه الفرق المختلفة في الدين أنما يمدهم الله به من مال وبنين. **٥٥**

يبادر سبحانه لهم إلى تقديم الخيرات؟ بل لا يشعرون لفرط جهلهم أنه استدراج ليزدادوا إثما. **٥٦**

فائدة! لا تغتروا عباد الله بإنعام الله على الكفرة والظلمة والفسقة، إنما هو استدراج لهم ليزدادوا إثما.

ليزدادوا مِنَ الآثامِ يُملي ... لأهلِ الفِسقِ ربُّهُمُ الصَّبورُ

إن -المؤمنين- الذين هم من خشية ربهم حذرون خائفون: يطيعونه، ولا يأمنون تبدل حالهم. **٥٧**

والذين هم بآيات ربهم -المنزلة والكونية والعقلية- يؤمنون. **٥٨**

والذين هم بربهم لا يشركون: لا شرك جلي فيعبدوا معه غيره، ولا شرك خفي فيراءوا بعملهم. **٥٩**

والذين يعطون ما أعطوا -مجتهدين في عمل أعمال صالحة- وقلوبهم -خائفة- وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ليجازيهم بأعمالهم: فقد لا يتقبل منهم أعمالهم. ٦٠

هؤلاء يبادرون إلى تقديم الخيرات -مغتنمين مواسم الطاعة، كرمضان وعشر ذي الحجة ونحو ذلك- وهم لها سابقون: قد سبقوا غيرهم إلى اغتنامها، ومن أجل ذلك سبقوهم عند ربهم. ٦١

ولا يكلف سبحانه نفسا إلا قدر طاقتها، ولديه سبحانه صحائف أعمال العباد تسجل بالحق والصدق الذي لا مراء فيه كما قال تعالى ﴿ لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ [الكهف ٤٩] وتظهر ما فيها -يوم القيامة- وهم -عنده- لا يظلمون. ٦٢

بل قلوب الكفار مغمورة في غفلة بالدنيا عن هذا -القرآن وما فيه من إنذار- ولهم أعمال من دون ذلك -الكفر والغفلة، أقل سوءا- هم لها عاملون: قضى الله بذلك، لابد أن يعملوها فتزيدهم عذابا. ٦٣

حتى إذا أخذ الله منعميهم الذين أبطرهم الترف بالعذاب -في الدنيا أو في الآخرة، بسبب ما اقترفوا، فصاروا في العذاب هم وغيرهم من الكفار سواء- إذا هم -فجأة- يرفعون أصواتهم مستغيثين. ٦٤

لا ترفعوا أصواتكم مستغيثين اليوم، إنكم منه سبحانه لا تنصرون: فلن يدفع أحد عنكم عذابه. ٦٥

قد كانت آيات الله -المنزلة في قرآنه- تقرأ عليكم -في الدنيا- فكنتم هاربين تولون. ٦٦

مستكبرين ببيت الله الحرام -زاعمين أنكم أهله كما قال تعالى ﴿ وما لهم ألَّا يعذبهم الله وهُم يصدُّون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ﴾ [الأنفال ٣٤]- تتسامرون -حول البيت الحرام ليلا- تهجرون آياته سبحانه ورسوله، وتهذون بكلام مسيء عنهما. ٦٧

أفلم يدبروا الكلام: متأملين معاني القرآن ومواعظه؟ أم -سبب تكذيبهم أن- جاءهم ما لم يأت آباءهم وأسلافهم: نذير ينذرهم بالعقاب كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ﴾ [سبإ ٤٤]؟ ٦٨

أم لم يعرفوا -صدق وأمانة- رسولهم، فهم -رغم أنه نشأ بينهم- له منكرون: لا يعلمون حاله؟ ٦٩

أم يزعمون به جنون؟ بل جاءهم بالحق، وأكثرهم للحق -ومن ثم للدين القويم- كارهون: يريدون البقاء على ما هم عليه من ظنون لا أصل لها كما قال تعالى ﴿ وإن تُطع أكثر من في الأرض يُضلوك عن سبيل الله إن يَتَّبعون إلا الظنَّ وإن هم إلا يَخرصون. ﴾ [الأنعام ١١٦]. ٧٠

ولو اتبع الحق أهواءهم -فوافقها الدين- لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن -ممن خلق سبحانه- بل أتاهم الله -في القرآن، شرفهم أن أنزله بلسانهم- بذكرهم -دينهم! وأحكامهم، وما يصيرون إليه من ثواب أو عقاب، به يتذكرون ويتعظون- فهم عن ذكرهم -وتوحيد ربهم- معرضون منصرفون. ٧١

أم تسألهم أيها النبي الكريم -على ما جئت به- أجرة؟! فرزق ربك الذي أخرج لك في الدنيا وثوابه في الآخرة خير -من أموالهم- وأفضل، وهو -سبحانه، الغني- خير من يرزق وأفضل من يعطي. ٧٢

وإنك لتدعوهم إلى طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إلى الله وجنته. ٧٣

وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة -بالبعث إيمانا لا افتراء فيه على الله- عن الطريق -السوي- لحائدون. ٧٤

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ
هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ
يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ
ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ
جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ
فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ
وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ
عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌۖ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

* وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ
إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ
وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ
ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ
ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ
إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن
فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ
ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ
بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾

ولو رحمهم الله ورفع سبحانه ما بهم من ضرر -أنزله بهم استجابة لدعاء نبيه، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود ﵁ ﴿ إن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدبارا قال: اللهم سبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة حصت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف ﴾ [البخاري ١٠٠٧ * مسلم ٢٧٩٨ * الترمذي ٣٢٥٤ * أحمد ٣٦١٣]- لتمادوا في طغيانهم -وتجاوزهم- يتخبطون. **٧٥**

ولقد أخذهم الله بالعذاب -جوعا في سنين القحط، أرجعوا عن الشرك والإعراض؟- فما استكانوا لربهم -ولا خضعوا- وما يقصدون -إليه وحده- بالتضرع: والدعاء والتذلل، ولا انقادوا للإيمان. **٧٦**

حتى إذا فتح سبحانه عليهم بابا ذا عذاب شديد -يفضي إلى موتهم، كيوم بدر- إذا هم -فجأة- فيه ساكتون محزونون يائسون لا يتوقعون خيرا. **٧٧**

وهو الذي أوجد لكم السمع والأبصار والقلوب -لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا، فتعلموا، وتعملوا- قليلا ما تشكرون الله على نعمه. **٧٨**

وهو الذي خلقكم وكثركم في الأرض -أيها الناس- وإليه تصيرون ليجازيكم بأعمالكم. **٧٩**

وهو الذي يحيي الخلائق ويميتها وله -تدبير شأن- تعاقب الليل والنهار، أفلا تنتفعون بعقولكم؟! **٨٠**

بل تساءلوا مثل ما تساءل السابقون. **٨١**

تساءلوا -مستنكرين- أئذا ماتوا وصاروا ترابا وعظاما أئنهم -للحساب- لمبعوثون؟ **٨٢**

لقد وعدوا هم وأسلافهم هذا -البعث- من قبل -بزعمهم- إن هذا إلا أباطيل الأمم السابقة. **٨٣**

سلهم أيها النبي الكريم لمن الأرض ومن فيها؟ -من المالك؟- إن كانوا يعلمون: فليجيبوا! **٨٤**

سيقولون -الأرض ومن فيها- لله -لا يمكنهم إلا الإقرار بذلك فهو معلوم بالبديهة- سلهم أفلا يذكرون: إذًا فيتعظوا، فيوقنوا بوحدانية الله الخالق وبقدرته على البعث؟ **٨٥**

فائدة! مشركو الجاهلية لم ينكروا وجود رب خالق، إنما أشركوا به ما زعموا أن عبادته تقربهم إليه كما قال تعالى ﴿ والذين اتَّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليُقَرِّبونا إلى الله زُلفى ﴾ [الزُّمَر ٣]، فهم إذًا أكثر فطنة من أهل الإلحاد الذين يزعمون قدرة العلم على تفسير الظواهر الطبيعية وأن الكون نشأ -بغير خالق مدبر- نتيجة تطور! كذبوا، وصدق الله: ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ [الإسراء ٨٥].

إلهي خالقُ الكَونِ المُديرُ ... هوَ المَلِكُ المُدَبِّرُ، لا تَجوروا!

سلهم من رب السماوات السبع، ورب العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- العظيم؟ **٨٦**

سيقولون -السماوات والعرش- لله -هو خالقهم ومالكهم ومدبر شؤونهم- سلهم -مستنكرا- أفلا يتقون إذًا -وهم دون السماوات السبع ودون العرش- بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه؟ **٨٧**

سلهم من بيده ملك وسلطان كل شيء: متصرفا في خزائن الكون؟ وهو يغيث من يشاء إذا شاء، ولا يملك أحد -كائنا من كان- أن يغيث من أراده سبحانه بسوء؟ إن كانوا يعلمون: فليجيبوا! **٨٨**

سيقولون -الملك- لله -هو المغيث- سلهم -موبخا- فكيف يجري سحرهم إذًا فيشركوا بربهم؟ **٨٩**

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن
وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ
وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾
عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾
وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ
أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن
يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾
فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

بل أتاهم الله بالحق والصدق الذي لا مراء فيه، وإنهم لكاذبون فيما ينسبون إليه سبحانه. **٩٠**
ما اتخذ الله أي أولاد -لا عزير ولا المسيح ﷺ ولا الملائكة ولا غير ذلك- وما كان معه أي إله، إذًا
-لو كان معه آلهة تستحق العبادة- لذهب كل إله -منفردا عن بقيتهم- بما خلق، ولعلا بعضهم على
بعض -محاولا الاستيلاء على الملك جميعه ولغلب الأقوى وفاز- تنزه الله وتقدس عما يصفونه به. **٩١**
عالم ما غاب وما شوهد، فتباعد وارتفع عما يشرك الخلق به. **٩٢**
ادع أيها النبي الكريم ربك إما يرينك -فقدر سبحانه لك رؤية- ما يوعدون: به من عذاب. **٩٣**
فلا يجعلك ربك -حينئذ مقيما بين أظهرهم- في القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر. **٩٤**
فائدة! حين يكثر الفساد يعم العقاب كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين زينب رضي الله عنها ﴿ يا
رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث ﴾ [البخاري **٣٣٤٦** ★ مسلم **٢٨٨٠** ★
الترمذي **٢١٨٧** ★ ابن ماجة **٣٩٥٣** ★ أحمد **٢٧٤١٣**].

إذا كَثُرَ الفَسادُ أتى هلاكٌ ... فَعَمَّ القَومَ لَمْ يُنْجِ القديرُ

وإن الله على أن يريك سبحانه ما يعدهم الله -به من عذاب- لقادر سبحانه: وقد فعل يوم بدر. **٩٥**
ادفع بأحسن ما يمكن -من إعراض وصفح وحلم- الإساءة -حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف
كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]- الله أعلم بما يصفونه به من شرك
واتخاذ أولاد، وبما يصفونك به من كذب وجنون. **٩٦**
وادع -وكل فرد من أمتك- ربك: استعذ به من وسوسات الشياطين. **٩٧**
واستعذ بربك سبحانه أن يحضروك: في شؤونك، أو أن يكونوا معك في الحياة أو عند الاحتضار. **٩٨**
حتى إذا جاء أحدهم الموت -وعاين ما ينتظره- دعا ربه -مرارا- أن يرجعه سبحانه: إلى الدنيا. **٩٩**
رجاء أن يعمل صالحا -فيتوب ويؤمن- فيما ترك -وأضاع- كلا -لن يرده!- إنها كلمة هو -سبحانه-
قائلها: ﴿ ولن يؤخِّر الله نفسا إذا جاء أجلها ﴾ [المنافقون ١١]، وليس الأمر كما يزعم! إنها -مجرد-
كلمة هو قائلها -فلو رده الله إلى الدنيا لن يفي بها كما قال تعالى ﴿ ولو رُدوا لعادوا لِما نُهوا عنه ﴾
[الأنعام ٢٨]- ومن وراء الناس حاجز حائل -بين الموت والبعث- إلى يوم يبعثون: يوم القيامة. **١٠٠**
فإذا نفخ في الصور كما قال تعالى ﴿ ونُفخ في الصور فصَعِق من في السماوات ومن في الأرض إلا
من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ﴾ [الزُّمَر ٦٨] فلا أنساب بينهم -يتفاخرون بها-
يومئذ -لانشغالهم بأهوال القيامة- ولا يسأل بعضهم بعضا: لا عن نسب ولا عن غير ذلك. **١٠١**
فمن رجحت كفة حسناته فهؤلاء هم الفائزون الباقون في النعيم الدائم، الناجون من المهالك. **١٠٢**
ومن خفت حسناته -فرجحت كفة سيئاته- فهؤلاء الذين خسروا أنفسهم -فأوردوها المهالك وفاتهم
النعيم الدائم- في جهنم -يعذبون- خالدون. **١٠٣**
تضرب وجوههم النار تحرقها، وهم فيها كالحون: قد تقلصت شفاههم عن أسنانهم من العبوس. **١٠٤**

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾
قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾
رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾
قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ
عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي
وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ
أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ
سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾
قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾
فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾
وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ
فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾
وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

ألم تكن آيات الله -المنزلة في قرآنه- تقرأ عليكم -في الدنيا، يسألهم ربهم- فكنتم بها تكذبون؟ **١٠٥**

أجابوا ربهم معترفين أن غلبت عليهم شهواتهم التي قادتهم إلى ما سبق في علمه من شقائهم، وكانوا قوما -عن الحق وطريقه- ضالين. **١٠٦**

أردفوا داعين ربهم أن يخرجهم من النار، فإن عادوا -إلى ما كانوا عليه من قبل في حياتهم الدنيا من عصيان- فإنهم ظالمون لأنفسهم بتعريضها لسخط الله قد استحقوا العذاب. **١٠٧**

أمرهم -ساخطا عليهم- أن يبعدوا ويسكنوا في النار أذلاء صاغرين، ولا يكلموه سبحانه. **١٠٨**

إنه كان فريق من عباد الله يدعون -متوسلين بإيمانهم- ربنا آمنا، فاغفر لنا وارحمنا -مثنين عليه- وأنت خير وأفضل من يرحم. **١٠٩**

فاتخذتموهم -أيها الكفار- محل سخرية، حتى أنساكم الانشغال بالسخرية منهم ذكره سبحانه، وكنتم منهم -في الدنيا- تضحكون. **١١٠**

فائدة! الكفار أهل سفاهة، وهم مهانون عند رب العالمين، فلا ترفعوا من وضع الله.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ أهانَ ... سَفيهًا ساخرًا مِنَّا يَفورُ؟

إن الله جزاهم اليوم بسبب صبرهم على طاعته وأقداره -ومن جملتها إيذاء الكفار بالتكذيب والسخرية- أنهم -لا من آذاهم!- هم الفائزون بالنعيم الناجون من العذاب. **١١١**

سأل -سبحانه- كم مكثتم -أيها الكفار- في الأرض -في الدنيا وفي القبور- عدد سنين؟ **١١٢**

أجابوا بأن مكثوا يوما أو جزءا من يوم -إذ نسوا من هول ما هم فيه جميع ما سبق، فاستدركوا مخبريه- فليسأل -الحفظة من الملائكة- المهتمين بالعدد والحساب. **١١٣**

أخبرهم أن ما مكثوا -في الدنيا- إلا قليلا -لم تكن طاعته سبحانه خلال تلك الفترة الوجيزة شاقة- لو أنهم كانوا يعلمون: مآل كفرهم، ألم تكن طاعة الله لفترة وجيزة أفضل من الخلود في العذاب؟ **١١٤**

أفحسبتم -أيها الناس- أنما خلقكم الله عبثا -لعبا منه، حاشاه سبحانه، فيهملكم كالبهائم بلا ثواب ولا عقاب؟- وأنكم إليه سبحانه وحده لا ترجعون في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء؟ **١١٥**

فتباعد وارتفع -عما يصفه الكفار به- الله الملك الحق -مالك كل شيء، بيده الثواب والعقاب، لا يتحقق ملكا كاملا إلا له- لا معبود بحق سواه، رب العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- الكريم: فكيف لا يكون هو رب وإله ما دون العرش من مخلوقات؟ **١١٦**

ومن يدع أو يعبد مع الله إلها آخر -قبرا كان أو غيره من الطواغيت، فالدعاء عبادة!- لا برهان له بجواز فعله هذا فإنما حسابه عند ربه -ولن يغفر له أبدا كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]- إنه لا نجاة ولا فوز للكافرين. **١١٧**

وادعُ أيها النبي الكريم -وكل فرد من أمتك- ربك طالبا المغفرة والرحمة -مثنيا عليه- وهو خير وأفضل من يرحم. **١١٨**

★ سورة النور ★

★ مدنية ★

سورة -هذه- أنزلها الله، وفرضها سبحانه -فأوجب العمل بما فيها، بلا أي جدال- وأنزل الله فيها آيات بينات وأدلة جلية -واضحة الدلالة- رجاء أن تذكروا: أيها المؤمنون ما فيها، فتتعظوا به وتعملوا. ١
الزانية والزاني -الحران البالغان العاقلان، إن لم يسبق لهما جماع في زواج- فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة -قبل النفي سنة خارج بلدته، أما من سبق له جماع في زواج منهما فحده الرجم بالحجارة حتى الموت- ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله -فلا تبدلوا حدوده كما فعل اليهود، ولا تمتنعوا عن إقامتها كما يفعل أهل الردة الحاكمون بغير ما أنزل- إن كنتم -حقا، وليس ادعاء!- تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليشهد عذابهما -فيحضر إقامة الحد، ليزدادا بالفضيحة عذابا- رجل فأكثر من المؤمنين. ٢
الزاني -إن لم يتب لا ترضوا به- لا يتزوج إلا زانية أو -مستحلة للزنا- مشركة، والزانية -إن لم تتب- لا يتزوجها إلا زان أو -مستحل للزنا- مشرك، وحرم ذلك -الزواج من زناة أو مشركين- على المؤمنين. ٣
والذين يرمون المحصنات -أهل العفة من المسلمين الأحرار، نساء ورجالا، بفاحشة الزنا- ثم لم يأتوا بأربعة شهود -من رجال المسلمين العدول ليس بينهم امرأة، يشهدون على صدق ادعائهم- فاجلدوهم ثمانين جلدة -أيها الحاكمون بما أنزل الله، والحر لا يجلد للعبد لتباين مرتبتهما، لكن يوم الحساب يكون كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال. ﴾ [البخاري ٦٨٥٨ ★ مسلم ١٦٦٠ ★ أبو داود ٥١٦٥ ★ الترمذي ١٩٤٧ ★ أحمد ٩٥٦٧]- ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا، وهؤلاء هم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله. ٤
إلا الذين تابوا من بعد ذلك -القذف- وأصلحوا ظاهرهم وباطنهم وما فسد من أحوالهم -فشهادتهم تقبل بعد توبتهم وإقامة حد القذف عليهم- فإن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. ٥
والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم، فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه -فيما يدعي- لمن الصادقين: فرض عليه، يقول "أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميتها به من زنا". ٦
والخامسة يدعو على نفسه بالطرد من رحمة الله إن كان -فيما يدعي- من الكاذبين: يقول "لعنة الله علي إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من زنا"، فإن أتم الشهادات سقط عنه حد القذف. ٧
ويدفع عنها العذاب -فحد الحرة الرجم بالحجارة حتى الموت، وإن كانت أمة مملوكة، بالطبع لغيره، فحدها خمسون جلدة- أن تشهد أربع شهادات بالله إنه -فيما رماها به من زنا- لمن الكاذبين. ٨
والخامسة تدعو أن غضب الله عليها إن كان -فيما رماها به من زنا- من الصادقين: فبإتمام الشهادات الخمس يسقط عنها حد الزنا، ويفرق بينهما إلى الأبد، وينسب إليها الولد الملاعن عليه إن وجد. ٩
ولولا فضل الله عليكم بتشريع هذه الأحكام، ورحمته بكم ببيان بشاعة الزنا والقذف وبقبول التوبة، وأن الله كثير التوبة على عباده، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه: لأخذ العصاة منكم بعذاب عظيم. ١٠

سُورَةُ النُّورِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾
ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا
رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا
طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ
لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ
جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا
ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ
يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ
شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ
إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ
بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ
هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ
كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢ لَّوۡلَا
جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤
إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ
وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ
قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ
عَظِيمٞ ١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم
مُّؤۡمِنِينَ ١٧ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ وَلَوۡلَا
فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٢٠

إن الذين جاءوا بالإفك -كذب بشع، إذ رموا أم المؤمنين عائشة وصفوان بن المعطل ﵄ بفاحشة الزنا- جماعة ذات عدد منكم -تنتسب إلى المؤمنين، منهم المنافق ومنهم من اغتر بترويج المنافقين- لا تظنوه شرا لكم، بل هو خير لكم وأفضل -ثواب لمن أصابه ضرر، وبسبب ما أشيع صار شرعا عاما يستفاد منه- لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم -إذ أقيم الحد على ثلاثة ممن شاركوا فيه- والذي تولى معظمه منهم -عبد الله بن أبي بن سلول، بدأه وأثاره- له -في الآخرة، موفر- عذاب عظيم. ١١

فائدة! المنافقون -ومن جملتهم الكثير من العاملين بالصحافة والإعلام- يروجون الأباطيل ويستهدفون من يثق بهم المسلمون لهدم مجتمعاتنا، فعلينا التثبت مما يبث، وألا نتابع من عرف عنه الكذب.

أباطيلُ المُنافِقِ لنْ تُكَفَّ ... بَغى مُستَهدِفًا، فاحذَرْ حُضورُ

فائدة! المنافقون قد يستدرجون بعض المؤمنين ليشاركوهم في ترويج الفساد، فاحذروهم عباد الله.

بَغى مُستَدرِجًا أهلَ الصلاحِ ... نِفاقٌ أهلُهُ بِئسَ العَشيرُ

هلا حين سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم -فمن تم رميهم بفاحشة الزنا من أهل دينهم- خيرا، وأكدوا أن هذا كذب بشع واضح؟ ١٢

هلا جاءوا عليه بأربعة شهود: من رجال المسلمين العدول ليس بينهم امرأة، يشهدون على صدق ما يرمون به أهل الإيمان؟ فحيث لم يأتوا بالشهود فهؤلاء عند الله هم بالغو الكذب. ١٣

ولولا فضل الله عليكم بتشريع هذه الأحكام، ورحمته بكم إذ شرع لكم التوبة في الدنيا، والآخرة جعل فيها الحد كفارة للذنوب لنالكم على ما اندفعتم فيه -من كذب بشع، في الآخرة- عذاب عظيم. ١٤

إذ تلقونه بألسنتكم -فيرويه المتلقي عمن تلقاه منه، فينتشر الكذب البشع- وتتفوهون بما ليس لكم به علم، وتظنون تناوله وتناقله -أمرا- هينا -لا شيء على فاعله!- وهو عند الله -جرم- عظيم. ١٥

وهلا حين سمعتموه أكدتم -مكذبين- أن ما يصح لكم أن تتكلموا بهذا، تنزهت وتقدست -يا الله!- هذا كذب مفرط عظيم: فليحذر قاذفو أم المؤمنين عائشة ﵂، فقذفها تكذيب للقرآن، أي كفر. ١٦

يأمركم الله محذرا أن تعودوا لمثل ما فعلتم أبدا، إن كنتم غير كاذبين في ادعاء الإيمان بأحكامه. ١٧

ويبين الله لكم الأحكام أتم تبيين -ولولا أن الله بينها لنا لهلكنا، ولادعى كثير منا أنه ناقل لما سمع لم يأت بشيء من عنده- والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ١٨

إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة -زنا كما قال تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ﴾ [الإسراء ٣٢] وخوض في الأعراض وسفور وغير ذلك: فكيف بمن ينشرها متعمدا بل ويزعمها فنا؟!- في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا -فتقام عليهم الحدود، ويعزرون، ولا يخفف الله عنهم الابتلاء- والآخرة -في النار إن لم يتوبوا- والله يعلم -كل أمر- وأنتم لا تعلمون ما فيه صالحكم كما يعلمه الله. ١٩

ولولا فضل الله عليكم بتشريع هذه الأحكام، ورحمته بكم ببيان بشاعة إشاعة الفواحش وبقبول التوبة، وأن الله شديد الرأفة، عظيم الرحمة بالمؤمنين: لأخذ العصاة منكم بعذاب عظيم. ٢٠

يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا طرق ومسالك الشيطان -التي يزينها لكم ويستدرجكم بها- ومن يتبع طرق
ومسالك الشيطان -فقد ضل الطريق- فإن الشيطان يأمر بما هو مستفحش من الذنوب -كالزنا كما
قال تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ﴾ [الإسراء ٣٢] وغيره- والمنكرات -مما أنكره الشرع
ونهى عنه كالظلم، وأعظم الظلم الشرك كما قال تعالى ﴿ إنَّ الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان ١٣]-
ولولا فضل الله عليكم بتشريع ما ينفعكم في دنياكم وأخراكم، ورحمته بكم إذ شرع لكم التوبة وجعل
الحد كفارة للذنوب ما نزه منكم من الإثم من أحد أبدا، ولكن الله ينزه من الإثم من يشاء ويجعله
نافعا للناس، والله سميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. **٢١**
ولا يأتل أهل الفضل -في الدين- منكم والسعة -في المال، بأن يحلفوا أو يقصروا- أن يعطوا الأقرباء
والمساكين والمهاجرين في سبيل الله نصرة لدينه، وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ كما
جاء على لسان أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق ﵁ وكان
ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد ما قال لعائشة، فأنزل
الله تعالى: ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسَّعة أن يؤتوا ﴾ إلى قوله ﴿ غفور رحيم ﴾ فقال أبو بكر:
بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه ﴾ [البخاري ٢٦٦١ *
مسلم ٢٧٧٠ * الترمذي ٣١٨٠ * أحمد ٢٤٣١٧]، والله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بكم. **٢٢**
فائدة! العفو والصفح عن المسلمين المسيئين -إن تابوا وكفوا أذاهم- من أسباب مغفرة الذنوب.
ونَعفو عَنْ مُّسِيءٍ مؤمنٍ إنْ ... أذًى كَفَّ افعَلوا، يَعفُ الغفورُ
إن الذين يرمون المحصنات -أهل العفة من المسلمين الأحرار، نساء ورجالا، بفاحشة الزنا- الغافلات
-عن الزنا: لم يخطر ببالهن- المؤمنات طردوا من الرحمة في الدنيا -إذ أبعدهم المؤمنون بجلدهم ورد
شهادتهم وتفسيقهم وهجرهم- والآخرة -لا يرحمهم الله- ولهم -إن ماتوا بغير توبة- عذاب عظيم. **٢٣**
يوم -القيامة- تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا -في الدنيا، من ذنوب- يعملون. **٢٤**
يومئذ يعطيهم الله بالحق الثابت الذي لا شك في ثبوته جزاءهم الواجب وافيا بالعدل، ويعلمون أن الله
هو الحق الواضح: لا لبس فيه، فلا إله سواه، ودينه ووعده ووعيده وما يخبر به هو الحق. **٢٥**
الخبيثات -أشخاصا وأقوالا وأعمالا- يناسبن الخبيثين، وكذلك الخبيثون، والطيبات -أشخاصا وأقوالا
وأعمالا- يناسبن الطيبين، وكذلك الطيبون، هؤلاء -الطيبون، ومن جملتهم أم المؤمنين عائشة وصفوان
بن المعطل ﵄- مبرءون مما يتفوه به الخبيثون -وعنه منزهون- لهم مغفرة، ورزق كريم: الجنة. **٢٦**
يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا ليبصروا وتسلموا على أهلها، ذلك -السلام
والإذن كما ورد عن النبي ﷺ من حديث كلدة بن حنبل ﵁ ﴿ فدخلت عليه ولم أسلم ولم أستأذن
فقال النبي ﷺ: ارجع فقل: السلام عليكم، أدخل؟ ﴾ [أبو داود ٥١٧٦ * الترمذي ٢٧١٠ * أحمد
١٥٤٢٥]- خير لكم -من الدخول فجأة- وأفضل، رجاء أن تذكروا: ذلك، فتتعظوا به وتعملوا. **٢٧**

* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ
وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ
فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾
وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ
بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ
ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ
إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم، وإن جرى إخباركم أن ارجعوا -أو استأذنتم ثلاثا فلم يؤذن لكم، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري ﵁ ﴿ إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع ﴾ [البخاري ٦٢٤٥ * مسلم ٢١٥٣ * أبو داود ٥١٨٠ * الترمذي ٢٦٩٠ * ابن ماجة ٣٧٠٦ * أحمد ١٩٥١٠]- فارجعوا، هو أنزه لكم من الدناءة وأنفع من البقاء على الأبواب والإلحاح، والله بما تعملون عليم لا يخفى عليه شيء من نياتكم وأعمالكم، وسيجازيكم بها: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث سهل بن سعد الساعدي ﵄ ﴿ إنما جعل الاستئذان من أجل البصر ﴾ [البخاري ٦٢٤١ * مسلم ٢١٥٦ * الترمذي ٢٧٠٩ * النسائي ٤٨٥٩ * أحمد ٢٢٨٠٢]. **٢٨**

ليس عليكم لوم ولا إثم أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة -كالفنادق ومناطق الخدمات العامة ونحو ذلك، دون استئذان- فيها أمتعة أو منفعة لكم، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون، وسيجازيكم به. **٢٩**

مر أيها النبي الكريم المؤمنين يكفوا من أبصارهم -عن النظر إلى ما ليس يحل لهم- ويحفظوا فروجهم -عن الزنا واللواط وأنظار الناس وملامسة أبدانهم- ذلك -الكف والحفظ- أنزه لهم وأنفع، إن الله خبير بما يصنعون، ما يظهرون منه وما يبطنون، يحصيه عليهم ليجازيهم به يوم القيامة. **٣٠**

ومر المؤمنات يكففن من أبصارهن -عن النظر إلى ما ليس يحل لهن- ويحفظن فروجهن -عن الزنا والسحاق وأنظار الناس وملامسة أبدانهم- ولا يبدين زينتهن -كالحلي والكحل ونحوهما- إلا ما ظهر منها -من ثياب لا تفتن- وليضربن بخمرهن -أغطية رؤوسهن- على فتحات أعلى ثيابهن -فيسترن مع سائر البدن الشعور والأعناق والآذان والنحور- ولا يبدين زينتهن إلا لأزواجهن -أو مالكيهن: للإماء بلا أزواج- أو آبائهن وأجدادهن -وأعمامهن، وأخوالهن- أو آباء أزواجهن وأجدادهم أو أبنائهن وأحفادهن أو أبناء أزواجهن وأحفادهم أو إخوانهن -من نسب أو من رضاعة- أو بني إخوانهن وأحفادهم أو بني أخواتهن وأحفادهن أو نسائهن -الحرائر المسلمات- أو ما ملكن من إماء -مسلمات وكافرات- أو التابعين غير ذوي الحاجة في النساء من الرجال -كالعنين والمخنث والخصي والمعتوه والشيخ الكبير، يتبعونهن ليصيبوا من الطعام- أو الأطفال الذين لم يطلعوا على عورات النساء -لم يميزوا بعد ولا أدركوا الشهوة- ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن -كالخلاخيل، ولا يتعطرن كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري ﵁ ﴿ أيما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية. ﴾ [أبو داود ٤١٧٣ * الترمذي ٢٧٨٦ * النسائي ٥١٢٦ * أحمد ١٩٧١١]- وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون -من إتيان ما حرم الله، ولا تحتالوا!- رجاء أن تفلحوا فيكون مصيركم الجنة. **٣١**

فائدة! تجديد خطاب الدين في حسن مخاطبة الناس به -مع اعتبار التفاوت في أحوالهم وأفهامهم- لا في التشكيك في معلومه، فإنه لا يجوز النظر إلى عورات النساء -ولا الرجال- ولا إلى من لا تلتزم بحجاب شرعي، لا مباشرة ولا عبر وسيلة تنقل الصور كالتلفاز وشبكة المعلومات والمطبوعات وغيرهم.

تَبًّ وسيلةٌ ما لا يَحِلُّ ... عليكم لعنةٌ! غَضَّ الحَصورُ

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن
يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟
فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ
لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾

وزوجوا -يا أولياء النكاح- من لا زوج لها -بكرا كانت أو ثيبا- من المسلمات الحرائر -كذلك الأحرار زوجهم- والصالحين من عبيدكم وإمائكم -من ليس له زوج منهم، ولا تزوجوا أهل الشرك أو الزنا- إن يكن غير المتزوجين فقراء يغنهم الله من فضله -إن شاء، فالإيمان لا يقتضي أن يغني الله عباده في الدنيا وليس دليلا على حبه لهم- والله واسع الفضل، عليم بالسرائر والنيات وبمن هم أولى بفضله. **٣٢**
وليطلب العفة -كافين أنفسهم عن فعل المحرمات- الذين لا يجدون ما يتزوجون به، حتى يغنيهم الله من فضله، والذين يلتمسون المكاتبة -أيها المالكون- مما ملكتم من عبيد وإماء -على بذل مال لكم ليتحرروا- فكاتبوهم، إن علمتم فيهم خيرا -صلاح دينهم، وبذل الجهد واستفراغ الوسع لأداء ما كاتبوا عليه، ليسوا أهل تسول، فسيعينهم الله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف. ﴾ [الترمذي ١٦٥٥ * النسائي ٣١٢٠ * ابن ماجة ٢٥١٨ * أحمد ٧٤١٦]- وأعطوهم من مال الله الذي أعطاكم -فلا تبخلوا عليهم بشيء من المال أو حطوا عنهم جزءا مما كاتبوا عليه، وأعطوهم أيها الولاة من مال الصدقة سهما- ولا تكرهوا -أيها المالكون- إماءكم على الزنا إن أردن تعففا -أو لم يردن: لا تسألوا ذلك أبدا- لتطلبوا -بأخذ أجرة ممن يزني بهن- ما يعرض من منافع الحياة الدنيا، ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بهن، وبمن أكرههن إن تاب. **٣٣**
فائدة! الصوم يهدئ الرغبة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود ﵁ ﴿ من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يجد فعليه بالصوم فإنه له وِجاء. ﴾ [البخاري ١٩٠٥ * مسلم ١٤٠٠ * أبو داود ٢٠٤٦ * الترمذي ١٠٨١ * النسائي ٢٢٤١ * ابن ماجة ١٨٤٥ * أحمد ٣٥٩٢].

تَزَوَّجْ ما استَطعتَ أخي وإلَّا ... فَصُمْ مُتَطَوِّعًا قالَ البشيرُ

ولقد أنزل الله إليكم -أيها المؤمنون- آيات واضحات دلالاتهن للحق موضحات، ومثلا -محاكيا لما أنزل- من -أخبار- الذين مضوا من قبلكم -فاتهام أم المؤمنين عائشة ﵂ مماثل لاتهام يوسف ﵇، ومريم ﵍- وموعظة للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه منكم وممن يأتي بعدكم. **٣٤**
الله نور السماوات والأرض -ينيرهما، وينير قلوب من يشاء ممن فيهما- مثل نوره -في القلب المؤمن- كتجويف غير نافذ في الجدار فيه مصباح، المصباح في قنديل زجاجي، القنديل الزجاجي -صاف- كأنه كوكب دري -لامع متلألئ، من الدر- يوقد -المصباح- من -زيت- شجرة كثيرة النفع والخير: زيتونة لا يسترها عن الشمس شيء في حال شروقها ولا في حال غروبها، يكاد زيتها -لصفائه- يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور -فاجتمع ضوء نار المصباح مع نور الزيت واشتد، فهو كفطرة المؤمن الصافية حين ينير الله قلبه بنور الهداية- يهدي الله لنوره من يشاء -فيوفقه للإيمان وإلى الحق يرشده- ويضرب الله الأمثال -مبينا- للناس، والله بكل شيء عليم، فالخالق أعلم بما خلق. **٣٥**
في بيوت أذن الله أن ترفع -بناء وقدرا- ويذكر فيها اسمه، ينزهه ويقدسه فيها أول النهار وآخره. **٣٦**

رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ
وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾
لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ
يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ
بِقِيعَةٍ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا
وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوۡ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحۡرٍ لُّجِّيٍّ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٌ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٌ مِّن فَوۡقِهِۦ
سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ
يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ
قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي
سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ
خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾

رجال -هم أهل المساجد- لا تلهيهم تجارة -بضائع- ولا بيع -بضائعهم- عن ذكر الله وتأدية الصلاة وإظهار هيئتها وإدامتها بشروطها وإخراج الزكاة الواجبة في أموالهم، يخافون يوما -قيامتهم- تتقلب فيه القلوب -بين الطمع في النجاة والخوف من العذاب- والأبصار: تنظر مترقبة، أين تؤخذ؟ **٣٧**

فائدة! وصى الله برفع بناء وقدر المساجد ومدح روادها، ولكن لا يجوز لهم زخرفتها -ومن جملة ذلك كتابة آيات من القرآن على جدرانها- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس ﵄ ﴿ ما أمرت بتشييد المساجد، قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى. ﴾ [أبو داود ٤٤٨].

مَساجِدُ زَخرَفوها ثُمَّ هَجرٌ ... أَنرفَعُها كما أذِنَ الخبيرُ؟

ليجزيهم الله أحسن ما عملوا -كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ [النمل ٨٩ ۞ القَصص ٨٤]- ويزيدهم بفضله وإحسانه من الثواب، ويرفع في الجنة مراتبهم إلى ما ليس تصل إليه أعمالهم، والله يعطي من يشاء كما يشاء بغير عد ولا حساب. **٣٨**

والذين كفروا -وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ضلوا، وقد يضلون غيرهم- أعمالهم -الصالح منها، كالصدقة ونحوها- كسراب بقاع منخفض من الأرض، يظنه العطشان ماء، حتى إذا جاءه -الموت، وبعث واحتاج ثواب عمله- لم يجده شيئا -لا ثواب، فكفره قد أحبط عمله، بل ويزداد من أضل غيره إثما بسبب إضلالهم- ووجد الله عنده، فأعطاه حسابه وافيا، والله سريع الحساب أحصى عمله. **٣٩**

أو -الذين كفروا شاكين: أعلى حق هم أم على باطل؟ في العادة يتبعون غيرهم، أعمالهم- كظلمات في بحر عميق يغمره موج، من فوقه موج يغطيه، من فوق هذا الموج المتراكم سحاب -يحجب القمر والنجوم- ظلمات بعضها فوق بعض -بحر عميق مضطرب، في ليل قد حجب سحابه ضوء سمائه- إذا أخرج -من ابتلي بهذه الظلمات- يده لم يرها ولم يقارب رؤيتها -كذلك هؤلاء الكفار، تراكمت على قلوبهم ظلمات الكفر والجهل والشك، فاضطربت أحوالهم وأعمالهم- ومن لم يجعل الله له نورا -عملا صالحا، تصديقا لإيمانه بالله- فما له من نور: يرشده إلى الحق وطريقه، فلا نجاة له إذًا. **٤٠**

ألم ينته علمك -أيها الإنسان- أن الله ينزهه ويقدسه من في السماوات والأرض والطير -بين السماوات والأرض- باسطات أجنحتها كذلك تنزهه وتقدسه؟ كل -مخلوق- قد علم -طريقة- صلاته -ودعائه- وتنزيه وتقديسه -لكن لا يفقه الناس كيفية عبادتهم كما قال تعالى ﴿ وإن من شيء إلا يُسَبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [الإسراء ٤٤]- والله عليم بما يفعلون ليس يخفى عليه شيء. **٤١**

ولله ملك السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وإلى الله المرجع في الآخرة. **٤٢**

ألم ينته علمك أن الله يسوق برفق سحابا، ثم يؤلف بينه -فيضم أجزاءه إلى بعض- ثم يجعله متراكما بعضه فوق بعض، فترى المطر يخرج من بينه، وينزل من -جهة- السماء من جبال فيها من برد -قطع من ماء متجمد: بعض ما في السحاب كبير حجمه- فيصيب به من يشاء -من عباده، في نفسه أو في ماله أو فيهما جميعا- ويصرفه عمن يشاء، يكاد ضوء برقه -شديد السطوع- يذهب بالأبصار. **٤٣**

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن
يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ
وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ
يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا
كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن
يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾
۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل
لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾

يعاقب الله بين الليل والنهار -مبدلا أحوالهما طولا وقصرا، وحرا وبردا ونحو ذلك، كذلك يبدل أحوال عباده، فيرفع أقواما ويخفض آخرين- إن في ذلك لعبرة وعظة لأهل البصائر النافذة. ٤٤

والله خلق كل كائن يدب من ماء -فهو داخل في تكوين الخلايا، وهو ضروري للحياة كما قال تعالى ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ [الأنبياء ٣٠]- فمنهم من يمشي على بطنه -زاحفا-، كالثعابين والديدان والزواحف الأخرى- ومنهم من يمشي على رجلين -كالإنسان، وكثير من الطيور- ومنهم من يمشي على أربع -كالأنعام من إبل وبقر وغنم، وحيوانات أخرى- يخلق الله ما يشاء -كيفما شاء- إن الله قدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك خلق ما يشاء. ٤٥

لقد أنزل الله آيات واضحات دلالاتهن للحق موضحات، والله يوفق ويرشد من يشاء إلى طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إليه وجنته. ٤٦

ويزعم المنافقون أن آمنوا بالله وبالرسول وأطاعوا -أوامرهما- ثم يعرض فريق منهم متنح عن طاعتهما من بعد ذلك -الادعاء الكاذب- وما هؤلاء بالمؤمنين: فليس هذا بدأب ولا صنيع المؤمنين. ٤٧

وإذا جرى دعوتهم إلى الله ورسوله ليحكم بينهم -بالكتاب والسنة- إذا فريق منهم -فجأة، عن التحاكم إلى شرع الله الذي أنزله في كتابه وسنة رسوله- معرضون منصرفون. ٤٨

وإن يكن لهم الحق -علموا أن الشرع سيحكم لهم- يأتوا إليه مطيعين منقادين: إذ وافق أهواءهم. ٤٩

أفي قلوبهم شك وشبهة: سبب انصرافا عن التحاكم إلى شرع الله؟ أم ارتابوا: في أمر نبوته ﷺ وعدل حكمه وتطبيقه لشرع الله؟! أم يخافون أن يجور الله عليهم ورسوله؟! بل هؤلاء هم الظالمون لأنفسهم بتعريضها لسخط الله -إذ ليسوا من أهل اليقين كما قال تعالى ﴿ أفحُكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حُكما لقوم يوقنون. ﴾ [المائدة ٥٠]- ولغيرهم بعدم قبول شرع الله حكما في فض النزاع. ٥٠

إنما كان رد المؤمنين إذا جرى دعوتهم إلى الله ورسوله ليحكم بينهم -بالكتاب والسنة- أن يسرعوا فور سماعهم بها إلى طاعة الأمر، وهؤلاء هم الفائزون الباقون في النعيم الدائم، الناجون من المهالك. ٥١

فائدة! لا يجوز التخلف عن إجابة دعوة المحاكم ومجالس القضاء التي تحكم بما أنزل الله، إلا إن عرف عن القاضي الجهل بالأحكام أو عدم العدل في حكمه، أما المحاكم والمجالس الطاغوتية التي لا تحكم بشرع الله فيجب احتقارها وهجرها وعدم إجابة دعوتها إلا حال إكراه معتبر شرعا.

لِشَرعِ اللهِ قُلْ: سَمعًا، نُّطيعُ ... وللطاغوتِ قُلْ: أنتُم حَميرُ

ومن يطع الله ورسوله -في الظاهر والباطن- ويخش الله ويتقه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فهؤلاء -لا من عداهم- هم الفائزون بالنعيم الناجون من العذاب. ٥٢

وأقسموا بالله أغلظ الأيمان لئن أمرتهم أيها النبي الكريم -بالخروج جهادا نصرة لدين الله- ليخرجن، أخبرهم ألا يقسموا، طاعة -منكم، أيها المنافقون- معروفة -فأنتم كاذبون فيما تزعمون- إن الله خبير بجميع أعمالكم، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. ٥٣

قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ
إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ
لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ
بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ
تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ
ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ
ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ
وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾

أخبر الناس أن يطيعوا الله ويطيعوا الرسول -في الظاهر والباطن- فإن تعرضوا متنحين عنهما فإنما عليه -ﷺ- ما حمل -من تكاليف: تبليغ الرسالة- وعليكم ما حملتم -طاعته- وإن تطيعوه -فيما يأمر به وينهى عنه فإلى الحق- توفقوا وترشدوا، وما على الرسول إلا البلاغ الواضح: ليس هداية أحد. **٥٤**

وعد الله الذين آمنوا منكم -يا أمة محمد ﷺ، من أسلم ثم دخل الإيمان في قلبه- وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم -من المؤمنين، عمارا وسكانا لها يقيمون شرعه فيها- وليجعلن لهم دينهم الذي ارتضى لهم -الإسلام كما قال تعالى ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة ٣]- ذا مكانة -ثابتا ظاهرا على جميع ملل الكفر، يقيمونه في أنفسهم، وفي غيرهم فيجاهدوا أعداءه- وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا -فيظهروا دينهم لا يخافون مخلوقا- يعبدونه سبحانه -وحده دون سواه، مخلصين لا يراءون بأعمالهم- لا يشركون بالله شيئا، ومن كفر -بهذه النعم لم يشكرها- بعد ذلك -الوعد بالاستخلاف والتمكين والأمن- فهؤلاء هم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله. **٥٥**

وأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأديموها بشروطها، وأخرجوا الزكاة الواجبة في أموالكم، وأطيعوا الرسول -في الظاهر والباطن، فطاعته ﷺ طاعة لله- رجاء أن تدركوا رحمة ربكم فتفوزوا. **٥٦**

لا تظنن أيها النبي الكريم -وأمتك من ورائك- الذين كفروا فارين من الله في الأرض -بل يدركهم قدره وإن شاء عذبهم- ومستقرهم النار، ولبئس المصير. **٥٧**

يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم -في الدخول عليكم- الذين ملكتم من عبيد وإماء، والذين لم يبلغوا سن الاحتلام -الأطفال، ذكورا وإناثا- من المسلمين الأحرار في ثلاثة أوقات: من قبل صلاة الفجر -وقت طرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة- وحين تخلعون ثيابكم من الظهيرة -للقيلولة أو من الحر- ومن بعد صلاة العشاء -وقت طرح ثياب اليقظة ولبس ثياب النوم، أو التجرد من الثياب والخلوة بالزوج- ثلاث عورات لكم -تلك الأوقات- ليس عليكم ولا عليهم لوم ولا إثم -في دخولهم عليكم دون استئذان- في غيرهن، كثيرو التردد -هم- عليكم -تترددون- بعضكم على بعض، مثل ذلك البيان الجلي يبين الله لكم الأحكام أتم تبيين، والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٥٨**

فائدة! لا يجوز تعمد النظر إلى الجنس الآخر إلا لحاجة أو ضرورة، ولا يجوز التأمل -ولو بدون شهوة- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه ﴿ سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة، فقال: اصرف بصرك. ﴾ [مسلم ٢١٥٩ ★ أبو داود ٢١٤٨ ★ الترمذي ٢٧٧٦ ★ أحمد ١٩١٦٠].

لكَ الأُولى وغُضَّ عَنِ النِّساءِ ... ولا تَعمَدْ لِتَنظُرَ يا غَيورُ

فائدة! لا تخرج المرأة من بيتها إلا وفق الشرع: وقاية من الفتنة، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان. ﴾ [الترمذي ١١٧٣].

أطَلَّت فِتنَةٌ بخروجِهِنَّ ... هلِ استَتَرَت كما أمَرَ البصيرُ؟

وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا
ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ
ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٩ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ
ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۢ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ
لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٦٠ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا
عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ
أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ
أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ
أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ
أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم
مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن
تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٦١

وإذا بلغ الأطفال -ذكورا وإناثا- من المسلمين الأحرار سن الاحتلام فليستأذنوا -في الدخول عليكم- كما استأذن الذين من قبلهم -من الكبار الأحرار، في جميع الأوقات- مثل ذلك البيان الجلي يبين الله لكم أحكامه أتم تبيين، والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٥٩**

والقواعد -عن الحيض والحمل لكبر: العجائز- من النساء اللاتي لا يتوقعن زواجا -فلا يطمعن فيه ولا يرغبن- فليس عليهن لوم ولا إثم أن يخلعن -بعض- ثيابهن -الظاهرة، كترك العباءات التي تلبس فوق الثياب ونحو ذلك- غير متبرجات بزينة -متكشفات للعيون مظهرات لكحل أو حلي أو غير ذلك، ولو كان عطرا، فلا يجذبن أنظار الرجال- وأن يستعففن -إمعانا في تعففهن، فلا يخلعن من ثيابهن شيئا- خير لهن وأفضل، والله سميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. **٦٠**

ليس على الأعمى مشقة ولا ضيق ولا على الأعرج مشقة ولا ضيق ولا على المريض مشقة ولا ضيق -إن تركوا ما لا يمكنهم القيام به، كالجهاد بالنفس، فالأمر كما قال تعالى ﴿ لا يُكلِّف الله نفسا إلا وسعها ﴾ [البقرة **٢٨٦**]- ولا على أنفسكم -أيها المسلمون، ليس عليكم مشقة ولا ضيق- أن تأكلوا من بيوتكم -ومن جملتها بيوت ذرياتكم، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ إن من أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه. ﴾ [أبو داود **٣٥٢٨** ★ الترمذي **١٣٥٨** ★ النسائي **٤٤٤٩** ★ ابن ماجة **٢١٣٧** ★ أحمد **٢٤٠٣٢**]- أو بيوت آبائكم وأجدادكم أو بيوت أمهاتكم وجداتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما أحرزتم مفاتيحه -كالذي وكلتم بحفظه- أو -بيوت- أصدقائكم، ليس عليكم لوم ولا إثم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين -أو منفردين- فإذا دخلتم بيوتا فألقوا السلام على المسلمين -ولو كان ليس بها بشر افعلوا- تحية من عند الله -اختصكم بها سبحانه، فلا تبدأوا بها كافرا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام ﴾ [مسلم **٢١٦٧** ★ أبو داود **٥٢٠٥** ★ الترمذي **١٦٠٢** ★ أحمد **٧٦١٧**]- كثيرة النفع والخير، طيبة -تنشر الألفة، فتتحابوا، فتثابوا ويكون مصيركم الجنة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم. ﴾ [مسلم **٥٤** ★ أبو داود **٥١٩٣** ★ الترمذي **٢٦٨٨** ★ ابن ماجة **٦٨** ★ أحمد **٩٠٨٤**]- مثل ذلك البيان الجلي يبين الله لكم الأحكام أتم تبيين، رجاء أن تعقلوا وتعملوا بها فتفوزوا. **٦١**

فائدة! يزول الإذن بزوال العذر، ومن تخلف عن الجهاد -لعذر معتبر شرعا، أو لغير عذر- فلا أقل من أن ينفق كما ورد عن النبي ﷺ من حديث زيد بن خالد الجهني ﵁ ﴿ من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا. ﴾ [البخاري **٢٨٤٣** ★ مسلم **١٨٩٥** ★ أبو داود **٢٥٠٩** ★ الترمذي **١٦٢٨** ★ النسائي **٣١٨٠** ★ ابن ماجة **٢٧٥٩** ★ أحمد **١٧٠٣٩**] ليدرك جزيل الثواب.

ومَنْ خَلَفَ المُجاهِدَ في الأهالي ... وجَهَّزَ غازِيًا وُعِدَ الأُجورُ

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ
عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ
أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ
لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرْقَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾
ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

إنما المؤمنون -هم- الذين آمنوا بالله ورسوله، وإذا كانوا معه -مجتمعين- على أمر جامع -فيه مصلحة عامة، كالجهاد والمشاورة ونحو ذلك مما يقتضي اجتماعهم- لم يذهبوا حتى يستأذنوه -ﷺ، أيأذن لهم في الانصراف؟- إن الذين يستأذنونك أيها النبي الكريم -والأمراء من بعدك- هؤلاء الذين يؤمنون بالله ورسوله -إيمانا كاملا- فإذا استأذنوك لبعض شؤونهم -ذات الأهمية، لم يستأذنوا إلا لعذر مسوغ- فأذن لمن شئت منهم -وامنع من شئت، كما أراك الله وفق ما تقتضيه المصلحة- واطلب لهم المغفرة من الله -فقد يكون استئذانهم لأمر عرض لهم من متع زائلة فضلوها على ما هو خير لهم في الآخرة- إن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. **٦٢**

لا تنادوا -أيها المؤمنون- الرسول كما ينادي بعضكم بعضا -بل وقروه ﷺ، فلا تنادوه "يا أبا القاسم" ولا "يا محمد"، بل نادوه "يا رسول الله" أو "يا نبي الله"، ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾ [الحُجُرات ٢]- كذلك إذا دعاكم إلى أمر ما لا تجعلوا دعوته كدعوة بعضكم بعضا -إلى أمر قليل الأهمية، بل استجيبوا مسرعين، واحذروا أن يدعو عليكم فتهلكوا فدعوته ليست كدعائكم- قد يعلم الله الذين يتسللون منكم -أيها المنافقون، منصرفين عن مجلسه أو عن الجهاد أو عن خطبة الجمعة- خفية مستترين -خشية أن يراكم- فليحذر الذين يخالفون -مبتعدين- عن أمره أن تصيبهم فتنة -فيغلق الله بعدها قلوبهم- أو يصيبهم -في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما جميعا- عذاب أليم. **٦٣**

فائدة! رسول الله ﷺ ليس كسائر الخلق: مجرد رفع الصوت عند مخاطبته أو عدم توقيره بقدر كاف يحبط العمل، فكيف بمن يساند من ينتقص من قدره، كحكام أرضنا الذين يعينون دولا تتبنى ذلك، أو يقدمون التعازي في الذين اقتص منهم المسلمون لاستهزائهم به ﷺ، أو يتوعدون من يستهدفهم؟

رسولُ اللهِ لا تَدَعوا كَفورًا ... يُسانِدُ مِنهُ مُنتَقِصًا يَسيرُ

ألا إن لله ما في السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، قد يعلم ما أنتم عليه -من أحوال، لا تخفى عليه خافية أيها الخلق- ويوم -القيامة- يرجعون إليه -وحده- فيخبرهم بما عملوا -في الدنيا ويجازيهم به- والله بكل شيء عليم، بالنيات وبالأفعال. **٦٤**

★ سورة الفرقان ★

★ مكية ★

كثر خير ونفع -الله- الذي نزل ما يفرق بين الحق والباطل -القرآن- على عبده -ورسوله، محمد ﷺ- ليكون للخلائق جميعا -إنسهم وجنهم- نذيرا للعصاة بالعقاب، وتعاظم واستحق الثناء. **١**

الذي له ملك السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك -أخبر الكفار مشركين وأهل كتاب بذلك- وخلق كل شيء -سبحانه، لا خالق سواه- فقدر كل شيء خلق -لما يصلح له وهيأه لذلك، وقدر الآجال والأرزاق- وفق إرادته. **٢**

واتخذوا من دونه -سبحانه- آلهة -يعبدونها معه- لا يخلقون شيئا، وهم -كسائر الخليقة: عباد- يتم خلقهم، ولا يستطيعون دفع ضرر عن أنفسهم ولا جلب نفع لها، ولا يستطيعون إماتة أحياء ولا إحياء أموات، ولا بعثا إلى حياة: لحساب من قد مات، فبأي حق يتخذهم عاقل آلهة؟! ٣

وزعم الذين كفروا أن ليس هذا -القرآن- إلا كذب بشع افتراه -ﷺ حاشاه- لم يوح إليه، وأعانه على اختلاقه قوم آخرون -ممن على علم ودراية بالكتب السماوية السابقة، رغم اختلاف اللسان كما قال تعالى ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يُعلِّمه بشر لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين. ﴾ [النحل ١٠٣]، فيا لهم من مفترين!- فقد جاء الذين كفروا هؤلاء بظلم وكذب عظيم. ٤

وزعموا -القرآن- أباطيل الأمم السابقة استنسخها -ﷺ حاشاه- فكتبت له، فهي تقرأ عليه -ليحفظها من أفواه من يقرأها عليه- في كل وقت ولا سيما أول النهار وآخره. ٥

أخبرهم أيها النبي الكريم أن أنزله -الله: كلف المَلَك جبريل عليه السلام بذلك كما قال تعالى ﴿ قل نزَّله روح القُدُس من ربك بالحق ﴾ [النحل ١٠٢]- الذي يعلم السر في السماوات والأرض -كل شيء يعلمه لا يخفي عليه فيهما سر- إنه كان واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين: أفلا يتوبون فيؤمنوا؟ ٦

وتساءلوا -مستنكرين متهكمين- مال هذا -الذي يزعم أنه- الرسول يأكل الطعام ويتردد -كسائر البشر، طلبا للمعاش- على الأسواق؟ من ثم اقترحوا أن ينزل إليه -ﷺ- مَلَك -يكلمهم ويشهد له بالنبوة- فيكون معه -يعينه فيما أرسله ربه به!- نذيرا للعصاة بالعقاب. ٧

أو يلقى إليه -من السماء- كنز: يغنيه؟ أو يكون له بستان مديد الظل يأكل من ثماره: فلا يحتاج إلى التردد على الأسواق طلبا للمعاش؟ وأخبر الظالمون لأنفسهم بالكفر -بعضهم بعضا، متناجين كما قال تعالى ﴿ وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتَّبِعون إلا رجلا مسحورا ﴾ [الإسراء ٤٧]- أن ما يتبعون -إن هم اتبعوا محمدا ﷺ- إلا رجلا جرى سحره. ٨

تأمل -وكل فرد من أمتك- كيف ضربوا لك الأمثال -في وصفك، فزعموا أنك حاشاك كاهن وشاعر وساحر ومسحور ومجنون، واقترحوا عليك بعض العجائب الغيبية- فضلوا -مبتعدين عن الحق وطريقه- فلا يستطيعون إيجاد مخرج لهم من تناقض وتضارب أقوالهم، ولا طريق إلى القدح في نبوتك. ٩

كثر خير ونفع -الله- الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك -الذي يقترحون- وأفضل: جنات تجري خلالها الأنهار، ويجعل لك -فيها- قصورا، وتعاظم واستحق الثناء. ١٠

بل كذبوا بالساعة -منكرين البعث والقيامة، عنادا وتعنتا، ذلك هو سبب ضلالهم وتخبطهم، لم يقولوا ما قالوا بحثا عن الحق ولا تثبتا من صدق النبي ﷺ- وأعد الله لمن كذب بالساعة نارا مستعرة. ١١

فائدة! المتعنتون لا مصلحة ترجى من مجادلتهم أو مناظرتهم، فلا يسعى الدعاة وأهل الإصلاح إلى إقناعهم، بل يوضح لهم الحق ويتركون: لعل الله يهدي بعضهم.

نُناظِرُ مَنْ أرادَ الحقَّ حقًّا ... ونَترِكُ مَنْ تَعَنَّتَ، هُم سَجورُ

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ
إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا
وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾
وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى
ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾
أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾
وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾
قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۚ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي
هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ
يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمَۢا بُورًا ﴿١٨﴾
فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
وَلَا نَصْرًاۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

إذا رأت النار المستعرة الكفار من مكان بعيد -قبل اقترابهم منها- سمعوا لها صوتا مزعجا يشبه صوت الأنفاس المرتفعة من شدة الغيظ والغضب. **١٢**

وإذا جرى إلقاء الكفار في مكان ضيق من النار مشدودين -في الأغلال والقيود- دعوا في هذا المقام -على أنفسهم ليستريحوا مما هم مقبلون عليه- هلاكا. **١٣**

لا تدعوا -أيها الكفار- اليوم هلاكا واحدا، وادعوا هلاكا كثيرا: مرات عديدة، ولن تجابوا. **١٤**

سلهم أيها النبي الكريم أذلك -العذاب- خير وأفضل؟ أم جنة الخلد التي وعد -على ألسن أنبياء الله- المتقون الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه؟ كانت -إقامة دائمة في الجنة- لهم جزاء ومصيرا. **١٥**

لهم فيها ما يشاءون خالدين -ينعمون- كان -نعيمهم الدائم- على ربك وعدا مسئولا: يسأله المتقون كما قال تعالى ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رُسُلك ﴾ [آل عمران ١٩٤] فيحقق لهم ما وعدهم به. **١٦**

واذكر يوم -القيامة، حين- يجمع -سبحانه- الكفار وما يعبدون من دون الله، فيسأل -ما يعبد الكفار من آلهة في الدنيا، موبخا عابديها، وهو أعلم بحال خلقه- أهم أضلوا عباده -الكفار- هؤلاء: فقاموا بدعوتهم إلى عبادتهم؟ أم هم -من تلقاء أنفسهم- ضلوا الطريق القويم: فأشركوا؟ **١٧**

أجابوه منزهين إياه -عن أن يكون له شركاء سبحانه- ومقدسين بأن ما كان ينبغي لهم ولا يليق بهم حالا أن يتخذوا -لأنفسهم- من دونه أي أولياء: يعبدونهم معه، فكيف إذًا وهم مقرون بتوحيده يضلون غيرهم ويدعونهم إلى عبادتهم؟ ولكن -أردفوا مفسرين سبب ضلال عابديهم- متع سبحانه عابديهم وأسلافهم -بما أنعم عليهم زمنا طويلا، فاغتروا بذلك- حتى نسوا الذكر -وتوحيده سبحانه فعبدوا معه غيره- وكانوا -بسبب شركهم- قوما هلكى فاسدين لا خير فيهم. **١٨**

فقد كذبكم ما تعبدون من دون الله -أيها المشركون- في زعمكم -أنهم آلهة- فما تستطيعون -الآن- صرفا -للعذاب عن أنفسكم بأي وسيلة من الوسائل- ولا نصرا -من الله، لعجزكم ولانعدام ناصريكم- ومن يظلم منكم -أيها الخلق- نفسه بالكفر يذقه الله -إن مات كافرا، في الآخرة- عذابا كبيرا. **١٩**

وما أرسل الله قبلك أيها النبي الكريم -أحدا- من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام -مثلك- ويترددون -طلبا للمعاش- على الأسواق، وجعل الله بعضكم لبعض فتنة -واختبارا أيها الناس: الحر فتنة للمملوك والشريف فتنة للوضيع والغني فتنة للفقير والصحيح فتنة للسقيم ونحو ذلك- أتصبرون: على ما ابتلاكم به؟ أم تحسدون عباده على ما تفضل به عليهم؟ وكان ربك بصيرا -بأحوالهم، يعلم الصابر من الجازع والمحتسب من الساخط- لا يخفى عليه شيء مما عمل عباده أو اعتقدوا. **٢٠**

فائدة! تفاوت أحوال العباد ابتلاء من الله، والعبرة بالإيمان كما ورد عن النبي ﷺ من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه ﴿ عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له. ﴾ [مسلم **٢٩٩٩** ★ أحمد **٢٣٩٢٤**].

وأحوالٌ تَفاوتُها قَضاهُ الـ ... بصيرُ، فكُلُّ أمرٍ لي سُرورُ

واقترح الذين لا يتوقعون لقاءه سبحانه -فلا يخافونه، ولا في ثوابه يطمعون أو يرغبون- أن ينزل عليهم الملائكة -تكلمهم وتشهد له بالنبوة- أو يروا ربهم -عيانا، فيخبرهم بصدقه ﷺ- لقد استكبروا في أنفسهم -مضمرين عنادا للحق- وتكبروا -عن الرجوع عن تجاوزهم كل حد- تكبرا شديدا. **٢١**

يوم يرون الملائكة -عند الموت وفي البرزخ بين الموت والبعث كما قال تعالى ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون ﴾ [المؤمنون ١٠٠] ويوم القيامة- لا بشرى يومئذ للمجرمين مستحقي العقاب -محال، بل- ويثبتون -من يرون من ملائكة، والمجرمون- حراما محرما: مقررين ألا بشرى طيبة لهؤلاء من الله. **٢٢**

وعمد الله إلى ما عملوا من عمل -الصالح منه، كالصدقة ونحوها- فجعله الله هباء منثورا: كثيرا مفرقا، كالغبار المتفرق، لا قيمة له ولا وزن، لا يثابون عليه في الآخرة لكفرهم. **٢٣**

أصحاب الجنة يومئذ خير -من كل كافر- مستقرا وأفضل مآلا، وأحسن موضعا للقيلولة. **٢٤**

واذكر أيها النبي الكريم يوم تشقق السماء بسبب -طلوع- السحاب الساتر، ونزل الملائكة -بأمر الله- أعدادا ضخمة على وجه عجيب غير معتاد. **٢٥**

الملك -المطلق- يومئذ الحق -الثابت، لا يزول ولا ينقضي ولا ينقطع- للرحمن -وحده دون سواه- وكان يوما على الكافرين عسيرا: إذ يحاسبون فيه أسوأ حساب، ثم يساقون إلى النار للخلود فيها. **٢٦**

واذكر يوم -القيامة- يعض الظالم لنفسه بعصيان الله -حزنا وندما وحسرة- على يديه، يتحسر متمنيا لو اتخذ مع الرسول -في الدنيا- طريقا قويما: فاتبعه وآمن وعمل بما جاء به. **٢٧**

يتعجب -متحسرا لغبائه- متمنيا لو لم يتخذ فلانا -صديقه في الدنيا- صفيا خالص المحبة. **٢٨**

لقد أضله -صديقه هذا- عن الذكر -القرآن- بعد إذ جاءه -فبلغه كلام الله- وكان الشيطان للإنسان كثير الخذلان: يزين له الشر، ثم في الآخرة يتبرأ منه كما قال تعالى ﴿ وقال الشيطان لمَّا قُضيَ الأمر إنَّ الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان ليَ عليكم من سلطان ﴾ [إبراهيم ٢٢]. **٢٩**

فائدة! ليحذر المسلم، فلا يتخذن أهل السوء أهل الضلال والإضلال أصدقاء وقرناء.

مَنِ اتَّخَذَ المُضِلَّ لهُ خليلًا ... سيَندَمُ حينَ لا يُغني الغَرورُ

واشتكى الرسول إلى ربه -في الدنيا، وقيل يوم القيامة- أن قومه هجروا هذا القرآن وتركوه. **٣٠**

فائدة! من هجر القرآن هجر تلاوته والتعبد به، وفهمه وتدبر معانيه، والعمل والحكم به، والتشافي به.

ولمْ نَهجُرْ مِنَ القرآنِ فَهمًا ... تَعَبَّدْنا ونَعمَلُ لا نَخورُ

ومثلما ابتلاك بهؤلاء جعل الله لكل نبي أعداء من المجرمين مستحقي العقاب، وكفى بربك أيها النبي الكريم هاديا يوفق ويرشد من يشاء إلى الحق، ونصيرا ينصرك ومن معك فيدفع عنكم شر الأعداء. **٣١**

واقترح الذين كفروا أن ينزل القرآن عليه دفعة واحدة غير منجم، كذلك -نزل منجما مفرقا- ليثبت الله به قلبك -المتوقد- أيها النبي الكريم ويقويه -فكلما نزل شيء ازددت ثباتا، وكان فيما ينزل إجابة لما يطرأ من أسئلة- وسهل الله قراءته -وفهمه وحفظه- على الوجه الأمثل، بتدبر وتمهل بغير عجلة. **٣٢**

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١
يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٢٢ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ
هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا
وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
تَنزِيلًا ٢٥ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ٢٦ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ
يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ
أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ
وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ
إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا
وَنَصِيرٗا ٣١ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ
وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ
شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ
إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ
ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ
وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا
ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا ۚ
بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ
مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

ولا يأتونك بمثل -يقترحونه عليك من مقترحاتهم التافهة الساذجة- إلا جاءك الله -في المقابل- بالحق -الثابت، المبطل لمقترحهم- وأحسن تفسيرا: وبيانا يجيء سبحانه به، فيبلغ أمتك على لسانك. **٣٣**

الذين -كفروا- يجمعون -مسحوبين- على وجوههم إلى جهنم، هؤلاء شر مكانا وأسوأ منزلة، وأشد -من غيرهم- ابتعادا عن الطريق القويم: إذ لا نجاة لهم بوجه من الوجوه. **٣٤**

ولقد أعطى الله موسى التوراة، وجعل سبحانه معه أخاه هارون وزيرا: مؤازرا له ومعينا. **٣٥**

فأمرهما الله أن يذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياته سبحانه -قوم فرعون، فقد أطاعوا أمره واتخذوه إلههم كما قال تعالى ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ [القَصص ٣٨]- فدمرهم سبحانه تماما: لاستمرارهم على ما هم عليه من كفر. **٣٦**

وقوم نوح لما كذبوا الرسل -فمن كذب أحدهم فقد كذبهم جميعا، فدعوتهم واحدة- أغرقهم سبحانه -بطوفان لا مثيل له، لاستمرارهم على الكفر- وجعلهم الله للناس آية -يتناقلون خبرهم عبرة، إلى آخر الزمان- وأعد سبحانه للظالمين لأنفسهم بالكفر -في الآخرة، وقد فضلوا كفرهم- عذابا أليما. **٣٧**

وعادا وثمود وأهل البئر -قيل هم أهل القرية الذين كذبوا مرسلي ربهم كما قال تعالى ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المُرسَلون. ﴾ [يس ١٣]- وأمما متتالية بين هؤلاء المذكورين كثيرة لا يعلم عددها إلا الله كذلك دمرهم سبحانه. **٣٨**

وكلا ضرب الله له الأمثال -مبينا، فأقام الحجة على كل منهم- وكلا دمر إهلاكا سبحانه تماما. **٣٩**

ولقد أتى المشركون -عند سفرهم إلى الشام للتجارة- على القرية التي أمطرت -بالحجارة- مطر السوء والشر والهلاك، أفلم يكونوا يرونها: فيعتبروا بما حدث لقوم لوط؟ بل كانوا لا يتوقعون بعثا إلى حياة: لحساب من قد مات، فلأنهم لا يؤمنون بالحساب لا يخافون عقاب الله ولا يطمعون في ثوابه. **٤٠**

وإذا رآك الكفار ليس يتخذونك أيها النبي الكريم إلا محل استهزاء: أهذا الذي بعث الله رسولا؟ **٤١**

فائدة! السخرية من أهل الإيمان شأن أهل الكفر في كل عصر ومصر، وهم أهل كذب وبهتان، فقد كان قبل بعثته كما ورد عنه ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ قالت له خديجة: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا: والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق ﴾ [البخاري ٤٩٥٣ * مسلم ١٦٠ * أحمد ٢٥٨٦٥].

وهذا كافِرٌ مُستَهزِئٌ لا ... يقولُ الحقَّ، بَلْ يَهذي الحَقيرُ

إن كاد -هذا الذي يزعم أنه مرسل- ليضلهم عن آلهتهم -فبزعمهم أوشكوا أن ينصرفوا عنها- لولا أن صبروا عليها -فثبتوا لم يتبعوه لتركوا عبادتها- وسوف يعلم هؤلاء المشركون حين يعاينون العذاب -في القبر ثم يوم القيامة- من -هم أم هو، ﷺ- أشد ابتعادا عن الطريق القويم: ولا توبة لهم حينئذ. **٤٢**

أرأيت أيها النبي الكريم وتأملت من اتخذ إلهه هواه: فالتزمه، أو جعله مصدر تشريع؟ أفأنت تكون عليه وكيلا: فتراقبه، وليس عليك إلا كما قال تعالى ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ [الشورى ٤٨]؟ **٤٣**

أم تظن أن أكثرهم يسمعون -ما جئت به، سماع وعي وفهم وانتفاع- أو يعقلون: ما يسمعون، فيؤدي ذلك بهم إلى التفكر في آيات ربهم المنزلة والكونية والعقلية؟ إن هم إلا كالأنعام -من إبل وبقر وغنم، يأكلون ويشربون ويتزاوجون، ولا عقول لهم- بل هم أشد ابتعادا عن الطريق القويم: إذ خالفوا ما خلقهم الله من أجله كما قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ﴾ [الذاريات ٥٦]. ٤٤

ألم ينته علمك -أيها الإنسان- إلى -إبداع- ربك كيف مد الظل: فبسطه على وجه الأرض؟ ولو شاء لجعله ساكنا -لا يتحرك ولا يزول- ثم جعل سبحانه الشمس عليه دليلا: يستدل بها على أحواله؟ ٤٥

ثم قبضه الله إليه سبحانه -فيزول شيئا فشيئا حسب موضع الشمس- قبضا -على الله- يسيرا. ٤٦

وهو الذي جعل لكم -أيها الناس- الليل لباسا -ظلامه ساتر- والنوم سباتا -راحة تقطعكم عن الحركة- وجعل النهار بعثا إلى حياة: كأنكم تبعثون فيه من النوم أحياء ومن ثم تنتشرون لقضاء مصالحكم. ٤٧

وهو الذي أرسل الرياح مبشرات بالمطر الذي هو رحمة منه، وأنزل سبحانه من السماء مطرا طاهرا في ذاته، مطهرا لغيره. ٤٨

ليحيي الله به بلدة مجدبة -فيخرج فيها النبات- ويسقيه الله مما خلق سبحانه أنعاما وأناسا كثر: ليس يعلم عددهم إلا هو. ٤٩

ولقد نوعه الله -القرآن، بالأمثال والمواعظ- بينهم -على اختلاف أفهام عباد الله- ليذكروا، فامتنع أكثر الناس -عن تصديقه وعن شكر نعم ربهم، بل جحدوها، لا هم آمنوا ولا أرادوا- إلا كفورا. ٥٠

ولو شاء الله لبعث سبحانه في كل قرية نذيرا للعصاة بالعقاب: لكنه شاء أن يرسل رسولا واحدا خاتما للناس كافة كما قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ [سبإ ٢٨]. ٥١

فلا تطع أيها النبي الكريم الكافرين -فلا تلن لهم ولا تصانعهم كما قال تعالى ﴿ فلا تُطع المكذبين. ودوا لو تُدهن فيُدهنون. ﴾ [القلم ٨ ٩]- وجاهدهم بالقرآن -منذرا إياهم به- باذلا جهدا كبيرا. ٥٢

فائدة! مصاولة الطواغيت وإلجام أعوانهم وأتباعهم من المنافقين وعلماء السلطان وإنذارهم جميعا بما جاء في القرآن والسنة جهاد باللسان لا يقل أهمية عن جهاد السلاح.

نُجاهِدُ بالكتابِ وسُنَّةٍ لا ... نُداهنُ كافِرًا تَبِعَ الضَّرِيرُ

وهو الذي أجرى نوعي الماء: هذا -بحيرة أو نهر- عذب ماؤه شديد العذوبة، وهذا -بحر- مالح ماؤه شديد المرارة، وجعل بينهما حاجزا حائلا -فيصب النهر في البحر- وحراما محرما: امتزاج النوعين. ٥٣

وهو الذي خلق من الماء بشرا -من المني الخارج عند الجماع، ويدخل الماء في تكوين الخلايا، وهو ضروري للحياة كما قال تعالى ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ [الأنبياء ٣٠]- فجعل بينهم قرابة ومصاهرة، وكان ربك -أيها الإنسان، على ذلك كله- قديرا: فربك لا يعجزه شيء. ٥٤

ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم، وكان الكافر على ربه -ذليلا، للشيطان وللطواغيت أئمة الكفر الذين والوه على محاربة دين الله- ظهيرا معينا. ٥٥

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤) أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ
وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥)
ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧) وَهُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠) وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ
بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا
عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَحْجُورًا (٥٣) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥)

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ
عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ
بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ
فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ
وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ
ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا
مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ
أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ
عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾
وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ
أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

وما أرسلك الله أيها النبي الكريم إلا مبشرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للعصاة بالعقاب. **٥٦**
ذكر -والدعاة من أمتك- الناس أن ما تسألهم على دعوتك أي ثواب، إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه طريقا قويما -إلى جنته، بطاعة نبيه، ومن جملة ذلك بذل المال نصرة لدينه وتقربا إليه- فليفعل. **٥٧**
فائدة! الدعاة المسلمون لا يطلبون أجرا على دعوتهم وعملهم للإسلام.

دُعاةٌ مسلمونَ على العليمِ الـ ... ثَوابُ، فمِنهُ تُستَوفى الأُجورُ

واعتمد على -الله- الحي الذي لا يموت وحده في جميع أحوالك -فالذي يموت يتأثر من يعتمد عليه سلبا، فعجبا لمشرك يدعو وثنا كقبر البدوي وغيره فيسأله أو يستغيث به!- وواظب على تنزيهه وتقديسه متلبسا ومقرونا بالثناء عليه، وكفى به بذنوب عباده خبيرا: ما قد أظهروا منها وما قد أبطنوا. **٥٨**
الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- استواء يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه لا ندري كيفيته، الرحمن، فاسأل به -عن تلك المخلوقات جميعها بتفاصيلها، إن أردت- خبيرا: الله الذي خلقها. **٥٩**
وإذا أمروا -في القرآن أو على لسان النبي ﷺ- أن اسجدوا للرحمن سألوا -مستنكرين- وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنا: بالسجود له، ونحن لا نعرفه؟ وزادهم -الأمر بالسجود له سبحانه- نفورا وتباعدا. **٦٠**
كثر خير ونفع -الله- الذي جعل في السماء منازل ظاهرة للشمس والقمر والنجوم والكواكب، وجعل فيها -شمسا كالمصباح- سراجا، وقمرا منيرا -مضيئا- وتعاظم واستحق الثناء. **٦١**
وهو الذي جعل الليل والنهار يخلف أحدهما الآخر لمن أراد أن يذكر -بتأمل آيات دالة على وحدانية الله وعظيم قدرته وسلطانه- ويتعظ، أو أراد شكره سبحانه على نعمه وما ذلله لعباده. **٦٢**
وعباد الرحمن -من أهل الإيمان- الذين يمشون على الأرض بلين وسكينة ووقار -متواضعين، أخلاقهم كمشيتهم- وإذا خاطبهم الجاهلون -بخطاب مؤذ- دفعوا بكلام فيه سلامة من الإثم والجهل. **٦٣**
والذين يبيتون -أدركهم الليل فما ناموا عن تنفل- لربهم سجدا -على الوجوه- وقياما: على الأقدام. **٦٤**
والذين يدعون ربهم -رغم ما هم عليه من وقار وأخلاق حسنة وطاعة وعبادة وتنفل، من جملته الصلاة بجوف الليل- أن يصرف عنهم عذاب جهنم، إن عذابها كان -لمن مات كافرا- دائما ملازما. **٦٥**
فائدة! ادعاء أن الدافع لطاعة الله ينبغي أن يكون محبته فقط ضلال مبين لا يقول به عالم بدين الله، فطاعته سبحانه خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه أمر ثابت في قرآنه كما قال تعالى ﴿ تتجافى جُنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ﴾ [السجدة ١٦].

ونَدعو ربَّنا طَمَعًا وخَوفًا ... وقَدْ يَنفي مَحَبَّتَهُ عَثورُ

إنها ساءت مستقرا ومآلا ومقاما ومسكنا: الأسوأ. **٦٦**
والذين إذا أنفقوا -النفقات الواجبة والمستحبة- لم يسرفوا -مبالغين في الإنفاق- ولم يقتروا -مضيقين على أنفسهم أو على من يعولون- وكان -إنفاقهم- بين ذلك عدلا وسطا: لا إفراط ولا تفريط. **٦٧**

والذين لا يدعون أو يعبدون مع الله إلها آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله -قتلها- إلا بالحق كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ﴿ لا يحل دم رجل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة. ﴾ [البخاري ٦٨٧٨ * مسلم ١٦٧٦ * أبو داود ٤٣٥٢ * الترمذي ١٤٠٢ * النسائي ٤٧٢١ * ابن ماجة ٢٥٣٤ * أحمد ٣٦٢١]، ولا يزنون، ومن يفعل -شيئا من- ذلك يلق جزاء ما اقترف من آثام. ٦٨
يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد في هذا العذاب المضاعف مهانا ذليلا. ٦٩
إلا من تاب -من كل كفر- وآمن -بعد السماع بالإسلام لا يتحقق ذلك إلا في أهله كما قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. ﴾ [آل عمران ٨٥]- وعمل -تصديقا لإيمانه- عملا صالحا -دل شرعه سبحانه أنه يثاب عليه فاعله، مخلصا لله بغير رياء- فهؤلاء يبدل الله سيئاتهم حسنات -فيبدل الكفر والشرك والمعصية إيمانا وإخلاصا وطاعة، ويوفقهم الله ويرشدهم لأعمال تناقض ما سلف منهم- وكان الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. ٧٠
ومن تاب -من المسلمين، عن اقتراف الآثام- وعمل -تصديقا لإيمانه، وتحقيقا توبته- صالحا -ومن جملة العمل الصالح أن يسلم قاتل المسلم نفسه طوعا واختيارا إلى أولياء دم القتيل، ليتحمل الله عنه بفضله حق القتيل في الآخرة- فإنه يتوب -بذلك- إلى الله توبة حقة. ٧١
والذين لا يشهدون الزور -فلا يكذبون في شهادة، ولا يخالطون أهل الباطل، ولا يرتادون أماكن اقتراف الحرام- وإذا مروا بالباطل والمعاصي وما لا خير فيه ولا فائدة مروا مكرمين أنفسهم عن مخالطته. ٧٢
فائدة! حضور أعياد غير المسلمين شهادة زور -ولا سيما التي يحتفلون فيها بشرك، كعيد ميلاد ربهم أو قيامته زعموا- بل لا يجوز تهنئتهم بها، ولا يهدى لهم ولا تقبل فيها هداياهم، ولا يباع لهم شيء يحتاجون لإقامتها، كذلك لا يجوز ابتداع أعياد للمسلمين، كالاحتفال بما يزعمونه مولد النبي ﷺ.

وأعيادٌ هيَ الزورُ اجتَنِبها ... تَشَبَّهتُم بِمَنْ ضَلَّ استَديروا!

والذين إذا جرى تذكيرهم بآيات ربهم -المنزلة والكونية والعقلية- لم يسقطوا عليها -متغافلين عنها لا يأبهون، كأنهم صاروا- صما وعميانا: لا يسمعون ولا يبصرون، وما أكثر هؤلاء اليوم! ٧٣
والذين يدعون ربهم أن يمنحهم من أزواجهم وذرياتهم قرة أعين تطيب به أنفسهم -إذ يعملون بطاعته، فيغدوا لهم مصدر سرور- ويجعلهم للمتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه أئمة يقتدى بهم. ٧٤
هؤلاء يجزون الدرجة العالية -في الجنان- بسبب صبرهم على طاعة الله وأقداره، ويلقى عليهم فيها تحية -من الله والملائكة ومن بعضهم لبعض- وكلاما سالما من الإثم، ويسلمون من كل مكروه. ٧٥
خالدين فيها -ينعمون- حسنت مستقرا ومآلا ومقاما ومسكنا: الأحسن. ٧٦
سل أيها النبي الكريم الناس ماذا يعبأ بهم ربك؟ لولا دعاء من يدعوه منهم -وحده دون سواه، دعاء عبادة ودعاء مسألة ما أبه بأحد- فقد كذبتم -نبيه، أيها الكفار- فسوف يكون -عذابكم- ملازما. ٧٧

وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ
ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن
يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ
سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠
وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ٧١
وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢
وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا
صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا
مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ
إِمَامًا ٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ
وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ
حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي
لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ٧٧

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا
يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ
أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ
إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ٥ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ٧
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ٩ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ
أَلَا يَتَّقُونَ ١١ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدۡرِي
وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ١٣ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ
أَن يَقۡتُلُونِ ١٤ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ١٥
فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا
بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٧ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ
سِنِينَ ١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩

★ سورة الشعراء ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. ١
تلك آيات الكتاب -المنزل- الواضح ألفاظه ومعانيه المبين للحلال والحرام. ٢
لعلك أيها النبي الكريم مجهد نفسك أو مهلكها خشية ألا يكونوا مؤمنين: أحرصا على هدايتهم تغتم لئلا يموتوا كفارا؟ بل لا ينبغي لك ولا يكونن منك أن تحزن على أمثال هؤلاء. ٣
إن يشأ الله ينزل سبحانه عليهم من السماء آية -معجزة- فظلت أعناقهم لها خاضعين: فيؤمنوا بعدها وهم أذلة خائفون من عقابه، ولكن شاء سبحانه ألا يفعل، ليظهر علمه بمن يؤمن منهم بالغيب. ٤
وما يأتيهم من قرآن حديث النزول من الرحمن للتذكر والاتعاظ إلا كانوا عنه معرضين منصرفين. ٥
فقد كذبوا -رادين الحق- فسيعاينون -يوم القيامة- ما كانوا به -من أخبار البعث- يستهزئون. ٦
أولم ينظروا إلى الأرض -متأملين- كم أنبت الله فيها من كل صنف -نافع- كريم؟ ٧
إن في ذلك -المذكور- لآية دالة على كمال قدرة الخالق، وما كان أكثرهم مؤمنين: قضاء الله. ٨
وإن ربك أيها النبي الكريم لهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العظيم الرحمة بالمؤمنين. ٩
واذكر حين نادى ربك موسى -آمرا- أن ائت القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر ولغيرهم بالعذاب. ١٠
قوم فرعون -هم أهل الظلم، اقصدهم- ألا يتقون بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه؟ ١١
أجاب ربه بأنه يخاف أن يكذبوه. ويضيق صدره -بسبب تكذيبهم- ولا ينطلق لسانه -من غيظه، أو مما قد يكون به من ثقل أو عجمة- فسأله أن يرسل -المَلَك جبريل عليه السلام بالوحي- إلى هارون: ليعينه أخوه. ولهم عليه ذنب -إذ قتل منهم نفسا خطأ كما قال تعالى ﴿ فَوَكَزَه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان ﴾ [القَصص ١٥]- فيخاف أن يقتلوه: فالخوف أحيانا ينتاب الفضلاء. ١٢ ~ ١٤
نهاهما -الله، أن يخافا كما قال تعالى ﴿ قال لا تخافا ﴾ [طه ٤٦]- فليذهبا بآيات الله الدالة على صدقهما -مطمئنا- إنه سبحانه معهم بالعون والتأييد -لرسله- مستمع سبحانه لكل ما يقال. ١٥
فليأتيا فرعون -قاصدَين إياه- فيخبراه أنهما رسول رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. ١٦
يأمراه أن يرسل معهما بني إسرائيل: مطلقا إياهم من الاستعباد. ١٧
سأل -فرعون موسى عليه السلام، متعاليا- ألم يربوه لديهم -إذ كان- وليدا؟ ومكث بينهم من عمره سنين؟ ١٨
وفعل فعلته -الشنيعة!- التي فعل: فقتل منهم نفسا، فمتى وكيف يكون مثله رسول رب الخلق؟ وأنت -يا موسى- من الكافرين: بي -إذ كان التافه يزعم أنه إله- وكذلك من الجاحدين لنعمي عليك. ١٩
فائدة! حال إعلام الكفر واحد في كل عصر ومصر: قتل موسى عليه السلام نفسا واحدة، خطأ، فنعته أكفر الخلق بالكفر، وقتل فرعون متعمدا نفوسا بريئة لا يعلم عددها إلا الله -ومنهم رضع- ولا تثريب عليه!
بإعلامِ العَمالةِ والنِّفاقِ ... يُزَوِّرُ كاذبٌ خَبَرًا يَطيرُ

أجابه بأن فعلها حينئذ وهو -عن أن دفعة من يده ﷺ تقتل- من الضالين: لم يتعمد قتل أحد. **٢٠**
ففر منهم -هربا- لما خافهم -أن يقتلوه- فمنحه ربه حكما -وحكمة وعلما- وجعله من المرسلين. **٢١**
من ثم سأله -مستنكرا- وتلك -تربيته لديه، هل يعدها- نعمة ينعم بها عليه ويتفضل، أن استعبد بني إسرائيل: قومه، فقتل الذكور من أبنائهم، فاضطرت أمه للاستغناء عنه حتى ينجو من القتل؟! **٢٢**
سأل فرعون -مخاطبا موسى ﷺ- وما رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء: الذي يذكره؟ **٢٣**
أكد -ﷺ، أن رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء هو الله- رب السماوات والأرض وما بينهما -الخالق المالك المدبر- إن كان هو ومن حوله موقنين بأن للكون رب فعليهم تصديقه ﷺ. **٢٤**
سأل -فرعون- من حوله -مستهزئا ساخرا- ألا -لما يقول هذا الذي يزعم أنه مرسل- يستمعون؟ **٢٥**
حذر -ﷺ، إنه يحدثهم عنه!- ربهم -الخالق الرازق، وحده دون سواه- ورب آبائهم وأسلافهم. **٢٦**
أكد -فرعون، ممعنا في الاستهزاء- أن رسولهم الذي -بزعمه- أرسل إليهم -حتما- مجنون. **٢٧**
حذر -مجددا- رب المشرق والمغرب وما بينهما: خلقا وملكا وتدبيرا، إن كانوا يعقلون فليؤمنوا به! **٢٨**
أقسم -مهددا موسى ﷺ، لما عجز عن محاجته- لئن اتخذ إلها غيره ليقومن بسجنه: للأبد. **٢٩**
فائدة! دأب الطغاة والمتكبرين عند بطلان حججهم اللجوء إلى التهديد والبطش والتنكيل بمخالفيهم.
طُغاةٌ لا عُقولَ لهمْ يُهانوا ... ويُدحَضُ رأيُهُم تُكوى الظُّهورُ
سأل أولو جاءه بشيء واضح: يثبت صدقه ﷺ، أيسجنه ويظل متكبرا على الحق؟ **٣٠**
أمر فليأت به إن كان -فيما يدعي- من الصادقين. **٣١**
فألقى -ﷺ على الأرض- عصاه، فإذا هي -فجأة- ثعبان ظاهر لمن يشاهد. **٣٢**
ونزع يده -من جيبه أو من تحت إبطه كما قال تعالى ﴿ اسلُك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمُم إليك جناحك من الرهْب فذانِك برهانان من ربك إلى فرعون ومَلَئه ﴾ [القَصص **٣٢**]- فإذا هي -فجأة تخرج- بيضاء -تتلألأ نورا- للناظرين. **٣٣**
أكد -كذلك فعلت حاشية السوء من قومه كما قال تعالى ﴿ قال المَلأ من قوم فرعون إنَّ هـذا لساحر عليم. ﴾ [الأعراف **١٠٩**]- للرؤوس الأعيان حوله إن هذا لساحر -حاشاه- غزير العلم بالسحر. **٣٤**
يريد أن يخرجهم من أرضهم بسحره -بإخراج بني إسرائيل القائمين على خدمتها فتخرب فيستولي بهم عليها، كذلك زعم فرعون ومن حوله- فاستشارهم فيما ينبغي الأمر به. **٣٥**
أشاروا أن يؤخره وأخاه -هارون ﷺ، لا يفصل في أمرهما- ويبعث في مدن مصر جامعين. **٣٦**
يأتوه -الجامعون، من مدن مصر- بكل سحار -ماهر- غزير العلم بالسحر: لهزيمتهما ﷺ. **٣٧**
فجمع السحرة لموعد يوم محدد: حدده موسى ﷺ، أول النهار، في مكان اجتماع الناس للاحتفال بالعيد كما قال تعالى ﴿ قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى. ﴾ [طه **٥٩**]. **٣٨**
وجرى دعوة الناس وحثهم على الاجتماع لمتابعة الحدث. **٣٩**

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾
قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾
قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾
قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾
وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ
إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم
بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾
فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾
فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾
فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

رجاء أن يتبعوا السحرة -في دينهم، فيظل الناس عابدين لفرعون- إن كانوا هم الغالبين. ٤٠

فائدة! لو كانوا من الباحثين عن الحق لقالوا سنتبع الغالب أيًّا كان، وأيًّا كانت تبعات اتباعه.

ومَنْ يُرِدِ اتِّباعَ الحقِّ حقًّا ... يَرَ التَّبِعاتِ مُختبَرًا يَزورُ

فلما جاء السحرة سألوا فرعون أئن لهم لثوابا -كجائزة- إن كانوا هم الغالبين؟ ٤١

أجاب بنعم -إن لكم لجائزة إن انتصرتم- وإنكم حينئذ -مع جائزتكم، مني- لمن المقربين. ٤٢

تحداهم موسى -واثقا بنصر ربه، وليفتضح أمرهم مع علمه بأن السحر محرم، وكانوا خيروه من يبتدئ بالإلقاء كما قال تعالى ﴿ قالوا يا موسى إما أن تُلقيَ وإما أن نكون أول من ألقى. ﴾ [طه ٦٥]- أن يلقوا ما هم ملقون. فألقوا حبالهم وعصيهم، وأقسموا بعزة فرعون إنهم لهم الغالبون. ٤٣ ٤٤

فألقى موسى عصاه، فإذا هي -فجأة، بعد انقلابها ثعبانا- تلتهم ما يقلبون: إذ خيلوا لمن يشاهد أن ما ألقوه صار يتحرك. فألقي السحرة -إذ أيقنوا: ما هذا بسحر، لله- ساجدين. ٤٥ ٤٦

أقروا بإيمانهم برب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. ٤٧

رب موسى وهارون: مؤكدين أنه المستحق للطاعة والعبادة وحده دون سواه. ٤٨

أنكر -فرعون- أن اطمأنوا لموسى ﷺ وصدقوه، قبل أن يأذن لهم! زاعما أنه -قطعا، حاشاه- كبيرهم -ومعلمهم- الذي علمهم السحر، مقسما فلسوف يعلمون -أيهما أشد عذابه: ما توعدهم به ﷺ كما قال تعالى ﴿ لا تفتروا على الله كذبا فيُسحتكم بعذاب ﴾ [طه ٦١] أم ما سوف يلاقون منه- ليقطعن أيديهم وأرجلهم من خلاف -يد من جهة ورجل من الأخرى- وليصلبنهم أجمعين. ٤٩

ردوا بأن لا ضرر -من عذاب دنيوي- جميعهم إلى رب الخلائق عائدون: ليجازي كلا بما قدم. إنهم يطمعون أن يغفر لهم ربهم أخطاءهم الكثيرة، من أجل أن كانوا أول المؤمنين: من قوم فرعون، بما به جاء موسى وهارون ﵉. ٥٠ ٥١

وأوحى سبحانه إلى موسى أن أسر بعبادي -سائرين في الليل كما قال تعالى ﴿ فأسر بعبادي ليلا إنكم مُّتَّبعون. ﴾ [الدخان ٢٣]- إنهم متبعون: من قبل فرعون وجنوده سيلاحقونهم ليردوهم. ٥٢

فأرسل فرعون في مدن مصر جامعين: للجنود. ٥٣

إن هؤلاء لجمع محتقر قليل: هكذا أخبر فرعون جنوده عن بني إسرائيل. ٥٤

وإنهم له لغائظون: خرجوا عن طاعته، وخرجوا بغير إذنه، وقيل استعاروا حليا من قومه ولم يردوها. ٥٥

وإنهم -هو وجنوده- لجميع مستعدون متيقظون: لبني إسرائيل، فهم بزعمه عدو للجميع. ٥٦

فأخرج الله فرعون وجنوده -من أرض مصر وما فيها- من بساتين مديدة الظل وعيون ماء جارية. ٥٧

وكنوز -طائلة- ومساكن ومجالس كريمة حسنة. ٥٨

مثل تلك النعم التي كانوا فيها في أرض مصر أورث الله بني إسرائيل نعما مماثلة: في أرض الشام. ٥٩

فأتبع فرعون وجنوده بني إسرائيل -ليلحقوهم، سائرين باتجاه المشرق- عند شروق الشمس. ٦٠

فلما تقابل الجمعان بحيث رأوا بعضهم أكد أصحاب موسى -في حزن- أنهم -حتما- مدركون. ٦١
نهاهم -عليه السلام- أن يخافوا- كلا! إن معه ربه بالعون والتأييد، سيهديه: سبحانه، إلى طريق نجاة. ٦٢
فأوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر -ففعل- فانفلق -البحر- فكان كل جزء منفصل مفروق -قيل صار فيه اثني عشر طريقا بعدد قبائل بني إسرائيل- كالجبل عظيم الحجم. ٦٣
وقرب الله إلى البحر الآخرين: اغتر فرعون ودخل فيما انشق من البحر، ودخل وراءه جنوده! ٦٤
فائدة! الطاغية تافه مغرور يأبى الاعتراف بحجمه، وجنوده ظلمة أغبياء ينفذون أوامره عميانا كالبهائم، فاستفيقوا عباد الله! لا تظنوا أن جنود الطواغيت ستأخذهم بكم رأفة، فعاملوهم بما استحقوا.

طُغاةٌ وَزْنُهُم صِفرٌ وعقلٌ ... كَسيحٌ جُندُهُم عُميٌ حَميرُ

وأنجى الله موسى ومن معه أجمعين: إذ مروا بسلام. ثم أغرق الله الآخرين: فغمرهم البحر. ٦٥ ٦٦
إن في ذلك -المذكور- لآية دالة على كمال قدرة الخالق، وما كان أكثرهم مؤمنين: قضاء الله. ٦٧
وإن ربك أيها النبي الكريم لهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العظيم الرحمة بالمؤمنين. ٦٨
واقرأ على الكفار خبر إبراهيم. حين سأل أباه وقومه -مستنكرا- ماذا يعبدون؟ ٦٩ ٧٠
أخبروه أن يعبدون أصناما، فيظلون لعبادتها مقيمين. ٧١
سألهم هل يسمعونهم حين يدعونهم؟ أو ينفعونهم -بوجه من الوجوه- أو -إذا لم يعبدوهم- يضرونهم؟
أجابوا: بل -الأمر أنهم- وجدوا أسلافهم مثل فعلهم ذلك يفعلون: فقلدوهم، ليس إلا! ٧٢ ~ ٧٤
سألهم فليخبروه: ما كانوا -من دون الله- يعبدون. هم وأسلافهم منذ القدم: هل تفكروا في كونها غير ذات قيمة؟ فإنهم -معبودات وعابدين- أعداء له -فهم باطل، وهو عدو لهم، فليضروه إن استطاعوا- إلا رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء: ليس عدوا، بل هو من يستحق العبادة. الذي -وحده دون سواه- خلقه -من عدم- فهو يوفقه ويرشده إلى ما فيه صلاح دنياه وآخرته. والذي -وإن أخذ عليه السلام بكل سبب فالحق أنه- هو -وحده دون سواه- يطعمه ويسقيه. وإذا مرض فهو يشفيه. ٧٥ ~ ٨٠
فائدة! التداوي -بالمباح دون المحرم- مباح كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه ﴿ تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم ﴾ [أبو داود ٣٨٥٥ ★ الترمذي ٢٠٣٨ ★ ابن ماجة ٣٤٣٦ ★ أحمد ١٨٤٥٤]، وهو غير واجب عند كثير من أهل العلم، ومن تكلف الطب بلا علم فعليه تعويض التلف كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ﴿ من تطبب ولا يعلم منه طب فهو ضامن. ﴾ [أبو داود ٤٥٨٦ ★ النسائي ٤٨٣٠ ★ ابن ماجة ٣٤٦٦].

تَداوَوا بالمُباحِ عِبادَ ربِّي ... ويَضمَنُ مَنْ تَطَبَّبَ إذْ يَجورُ

والذي -وحده دون سواه- يميته -إذا جاء أجله- ثم -للحساب- يحييه. والذي يطمع -عليه السلام- أن يغفر له أخطاءه -في الدنيا، لا يغفر غيره- يوم الدين: يوم القيامة، يوم يدين الله عباده ويحاسبهم. ٨١ ٨٢
من ثم دعا ربه أن يمنحه حكما -وحكمة وعلما- ويلحقه -في الجنة- بالصالحين. ٨٣

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾
قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ
ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾
وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾
قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ
يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ
بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ
تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ
إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ
يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي
يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ
يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ
سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ
لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ
يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ
إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي
ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا
ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ
أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتۡ
قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ
عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾

ويجعل له ثناء حسنا على ألسن العباد الذين يأتون بعده. **٨٤**
ويجعله من ورثة جنة النعيم الدائم: يرث منازلها مع أهلها. **٨٥**
ويغفر لأبيه، إنه كان -عن الحق- من الضالين: وكف حين تبين له شأنه كما قال تعالى ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن مَّوعدة وعدها إيَّاه فلما تبيَّن له أنه عدو لله تبرَّأ منه ﴾ [التوبة ١١٤]. **٨٦**
ولا يذله ولا يمتهنه يوم يبعثون: يوم القيامة، فيقيه الفضيحة والذل والعار والنار. **٨٧**
يوم -القيامة- لا ينفع مال -فلا تقبل فدية- ولا بنون: فلا يستطيع فرد أو جماعة دفع عذاب الله. **٨٨**
إلا من أتى الله بقلب سليم: خال من الشرك والشك، ينفعه مال أنفقه طاعة لله وأولاد دعوا له. **٨٩**
وقربت الجنة للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه: دخولها قريب. **٩٠**
وأظهرت الجحيم -فصارت بارزة- للممعنين في الضلال المنقادين للهوى. **٩١**
وسئلوا أين ما كانوا تعبدون: أين هم طواغيتكم؟ من دون الله -عبدتموهم في الدنيا، أيها الجهلة- هل ينصرونكم -اليوم- أو ينتصرون: بدفع عذاب الله عنكم؟ أو عن أنفسهم؟! **٩٢ ٩٣**
فألقوا فيها على بعض هم والممعنون في الضلال المنقادون للهوى: معبودات وعابدين. **٩٤**
وجنود إبليس -أعوانه وأتباعه من الجن والإنس- أجمعون: كذلك ألقوا في الجحيم. **٩٥**
أكد العابدون وهم في الجحيم -مع طواغيتهم- يختصمون. **٩٦**
مقسمين بالله العظيم إن كانوا لفي ضلال واضح عن الحق، لا يعرفون للرشاد سبيلا. **٩٧**
إذ يساوون طواغيتهم -في الدعاء والعبادة- برب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. **٩٨**
وما أضلهم عن الحق إلا -أسلافهم ورؤوسهم الأعيان- المجرمون مستحقو العقاب: الآن يقرون. **٩٩**
فما لهم من شافعين: مؤكدين أن ليس يشفع لهم اليوم عند الله أحد ليرحمهم من عذابه. **١٠٠**
ولا أصدقاء أقرباء ولا أقارب: وليس يدفع عنهم العذاب أحد، وليس ينفعهم أحد بشيء. **١٠١**
فلو أن لهم رجعة -إلى الدنيا: تمنوا متحسرين- فيكونوا من المؤمنين: هيهات! **١٠٢**
إن في ذلك -المذكور- لآية دالة على كمال قدرة الخالق، وما كان أكثرهم مؤمنين: قضاء الله. **١٠٣**
وإن ربك أيها النبي الكريم لهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العظيم الرحمة بالمؤمنين. **١٠٤**
كذبت قوم نوح المرسلين: فمن كذب أحدهم فقد كذبهم جميعا، فدعوتهم واحدة. **١٠٥**
حين سألهم أخوهم -في النسب- نوح ألا يتقون: فيؤمنوا بما جاءهم به من ربهم؟ **١٠٦**
أضاف أنه لهم رسول -من الله- أمين: فيما يبلغ عن ربه، لا يغير مما أوحي إليه شيئا. من ثم أمرهم فليتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويطيعوه ﷺ. وذكرهم أن ما يسألهم على دعوته أي ثواب، ما ثوابه إلا على رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. من ثم أمرهم -مجددا، لرأفته ﷺ بهم- فليتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويطيعوه فيما يأمرهم به. **١٠٧ ~ ١١٠**
سألوه -مستنكرين- أيطمئنون له ويصدقونه، واتبعه الأرذلون: ليس السادة، هذا يجعله أهلا لزعامة؟ **١١١**

سألهم وما علمه -وقد كلفه ربه بدعوتهم وليس بإحصاء أموالهم ولا أعمالهم!- بما كانوا يعملون؟ **١١٢**
إن حسابهم إلا على ربه -فهو العالم بنياتهم وبأفعالهم- لو تشعرون -أيها الكفار- بذلك لفهمتم. **١١٣**
وما هو بمبعد المؤمنين: حاشاه ﷺ، أكد لهم. ليس هو إلا نذير واضح للعصاة بالعقاب. **١١٤ ١١٥**
فائدة! لا تكفير بالعموم -بل بمكفر ظاهر- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه
﴿ إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال إن سريرته حسنة. ﴾ [البخاري **٢٦٤١**].

ومَنْ يُظهِرْ لنا خَيرًا نؤَمِّنْ ... سَريرَتُهُ يُحاسِبُها الخبيرُ

توعدوه: لئن لم تكف يا نوح -عن دعوة التوحيد وعيب آلهتنا- لترجمن: سبا، أو بالحجارة. **١١٦**
اشتكى -ﷺ- إلى ربه أن قومه كذبوه: وأصروا على تكذيبه، مستكبرين عن توحيد الله. **١١٧**
من ثم دعاه فليحكم فاصلا بينه وبينهم حكما فصلا -باتا نافذا- وينجيه ومن معه من المؤمنين. **١١٨**
فأنجاه الله ومن معه في السفينة الممتلئة المشحونة: بهم وبالدواب كما قال تعالى ﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفُلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التَّنُّور فاسلُك فيها من كلٍّ زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ﴾ [المؤمنون **٢٧**]. ثم أغرق الله بعد -إنجائهم- الباقين: من قومه. **١١٩ ١٢٠**
إن في ذلك -المذكور- لآية دالة على كمال قدرة الخالق، وما كان أكثرهم مؤمنين: قضاء الله. **١٢١**
وإن ربك أيها النبي الكريم لهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العظيم الرحمة بالمؤمنين. **١٢٢**
كذبت عاد المرسلين: فمن كذب أحدهم فقد كذبهم جميعا، فدعوتهم واحدة. **١٢٣**
حين سألهم أخوهم -في النسب- هود ألا يتقون: فيؤمنوا بما جاءهم به من ربهم؟ **١٢٤**
أضاف أنه لهم رسول -من الله- أمين: فيما يبلغ عن ربه، لا يغير مما أوحي إليه شيئا. من ثم أمرهم فليتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويطيعوه ﷺ. وذكرهم أن ما يسألهم على دعوته أي ثواب، ما ثوابه إلا على رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. **١٢٥ ~ ١٢٧**
سألهم -مستنكرا- أيبنون بكل مكان مرتفع بنيانا بارزا يعبثون: دون حاجة أو فائدة، بل وقد يضايقون المارة؟ ويتخذون قصورا وحصونا وأحواض ماء ضخمة، رجاء أن يخلدوا: فلا يتفكرون في الموت؟ وإذا بطشوا -وعذبوا غيرهم، ظلما- بطشوا -بكل شدة- جبارين متسلطين على عباد الله؟ **١٢٨ ~ ١٣٠**
من ثم أمرهم -مجددا، لرأفته ﷺ بهم- فليتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويطيعوه فيما يأمرهم به. ويتقوا -الله- الذي أمدهم بما يعلمون: من نعمه، فسبحانه قادر على سلبها منهم. أمدهم بأنعام -من إبل وبقر وغنم- وبنين. وبساتين مديدة الظل وعيون ماء جارية. من ثم أكد أنه يخاف عليهم -إن لم يطيعوه- عذاب يوم عظيم: القيامة، أو يوم فيه يهلكهم الله في الدنيا. **١٣١ ~ ١٣٥**
كانت إجابتهم أن سواء عليهم أوعظ أم لم يكن ممن يعظ: لن يرجعوا عما هم فيه. **١٣٦**

قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ
لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ
مُّبِينٞ ١١٥ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦ قَالَ رَبِّ
إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ
مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩
ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ١٢٠ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٢ كَذَّبَتۡ
عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ إِنِّي لَكُمۡ
رَسُولٌ أَمِينٞ ١٢٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٢٦ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٧ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩
وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ١٣٠ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٣١
وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣
وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٣٤ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣٥
قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَٰهُمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ
قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِىَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾
وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةًۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

ليس هذا -الذي هم فيه، أو الذي يدعوهم إليه- إلا عادات السابقين ودينهم. **١٣٧**

وما هم بمعذبين: من قبل ربهم على ما هم فيه من كفر وآثام وظلم وتجبر، زعموا. **١٣٨**

فكذبوه، فأهلكهم الله، إن في ذلك -المذكور- لآية دالة على كمال قدرة الخالق، وما كان أكثرهم مؤمنين: قضاء الله. **١٣٩**

وإن ربك أيها النبي الكريم لهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العظيم الرحمة بالمؤمنين. **١٤٠**

كذبت ثمود المرسلين: فمن كذب أحدهم فقد كذبهم جميعا، فدعوتهم واحدة. **١٤١**

حين سألهم أخوهم -في النسب- صالح ألا يتقون: فيؤمنوا بما جاءهم به من ربهم؟ **١٤٢**

أضاف أنه لهم رسول -من الله- أمين: فيما يبلغ عن ربه، لا يغير مما أوحي إليه شيئا. من ثم أمرهم فليتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويطيعوه عليه السلام. وذكرهم أن ما يسألهم على دعوته أي ثواب، ما ثوابه إلا على رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. **١٤٣ ~ ١٤٥**

سألهم -مستنكرا- أيتركون في ما -هم فيه من نعم- هاهنا آمنين: من الموت يظنون ذلك؟ في بساتين مديدة الظل وعيون ماء جارية؟ ومزروعات ونخل طلعها -أول ما يثمر منها- لين جيد النضج؟ وينحتون من الجبال -لتتخذ- بيوتا، فارهين: مهرة بنحتها يجعلونها حسنة يظنون أنها لا تنهدم؟ **١٤٦ ~ ١٤٩**

فائدة! ليحذر المسلم ارتياد آثار الأمم الكافرة -كالفراعنة وغيرهم، للعمل أو "للسياحة"- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم ما أصابهم ﴾ [البخاري **٣٣٨٠** * مسلم **٢٩٨٠** * أحمد **٤٥٦١**].

أطاغوتًا: تُرَوِّجُ للتَّرَدِّي؟ ... سياحَتُكُم نهى عنها النَّذيرُ!

من ثم أمرهم -مجددا، لرأفته عليه السلام بهم- فليتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويطيعوه فيما يأمرهم به. ولا يطيعوا أمر المسرفين متجاوزي الحدود. الذين يشيعون الفساد في الأرض -بالكفر وظلم العباد والتجبر واقتراف الآثام، عادة هم العتاة من رؤوس القوم- ولا يصلحون: بوجه من الوجوه. **١٥٠ ~ ١٥٢**

كانت إجابتهم أنما هو من -البشر- المصابين بالسحر مرارا، مرة تلو مرة. ما هو إلا بشر مثلهم -ليس مَلَكا ولا جنيا- من ثم اقترحوا فليأت بآية دالة على صدقه إن كان -فيما يدعي- من الصادقين. ذكر أن هذه ناقة -فاضلة شريفة من الله- لها شرب -نصيب من الماء- ولهم شرب -كل في- يوم محدد. ولا ينالوها بشيء سيئ أو يتعرضوا لها بأذى، فيأخذهم -إن فعلوا- عذاب يوم عظيم: قد حذرهم عليه السلام. فأصابوها بجرح قتلها، فأصبحوا -وقد أخبرهم عليه السلام بموعد عذابهم الحتمي كما قال تعالى ﴿ فعقروها فقال تمتّعوا في داركم ثلاثة أيام ﴾ [هود **٦٥**] على ما فعلوا- نادمين. **١٥٣ ~ ١٥٧**

فأخذهم العذاب -نازلا من الله- إن في ذلك -المذكور- لآية دالة على كمال قدرة الخالق، وما كان أكثرهم مؤمنين: قضاء الله. **١٥٨**

وإن ربك أيها النبي الكريم لهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العظيم الرحمة بالمؤمنين. **١٥٩**

كذبت قوم لوط المرسلين: فمن كذب أحدهم فقد كذبهم جميعا، فدعوتهم واحدة. ١٦٠
حين سألهم أخوهم -في النسب- لوط ألا يتقون: فيؤمنوا بما جاءهم به من ربهم؟ ١٦١
أضاف أنه لهم رسول -من الله- أمين: فيما يبلغ عن ربه، لا يغير مما أوحي إليه شيئا. من ثم أمرهم فليتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويطيعوه ﷺ. وذكرهم أن ما يسألهم على دعوته أي ثواب، ما ثوابه إلا على رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. ١٦٢ ~ ١٦٤
سألهم -مستنكرا- أيأتون الذكور -وبكثرة! في أدبارهم- من بني آدم؟ ويتركون ما خلق لهم ربهم من أزواجهم: النساء، والمحل الفطري للجماع وقضاء شهوتهم؟ من ثم أردف مؤكدا استنكاره عليهم: بل هم قوم عادون مجاوزون إلى ما لا يحل لهم. ١٦٥ ١٦٦
توعدوه: لئن لم تكف يا لوط -عن الإنكار علينا- لتخرجن: فأنت تتطهر، كما قال تعالى ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون. ﴾ [النمل ٥٦]! ١٦٧
أخبرهم أنه لعملهم -هذا: إتيان الذكور في أدبارهم، وما يقترفون من منكرات- من المبغضين. ١٦٨
دعا -ﷺ- ربه أن ينجيه هو وأهل بيته مما يعملون: من فاحشة، ومما سيصيبهم من عقاب. ١٦٩
فنجاه الله هو وأهل بيته أجمعين. إلا عجوزا -هي امرأته، كما قال تعالى ﴿ فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين. ﴾ [الأعراف ٨٣]، قد نالها ما نالهم لم ينجها سبحانه، بل ظلت- في الباقين مع قومها في عذاب الله. ثم دمر الله الآخرين: فهلكوا جميعا. وأمطر الله عليهم مطرا -غير معتاد، من حجارة، وقلب قريتهم كما قال تعالى ﴿ فجعلنا عاليَها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سِجِّيل. ﴾ [الحِجر ٧٤]- فبئس المطر مطر المنذرين عقاب الله ولم يرجعوا عن غيهم. ١٧٠ ~ ١٧٣
إن في ذلك -المذكور- لآية دالة على كمال قدرة الخالق، وما كان أكثرهم مؤمنين: قضاء الله. ١٧٤
وإن ربك أيها النبي الكريم لهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العظيم الرحمة بالمؤمنين. ١٧٥
كذب أهل القرية ذات الشجر الملتف -مديَن- المرسلين: فمن كذب أحدهم فقد كذبهم جميعا، فدعوتهم واحدة. ١٧٦
حين سألهم شعيب ألا يتقون: فيؤمنوا بما جاءهم به من ربهم؟ ١٧٧
أضاف أنه لهم رسول -من الله- أمين: فيما يبلغ عن ربه، لا يغير مما أوحي إليه شيئا. من ثم أمرهم فليتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويطيعوه ﷺ. وذكرهم أن ما يسألهم على دعوته أي ثواب، ما ثوابه إلا على رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. ١٧٨ ~ ١٨٠
أمرهم أن يستقيموا في أخذ وإعطاء، ولا يكونوا من المخسرين: المتسببين في الخسارة لغيرهم، ومن جملتها "القيمة المضافة"، فكيف بمن فرضها على الحج؟! ويعدلوا. ولا يظلموا الناس بأخذ مكوس ولا يحتالوا عليهم، ولا ينقصوا من قيم سلع غيرهم بتعييب أو تزهيد أو غير ذلك، ولا يسعوا في الأرض بتخريب وإفساد وصد للناس عن دين الله، ولا يمشوا بالكفر مجاهرين، للمعصية ناشرين. ١٨١ ~ ١٨٣

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا
تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ
ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ
ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ
عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً
أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ
ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ
فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

ومن ثم أمرهم -مجددا، لرأفته ﷺ بهم- فليتقوا -الله- الذي خلقهم -هم- والخلائق السابقين: فهو قادر على إهلاكهم كما أهلك من قبلهم من أمم مكذبة، ألا يرون ذلك؟ **١٨٤**

كانت إجابتهم أنما هو من -البشر- المصابين بالسحر مرارا، مرة تلو مرة. وما هو إلا بشر مثلهم -ليس مَلَكا ولا جنيا- وإن يظنونه لمن الكاذبين -ليس إلا، حاشاه- فيما يخبرهم به. من ثم تحدوه فليسقط عليهم قطعا -من العذاب- من السماء إن كان -فيما يدعي- من الصادقين. **١٨٥ ~ ١٨٧**

أجابهم -متوعدا- بأن ربه أعلم بما يعملون، وسيجازيهم به. **١٨٨**

فكذبوه، فأخذهم عذاب يوم الظلة -نازلا من الله، فيه أهلكهم جميعا وهم تحت سحابة أظلتهم، قيل أسقطت عليهم نارا- إنه كان عذاب يوم عظيم. **١٨٩**

إن في ذلك -المذكور- لآية دالة على كمال قدرة الخالق، وما كان أكثرهم مؤمنين: قضاء الله. **١٩٠**

وإن ربك أيها النبي الكريم لهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العظيم الرحمة بالمؤمنين. **١٩١**

وإنه -القرآن- لتنزيل رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. نزل به الروح الأمين: المَلَك جبريل ﷺ، بأمره سبحانه. على قلبك أيها النبي الكريم، لتكون من المنذرين للعصاة بالعقاب. بلسان عربي واضح. **١٩٢ ~ ١٩٥**

وإنه -القرآن، وصفة من أنزل عليه ﷺ- لفي كتب السابقين السماوية كما قال تعالى ﴿ الرسول النبي الأمِّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الأعراف ١٥٧]. **١٩٦**

أولم يكن لأهل الكفر المعاصرين له ﷺ آية دالة على صدقه أن يعلم صفته وصدق كتابه علماء بني إسرائيل: كعبد الله بن سلام ﷺ وغيره ممن آمن من علماء أهل الكتاب؟ **١٩٧**

ولو نزل الله القرآن على أحد الأعاجم: غير فصيحي اللسان. **١٩٨**

فقرأه -الأعجمي- عليهم ما صار أهل الكفر هؤلاء به مؤمنين: رغم استحالة أن يأتي أعجمي بكلام عربي على هذا القدر من الفصاحة والبلاغة من عند نفسه، فهو من عند الله قطعا. **١٩٩**

مثلما أنفذ التكذيب والتعنت في قلوب أهل الكفر السابقين الهالكين أنفذه الله في قلوب -أهل الكفر المعاصرين- المجرمين مستحقي العقاب. **٢٠٠**

لا يؤمن المجرمون مستحقو العقاب بما جاءهم من الله -تعنتا- حتى يعاينوا العذاب الأليم. **٢٠١**

فيأتيهم -العذاب الأليم- على غرة دون مقدمات، وهم لا يشعرون بذلك ولا يترقبونه. **٢٠٢**

فيتساءلوا -متحسرين- هل هم ممهلون: أيعطيهم الله فرصة ليتوبوا ويؤمنوا؟ **٢٠٣**

أفبعذاب الله يستعجل هؤلاء الكفار كما قال تعالى ﴿ وإذ قالوا اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴾ [الأنفال ٣٢]؟ **٢٠٤**

أفرأيت -أيها الإنسان- وتأملت إن متعهم الله -بما أنعم عليهم- سنين: طويلة، فاغتروا بذلك. **٢٠٥**

ثم جاءهم ما كانوا يوعدون: به من عذاب. **٢٠٦**

ماذا نفعهم ما كانوا يمتعون -به من نعم حين جاء العذاب- وماذا أغنى عنهم؟ **٢٠٧**
وما أهلك الله من قرية -من القرى الظالمة- إلا لها منذرون: إذ يبعث الله رسولا ينذر العصاة من أهلها بالعقاب قبل أن يهلكهم كما قال تعالى ﴿ وما كنَّا مُعَذِّبين حتى نبعث رسولا ﴾ [الإسراء ١٥]. **٢٠٨**
تذكرة جسيمة -هذا الإنذار- وما كان الله ظالما سبحانه: أرسل رسله فأقام الحجة قبل إهلاكهم. **٢٠٩**
وما تنزلت بالقرآن الشياطين. وما ينبغي لهم -ذلك- ولا يليق بهم حالا، وما يستطيعونه. **٢١٠ ٢١١**
إنهم عن -استراق- السمع -خلسة من السماء- لمعزولون: إذ تلحقهم شهب ترجمهم إن حاولوا كما قال تعالى ﴿ إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين. ﴾ [الحِجر ١٨]. **٢١٢**
فلا تدعُ أو تعبد أيها النبي الكريم مع الله إلها آخر -حاشاك، ولا أحد من أمتك- فتكون -إن فعلت- من المعذبين. وأنذر عشيرتك الأقرب فالأقرب: مجاهرا بدعوة التوحيد، لئلا ينالهم عقاب، حتى تبلغ الجميع كما قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ [سبإ ٢٨]. وتواضع لمن اتبعك من المؤمنين وكن رفيقا بهم. فإن عصوك فأكد -زاجرا، ليتوبوا- أنك بريء مما يعملون: وليس منهم. واعتمد على -الله- العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العظيم الرحمة بالمؤمنين. الذي يراك حين تقوم: مصليا، ولا سيما في الليل. وتقلبك -مؤديا أركان الصلاة- في عداد الساجدين: ومتفقدا أحوال المؤمنين. إنه هو السميع لكافة ما يقول عباده، العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. **٢١٣ ~ ٢٢٠**
هل أخبركم -أيها الكفار- على من تنزل الشياطين: الذين زعمتم أنهم يتنزلون بالقرآن؟ تنزل على كل بشع الكذب كثير الإثم: ومن جملتهم الكهنة والسحرة. يلقون السمع وأكثرهم كاذبون: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ إن الملائكة تنزل في العنان -وهو السحاب- فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتسمعه، فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم. ﴾ [البخاري **٣٢١٠** ★ مسلم **٢٢٢٨** ★ أحمد **٢٤٥٧٠**]. **٢٢١ ~ ٢٢٣**
والشعراء -الذين زعمتم أن النبي ﷺ منهم، حاشاه- يتبعهم الممعنون في الضلال المنقادون للهوى. ألم ينته علمك -أيها الإنسان- أنهم في كل واد يسيرون بلا قصد: فيمدحون تارة ويهجون طورا، وفي كل باطل وهراء ولا طائل من ورائه يتوغلون مندفعين؟ وأنهم يقولون ما لا يفعلون: فينسبون إلى أنفسهم ما ليس فيهم من شجاعة وإقدام وفحولة وغير ذلك؟ **٢٢٤ ~ ٢٢٦**
إلا الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة، وأكثروا من ذكر الله ودعائه، وانتصروا من بعد ما جرى ظلمهم -فهجوا من هجاهم، أو كافحوا الطواغيت وأذنابهم أو أهل البدع، أو نافحوا عن السنة والجهاد وأهلهما ونحو ذلك كما ورد عن النبي ﷺ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ﴿ إن الله عز وجل قد أنزل في الشعر ما أنزل، فقال: إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده، لكأن ما ترمونهم به نضح النبل. ﴾ [أحمد **٢٧١٧٤**]- وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم أو غيرهم أي معاد يعودون: إليه سبحانه، ليجازي كلا بما قدم، أيطمع هؤلاء في الانفكاك من عقابه؟! **٢٢٧**

مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا
مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ
وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾
فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾
وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾
وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾
هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ
أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ
بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمۡلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ
لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ
هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ
يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ
ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ إِذۡ قَالَ
مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ
لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا
وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩
وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ
يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ
حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ
بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا
فَٰسِقِينَ ١٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣

★ سورة النمل ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]، تلك -سورة من- آيات القرآن، وكتاب -منزل- واضح ألفاظه ومعانيه مبين لتوحيد الله وعظيم قدرته: فتأمل. ١

هداية -القرآن، ومعه السنة- من الضلال وبشرى للمؤمنين -العاملين به- بما ينتظرهم من نعيم. ٢

الذين يؤدون الصلاة ويظهرون هيئتها ويديمونها بشروطها، ويخرجون الزكاة الواجبة في أموالهم، وهم بالآخرة -بالبعث، بغير افتراء على الله- هم يصدقون تصديقا تاما جازما لا يتخلله أدنى ريب. ٣

إن الذين لا يؤمنون بالآخرة -بالبعث إيمانا لا افتراء فيه على الله- زين الله لهم أعمالهم -ولا سيما ما هو شر محض منها، فعموا عن الحق- فهم يتخبطون: لا عقول لهم يفرقون بها بين حق وباطل. ٤

هؤلاء الذين لهم أسوأ العذاب -في الدنيا بالقتل والجرح والأسر وسبي النساء والذراري وضياع الأموال، وذلك حين يقوم المؤمنون بما فرض الله عليهم ويجاهدوا نصرة لدينه كما قال تعالى ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويُخزهم وينصركم عليهم ويَشف صدور قوم مؤمنين. ﴾ [التوبة ١٤]- وهم في الآخرة هم الأشد خسرانا: وأي خيبة أعظم من الحرمان من الجنة بل ودخول النار؟ ٥

وإنك أيها النبي الكريم لتلقى القرآن -فتتعلمه من المَلَك جبريل ﷺ إذ جاءك به- من عند حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه -سبحانه، هو أحكمه- عليم بحال عباده وبما يصلح شؤونهم، دنيا وآخرة. ٦

اذكر حين أخبر موسى أهل بيته أنه أبصر -في سفرهم- نارا: سيأتيهم ممن عندها بخبر -يرشدهم إلى الطريق- أو يأتيهم بشعلة مضيئة كالشهاب رجاء أن يستدفئوا. ٧

فلما جاء النار نودي أن جعل من -طلب ما- في النار -موسى ﷺ- ومن حولها -من ملائكة- كثيري النفع والخير، وتنزه الله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء وتقدس عن كل ما لا يليق به. ٨

"يا موسى": جرى مناداته -من قبل الله- باسمه، أخبره إنه -من يكلمه- هو الله العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٩

وأمره يلق عصاه، فلما رآها تهتز كأنها ثعبان سريع خفيف تنحى مغادرا ولم يرجع، طمئن موسى ألا يخاف، إنه -سبحانه- لا -ينبغي أن- يخاف عنده المرسلون: خاصة عند زيادة القرب منه. ١٠

إلا من ظلم -نفسه بما يسخط الله، وليس يفعله مرسل- ثم تاب وأقلع عما فعل فإن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين: كذلك هذا لا يخاف، إنما يخاف الذي يظلم ثم لا يتوب. ١١

وأمره يدخل يده في فتحة قميصه -إن يفعل- تخرج بيضاء -تتلألأ نورا- من غير عيب ولا برص -هذه قد أرسله الله بها- ضمن تسع آيات -معجزات، قيل هي عصاه ويده ولسانه، والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وشق البحر- إلى فرعون وقومه، إنهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله. ١٢

فلما جاءتهم آيات الله مضيئة -لا لبس فيها- زعموا أن هذا سحر واضح. ١٣

وجحدوا بها -فأنكروها- واستيقنتها أنفسهم -فلم يساورهم أدنى شك أنها من الله- ظلما وتكبرا -على الحق وأهله- فتأمل أيها النبي الكريم -كذلك أمتك- كيف كان مصير المفسدين: بوار. **١٤**

ولقد أعطى الله داود وسليمان علما -كثيرا واسعا- وأثنيا على الله الذي فضلهما -بالنبوة والعلم والحكم والفهم والملك- على كثير من عباده المؤمنين. **١٥**

فائدة! العلم بالدين من أعظم نعم الله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ﴿ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ﴾ [البخاري ٧١ * مسلم ١٠٣٧ * الترمذي ٢٦٤٥ * ابن ماجة ٢٢١ * أحمد ١٦٨٣٤]، ولنشره عظيم نفع كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له. ﴾ [مسلم ١٦٣١ * أبو داود ٢٨٨٠ * الترمذي ١٣٧٦ * النسائي ٣٦٥١ * ابن ماجة ٢٤٢ * أحمد ٨٨٤٤].

وإنْ يُرِدِ العَليُّ بنا ارتقاءً ... يُفَقِّهْنا، فبالدِّينِ استَنيروا

وورث سليمان داود -علما ونبوة ليس مالا أو حرفة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ إنا معشر الأنبياء لا نورث ﴾ [أحمد ٩٩٧٢]- وأخبر -سليمان عليه السلام- الناس أن علم عليه السلام فهم ما به تنطق الطير، وأعطي عليه السلام من كل شيء -مما يعطى الأنبياء والملوك- إن هذا لهو الفضل الواضح. **١٦**

وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير، فهم يردون مجتمعين في نظام أولهم إلى آخرهم. **١٧**

حتى إذا أتوا على واد النمل -مارين به- نصحت نملة بقية النمل أن يدخلوا مساكنهم -وقاية، حتى- لا يحطمنهم سليمان وجنوده وهم لا -بوجودهم- يشعرون: خطأ، وإلا فلن يقتلوهم عبثا بغير حق. **١٨**

فتبسم -سليمان عليه السلام، متعجبا من فطنتها- ضاحكا مما ذكرت، ودعا ربه أن يرده إلى إلهام أن يشكر نعمته التي أنعم عليه -أنه لا يقتل كائنا عبثا- وعلى والديه، وأن يعمل صالحا يرضاه -سبحانه، فيوفقه إلى عمل ما يتقبله منه- ويدخله برحمته -في الآخرة- في عداد عباده الصالحين. **١٩**

فائدة! الإنعام على الوالدين -خاصة إن كانا من الصالحين- إنعام على أولادهما.

أفاضَ عليهما نِعَمًا وهذا ... على الأبناءِ فضلٌ يا شَكورُ

وتفقد الطير -مراقبا أحوالها، عليه السلام- فتساءل ما يمنعه أن يرى الهدهد -هل هناك شيء يستره عنه؟- أم كان من الغائبين؟ **٢٠**

أقسم ليعذبنه عذابا شديدا، أو ليذبحنه، أو ليأتينه ببرهان واضح الدلالة: يفسر به غيابه. **٢١**

فائدة! قوة الشخصية هي كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب. ﴾ [البخاري ٦١١٤ * مسلم ٢٦٠٩ * أحمد ٧٢١٩].

شَديدٌ مَنْ تَمالَكَ نفسَهُ لا ... يُعاجِلُ بالعذابِ ولا يَثورُ

فمكث -الهدهد في غيابه زمنا- غير بعيد -لم يطل غيابه- فذكر -لسليمان عليه السلام- أن اطلع على ما لم يطلع -عليه السلام- عليه، وجاءه من سبإ -مملكة باليمن- بخبر حق متيقن لا شك فيه. **٢٢**

وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ
وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥﴾
وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ
ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾
وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ
يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ
لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ
أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ
صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ
مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ
أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا
عَرۡشٌ عَظِيمٞ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ (٢٦) ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ (٢٧) ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا
فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ (٢٨) قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ (٣١)
قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ
تَشۡهَدُونِ (٣٢) قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ
إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ (٣٣) قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً
أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ (٣٤)
وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ (٣٥)

أضاف أنه وجد امرأة -قيل اسمها بلقيس- تملكهم -فهي الملكة الحاكمة- وأعطيت من كل شيء -مما يحتاج ملوك عصرها- ولها عرش -سرير ملك تدير من فوقه شؤون الحكم، هائل- عظيم. **٢٣**

وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وزين لهم الشيطان أعمالهم فاستحسنوا خداعه لهم، فصدهم عن الطريق القويم -التوحيد والإسلام- فهم لا يهتدون إلى الحق. **٢٤**

ألا يسجدوا لله -وحده دون سواه- الذي يخرج المخبأ في السماوات والأرض -من مطر ونبات ومعادن وغير ذلك- ويعلم ما تخفون -أيها الناس- وما تظهرون من أقوال وأعمال: ذلك هو ما زينه لهم. **٢٥**

لا معبود بحق سوى الله، رب العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- العظيم. **٢٦**

أكد أن سينظر ﷺ -فيما روى الهدهد- أصدق؟ أم كان من الكاذبين فيما يخبره به؟ **٢٧**

أمره أن يذهب -مجددا- بكتابه هذا -الذي كتبه ﷺ- فيلقيه إليهم، ثم يعرض عنهم متنحيا، فيتأمل ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من آراء وما يرددون. **٢٨**

فائدة! الحذر من الكفار واجب كما قال تعالى ﴿ وخُذوا حِذركم ﴾ [النساء ١٠٢]، والتجسس على الحربيين منهم مشروع كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ﴿ من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب؟ قال الزبير: أنا ﴾ [البخاري ٢٨٤٦ * مسلم ٢٤١٥ * الترمذي ٣٧٤٥ * ابن ماجة ١٢٢ * أحمد ١٤٩٣٦]، والحربيون هم من ليس بيننا وبينهم عهد ولا أمان ولا ذمة، وتأشيرات وأختام دخول من يحكم بغير شرع الله ليست أمانا ومعاهداتهم لا اعتبار لها، كما أن "المواطنة" ليست ذمة كما قال تعالى ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين. ما لكم كيف تحكمون. ﴾ [القلم ٣٥ ٣٦].

تَجسُّسُنا على الكفَّارِ ماضٍ ... لِنأْخُذْ حِذرَنا أَمْرَ البصيرُ

خاطبت ملكة سبإ -بعد أن ألقى الهدهد الكتاب إليهم- الرؤوس الأعيان -من قومها- ذاكرة أنها ألقي إليها كتاب كريم: رسالة من ملك عظيم، افتتحها بتسمية الله لا بتسمية نفسه. **٢٩**

إنه -كتاب- من سليمان، وإنه -يبدأ بتسمية الله- "بسم الله الرحمن الرحيم". **٣٠**

آمرا ألا يتكبروا عليه -ﷺ- ويأتوه مسلمين -لما يدعوهم إليه من توحيد الله- منقادين. **٣١**

من ثم سألت الرؤوس الأعيان -من قومها- أن يفتوها -فيشيروا عليها- في أمرها: ماذا تفعل؟ مؤكدة أن ما كانت مبرمة أمرا ولا قاطعة رأيا -فلن تتخذ قرارا- حتى يشهدوا مجلسها: فيحضروه. **٣٢**

أجابوها بأنهم أهل قوة وأهل شدة شديدة -في الحرب- والأمر إليها -فهي متخذة القرار- فلتتأمل الأمر وبما تريد تأمر: فبحسب ظنهم هم قادرون على إنفاذ قرارها، أيًّا كانت تبعاته. **٣٣**

أخبرتهم أن الملوك إذا دخلوا قرية -ولا سيما عنوة- أفسدوها -قتلا وأسرا وسبيا وتهجيرا وتخريبا وسلبا ونهبا- وجعلوا أعزة أهلها -السادة الأشراف- أذلة مهانين -فلن تنتظر إذًا حتى ترى جيش سليمان ﷺ على مشارف سبإ يغزوها!- ومثل ذلك الفعل الذي ذكرت يفعل الملوك: قد أصابت فيما ذكرت. **٣٤**

وأضافت أنها مرسلة إلى سليمان ﷺ وقومه بهدية -تختبرهم بها- فمنتظرة رجوع رسلها بجوابهم. **٣٥**

فلما جاء -رسول ملكة سبإ ومن معه من المرسلين بالهدية- سليمان سألهم -مستنكرا- أيمدونه بمال: ليثنوه عن دعوتهم إلى توحيد الله؟ كيف ذلك؟ فما أعطاه الله -من نبوة وعلم وملك- خير مما أعطاهم وأفضل، بل هم -وأمثالهم- بما يهدون -ويهدى إليهم من حطام زائل يراءون، وبه- يفرحون. ٣٦

أمر أن يرجع -رسول ملكة سبإ- إلى من أرسلوه، فليأتينهم عليه السلام بجنود لا طاقة لهم بقتالها، وليخرجنهم عليه السلام من أرضهم أذلة مهانين، وأكد مشددا: وهم أذلة -على الاستسلام له- مجبرون. ٣٧

سأل الرؤوس الأعيان -من أهل ملكه- أيهم -يستطيع أن- يأتيه بعرش ملكة سبإ -سرير ملكها- قبل أن تأتيه مع قومها -قيل بلغه خبر مسيرهم- مسلمين -لما يدعوهم إليه من توحيد الله- منقادين؟ ٣٨

أجابه مارد شديد من الجن بأنه -قادر على أن- يأتيه به قبل أن يقوم من مجلسه، وأكد أنه عليه قوي -يستطيع حمله- أمين: يحفظه وما به من جواهر وأحجار كريمة وأشياء نفيسة. ٣٩

أجابه الذي عنده علم من الكتاب -قيل هو المَلَك جبريل عليه السلام، وقيل هو رجل عرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وقيل هو سليمان عليه السلام مخاطبا مارد الجن لما استبطأ أن يأتيه به قبل أن يقوم من مجلسه- بأنه -قادر على أن- يأتيه به قبل أن ترمش عينه، فلما رآه مستقرا -حاضرا- عنده أقر بأن هذا من فضل ربه -عليه عليه السلام- ليبلوه -سبحانه، مختبرا إياه- أيشكر أم يكفر؟ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه -فالنفع له كما قال تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنَّكم ﴾ [إبراهيم ٧]- ومن كفر -لم يشكر نعم الله- فإن ربه غني عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه، كريم يزيد من شكر ولا يحرم من كفر. ٤٠

أمر أن يغيروا لملكة سبإ عرشها إلى حال تنكره إذا رأته -حين ينفذون أمره- ينظر عليه السلام -فيظهر له جليا مقدار رجاحة عقلها- أتهتدي -إلى معرفته- أم تكون من -ضعاف العقل- الذين لا يهتدون؟ ٤١

فلما جاءت سئلت أمثل هذا عرشها؟ أجابت بأن كأنه هو -ليس مثله تماما لأن به شيء من التغيير، وليس غيره لأنها فيما يبدو عرفته- وأكد -عليه السلام، شاكرا ربه- أن أعطي عليه السلام العلم -بقدرة الله، وبمجيئها من سبإ إليه- من قبلها -رغم رجاحة عقلها- وكان عليه السلام مسلما -لله- منقادا عليه السلام: وكفى بها نعمة. ٤٢

وصدها -عن الحق، رغم رجاحة عقلها- ما كانت تعبد من دون الله، إنها كانت من قوم كافرين. ٤٣

فائدة! معرفة مقدار رجاحة عقل المرء يساعد على التعامل معه بما يناسبه، لكن رجاحة عقل الكافر ليست كافية لهدايته، فالبقاء في بيئة كافرة وتقليد ما نشأ عليه يصعب الأمر، لذلك يجب أن يظهر أهل الإسلام تفوقهم ليهدموا استعلاء الكافر، مشددين أن التوحيد أصل وليس رأيا يقبل الاختلاف.

رَجاحَةُ عقلِكُم يا أهلَ كُفرٍ ... ضلالٌ إنْ تَفَوَّقتُم خطيرُ

جرى دعوة ملكة سبإ أن تدخل الصرح -بلاط الملك- فلما رأته ظنته ماء عميقا، وكشفت عن ساقيها -لئلا تبتل ملابسها- أخبرها -سليمان عليه السلام، أو من يصاحبها من حاشيته- أنه صرح مصنوع من زجاج أملس -شفاف، مقام فوق الماء- أقرت ملكة سبإ بأنها -بعدم توحيد الله- ظلمت نفسها، وأسلمت مع سليمان وانقادت لله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. ٤٤

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم
بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾
قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ
وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠
ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ
قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا
عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا
وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن
قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ
وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ
إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ
فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ
بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ
تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ
عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ
تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾
قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ
مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ
مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ
ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾

ولقد أرسل الله إلى ثمود أخاهم -في النسب- صالحا -داعيا- أن اعبدوا الله -وحده- فإذا هم -فجأة- فريقان يختصمون: انقسموا بين مؤمن وكافر، كل يزعم أنه المحق، وقد فرقتهم دعوة التوحيد. **٤٥**

سأل -كفار- قومه -غير آبه بحدوث "شرخ مجتمعي"! فقد كانوا مجتمعين على الشرك، ففرقهم ﷺ بالتوحيد- لماذا يستعجلون بالعقوبة المهلكة قبل إيمان من آمن منهم وقبل استكمال مدتهم في الدنيا وإحسان الله إليهم بالسلامة فيها؟ هلا يطلبون المغفرة من الله، رجاء أن يدركوا رحمة ربهم فيفوزوا؟ **٤٦**

أخبروه أن -حقا- تشاءموا به وبمن -آمن- معه -قيل قحطوا فرعموه بسببهم- أكد أن شؤمهم -بسبب كفرهم، من- عند الله، بل -ليس الأمر إلا أنما- هم قوم يفتنون: يختبرهم الله، كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يَضَّرَّعون. ﴾ [الأعراف ٩٤]. **٤٧**

وكان في مدينة ثمود -الحِجر- تسعة رجال -رؤوس عشائر، عتاة- يشيعون الفساد في الأرض -بالكفر وظلم العباد والتجبر واقتراف الآثام- ولا يصلحون: بوجه من الوجوه. **٤٨**

اقترحوا أن يؤكدوا ما اتفقوا عليه بالقسم بالله: ليقتلن صالحا ﷺ وأهل بيته ليلا، ثم ليخبرن أولياء دمه أن ما حضروا مهلك أهل بيته -فليس لهم علم بالأمر- وأنهم -يقينا، فيما يخبرونهم به- صادقون. **٤٩**

ومكروا مكرا -شديدا، مجتهدين في تآمرهم عليه ﷺ- ومكر سبحانه مكرا -شديدا، بهم جزاء على تآمرهم، فاستدرجهم فغرقوا في ضلالهم- وهم لا يشعرون بذلك ولا يترقبونه. **٥٠**

فتأمل أيها النبي الكريم -كذلك أمتك- كيف كان مصير -المتآمرين بسبب- مكرهم، أن الله دمرهم سبحانه وقومهم أجمعين: فالرضا بالمنكر مشاركة فيه، ولما لم ينكر قومهم أفعالهم عمهم العقاب. **٥١**

فتلك بيوتهم خاوية -ها هي: خالية من أهلها بعد أن هلكوا جميعا- بسبب ظلمهم أنفسهم ببقائهم على الكفر بل والاستغراق فيه وغيرهم بالصد عن الإيمان ورسولهم بالتآمر عليه وعلى أهل بيته، إن في ذلك لآية دالة على كمال قدرة الخالق ليعلمها أناس فينتفعوا وينفعوا. **٥٢**

وأنجى الله الذين آمنوا وكانوا يتقون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه: صالحا ﷺ وأتباعه. **٥٣**

ولوطا اذكره أيها النبي الكريم حين سأل قومه -مستنكرا متقززا- أيأتون الفاحشة، وهم يبصرون: شناعة وقبح ما يفعلون، كذلك يبصر بعضهم بعضا وهم يفعلونها؟ **٥٤**

فائدة! المجاهرة بالإثم حالقة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه. ﴾ [البخاري ٦٠٦٩ ★ مسلم ٢٩٩٠]، ومن جملة المجاهرة بالإثم التدخين في العلن، وظهور الرجل حالقا لحيته.

بآثامٍ يُجاهِرُ أهلُ جَهلٍ ... وهلْ يَعفو عَنِ الحَمقى القديرُ؟

أنهم ليأتون الرجال -في أدبارهم- شهوة -يشتهونهم- من دون النساء: متجاوزين حلائلهم والمحل الفطري للجماع، أي قذارة تلك؟ من ثم أنكر عليهم: بل هم قوم يجهلون أن عاقبة فعلهم هلاك. **٥٥**

فما كان جواب قومه إلا أن اقترحوا -مفارقين الحق، ساخرين من أهله- أن يخرجوا أهل بيت لوط من قريتهم، إنهم أناس يتطهرون من الأقذار ويتنزهون عن الإتيان في الأدبار: لا يليق إذًا مساكنتهم! **٥٦**
فأنجاه الله هو وأهل بيته، إلا امرأته قدرها الله من الباقين مع قومها في عذابه. **٥٧**
وأمطر الله عليهم مطرا -غير معتاد، من حجارة، وقلب قريتهم كما قال تعالى ﴿ فجعلنا عالِيَها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سِجِّيل. ﴾ [الحِجر ٧٤]- فبئس المطر مطر المنذرين عقاب الله ولم يرجعوا عن غيهم. **٥٨**
أثن على الله أيها النبي الكريم -لإهلاكه الكفار- وسلام -ألقه- على عباده الذين اصطفى -من أنبياء وصديقين وشهداء وصالحين، وبلغ أمتك التي اصطفى سبحانه فهي أفضل الأمم حين تأتي بالخصال التي تستحق بها الخيرية كما قال تعالى ﴿ كنتم خير أمَّة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهَون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران ١١٠] بسلام منه وأمان من عذاب كالذي أدرك من كذبوا مرسليه، وسل المشركين- آلله -وحده لا شريك له- خير وأفضل، أما -لا يضر ولا ينفع مما به- يشركون؟! **٥٩**
سلهم: أمن خلق السماوات والأرض، وأنزل لهم من السماء مطرا، فأنبت سبحانه به حدائق لها منظر حسن مبهجة، ما كان لهم -لعجزهم- أن ينبتوا شجرها: ولا كانوا ليستطيعوا ذلك أبدا، أليس توحيده واجبا؟ أإله -فعل شيئا من ذلك- مع الله؟! بل هم قوم يسوون غير الله به ويميلون عن الحق. **٦٠**
سلهم: أمن جعل الأرض ثابتة يمكن الاستقرار عليها، وجعل خلالها أنهارا -تجري بمياه عذبة ينتفع بها الخلق- وجعل لها جبالا تثبتها كالأوتاد كما قال تعالى ﴿ والجبال أوتادا. ﴾ [النبإ ٧]، وجعل بين نوعي الماء -عند مصب النهر العذب في البحر المالح- حاجزا: حائلا لا يسمح بامتزاج ماءيهما كما قال تعالى ﴿ وهو الذي مَرَجَ البحرَين هذا عذب فرات وهذا مِلح أُجاج وجعل بينهما برزخا وحِجرا محجورا. ﴾ [الفرقان ٥٣]، أليس توحيده واجبا؟ أإله -فعل شيئا من ذلك- مع الله؟! بل أكثرهم لا يعلمون قدر ربهم كما قال تعالى ﴿ ما قدَروا الله حق قدره إنَّ الله لقوي عزيز. ﴾ [الحج ٧٤]. **٦١**
سلهم: أمن يجيب المضطر -المكروب- إذا دعاه -مؤمنا كان أو كافرا، طالما دعاه وحده دون سواه: مخلصا- ويرفع -إن شاء- السوء -وما حل به من ضرر- ويجعلكم خلفاء الأرض: تخلفون أيها الناس بعضكم بعضا فيها وتعمرون الأرض، أليس توحيده واجبا؟ أإله -فعل شيئا من ذلك- مع الله؟! قليلا ما تذكرون: لذا فضلتم الباطل على الحق. **٦٢**
فائدة! يجيب الله دعوة المكروب المشرك طالما دعاه وحده دون سواه، وإن مات مشركا فإلى النار.

يُجيبُ اللهُ مُضطَرًّا دَعاهُ ... فأخلِصْ نيَّةً تُقضَ الأمورُ

سلهم: أمن يهديهم في ظلمات البر والبحر -حينما تلتبس عليهم المسالك أو يواجهون شدائد- ومن يرسل الرياح مبشرات بالمطر الذي هو رحمة منه: أليس توحيده واجبا؟ أإله -فعل شيئا من ذلك- مع الله؟! تباعد الله وارتفع عما يشرك الخلق به. **٦٣**

۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ
لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦ فَأَنجَيۡنَٰهُ
وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٥٧ وَأَمۡطَرۡنَا
عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٥٨ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩
أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن
تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠
أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ
لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ
بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا
دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ
أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي
ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ
رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٣

أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ
أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤ قُل
لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ
أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي
شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا
كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا
نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨
قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٦٩
وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ٧٠
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٧١ قُلۡ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ٧٢ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٧٣ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٤ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ
فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٧٥ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦

سلهم: أمن يوجد الخلق ابتداء -ثم يميته- ثم -حيا، هو القادر أن- يعيده، ومن يرزقهم من السماء -بالمطر- والأرض: بالنبات والمعادن والركاز مما دفن أهل الجاهلية من أموال، أليس توحيده واجبا؟ أإله -فعل شيئا من ذلك- مع الله؟! سلهم أن يأتوا ببرهانهم -على صحة ما ادعوا- إن كانوا صادقين في زعمهم أن لله سبحانه شريك. ٦٤

أخبرهم أن لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب -كائنا من كان- إلا الله -استأثر بعلمه وهو مستو على عرشه- وما يشعرون -ولا يعلم مخلوق فيهما- متى يبعثون: للحساب كما قال تعالى ﴿ يسألونك عن الساعة أيَّان مُرساها قل إنما علمها عند ربي لا يُجلِّيها لوقتها إلا هو ﴾ [الأعراف ١٨٧]. ٦٥

فائدة! استأثر الله بعلم الغيب، فمن زعم معرفة شيء منه -كالكهنة والسحرة ونحوهما- فقد أتى كفرا.

أبِالغَيبِ ادَّعى السَّحَّارُ عِلمًا؟ ... أتى كُفرًا، أأَخبَرَهُ الخبيرُ؟!

بل تلاحق علمهم في الآخرة -فأدركوا أنها الحق لما عاينوها كما قال تعالى ﴿ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المُرسَلون. ﴾ [يس ٥٢]، ولا ينفعهم حينئذ علم- بل هم في شك منها -في الدنيا، لا يؤمنون بالبعث- بل هم منها عمي البصائر والقلوب. ٦٦

وتساءل الذين كفروا -مستنكرين- أئذا صاروا ترابا وأسلافهم -قد بليت أجسادهم- أئنهم -من قبورهم أحياء، للحساب- لمخرجون؟ ٦٧

لقد وعدوا هذا -البعث- هم وأسلافهم من قبل -بزعمهم- إن هذا إلا أباطيل الأمم السابقة. ٦٨

أخبرهم أيها النبي الكريم -إن كانوا مرتابين- أن يتجولوا في الأرض فيتأملوا كيف كان مصير المجرمين مستحقي العقاب. ٦٩

ولا تحزن على تكذيبهم ولا على من مات كافرا، ولا يضيقن صدرك بما يعملون من مكر وتآمر. ٧٠

ويسأل المشركون النبي ﷺ والمؤمنين -مستنكرين متهكمين- متى هذا الوعد -بالبعث والحساب ثم الجنة أو النار كما تزعمون، أخبرونا- إن كنتم صادقين؟ ٧١

أجبهم بأن لعله يكون دنا لهم واقترب منهم بعض الذي يستعجلون: القتل يوم بدر، وعذاب القبر. ٧٢

وإن ربك لذو فضل واسع على الناس، ولكن أكثرهم لا يشكرونه على ما تفضل به عليهم. ٧٣

وإن ربك ليعلم ما هو مكنون في صدورهم -كائن لكنهم يخفونه- وما يظهرون من أقوال وأعمال. ٧٤

وما من شيء غائب ولا أمر يغيب عن الخلق في السماء والأرض إلا واضحا في اللوح المحفوظ كما قال تعالى ﴿ وما يَعزُب عن ربك من مِثقال ذَرَّة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ [يونس ٦١]. ٧٥

إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون: إذ زعمت كل طائفة منهم أن ليس على دين صحيح سواها كما قال تعالى ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهُم يتلون الكتاب ﴾ [البقرة ١١٣]، فيأتي القرآن بالإسلام، دين الحق. ٧٦

وإنه -القرآن- لهداية من الضلال ورحمة للمؤمنين: به وبالسنة. ٧٧
إن ربك أيها النبي الكريم يقضي بينهم -مؤمنهم وكافرهم- بحكمه -العدل، فيجازي كلا بما قدم يوم القيامة- وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العليم الذي لا يخفى عليه شيء. ٧٨
فاعتمد على الله وحده في جميع أحوالك، إنك على الحق الواضح: لا لبس فيه. ٧٩
إنك أيها النبي الكريم لا تسمع الموتى -في قبورهم، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ عن ابن عمر أن النبي ﷺ وقف على قليب بدر فقال: هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ قال: إنهم ليسمعون الآن ما أقول لهم، فذكر ذلك لعائشة فقالت: وهل ابن عمر، إنما قال رسول الله ﷺ: إنهم الآن يعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق ثم قرأت قوله ﴿ إنك لا تُسمِع الموتى ﴾ حتى قرأت الآية. ﴾ [البخاري ٣٩٨٠ و٣٩٨١ * مسلم ٩٣٢ * النسائي ٢٠٧٦ * أحمد ٤٨٦٤]، ولا من ماتت قلوبهم فصاروا بمثابة الموتى- ولا تسمع الصم -إذ لا يسمعون سماع وعي وفهم وانتفاع- الدعاء -الذي ينذرهم- إذا تنحوا مغادرين: إذ أن ذلك كفر إعراض. ٨٠
وما أنت بمرشد العمي أبدا -وقد فقدوا البصر والبصيرة- ولا مخرجهم من ضلالهم، لست تسمع إلا من يؤمن بآيات الله -مصدقين بالقرآن- فهم مسلمون -لله- منقادون. ٨١
وإذا حق ووجب السخط عليهم -قبيل القيامة، لإصرارهم على الكفر- أخرج الله لهم كائن يدب من الأرض يكلمهم أن الناس كانوا بآياته سبحانه لا يصدقون تصديقا تاما جازما لا يتخلله ريب: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ بادروا بالأعمال ستا: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم. ﴾ [مسلم ٢٩٤٧ * أحمد ٨٣٠٣]. ٨٢
واذكر أيها النبي الكريم يوم -القيامة، حين- يجمع سبحانه من كل أمة فوجا -من سادتهم وكبرائهم- ممن يكذب بآيات الله، فهم يردون مجتمعين في نظام أولهم إلى آخرهم. ٨٣
حتى إذا جاءوا سألهم -موبخا مقرعا- أكذبوا بآياته -الدالة على توحيده، ألم يتدبروها؟- ولم يفهموا ما اشتملت عليه: ليعرفوا صدق ما أخبرت به مما حدث، بل ومما سيحدث؟ أماذا كانوا يعملون؟! ٨٤
وحق ووجب السخط عليهم بسبب ظلمهم أنفسهم بالكفر، فهم لا ينطقون: إذ لا حجة لهم. ٨٥
ألم يعلموا -حكمته- أن الله جعل سبحانه الليل ليسكنوا فيه -فيستريحوا- والنهار -لسعيهم وعملهم- مضيئا؟ إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لقوم يؤمنون بالله استدلالا بما يشاهدون. ٨٦
واذكر أيها النبي الكريم يوم -القيامة، حين- ينفخ في الصور كما قال تعالى ﴿ ونُفخ في الصور فصَعِق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ﴾ [الزُّمَر ٦٨]، ففزع من في السماوات ومن في الأرض، إلا من شاء الله -ألا يفزع- وكل أتوه ذليلين. ٨٧
ويرى الرائي الجبال -يومئذ- يظنها جامدة -ساكنة ثابتة- وهي -في الواقع- تتحرك مسرعة كالسحاب، صنع الله الذي أتقن كل شيء، إنه خبير بجميع أفعالكم لا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم بها. ٨٨

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم
بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٨ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى
ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن
تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٨١ * وَإِذَا وَقَعَ
ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ
ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ
فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ٨٣ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ
أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨٤
وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ٨٥ أَلَمۡ
يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٨٦ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ
دَٰخِرِينَ ٨٧ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ
صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا
مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي
حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾
وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ
وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَص

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ
طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

من جاء -من المؤمنين، يوم القيامة- بالعمل الحسن فله -من الثواب- خير مما جاء به وأفضل -كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عَشر أمثالها ﴾ [الأنعام ١٦٠]- وهم من فزع يومئذ آمنون. **٨٩**

ومن جاء بالعمل السيئ -ولا سيما الشرك- فجرى إلقاؤهم على وجوههم في النار، هل تجزون -أيها المسيئون- إلا بحسب ما كنتم -في الدنيا، من كفر وآثام- تعملون؟ **٩٠**

إنما أمرت أيها النبي الكريم أن تعبد رب هذه البلدة -مكة- الذي حرمها -فهي حرم فيها بيته الحرام، ولا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا تحل لقطتها، ولا يروع صيدها، ولا يقطع شجرها، ولا يحش حشيشها، فما بال أقوام قد حكموها يروعون خلق الله فيها؟- وله -سبحانه- كل شيء: خلقا وملكا وتدبيرا، وأمرت -من قبل الله- أن تكون من المسلمين -لله- المنقادين: أخبر الخلق بذلك. **٩١**

وأن تقرأ القرآن -وتداوم على قراءته، وتدعو الخلق به- فمن اهتدى وآمن فإنما النفع له، ومن ضل وكفر فأخبر الخلق أنما أنت من المنذرين للعصاة بالعقاب: إذ ليس عليك إلا أن تذكر الخلق، وليس عليك هداية أحد كما قال تعالى ﴿ ليس عليك هُداهم ولكنَّ الله يهدي من يشاء ﴾ [البقرة ٢٧٢]. **٩٢**

وأثن على الله -لإنعامه عليك، وعلى الخلق بإرسالك- سيريهم آياته فيعرفونها -كونية وعقلية: دالة على صدق آيات قرآنه كما قال تعالى ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق ﴾ [فُصِّلَت ٥٣]، أتعتبرون أيها الخلق؟- وما ربك بغافل عما تعملون من خير وشر، وسيجازيكم به. **٩٣**

★ سورة القَصص ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. **١**

تلك آيات الكتاب -المنزل- الواضح ألفاظه ومعانيه المبين للحلال والحرام. **٢**

يقرأ سبحانه عليك أيها النبي الكريم من خبر موسى وفرعون بالحق والصدق الذي لا مراء فيه لقوم -به وبالسنة- يؤمنون. **٣**

إن فرعون علا في أرض مصر -فطغى فيها، وبلغ منه الاستكبار مبلغا عظيما، حتى زعم التافه أنه إله كما قال تعالى ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ [القَصص ٣٨]- وجعل أهلها فرقا -متباينة الآراء والأهواء- يستضعف طائفة منهم -بني إسرائيل قوم موسى، وقد كان يعذبهم- يداوم على ذبح الذكور من أبنائهم واستبقاء إناثهم أحياء ليخدمنه، إنه كان من المفسدين. **٤**

فائدة! دأب الطغاة ومعاونيهم التفريق بين الناس، ليسهل السيطرة على كل طائفة على حدة.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ أجهِزَةَ الطُّغاةِ ... تُفَرِّقُ وِحدَةً وبِذا تُديرُ؟

ويريد الله أن ينعم سبحانه ويتفضل على الذين استضعفوا في أرض مصر، ويجعلهم الله أئمة -يقتدي بهم عباد الله في الخير- ويجعلهم الله الوارثين: لأرض الشام التي بارك فيها كما قال تعالى ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعَفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ﴾ [الأعراف ١٣٧]. **٥**

ويجعل الله مكانا لهم وسلطانا في الأرض، ويري الله فرعون وهامان -وزيره- وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون: نبوءة زوال ملك فرعون على يد مولود ذكر من بني إسرائيل، فكانوا يقتلونهم رضعا لتبطل. ٦

فائدة! أعوان الطواغيت -من أكبر وزير إلى أصغر جندي- منهم: يحذرون ما يحذر أسيادهم الطواغيت ويدفعون عنهم، وإن زعموا أنهم "مأمورون، يؤدون عملهم وفق القانون"، ألا فلنعامل كلا بما يستحق!

طَواغِيتُ الخَنى والجُندُ سِيًّا ... كِيَانٌ واحِدٌ ظُلمًا يَدورُ

فائدة! إذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه وأتى به شيئا فشيئا: ليس دفعة واحدة، فليعتبر أصحاب العقول.

يُهَيِّئُ إنْ أرادَ اللهُ شَيئًا ... مِنَ الأسبابِ فاعتَبِروا وسِيروا

وألهم الله أم موسى -أو أرسل مرسلا يخبرها، ولم تصر من الأنبياء بذلك- أن ترضعه، فإذا خافت عليه -الذبح، بأمر فرعون- فلتلقه في الماء -قيل في النيل، في صندوق كما قال تعالى ﴿ أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليمِّ فليُلقِهِ اليمُّ بالساحل ﴾ [طه ٣٩]- ولا تخف -فلن يصيبه مكروه- ولا تحزن -لفراقه- إن الله راده سبحانه إليها، وجاعله سبحانه من المرسلين. ٧

فعثر عليه وأخذه أهل فرعون وأتباعه -بالساحل، بعد أن ألقته- ليكون لهم -في قابل الأيام، كما شاء الله- عدوا وجالبا للحزن -يزيل ملكهم- إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين متعمدي الخطأ. ٨

ونصحت امرأة فرعون أن قرة عين تطيب نفسها ونفس فرعون -به- لا يقتلوا الرضيع، لعله ينفعهم -في القيام ببعض الشؤون- أو يتخذونه ولدا -يتبنونه- وهم لا يشعرون بأن زوال ملك فرعون على يده. ٩

وأصبح قلب أم موسى -المتوقد- فارغا -من كل شيء، إلا من شأن ابنها- إن كادت لتبدي بما ألم بها، لولا أن ربط الله على قلبها -بجعله قوي محتسب لتثبت- لتكون من المؤمنين: كاملي الإيمان، المصدقين بوعوده سبحانه لأبدت بما ألم بها. ١٠

فائدة! من أعظم ما يزيد الإيمان الصبر في الشدائد، وتثبيت الله حينئذ من أعظم نعمه على عباده.

مَليكي في الشَّدائدِ لا تَذَرني ... وثَبِّتني بصبرٍ لا يَخورُ

وأمرت أخته أن تتبع أثره -عليه السلام-، باحثة عن أخباره- فأبصرته -مشتاقة، مستترة- عن بعد -لئلا يكشف أمرها- وهم -من أخذوه: فرعون وقومه- لا يشعرون أن أخته تتبع أثره. ١١

فائدة! يجوز استخدام الحيل المشروعة لتفادي ظلم الظلمة.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ أباحَ ... لنا معَ ظالمٍ حيَلًا تُجيرُ؟

وجعل الله موسى عليه السلام لا يقبل الرضاعة من النساء من قبل -أن تبصره أخته- فاقترحت -أخته على من أخذوه- أن تدلهم على أهل بيت يضمنونه ويقومون بكفالته لهم، وهم له ناصحون: عليه حريصون. ١٢

فرده الله إلى أمه كي تقر عينها وتطيب نفسها -بابنها- ولا تحزن، ولتعلم -يقينا- أن وعد الله -وها هي قد رأت بعضه يتحقق، ليزيد إيمانها وتوقن أن ما لم يأت منه بعد، وهو جعل ابنها من المرسلين- حق صادق واقع، ولكن أكثرهم -خلق غافل، ومن جملتهم أهل فرعون وأتباعه- لا يعلمون ذلك. ١٣

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ
أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ
أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾
* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ
فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ
مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ
يَـٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ
إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ
ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ
إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

ولما اكتمل عقله وقوته وتم نضوجه أعطاه سبحانه حكما -وحكمة- وعلما -بالدين- ومثل ذلك الجزاء يجزي الله المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. **١٤**

ودخل -موسى ﷺ- إحدى مدن مصر في وقت غفلة لا ينتشر فيه أهلها، فوجد فيها رجلين يتعاركان، أحدهما من شيعته -الذين شايعوه على دينه: بني إسرائيل- والآخر من أعدائه -في الدين: القبط قوم فرعون- فطلب منه الذي من شيعته الغوث -ناصرا ومعينا- على الذي من أعدائه، فضربه موسى بيده دافعا فقضى عليه -غير متعمد قتل القبطي- أقر -فلم يكن بعد مأمورا بقتال الكفار- أن هذا من عمل الشيطان، إنه عدو مضل ظاهر العداوة لا يريد إلا إضلال الإنسان والوصول به إلى عذاب الله. **١٥**

من ثم خاطب ربه -نادما على الخطأ غير المتعمد- أنه ظلم نفسه بقتل من لم يؤمر بقتله، فطلب منه المغفرة، فغفر له، إنه هو الواسع والدائم المغفرة، العظيم الرحمة بالمستغفرين. **١٦**

فائدة! لم يكن موسى ﷺ حين ندم على قتل القبطي خطأ مأمورا بقتال الكفار، أما نحن فمأمورون بقتالهم، ومن جملتهم اليهود والنصارى كما قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يد وهُم صاغرون. ﴾ [التوبة ٢٩]، لكن يجب اعتبار المصالح والمفاسد قبل قتال غير معصومي الدم.

قِتالُ الكافِرينَ لهُ أعِدُّوا ... وتُعتَبرُ المَصالحُ والشُّرورُ

أردف مخاطبا ربه -واعدا إياه، داعيا أن يعينه- أن بسبب ما أنعم عليه -به من حكمة، وعلم بالدين- فلن يكون ظهيرا للمجرمين مستحقي العقاب معينا لهم. **١٧**

فأصبح في المدينة خائفا يترقب -مترصدا ما يحدث- فإذا بالذي طلب منه النصرة بالأمس -فجأة- يطلب منه صارخا الغوث -مجددا، على قبطي آخر!- أخبر موسى أحد الرجلين إنه لممعن في ضلال منقاد للهوى واضح ظلمه: إن كان يخاطب الإسرائيلي فلأنه تسبب في مقتل رجل بالأمس ثم اليوم يريد منه مواجهة آخر، وإن كان يخاطب القبطي فربما رآه مستبدا مستفزا يغري الناس أن يؤذوه. **١٨**

فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو له وللإسرائيلي -في الدين: القبطي، ويضربه دافعا شره- سأله -أحد الرجلين، مستنكرا- يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس؟ إن كان السائل القبطي فربما لأنه استشف لفرط قوته ﷺ أنه هو القاتل، وإن كان السائل الإسرائيلي فربما ظن عندما قال ﷺ ﴿ إنك لَغَويٌّ مبين ﴾ أنه سوف يضربه هو، من ثم اتهم موسى ﷺ أن ليس يريد إلا أن يكون جبارا متسلطا على عباد الله في أرضه، وما يريد أن يكون من -المغيرين للفساد- المصلحين. **١٩**

وجاء رجل -ربما- من -قاطني أو أهل- أقصى المدينة مسرعا، أخبر موسى أن الرؤوس الأعيان -من القبط إذ عرفوا القاتل- يتشاورون فيه ليقتلوه فليخرج، مؤكدا أنه له من الناصحين: الحريصين عليه. **٢٠**

فخرج من مصر خائفا يترقب -مترصدا ما يحدث- من ثم دعا ربه أن ينجيه من القوم -قبط مصر: قوم فرعون- الظالمين. **٢١**

ولما توجه قاصدا مديَن رجا ربه أن يوفقه ويرشده -بلطفه- إلى الطريق الأصوب إليها. **٢٢**
فائدة! الخوف من بطش الظلمة وفرار المؤمن منهم لا ينافي الإيمان، وارتكاب مفسدة -كالخروج غير مستعد في طريق أو إلى مكان لا يعرفه- أولى من البقاء والتعرض للفتنة في الدين أو النفس أو العرض.

نَفِرُّ بِدِينِنا مِنْ أهلِ كُفرٍ ... نُعِدُّ لهمْ، وعَودَتُنا مصيرُ

ولما ورد ماء مديَن -فوصل إلى البئر الذي يستقي منه أهلها- وجد عليه جماعة -كبيرة- من الناس يسقون -مواشيهم- ووجد من دونهم -في موضع أسفل منهم- امرأتين تحبسان -أغنامهما عن الماء- سألهما ما خطبهما: وشأنهما الذي جاء بهما؟ أجابتا بأن عادتهما ألا تسقيا حتى ينصرف الرعاة -عن الماء، حذرا من مخالطة الرجال أو مزاحمتهم- وأبوهما -لا يستطيع أن يسقي، فهو- شيخ كبير. **٢٣**
فائدة! اختلاط الجنسين في الدراسة والعمل يؤدي لمفاسد جمة، وسد الطرق المؤدية للفساد واجب.

ذُكورٌ يَدرُسونَ ويَعمَلونَ ... فَزَجُّوا بالإناثِ! فذاكَ بُورُ

فسقى لهما -عليه السلام- ما معهما من أغنام- ثم أعرض متنحيا إلى الظل -ليستريح فيه- فدعا ربه أنه لما أنزل -سبحانه- إليه من خير -أي خير كان، محتاج إليه- فقير. **٢٤**
فجاءته إحداهما تمشي في حياء، أخبرته أن أباها يدعوه ليجزيه ثوابا على سقيه لهم، فلما جاءه وقص عليه القصص -الذي كان- طمأنه ألا يخاف: نجا من القوم -قبط مصر: قوم فرعون- الظالمين. **٢٥**
فائدة! حياء المؤمنة يمنعها من السفور والتبرج والاختلاط بالرجال، ويحملها على الاحتشام، فهو ليس إلا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ والحياء شعبة من الإيمان ﴾ [البخاري **٩** ★ مسلم **٣٥** ★ أبو داود **٤٦٧٦** ★ الترمذي **٢٦١٥** ★ النسائي **٥٠٠٤** ★ ابن ماجة **٥٧** ★ أحمد **٩٣٦١**].

حَياءُ الأُختِ يَمنعُها سُفورًا ... أَتَختَلِطُ العَفيفَةُ؟ لا تَجوروا!

اقترحت إحداهما على أبيها أن يستأجره، إن خير وأفضل من استأجر القوي -بدنا- الأمين: ذمة. **٢٦**
أخبره أبوهما -ولا دليل أنه شعيب عليه السلام- أنه يريد أن يزوجه إحدى ابنتيه هاتين -الماثلتين أمامه- على أن يكون أجيرا له ثماني سنين -مهرا لها- فإن أتمم عشرا -من السنين، أجيرا له- فهذا -تفضل- من عنده -غير ملزم- وأكد أن ما يريد أن يشق عليه -بإلزامه إتمام العشر، بل- سيجده -موسى عليه السلام- إن شاء الله -في أمره كله- من الصالحين: الذين يخشون الله ويحسنون معاملة عباده ويوفون بالعهود. **٢٧**
فائدة! يجوز أن يعرض ولي النكاح المرأة على الرجل، ويجوز أن يكون المهر منفعة، كالعمل في البناء وقيادة المركبات وغير ذلك من الأعمال.

وَلِيٌّ جازَ أنْ يَسعى لِزَوجٍ ... وجازَ صَداقُها نَفعًا يَميرُ

أكد -عليه السلام- أن ذلك -الذي ذكر أبوهما- بينه -قد رضيه موسى عليه السلام- وبين أبيهما -قد اتفق الطرفان وتعاقدا عليه- مؤكدا أن أيًّا من الأجلين قضى -أجيرا له، ثماني سنين كانوا أو عشرا- فلا عدوان عليه -لا يطالبه بعد ذلك بزيادة- وذكره -مشهدا الله- أن الله على ما اتفقا عليه قائم رقيب حفيظ. **٢٨**

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ
مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا
تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾
قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ
وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم
مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٢٩﴾
فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ
ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ
إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ
بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ
فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ
كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا
فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا
فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

فلما قضى موسى الأجل -عشرا، كما جاء على لسان سعيد بن جبير ﴿ سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى، قلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل. ﴾ [البخاري ٢٦٨٤]- وسار بأهل بيته -مسافرا- أبصر من جانب -جبل- الطور نارا، أمر أهل بيته ألا يتحركوا: إنه أبصر نارا، رجاء أن يأتيهم ممن عندها بخبر -يرشدهم إلى الطريق- أو جمرة ملتهبة من النار رجاء أن يستدفئوا. **٢٩**
فلما أتى النار نودي من طرف الواد الأيمن -بالنسبة إليه ﷺ- في الموقع كثير النفع والخير -لتكليم الله له فيه- من -ناحية- الشجرة أن "يا موسى": جرى مناداته -من قبل الله- باسمه، أخبره أنه -من يكلمه- هو الله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. **٣٠**
وأمره أن يلقي عصاه، فلما رآها تهتز كأنها ثعبان سريع خفيف تنحى مغادرا ولم يرجع، طمئن موسى أن يقبل ولا يخاف، إنه من الآمنين: لا ينبغي أن يخاف بين يديه مرسلوه مما يخافه غيرهم. **٣١**
أمره ينفذ يده في فتحة قميصه -إن يفعل- تخرج بيضاء -تتلألأ نورا- من غير عيب ولا برص، ويضمم إليه جنبه -بيده، ليهدأ- من الرهبة، فهذان -العصا واليد- برهانان من ربه -على صدق ما سيأمره أن يذهب به- إلى فرعون ورؤوسه الأعيان -من أهل ملكه، وبقية القوم فمن عداهم تبع لهم- إنهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله. **٣٢**
فائدة! من الجهاد أنواع كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم. ﴾ [أبو داود ٢٥٠٤ * النسائي ٣٠٩٦ * أحمد ١٢٢٤٦]، أما أفضله فهو كما ورد عنه ﷺ من حديث طارق بن شهاب رضي الله عنه ﴿ أن رجلا سأل النبي ﷺ، وقد وضع رجله في الغرز: أي الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند سلطان جائر. ﴾ [النسائي ٤٢٠٩ * أحمد ١٨٨٣٠].
مواجَهةُ الطَّواغيتِ السَّكارى ... جِهادٌ بِاللِّسانِ لهُ الجَسورُ
أجاب -ﷺ- ربه بأنه قتل منهم نفسا -خطأ: القبطي الذي دفعه فمات- فيخاف أن يقتلوه بها. **٣٣**
وأخوه هارون هو أكثر منه فصاحة وأبين كلاما، من ثم سأله فليجعله رسولا معه، معينا مؤازرا، يصدقه ويوافقه -فيما سيدعو إليه فرعون ورؤوسه الأعيان من أهل ملكه- إنه يخاف أن يكذبوه. **٣٤**
فائدة! فصاحة اللسان من أهم أسلحة الدعاة وأهل الإصلاح.
فَصاحَةُ أهلِ إصلاحٍ سِلاحٌ ... بِهِ نَدعو الجَميعَ لِيَستَنيروا
أخبره أن سيقوي سبحانه جانبه بأخيه، ويجعل الله لهما برهانا -وتسلطا على فرعون ومن والاه، فيتمكنا من الدعوة، بالحجة- فلا يصلون إليهما -بسوء، ولا يصلون أبدا إلى غلبتهما بالحجة ولا يستطيعون- بسبب آياته سبحانه -التي أرسلهما بها- هما ومن اتبعهما -مهتديا بهديهما من أمتهما- الغالبون. **٣٥**
فائدة! الدعاة وأهل الإصلاح يحتاجون إلى المؤازرة أحيانا.
ويَحتاجُ الدُّعاةُ على الثُّغورِ ... مؤازَرَةً تُعينُ فَهُم شُذورُ

فلما جاءهم موسى بآيات الله -المعجزة: العصا واليد، ظاهرة الدلالة، يستحيل أن تكون من عند غير الله- مبينة للحق كانت إجابتهم أن ما هذا -الذي به جاءهم- إلا سحر -على خالق الخلق- مفترى، وما سمعوا بمثل هذا -الذي ادعاه موسى عليه السلام- في آبائهم وأسلافهم. ٣٦

وأخبرهم موسى -متوعدا- أن ربه أعلم بمن جاء بالهداية من عنده -هو وأخاه عليهما السلام، جاءا بتوحيد الله- ومن تكون له الغلبة والاستمرارية في الدنيا ثم الجنة في الآخرة، إنه لا نجاة ولا فوز للظالمين. ٣٧

وخاطب فرعون الرؤوس الأعيان -من قومه- زاعما أن ما علم لهم أي إله -مشرع لهم يطيعوه- غيره، من ثم أمر هامان فليوقد له على الطين -فيجعله طوبا- فيجعل له صرحا -بناء عاليا- رجاء أن -يصعد عليه- ينظر إلى إله موسى! وأكد أنه -حقا- يظنه -عليه السلام، حاشاه- من الكاذبين فيما يخبرهم به. ٣٨

فائدة! دأب الطغاة عند فقدان الحجة الاستخفاف بعقول أتباعهم، وكثير منهم -لفسقهم- يطيعونهم كما قال تعالى ﴿ فاستخفَّ قومَه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين. ﴾ [الزخرف ٥٤]، وقد زاد تأثيرهم مع انتشار وسائل الإعلام ومن يعمل بها من السفهاء والسفيهات المتبرجات أعوان الطواغيت كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ إنها ستأتي على الناس سنون خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: السفيه يتكلم في أمر العامة. ﴾ [ابن ماجة ٤٠٣٦ * أحمد ٧٩١٢].

رُوَيبِضَةٌ بِطاغوتٍ يُنادي ... فَيَخدَعَ فاسقًا، أينَ الضَّميرُ؟

واستكبر فرعون وجنوده في أرض مصر -عن توحيد الله- بغير الحق -فكذبوا بآياته سبحانه التي جاءتهم جميعها لم يؤمنوا، ظلما وعنادا ليس جهلا كما قال تعالى ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعُلُوًّا ﴾ [النمل ١٤]- وظنوا أنهم إليه سبحانه لا يرجعون: وحده في الآخرة، ليجازيهم أتم الجزاء. ٣٩

فأخذ الله فرعون وجنوده -بعذابه- فطرحهم -الملائكة، بأمر- الله في الماء -فغرقوا جميعا- فتأمل أيها النبي الكريم -كذلك أمتك- كيف كان مصير الظالمين لأنفسهم ولغيرهم. ٤٠

وجعلهم الله أئمة -يقتدي بهم من يأتي بعدهم من الطواغيت في الكفر والظلم والاستكبار، والجهل والحماقة!- يدعون إلى النار -بما اشتهر بين الناس من أخبار طغيانهم وتكبرهم وتفاهتهم، فهل أعجب ممن يطلقون على أنفسهم مفتخرين فراعنة؟!- ويوم القيامة -من عذاب الله- لا ينصرون. ٤١

وأتبعهم الله في هذه الدنيا طردا من رحمته -ألحقه بهم لا يفارقهم، وفي البرزخ حالهم كما قال تعالى ﴿ النار يُعرضون عليها غُدُوًّا وعَشِيًّا ﴾ [غافر ٤٦]- ويوم القيامة هم من المذمومين الممقوتين: يدخلون أشد العذاب كما قال تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر ٤٦]. ٤٢

ولقد أعطى الله موسى التوراة من بعد ما أهلك سبحانه الأمم المتتالية السابقة -كعاد وثمود وغيرهما، حين كذبت أنبياءها- بينة ساطعة للناس -التوراة- وهداية من الضلال ورحمة لأهلها، رجاء أن يتذكروا ما أمر به وما نهى عنه، فلا يتجاوزوا الحدود. ٤٣

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ
مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦
وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن
تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧
وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ
غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ
أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨
وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ
أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ
فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠
وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
لَا يُنصَرُونَ ٤١ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ
وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا
مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ
رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ
لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ
مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾
قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ
هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

وما كنت أيها النبي الكريم بجانب الجبل -أو الوادي- الغربي حين قضى الله إلى موسى الأمر -فارضا ومحكما رسالته- وما كنت من الشاهدين: على ذلك حاضرا له، إذًا إخبارك به وحي من الله، إذ أنك لا تعلم من غيب الله إلا ما أطلعك سبحانه عليه كما قال تعالى ﴿ عالِم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدا. إلا من ارتضى من رسول ﴾ [الجن ٢٦ ٢٧]. ٤٤

ولكن الله أوجد سبحانه أمما متتالية -بين موسى ﷺ والنبي ﷺ- فتباعد عليهم الزمان وتمادى -حتى نسوا العهد بالإيمان بالنبي الخاتم- وما كنت مقيما في أهل مدين تقرأ عليهم آيات الله -فتتعلم منهم وتعلم ذلك الأمر- ولكن الله كان سبحانه مرسلا -إياك- سبحانه: إذًا إخبارك به وحي من الله. ٤٥

فائدة! ينطمس العلم بتباعد الزمان، فتظهر بدعٌ وشركيات، لكن الله يقيد لأمتنا من يجدد لها دينها.

وَيَطفو بِانطِماسِ العِلمِ شِركٌ ... وجَدَّدَ دِينَنا ربٌّ شَكورُ

وما كنت بجانب -جبل- الطور حين نادى الله -وكلم موسى ﷺ، إذًا إخبارك به وحي من الله- ولكن رحمة من ربك -بعثك بالقرآن، للخلق أجمعين كما قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين. ﴾ [الأنبياء ١٠٧]- لتنذر قوما -أهل مكة ثم بقية العرب- ما أتاهم أي نذير بالعقاب من قبلك -تفضلا من الله، ولو عاجلهم بعقوبة في الدنيا لما كان ظالما، إذ بلغتهم نذارة إبراهيم ﷺ بل وبلغهم بعض شعائر الحج، فأشرك معظمهم رغم وجود من أقام عليهم حجة ولم يعبد وثنا كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما- رجاء أن يتذكروا ما أمر به وما نهى عنه، فلا يتجاوزوا الحدود. ٤٦

ولولا أن تصيبهم مصيبة -تهلكهم- بسبب ما اقترفت أيديهم -من كفر وآثام- فيتحججوا -يوم القيامة- ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين؟ لعاجلهم الله بعقوبة مهلكة في الدنيا. ٤٧

فلما جاءهم الحق -على لسان رسول- من عند الله تحججوا -بعد أن استشار المشركون اليهود- هلا أعطي مثل ما أعطي موسى: معجزات كالعصا واليد؟ أولم يكفروا بما أعطي موسى من قبل: أليس من أرسل إليهم موسى كفروا بما جاءهم به هو وأخيه كما قال تعالى ﴿ قالوا أجئتنا لتلفتنا عمَّا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين. ﴾ [يونس ٧٨]؟ زعموا -موسى وهارون ﷺ حاشاهما- سحران تعاونا -عليه، ليقوي سحر كل منهما الآخر- وزعموا أنهم بكل كافرون؟ ٤٨

تحداهم أيها النبي الكريم: فليأتوا بكتاب -منزل- من عند الله، هو أهدى -إلى الحق- منهما -التوراة التي أعطاهما الله كما قال تعالى ﴿ وآتيناهما الكتاب المُستبين. ﴾ [الصافات ١١٧]، والقرآن الذي نزله إليك- تتبعه، إن كانوا صادقين في زعمهم أنما يريدون تحري الحق والتثبت من صدقك. ٤٩

فإن لم يستجيبوا لك -واستمروا يكذبونك مع عجزهم عن الإتيان بكتاب أهدى إلى الحق من القرآن والتوراة- فاعلم -يقينا- أنما يتبعون أهواءهم -فليس مرادهم تحري الحق ولا التثبت منه كما يزعمون- ومن أضل -وأجهل- ممن اتبع هواه -فظل على ضلاله- بغير هداية -ولا برهان على أن ما يفعل- من الله؟ إن الله لا يوفق ولا يرشد القوم الظالمين لأنفسهم بالإصرار على الكفر. ٥٠

ولقد وصل الله لليهود والمشركين القول -وتابعه، بإنزال القرآن منجما مفرقا، متواصلا يعظ ويقص على العباد من أخبار الأمم الهالكة- رجاء أن يتذكروا ما أمر به وما نهى عنه، فلا يتجاوزوا الحدود. **٥١**

الذين أعطاهم الله الكتب من قبل القرآن -وثبتوا على ما في كتبهم من تعاليم لم يبدلوا، كعبد الله بن سلام ﷺ ومن آمن معه- هم بالقرآن يؤمنون. **٥٢**

وإذا يقرأ عليهم أقروا أن آمنوا به، مؤكدين: إنه الحق -الذي عرفوه من قبل في كتبهم- من ربهم، إنهم كانوا من قبله مسلمين -لما تدعو إليه كتبهم من توحيد الله والإيمان بالنبي الخاتم- منقادين. **٥٣**

هؤلاء يعطون ثوابهم مرتين -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ ﴿ ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله، وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة، فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها، فتزوجها، فله أجران. ﴾ [البخاري ٩٧ * مسلم ١٥٤ * الترمذي ١١١٦ * النسائي ٣٣٤٤ * ابن ماجة ١٩٥٦ * أحمد ١٩٥٣٢]- بسبب صبرهم على طاعة الله وأقداره -إذ آمنوا وثبتوا، فلم يستجيبوا لما يروج له أهل الباطل والضلال الراغبون في إبقائهم على ما هم عليه بل وتحملوا أذاهم- ويدفعون بالإحسان سوء من أساء إليهم والعمل السيئ بالعمل الصالح والذنوب بالتوبة، ومما رزقهم الله -فيما أوجبه كالزكوات وعلى من تلزمهم مؤونتهم، وفيما استحسنه كالصدقة ونحوها، في طاعته طلبا لمرضاته- ينفقون. **٥٤**

وإذا سمعوا الباطل والمعاصي وما لا خير فيه ولا فائدة أعرضوا عنه منصرفين، وأكدوا -للكفار- أن لنا جزاء أعمالنا ولكم جزاء أعمالكم -لا يسأل الله فريقا عن عمل الآخر- دافعين أذاهم بكلام فيه سلامة تامة من الإثم والجهل ذاكرين أن سلم الكفار وأمنوا -حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]- لا يلتمسون -مصاحبة- الجاهلين. **٥٥**

إنك أيها النبي الكريم لا ترشد من أحببت -ليقبل دعوتك إلى الإسلام، ولو كان عمك أبا طالب، بل ليس عليك إلا البلاغ- ولكن الله يوفق ويرشد من يشاء -له الهداية- وهو أعلم بالقابلين للهداية. **٥٦**

وتحجج مشركو مكة بأن إن يتبعوا الهداية معك -فيقبلوا الإسلام- ينتزعوا من أرضهم بسرعة ويستلبوا -وعليهم تتكالب الأمم: ذات حجة مؤيدي الحكم بغير ما أنزل الله اليوم!- أولم يجعل الله مكانا لهم وسلطانا على حرم آمن -حرام فيه سفك الدماء- تجلب إليه الثمار على اختلافها من كل مكان رزقا من عنده سبحانه: رزقهم وهم مشركون، أيتركهم إن وحدوه؟! ولكن أكثرهم لا يعلمون قدرة الله. **٥٧**

وما أكثر القرى التي أهلكها الله -لعدم شكره- كفر أهلها بنعم معيشتهم وتبطروا، فتلك مساكنهم -ها هي- لم تسكن من بعدهم إلا قليلا -من بعض العابرين- وكان الله هو -الباقي- الوارث سبحانه. **٥٨**

وما كان ربك أيها النبي الكريم مهلك القرى -دون إنذار- حتى يبعث في أصلها -أعظمها شأنا، كي ينتشر الخبر في القرى جميعها- رسولا يقرأ على أهلها ألفاظ آياته سبحانه، وما كان الله مهلك سبحانه القرى إلا وأهلها ظالمون لأنفسهم بالإصرار على الكفر واقتراف الآثام. **٥٩**

۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ
مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟
ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ
عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ
نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا
مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن
قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ
بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ
مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا
فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ
ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا
هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ
مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ
يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾
وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ
عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴿٦٧﴾
وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ
ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ
ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾

وما أعطيتم -أيها الناس- من شيء فمما تتمتعون به في الحياة الدنيا -الفانية- وتتزينون، وما عند الله -من جزاء في الآخرة- خير وأفضل وأدوم، أفلا تنتفعون بعقولكم؟! ٦٠

أفمن وعده الله وعدا حسنا -الجنة- فهو مدركه لا محالة، كمن متعه سبحانه -فوهبه- ما يتمتع به في الحياة الدنيا، ثم هو يوم القيامة -في العذاب- من المجموعين المقيمين؟ ٦١

ويوم -القيامة- يناديهم -سبحانه- فيسأل أين شركاؤه الذين كانوا يزعمون: أنها آلهة، ألا تنصرهم؟ ٦٢

أجاب الذين نفذ القضاء والقدر ووجب عليهم العذاب -كما قال تعالى ﴿ قال فالحقُّ والحقَّ أقول. لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين. ﴾ [ص ٨٤ ٨٥]، الطواغيت: أئمة الكفر- ربهم بأن هؤلاء الذين أغووا -فأضلوا- أغويهم -فأضلوهم- كما غووا -هم، فضلوا عن كل حق- من ثم تبرؤوا إليه كما قال تعالى ﴿ إذ تبرأَّ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ﴾ [البقرة ١٦٦] زاعمين أن ما كانوا إياهم يعبدون: بل أهواءهم كانوا يعبدون كما قال تعالى ﴿ أرأيت من اتَّخذ إلهه هواه ﴾ [الفرقان ٤٣]. ٦٣

وسئل الكفار أن يدعو شركاءهم -الذين أشركوهم بالله، ليدفعوا عنهم العذاب- فدعوهم -مستغيثين- فلم يستجيبوا لهم عند معاينة العذاب، لو أنهم كانوا يهتدون: في الدنيا لما أطاعوا طواغيتهم. ٦٤

ويوم -القيامة- يناديهم -سبحانه- فيسألهم ماذا أجابوا المرسلين: ألم يرسل إليهم من يرشدهم؟ ٦٥

فعميت عليهم الأخبار -التافهة التي تناقلوها في الدنيا وعدوها حججا، خفيت عليهم لم يتذكروا منها شيئا- يومئذ فهم -من هول ما هم فيه- لا يسأل بعضهم بعضا: عن شيء، إذ انقطعت الحجة. ٦٦

فأما من تاب -من كل كفر- وآمن -بعد السماع بالإسلام لا يتحقق ذلك إلا في أهله كما قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. ﴾ [آل عمران ٨٥]- وعمل -تصديقا لإيمانه- صالحا فلعله -يثبته الله على توبته فيبلغه بلطفه أن- يكون من الفائزين الباقين في النعيم الدائم، الناجين من المهالك. ٦٧

وربك أيها النبي الكريم يخلق ما يشاء -كيفما شاء- ويختار -من شاء اختياره، للنبوة أو الرسالة أو غير ذلك كما قال تعالى ﴿ لا يُسأل عمَّا يفعل وهُم يُسألون. ﴾ [الأنبياء ٢٣]- ما كان لهم الخيرة -فإنه ليس لأحد أن يختار ما يعبد، ولا أن يعترض على اختيار رب الخلق ولا على شيء من دينه وأحكامه وتعاليمه، ولا أن يعادي أحدا من مرسليه- تنزه الله وتقدس وتباعد وارتفع عما يشرك الخلق به. ٦٨

فائدة! لا نجاة بغير تصديق بالله وعمل صالح موافق لشرعه، وليس لعباد الله الاعتراض على ما اختار.

بتَصديقٍ معَ العَمَلِ المُجِلِّ ... لِشَرعِ اللهِ نَنجو، ذاكَ نورُ

وربك يعلم ما هو مكنون في صدورهم -كائن لكنهم يخفونه- وما يظهرون من أقوال وأعمال. ٦٩

وهو الله لا معبود بحق سواه، له كامل الثناء في -الدار- الأولى -الدنيا، إذ تثني عليه الملائكة وجميع خلائقه إلا العصاة- والآخرة -قيل والعصاة كذلك يثنون عليه فيها لعدله معهم- وله الحكم -وحده: توحيد الحاكمية، وقضاؤه نافذ- وإليه وحده ترجعون -أيها الخلق- في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء. ٧٠

سلهم أيها النبي الكريم أن يخبروك: إن جعل الله عليكم -أيها المشركون- الليل دائما مستمرا إلى يوم القيامة لا ينقطع، من إله غير الله -من آلهتكم المزعومة التي تدعونها من دونه- يأتيكم بضياء: تسعون فيه بما ينفعكم؟ أفلا تسمعون: سماع وعي وفهم وانتفاع؟! **٧١**

سلهم أن يخبروك: إن جعل الله عليكم النهار دائما مستمرا إلى يوم القيامة لا ينقطع، من إله غير الله -من آلهتكم المزعومة التي تدعونها من دونه- يأتيكم بليل تسكنون فيه: فتستريحوا؟ أفلا تبصرون: هذه النعم العظيمة، فتتعظوا؟! **٧٢**

ومن رحمته -سبحانه- جعل لكم الليل والنهار، لتسكنوا فيه -ليلا ونهارا: غالبا في ليلكم، فتستريحوا- ولتلتمسوا من فضله -بالعمل، ولتنتفعوا بالتنقل، نهارا وليلا: غالبا في نهاركم- ورجاء أن تشكروه على نعمه ورحمته بكم: فمن فاته شيء من ورده في الليل استدركه نهارا، أو في النهار استدركه ليلا. **٧٣**

فائدة! أذكار الصباح والمساء من جملة ما يشكر المسلم به ربه على نعمه ورحمته به.

بأذكارِ الصباحِ معَ المساءِ ... لِنَشكُرْ ربَّنا، غَفَلَ السَّكورُ

ويوم -القيامة- يناديهم -سبحانه- فيسأل أين شركاؤه الذين كانوا يزعمون: أنها آلهة، ألا تنصرهم؟ **٧٤**

ونزع الله من كل أمة شهيدا -نبيهم الذي عرفوه، ليشهد على أعمالهم- فسألهم الله أن يأتوا ببرهانهم -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلَّغ ﴾ [البخاري **٣٣٣٩** ★ الترمذي **٢٩٦١**م ★ ابن ماجة **٤٢٨٤** ★ أحمد **١١٢٨٣**]- فعلم المكذبون بأنبيائهم -يقينا- أن الحق لله -وحده دون سواه: لا معبود غيره- وبطل كذبهم وخذلهم ما كانوا يفترون على الله من طواغيت. **٧٥**

إن قارون كان من قوم موسى، فبغى عليهم -معتد عليهم ومتجاوزا كل الحدود في التكبر والاستخفاف بهم- وأعطاه الله من الكنوز ما إن مفاتيحه -للخزائن التي تحويها- ليثقل حملها على الجماعة ذات العدد أهل القوة، اذكر أيها النبي الكريم حين نصحه -المؤمنون من- قومه ألا يفرح -بما هو فيه، تاركا شكر الله- إن الله لا يحب -بل يبغض- الفرحين المعجبين: بما أعطى، الغافلين عن شكر نعمه. **٧٦**

فائدة! يتكبر أهل المال كما يتكبر أهل السلطة والمنعة، واقتران الفسدة منهم ينشأ عنه طغيان عظيم.

إذا لَمْ يُنكِرِ الناسُ الفَسادَ ... تَوَغَّلَ في المَناصِبِ، فَليثوروا!

وأردفوا ناصحين إياه أن التمس فيما أعطاك الله الدار الآخرة -ساعيا إليها بما أنعم عليك، منفقا من أموالك في وجوه الخير، آخذا نصيبا من دنياك تعمل فيه لآخرتك- ولا تنس نصيبك من الدنيا -بل بما أحل الله استمتع- وأحسن -في عبادة الله وفي معاملة عباده- كما أحسن الله إليك -فأعطاك من الأموال ما تحب- ولا تلتمس الفساد في الأرض -ساعيا لإشاعته باقتراف الآثام والمجاهرة بها وترك ما أمر الله به وصد خلقه عن دينه وغير ذلك- إن الله لا يحب -بل يبغض- المفسدين، وسيجازيهم. **٧٧**

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم
مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ
فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ
بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ
وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ
مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ
وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ
فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا
مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ
وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ
مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ
وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣
مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٤

زعم -قارون- أنما أعطي ما أعطي من أجل علم عنده -قيل علمه بالتوراة، وقيل علمه بمواضع الكنوز والدفائن، وقيل علمه بطرق التجارة والكسب، وقيل علمه بعلوم دنيوية، فهو بزعمه عن استحقاق- أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من الأمم المتتالية من هو أشد منه -في الأبدان وآلات البناء- قوة وأكثر -للأموال والأعوان- جمعا؟ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون مستحقو العقاب: يوم القيامة من قبل الله سؤال استعتاب كما قال تعالى ﴿ وإن يَستَعتِبوا فما هم من المُعتَبين ﴾ [فُصِّلَت ٢٤]، لكن يسألهم الله سؤال تقريع وتوبيخ كما قال تعالى ﴿ فوربك لنسألنَّهم أجمعين. ﴾ [الحِجر ٩٢]. ٧٨

فخرج على قومه في زينته، تمنى الذين يريدون الحياة الدنيا -ويقدمونها على الآخرة، وقد انبهروا بزينته- أن لهم مثل الذي أعطي قارون، من ثم عقبوا مؤكدين أنه -حقا- صاحب نصيب وافر. ٧٩

وحذرهم أهل العلم -فهؤلاء ممن لا يريد الحياة الدنيا- شدة الحسرة والهلاك: ثواب الله -في الآخرة- خير -مما عند قارون- وأفضل لمن آمن -بعد السماع بالإسلام لا يتحقق ذلك إلا في أهله كما قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. ﴾ [آل عمران ٨٥]- وعمل -تصديقا لإيمانه- صالحا، ولا يعمل بهذه المقولة إلا الصابرون على طاعة الله وأقداره. ٨٠

فخسف الله بقارون وبداره الأرض -فابتلعتهما حتى غابا فيها تماما- فما كان له أي جماعة تنصره أو تعينه أو تمنعه مما فعل الله به -فلم ينفعه شيء ولا أحد بأدنى نفع- وما كان من الممتنعين -بقوته أو بأمواله- عن إهلاك الله له ولداره ولا من المنتصرين منه سبحانه. ٨١

وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس -قبل أن يخسف الله به الأرض بفترة وجيزة- يذكرون -متندمين- متعجبين متنبهين أن الله يوسع في الرزق لمن يشاء من عباده -كافرا كان أو مؤمنا- ويضيق على من يشاء -فسعة الرزق ليست كرامة وضيقه ليس إهانة- معقبين أن لولا أن أنعم الله وتفضل عليهم -فلم يعاقبهم على ما وقع منهم من تمن- لخسف بهم -كما فعل بقارون، فقد تمنوا مثل الذي أعطاه إياه- أردفوا متعجبين متنبهين أنه لا نجاة ولا فوز للكافرين. ٨٢

تلك الدار الآخرة -الجنة- يجعلها الله للذين لا يريدون علوا في الأرض -ولا تكبرا على الحق ولا على أهله، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس. ﴾ [مسلم ٩١ * الترمذي ١٩٩٩ * أحمد ٣٧٨٩]- ولا فسادا -باقتراف الآثام والمجاهرة بها وترك ما أمر الله به وصد خلقه عن دينه وغير ذلك- والعاقبة -والنهاية الحسنة في الدنيا والآخرة- للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه. ٨٣

من جاء -من المؤمنين، يوم القيامة- بالعمل الحسن فله -من الثواب- خير مما جاء به وأفضل -كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عَشر أمثالها ﴾ [الأنعام ١٦٠]- ومن جاء بالعمل السيئ فلا يجزى الذين عملوا السيئات -من كفر أو اقتراف آثام- إلا بحسب ما كانوا -في الدنيا- يعملون. ٨٤

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ
أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ
تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا
تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ
كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ
لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟
لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

إن -الله- الذي فرض عليك أيها النبي الكريم -وعلى أمتك تبليغ- القرآن -والعمل به- لرادك إلى معاد
-فترجع بلدك فاتحا، كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ﴿ لرادُّك إلى مَعاد ﴾ قال: إلى
مكة. ﴾ [البخاري ٤٧٧٣]، ويوم القيامة يجازي كلا بما قدم- أخبرهم -متوعدا الكفار- أن ربك أعلم
من جاء بالهداية -الدين الحق- ومن هو في ضلال واضح عن الحق، لا يعرف للرشاد سبيلا. ٨٥
وما كنت ترجو -ولا تتحرى، قبل بعثتك- أن يلقى إليك القرآن -وحيا- إلا -أن إنزاله إليك، وإرسالك
به- رحمة من ربك كما قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين. ﴾ [الأنبياء ١٠٧]، فلا تكونن
-حاشاك، ولا أحد من أمتك- ظهيرا للكافرين معينا لهم: فلا تداريهم، بل أظهر لهم ما أنزل الله. ٨٦
ولا يصدنك عن آيات الله -فتنصرف عنها قراءة أو تبليغا، أو عملا بها- بعد إذ أنزلت إليك، وادع إلى
-توحيد- ربك، ولا تكونن -حاشاك، ولا أحد من أمتك- من المشركين: يعدونك واحدا منهم. ٨٧
فائدة! دخول البرلمانات والمجالس التشريعية بحجة التخفيف عن الناس ليس يجوز، لما فيه من شرك
التشريع بغير ما أنزل الله، والتلبيس على الأمة فتظنه جائزا، والتطبيع مع الكفار مآله الصيرورة منهم.
دُخولُ مَجالِسِ التَّشريعِ شِركٌ ... مُظاهِرُ كافِرٍ مِنهُم يَصيرُ
ولا تدع أو تعبد مع الله -حاشاك، وأمتك من ورائك- إلها آخر، لا معبود بحق سواه، كل شيء هالك
إلا وجهه -سبحانه، فكل مخلوق يموت ويفنى، وسبحانه وحده هو الباقي- له الحكم -وحده: توحيد
الحاكمية، وقضاؤه نافذ- وإليه وحده ترجعون -أيها الخلق- في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء. ٨٨

★ سورة العنكبوت ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. ١
أظن الناس أن يتركوا -بمجرد- أن يزعموا أن آمنوا وهم لا يفتنون: اختبارا بمصائب الأموال والأبدان؟ ٢
ولقد فتن الله الذين من قبلهم -مختبرا- فليظهرن الله علمه بالذين صدقوا وليظهرن علمه بالكاذبين. ٣
أم ظن الذين يعملون السيئات أن يسبقوا الله ويفلتوا من عقابه؟ سيئ ما يحكمون. ٤
من كان يتوقع لقاء الله -ويريد ثوابه ويرجو فضله- فإن أجل الله -الموت، ثم البعث، لا محالة- لآت:
فليتجهز كما قال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾
[الكهف ١١٠]، وهو السميع لكافة ما يقول عباده، العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ٥
ومن جاهد -بالنفس أو المال أو اللسان أو الرأي أو العلم نصرة لدين الله، وجاهد فصبر على طاعة الله
كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب
إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين، قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في
سبيل الله. ﴾ [البخاري ٥٢٧ ★ مسلم ٨٥ ★ الترمذي ١٧٣ ★ النسائي ٦١٠ ★ أحمد ٣٨٩٠] وأقداره-
فإنما يجاهد لنفسه -فالنفع في الواقع عائد عليه- إن الله لغني عن -جهاده وعن- الخلائق جميعا. ٦

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ
وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ
فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ
فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠
وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا
وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن
شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ
أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤

والذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة ليسترن الله عنهم سيئاتهم ويتجاوز عنها، وليجزينهم سبحانه أحسن الذي كانوا يعملون كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ [النمل ٨٩ ۞ القصص ٨٤]. ٧

وأمر سبحانه الإنسان بالبر بوالديه، حسنا -دون أن يعصاه سبحانه، كما جاء على لسان سعد بن أبي وقاص ﷺ ﴿ وقالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر؟ والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها، فنزلت هذه الآية: ﴿ ووصَّينا الإنسان بوالديه حُسنا ﴾ ﴾ [مسلم ١٧٤٨ ★ الترمذي ٣١٨٩ ★ أحمد ١٦١٤]- وإن اجتهدا في دفعك -يا عبد الله- لتشرك بالله ما ليس لك بكونه إلها علم فلا تطعهما -فإن أمركم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث علي بن أبي طالب ﷺ ﴿ لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل. ﴾ [البخاري ٧٢٥٧ ★ مسلم ١٨٤٠ ★ أبو داود ٢٦٢٥ ★ النسائي ٤٢٠٥ ★ أحمد ١٠٩٥]- إلى الله رجوعكم في الآخرة فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم به. ٨

والذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة ليدخلنهم الله في عداد الصالحين. ٩

ومن الناس من يزعم أن آمنوا بالله، فإذا أوذي -أحدهم، من قبل أهل الكفر أو النفاق- في -شأن- الله -من أجل توحيده أو طاعته- جعل فتنة الناس -وإيذاءهم له- كعذاب الله -شدة وعظما، فخاف منهم وأطاعهم وعصى الله، بل وربما ارتد عن الإسلام- ولئن جاء نصر من ربك أيها النبي الكريم -لكم أهل الإيمان على عدو- ليزعمن أنهم كانوا معكم -متصفين بظاهر الإسلام ملتزمين أحكامه، قد شهدوا ما شهدتم وكثروا عددكم: لينالوا من الغنيمة- أوليس الله بأعلم بما في صدور الخلائق جميعا؟ ١٠

وليظهرن الله علمه بالذين آمنوا وليظهرن علمه بالمنافقين: فيظهر ما يعلمه مكنونا في صدورهم. ١١

وسأل الذين كفروا -محاولين إغواء- الذين آمنوا أن يتبعوا طريقهم -ودينهم الكفري- ملزمين أنفسهم أن يحملوا -عمن اتبعوهم- خطاياهم -في الآخرة إن صح أن هناك قيامة كما يذكر الذين آمنوا- وما هم بحاملين من خطاياهم أي شيء، إنهم لكاذبون فيما يزعمون أنهم ألزموا به أنفسهم. ١٢

وليحملن أثقالهم -ذنوبا ثقيلة كما قال تعالى ﴿ وهُم يحملون أوزارهم على ظهورهم ﴾ [الأنعام ٣١]- وأثقالا -إضافية بسبب ما اقترف من أضلوا من ذنوب، دون أن ينقص ذلك من ذنوب من أضلوا شيئا- مع أثقالهم كما قال تعالى ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يُضِلُّونهم بغير علم ﴾ [النحل ٢٥]، وليسألن يوم القيامة عما كانوا -على الله من كذب- يفترون. ١٣

ولقد أرسل الله نوحا إلى قومه، فمكث فيهم -مدة- تسعمائة وخمسين عاما -يدعو إلى توحيد الله بلا كلل ولا ملل- فأخذهم الطوفان -فأغرق جميع الذين كذبوه كما قال تعالى ﴿ ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجَّيناه وأهله من الكرب العظيم. ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سَوء فأغرقناهم أجمعين. ﴾ [الأنبياء ٧٦ ٧٧]- وهم ظالمون لأنفسهم بتكذيبه والاستمرار على الكفر. ١٤

فأنجاه الله وأصحاب السفينة -الذين آمنوا بنوح عليه السلام، من الغرق، في سفينة كان قد أمره الله بصنعها- وجعلها الله هذه الواقعة آية دالة على كمال قدرته للخلائق جميعا. **١٥**
واذكر أيها النبي الكريم إبراهيم حين نصح قومه أن يعبدوا الله -وحده- ويتقوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، من ثم أكد أن ذلك -الإفراد لله بالعبادة والتقوى- خير لهم -من الشرك والعصيان- وأفضل، إن كانوا يعلمون حقيقة الأمور، ويميزون الحق من الباطل. **١٦**
أضاف أنما يعبدون من دون الله أوثانا -أشركوها بالله- ويخلقون -بأيديهم، حين يزعمون أن ما ينحتونه من أوثان آلهة تستحق العبادة!- كذبا بشعا، من ثم أكد أن الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لهم جلب رزق -لا إنزال مطر ولا إخراج نبات ولا غير ذلك- فليلتمسوا عند الله الرزق -فهو الرازق- ويعبدوه -وحده دون سواه ولا يشركوا به شيئا ولا أحدا- ويشكروا له -نعمه، لتبقى وتزيد كما قال تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنّكم ﴾ [إبراهيم ٧]- إليه وحده يرجعون في الآخرة ليجازيهم أتم الجزاء. **١٧**
وإن تكذبوا -محمدا ﷺ، أيها الكفار- فقد كذب أمم من قبلكم -رسلهم بكل شدة، كقوم نوح وقوم إبراهيم، وها قد جاءكم بعض أخبارهم- وما على الرسول إلا البلاغ الواضح: ليس هداية أحد. **١٨**
أولم يعلم منكرو البعث -قدرته- كيف يوجد الله الخلق من عدم -ثم يميته- ثم -حيا، هو القادر أن- يعيده؟ إن ذلك -الإيجاد من عدم ثم الموت ثم البعث- على الله يسير. **١٩**
أخبرهم أيها النبي الكريم -إن كانوا مرتابين- أن يتجولوا في الأرض فيتأملوا كيف بدأ -سبحانه- الخلق -بأن أوجده من عدم، على كثرة وتنوع ما أوجد- ثم الله يوجد الإيجاد الآخر -في الآخرة وهو الأهم- إن الله قدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك خلق المخلوقات ثم إهلاكها، وبعثها وحسابها. **٢٠**
يعذب -يوم القيامة- من يشاء -بعدله- ويرحم من يشاء -من أهل الإيمان بفضله- وإليه وحده ترجعون -أيها الخلق- في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء، ويغير حالكم إلى شقاء دائم، أو نعيم دائم. **٢١**
وما أنتم بفارين من الله في الأرض ولا في السماء -بل يدرككم قدره وإن شاء عذبكم، مهما بلغتم إليه من علم وجئتم به من مبتكرات، كذلك يدرككم حسابه أينما كنتم، إلا أن تخرجوا من حدود كونه!- وليس لكم من دون الله من ولي يواليكم فيجلب لكم الخير، ولا نصير ينصركم فيدفع عنكم الشر. **٢٢**
والذين كفروا بآيات الله ولقائه هؤلاء يئسوا من رحمته -سبحانه، فلا يرحمهم من عذابه أبدا، وكفرهم قد أبطل الصالح من أعمالهم في حياتهم الدنيا كالصدقة ونحوها، فليسوا يثابون عليها في الآخرة كما قال تعالى ﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نُقيم لهم يوم القيامة وزنا. ﴾ [الكهف ١٠٥]- وهؤلاء لهم -في الآخرة- عذاب أليم. **٢٣**
فائدة! من زعم أن من مات على غير الإسلام قد يرحمه الله في الآخرة -ولو بتخفيف العذاب- فقد كذب بهذه الآية: ﴿ والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي ﴾ [العنكبوت ٢٣].
أَيَزعُمُ عالِمٌ بالشَّرعِ أنَّ الـ ... قَويَّ سَيَرحَمُ الكفَّارَ؟ غُوروا!

فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾
وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ
خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ
وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ
فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ
ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ
مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾
وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٖ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضٗا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ
فِي ٱلْأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٖ
مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ
ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

فما كان جواب قومه إلا أن اقترحوا -معاندين مكابرين- أن يقتلوه أو يحرقوه، فأنجاه الله من النار -فلم يؤذه تدبيرهم كما قال تعالى ﴿ قُلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم. ﴾ [الأنبياء ٦٩]- إن في ذلك -الإنجاء- لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لقوم يؤمنون بالله استدلالا بما يشاهدون. **٢٤**
وأخبرهم أنما اتخذوا من دون الله أوثانا للتواد بينهم -مجتمعين على عبادتها- في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة يكفر بعض الكفار ببعض -فتنقطع المودة عند معاينة عذابه سبحانه، وينكرون شركهم كما قال تعالى ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنَّا مشركين. ﴾ [الأنعام ٢٣]، وتكفر معبوداتهم بهم وبعبادتهم لها كما قال تعالى ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنَّا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون. ﴾ [النحل ٨٦]- ويدعو بعضهم على بعض بالطرد من الرحمة -ويتسابون- ومستقرهم النار، وليس لهم من ينصرهم ويدفع عنهم عذابه سبحانه. **٢٥**
فائدة! الكفار كالمنافقين: قلوبهم ليست في تواد، بل متنافرة كما قال تعالى ﴿ بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتَّى ﴾ [الحشر ١٤]، فيلزمهم إذًا إيجاد غرض مشترك يؤمنونه ويلتفون حوله، فدأبهم الاجتماع على أهل الإيمان، فإن لم يفلحوا في ذلك تقاتلوا بينهم.
تَنافَرَتِ القلوبُ، فإنْ تَنادى ... علينا أهلُ كُفرٍ فالنَّفيرُ
فاطمأن له لوط وصدقه، وذكر -إبراهيم عليه السلام- أنه مهاجر إلى ربه -مغادرا قومه، إلى حيث يستطيع أن يعبد ربه- إنه هو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٢٦**
ومنح الله إبراهيم عليه السلام إسحاق ويعقوب -ابنه وحفيده- وجعل سبحانه في ذريته النبوة -فلم تخرج عنهم بعد لوط عليه السلام- والكتب -السماوية، أنزلها عليهم- وأعطاه الله ثوابه في الدنيا -زوجة صالحة، وجمالها كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس ﴾ [البخاري ٣٣٥٨ * مسلم ٢٣٧١ * أبو داود ٢٢١٢ * الترمذي ٣١٦٦ * أحمد ٩٢٤١]، وثناء أهل الرسالات السماوية جميعهم عليه، ولما يحب ويرضى وفقه، وأجاب دعاءه كما قال تعالى ﴿ رب هَبْ لي حُكما وألحقني بالصالحين. ﴾ [الشعراء ٨٣]- وإنه في الآخرة لمن الصالحين. **٢٧**
ولوطا اذكره أيها النبي الكريم حين سأل قومه -مستنكرا متقززا- إنهم ليأتون -تلك- الفاحشة -التي، لفرط شناعتها- ما سبقهم إلى ارتكابها أي أحد من البشر أجمعين؟ **٢٨**
أئنهم ليأتون الرجال -في أدبارهم- ويقطعون -بالعدول عن النساء- سبيل النسل؟ ويقطعون الطريق على المسافرين ليعتدوا عليهم؟ ويقترفون في مجالسهم المنكرات: مما أنكره الشرع ونهى عنه، ومن جملته أنهم يبصر بعضهم بعضا وهم يفعلون الفاحشة كما قال تعالى ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون. ﴾ [النمل ٥٤]: أي قذارة تلك؟ فما كان جواب قومه إلا أن تحدوه -مستكبرين عن قبول الحق- أن يأتيهم بعذاب الله إن كان -فيما يدعي: أنه لهم رسول من الله- من الصادقين. **٢٩**
دعا -عليه السلام- ربه أن ينصره على القوم المفسدين: فينتقم منهم، سبحانه. **٣٠**

ولما جاءت رسل الله -ملائكة في هيئة رجال- إبراهيم بالبشارة بالولد أخبروه أنهم مهلكو -بأمر الله- أهل هذه القرية -قرية لوط عليه السلام- إن أهلها كانوا ظالمين لأنفسهم بفعل الفواحش والمنكرات. ٣١

أخبرهم -إبراهيم عليه السلام، مشفقا على لوط عليه السلام- أن فيها لوطا! أكدوا أنهم أعلم -منه- بمن فيها، من ثم طمأنوه -بأمر الله- لينجينه هو وأهل بيته، إلا امرأته كانت من الباقين مع قومها في عذاب الله. ٣٢

ولما أن جاءت رسل الله -ملائكة في هيئة رجال، وقيل في هيئة غلمان حسان- لوطا ساءه مجيئهم وعجز وبهم ضاق صدرا، وطمأنوه ألا يخاف -عليهم من قومه- ولا يحزن -على ما يحل بالقرية- إنهم منجوه -بأمر الله- هو وأهل بيته، إلا امرأته كانت من الباقين مع قومها في عذاب الله. ٣٣

فائدة! ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي شريح العدوي خويلد بن عمرو رضي الله عنه ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته: يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت. ﴾ [البخاري ٦١٣٥ ★ مسلم ٤٨ ★ أبو داود ٣٧٤٨ ★ الترمذي ١٩٦٧ ★ ابن ماجة ٣٦٧٥ ★ أحمد ١٦٣٧٤].

ونُكرِمُ ضَيفَنا يَومًا تماما ... ضِيافَتُهُ الثَّلاثةُ: لا تَجوروا

أردفوا مؤكدين أنهم منزلون -بأمر الله- على أهل هذه القرية عذابا مستحقا من السماء بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله: وقد جعلوا عاليها سافلها فقلبوها بهم وأسقطوا من السماء عليهم حجارة كما قال تعالى ﴿ فجعلنا عاليَها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سِجِّيل. ﴾ [الحِجر ٧٤]. ٣٤

ولقد ترك الله -آثارا- منها: آية بينة ودليلا جليا على كمال قدرته لمن لهم عقول يعملونها فيفهموا بها كما قال تعالى ﴿ وإنَّ لوطا لمن المُرسَلين. إذ نجيناه وأهله أجمعين. إلا عجوزا في الغابرين. ثم دمَّرنا الآخَرين. وإنكم لتمرُّون عليهم مُصبحين. وبالليل أفلا تعقلون. ﴾ [الصافات ١٣٣ ~ ١٣٨]. ٣٥

وإلى مديَن -أرسل الله- أخاهم -في النسب- شعيبا، فدعا قومه أن يعبدوا الله -وحده- ويرجوا -بإفراده سبحانه بالعبادة ثواب- اليوم الآخر، وأمرهم ألا يسعوا في الأرض بتخريب وإفساد وصد للناس عن دين الله، ولا يمشوا بالكفر مجاهرين، للمعصية ناشرين. ٣٦

فكذبوه، فأخذتهم الرجفة -زلزلة في إثر صيحة، كما قال تعالى ﴿ ولما جاء أمرنا نجَّينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة ﴾ [هود ٩٤]- فأصبحوا في بلدهم جاثمين: على ركبهم ووجوههم، ملتصقين بالأرض قد هلكوا جميعا. ٣٧

وعادا وثمود كذلك أهلكهم الله، وقد تبين لكم -أيها الكفار- من مساكنهم -ما يدل على إهلاكهم- وزين لهم الشيطان أعمالهم فاستحسنوا خداعه لهم، فصدهم عن الطريق القويم -التوحيد والإسلام- وكانوا مستبصرين: متمكنين من معرفة الحق الذي جاء به من أرسلهم الله، لكن فضلوا الانكفاء على شهواتهم وما لديهم من علوم مادية تيسر لهم الدنيا وغفلوا عن الآخرة كما قال تعالى ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهُم عن الآخرة هم غافلون. ﴾ [الروم ٧]، فلا يعذرن أحد أمثال هؤلاء بجهل. ٣٨

وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ
أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ
وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ
أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ
وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا
ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ
هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾
وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾
وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ
وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ
جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم
مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ
فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾

وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾
فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا
وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ
ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ
وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ
ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ
لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ
ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾
خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ
وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾

وقارون وفرعون وهامان كذلك أهلكهم الله، ولقد جاءهم موسى بالأدلة الجلية البينة على صدقه -كما قال تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ [الإسراء ١٠١]- فاستكبروا -عن توحيد الله- في أرض مصر، وما كانوا سابقين -بل سبقهم إلى الاستكبار أقوام- ولا من عقاب الله مفلتين. **٣٩**

فكلا أخذ الله بذنبه، فمنهم من أرسل الله عليه -من السماء أو بواسطة الريح- برد أو حصى أو حجارة -عاد، وقوم لوط- ومنهم من أخذته الصيحة -ثمود، ومديَن- ومنهم من خسف الله به الأرض -قارون وأصحابه- ومنهم من أغرق الله -قوم نوح، وفرعون وهامان: وجنودهما- وما كان الله ليظلمهم -حاشاه، فقد أنذرهم قبل أن يهلكهم- ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر والمعاصي، فاستجلبوا العقاب. **٤٠**

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء -يعبدونهم معه أو طواغيت يناصرونهم رجاء منفعة أو دفع عذابه- كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت -ضعيف، لا يقي في حر أو برد أو مطر- لو كانوا يعلمون ما ينفعهم لما تعلقوا بواه، ولكنهم جهلة. **٤١**

إن الله يعلم ما يدعون ويعبدون من دونه من -أوثان وطواغيت، لا يخفى عليه- شيء -ويعلم أن ليسوا بشيء ذي القيمة- وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٤٢**

وتلك الأمثال يضربها الله -مبينا- للناس، وما يعقلها -فيفهمها ويدرك مغزاها- إلا العالمون: المتدبرون، فمن لم ينتفع بها ليس من أهل العلم والتدبر، وإن زعم خلاف ذلك. **٤٣**

خلق الله السماوات والأرض بالحق: ليس لعبا، بل سيجازي كل نفس مكلفة بما قد كان منها كما قال تعالى ﴿ وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ [الجاثية ٢٢]، إن في ذلك -الخلق- لآية دالة على كمال قدرة الخالق للمؤمنين. **٤٤**

اقرأ أيها النبي الكريم ما أوحي إليك من القرآن -وكل فرد من أمتك، فداوم على تلاوته والتعبد به وتدبر معانيه والتفكر فيه، واعمل واحكم بما جاء فيه كما قال تعالى ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ [المائدة ٤٩]، وبه داو- وأد الصلاة وأظهر هيئتها وأدمها بشروطها، إن الصلاة تنهى عما هو مستفحش من الذنوب -كالزنا كما قال تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ﴾ [الإسراء ٣٢] وغيره- والمنكرات -مما أنكره الشرع ونهى عنه كالظلم، وأعظم الظلم الشرك كما قال تعالى ﴿ إنَّ الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان ١٣]- ولذكر الله -في الصلاة- أكبر -من كونها تنهى عن الفواحش والمنكرات، بل من كل شيء سواه، كذلك ذكر الله ذاكريه أكبر من ذكرهم إياه سبحانه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة. ﴾ [البخاري ٧٤٠٥ * مسلم ٢٦٧٥ * الترمذي ٣٦٠٣ * ابن ماجة ٣٨٢٢ * أحمد ٧٤٢٢]- والله يعلم -أيها العباد- ما تصنعون، وسيجازيكم به. **٤٥**

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ
إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ
ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا
يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن
قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ
ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ
لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ
وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ
ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ
لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ
شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

ولا تجادلوا -يا أمة محمد ﷺ، محاورين- أهل الكتاب إلا بأحسن قول وفكر وأدب، إلا الذين ظلموا منهم -واستمروا على كفرهم، فقاتلوهم كما قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجِزية عن يد وهُم صاغرون. ﴾ [التوبة ٢٩]- وأكدوا أن آمنتم بالذي أنزل إليكم وأنزل إليهم -القرآن، فقد أنزل إلى الخلق جميعا، كذلك آمنتم بما أنزل إليهم من كتب سماوية: كما أنزلها الله، بغير تبديل ولا تحريف ولا زيادة ولا نقصان- وإلهكم وإلههم -الذي يضرع إليه الخلائق، المعبود بحق، لم يتخذ أي أولاد، لا عزير ولا المسيح ﷺ ولا غيرهما- واحد لا شريك له، وأنتم له مسلمون منقادون. ٤٦

ومثلما أنزل كتبا على رسل سابقين أنزل الله إليك أيها النبي الكريم القرآن، فالذين أعطاهم الله الكتب -من قبل هذا القرآن، وثبتوا على ما في كتبهم من تعاليم لم يبدلوا، كعبد الله بن سلام ﷺ ومن آمن معه- يؤمنون بالقرآن، ومن هؤلاء -العرب- من -في قابل الأيام- يؤمن بالقرآن، وما يجحد بآيات الله -المنزلة في قرآنه- إلا الكافرون: عنادا وتعنتا، ليس تحريا عن الحق. ٤٧

وما كنت تقرأ من قبل القرآن أي كتاب، ولا تخطه بيمينك -كتابة، فأنت لا تقرأ ولا تكتب كما قال تعالى ﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمِّي ﴾ [الأعراف ١٥٨]- إذًا لارتاب المتبعون باطلا: في أمرك لو كنت تقرأ وتكتب، ولزعموا أنما اختلقت عقائد وأحكاما وجئتهم ببعض أخبار الكتب السابقة. ٤٨

بل هو آيات بينات وأدلة جلية في صدور أهل العلم -القرآن في صدور حافظيه العاملين به والحاكمين من أهل العلم من المؤمنين، ومحمد ﷺ في صدور الربانيين من علماء أهل الكتاب وقد عرفوا صفته من كتبهم كما قال تعالى ﴿ الذين يَتَّبعون الرسول النبي الأمِّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الأعراف ١٥٧]- وما يجحد بآيات الله -المنزلة- إلا الظالمون لأنفسهم بالكفر. ٤٩

فائدة! الحفظ أساس لطلب العلم، ومن أولى أولويات طالب العلم الشرعي حفظ القرآن.

أطالِبَ عِلمٍ شَرعٍ: لا سبيلَ ... بِغيرِ الحِفظِ قرآنًا يُنيرُ

واقترح المكذبون بك أن ينزل عليك آيات دالة على صدقك من ربك، أخبرهم أيها النبي الكريم أنما الآيات عند الله -وحده، ينزل منها ما يشاء حين يشاء- وأنما أنت نذير واضح للعصاة بالعقاب. ٥٠

أولم يكفهم أن الله أنزل سبحانه عليك القرآن -المعجز كما قال تعالى ﴿ وإن كنتم في رَيب مما نزَّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. ﴾ [البقرة ٢٣]- يقرأ عليهم؟ إن في ذلك -القرآن- لرحمة وتذكرة جسيمة لقوم -به وبالسنة- يؤمنون: إذ يعتبرون ويتذكرون، فتحصل لهم الهداية، فتدركهم الرحمة في الدنيا والآخرة. ٥١

أخبرهم أن كفى بالله بينك وبينهم شاهدا على صدقك، يعلم ما في السماوات والأرض -ومن جملة ما يعلم صدقك- والذين آمنوا بالباطل -الذي عبدوه مع الله- وكفروا بالله -حين لم يوحدوه- هؤلاء هم بالغو الخسران الهالكون. ٥٢

وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ
وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ
مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٥﴾
يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾
كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ
صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ
رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ
عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾

ويستعجلك المكذبون بك بالعذاب كما قال تعالى ﴿ وإذ قالوا اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴾ [الأنفال ٣٢]، ولولا أجل مسبق -ضرب في الأزل، ضربه الله لعذابهم في الدنيا بالقتل والجرح والأسر وسبي النساء والذراري وضياع الأموال، ثم في القبر ثم يوم القيامة- لجاءهم العذاب -لم يتأخر عنهم- وليأتينهم على غرة دون مقدمات، وهم لا يشعرون بذلك ولا يترقبونه. ٥٣

يستعجلونك بالعذاب -هؤلاء الجهلة!- وإن جهنم لمحيطة بالكافرين لا خروج لهم منها. ٥٤

يوم -القيامة- يغمرهم العذاب ويغطيهم -من جميع الجهات- من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ويجري توبيخهم في تهكم: ذوقوا -سوء عاقبة- ما كنتم -في الدنيا، من كفر وآثام- تعملون. ٥٥

يا عباد الله الذين آمنوا إن أرضه -سبحانه- واسعة، فإياه فاعبدوه: وحده، ولا تنقطعوا عن عبادته، وإن هاجرتم فرارا بدينكم إلى حيث تستطيعون عبادته إن فتنكم الكفار وابتلوكم وضيقوا عليكم. ٥٦

فائدة! الهجرة فرارا بالدين إلى حيث يستطيع المسلم عبادة ربه واجبة، ومن عبادته حفظ المسلم أهله وتنشئة ذريته تنشئة إسلامية سوية -قدر المستطاع، فما لا يدرك كله لا يترك جله- وقاية له ولهم كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ [التحريم ٦].

فِرارًا هاجَرَ الراعي بِدِينٍ ... لِيَحفَظَ أهلَهُ أمَرَ الخبيرُ

كل نفس -مؤمنة كانت أو كافرة- ذائقة الموت -حتما: الدنيا فانية فاعملوا للآخرة- ثم إلى الله وحده ترجعون -أيها الخلق- في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء. ٥٧

والذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة لينزلنهم الله من الجنة درجات عالية تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- ما أحسن ثواب العاملين: إذ لا يصح إيمان دون عمل. ٥٨

الذين صبروا على طاعة الله وأقداره -ومن جملة الصبر الهجرة فرارا بالدين إن وجب ذلك- وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أحوالهم. ٥٩

وكم من كائن يدب لا يحمل رزقه -فلا يدخر قوته- الله يرزقه، وإياكم كذلك يرزق -فأطيعوه معتمدين عليه، أيها الخلق- وهو السميع لكافة ما يقول عباده، العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ٦٠

ولئن سألت أيها النبي الكريم المكذبين بك من خلق السماوات والأرض وذلل الشمس والقمر ليجيبن -هو- الله، فكيف يقلبون: عن الحق؟ ٦١

الله يوسع في الرزق لمن يشاء من عباده -كافرا كان أو مؤمنا- ويضيق على من يشاء له الضيق -فسعة الرزق ليست كرامة وضيقه ليس إهانة- إن الله بكل شيء عليم، فالخالق أعلم بما خلق. ٦٢

ولئن سألتهم من نزل من السماء مطرا، فأحيا به الأرض -بأن أخرج النبات- من بعد موتها وجفافها ليجيبن -هو- الله، أثن على الله -لإقامة الحجة عليهم بل على ألسنتهم، أينكر البعث بعد هكذا إقرار عاقل؟- بل أكثرهم لا يعقلون: لخفة عقولهم لا يهتدون إلى الحق. ٦٣

وما هذه الحياة الدنيا -لمن لا يعمل طاعة لله- إلا لهو ولعب -لا طائل منها- وإن الدار الآخرة لهي الحياة العامرة بالحركة، لو كانوا يعلمون ما ينفعهم لما فضلوا فان على باق، ولكنهم جهلة. ٦٤
فإذا ركبوا في السفن -وخافوا الغرق- دعوا الله مخلصين له الدين -بلا شرك ولا رياء- فلما نجاهم إلى البر إذا هم -فجأة، عوضا عن شكره- يشركون: داعين وعابدين غيره! ٦٥
ليكفروا بما أعطاهم سبحانه -فعاقبة شركهم أن جحدوا نعم الله بعد أن نجاهم مما أصابهم- وليتمتعوا -بما هم فيه من ضلال في الدنيا استمروا على كفرهم لم يؤمنوا- فسوف يعلمون عاقبة صنيعهم. ٦٦
أولم يعلم مشركو مكة -يقينا- أن الله جعل سبحانه -لهم- حرما آمنا -حرام فيه سفك الدماء- وينتزع الناس من حولهم بسرعة ويستلبوا: في جزيرة العرب قبل الإسلام، قتلا وسبيا ونهبا؟ أفبالباطل -الذي عبدوه مع الله- يؤمنون، وبنعم الله -ومن أعظمها أمنه الذي أفاضه عليهم- يكفرون: لا يشكرون؟ ٦٧
ومن أعظم ظلما ممن افترى على الله كذبا -فزعم أن له ولد أو زوجة أو شركاء، أو نسب إليه ما لم يقل، أو حرم ما أحل أو أحل ما حرم- أو كذب بالحق لما جاءه -عن طريق أنبياء الله، فرده وتمسك بالباطل- أليس في جهنم منزل للكافرين؟ بلى والله! ٦٨
والذين جاهدوا فيه سبحانه -مخلصي النية بغير رياء، ممتثلي أوامره مجتنبي نواهيه، ومستفرغي الوسع في نصرة دينه- ليوفقنهم الله ويرشدهم إلى شرائعه سبحانه -فييسر لهم وعليهم كل صواب ليبلغوا طريق الحق، وعليه يثبتوا- وإن الله لمع المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق بالعون والتأييد. ٦٩

★ سورة الروم ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. ١
غلبت الروم: النصارى، هزمهم الفرس المجوس عبدة النار في الحرب. ٢
في أقرب الأرض -إلى أرض العرب: الشام- وهم من بعد هزيمتهم سيغلبون: من انتصر عليهم. ٣
في بضع -من ثلاث إلى تسع- سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد -الهزيمة، فهو القادر- ويومئذ -قيل وافق يوم بدر- يفرح المؤمنون: كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ﴿ الم. غُلبت الروم. ﴾ قال: غُلبت وغَلبت: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب ﴾ [الترمذي ٣١٩٣ ★ أحمد ٢٤٩٥]. ٤
بنصر الله -يفرح المؤمنون لأهل الكتاب على أهل الأوثان، ولأن تحقق وعده دليل أن القرآن من عنده- ينصر من يشاء -أن ينصره- وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العظيم الرحمة بالمؤمنين. ٥
فائدة! أهل الكتاب أقرب إلى الحق من أهل الأوثان، ولكن ذلك لا يترتب عليه عمل في جهادهم، فحين احتاج المسلمون مددا لملاقاة الروم أمدهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بنصف من يجاهد الفرس.

نُجاهِدُ أهلَ كُفرٍ لا نُبالي ... بِمِلَّتِهِم كما فَعَلَ الخُيُورُ

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ
ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾
لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ
حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ
أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟
فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ
بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ
مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾
يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ
غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا
مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ
أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا
عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ
عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾
وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن
شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾
وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾

وعد الله -ذلك النصر- لا يخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون حقائق الأشياء، فلا يوحدون الله أو يراءون كما قال تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهُم مشركون. ﴾ [يوسف ١٠٦]. ٦

يعلم أكثر الناس ظاهرا من الحياة الدنيا -شؤون معاشهم وما يظهر لهم ويحتاجون من أمور مادية- وهم عن الآخرة هم غافلون: تماما، لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها، بل منهم من لا يؤمن بها. ٧

فائدة! اشتغال المسلمين -كغيرهم من الناس- بما يصلح الدنيا غافلين عما يصلح الآخرة هو الهلاك.

وَلَسنا مِثلَكُم يا أهلَ دُنيا ... لِمَنْ غَفَلوا عَنِ الأُخرى الثُّبورُ

أولم يتفكروا في أنفسهم: كيف خلقهم الله؟! ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق: ليس لعبا، بل سيجازي كل نفس مكلفة بما قد كان منها كما قال تعالى ﴿ وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ [الجاثية ٢٢]، وأجل مسبق -ضربه الله في الأزل، ليبدلهما يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسماوات ﴾ [إبراهيم ٤٨]- وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم -في الآخرة- لكافرون: عنادا وتعنتا، ليس تحريا عن الحق كما يزعمون. ٨

أولم يتجول منكرو البعث في الأرض فيتأملوا كيف كان مصير الذين من قبلهم: فيتعظوا؟! كانوا أشد منهم قوة، وأثاروا الأرض -فأعدوها للزراعة- وعمروها -بأشكال من التعمير والبناء لم يتقن منكرو البعث هؤلاء مثلها- وجاءتهم رسلهم بالأدلة الجلية البينة على صدقهم، فما كان الله ليظلمهم -حاشاه، فقد أنذرهم قبل أن يهلكهم- ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر والمعاصي، فاستجلبوا العقاب. ٩

ثم كان مصير الذين أساءوا -بكفرهم- أسوأ الخواتيم وأقبحها، أن كذبوا بآيات الله -حتى ماتوا على ما هم عليه من تكذيب، فلم يؤمنوا بها في الدنيا- وكانوا بها يستهزئون: فصار مصيرهم جهنم. ١٠

الله يوجد الخلق ابتداء -ثم يميته- ثم -حيا- يعيده، ثم إليه وحده ترجعون -أيها الخلق- في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء. ١١

ويوم -القيامة إذ- تقوم الساعة يسكت المجرمون مستحقو العقاب ويحزنوا وييئسوا لا يتوقعون خيرا. ١٢

ولم يكن للمشركين -يومئذ- من شركائهم -الذين أشركوهم بالله- شفعاء -فيشفعوا لهم عنده سبحانه- وكانوا -يومئذ- بشركائهم كافرين: إذ يكفر بعض الكفار ببعض، وينكرون ما كانوا عليه كما قال تعالى ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنَّا مشركين. ﴾ [الأنعام ٢٣]، بل وتكفر معبوداتهم بما صنعوا كما قال تعالى ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنَّا ندعو من دونك فألقَوا إليهم القول إنكم لكاذبون. ﴾ [النحل ٨٦]. ١٣

ويوم -القيامة إذ- تقوم الساعة يومئذ يتفرق الخلق: فريق إلى الجنة وآخر إلى نار السعير كما قال تعالى ﴿ وتنذر يوم الجمع لا رَيب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ [الشورى ٧]. ١٤

فأما الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة فهم في موضع نضارة يسرون: سرورا في الجنة دائما ونعيما مستمرا ليس ينقطع. ١٥

وأما الذين كفروا وكذبوا بآياته سبحانه -منزلة كانت أو كونية أو عقلية- ولقاء -الله في- الآخرة فهؤلاء
في العذاب مجموعون مقيمون. **١٦**
فتنزيه الله وتقديسه -وقد علمتم مآل المؤمن والكافر أيها الخلق، فعليكم به- حين تدخلون في وقت
المساء -صلاتي المغرب والعشاء- وحين تدخلون في وقت الصباح: صلاة الفجر. **١٧**
وله كامل الثناء في السماوات والأرض -تثني عليه الملائكة وجميع خلائقه إلا العصاة- وعند دخول
وقت العشي -صلاة العصر، نزهوه وقدسوه حينئذ- وحين تدخلون في وقت الظهيرة: صلاة الظهر. **١٨**
يخرج الحي من الميت -كإخراج ذرية مؤمنة من كفار والحيوان من النطفة والطائر من البيضة والزرع
من الحب- ويخرج الميت من الحي -كإخراج ذرية كافرة من مؤمنين والنطفة من الحيوان والبيضة من
الطائر والحب من الزرع- ويحيي الأرض -فيخرج بالمطر النبات- بعد موتها وجفافها، ومثل ذلك الشق
للأرض بالنبات -أيها الناس، من قبوركم للحساب- تخرجون. **١٩**
ومن آياته -سبحانه- أن خلقكم من تراب -بأن خلق أباكم آدم عليه السلام منه- ثم إذا أنتم -فجأة، في هذه
الأرض التي خلقكم من ترابها- بشر -كثير- تنتشرون: وفيما بينكم تتناسلون. **٢٠**
ومن آياته -سبحانه- أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا -من النساء، حواء عليها السلام من زوجها آدم عليه السلام،
كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع ﴾
[البخاري ٣٣٣١ * مسلم ١٤٦٨ * أحمد ١٠٤٤٨]- لتسكنوا إليها -فبها تأنسوا- وجعل بينكم مودة
ورحمة -تراحما وألفة بعد عقد النكاح، ولم تكن بينكم قبله معرفة فضلا عن مودة أو تراحم أو ألفة-
إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق ليتفكر فيها أناس فيعتبروا، فينتفعوا بها وينفعوا. **٢١**
ومن آياته -سبحانه- خلق السماوات والأرض، واختلاف ألسنتكم -لغة- وألوانكم -رغم أنكم جميعا
من نفس واحدة كما قال تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها
زوجها وبثَّ منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ [النساء ١]- إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق
للعالمين: المتدبرين، فمن لم ينتفع بها ليس من أهل العلم والتدبر، وإن زعم خلاف ذلك. **٢٢**
فائدة! من استغرقتهم الحياة المادية -كالأقوام الكافرة- يندر أن يتدبروا، وهم -وإن ابتكروا الآلات وأتوا
بالنظريات- ليسوا أهل العلم، بل يكفيهم جهلا أن كثيرا منهم يعتقد أن الكون "تطور" دون خالق!
أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَهلًا قَدْ تَفَشَّى ... يَظُنُّ الكَونَ لَمْ يُخلَقْ كَفورُ!
ومن آياته -سبحانه- منامكم بالليل والنهار، والتماسكم من فضله -بالعمل، والانتفاع بالتنقل، فكأنكم
بعثتم- إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لقوم يسمعون: سماع وعي وفهم وانتفاع. **٢٣**
ومن آياته -سبحانه- يريكم البرق -لتخافوا من الصواعق والعواصف- خوفا، وطمعا -في المطر ورزقه
سبحانه تطمعوا- وينزل من السماء مطرا، فيحيي به الأرض -فيخرج النبات- بعد موتها وجفافها، إن
في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لمن لهم عقول يعملونها فيفهموا بها. **٢٤**

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ
فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ
وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ
ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾
وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ
تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ
أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ
خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم
بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ
خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ
بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا
مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن
شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ
كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ
فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ
وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ
لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

ومن آياته -سبحانه- أن تقوم السماء -دون أن تسقط كما قال تعالى ﴿ الله الذي رفع السماوات بغير عَمَد ترَونها ﴾ [الرعد ٢]- والأرض -دون أن تضطرب كما قال تعالى ﴿ وألقى في الأرض رواسيَ أن تَميد بكم ﴾ [النحل ١٥ ۞ لقمان ١٠]- بأمره -وقدرته- ثم -حين يأمر سبحانه أن تقوم القيامة- إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم -فجأة، من قبوركم للحساب- تخرجون. ٢٥

وله من في السماوات والأرض -يفعل فيهم ما يشاء- كل له قانتون: مطيعون خشوعا. ٢٦

وهو الذي يوجد الخلق ابتداء -ثم يميته- ثم -حيا- يعيده، وإعادة الخلق أهون عليه -من الإيجاد من عدم، وكل عليه هين- وله الوصف الأعلى في السماوات والأرض كما قال تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى ١١]، وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٢٧

ضرب لكم -أيها المشركون- مثلا -مأخوذا ومنتزعا- من أنفسكم: هل لكم مما ملكتم من عبيد وإماء أي شركاء فيما رزقكم الله، فأنتم في مشاركة أموالكم سواء، تخافونهم -أن يتقاسموا معكم أموالكم- كخيفتكم شركاءكم الأحرار؟ فكيف إذًا تستوي طواغيت لا تملك من أمرها شيئا والله الخالق الرازق القدير؟ أيستوي مخلوق وخالقه فيعبد معه؟ أليس أولى أن يستوي الحر والعبد إذ أن كلاهما مخلوق؟! مثل ذلك الشرح والتفصيل يفصل الله الآيات ويبينها لمن لهم عقول يعملونها فيفهموا بها. ٢٨

بل اتبع الذين ظلموا أنفسهم بالكفر أهواءهم -وآراء ناتجة عن هوى مجرد، فاستمروا على ما هم عليه من ضلال، جهلا- بغير علم -بمآل أفعالهم- فمن -يملك أن- يرشد من أضل الله: عن الحق، وقد سبق عليه حكمه سبحانه بالضلال؟ وليس لهم من ينصرهم ويدفع عنهم عذابه سبحانه. ٢٩

فأقبل على الدين وتوجه واثبت حنيفا مائلا عن جميع الأديان الباطلة إلى الإسلام -والزم أيها المسلم- فطرة الله التي فطر الناس عليها -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ﴾ [البخاري ١٣٥٨ ★ مسلم ٢٦٥٨ ★ أبو داود ٤٧١٤ ★ الترمذي ٢١٣٨ ★ أحمد ٧١٨١]- لا تبديل لخلق الله -فلا تبدلوا الفطرة: لا تتركوا دين الله، ولا تبتدعوا فيه- ذلك الدين المستقيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون حقائق الأشياء، فلا يوحدون الله أو يراءون كما قال تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهُم مشركون. ﴾ [يوسف ١٠٦]. ٣٠

راجعين إليه طائعين -كونوا كذلك، أيها المسلمون- واتقوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأديموها بشروطها ولا تكونوا من المشركين: فترك الصلاة شرك كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ﴿ إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة. ﴾ [مسلم ٨٢ ★ أبو داود ٤٦٧٨ ★ الترمذي ٢٦١٩ ★ النسائي ٤٦٤ ★ ابن ماجة ١٠٧٨ ★ أحمد ١٤٩٧٩]. ٣١

من الذين فارقوا دينهم بالكلية، أو تفرقوا فيه فأخذوا ببعضه وتركوا بعضه وكانوا فرقا -كاليهود والنصارى وأهل الأوثان والبدع والأهواء- كل حزب بما لديه -يزعم أنه الحق- فرح معجب. ٣٢

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٣٣ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ
ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٤ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ
سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ٣٥ وَإِذَآ أَذَقۡنَا
ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ
إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣٧ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا
لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن
زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩
ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ
أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١

وإذا نال الناس ضرر دعوا ربهم -الخالق الرازق، وحده دون سواه- راجعين إليه طائعين، ثم إذا أذاقهم منه رحمة -كالأمن بعد خوف والشفاء بعد مرض والغنى بعد فقر والمطر والخصب بعد جدب وقحط ونحو ذلك- إذا فريق منهم -فجأة، عوضا عن شكره- بربهم يشركون: داعين وعابدين غيره! **٣٣**

ليكفروا بما أعطاهم سبحانه -فعاقبة شركهم أن جحدوا نعم الله بعد أن أذاقهم منه رحمة بعد ضرر- فتمتعوا -أيها المشركون، بما أنتم فيه من ضلال في الدنيا- فسوف تعلمون عاقبة صنيعكم. **٣٤**

أم أنزل الله عليهم برهانا، فهو يتحدث بما كانوا بسببه يشركون: مقررا صحة ما هم عليه؟! **٣٥**

وإذا أذاق الله الناس رحمة -كالغنى والصحة والأمن والذرية ونحو ذلك- فرحوا بها -فرح البطر- وإن يصبهم أمر سيئ -من جدب أو قحط أو مرض ونحو ذلك- بسبب ما اقترفت أيديهم -من كفر وآثام- إذا هم -فجأة، من رحمة الله- يقنطون وييئسون. **٣٦**

أولم يعلموا -حكمته- أن الله يوسع في الرزق لمن يشاء -كافرا كان أو مؤمنا- ويضيق على من يشاء: فسعة الرزق إذًا ليست كرامة وضيقه ليس إهانة؟ إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لقوم يؤمنون بالله استدلالا بما يشاهدون. **٣٧**

فأعط -أيها المسلم- الأقارب حقهم -فصل الرحم، وأعطهم ما يحتاجون من نفقة ونحو ذلك، هم- والمساكين والأغراب المسافرين المنقطعة نفقتهم، ذلك -الإعطاء- خير -من البخل عليهم- وأفضل للذين يريدون التقرب إلى الله، وهؤلاء هم الفائزون الباقون في النعيم الدائم، الناجون من المهالك. **٣٨**

فائدة! إعطاء كل ذي حق حقه من أسباب الفلاح.

ونُعطي كُلَّ ذي حَقٍّ حُقوقًا ... لِنُصبِحَ مُفلِحينَ لنا الأُجورُ

وما أعطيتم -أيها المسلمون- من ربا ليربو في أموال الناس -طمعا منكم في أن يردوا إليكم زيادة عما أعطيتم، فيزيد مالكم من أموالهم- فلا يربو عند الله -لا يزيد ولا يضاعف، فلا ثواب عليه- وما أعطيتم من زكاة تريدون التقرب إلى الله -مخلصي النية، لا تريدون مكافأة من أحد- فهؤلاء هم المضعفون: فيضاعف الله لهم ثوابهم كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عَشر أمثالها ﴾ [الأنعام ١٦٠]. **٣٩**

الله الذي خلقكم -من عدم- ثم رزقكم -في حياتكم- ثم يميتكم -بعد استيفاء آجالكم- ثم يحييكم -للحساب، فذلك عليه هين- هل من شركائكم -الذين أشركتموهم به أيها المشركون فعبدتموهم معه سبحانه- من يفعل من تلك الأمور أي شيء؟ تنزه وتقدس وتباعد وارتفع عما يشرك الخلق به. **٤٠**

ظهر الفساد -من كفر واقتراف آثام وظلم ورذيلة ومصائب وشدائد وانعدام خير أو نفع، وغير ذلك- في البر والبحر -فتفشى- بسبب ما كسبت أيدي الناس -واقترفت من كفر وآثام لم يتوبوا منها- ليذيقهم -سبحانه جزاء- بعض الذي عملوا، رجاء أن يرجعوا: إلى الحق، ومن جملته الحكم بشرع ربهم. **٤١**

فائدة! اقتراف المعاصي ليس حرية شخصية، بل يؤدي إلى تفشي ما يفسد الدنيا والآخرة.

بما اقتَرَفَ الوَرى ظَهَرَ الفَسادُ ... لَعَلَّهُمُ استفاقوا! أم يُبيرُ؟

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم
مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ
فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾
وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾
فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

أخبرهم أيها النبي الكريم -إن كانوا مرتابين- أن يتجولوا في الأرض فيتأملوا كيف كان مصير الذين من قبل -ليتعظوا- كان أكثرهم مشركين: فأهلكهم الله، وما نجى إلا أقليات مؤمنة. **٤٢**

فأقبل على الدين المستقيم وتوجه واثبت -أيها المسلم- من قبل أن يأتي يوم -القيامة- لا مرد له من الله -حتما آت- يومئذ يتصدع الخلق -بعد تجمعهم- ويتفرقون: فريق إلى الجنة وآخر إلى نار السعير كما قال تعالى ﴿ وتنذر يوم الجمع لا رَيب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ [الشورى ٧]. **٤٣**

من كفر فعليه جزاء كفره -النار، لا يخرج من عذاب الله الدائم الرهيب- ومن عمل -تصديقا لإيمانه- صالحا فلأنفسهم يمهدون ويهيئون: منازل في الجنة. **٤٤**

ليجزي الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة من فضله -لا ينقص من ثوابهم كما قال تعالى ﴿ لِيجزيَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقِسط ﴾ [يونس ٤]، بل يزيده كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عَشر أمثالها ﴾ [الأنعام ١٦٠]- إنه لا يحب -بل يبغض- الكافرين. **٤٥**

ومن آياته -سبحانه- أن يرسل الرياح مبشرات -بالمطر- وليذيقكم من رحمته -بنزول المطر أيها الناس يرسلها- ولتجوب السفن -المياه، تدفعها الرياح- بأمره -وقدرته- ولتلتمسوا من فضله -بالصيد والغوص والتجارة وغير ذلك، ولتنتفعوا بالتنقل- ورجاء أن تشكروه على نعمه ورحمته بكم. **٤٦**

ولقد أرسل الله من قبلك أيها النبي الكريم رسلا -رجالا من جنس البشر، ليسوا إناثا، ولا ملائكة ولا جنا كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم ﴾ [يوسف ١٠٩ ۞ النحل ٤٣]- إلى قومهم، فجاءوهم بالأدلة الجلية البينة على صدقهم، فانتقم سبحانه من الذين أجرموا واستحقوا العقاب وعذب، وكان حقا على الله -أوجبه على نفسه- نصر المؤمنين: بعد ابتلائهم. **٤٧**

فائدة! الأوضاع القائمة على الكفر والظلم والفسق والتشريع الجاهلي وغير ذلك من ألوان الفجور -التي فرضها النظام الدولي وتنفذها أنظمة وظيفية عميلة في أرضنا- لن تدوم مهما قويت شوكتها ومهما طال مكوثها، هذه حقيقة يجب الإيمان بها وبذل الطاقات لتحقيقها، والشرط في ذلك أن نقوم بالإسلام، ونعمل لله مخلصين موقنين لينصرنا كما قال تعالى ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ [الروم ٤٧].

ونَصرُ المؤمنينَ على النَّصيرِ ... فَقوموا بالَّذي أمَرَ القديرُ

الله الذي يرسل الرياح، فتثير سحابا، فيبسطه في السماء ويمده كيف يشاء ويجعله قطعا، فترى المطر يخرج من بينه، فإذا أصاب به من يشاء من -أرض- عباده إذا هم -فجأة خيرا- يستبشرون. **٤٨**

وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبل رؤيته لساكتين محزونين يائسين لا يتوقعون خيرا. **٤٩**

فانظر -أيها الإنسان- إلى آثار رحمة الله -متأملا- كيف يحيي الأرض -فيخرج بالمطر النبات- بعد موتها وجفافها، إن ذلك -الرب الخالق، القادر- لمحيي الموتى -يقينا للحساب يخرجهم: مثلما أحيا أرضا ميتة كما قال تعالى ﴿ ويُحيي الأرض بعد موتها وكذلك تُخرَجون ﴾ [الروم ١٩]- وقدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك إحياء الموتى للحساب. **٥٠**

ولئن أرسل الله ريحا فرأوا نباتهم مصفرا -قد أصابه التلف- لظلوا من بعده يكفرون: فهم متقلبون كما قال تعالى ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون. ﴾ [الروم ٣٦]، لا يتفكرون في قدرة الله، فالرياح التي جاءتهم بسحاب ومطر قد يرسل مثلها بهلاك. ٥١

فإنك أيها النبي الكريم لا تسمع الموتى -في قبورهم، ولا من ماتت قلوبهم فصاروا بمثابة الموتى- ولا تسمع الصم -إذ لا يسمعون سماع وعي وفهم وانتفاع- الدعاء -الذي ينذرهم- إذا تنحوا مغادرين: إذ أن ذلك كفر إعراض. ٥٢

وما أنت بمرشد العمي -وقد فقدوا البصر والبصيرة- ولا مخرجهم من ضلالهم، لست تسمع إلا من يؤمن بآيات الله -مصدقين بالقرآن- فهم مسلمون -لله- منقادون. ٥٣

الله الذي خلقكم -أيها الناس- من ضعف -مجرد نطفة ضعيفة- ثم جعل من بعد ضعف -الطفولة والصغر- قوة -الشباب والرجولة- ثم جعل من بعد قوة -الشباب والرجولة- ضعفا -عند الهرم- وشيبة، يخلق ما يشاء -كيفما شاء- وهو العليم الذي لا يخفى عليه شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء. ٥٤

ويوم -القيامة إذ- تقوم الساعة يقسم المجرمون مستحقو العقاب ما مكثوا -في الدنيا وفي القبور- غير قدر ساعة لا أكثر، مثل ذلك الصرف عن معرفة الصواب كانوا -في الدنيا- يقلبون: عن الحق. ٥٥

وأقسم الذين أعطاهم الله العلم والإيمان -من ملائكة وأنبياء وعلماء ربانيين، مبكتين موبخين المجرمين مستحقي العقاب- لقد مكثتم في كتاب الله -اللوح المحفوظ مما قدر لكم في الدنيا وفي البرزخ بين الموت والبعث كما قال تعالى ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون ﴾ [المؤمنون ١٠٠]- إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث! ولكنكم كنتم لا تعلمون أن مآل أفعالكم عذاب الآخرة. ٥٦

فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا أنفسهم بالكفر واقتراف الآثام ما يأتون به من أعذار -وأي عذر لهم، وقد أفنوا أعمارهم عصاة؟- ولا هم يردون إلى الدنيا ليعملوا ما يرضي الله. ٥٧

ولقد ضرب الله للناس في هذا القرآن أمثالا متعددة -ليتعظوا- ولئن جئتهم أيها النبي الكريم بآية دالة على صدقك ليزعمن الذين كفروا أن ما أنتم -أيها المومنون- إلا متبعون باطلا. ٥٨

مثلما طبع على قلوب الذين كفروا فكذبوا بك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون: توحيد الله، فهم فاقدون للعلم النافع الذي به يهتدون إلى الحق، فيغلقها تماما فلا يدخلها إيمان ولا تعي خيرا. ٥٩

فاصبر -حتى يأتي أمر الله لاحقا بقتال أهل الشرك في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]، وبقتال أهل الكتاب كما قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يد وهُم صاغرون. ﴾ [التوبة ٢٩]- إن وعد الله -بنصرك ونصر من اهتدى بهديك كما قال تعالى ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. ﴾ [غافر ٥١]- حق صادق واقع، ولا يدفعنك الذين لا يصدقون تصديقا تاما جازما لا يتخلله ريب إلى السفه: أو ترك الصبر. ٦٠

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾
فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟
مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا
مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾
وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ
سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ
فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ
لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾
وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ
وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا
مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾
فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ لُقْمَانَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًاۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا
خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

★ سورة لقمان ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. **١**

تلك آيات الكتاب -المنزل- ذي الحكمة: الحاكم المحكم المشتمل على الحكمة والأحكام. **٢**

هداية -القرآن، ومعه السنة- من الضلال ورحمة للمحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. **٣**

الذين يؤدون الصلاة ويظهرون هيئتها ويديمونها بشروطها، ويخرجون الزكاة الواجبة في أموالهم، وهم بالآخرة -بالبعث، بغير افتراء على الله- هم يصدقون تصديقا تاما جازما لا يتخلله أدنى ريب. **٤**

هؤلاء على هداية من ربهم -فقد أرشدهم إلى طريق مستقيم يذهب بهم إلى ما فيه رضاه- وهؤلاء هم الفائزون الباقون في النعيم الدائم، الناجون من المهالك. **٥**

ومن الناس من يقبل على الأحاديث الملهية عن الخير -المرغبة في الكفر والفسوق والعصيان والمجون والمنكرات، أو الرادة عن الحق المجادلة بالأباطيل والضلالات، أو التي تؤول إلى عداوة أو كراهية، أو المشتملة على كذب أو غيبة أو نميمة أو شتم وسب أو غناء وموسيقى أو غير ذلك من أباطيل- ليضل -الناس وإن أنكر، ويضل هو- عن طريق الله -جهلا- بغير علم -بمآل أفعاله- ويتخذ آيات الله محل استهزاء، هؤلاء لهم عذاب مهين مذل. **٦**

فائدة! الطواغيت ينفخون في أنصاف المتعلمين والجهال والدراويش حتى يصبحوا أعلاما ويلبسوا بهم على الناس فيمرروا عن طريقهم الضلالات، مع الترويج لمنكرات وتفاهات -كالغناء والرقص والتمثيل والمسابقات "الرياضية" ككرة القدم وغيرها- ليلهوا الناس عن المطالبة بحقوقهم -وأعظمها إقامة شرع الله والحكم بما أنزل- ويلمعون الرعاع ليجعلوا منهم قدوات، فينصرف الناس إليهم تاركين ما ينفعهم.

أطاغوتًا: تُرَوِّجُ للتَّلَهِّي؟ ... وتَنفُخُ في الرِّعاعِ بِهِم تُديرُ؟

وإذا تقرأ عليه آيات الله -المنزلة- تنحى مستكبرا -غير ملتفت لآيات الله- كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه صمما -فلا يسمع سماع وعي وفهم وانتفاع- فبشره أيها النبي الكريم بعذاب أليم ينتظره. **٧**

إن الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة لهم جنات النعيم الدائم. **٨**

خالدين فيها -ينعمون- وعد الله حقا صادقا واقعا، وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٩**

خلق السماوات بغير أعمدة ترونها -أيها الناس- وألقى -طارحا- في الأرض جبالا تثبتها كالأوتاد كما قال تعالى ﴿ والجبال أوتادا. ﴾ [النبإ ٧] كراهة أن تضطرب بكم يمنة ويسرة، ونشر في أرجائها من كل كائن يدب، وأنزل الله من السماء مطرا، فأنبت سبحانه فيها من كل صنف -نافع- كريم. **١٠**

هذا -المذكور- خلق الله، فأروني -أيها المشركون- ماذا خلق الذين من دونه -من طواغيت دعوتموها وعبدتموها- بل الظالمون لأنفسهم بالكفر في ضلال واضح عن الحق، لا يعرفون للرشاد سبيلا. **١١**

ولقد أعطى الله لقمان الحكمة -فاصلة بين الهدى والضلال، آمرا- أن اشكر لله -نعمه- ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه -فالنفع له كما قال تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنَّكم ﴾ [إبراهيم ٧]- ومن كفر -لم يؤد شكر نعم الله، كمن كفر نعمتي الصحة والمال فلم يحج وهو قادر- فإن الله غني عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه، محمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. ١٢

واذكر أيها النبي الكريم حين ذكر لقمان لابنه وهو يأمره محذرا: يا بني لا تشرك بالله -شيئا ولا أحدا، مهما ارتفع قدره!- إن الشرك لظلم عظيم: فعدم إخلاص الله بالعبادة مآله عذاب الآخرة. ١٣

وأمر سبحانه الإنسان بالبر بوالديه، حملته أمه وهنا على وهن -في بطنها، ضعفا ومشقة- وفطامه كما قال تعالى ﴿ والوالدات يُرضعن أولادهنَّ حَولَين كاملَين لمن أراد أن يُتمَّ الرَّضاعة ﴾ [البقرة ٢٣٣] في عامين -آمرا- أن اشكر لله -نعمه- ولوالديك -ما تحملا- إلى الله المرجع في الآخرة: أفتعصاه؟ ١٤

فائدة! ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك. ﴾ [البخاري ٥٩٧١ * مسلم ٢٥٤٨ * ابن ماجة ٢٧٠٦ * أحمد ٨٣٤٤].

بِحُسنِ الصُّحبَةِ الأمُّ الأحَقُّ ... وبَعدَ الأمِّ والِدَهُ يَصيرُ

وإن اجتهدا في دفعك -يا عبد الله- على أن تشرك بالله ما ليس لك بكونه إلها علم فلا تطعهما -أبدا مهما فعلا فإن أمركم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث علي بن أبي طالب ﷺ ﴿ لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل. ﴾ [البخاري ٧٢٥٧ * مسلم ١٨٤٠ * أبو داود ٢٦٢٥ * النسائي ٤٢٠٥ * أحمد ١٠٩٥]- وصاحبهما في الدنيا بما دل الشرع والعقل على حسنه، واسلك طريق من رجع إليه -سبحانه- طائعا، ثم إليه رجوعكم في الآخرة فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم به. ١٥

استكمل محذرا ابنه مبينا أنها إن تك -حسنة أو سيئة في خفة- وزن حبة من خردل فتكن -مخبأة- في صخرة، أو -حيثما كانت- في السماوات أو في الأرض يأت بها الله -فيحاسب سبحانه فاعلها- إن الله لطيف في تدبيره رفيق عالم بدقائق الأمور، خبير لا يفوته شيء. ١٦

أردف ناصحا ابنه أن يؤدي الصلاة ويظهر هيئتها ويديمها بشروطها، ويأمر بما دل الشرع والعقل على حسنه وينهى عما دلا على قبحه، ويصبر على ما أصابه -من أقدار الله وأذى عباده، فإنه مصيب كل مصلح- إن ذلك -الصبر- من الأمور التي أوجبها الله، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم والهمم العالية. ١٧

واستكمل محذرا إياه ألا يعرض بوجهه عن الناس تكبرا، ولا يمشي في الأرض مختالا مفتخرا، إن الله لا يحب -بل يبغض- كل مختال معجب بنفسه، متكبر -على الناس- مفتخر. ١٨

ويتوسط في مشيه -بين الإسراع الشديد والبطء، في سكينة ووقار: متواضعا، أخلاقه كمشيته كما قال تعالى ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَونا ﴾ [الفرقان ٦٣]- ويخفض من صوته -فلا يتكلف رفعه- إن أنكر الأصوات لصوت الحمير: قبيح عال مؤذ. ١٩

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ
ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ
وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ
وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓۚ إِلَيْنَا
مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾
نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ
مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

ألم تعلموا -فتدركوا أيها الناس- أن الله ذلل لكم ما في السماوات -لتنتفعوا بالذي فيها كما قال تعالى ﴿ وسخَّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مُسخَّرات بأمره ﴾ [النحل ١٢]- وما في الأرض: قد خلقه من أجلكم، إما للانتفاع والاستمتاع أو للاعتبار كما قال تعالى ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ﴾ [البقرة ٢٩]؟ وأتم عليكم نعمه وأكملها، ظاهرة -من بعث أنبياء وإنزال كتب- وباطنة: من فطرة وفطنة وعقل وفهم، لتهتدوا إلى الحق بإذنه؟ ومن الناس من يجادل في الله -وشرائعه الواضحة، بل وفي ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، جهلا- بغير علم ولا هداية -بل قد يختار اتباع من يزيده ضلالا- ولا كتاب منير مضيء مبين للعقائد والفقه. **٢٠**

وإذا جرى دعوة الذين كفروا إلى اتباع ما أنزل الله -رغبوا عما أنزل من هدى ونور، ثم- عللوا رغبتهم عنه: بل نكتفي بما وجدنا عليه أسلافنا -من معتقدات وعادات وتقاليد- أولو كان الشيطان يدعوهم إلى -خلود في- عذاب النار المستعرة: رغم ذلك يجيبون دعوته بتقليد أسلافهم الجهلة الضالين؟! **٢١**

ومن يخلص عمله لله مستسلما متوجها إليه بقلبه -يجاهد نفسه ملتمسا مرتبة أعلى مما هو عليه- وهو محسن في عبادته متبع لشرعه، محسن في معاملة عباده فقد تمسك من الدين بقوة جد فائقة بأوثق سبب محكم للنجاة، وإلى الله وحده مرجع الأمور ومصير العباد، وسيجازي كلا بما قدم. **٢٢**

ومن كفر فلا يحزنك أيها النبي الكريم كفره، إلى الله رجوعهم في الآخرة فيخبرهم سبحانه بما عملوا -في الدنيا ويجازيهم به- إن الله عليم بكل ما في صدور الخلق من إيمان وكفر، ومن خير وشر. **٢٣**

يمتعهم سبحانه قليلا -ويرزقهم في حياة دنيا لا تقارن بالآخرة كما قال تعالى ﴿ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ [التوبة ٣٨]- ثم يلجئهم سبحانه مجبرين إلى عذاب غليظ. **٢٤**

ولئن سألت أيها النبي الكريم المكذبين بك من خلق السماوات والأرض ليجيبن -هو- الله، أثن على الله -لإقامة الحجة عليهم بل على ألسنتهم، أيشرك بالله بعد هكذا إقرار عاقل؟- بل أكثرهم لا يعلمون قدر ربهم كما قال تعالى ﴿ ما قدَروا الله حق قدره إنَّ الله لقوي عزيز. ﴾ [الحج ٧٤]. **٢٥**

لله ما في السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، إن الله هو الغني عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه، المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. **٢٦**

ولو أنما في الأرض من أشجار -جميعها، قد بريت فهي- أقلام، والبحر -قد صار حبرا- يمده من بعد انتهائه سبعة أبحر -أو أكثر، فكتب بالأشجار والأبحر- ما نفدت كلمات الله -بل ولا كادت، فعلم الله وحكمته وأسراره ليس لذلك نهاية، إذ لا مثيل لله كما قال تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى ١١]- إن الله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٢٧**

ما خلقكم ولا بعثكم -للحساب يوم القيامة أيها الخلق، على كثرة عددكم- إلا كنفس واحدة -في سهولة خلقها وبعثها عليه سبحانه- إن الله سميع لكافة ما يقول عباده، بصير لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. **٢٨**

ألم ينته علمك -أيها العبد- أن الله يدخل الليل في النهار فيطول وقت النهار، ويدخل النهار في الليل فيطول وقت الليل، ويعاقب بينهما؟ وذلل الشمس والقمر -لما يراد منهما من طلوع وأفول وحركة- كل يجري إلى زمن محدد في علم الله؟ وأن الله -أيها العباد- بجميع أعمالكم خبير، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها؟ **٢٩**

ذلك -المذكور من تعاقب الليل والنهار- بسبب أن الله هو الحق -لتوقنوا ألا إله سواه، فمن ذا الذي يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك؟- وأن ما يدعون ويعبدون من دونه -من طواغيت- الباطل -الذي لا أساس له- وأن الله هو العلي على الجميع بذاته وقدره وقهره، الكبير لا أكبر منه: أفلا تتقونه؟ **٣٠**

ألم ينته علمك -أيها العبد- أن السفن تجوب المياه بنعم الله: لطفا منه ورحمة بخلقه؟ ليريكم -أيها العباد، نزر قليل- من آياته الدالة على كمال قدرته، إن في ذلك -الإنعام على خلقه- لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لكل كثير الصبر على طاعة الله وأقداره، كثير الشكر لله على نعمه. **٣١**

وإذا غمرهم وغطاهم موج -هائل- كالجبال أو كالسحاب المظلل -وخافوا الغرق- دعوا الله مخلصين له الدين -بلا شرك ولا رياء- فلما نجاهم إلى البر -لم يستمروا جميعا على الإخلاص- فمنهم مقتصد معتدل لا يتجاوز الحد في الدين -كذلك منهم من أشرك بالله- وما يجحد بآيات الله -منزلة كانت أو كونية أو عقلية- إلا كل معتاد الغدر لا عهد له، عظيم الكفران بنعم ربه لا يشكرها. **٣٢**

يا أيها الناس اتقوا ربكم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واخشوا يوما -قيامتهم- لا يجزي والد عن ولده -فلا يغني عنه- ولا مولود هو جاز عن والده -ولا مغن عنه- شيئا -بل فيه يفر الإنسان من أقرب خلق الله إليه كما قال تعالى ﴿ فإذا جاءت الصَّاخَّة. يوم يفرُّ المرء من أخيه. وأمه وأبيه. وصاحبته وبَنِيه. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه. ﴾ [عَبَس ٣٣ ~ ٣٧]، فكيف بالأجانب؟- إن وعد الله -البعث والحساب ثم الجنة أو النار- حق صادق واقع، فلا تغرنكم الحياة الدنيا -بزينتها فتنخدعوا بها وبإمهال الله إياكم- ولا يغرنكم بالله الشيطان: فيخدعكم بحلم ربكم. **٣٣**

إن الله عنده -وحده دون سواه- علم الساعة -فقد استأثر بعلم وقت قيام القيامة وتفاصيل ما يحدث فيها- وينزل المطر يغاث به خلق -متى شاء حيثما شاء- ويعلم ما في الأرحام -من ذكور وإناث، وغير ذلك من تفاصيل لا يعلمها مخلوق كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه مَلَكا بأربع كلمات: فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح ﴾ [البخاري ٣٣٣٢ * مسلم ٢٦٤٣ * أبو داود ٤٧٠٨ * الترمذي ٢١٣٧ * ابن ماجة ٧٦ * أحمد ٣٦٢٤]- وما تدري نفس -كائنة من كانت، إنسا كانت أم جنا- ماذا تكسب -من كسب دينها أو دنياها من خير أو شر- في قابل الأيام، وما تدري نفس بأي مكان تموت، إن الله عليم لا يخفى عليه شيء، خبير بجميع أعمال خلقه، ما يظهرون منها وما يبطنون، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. **٣٤**

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ
فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ
أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ
ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ
تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ
فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ
وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجۡدَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢
أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم
مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى
ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤
يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ
مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ
مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨
ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ
وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم
مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١١

★ سورة السجدة ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. ١

تنزيل الكتاب لا ريب فيه -فهو ليس إلا- من رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. ٢

أم يزعم الكفار أن محمدا ﷺ افترى القرآن -حاشاه- لم يوح إليه؟ بل هو الحق لا يتطرق إليه باطل من ربك أيها النبي الكريم، لتنذر قوما -أهل مكة ثم بقية العرب- ما أتاهم أي نذير بالعقاب من قبلك -تفضلا من الله، ولو عاجلهم بعقوبة في الدنيا لما كان ظالما، إذ بلغتهم نذارة إبراهيم عليه السلام بل وبلغهم بعض شعائر الحج، فأشرك معظمهم رغم وجود من أقام عليهم حجة ولم يعبد وثنا كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما- رجاء أن يهتدوا ويعملوا بما جئتهم به ويسلكوا الطريق القويم. ٣

الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- استواء يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه لا ندري كيفيته، ليس لكم -أيها الخلق، إنسا كنتم أو جنا- من دونه من ولي يتولى أموركم ولا شفيع يشفع لكم عنده -لا أسلاف ولا أوثان ولا غير ذلك- أفلا تتذكرون: فتتعظوا ويدرك من يشرك بالله ما هو عليه من ضلال، فيوحد الله؟! ٤

يدبر -وحده- أمر الكون وشؤون الخلق -فيتنزل أمره- من السماء إلى الأرض -ليشمل الكون من أعلاه إلى أسفله كما قال تعالى ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهنَّ يَتَنَزَّل الأمر بينهنَّ ﴾ [الطلاق ١٢]- ثم يصعد إليه -الملائكة وقد سجلت أعمالكم، أيها الخلق- في يوم كان مقداره ألف سنة مما -في الدنيا- تعدون: لا تقيسوا ما يخبركم الله به من غيب بمقاييس الحياة الدنيا. ٥

فائدة! عذاب الآخرة ممتد رهيب لا يتصوره عقل، فلا يتهاونن مسلم استنادا إلى أنه سيخرج من النار!

ولا يَتهاونُ المَرءُ استِنادًا ... إلى إسلامِهِ، فالنارُ بُورُ

ذلك -الإله المدبر هو- عالم ما غاب وما شوهد العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العظيم الرحمة بالمؤمنين. ٦

الذي أحسن كل شيء خلقه -فأتقنه- وبدأ خلق الإنسان -بأن خلق أبا البشر آدم عليه السلام- من طين. ٧

ثم جعل نسله -من بعد خلق آدم وحواء عليهما السلام- من ولد من ماء ممتهن: مني حقير قليل. ٨

ثم سوى خلقه وعدل صورته ونفخ فيه من روحه -فأحياه- وجعل لكم -أيها الناس- السمع والأبصار والقلوب -لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا، فتعلموا، وتعملوا- قليلا ما تشكرون الله على نعمه. ٩

وتساءل منكرو البعث -مستنكرين- أئذا غابوا في الأرض أئنهم -من قبورهم- لمخلوقون من جديد؟ بل هم بلقاء ربهم -في الآخرة- كافرون: عنادا وتعنتا، ليس تحريا عن الحق كما يزعمون. ١٠

أخبرهم أيها النبي الكريم أن يتوفاكم مَلَك الموت الذي وكل بكم -فيقبض أرواحكم، بأمر ربكم- ثم إلى ربكم وحده ترجعون في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء. ١١

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢
وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ
ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١٣
فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ
وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٤ إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ
عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٧ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ
لَّا يَسْتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ
جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟
فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا
وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠

ولو يرى الرائي إذ المجرمون مستحقو العقاب خافضي رؤوسهم -ذلا وندما وحياء، إذ يحاسبون- عند ربهم يعتذرون إلى ربهم مدعين أن أبصروا -ما قد كذبوا به في الدنيا من بعث وحساب- وسمعوا -ما قد أنكروا صحته مما جاء به أنبياؤه- فيسألونه أن يرجعهم -إلى الدنيا- يعملوا صالحا -فيتوبوا ويؤمنوا، ليرضى عنهم- زاعمين أنهم -الآن- موقنون بما جاءت به الأنبياء، لرأى أمرا هائلا مما آلوا إليه. ١٢

ولو شاء الله لأعطى سبحانه كل نفس هداها -فلآمن الجميع كما قال تعالى ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ﴾ [يونس ٩٩]- ولكن نفذ القضاء والقدر ووجب العذاب منه: ليملأن جهنم -يوم القيامة من مستحقي دخولها- من الجن والإنس جميعا. ١٣

فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء يوم قيامتكم هذا -وترك العمل لآخرتكم: يقال لهم تبكيتا- إن الله ترككم سبحانه منسيين -في ناره لا يأبه بكم- وذوقوا عذاب الخلد بسبب ما كنتم تعملون من كفر وآثام. ١٤

إنما يؤمن بآيات الله الذين إذا جرى تذكيرهم بها سقطوا سجدا، ونزهوا ربهم وقدسوه متلبسين ومقرونين بالثناء عليه، وهم -عن العودة إلى الحق، وعن السجود لله- لا يستكبرون. ١٥

ترتفع جنوبهم عن المراقد -تاركين نومهم في جوف الليل، إذ يقومون للصلاة ولذكر ربهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث معاذ بن جبل ﷺ ﴿ وصلاة الرجل من جوف الليل، قال: ثم تلا: ﴿ تتجافى جُنُوبهم عن المَضاجع ﴾ حتى بلغ ﴿ يعملون ﴾ ﴾ [الترمذي ٢٦١٦ * ابن ماجة ٣٩٧٣ * أحمد ٢٢٠١٦]- يدعون ربهم خوفا -من عقابه- وطمعا -في ثوابه- ومما رزقهم الله -فيما أوجبه كالزكوات وعلى من تلزمهم مؤونتهم، وفيما استحسنه كالصدقة ونحوها، في طاعته طلبا لمرضاته- ينفقون. ١٦

فائدة! من سمات أهل الحق تقبل النصيحة والموعظة وعدم الاستكبار والمواظبة على قيام الليل.

نَقومُ اللَّيلَ والنُّصحَ اقبَلوهُ ... ويَرفُضُهُ شِرارٌ، هُم سَجورُ

فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين تطيب أنفسهم -به- جزاء بسبب ما كانوا يعملون: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴾ [البخاري ٣٢٤٤ * مسلم ٢٨٢٤ * الترمذي ٣١٩٧ * ابن ماجة ٤٣٢٨ * أحمد ٩٦٤٩]. ١٧

أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن طاعة الله؟ لا يستوون: عند الله، ولا عند مؤمن واعٍ. ١٨

أما الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة فلهم جنات المأوى مهيأة لضيافتهم، بسبب ما كانوا يعملون مما وفقهم الله له ليكونوا أهلا لرحمته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ لن يدخل أحدا عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا ﴾ [البخاري ٥٦٧٣ * مسلم ٢٨١٦ * أحمد ٩٨٣١]. ١٩

وأما الذين فسقوا وخرجوا عن طاعة الله فمستقرهم النار، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وأمروا -تبكيتا لهم- أن يذوقوا عذاب النار الذي كانوا به -في الدنيا- يكذبون. ٢٠

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ
مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾
وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ
وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ
زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

وليذيقن الله الذين فسقوا وخرجوا عن طاعته من العذاب الأدنى -في الدنيا، ومن جملته ما جاءهم يوم بدر- دون العذاب الأكبر -في القبر، ثم في الآخرة- رجاء أن يرجعوا: إلى الحق. **٢١**

ومن أعظم ظلما ممن جرى تذكيره بآيات ربه ثم أعرض عنها منصرفا -لم يهتم- إن الله من المجرمين مستحقي العقاب منتقم سبحانه معذب: وقد يأتيهم بعضه في الدنيا. **٢٢**

ولقد أعطى الله موسى التوراة، فلا تكن أيها النبي الكريم في شك أو ريبة من لقائه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ رأيت ليلة أسري بي موسى: رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى: رجلا مربوعا، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، ورأيت مالكا خازن النار، والدجال في آيات أراهن الله إياه: ﴿ فلا تكن في مرية من لقائه ﴾ ﴾ [البخاري ٣٢٣٩ * مسلم ١٦٥]، وجعله سبحانه -موسى عليه السلام، والتوراة- هداية لبني إسرائيل من الضلال. **٢٣**

وجعل الله منهم أئمة -يقتدي بهم عباد الله في الخير- يرشدون إلى الحق بأمره سبحانه -لكن متى؟- لما صبروا على طاعته وأقداره، وكانوا بآيات الله يصدقون تصديقا تاما جازما لا يتخلله ريب. **٢٤**

فائدة! الإمامة في الدين تنال بالصبر واليقين مع العلم والتقوى، فلا تتخذوا علماء السلطان ولا ما أنشأ الطواغيت وما يسيطرون عليه من "هيئات" أو "روابط" أو "لجان" أئمة تأخذون منهم دينكم.

أطاغوتًا: تُصَدِّرُ أهلَ سُوءٍ؟ ... ويُزعَمُ أنَّ عِلمَهُمُ البُحورُ!

إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون: فكل بما قدم إلى الجنة أو إلى النار. **٢٥**

أولم يتبين للكفار كم أهلك الله من قبلهم من الأمم المتتالية -وهم- يمشون في مساكن بعض تلك الأمم ويرون ما أبقى الله من آثارهم؟ إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق، أفلا يسمعون: سماع وعي وفهم وانتفاع؟! **٢٦**

أولم يعلم منكرو البعث -قدرته- أن الله يسوق الماء إلى الأرض التي قطع نباتها -لقلة الماء- فيخرج سبحانه به زرعا تأكل منه أنعامهم -من إبل وبقر وغنم- وأنفسهم؟ أفلا يبصرون: فيتعظوا ويدركوا أن الله القادر على سوق الماء وإخراج زرع حي به من أرض ميتة قادر على بعثهم بعد موتهم؟! **٢٧**

ويسأل المشركون النبي ﷺ والمؤمنين -مستنكرين متهكمين- متى هذا الفتح -الذي يفصل الله فيه بينهم، فينصر أهل الإسلام على أهل الشرك كما تزعمون، أخبرونا- إن كنتم صادقين؟ **٢٨**

أجبهم أيها النبي الكريم بأن يوم -القيامة، حين- الفتح -والفصل بينهم- لا ينفع الذين كفروا -وماتوا على الكفر- إيمانهم، ولا هم يمهلون ليتوبوا بعد أن مضى وقت الإمهال بانقضاء حياتهم الدنيا. **٢٩**

فأعرض عنهم لا تبال بهم -حتى يأذن الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]- وانتظر -نصرا عليهم ثم عذابا أبديا لمن ماتوا كفارا- إنهم منتظرون: ما قدر الله لهم فلا فكاك منه، وأن يحل بك شر كما قال تعالى ﴿ أم يقولون شاعر نَتربَّص به رَيب المَنون. ﴾ [الطور ٣٠]. **٣٠**

سُورَةُ الأَحْزَابِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ
وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ
أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ
وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ٤ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ
فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ
عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ
وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ
فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ
أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦

★ سورة الأحزاب ★

★ مدنية ★

يا أيها النبي اتق الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه -ثابتا على ذلك، وليتبعك كل فرد من أمتك- ولا تطع الكافرين والمنافقين -فهم الأعداء حقيقة، فلا تطعهم فيما ينقض تقوى الله، ولا تصانعهم مظنة تحصيل منفعة- إن الله كان عليما لا يخفى عليه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. ١
واتبع ما يوحى إليك من ربك -فاعمل به لا تحد عنه، ولا تبتدع، وليتبعك كل فرد من أمتك- إن الله كان بجميع أعمالكم خبيرا، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. ٢
واعتمد على الله وحده في جميع أحوالك، وكفى بالله وكيلا يعتمد عليه. ٣
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وما جعل -كذلك- زوجاتكم: اللائي تظاهرون منهن -بقول: "أنت علي كظهر أمي" حراما عليكم مثل- أمهاتكم! وما جعل من ادعيتموهم أبناءكم -بالتبني، أيها المؤمنون- أبناءكم، ذلك -الافتراء، ظهارا كان أو تبنيا- كلامكم تتفوهون به -ليس له تأثير- والله يخبر الحق -لتعملوا به- وهو يوفق ويرشد الطريق القويم: قول الحق واتباعه، وتجنب الباطل والابتداع. ٤
انسبوهم إلى آبائهم -الذين هم من أصلابهم- هو أنصف عند الله -كما جاء على لسان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن: ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ ﴾ [البخاري ٤٧٨٢ ★ مسلم ٢٤٢٥ ★ الترمذي ٣٢٠٩ ★ أحمد ٥٤٧٩]- فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين -وأولياؤكم هم، فنادوهم "يا أخوة"- ومواليكم -إذ أعتقتم رقابهم، فنادوهم "موالي فلان"- وليس عليكم لوم ولا إثم فيما وقعتم به من خطأ -غير قاصدين ولا متعمدين- ولكن ما تعمدت قلوبكم -عليه لوم وإثم- وكان الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. ٥
النبي أولى بالمؤمنين وأحق من أنفسهم -في أمورهم جميعها، ومن جملتها قضاء ديونهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلينا قضاؤه، ومن ترك مالا فلورثته. ﴾ [البخاري ٦٧٣١ ★ مسلم ١٦١٩ ★ أبو داود ٢٩٥٥ ★ الترمذي ١٠٧٠ ★ النسائي ١٩٦٣ ★ ابن ماجة ٢٤١٥ ★ أحمد ٧٨٩٩]، وعلى المؤمنين أن يقدموه على أنفسهم، ويطيعوه، ويحبوه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين. ﴾ [البخاري ١٥ ★ مسلم ٤٤ ★ النسائي ٥٠١٣ ★ ابن ماجة ٦٧ ★ أحمد ١٢٨١٤]- وزوجاته -بمنزلة- أمهاتهم -في القدر والاحترام، وليس في المحرمية، ويحرم تزوجهن بعد وفاته كما قال تعالى ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ﴾ [الأحزاب ٥٣]- وذوو القرابة بعضهم أولى ببعض في كتاب الله -قرآنه الذي قد نسخ التوارث بالإيمان والهجرة والتبني والحلف- وأحق من المؤمنين والمهاجرين، إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا -من صدقة أو وصية ونحو ذلك- كان ذلك -الحكم- في اللوح المحفوظ مكتوبا. ٦

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧
لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٨
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ
جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ
مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ
زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم
مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ
مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ
مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ
إِلَّا فِرَارٗا ١٣ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ
لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ١٤ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ
ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ١٥

واذكر أيها النبي الكريم حين أخذ الله من الأنبياء عهدهم الثقيل -أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يصدق بعضهم بعضا، وأن يبلغوا ما أمرهم بتبليغه- ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم -أولي العزم من الرسل: أخذ العهد على وجه الخصوص- وأخذ سبحانه منهم عهدا ثقيلا مؤكدا. ٧
ليسأل الصادقين عن صدقهم -في تبليغ ما أمرهم به، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلَّغ ﴾ [البخاري ٣٣٣٩ * الترمذي ٢٩٦١م * ابن ماجة ٤٢٨٤ * أحمد ١١٢٨٣]: قد أخذ سبحانه منهم عهدا ثقيلا مؤكدا لذلك السبب- وأعد للكافرين -إذ كذبوا أنبياءه- عذابا أليما. ٨
يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعم الله عليكم، حيث جاءتكم جنود -يوم الخندق، إذ نقض يهود بنو قُريظة عهدهم مع النبي ﷺ وتحزبوا مع مشركي قريش وغيرهم لغزو المسلمين- فأرسل سبحانه عليهم ريحا -أضرت بفسطاط الكفار، وهي كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور. ﴾ [البخاري ١٠٣٥ * مسلم ٩٠٠ * أحمد ١٩٥٥]- وجنودا -رعبا ألقاه عليهم، وملائكة- لم تروها، وكان الله بما تعملون بصيرا، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. ٩
حيث جاءوكم من أعلى واديكم ومن أسفله -جهتي المشرق والمغرب- وحيث انحرفت الأبصار -عن كل شيء، إلا عن أعداء يغزونهم- وبلغت القلوب الحناجر -مرتفعة عن أماكنها، من شدة الخوف- وتظنون -أيها المسلمون- بالله الظنون: المختلفة، بعضكم يظن النصر، والبعض يظن الهزيمة. ١٠
في هذا المقام ابتلي المؤمنون -فاختبرهم ربهم- واضطربوا مما أصابهم اضطرابا شديدا. ١١
وحيث يزعم المنافقون -كعبد الله بن أبي بن سلول، ومن على شاكلته من منافقي كل عصر- والذين في قلوبهم شك وشبهة أن ما وعدهم الله ورسوله -من نصر- إلا غرورا: يغرونهم به ويخدعونهم. ١٢
وحيث خاطبت طائفة منهم -من المنافقين- أهل يثرب -اسم المدينة قبل الهجرة النبوية- زاعمة أن لا إقامة لهم فليرجعوا -من فسطاط المؤمنين إلى بيوتهم ويتركوا الجهاد: ما أشبه اليوم بالبارحة!- ويستأذن فريق منهم -ممن في قلوبهم شك وشبهة- النبي -في ترك الجهاد- يزعمون أن بيوتهم عورة -مكشوفة، غير ممتنعة من الأعداء- وما هي -في الواقع- بعورة -بل- ليس يريدون إلا فرارا: من الجهاد. ١٣
فائدة! الكثرة العددية قد تتحول عند الشدائد إلى نقمة إذا كانت خليطا من مؤمنين صابرين وغيرهم.

نَواةً صَلبَةً مِنْ أهلِ صبرٍ ... وإيمانٍ أعِدُّوها وثُوروا

ولو دخلت عليهم -المدينة- من أرجائها ثم سئلوا الفتنة -والردة عن الإسلام- لأعطوها -بسهولة لمن يسألهم لا يقاومون فتنته- وما أقاموا بالمدينة -بعد أن يرتدوا، حتى يهلكهم الله- إلا -زمنا- يسيرا. ١٤
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل -يوم الخندق- لا يولون الظهور فارين -من جهاد أعدائه- وكان عهد الله مسئولا: عنه، فلا تظنوا ألا تبعة له، بل يسأل الله عباده عما عاهدوه عليه، ويجازيهم بما قدموا. ١٥

أخبرهم أيها النبي الكريم أن لن ينفعهم الفرار إن فروا -خوفا- من الموت أو القتل -فمن حضر أجله مات أو قتل، فر من الجهاد أو لم يفر- وحينئذ لا يمتعون -بعد فرارهم من الجهاد، في الحياة الدنيا- إلا قليلا: من الزمن، إلى أن تحضر آجالهم، وكل آت قريب. **١٦**

سلهم من ذا الذي -يستطيع أن- يحميهم من الله -القادر- إن أراد بهم أمرا سيئا أو أراد بهم رحمة؟ ولا يجدون لهم من دون الله وليا يواليهم فيجلب لهم الخير، ولا نصيرا ينصرهم فيدفع عنهم الشر. **١٧**

قد يعلم الله الذين يأتون بالمعوقات منهم -ليثبطوا غيرهم- ويدعون إخوانهم -في النفاق- أن يحضروا إليهم -ويتركوا الجهاد- ولا يشاركون في الجهاد إلا قليلا: فعملهم مراءاة للناس، وخوفا من العار. **١٨**

بخلاء عليكم -أيها المؤمنون، بالنفس والمال والجهد، لا يعينون بشيء ذي قيمة- فإذا جاء الخوف -عند ملاقاة العدو- رأيتهم أيها النبي الكريم ينظرون إليك، تدور أعينهم -من الرعب- كالذي يغمر ويغطى عليه من الموت -فيذهب عقله مما يعاني من سكراته- فإذا ذهب الخوف -وصاروا في أمن، وقسمت الغنيمة- آذوكم بألسنة سليطة -وأغلظوا القول- بخلاء على المال -حريصين على نيل أكثره- هؤلاء لم يؤمنوا -بل أظهروا الإيمان وهم يبطنون الكفر- فأفسد الله أعمالهم -الصالح منها، كالصدقة ونحوها، ولكفرهم لا يثابون عليها في الآخرة- وكان ذلك -الإبطال للأعمال أمرا- على الله يسيرا. **١٩**

يظنون -لفرط جبنهم- الأحزاب -الذين تحزبوا لغزو المسلمين كما هم، إلى ديارهم- لم يذهبوا، وإن يأت الأحزاب -مرة أخرى، إن قدر الله- يحبوا ويتمنوا لو أنهم في البادية مع الأعراب -ليسوا بالمدينة- يسألون -أيها المؤمنون- عن أخباركم: ماذا حل بكم؟ هل أستأصلكم أهل الكفر؟ ولو كانوا -مقيمين- فيكم ما قاتلوا -في صفكم، ولا أعانوكم- إلا قليلا: فعملهم مراءاة للناس، وخوفا من العار. **٢٠**

لقد كان لكم في رسول الله أسوة وقدوة حسنة لمن كان -ليس من المنافقين، بل مؤمنا- يتوقع -لقاء- الله واليوم الآخر -عاملا لنيل الثواب، فليتبع خطاه ﷺ- وذكر الله -اقتضاء به ﷺ، ذكرا- كثيرا. **٢١**

فائدة! لا طريق إلى الجنة إلا طريق دعا إليه وقاتل عليه والتزمه ومات عليه الرسول ﷺ.

طريقُ نَبِيِّنا نَبذُ النِّفاقِ ... جِهادٌ والتِزامٌ لا نَحورُ

فائدة! لذكر الله أثر عظيم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ﴿ مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت. ﴾ [البخاري ٦٤٠٧ * مسلم ٧٧٩].

ومَنْ ذَكَرَ العظيمَ فلا تَخافوا ... عليهِ، وغَيرُهُ هَمَلٌ كَسيرُ

ولما رأى المؤمنون الأحزاب -وعاينوا الجيوش متحزبة لغزوهم- استبشروا: هذا ما وعدهم الله -يتحقق- ورسوله -أخبرهم به: ابتلاء، ثم نصر الله كما قال تعالى ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمَّا يأتكم مثل الذين خلَوا من قبلكم مسَّتهم البأساء والضراء وزُلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إنَّ نصر الله قريب. ﴾ [البقرة ٢١٤]- وصدق الله ورسوله -دائما وأبدا، وها قد ظهر صدقهم جليا- وما زادهم -ما عاينوا- إلا إيمانا -بالله، الذي أمرهم بالجهاد- وتسليما: وانقيادا لأمره ولأمر رسوله. **٢٢**

قُلْ لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ
ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ
ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم
بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم
مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن
قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ لِّيَجۡزِيَ
ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ
يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٤ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ
أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ
فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ٢٦ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ
وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ
سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ
ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩
يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ
لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠

من المؤمنين رجال -صادقون في بيعتهم للنبي ﷺ- وفوا بما عاهدوا الله عليه، فمنهم من مات على عهده: كما جاء على لسان أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ عمي الذي سميت به لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدرا، قال: فشق عليه، قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غيبت عنه، وإن أراني الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أُحد قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس: يا أبا عمرو، أين؟ فقال: واها لريح الجنة، أجده دون أُحد، قال: فقاتلهم حتى قتل قال: فوجد في جسده بضع وثمانون، من بين ضربة وطعنة ورمية قال: فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي! إلا ببنانه! ونزلت هذه الآية: ﴿ رجال صدَقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نَحْبَه ومنهم من ينتظر وما بدَّلوا تبديلا ﴾ قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه، وفي أصحابه. ﴾ [البخاري ٢٨٠٥ * مسلم ١٩٠٣ * الترمذي ٣٢٠٠ * أحمد ١٣٠١٥]، ومنهم من ينتظر -مثل ذلك- وما بدلوا -عهدهم، كما يفعل المنافقون- قط. **٢٣**

ليجزي الله الصادقين بسبب صدقهم -فعاقبة الوفاء جنته- ويعذب المنافقين -المبدلين- إن شاء -في الآخرة- أو يوفقهم للتوبة -قبل موتهم- إن الله كان واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. **٢٤**

ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا -فلا شفى صدورهم، ولا أحرزوا نجاحا- وكفى الله المؤمنين -بما أرسل من ريح وملائكة ورعب- القتال، وكان الله قويا قادرا، عزيزا في قدرته لا يعجزه شيء. **٢٥**

وأنزل الذين عاونوا المشركين من أهل الكتاب -يهود بني قُريظة- من حصونهم المنيعة -لفرط جهلهم كذلك ظنوها- وقذف في قلوبهم الرعب، فريقا تقتلون -أيها المؤمنون- وتأسرون فريقا: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: قد وضعت السلاح؟! والله ما وضعته، اخرج إليهم، قال النبي ﷺ: فأين؟ فأشار إلى بني قُريظة، فأتاهم رسول الله ﷺ، فنزلوا على حكمه، فرد الحكم إلى سعد، قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم ﴾ [البخاري ٤١٢٢ * مسلم ١٧٦٩ * أحمد ٢٤٢٩٥]. **٢٦**

وأورثكم أرضهم -بثمارها- وديارهم -بيوتا كانت أو حصونا- وأموالهم -من مواش وسلاح وذهب وفضة وغير ذلك- وأرضا -غنمتموها- لم تنزلوها -بعد: خيبر- وكانت قدرة الله مطلقة لا يعجزه شيء. **٢٧**

يا أيها النبي خير زوجاتك: إن كن يردن الحياة الدنيا -لذلك يسألن ما ليس عندك- وما يتزين به فيها فليقبلن تعطيهن ما ينتفعن به ويتمتعن -متاع المطلقات- وتسرحهن مفارقا بغير خصام ولا إيذاء. **٢٨**

وإن كن يردن -رضا- الله ورسوله، والدار الآخرة -بجنتها ونعيمها- فإن الله أعد للمحسنات منهن في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق ثوابا عظيما: وكلهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، رضي الله عنهن. **٢٩**

يا نساء النبي من يرتكب منكن معصية ظاهرة الفحش يضاعف لها العذاب ضعفين -كعذاب اثنتين أتيتا بذات المعصية القبيحة- وكان ذلك -العذاب المضاعف- على الله يسيرا. **٣٠**

* وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ
وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

ومن يقنت -يطع خشوعا، مداومة على ذلك بغير جدال- منكن لله ورسوله وتعمل -تصديقا لإيمانها- صالحا يعطها الله ثوابها مرتين -كثواب اثنتين أتيتا بذات العمل- وأعد الله لها رزقا كريما: الجنة. **٣١**

يا نساء النبي لستن كأحد من النساء -فضيلة أو منزلة- إن اتقيتن بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، فلا تخضعن بالقول -بترقيق صوت أو إلانة كلام إذا كلمتن أحدا من الناس، خاصة عند مخاطبة أو تواجد غير المحارم من الرجال- فيطمع الذي في قلبه شك وشبهة، وتكلمن كلاما معروفا: طيبا على قدر الحاجة بلا غلظة، بعيدا عن الريبة والهزل والمزاح والهراء. **٣٢**

وقرن في بيوتكن -قرارا في وقار، فلا تخرجن لغير حاجة- ولا تبرجن -أمام غير المحارم، لا متكشفات للعيون مظهرات ما يجب ستره ولا متزينات أو متعطرات- تبرج الجاهلية الأولى -كما كان يحدث قبل الإسلام- وأدين الصلاة وأظهرن هيئتها وأدمنها بشروطها، وأخرجن الزكاة الواجبة في أموالكن، وأطعن الله ورسوله -في الظاهر والباطن، ثابتات- إنما يريد الله -بهذه الوصايا- ليذهب عنكم القاذورات -من إثم ودنس أعراض- أهل بيت النبي ﷺ، ويطهركم -نفوسا وأعراضا، ومن الآثام- تماما. **٣٣**

فائدة! لا يجوز للمسلمة التحدث بخضوع ولين عند تواجد غير المحارم من الرجال، ولا تخرج إلا على قدر الحاجة، مستترة بزي شرعي سابغ فضفاض لا يشف ولا يصف، غير متبرجة بزينة ولا بعطر.

أَتَخضَعُ بالحَديثِ نِساءُ دِينٍ؟ ... ألانَتْ قَولَها طَمَعَ الحَقيرُ

فائدة! ذم حال الجاهلية الأولى قبل الإسلام يقتضي المنع من مشابهة أهلها في أخلاقهم وأفعالهم إلا الصالح منها -كإكرام الضيف ونحو ذلك- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق. ﴾ [أحمد ٨٩٥٢]، ونحن الآن في جاهلية أخرى! نأخذ -تحت قهر الواقع- أسوأ ما عند الكفار من إلحاد وفجور وتفاهة، ونترك أحسنه من اجتهاد وتقدم علمي وصناعة!

أَقَهرُ الواقِعِ استَدعى الفُجورَ؟ ... ألا فاستَجلِبوا شَيئًا يُنيرُ!

واذكرن ما يقرأ في بيوتكن من آيات الله -المنزلة: داومن على تلاوتها والتعبد بها وتدبر معانيها والتفكر فيها- والحكمة -مما تعاين أو تسمعن من النبي ﷺ، نقلا لسنته، فحدثن أهل الإسلام بها- إن الله كان لطيفا في تدبيره رفيقا عالما بدقائق الأمور، خبيرا لا يفوته شيء. **٣٤**

إن المسلمين -القائمين بشرائع الإسلام الظاهرة- والمسلمات والمؤمنين -القائمين بشرائعه الباطنة- والمؤمنات والقانتين -المطيعين خشوعا- والقانتات والصادقين -الموفين بعهودهم، الذين لا يكذبون- والصادقات والصابرين -على طاعة الله وأقداره- والصابرات والخاشعين -المتواضعين لربهم المتذللين، يخافون عذابه- والخاشعات والمتصدقين -مخرجي الزكوات الواجبة، وإن أرادوا النفل- والمتصدقات والصائمين -الفروض، وإن أرادوا النفل- والصائمات والحافظين فروجهم -عن الزنا والشذوذ الجنسي، وعن أنظار الناس وملامسة أبدانهم، إلا عن حلائلهم- والحافظات والذاكرين الله كثيرا -بقلوب حاضرة وألسنة في جميع أحوالهم: قياما وجلوسا واضطجاعا- والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وثوابا عظيما. **٣٥**

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٖ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ
لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا
مُّبِينٗا ٣٦ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ
أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ
مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ
مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ
أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧
مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي
ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨ ٱلَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن
رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ
بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ
لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣

وما صح لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا -أوجباه- أن يكون لهم -إن كانوا حقا مؤمنين- أن يكون لهم الخيرة من أمرهم -بل ليس لهم إلا النزول على أمر الله ورسوله، فلا يقبلون ما أحبوا ويرفضون ما كرهوا- ومن يعص الله ورسوله فقد ضل عن الحق تماما وغاب غيابا واضحا. ٣٦

فائدة! إذا علم المسلمون حكم الدين في شيء فعليهم الطاعة، وليس الاعتراض بحجة عدم الاقتناع!

إذا حَكَمَت شريعتُنا أطَعنا ... أنَستَدعي اقتِناعًا أو نَخيرُ؟

واذكر أيها النبي الكريم حيث تنصح الذي أنعم الله عليه -بالإيمان بك- وأنعمت عليه -أنت، إذ كان عبدا مملوكا فأعتقه النبي عليه الصلاة والسلام ثم تبناه- أن يمسك عليه زوجته -لا يطلقها- ويتقي الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه -كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله، وأمسك عليك زوجك، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات. ﴾ [البخاري ٧٤٢٠ ★ الترمذي ٣٢١٢ ★ أحمد ١٢٥١١]- وتخفي في نفسك -كاتما- ما الله مبديه -ومظهر أنه أوحى إليك أن ستتزوجها بعد أن يطلقها- وتخشى الناس -استحياء منهم أن تتزوج طليقة رجل تبنيته، بعد أن تنصحه أن يطلقها- والله أحق أن تخشاه وأولى، فلما قضى زيد -بن حارثة، رضي الله عنه- منها -زينب بنت جحش رضي الله عنها- وطرا -إذ بنى بها، ثم طلقها وانقضت عدتها- زوجك سبحانه إياها، لكي لا يكون على المؤمنين مشقة ولا ضيق في -تزوج- زوجات من ادعوهم أبناءهم -بالتبني- إذا قضوا منهن وطرا -فبنوا بهن- وكان أمر الله مفعولا: واقعا لا محالة. ٣٧

ما كان على النبي من مشقة ولا ضيق فيما فرض الله -فأحل وقدر- له، سنة الله في الذين مضوا من قبل -أن ينال الأنبياء وأممهم ما فرض لهم من نكاح- وكان أمر الله قدرا نافذا وقضاء لا مرد له. ٣٨

الذين يبلغون رسالات الله -إلى خلقه كاملة غير منقوصة، سنتهم النكاح- ويخشونه -سبحانه، في كل قول وفعل- ولا يخشون أحدا إلا الله، وكفى بالله حاسبا لأعمال الخلق شاهدا عليها. ٣٩

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم -أيها المؤمنون، لم يعش له ابن ذكر حتى صار رجلا، وابنا بنته الحسن والحسين رضي الله عنهما ما صارا بعد رجالا، وقد تبنى زيد بن حارثة رضي الله عنه وأبطل الله التبني الآن وانتهى الأمر- ولكن رسول الله، وخاتم الأنبياء -يتزينون بوجوده فيهم، وهو العاقب الذي ليس بعده نبي، فلن يرسل الله بعده أنبياء- وكان الله بكل شيء عليما، بالأنبياء ومراتبهم، وبالأحكام التي شرعها لعباده. ٤٠

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا: في جميع أحوالكم، وادعوه سبحانه، وواظبوا على ذلك. ٤١

ونزهوه وقدسوه في كل وقت ولا سيما أول النهار وآخره. ٤٢

هو الذي يثني عليكم -ويغفر لكم ويرحمكم ويزيدكم نفعا وبركة- وملائكته -تدعوه، وتستغفره سبحانه لكم- ليخرجكم من ظلمات الكفر والضلال والمعاصي إلى نور الإيمان والهدى والطاعة -وعلى ذلك يثبتكم- وكان بالمؤمنين عظيم الرحمة. ٤٣

تحية الله والملائكة للمؤمنين يوم يلقون الله -عند الموت والبعث، وفي الجنة، وتحية بعضهم لبعض فيها- كلام سالم من الإثم، ويسلمون من كل مكروه، وأعد -سبحانه- لهم ثوابا كريما: الجنة. **٤٤**
يا أيها النبي إن الله أرسلك سبحانه شاهدا -على أمتك بأن بلغتهم ما أرسلك الله به، وعلى سائر الأمم بأن بلغهم أنبياؤهم ما أرسلهم الله به- ومبشرا للمطيعين بالثواب، ونذيرا للعصاة بالعقاب. **٤٥**
وداعيا إلى الله بإذنه ومشيئته -وأمره لك بدعوة عباده إلى توحيده وطاعته- وسراجا -حارقا لأعداء الله، وكالمصباح- منيرا: مضيئا، تنير طريقه لمن شاء أن يخرجه من ظلمات الكفر والضلال والمعاصي. **٤٦**
وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا: للعاملين كما قال تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ﴾ [الشورى **٢٢**]. **٤٧**
ولا تطع -ولا أحد من أمتك- الكافرين والمنافقين -فهم الأعداء حقيقة، فلا تطعهم فيما ينقض تقوى الله، ولا تصانعهم مظنة تحصيل منفعة- ودع أذاهم -فلا تتعرض لهم الآن، حتى تمتلك قوة تعاقبهم بها ويأذن الله كما قال تعالى ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التوبة **٧٣** ۞ التحريم **٩**]- واعتمد على الله وحده في جميع أحوالك، وكفى بالله وكيلا يعتمد عليه. **٤٨**
فائدة! مداهنة النظام الدولي أو أذنابه من حكام أرضنا -كالتعهد بالالتزام بمعاهدات فاسدة شرعا أو تنتقص من سيادتنا بحجة طمأنة المجتمع الدولي أو احترام القانون الدولي، أو الدخول في تحالفات علمانية أو برلمانات شركية بحجة التخفيف عن الناس أو المناورة لخداع الكفار- زعما أن ذلك عمل في حدود المتاح لتحصيل بعض المنافع نقص في التوكل على الله، فضلا عن كونه جهلا وسذاجة.

لِهدمِ نظامِ كُفرِكُمْ استعَنَّا ... بربٍّ قادرٍ، فلكُمْ ثُبورُ

يا أيها الذين آمنوا إذا تزوجتم المؤمنات -بأن عقدتم عليهن عقد النكاح- ثم طلقتموهن من قبل أن تجامعوهن -فلا حاجة لاستبراء أرحامهن- فما لكم عليهن من عدة تستوفونها، فأعطوهن ما ينتفعن به ويتمتعن -متاع المطلقات- وسرحوهن مفارقين بغير خصام ولا إيذاء. **٤٩**
يا أيها النبي إن الله أحل سبحانه لك زوجاتك -الكائنات عندك- اللاتي أعطيت مهورهن، وما ملكت من إماء مما رد الله عليك -ممن سبيت من الكفار، كذلك ما أهدي إليك وإن اشتريت- وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك -القريبة النسب منهن والبعيدة، إلا التي لم تهاجر لا يحل أن تتزوجها كما قال تعالى ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من وَلايتهم من شيء حتى يهاجروا ﴾ [الأنفال **٧٢**]- وامرأة مؤمنة إن منحت نفسها للنبي -بغير مهر- إن أراد النبي أن يصيرها زوجة له -نكاح هبة- خاص بك من دون المؤمنين -ليس يصح لغيرك- قد أظهر الله علمه -فأعلم المؤمنين- بما فرض الله عليهم في -شأن- زوجاتهم -فالزواج يكون بمهر وولي وشاهدَين، أربعا كحد أقصى- وإمائهم -ممن سبوا واشتروا وأهدي إليهم، يستمتعوا بمن شاءوا منهن دون تقيد بعدد- لكيلا يكون عليك مشقة ولا ضيق، وكان الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. **٥٠**

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَاۖ
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ
إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

* تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ
وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ
ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ
إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ
إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ
لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ
وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ
مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ
وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ
مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾
إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

تؤخر من تشاء منهن وتضم إليك من تشاء -فتبيت عند من تشاء من نسائك كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ كان رسول الله ﷺ يستأذننا إذا كان في يوم المرأة منا بعد ما نزلت: ﴿ تُرجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ﴾ ، فقالت لها معاذة: فما كنت تقولين لرسول الله ﷺ إذا استأذنك؟ قالت: كنت أقول: إن كان ذاك إلي، لم أوثر أحدا على نفسي. ﴾ [البخاري ٤٧٨٩ * مسلم ١٤٧٦ * أبو داود ٢١٣٦ * أحمد ٢٤٤٧٦]- ومن التمست ممن عزلت -لتبيت عند زوجة كنت قد أخرتها- فلا لوم عليك ولا إثم، ذلك -التخيير- أقرب أن تقر أعينهن وتطيب أنفسهن ولا يحزن -بعد أن علمن أنه حكم الله- ويرضين بما أعطيتهن كلهن -وقسمت لهن من نفسك- والله يعلم ما في قلوبكم -جميعه، ومن جملته ميل الرجال إلى بعض النساء دون بعض- وكان الله عليما لا يخفى عليه شيء -بل يعلم ما فيه صالحكم، وما أنزل لكم من أحكام- حليما لا يعاجل بعقاب. **٥١**

لا يحل لك أيها النبي الكريم -أن تتزوج- النساء من بعد -ذلك- ولا أن تبدل بهن من زوجات -فلا تطلق منهن لتتزوج غيرهن- ولو أعجبك حسن من أردت نكاحهن، إلا ما ملكت من إماء -فاملك إن أردت واستمتع بجديدات- وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا، يحصي كل شيء ليجازي به. **٥٢**

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي، إلا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ لما تزوج النبي ﷺ زينب أهدت له أم سليم حيسا في تور من حجارة، فقال أنس: فقال رسول الله ﷺ: اذهب، فادع لي من لقيت من المسلمين، فدعوت له من لقيت، فجعلوا يدخلون عليه فيأكلون ويخرجون، ووضع النبي ﷺ يده على الطعام فدعا فيه، وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ولم أدع أحدا لقيته إلا دعوته، فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا، وبقي طائفة منهم فأطالوا عليه الحديث، فجعل النبي ﷺ يستحيي منهم أن يقول لهم شيئا، فخرج وتركهم في البيت، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ﴾ قال قتادة: غير مُتَحَيِّنين طعاما، ﴿ ولكن إذا دُعيتم فادخلوا ﴾ ، حتى بلغ: ﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ ﴾ [البخاري ٤٧٩١ * مسلم ١٤٢٨ * الترمذي ٣٢١٨ * أحمد ١٢٦٦٩]، إن ذلك -الفعل- كان يؤذي النبي، فيمنعه الحياء منكم -أن يأمركم بالمغادرة- والله لا يمنعه الحياء من -أن يظهر- الحق -بل يأمر به- وإذا سألتموهن -زوجاته ﷺ أمهات المؤمنين رضي الله عنهن- متاعا -من آنية وغير ذلك- فاسألوهن من وراء حجاب -يسترهن عنكم، فلا تراهن أعينكم- ذلك -السؤال من وراء ساتر- أطهر لقلوبكم وقلوبهن -من الخواطر السيئة والريبة ووساوس الشيطان وتزيينه المنكر- وما صح لكم أن تؤذوا رسول الله -ومن جملة الإيذاء دخول بيوته بغير إذن والمكوث فيها أكثر مما يريد ومخاطبة زوجاته دون حجاب ساتر- ولا أن تتزوجوا زوجاته من بعد وفاته أبدا، إن ذلك -الإيذاء، وتزوج زوجاته من بعد وفاته- كان عند الله -جرما- عظيما. **٥٣**

إن تبدوا شيئا -ومن جملة ذلك الحديث في شأن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أو الرغبة في تزوج بعضهن إذا توفي عنهن النبي ﷺ- أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما، بالنيات وبالأفعال. **٥٤**

لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ
أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٥٥
إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا
مُّهِينٗا ٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ
مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا
يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ
وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ
لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ
أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي
ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢

لا لوم عليهن ولا إثم في آبائهن وأجدادهن -وأعمامهن، وأخوالهن، فلا يجب عليهن رضي الله عنهن الاحتجاب منهم- ولا أبنائهن وأحفادهن ولا إخوانهن -من نسب أو من رضاعة- ولا أبناء إخوانهن وأحفادهم ولا أبناء أخواتهن وأحفادهن ولا نسائهن -الحرائر المسلمات- ولا ما ملكن من إماء -مسلمات وكافرات- واتقين الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله كان على كل شيء مطلعا شاهدا. ٥٥

إن الله يثني على النبي -في الملإ الأعلى- وملائكته -يدعون له، ﷺ- يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه ﴿ يا رسول الله، السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. ﴾ [البخاري ٤٧٩٧ * مسلم ٤٠٦ * أبو داود ٩٧٦ * الترمذي ٤٨٣ * النسائي ١٢٨٧ * ابن ماجة ٩٠٤ * أحمد ١٨١٠٤] وسلموا -"السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته"- في التشهد. ٥٦

إن الذين يؤذون الله -كاليهود والنصارى والمشركين إذ نسبوا إليه ذرية كما قال تعالى ﴿ وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ﴾ [الأنعام ١٠٠]، وكالذين يسبونه أو يسبون الدين، أو الدهر كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار. ﴾ [البخاري ٤٨٢٦ * مسلم ٢٢٤٦ * أبو داود ٥٢٧٤ * أحمد ٧٢٤٥]- ورسوله -بقول أو فعل، مهما كان صغيرا- طردهم الله من رحمته -إن لم يتوبوا- في الدنيا -يعيشون بغير قناعة ولا طمأنينة، وفي القبر يعذبون- والآخرة، وأعد لهم عذابا مهينا مذلا. ٥٧

والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات -بقول أو فعل، مهما كان صغيرا- بغير ما اكتسبوا -مما يستوجب الإيذاء في الشرع، لا في القوانين الوضعية التي تخالفه- فقد حملوا كذبا مفرطا وإثما واضحا. ٥٨

يا أيها النبي مر زوجاتك وبناتك ونساء المؤمنين يرخين عليهن من أرديتهن -فيختمرن بثيابهن- ذلك -الستر- أقرب أن يعرف أنهن مسلمات حرائر -فلا يظن فاسق أنهن إماء مملوكات، أو ساقطات- فلا يؤذين -بتحرش قولي أو فعلي- وكان الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. ٥٩

فائدة! من تظهر ما أمر الله بستره فكأنما ارتضت لنفسها أن يظن بها السوء، ولتنتظر تحرش الفسقة.

هلِ ارتَضِتِ الحَرائرُ كَشفَ سِترٍ؟ ... أمِ ارتَضِتِ التَّحَرُّشَ؟ لا تُثيروا!

لئن لم ينته المنافقون -فيكفوا عن إظهار الإسلام وإبطان الكفر- والذين في قلوبهم شك وشبهة -عن اضطرابهم، وقيل عن الزنا- والمرجفون -عن بث أكاذيب تضعف الصف المؤمن- في المدينة ليحثنك سبحانه بهم -فيسلطك لتعاقبهم- ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا: من الزمن، فتقتلهم أو تطردهم. ٦٠

مطرودين من الرحمة -وحكمهم- أينما وجدوا وتم التمكن منهم أخذوا وتم قتلهم بلا أدنى رحمة. ٦١

سنة الله في الذين مضوا من قبل -فأعداء الإيمان مؤذو أهله لهم القتل إن لم يتوبوا، فلا تأخذنكم بهم أي رحمة، ودعوا عنكم الورع البارد!- وما أجرى الله به العادة لن يمكن تبديله: لن يستثنيهم الله. ٦٢

يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾
يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ
وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ
لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا
ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾

يسألك أيها النبي الكريم الناس -المشركون في استهزاء، وأهل الريبة في شك، واليهود- عن الساعة، أخبرهم أنما علمها عند الله -لا يعلم غيره متى القيامة- وما يدريك؟ ربما الساعة تكون قريبا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿ القبر أول منازل الآخرة فإن ينج منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه ﴾ [الترمذي ٢٣٠٨ ★ ابن ماجة ٤٢٦٧ ★ أحمد ٤٥٤]. **٦٣**

إن الله طرد الكافرين من الرحمة -فقد ماتوا على كفرهم- وأعد لهم -في الآخرة- نارا مستعرة. **٦٤**

خالدين فيها -يعذبون- أبدا -فإنما الأمر كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]- لا يجدون وليا يواليهم فيجلب لهم الخير، ولا نصيرا ينصرهم فيدفع عنهم الشر. **٦٥**

يوم -القيامة- تقلب وجوههم في النار -على كل جهة، وتتغير ألوانها، وتتبدل جلودها المحترقة ليستمر عذابهم- يتحسرون متمنين لو أطاعوا الله وأطاعوا الرسول: إذ أيقنوا ألا نجاة إلا لمؤمن مطيع. **٦٦**

واشتكوا إلى ربهم أنهم أطاعوا سادتهم وكبراءهم -أهل السلطة والنفوذ- فأضلوهم الطريق القويم. **٦٧**

فائدة! طاعة أهل السلطة والنفوذ فيما يخالف شرع الله لا يعفي مطيعهم من السؤال في الآخرة.

ومَنْ يُطِعِ الَّذينَ يُخالِفونَ ... شريعةَ ربِّنا فَلَهُ السعيرُ

دعوا ربهم أن يعطي سادتهم وكبراءهم ضعفين من العذاب -عذابا لكفرهم، وآخر لإضلالهم إياهم- ويطردهم من الرحمة طردا -أبديا، عليهم شديد الوقع- كبيرا. **٦٨**

يا أيها الذين آمنوا -لا تتناولوا نبيكم بشيء من سوء- لا تكونوا كالذين آذوا موسى، فأظهر الله سلامته مما زعموا: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى ﷺ يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في أثره يقول: ثوبي يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس ﴾ [البخاري ٢٧٨ ★ مسلم ٣٣٩ ★ الترمذي ٣٢٢١ ★ أحمد ٨١٧٣]، وكان -عليه السلام- عند الله ذا وجاهة ومنزلة عظيمة. **٦٩**

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتكلموا بكلام مصيب للحق. **٧٠**

يصلح لكم -إن فعلتم- أعمالكم -فيوفقكم إلى عمل ما هو صالح ومتعد النفع وأبقى أثرا- ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله -في الظاهر والباطن- فقد فاز فوزا عظيما: بخيري الدنيا والآخرة. **٧١**

إن الله عرض سبحانه الأمانة -من تكاليف شرعية ومما يتعلق بحفظ الحقوق- على السماوات والأرض والجبال -تخييرا لا إلزاما- فأبين أن يحملنها، وحذرن خائفات منها -فعاقبة عدم القيام بحقها وخيمة- وحملها -بقدر من الله- الإنسان، إنه كان شديد الظلم لنفسه، شديد الجهل بشروط الوفاء بها. **٧٢**

ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات -فقد ضيعوا الأمانة ونقضوا عهدهم كما قال تعالى ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ﴾ [الأعراف ١٧٢]- ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات -فيثبتهم على طاعته- وكان الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. **٧٣**

★ سورة سبإ ★

★ مكية ★

كامل الثناء على الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وله كامل الثناء في الآخرة -تثني عليه الملائكة وجميع خلائقه إلا العصاة، وقيل العصاة كذلك يثنون عليه فيها لعدله معهم- وهو الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء. ١

يعلم ما يدخل في الأرض -من ماء وأموات وبذور وكنوز وركاز مما دفن أهل الجاهلية من أموال وغير ذلك- وما يخرج منها -من ماء ونبات وحيوان وزواحف وحمم وغير ذلك- وما ينزل من السماء -من مطر وثلج وبرد وشهب وصواعق وعواصف وكتب وملائكة وبركات وأرزاق وأقدار- وما يصعد فيها -من ملائكة وأرواح الخلق وأعمالهم- وهو العظيم الرحمة بالمؤمنين، الواسع والدائم المغفرة. ٢

وزعم الذين كفروا أن لا تأتيهم الساعة -ولا تقوم القيامة، إذ ليس ثمة بعث!- أقسم أيها النبي الكريم أن بلى! وربك لتأتينهم، عالم ما غاب -ومن جملته أجساد الموتى التي تلاشت- لا يغيب عنه مقدار وزن ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا واضحا في اللوح المحفوظ كما قال تعالى ﴿ وعنده مفاتِح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبَّة في ظُلُمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. ﴾ [الأنعام ٥٩]. ٣

ليجزي الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة -كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عَشر أمثالها ﴾ [الأنعام ١٦٠]- هؤلاء لهم مغفرة، ورزق كريم: الجنة. ٤

والذين سعوا في آيات الله مثبطين -عباد الله لئلا يؤمنوا، باذلين جهدهم للتكذيب بها- مقدرين أنهم يعجزون الله ويفرون منه هؤلاء لهم عذاب من الأشد والأكثر استحقاقا وإيلاما. ٥

ويرى أهل العلم -من المسلمين ومن علماء أهل الكتاب الربانيين، كعبد الله بن سلام ﵁ وغيره ممن آمن منهم- الذي أنزل إليك أيها النبي الكريم من ربك -من قرآن وسنة- هو الحق لا يتطرق إليه باطل -يعلمون ذلك وبه يشهدون- ويوفق ويرشد إلى طريق -رب الخلق أجمعين- العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ليصل بهم بإذنه إلى جنته سبحانه. ٦

فائدة! أهل العلم لا يقدمون عقلا ولا رأيا على السنة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث المقدام بن معديكرب ﵁ ﴿ ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه، وما وجدنا فيه حراما حرمناه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله. ﴾ [الترمذي ٢٦٦٤ ★ ابن ماجة ١٢ ★ أحمد ١٧١٩٤].

وأهلُ العِلمِ هُم أهلُ الحَديثِ ... وأهلُ الرأيِ ضَلُّوا، عقلُ بُورُ!

وتساءل الذين كفروا -مخاطبين بعضهم بعضا، مستنكرين متهكمين- هل ندلكم على رجل -محمد ﷺ- يخبركم -أنكم- إذا قطعتم كليا -وأكلتكم الأرض في قبوركم- إنكم لمخلوقون من جديد؟ ٧

سُورَةُ سَبَإٍ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ
فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا
يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ
ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ
قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ
ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ
كَرِيمٞ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ
ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ
يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧

أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ
فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ
وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ
أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ
لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ
يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ
سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
بَصِيرٞ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ
وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ
رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ
وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ
ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ
إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ
أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾

أردفوا مستنكرين متهكمين: أفترى على الله كذبا -فزعم أنه أرسله إليهم؟ وأنه سبحانه يحيي الموتى؟- أم به جنون؟ بل -ليس الأمر كما ظنوا، إنما- الذين لا يؤمنون بالآخرة -بالبعث إيمانا لا افتراء فيه على الله- في العذاب -في الآخرة، لا خروج لهم منه- والضلال عن الحق -في الدنيا- والبعد الكبير. **٨**

أفلم ينظروا إلى ما يحيط بهم من كل جانب من السماء والأرض: متأملين في خلق الله؟ إن يشأ الله يخسف سبحانه بهم الأرض -كما فعل بقارون- أو يسقط الله عليهم قطعا -من العذاب- من السماء -يفعل- إن في ذلك -المذكور- لآية دالة على كمال قدرة الخالق لكل عبد راجع إليه طائع. **٩**

ولقد أعطى الله داود منه سبحانه فضلا -كثيرا: الرجوع إلى الله بالتوبة كما قال تعالى ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أوّاب ﴾ [ص ١٧]، والنبوة والزبور كما قال تعالى ﴿ ولقد فضّلنا بعض النبيّين على بعض وآتينا داود زبورا ﴾ [الإسراء ٥٥]، والملك والقوة والعلم والحكم والفهم والفصل في القضاء كما قال تعالى ﴿ وشددنا مُلكه وآتيناه الحكمة وفصل الخِطاب. ﴾ [ص ٢٠]، آمرا- يا جبال رجعي معه -ﷺ، منزهة الله ومقدسة- والطير كذلك، وألان الله له الحديد: قيل صار كعجين يشكله بسهولة. **١٠**

آمرا: أن اصنع دروعا تامة كاملة وقدر مساميرها لتناسبها -فتحمي لابسيها- واعملوا -أنت وأهل بيتك، تصديقا لإيمانكم- صالحا، إنه -سبحانه- بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. **١١**

ولسليمان -بعد الرجوع إليه طائعا كما قال تعالى ﴿ ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيّه جسدا ثم أناب. ﴾ [ص ٣٤]- الريح سيرها صباحا -مسيرة- شهر وسيرها مساء -مسيرة- شهر -تحمله هو ومن معه بما معهم من أشياء، قاطعة مسيرة شهرين في يوم واحد- وأسال الله له عين النحاس -يصنع به ما شاء- ومن الجن -ذلل الله له- من يعمل بين يديه بإذن ربه ومشيئته -لا يقدرون أن يعصوه ﷺ- ومن ينحرف منهم عن أمر الله -بالعمل لسليمان ﷺ- يذقه الله -شيئا- من عذاب النار المستعرة. **١٢**

يعمل الجن له ما يشاء من محاريب -أماكن عبادة، وأبنية فخمة- وتماثيل -قيل تصوير ذوات الأرواح كان مباحا في شريعته ﷺ، وقيل كانت لجمادات غير ذوات أرواح- وقصاع طعام كالحياض الضخمة وقدور -طعام- راسيات -لعظمهن ثابتات- اعملوا -بطاعة الله، يا- أهل بيت داود شكرا -لله، على ما أنعم به عليكم- وقليل من عباده -سبحانه- الكثير الشكر لله على نعمه. **١٣**

فائدة! تصوير ذوات الروح برسم ثابت أو متحرك أو نسج أو مجسمات ونحوها محرم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله ﴾ [البخاري ٥٩٥٤ ★ مسلم ٢١٠٧ ★ النسائي ٥٣٥٦ ★ ابن ماجة ٢١٥١ ★ أحمد ٢٤٠٨١].

أَشَدُّ الناسِ في الأُخرى عذابًا ... مُضاهٍ بِالوَرى قالَ النَّذيرُ

فلما قضى الله عليه الموت -إذ حضر أجله- ما أعلمهم بموته إلا حشرة الأرضة -وهي- تأكل هراوته التي اتخذها للاتكاء، فلما سقط أيقنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما مكثوا في العذاب المهين المذل: من مشاق كلفهم بها ظانين أنه ﷺ حي، وأيقنت الإنس أن الجن ليسوا يعلمون الغيب. **١٤**

لقد كان لسبإ -القبيلة- في مسكنهم -باليمن- آية دالة على كمال قدرة الخالق: بستانان مديدا الظل عن يمين وشمال -وادي البلدة- كلوا من رزق ربكم -مباح لكم- واشكروا له -نعمه، لتبقى وتزيد كما قال تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنَّكم ﴾ [إبراهيم ٧]- بلدة طيبة -التربة والهواء، منحكم إياها سبحانه- ورب واسع ودائم المغفرة: أنعم عليكم بهذه النعم جميعها. ١٥

فأعرضوا منصرفين عن شكر ربهم وعن طاعته، فأرسل الله عليهم سيلا جارفا -هدم سدهم الذي خزنوا خلفه المياه- وبدلهم سبحانه ببستانيهم مديدي الظل -فأعطاهم بعد إهلاكهما- بستانين ذواتي ثمر مر أكله، وأثل -لا ثمر له أو لا خير في ثمره- وشيء قليل من سدر: ذي ثمر مقبول الطعم. ١٦

ذلك -التبديل للبساتين- جزاهم الله بسبب كفرهم وعدم شكرهم نعمه، وهل يجازي سبحانه -هكذا جزاء- إلا العظيم الكفران بنعم ربه الذي لا يشكرها؟ ١٧

وجعل الله بينهم وبين قرى الشام التي بارك الله فيها كما قال تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ [الإسراء ١] -بجعلها منازل صالحين، وبسريان الأنهار وإخراج الثمار على أكمل وجه- قرى ظاهرة -معروفة متواصلة- وقدر سبحانه فيها السير -من قرية إلى التي تليها، مسافات مقدرة دون مشقة حمل زاد أو ماء وهم في طريقهم للتجارة- سيروا فيها -مباح لكم، متى شئتم- ليلا ونهارا -من الجوع والعطش والأعداء- آمنين. ١٨

فدعوا ربهم أن يباعد بين أسفارهم -بإزالة القرى المتواصلة- وظلموا أنفسهم كفرا وعصيانا لربهم -بطرا وعدم شكر لنعمه- فجعلهم سبحانه أحاديث -يتحدث بها الناس، متذكرين ما حل بهم- وقطعهم الله -في أرضه- كليا -فصاروا متفرقين فيها وسكنوا قرى متباعدة- إن في ذلك -العقاب- لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لكل كثير الصبر على طاعة الله وأقداره، كثير الشكر لله على نعمه. ١٩

ولقد صدق عليهم إبليس -الظن الذي- ظنه -ألن يكونوا شاكرين لله حين يوسوس لهم كما قال تعالى ﴿ ثم لآتينَّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين. ﴾ [الأعراف ١٧]- فاتبعوه -مستجيبين لدعوته بعصيان الله- إلا فريقا من المؤمنين: ما بالوا بوسوسته. ٢٠

فائدة! طاعة الله شكرا لنعمه من الشواهد على إيمان المرء، وعدم شكرها استجابة لوساوس الشيطان.

ونَشكُرُ نِعمَةً لمْ نَتَّبِعهُ ... فإبليسُ العَدُوُّ المُستطيرُ

ولم يكن له عليهم أي برهان يقنعهم بعصيان الله، ولا قوة قاهرة يتسلط بها عليهم فيجبرهم -ما ابتلوا بوسوسته- إلا ليظهر الله علمه بمن يؤمن بالآخرة -بالبعث إيمانا لا افتراء فيه على الله- ممن هو منها في شك، وربك أيها النبي الكريم على كل شيء رقيب مهيمن: يحفظ النيات والأعمال ليجازي. ٢١

أخبر الكفار أن يدعوا الذين زعموا -أنهم آلهة، كالجن والملائكة وعزير والمسيح عليه السلام وغيرهم، فعبدوا- من دون الله، لا يملك ما عبدوا مقدار وزن ذرة في السماوات ولا في الأرض، وليس لهم فيهما -مع الله- أي مشاركة -لا بالخلق ولا بالملك ولا بالحكم ولا بالتدبير- وليس لله منهم أي ظهير معين. ٢٢

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ
كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾
فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾
ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ
وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن
قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾
۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ
وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل
لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ
يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾
قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ
بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾

ولا تنفع الشفاعة -بل ولا تجوز- عنده -سبحانه- إلا لمن أذن له -من أهل الشفاعة، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ﴿ شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ﴾ [البخاري ٧٤٣٩ * مسلم ١٨٣ * أحمد ١١٨٩٨]: لا يشفعون إلا لمن ارتضى سبحانه له الشفاعة من أهل التوحيد لا أهل الشرك كما قال تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]- حتى إذا كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم تساءلوا عما أمر ربهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ إذا قضى الله في السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان، فإذا ﴿ فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العليُّ الكبير ﴾ ﴾ [البخاري ٤٧٠١ * أبو داود ٣٩٨٩ * الترمذي ٣٢٢٣ * ابن ماجة ١٩٤]. **٢٣**

سل أيها النبي الكريم الكفار من يرزقهم من السماوات -بالمطر- والأرض: بالنبات والمعادن والركاز مما دفن أهل الجاهلية من أموال؟ بادر بالإجابة: الله -هو وحده رازقهم- وأكد أن -إحدى الطائفتين- أنتم -أنت ومن اتبعك- أو إياهم لعلى هداية -فقد أرشد الله هذه الطائفة إلى طريق مستقيم يذهب بهم إلى ما فيه رضاه- أو -الأخرى- في ضلال واضح عن الحق، لا تعرف للرشاد سبيلا. **٢٤**

أكد أن لا يسألون -من قبل الله في الآخرة- عما عملتم من جرائم -إن أنتم أجرمتم- ولا تسألون عما يعملون: كل بريء من الآخر، لا يحاسب أحد على سيئات غيره، ولا ينتفع أحد بحسنات غيره. **٢٥**

أكد أن يجمع بينكم ربكم، ثم يحكم فاصلا بينكم بالحق -بحكم نافذ يوم القيامة، ولا متاركة حال القدرة كما قال تعالى في آية السيف ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]- وهو الفتاح الحكم بين عباده، العليم الذي لا يخفى عليه شيء. **٢٦**

سلهم أن يروك الذين ألحقوا به -فجعلوهم له سبحانه- شركاء: ماذا خلقوا ليعبدوهم معه؟ كلا! بل هو الله العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه: ليس له شريك. **٢٧**

وما أرسلك الله إلا كافة للناس -جميعهم، جامعا لهم مانعا من الكفر- بشيرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للعصاة بالعقاب، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ولا ما فيه صالحهم، إما لجهل أو لعناد. **٢٨**

ويسأل المشركون النبي ﷺ والمؤمنين -مستنكرين متهكمين- متى هذا الوعد -بالبعث والحساب ثم الجنة أو النار كما تزعمون، أخبرونا- إن كنتم صادقين؟ **٢٩**

أجبهم بأن لهم موعد -محدد- يوم -القيامة- يستحيل أن يتأخر عنهم -ولو- ساعة أو يتقدم، كذلك يستحيل أن يتأخر موت أحد أو يتقدم: ويأتي أجل بعضهم وعذابه قريبا، وقد كان يوم بدر. **٣٠**

وعاند الذين كفروا -وأنكروا البعث- مؤكدين أن لن يؤمنوا بهذا القرآن ولا بالذي أنزل قبله من كتب سماوية، ولو يرى الرائي إذ الظالمون لأنفسهم بالكفر محبوسون عند ربهم -للحساب- يتبادلون فيما بينهم اللوم، يلوم -الأتباع- الذين استضعفوا -المتبوعين- الذين استكبروا -عن الحق، وأعظمه توحيد الله- زاعمين أن لولا أنتم -وفتنتكم لنا- لكنا مؤمنين -في عدادهم- لرأى أمرا هائلا مما آلوا إليه. **٣١**

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ
عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ
عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ
ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ
وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

سأل -المتبوعون- الذين استكبروا -الأتباع- الذين استضعفوا أهم صدوهم عن الهداية بعد إذ -أرسل الله مرسلين- جاءتهم؟ بل -ليس الأمر كما يزعم الأتباع، إنما- كانوا مجرمين مستحقين للعقاب. ٣٢
ورد -الأتباع- الذين استضعفوا على -المتبوعين- الذين استكبروا: بل -ما صدهم عن الهداية- مكر مستمر بالليل والنهار -يتآمرون عليهم- حيث يأمرونهم أن يكفروا بالله ويجعلوا له أندادا ونظراء ومثلاء، وظهر الندم على أسارير وجوههم -جميعا: أتباعا ومتبوعين- لما عاينوا العذاب، وجعل الله الأغلال في أعناق الذين كفروا -أعمالهم السيئة الفاسدة تكبلهم وتغلهم عن الإيمان بما جاءهم به رسل الله في الدنيا كما قال تعالى ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهُم مُّقمحون. ﴾ [يس ٨]، وهي واقع حقيقي لا مراء فيه، وجزء من عقابه سبحانه لهم في الآخرة كما قال تعالى ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يُسحبون. في الحميم ثم في النار يُسجرون. ﴾ [غافر ٧١ ٧٢]، يشدون فيها- هل يجزون -يوم الحساب- إلا بحسب ما كانوا -في الدنيا، من كفر وآثام- يعملون؟ ٣٣
وما أرسل الله في قرية من نذير للعصاة بالعقاب إلا صرح منعموها الذين أبطرهم الترف بأنهم بما أرسل به نذر الله كافرون. ٣٤
وافتخر المنعمون الذين أبطرهم الترف بأنهم أكثر أموالا وأولادا -من الذين ينذرونهم- وزعموا أنهم ليسوا بمعذبين: على تكذيبهم، لا في الدنيا، ولا في الآخرة إن صح أن هناك قيامة كما يذكر نذر الله. ٣٥
أكد أيها النبي الكريم أن ربك يوسع في الرزق لمن يشاء -كافرا كان أو مؤمنا- ويضيق على من يشاء -فسعة الرزق ليست كرامة وضيقه ليس إهانة- ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، فهم لفرط جهلهم يقيسون الآخرة على حالهم في الدنيا، فيظن المنعم في الدنيا أن حاله لن يتغير أبدا. ٣٦
وما أموالكم -أيها الناس- ولا أولادكم بالتي تقربكم عند الله دنوا ومنزلة، إلا من آمن وعمل -تصديقا لإيمانه- صالحا فهؤلاء لهم جزاء الضعف -فتضاعف الحسنة كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عَشر أمثالها ﴾ [الأنعام ١٦٠]- بسبب عملهم -ينفقون أموالهم على أولادهم وفي طاعة الله فيثابون، وأولادهم يدعون لهم فيثابون- وهم في الدرجات العاليات -في الجنان، من كل مكروه- آمنون. ٣٧
والذين يسعون في آيات الله مثبطين -عباد الله لئلا يؤمنوا، باذلين جهدهم للتكذيب بها- مقدرين أنهم يعجزون الله ويفرون منه هؤلاء في العذاب مجموعون مقيمون. ٣٨
أكد أيها النبي الكريم -مجددا- أن ربك يوسع في الرزق لمن يشاء من عباده -كافرا كان أو مؤمنا- ويضيق على من يشاء له الضيق -فسعة الرزق ليست كرامة وضيقه ليس إهانة- وما أنفقتم من شيء -أيها المؤمنون، من مال أو وقت أو جهد، كثر أو قل، واجبا كان أو تطوعا، طلبا لمرضاة ربكم ليس رياء- فإن الله يخلفه -عليكم في الدنيا ويعوضكم، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك. ﴾ [البخاري ٥٣٥٢ * مسلم ٩٩٣ * ابن ماجة ٢١٢٣ * أحمد ٧٢٩٨] ويثيبكم عليه في الآخرة- وهو -سبحانه، الغني- خير من يرزق وأفضل من يعطي. ٣٩

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ
يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ
يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ
ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ
وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ
يَدْرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ
رُسُلِيۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن
تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن
جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ
مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

واذكر أيها النبي الكريم يوم -القيامة، حين- يجمع -سبحانه- خلقه جميعا، ثم يسأل الملائكة -وهو أعلم بحال خلقه، ولكن يوبخ المشركين- أهؤلاء -المشركون- كانوا إياهم -في الدنيا- يعبدون؟ **٤٠**

أجابوه منزهين إياه -عن أن يكون له شركاء سبحانه- ومقدسين بأن هو متولي أمورهم من دونهم -إذ لا موالاة بينهم وبين مشرك- بل كانوا يعبدون الجن -فالشياطين وسوسوا لهم فأطاعوهم وذلك عبادة كما قال تعالى ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. ﴾ [يس ٦٠]، وقيل كانوا يدخلون أجواف الأوثان فيخاطبونهم منها- أكثر المشركين -في الدنيا- بالجن مؤمنون. **٤١**

فاليوم لا يستطيع الشياطين وعابدوها جلب نفع لبعضهم البعض ولا دفع ضرر عن أحدهم، ويأمر الله -مبكتا- الذين ظلموا أنفسهم بالكفر أن يذوقوا عذاب النار التي كانوا -في الدنيا- بها يكذبون. **٤٢**

وإذا تقرأ عليهم آيات الله -المنزلة- مبينة للحق زعم الذين كفروا أن ما هذا -الذي يزعم أنه مرسل- إلا رجل -مثلهم من جنس البشر، ليس مَلَكا ولا جنيا- يريد أن يصدهم عما كان يعبد أسلافهم، وزعموا أن ما هذا -الذي به جاءهم- إلا كذب بشع -على خالق الخلق- مفترى، وكانت إجابة الذين كفروا للحق -الإسلام- لما جاءهم أن ليس هذا -القرآن ونظمه المعجز- إلا سحر واضح. **٤٣**

وما أعطى الله مشركي العرب أي كتب -سماوية- يدرسونها -فمن أين علموا أن القرآن سحر وليس من عنده سبحانه؟- وما أرسل سبحانه إليهم قبلك أيها النبي الكريم أي نذير بالعقاب: لكن بلغتهم نذارة إبراهيم عليه السلام بل وبلغهم بعض شعائر الحج، فأشرك معظمهم رغم وجود من أقام عليهم حجة ولم يعبد وثنا كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما. **٤٤**

وكذب الذين من قبلهم -كعاد وثمود وغيرهما- وما بلغ مشركو العرب مقدار عشر ما أعطى الله الذين من قبلهم -من أموال وأولاد وطول أعمار وقوة أبدان ومنعة- فكذبوا رسله -سبحانه، عوضا عن شكره- فكيف كان إنكاره عليهم؟ **٤٥**

أخبرهم أنما تأمرهم محذرا بواحدة -فتنصحهم بخصلة- أن يقوموا لله اثنين اثنين -للتباحث، متجردين من الهوى- ومنفردين، ثم -في شأنك- يتفكروا: ليس بصاحبكم -الذي تعرفونه، يا أهل مكة، محمد صلى الله عليه وسلم- أي جنون -يظهر ذلك إذا تذكروا خصاله صلى الله عليه وسلم- ليس هو إلا نذير لكم بالعقاب قبل أن يحيط بكم عذاب -قريب- شديد: يأتيكم إن أعرضتم عن الإسلام وأصررتم على ما أنتم عليه من كفر. **٤٦**

فائدة! فلنحذر التفكير الجمعي: التفكر منفردا أو ضمن فريق محدود العدد أدعى لإصابة الحق.

نُفَكِّرُ في أمورٍ ذاتَ شأنٍ ... فُرادى أو معَ القِلَلِ استَنيروا

أخبرهم أن ما سألتهم من ثواب -على دعوتك، على تقدير حدوثه، فلم يسأل نبي شيئا مقابل دعوته- فهو لهم، ليس ثوابك -آمنوا أو ظلوا كفارا- إلا على الله، وهو على كل شيء مطلع شاهد. **٤٧**

أخبرهم أن ربك يقذف بالحق -الذي يوحيه إليك، فيرمي به الباطل الذي يروجه أهل الضلال- علام كل غائب خفي: ومن جملته ما في قلوب العباد من وساوس وشبه، فيدفع ذلك ببراهين واضحة. **٤٨**

أخبرهم أن جاء الحق -الإسلام، والجهاد، ونصر الله للدين وأهله- وانحسر الباطل ولا يعود إلى نفوذه، وأي شيء يصنع الباطل أمام الحق؟ ولا يوجد الشيطان شيئا من عدم ولا يعيد شيئا حيا: فليتأملوا! **٤٩**
أخبرهم أن إن ضللت -عن الحق وطريقه، حاشاك- فإنما تضل على نفسك -فوبال ذلك لن يتعداك- وإن اهتديت فبسبب ما يوحي إليك ربك، إنه سميع لكافة ما يقول عباده -بأحوالهم عالم- قريب. **٥٠**
ولو يرى الرائي حيث أصابهم الفزع -عند معاينة العذاب وقت قبض أرواحهم، وفي القبور ويوم القيامة- فلا مهرب لهم ولا يفوت الله أحد منهم، وتم أخذهم من مكان قريب -ظهر الأرض أو باطنها أو أرض المحشر، كل من الله قريب لا يبعد عنه شيء- لرأى أمرا هائلا مما آلوا إليه. **٥١**
وزعموا -في الآخرة، فتلفظوا بشهادة الحق- أن آمنوا به -وبما جاء به ﷺ- وكيف لهم تعاطي الإيمان وتناوله من مكان بعيد: الآخرة، بعيدا عن الدنيا حيث كان يقبل الله الإيمان والتوبة؟ **٥٢**
وقد كفروا به من قبل -فلم يتوبوا قبل أن يدركهم الموت، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر. ﴾ [الترمذي **٣٥٣٧** ⋆ ابن ماجة **٤٢٥٣** ⋆ أحمد **٦١٦٠**]، أو قبل طلوع الشمس من مغربها كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه. ﴾ [مسلم **٢٧٠٣** ⋆ أحمد **٧٧١١**]- ويقذفون بما غاب -عنهم، ظنا- من مكان بعيد: عن الحق، فزعموا أنه ﷺ كاهن وشاعر وساحر ومسحور ومجنون. **٥٣**
وحيل بينهم وبين ما يشتهون -من أموال وأولاد ونساء، ورجوع إلى الدنيا، ونجاة من عذاب دائم في الآخرة، فمنعوا من ذلك- كما فعل بالأمم المشابهة لهم في الكفر والعناد من قبل، إنهم -الكفار في كل عصر ومصر- كانوا -مما جاءهم به أنبياؤهم- في شك مريب لا تطمئن قلوبهم له. **٥٤**

⋆ سورة فاطر ⋆

⋆ مكية ⋆

كامل الثناء على الله خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، جاعل الملائكة رسلا -يرسل من يشاء منهم بما يشاء إلى الأرض وإلى من يشاء من عباده- ذوي أجنحة: اثنتين أو ثلاثا أو أربعا، يزيد في الخلق ما يشاء -حسبما شاء، كالمَلَك جبريل عليه السلام الذي له ستمائة جناح- إن الله قدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك خلق ما يشاء حسبما شاء. **١**
ما يفتح الله للناس من رحمة -أرزاق كانت أو توفيق أو أبواب توبة أو غير ذلك من نعمه- فلا ممسك لها -فلن يستطيع مخلوق حبسها- وما يمسك فلا مرسل له -فلن يستطيع مخلوق تحريره أو إعادته- من بعد إمساكه، وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٢**
يا أيها الناس اذكروا نعم الله عليكم، هل -لكم، بل هل هناك- من خالق غير الله يرزقكم من السماء -بالمطر- والأرض: بالنبات والمعادن والركاز مما دفن أهل الجاهلية من أموال؟ لا معبود بحق سواه، فكيف تقلبون: عن الحق؟ **٣**

قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ
فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ
سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن
مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ
بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ
أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١﴾ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ
وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ
يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ
ٱلۡأُمُورُ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ
ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ
عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ
ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ
حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ
بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ
إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ
يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠
وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ
وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ
وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١

وإن يكذبك قومك أيها النبي الكريم فقد وقع التكذيب لرسل -عدة- من قبلك -فاصبر مثلهم، فنصر الله قادم لا محالة كما قال تعالى ﴿ ولقد كُذِّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذِّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مُبدِّل لكلمات الله ﴾ [الأنعام ٣٤]- وإلى الله ترجع أمور عباده ليقضي فيها. ٤

يا أيها الناس إن وعد الله -البعث والحساب ثم الجنة أو النار- حق صادق واقع، فلا تغرنكم الحياة الدنيا -بزينتها فتنخدعوا بها وبإمهال الله إياكم- ولا يغرنكم بالله الشيطان: فيخدعكم بحلم ربكم. ٥

إن الشيطان لكم عدو، فاتخذوه عدوا -والتزموا محاربته بطاعة الله- إنما يدعو حزبه -بوسوسته لأتباعه إلى معصية ربهم- ليكونوا من أصحاب النار المستعرة. ٦

الذين كفروا لهم عذاب شديد -في الدنيا يعيشون بغير قناعة ولا طمأنينة، وفي القبر يعذبون، ثم في الآخرة يخلدون في عذاب الله الدائم الرهيب لا يخرجون منه- والذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة لهم مغفرة وثواب كبير. ٧

أفمن زين له الشيطان والهوى عمله السيئ فاستحسنه فرأى عمله حسنا: أتحزن على مثل ذلك الضال أيها النبي الكريم؟ فإن الله يضل من يشاء -عن الحق بعدله، وقد أقام الحجة- ويوفق ويرشد من يشاء، فلا تذهب نفسك على أمثال هؤلاء حسرات -أحرصا على هدايتهم تغتم؟- إن الله عليم بما يصنعون لا تخفى عليه خافية، وعليم بحال عباده وبالقابلين للهداية منهم، وسيعطي كلا ما يستحق. ٨

والله الذي أرسل الرياح، فتثير سحابا -أفلا تستحضرون الصورة؟- فساق الله السحاب إلى -ومن أجل- بلد مجدب -فأنزل المطر- فأحيا سبحانه به الأرض -بأن أخرج النبات- بعد موتها وجفافها، مثل ذلك الإحياء لأرض ميتة -يكون يوم القيامة- بعث الموتى أحياء. ٩

من كان يريد العزة -الغلبة والقوة والمنعة، فليطلبها عنده- فلله العزة جميعا -ما كان منها مع المؤمنين فهو من فيضه وليس لغيرهم نصيب فيها كما قال تعالى ﴿ ولله العِزَّة ولرسوله وللمؤمنين ولكنَّ المنافقين لا يعلمون ﴾ [المنافقون ٨]- إليه -وحده- يصعد -فالله عال على خلقه، مستو على عرشه- الكلام الطيب -من ذكر له وإصلاح بين عباده وغير ذلك- والعمل الصالح يرفعه -فيقبل كلاما طيبا مع عمل صالح من مؤمن مؤد للفرائض مخلص، فيرفع مرتبته- والذين يمكرون السيئات -مستفرغين وسعهم في التآمر على المؤمنين- لهم عذاب شديد، ومكر هؤلاء هو يبور: ويكسد، فلا يحقق المراد منه. ١٠

والله -الذي سيبعثكم- خلقكم -أيها الناس- من تراب -بأن خلق أباكم آدم عليه السلام منه- ثم -بعد آدم وحواء عليهما السلام- من نطفة -من المني الخارج عند الجماع- ثم جعلكم أزواجا -ذكورا وإناثا، تتزاوجون- وما تحمل من أنثى -في بطنها- ولا تضع -ولدها- إلا بعلمه -سبحانه- وما يطال في عمر أحد -ففيه يبارك كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه. ﴾ [البخاري ٢٠٦٧ * مسلم ٢٥٥٧ * أبو داود ١٦٩٣ * أحمد ١٢٥٨٨]- ولا ينقص من عمره إلا في اللوح المحفوظ -قد أثبته الله- إن ذلك -كله- على الله يسير. ١١

وما يستوي نوعا الماء: هذا -بحيرة أو نهر- عذب ماؤه شديد العذوبة سهل بلعه -يطيب- شرابه، وهذا -بحر- مالح ماؤه شديد المرارة، ومن كل تأكلون لحما طريا -سمكا وأحياء مائية غيره- وتستخرجون حليا تلبسونها -رجالا ونساء، للزينة كما قال تعالى ﴿ مَرَجَ البحرَين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان. فبأي آلاء ربكما تُكَذِّبان. يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان. ﴾ [الرحمن ١٩ ~ ٢٢]- ويرى الرائي السفن في المياه تشقها بمقدمتها -تركبونها أيها الناس- لتلتمسوا من فضله -بالصيد والغوص والتجارة وغير ذلك، ولتنتفعوا بالتنقل- ورجاء أن تشكروه على نعمه ورحمته بكم. ١٢

يدخل الليل في النهار فيطول وقت النهار، ويدخل النهار في الليل فيطول وقت الليل، ويعاقب بينهما، وذلل الشمس والقمر -لما يراد منهما من طلوع وأفول وحركة- كل يجري لزمن محدد في علم الله، ذلك -المدبر أيها الناس هو- الله ربكم، له الملك -الحقيقي في الدنيا والمطلق في الآخرة- والذين تدعون -يا أهل الكفر والردة، من طواغيت- وتعبدون من دونه ما يملكون أي -شيء، ولو- قشرة رقيقة تلف نواة تمر: ولا هم يعينونه كما قال تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مِثقال ذَرَّة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شِرك وما له منهم من ظهير. ﴾ [سبإ ٢٢]. ١٣

إن تدعوهم -أيها المشركون، مستغيثين بطواغيتكم- لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم -ولا نفعوكم بشيء- ويوم القيامة يكفرون بشرككم -ويتبرؤون من دعوتكم إياهم، وينكرون أنهم أمروكم بطاعتهم- ولا يخبرك أيها النبي الكريم -بذلك الأمر- مثل -الله، فهو- خبير لا يخفى عليه شيء. ١٤

يا أيها الناس أنتم الفقراء -المحتاجون- إلى الله -في أمور دينكم ودنياكم، فأخلصوا له- والله هو الغني عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه، المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. ١٥

إن يشأ يذهبكم -فتهلكوا- ويأت بخلق جديد: هم أفضل منكم، وأكثر عبادة وطاعة يفعل. ١٦

وما ذلك -الإهلاك، والإتيان بخلق جديد أفضل منكم حالا- على الله بصعب ممتنع. ١٧

ولا تجازى نفس بذنب غيرها، وإن تدع -نفس بذنوبها- مثقلة -غيرها- إلى حمل ما أثقلها من ذنوب لا يحمل منه شيء، ولو كان قريبا -لا توافق نفس أن تحمل ذنوب غيرها أبدا- إنما تنذر بالعقاب أيها النبي الكريم الذين يخشون ربهم بالغيب -لم يروا عذابه، فهؤلاء ممن ينفعهم الإنذار- وأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأداموها بشروطها -أما غيرهم فقد قامت عليهم الحجة بسماع الإنذار، لكن لم ينتفعوا بما بلغهم- ومن تنزه من الإثم فإنما يتنزه لنفسه -فالنفع له- وإلى الله المرجع في الآخرة. ١٨

فائدة! من أضل أحدا يتحمل ذنب إضلاله، أما من سن شيئا فتبعه الناس فله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه ﴿ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا ﴾ [مسلم ١٠١٧ * النسائي ٢٥٥٤ * ابن ماجة ٢٠٣ * أحمد ١٩١٥٦].

وَمَنْ سَنَّ الجَميلَ أَوِ القبيحَ ... لهُ مِثلُ المُتابعِ يا ظَفِيرُ

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾
۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ
إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾
وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا
ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي
ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا
وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ
فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ
فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ
جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾
وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ
إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا
رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ
أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾

وما يستوي أعمى كافر وبصير مؤمن. ولا ظلمات الليل والكفر ولا نور النهار والإيمان. ولا ظل النعيم في الجنة ولا حرور العذاب في النار. وما يستوي أحياء القلوب المؤمنون ولا أموات القلوب الكفار، إن الله يسمع من يشاء -له الهداية، سماع وعي وفهم وانتفاع- وما أنت أيها النبي الكريم بمسمع من في القبور: ولا من مات قلبه فصار بمثابتهم. لست أنت إلا نذير للعصاة بالعقاب. **١٩ ~ ٢٣**

فائدة! لا يجوز تلقين الميت في قبره كما يفعل طوائف من أهل الجهل والبدع في الجنائز.

وَلَسنا نُسمِعُ الموتى، أفيقوا! ... يُلقِّنُ بِدعَةً، أَتَعي القُبورُ؟!

إن الله أرسلك سبحانه أيها النبي الكريم بالحق -دين الإسلام- بشيرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للعصاة بالعقاب، وليس من أمة -من الأمم، بغير استثناء- إلا مضى فيها نذير للعصاة بالعقاب كما قال تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل ٣٦]. **٢٤**

وإن يكذبك قومك فقد كذب الذين من قبلهم -كعاد وثمود وغيرهما- جاءتهم رسلهم بالأدلة الجلية البينة على صدقهم وبالكتب السماوية وبالكتب المنيرة المضيئة المبينة للعقائد والفقه. **٢٥**

ثم أخذ الله الذين كفروا -بعقابه- فكيف كان إنكاره عليهم؟ **٢٦**

ألم ينته علمك -أيها الإنسان- أن الله أنزل من السماء مطرا، فأخرج سبحانه به ثمارا -رغم أنها تسقى بذات الماء الواحد الذي لا اختلاف فيه- مختلفا ألوانها وهيئاتها؟ ومن الجبال طرق وقطع بيض وحمر مختلف ألوانها وهيئاتها -متفاوتة الدرجات، بل وبعضها متغايرة- وحالكة السواد؟ **٢٧**

ومن الناس والكائنات الدابة والأنعام -من إبل وبقر وغنم- مختلف ألوانه وهيئاته كما هو حال الثمار والجبال وطرقها وقطعها؟ إنما يخشى الله -خشية تدفعهم إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه- من عباده العلماء -به، فقد علموا قدره وقدرته- إن الله عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، واسع ودائم المغفرة. **٢٨**

فائدة! من يخش الله يعلم قدره كما قال تعالى ﴿ أمَّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [الزُّمَر ٩]، وليس كل عالم يخشى الله، فهناك من رزقه الله من العلم الشرعي نصيبا، فنكص على عقبيه كما قال تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان ﴾ [الأعراف ١٧٥]، ومن جملة هؤلاء علماء السلطان.

مِنَ العُلَماءِ مَنْ يَخشى القديرَ ... ومِنهُم عابِدُ الدُّنيا الفَجورُ

إن الذين يقرؤون كتاب الله -القرآن، مداومين على قراءته عاملين بما فيه- وأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأداموها بشروطها، وأنفقوا مما رزقهم الله -من أموال، مخلصين له نياتهم وأعمالهم، في الزكاة الواجبة وصدقات التطوع- سرا وعلانية -في كل حال بغير رياء- يرجون تجارة -مع ربهم، منتظرين ثواب ما قدموا من طاعات- لن تبور: ولن تكسد، بل تحقق لهم مرادهم منها، دخول الجنة والخلود فيها. **٢٩**

ليعطيهم -سبحانه- ثوابهم وافيا، ويزيدهم بفضله وإحسانه من الثواب، ويرفع في الجنة مراتبهم إلى ما ليس تصل إليه أعمالهم، إنه واسع ودائم المغفرة، كثير الشكر للمؤمنين على طاعاتهم. **٣٠**

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ
يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم
مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ
فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣
وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ
شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ
عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ
فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ
أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ
فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ
غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨

والذي أوحى الله إليك أيها النبي الكريم من القرآن هو الحق لا يتطرق إليه باطل -فما هو إلا كما قال تعالى ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ﴾ [فُصِّلَت ٤٢]، صدق لا شك فيه، مشتملا على الحق محفوظا في إنزاله من الشياطين- مصدقا وموافقا لما أنزل قبله، إن الله بعباده لخبير بصير: لا يخفى عليه شيء مما يظهرون أو يبطنون، يعلم أحوالهم ويدبر أمورهم. ٣١
ثم أعطى الله القرآن الذين اصطفاهم من عباده -أمة محمد ﷺ، أفضل الأمم حين تأتي بالخصال التي تستحق بها الخيرية كما قال تعالى ﴿ كنتم خير أمَّة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهَون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران ١١٠]- يتوارثونه، فمنهم ظالم لنفسه باقتراف آثام دون الكفر، ومنهم مقتصد معتدل لا يتجاوز الحد في الدين، ومنهم سابق بالخيرات مؤد للفرائض على أتم وجه مسارع إلى كل مندوب تارك لكل مكروه بإذن الله ومشيئته، ذلك -الاصطفاء- هو الفضل الكبير. ٣٢
جنات إقامة دائمة غير منقطعة يدخلونها، يزينون فيها بأساور من ذهب -تحلي أيديهم المتوضئة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء. ﴾ [مسلم ٢٥٠ * النسائي ١٤٩ * أحمد ٨٨٤٠]- وباللؤلؤ، وتكون ملابسهم فيها من حرير. ٣٣
فائدة! ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا: يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة. ﴾ [البخاري ٧٤٢٣ * أحمد ٨٤١٩].

نُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ نَرجو ... مِنَ الدَّرَجاتِ فِردَوسًا، فَسيروا

وأثنوا على الله الذي أذهب عنهم -كل- الحزن -الذي اعتراهم في الدنيا، فخوفهم من لقائه وحساب الآخرة- من ثم أكدوا أن ربهم -يقينا- واسع ودائم المغفرة، كثير الشكر للمؤمنين على طاعاتهم. ٣٤
الذي أنزلهم دار الإقامة الدائمة تفضلا منه -سبحانه- لا ينالهم فيها تعب ولا ينالهم فيها إعياء. ٣٥
والذين كفروا لهم نار جهنم، لا يقضى عليهم فيموتوا -ويستريحوا مما هم فيه- ولا يخفف عنهم -أي شيء- من عذابها، مثل ذلك الجزاء يجزي الله كل عظيم الكفران بنعم ربه لا يشكرها. ٣٦
وهم يصرخون فيها مستغيثين ربنا أخرجنا نعمل صالحا -فيتوبوا ويؤمنوا، ليرضى عنهم- غير الذي كنا نعمل -في الدنيا- أولم يطل الله في عمركم -يسألهم موبخا- بحيث يتمكن أن يتذكر فيه من تذكر: فيتوب منتفع بالحق؟ وجاءكم النذير بالعقاب: فلم تتوبوا؟ فيخبروا -تهكما وتقريعا- أن يذوقوا، فليس للظالمين لأنفسهم بالكفر من نصير ينفعهم أو يدفع عنهم عذاب الله. ٣٧
إن الله عالم غيب السماوات والأرض -أغاب عنه كما قال تعالى ﴿ ولو رُدوا لعادوا لِما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ [الأنعام ٢٨]؟!- إنه عليم بكل ما في صدور الخلق من إيمان وكفر، ومن خير وشر. ٣٨

هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا
يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ
كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٣٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ
بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ
إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ
نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ
مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ
وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾
أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾

هو الذي جعلكم -أيها الناس- تخلفون من سبقكم من أمم في الأرض، فمن كفر فعليه جزاء كفره -النار، لا يخرج من عذاب الله الدائم الرهيب- ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا -يغضبه، فيزداد سبحانه بغضا لهم- ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا: فهم يسيرون إلى هلاك محقق. **٣٩**

سلهم أيها النبي الكريم أن يخبروك: شركاؤهم الذين يدعون ويعبدون من دون الله، يرونك ماذا خلقوا من الأرض: يستطيعون؟ أم لهم -مع الله- مشاركة في السماوات: بخلق أو ملك أو حكم أو تدبير؟ أم أعطاهم الله كتابا، فهم على بينة منه: على صحة شركهم به، سبحانه؟ بل ما يعد الظالمون لأنفسهم بالشرك بعضهم بعضا -أن شركاءهم ينفعونهم، في الواقع- إلا غرورا: يغرون به ويخدعون أنفسهم. **٤٠**

إن الله يمسك السماوات والأرض -حافظا- كراهة أن تزولا -فافتراء طوائف الشرك يقتضي زوالهما كما قال تعالى ﴿ تكاد السماوات يتفطَّرن منه وتنشقُّ الأرض وتخرُّ الجبال هدًّا. أن دعَوا للرحمن ولدا. ﴾ [مريم ٩٠ ٩١]- ولئن زالتا -يوم القيامة، أو على سبيل الفرض- ما أمسكهما أي أحد -كائنا من كان- من بعده -سبحانه، فمن يستطيع ذلك؟!- إنه كان حليما لا يعاجل بعقاب، واسع ودائم المغفرة. **٤١**

وأقسم مشركو العرب -قبل بعثة النبي ﷺ- بالله أغلظ الأيمان لئن جاءهم نذير -ينذرهم عقاب الله- ليكونن أهدى -إلى الحق- من إحدى الأمم -ممن كذب أنبياء الله من أهل الكتاب، وكانت العرب تتمنى أن يكون منهم نبي كما كان من بني إسرائيل أنبياء- فلما جاءهم -من الله- نذير بالعقاب ما زادهم -مجيئه، ﷺ- إلا نفورا وتباعدا. **٤٢**

استكبارا في أرض العرب -نفروا من الحق- ومكر السيئ -بالناس مكروا ليصدوهم عن الإيمان، وتآمروا بالسوء على النبي ﷺ كما قال تعالى ﴿ وإذ يَمكر بك الذين كفروا ليُثبِتوك أو يقتلوك أو يُخرجوك ﴾ [الأنفال ٣٠]- ولا ينزل أو يحيط المكر السيئ إلا بأهله -فرأوا يوم بدر عاقبة فعلهم- فهل ينتظر هؤلاء إلا -إتيان- سنة -الله في- الأمم السابقة: هلاك المكذبين، وقد عاينوا بعضه؟ فما أجرى الله به العادة لن يمكن تبديله -لم يستثني أحدا- وما أجرى الله به العادة لن يمكن تحويله: فإن عقابهم واقع. **٤٣**

فائدة! يستخدم النظام الدولي وإعلامه العالمي وأذنابهما طريقتين للتحكم بأمتنا: الاستكبار لتخويفنا، والمكر السيئ لإحباطنا، فتستكبر دول المركز المهيمنة علينا لتخويفنا من قول الحق والتمسك بمبادئ ديننا، ويمكرون بنا ويتآمرون علينا لإشعارنا بالإحباط واللاجدوى، فنظل نتحدث عن قدراتهم وتفوقهم، وينعدم أملنا في أي تغيير إيجابي، فنستسلم وننصهر فيهم، لا تنفذوا مخططاتهم! فإنما الأمر كما قال تعالى ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يَضُرُّكم كيدهم شيئا إنَّ الله بما يعملون مُحيط ﴾ [آل عمران ١٢٠].

نظامٌ عالَميٌّ ساءَ مَكرًا ... فربُّكُمُ اتَّقُوا، صَبرَ الخُيُورُ

أولم يتجول هؤلاء الكفار في الأرض فيتأملوا كيف كان مصير الذين من قبلهم -فيتعظوا- وكانوا أشد منهم قوة؟ وما كان الله ليفر منه أي شيء -كائنا ما كان- في السماوات ولا في الأرض -بل يدركهم قدره طالما لم يخرجوا من حدود كونه- إنه كان عليما لا يخفى عليه شيء، قديرا لا يعجزه شيء. **٤٤**

ولو يؤاخذ الله الناس ويعاتبهم بسبب ما كسبوا من عمل ما ترك على ظهر الأرض أي كائن يدب -ثم يبعثون كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ حتى إذا كانوا بالبيداء، خسف بهم، فقلنا: يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس؟ قال: نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكا واحدا، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم ﴾ [البخاري ٢١١٨ ★ مسلم ٢٨٨٤ ★ أحمد ٢٤٧٣٨]- ولكن يؤخرهم -فلا يستأصلهم في الدنيا- إلى حضور آجالهم والموت، فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا: لا يخفى عليه شيء من أحوالهم، يعلم من يستحق منهم الجنة ومن يستحق النار. ٤٥

★ سورة يس ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. ١
والقرآن ذي الحكمة: الحاكم المحكم المشتمل على الحكمة والأحكام، يحلف الله. ٢
إنك أيها النبي الكريم لمن المرسلين. ٣
على طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إلى الله وجنته: دين قويم بغير إفراط ولا تفريط. ٤
تنزيل العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العظيم الرحمة بالمؤمنين نزل سبحانه هذا القرآن. ٥
لتنذر بالعقاب قوما -مشركي العرب، فتقوم الحجة- ما أنذر أسلافهم -لكن بلغتهم نذارة إبراهيم ﵇ بل وبلغهم بعض شعائر الحج، فأشرك معظمهم رغم وجود من أقام عليهم حجة ولم يعبد وثنا كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما- فهم غافلون: عن الآخرة، لا يؤمنون ببعث ولا بحساب. ٦
لقد نفذ القضاء والقدر ووجب العذاب على أكثرهم -بقوا أتباع إبليس- كما قال تعالى ﴿ قال فالحقُّ والحقَّ أقول. لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين. ﴾ [ص ٨٤ ٨٥] فهم لا يؤمنون. ٧
إن الله جعل سبحانه في أعناقهم أغلالا فهي -تشد أيديهم- إلى الأذقان -فأعمالهم السيئة الفاسدة تكبلهم وتغلهم عن الإيمان في الدنيا- فهم مرفوعة رؤوسهم: كما ترفع دابة رأسها إذا شد لجامها. ٨
وجعل الله من أمامهم سدا -يحجزهم عن الإيمان- ومن خلفهم سدا -فأحاط بهم كفرهم- فغمرهم سبحانه -في الكفر- وغطى -أبصارهم عن الحق شديد الوضوح- فهم لا يبصرون ما فيه صالحهم. ٩
وسواء عليهم أأنذرتهم بالعقاب أيها النبي الكريم أم لم تنذرهم لا يؤمنون: فهم كفار معاندون مستمرون على كفرهم وعنادهم لا يردعهم رادع، لكن بإنذارهم قد أديت ما عليك، وأقمت الحجة عليهم. ١٠
إنما تنذر بالعقاب -فينتفع بالإنذار- من اتبع الذكر -القرآن، ومعه السنة- وخشي الرحمن بالغيب -لم ير عذابه، سبحانه، ولم يراء خلقه- فبشره بمغفرة وثواب كريم. ١١
إن الله هو يحيي سبحانه الموتى -للحساب- ويكتب سبحانه ما قدموا -من عمل- وآثارهم -خطواتهم إلى المساجد، وسن سنن حسنة أو سيئة يتبعها عباده- وكل شيء أحصاه الله في كتاب واضح. ١٢

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يسٓ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ
إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا
وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ
رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ
ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ
وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن
ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ
رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ
مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ
ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً
إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا
وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي
يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾

واضرب أيها النبي الكريم للناس مثلا أهل القرية -قيل هي أنطاكية، وقيل هم أهل البئر كما قال تعالى ﴿ كذَّبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرَّسِّ ﴾ [ق ١٢]- حين جاءها المرسلون: قيل هم أنبياء أرسلهم الله إليهم في ديارهم، وقيل هم من أصحاب المسيح ﷺ أرسلهم بأمر من الله ليدعوا إلى توحيده. ١٣

حين أرسل الله -أو المسيح ﷺ، بأمره سبحانه- إليهم اثنين، فكذبوهما، فقواهم الله بثالث يعينهما، فأخبروهم أنهم إليهم مرسلون: يدعونهم إلى توحيد الله وإقامة شرعه. ١٤

كانت إجابتهم أن ما أنتم -أيها المرسلون- إلا بشر مثلنا -لستم ملائكة ولا جنا- وما أنزل الرحمن أي شيء -لا وحي ولا كتب- ليس أنتم إلا تكذبون فيما تخبروننا به. ١٥

أكدوا أن ربهم يعلم إنهم إليهم لمرسلون: وكفى به سبحانه شاهدا على صدقهم. ١٦

وما عليهم إلا البلاغ الواضح: ليس هداية أحد. ١٧

أخبروهم أنهم تشاءموا بهم، من ثم توعدوهم: لئن لم ينتهوا -عن دعوتهم إلى توحيد الله- ليرجمنهم -سبا، أو بالحجارة- ولينالنهم منهم عذاب أليم. ١٨

أكدوا أن شؤمهم معهم -ملازما، بسبب كفرهم- أئن جرى تذكيرهم: يتشاءمون؟! بل -ليس الأمر إلا أنما- هم قوم -في العصيان والعناد والتشاؤم والعدوان- مسرفون متجاوزون للحدود. ١٩

فائدة! يجوز للمسلم أن يفارق دارا يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو وسيلة تنقل يكره استخدامها لتطيب نفسه، ولا تشاؤم إلا في تلك الثلاثة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ إنما الشؤم في ثلاثة: في الفرس، والمرأة، والدار. ﴾ [البخاري ٢٨٥٨ * مسلم ٢٢٢٥ * أبو داود ٣٩٢٢ * الترمذي ٢٨٢٤ * النسائي ٣٥٦٨ * ابن ماجة ١٩٩٥ * أحمد ٤٥٤٤].

وفي دارٍ ومَركوبٍ وزَوجٍ ... أُجيزَ لنا التَّطَيُّرُ والنُّفورُ

وجاء من أقصى المدينة -عمران القرية- رجل مسرعا، نصح قومه أن يتبعوا المرسلين: فبهم يؤمنوا. ٢٠

يتبعوا من لا يسألهم -على دعوتهم- ثوابا، وهم -إلى طريق الفوز- مهتدون. ٢١

وما يمنعه أن يعبد -الله- الذي خلقه على غير مثال سابق -تساءل ناصحا إياهم- وإليه وحده ترجعون -يا قوم- في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء؟ ٢٢

أيتخذ من دونه -سبحانه- آلهة -يعبدها معه- إن يرده الرحمن بضرر لا تنفعه ولا تغن عنه شفاعتهم شيئا -إذ لا شفاعة لهم عند الله أصلا- ولا -مما حل به- ينقذوه؟! ٢٣

أكد أنه إذًا -إن فعل ذلك- لفي ضلال واضح عن الحق، لا يعرف للرشاد سبيلا. ٢٤

أردف مؤكدا أنه آمن بربكم -أيها المرسلون- فاسمعوه: واشهدوا له بالإيمان عند ربكم، واسمعوه -أيها القوم- إنه لا يبالي بكم ولا بتهديدكم، قيل قتلوه، وقيل رفعه الله إلى السماء. ٢٥

أثيب -قيل اسمه حبيب النجار- أن يدخل الجنة، ابتهج متمنيا لو أن قومه يعلمون: ليتوبوا ويؤمنوا. ٢٦

بأن غفر له ربه، وجعله -سبحانه في الجنة، في مرتبة رفيعة- من المكرمين. ٢٧

وما أنزل الله على قومه -لإهلاكهم- من بعد -غيابه عنهم- أي جند -من الملائكة- من السماء، وما كان الله منزلا سبحانه: عليهم جندا، فهم أقل شأنا من ذلك. **٢٨**
إن كانت إلا صيحة واحدة -أرسلت عليهم- فإذا هم -فجأة- ميتون لا حركة لهم كنار خامدة. **٢٩**
يا حسرة العباد على أنفسهم -عند معاينة الموت- ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون: دأب أهل الكفر، فلا تحزن أيها النبي الكريم. **٣٠**
ألم يعلموا -يقينا، وقد عاينوا آثارهم- كم أهلك الله قبلهم من الأمم المتتالية -باستئصال قد استحقوه- أنهم إليهم -في الدنيا، ليتوبوا ويؤمنوا- لا يرجعون؟ **٣١**
وليس كل -الأمم والخلق- إلا جميع -للحساب- عند الله مجموعون مقيمون. **٣٢**
وآية دالة على كمال قدرته للكفار -ومثل على البعث- الأرض المجدبة أحياها الله -بأن أنزل عليها المطر- وأخرج سبحانه منها حبا -قمحا وشعيرا وأرزا وغير ذلك- فمنه يأكلون. **٣٣**
وجعل الله فيها بساتين مديدة الظل من نخيل وأعناب، وفجر سبحانه فيها من عيون الماء الجاري. **٣٤**
ليأكلوا من ثمر هذه البساتين، وما عملته أيديهم -بل العامل له هو خالقه، وإن قاموا بزراعة بعضه، فهو المنبت ولو شاء لجعله رغما عنهم حطاما- أفلا يشكرون: الله على نعمه، بتوحيده وطاعة أنبيائه؟! **٣٥**
تنزه وتقدس -الله- الذي خلق الأصناف كلها مما تنبت الأرض -من نباتات- ومن أنفسهم -بالتزاوج والتكاثر عبر انقسام الخلايا وغير ذلك- ومما لا يعلمون: عن طريقة خلقه بل ولا عن وجوده شيئا. **٣٦**
وآية دالة على كمال قدرته لهم الليل يسلخ الله منه النهار -نازعا ضياءه- فإذا هم -فجأة- في ظلام داخلون. والشمس كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ﴿ قال النبي ﷺ لأبي ذر، حين غربت الشمس: أتدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿ والشمس تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقدير العزيز العليم. ﴾ ﴾ [البخاري **٣١٩٩** ⋆ مسلم **١٥٩** ⋆ الترمذي **٢١٨٦** ⋆ أحمد **٢١٣٥٢**]، ذلك -الإبداع- تقدير العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العليم الذي لا يخفى عليه شيء. **٣٧ ٣٨**
فائدة! كثير من الملاحدة والليبراليين لا ينكرون وجود الله، بل يرفضون وجوده: لا يريدون لأي قوة أن تفرض عليهم حدودا لشهواتهم، فهم كما قال تعالى ﴿ أرأيت من اتَّخذ إلهه هواه ﴾ [الفرقان ٤٣].

مَلاحِدَةٌ إِلهُهُمُ الهَوَى لا ... يُريدون اعتِرافًا كي يَجوروا

والقمر قدره الله -حركته والمسافة المقطوعة في اليوم والليلة، فهو ينزل- منازل -ليس يتخطاها، فيتم دورته في مدة محددة- حتى عاد كعذق النخلة اليابس القديم: صغيرا مقوسا، ليبدأ دورة جديدة. **٣٩**
لا الشمس ينبغي لها ولا يكون أن تدرك القمر -فتصطدم به أو تغطي على نوره- ولا الليل سابق النهار -فيدخل عليه قبل وقته ويكون بينهما انفصال: لن يكون- وكل جرم فلكي يسبح في مدار خاص. **٤٠**

۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا
مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩
يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ
أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢
وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا
فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ
وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي
خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ
وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ
ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ
ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ
أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ
يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ
ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

وآية دالة على كمال قدرته لبني آدم أن الله حمل سبحانه ذريتهم -إلى اليوم، ومن جملتهم نوح ﷺ والذين نجاهم معه من الطوفان- في السفن الممتلئة المشحونة: بهم وبأغراضهم. **٤١**

وخلق الله لهم مما يماثل السفن -في نقل الأغراض- ما يركبون: من إبل وخيل وبغال وحمير. **٤٢**

وإن يشأ الله يغرق سبحانه السفن، فلا مغيث لصارخين عليها، ولا هم -مما حل بهم- ينقذون. **٤٣**

إلا -أن يشاء الله بهم- رحمة منه سبحانه وتمتعا -بأعمارهم- إلى حين: حضور آجالهم. **٤٤**

وإذا جرى نصحهم أن يتخذوا وقاية مما يحيط بهم من كل جانب -مما هم مقدمون عليه في القبور وفي الآخرة وما قد يصيبهم من عذاب في الدنيا- رجاء أن يدركوا رحمة ربهم فيفوزوا: لم يأبهوا. **٤٥**

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم دالة على وحدانيته وصدق نبيه إلا كانوا عنها معرضين منصرفين. **٤٦**

وإذا جرى نصحهم أن ينفقوا مما رزقهم الله -من أموال- سأل الذين كفروا الذين آمنوا -مستهزئين- أيطعمون من لو يشاء الله أطعمه: حقا يطلبون منهم ذلك؟ فبزعمهم هم يخالفون مشيئة الله إن أطعموا الفقراء! من ثم اتهموهم أن ليسوا هم إلا في ضلال واضح عن الحق، لا يعرفون للرشاد سبيلا. **٤٧**

ويسأل المشركون النبي ﷺ والمؤمنين -مستنكرين متهكمين- متى هذا الوعد -بالبعث والحساب ثم الجنة أو النار كما تزعمون، أخبرونا- إن كنتم صادقين؟ **٤٨**

ما ينتظرون إلا صيحة واحدة -النفخة الأولى في الصور- تأخذهم وهم -في معاملاتهم: في غفلة تامة عن قيام القيامة كما قال تعالى ﴿ لا تأتيكم إلا بغتة ﴾ [الأعراف ١٨٧]- يختصمون ويتجادلون. **٤٩**

فلا يستطيعون توصية -إلى بعضهم بعضا حينئذ إذ يصعقون في أماكنهم- ولا إلى أهلهم يرجعون. **٥٠**

ونفخ في الصور -الثانية كما قال تعالى ﴿ ونُفخ في الصور فصَعِق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ﴾ [الزُّمَر ٦٨]- فإذا هم -فجأة، لهم صوت- من القبور -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ما بين النفختين أربعون، قال: أربعون يوما؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة. ﴾ [البخاري ٤٩٣٥ * مسلم ٢٩٥٥]- إلى ربهم يسرعون. **٥١**

تحسروا على أنفسهم، متسائلين من بعثهم من رقدتهم -قيل يرفع عذاب القبر بين النفختين فيناموا، وقيل لهول ما هم فيه تختلط عقولهم فيظنوا أنهم كانوا نياما- في القبور؟ هذا ما وعد الرحمن، وصدق -فيما بلغوا عن ربهم- المرسلون: قيل يقروا هم بذلك، وقيل تجيبهم الملائكة موبخة إياهم. **٥٢**

إن كانت -النفخة الثانية في الصور- إلا صيحة واحدة، فإذا هم -فجأة- جميع -للحساب- عند الله مجموعون مقيمون. **٥٣**

فاليوم لا تظلم نفس شيئا -فلا يزاد في سيئاتها ولا ينقص من حسناتها- ولا تجزون -أيها الخلق- إلا بحسب ما كنتم -في الدنيا، من أعمال- تعملون. **٥٤**

إن أصحاب الجنة -في ذلك- اليوم في شغل -عن غيرهم، بما هم فيه من نعيم- معجبون. ٥٥
هم وأشباههم -وكذلك أزواجهم في الدنيا من أهل الصلاح كما قال تعالى ﴿ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذُرِّيَّاتهم ﴾ [الرعد ٢٣]، أو يعطون أزواجا إن لم يكن لهم في الدنيا من أهل الصلاح أزواج كما قال تعالى ﴿ ولهم فيها أزواج مُطهَّرة ﴾ [البقرة ٢٥]- في ظلال الجنان المديدة على الأسرة المزينة متكئون. ٥٦
لهم فيها فاكهة -طيبة لا يلحقها تلف ولا فساد- ولهم ما يطلبون ويتمنون. ٥٧
سلام قولا -تحية لهم- من رب عظيم الرحمة بالمؤمنين: يدخلون الجنة بسلام من كل آفة. ٥٨
وامتازوا اليوم أيها المجرمون مستحقو العقاب: عن أصحاب الجنة فانعزلوا عنهم، أمر يأتيهم. ٥٩
ألم يوصيكم الله يا بني آدم -في الدنيا، على ألسن أنبيائه- ألا تعبدوا الشيطان: فلا تطيعوه فإن الطاعة عبادة، ولا تقبلوا وسوسته؟ إنه لكم عدو ظاهر العداوة لا يريد إلا الوصول بكم إلى عذاب الله؟ ٦٠
وأن اعبدوه: سبحانه، وحده دون سواه؟ هذا طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إليه وجنته؟ ٦١
ولقد أضل منكم -يا بني آدم، عن الحق- خلقا كثيرا، أفلم تكونوا تعقلون: عداوة الشيطان لكم؟! ٦٢
هذه جهنم التي كنتم -في الدنيا، على ألسن أنبياء الله- توعدون. ٦٣
قاسوا حرها اليوم بسبب كفركم: يأمر الله بعذابهم. ٦٤
اليوم يختم الله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذًا، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه ﴾ [مسلم ٢٩٦٨]. ٦٥
ولو يشاء الله لمحى سبحانه على أعينهم -فلأذهب أبصارهم- فتبادروا الصراط -جسر لابد من عبوره فوق النار، بعده الجنة، وصفته كما جاء على لسان أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف ﴾ [مسلم ١٨٣]- فكيف يبصرون؟ ٦٦
ولو يشاء الله لمسخهم سبحانه -مخلوقات أخرى- في أماكنهم، فلا يستطيعون ذهابا ولا إيابا. ٦٧
ومن يطل الله في عمره ينكس سبحانه خلقه -فيعيده بعد قوة كما كان ضعيفا، والله القادر على ذلك قادر على بعثهم وحسابهم، فالواجب إذًا أن يغتنموا زمن قوتهم في طاعته- أفلا ينتفعون بعقولهم؟! ٦٨
وما علمه الله الشعر وما ينبغي له -الشعر- ولا يليق به حالا، ليس هو -الذي يأتي به ﷺ- إلا تذكير بما ينفع الخلق في الدنيا والآخرة، وقرآن واضح ألفاظه ومعانيه مبين لتوحيد الله وعظيم قدرته. ٦٩
لينذر -ﷺ، وما جاء به من قرآن- من كان -قلبه- حيا، وينفذ القضاء والقدر ويوجب العذاب على الكافرين: بعد أن قامت عليهم الحجة. ٧٠

إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ
فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ
وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ وَٱمۡتَٰزُواْ
ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ
أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ
ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ
جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي
كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾
ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم
بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ
فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴿٦٧﴾
وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا
عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ﴿٦٩﴾
لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا
فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ
وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ
أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ
لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ إِنَّا نَعْلَمُ
مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ
مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

أولم يعلموا -قدرته- أن الله خلق سبحانه من أجلهم مما أبدع سبحانه -من غير واسطة ولا شركة ولا توكيل- أنعاما -من إبل وبقر وغنم- فهم لها مالكون: يتصرفون فيها كما شاءوا ورأوه ينفعهم؟ **٧١**

وذللها الله لهم -فجعلها مطيعة- فمنها ما يستخدمون ظهوره وقوته -ولا سيما الإبل- للركوب والتنقل وحمل الأغراض، ومن لحومها وشحومها يأكلون؟ **٧٢**

ولهم فيها ما ينتفعون به من أصواف وأوبار وأشعار وجلود، ونسل يتاجرون فيه وغير ذلك، ولبنا يشربونه -مما في بطون إناثها- أفلا يشكرون: الله على نعمه، بتوحيده وطاعة أنبيائه؟! **٧٣**

فائدة! النعم إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت، فادعاء أن نمو السكان يهدد بمجاعات هراء محض.

لَئِنْ شَكَرَ الوَرَى نِعَمًا لَّزادَتْ ... نُمُوُّ المسلمينَ هُدًى ونورُ

واتخذ المشركون من دون الله آلهة -يعبدونها معه- رجاء أن ينصروهم إن حل بهم مكروه. **٧٤**

لا يستطيعون نصرهم، والمشركون لآلهتهم -في الدنيا، على خدمتهم- جند مجموعون مقيمون. **٧٥**

فلا يحزنك أيها النبي الكريم كلام المشركين -وما يتفوه به من طعن فيك وفي دينك- إن الله يعلم سبحانه ما يسرون وما يظهرون من أقوال وأعمال: وهو قطعا مجازيهم بما قالوا وعملوا. **٧٦**

أولم يعلم الإنسان -يقينا- أن الله خلقه سبحانه من نطفة -من المني الخارج عند الجماع- فإذا هو -فجأة، على ضعفه، وعلى طريقة خلقه تلك- خصيم ظاهر الخصومة بين المجادلة لخالقه؟! **٧٧**

وضرب لله مثلا -يقيس قدرة الخالق سبحانه على قدرته!- ونسي خلقه -من عدم- تساءل -مستنكرا- من -يستطيع أن- يحيي العظام وهي رميم: بال هالك، قد صارت كذلك بعد موت صاحبها؟ **٧٨**

فائدة! يجوز استخدام الأدوات المصنوعة من بعض أجزاء الحيوانات والطيور الميتة -من عظام وقرون وأظفار وحوافر وشعر ووبر وريش ونحو ذلك، كذلك الجلد إذا دبغ- ولا دليل على نجاسة أي منها.

عِظامُ المَيتَةِ استَخدِم فإنَّ الـ ... تَثَبُّتَ مِنْ نَّجاسَتِها عَسيرُ

أجبهم أيها النبي الكريم بأن يحييها -الله- الذي أوجدها أول مرة -من عدم- وهو بكل خلق عليم، فالخالق أعلم بمن خلق. **٧٩**

الذي جعل لكم -أيها الناس- من الشجر الأخضر -الرطب- نارا، فإذا أنتم -فجأة، دون أن يجف- منه توقدون: أليس الذي جمع بين رطوبة شجر أخضر واشتعاله نارا قادر على بعثكم وحسابكم؟ **٨٠**

أوليس -الله- الذي خلق السماوات والأرض -وخلقهما أمر عظيم كما قال تعالى ﴿ لَخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ [غافر ٥٧]- بقادر على أن يخلق مثلهم: وخلق البشر وبعثهم أسهل؟ بلى -هو قادر على ذلك- وهو الخلاق الذي خلق كل شيء، العليم الذي لا يخفى عليه شيء. **٨١**

إنما أمره -سبحانه- إذا أراد شيئا أن يأمره بالتَّكَوُّن فيكون، لا يستعصي عليه ولا يمتنع منه. **٨٢**

فتنزه وتقدس -الله- الذي بيده ملك وسلطان كل شيء -متصرفا في خزائن الكون- وإليه وحده ترجعون -أيها الخلق- في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء. **٨٣**

★ سورة الصافات ★

★ مكية ★

وصفوف الملائكة في السماء متراصة وصفوف المصلين في الأرض. فالملائكة الزاجرات للسحاب تدفعه حيث يأمر الله، فآيات القرآن الزاجرات، فأهل العلم الناهين عن القبائح. فجميع من يقرأ القرآن ويذكر الله من عباده: يحلف الله. إن إلهكم -الذي يضرع إليه الخلائق، المعبود بحق- لواحد لا شريك له. رب السماوات والأرض وما بينهما -الخالق المالك المدبر- ورب مشارق الشمس. ١ ~ ٥

إن الله زين سبحانه أقرب السماوات إلى الأرض بزينة الكواكب: بضوء متلألئ كالجواهر. وحفظا من كل شيطان مارد خارج عن طاعته حفظها. لا يسمعون إلى الملإ الأعلى -الملائكة، ولا إلى الوحي: غير مباح- ويقذفون -بالشهب- من كل جانب. مبعدين، ولهم -في الآخرة- عذاب واجب دائم لا يزول. إلا من اختطف السمع -إلى ما يتداوله الملائكة- فأتبعه -ليلحقه- شهاب مشتعل مضيء كما قال تعالى ﴿ ولقد زيَّنَّا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ﴾ [المُلك ٥]. ٦ ~ ١٠

فاستخبر منكري البعث سائلا أيها النبي الكريم: أهم أشد خلقا، أمن خلق الله: من ملائكة وسماوات وأرض وكواكب وشياطين وشهب وغير ذلك؟ إن الله خلقهم سبحانه من طين لزج ثابت: خلق منه أبا البشر آدم ﷺ كما قال تعالى ﴿ وإذ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا. ﴾ [الإسراء ٦١] وهم ذريته، ينكرون البعث وهم مخلوقون من شيء بهذا الضعف! ١١

بل عجبت أيها النبي الكريم -من قدرة الله، ومن إنكارهم للبعث، ومن حلمه عليهم!- ويسخرون: هم مما تخبرهم به! ١٢

وإذا جرى تذكيرهم لا يذكرون. وإذا رأوا آية دالة على صدقك -كانشقاق القمر- يبالغون في السخرية. وزعموا أن ليس هذا -الذي به جئت- إلا سحر واضح. أئذا ماتوا وصاروا ترابا وعظاما أئنهم لمبعوثون: للحساب؟ أوآباؤهم -تساءلوا مستنكرين- وأسلافهم كذلك؟ ١٣ ~ ١٧

أجبهم أيها النبي الكريم بنعم -تبعثون، جميعكم- وأنتم ذليلون. ١٨

فإنما هي دفعة واحدة -النفخة الثانية في الصور- فإذا هم -فجأة- ينظرون منتظرين أمر الله فيهم. ١٩

وتحسر الكفار على أنفسهم، هذا يوم الدين: يوم القيامة، يوم يدين الله عباده ويحاسبهم. ٢٠

هذا يوم الفصل -يفصل الله بعدله ويقضي بين العباد- الذي كانوا به -في الدنيا- يكذبون. ٢١

اجمعوا -أيها الملائكة- الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وأشباههم -ومؤيديهم- وما كانوا يعبدون. ٢٢

من دون الله -ويطيعون من طواغيت- فأرشدوهم إلى طريق الجحيم: قودوهم إلى النار، جميعهم. ٢٣

فائدة! أعوان الطواغيت ورؤوس الكفر ومؤيدوهم يحشرون معهم يوم القيامة، ويساقون معا إلى الجحيم.

أأعوانَ الظَّلومِ مؤيِّدِينَ ... وطاغوتًا: إلى النارِ استَديروا

واحبسوهم -يأمر الله، قبل أن تسوقوهم إلى الجحيم- إنهم -عن أقوالهم وأعمالهم- مسؤولون. ٢٤

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ
لَوَٰحِدٞ ٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥ إِنَّا زَيَّنَّا
ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧
لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ
عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠
فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ١١
بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ١٢ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ١٣ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ
يَسۡتَسۡخِرُونَ ١٤ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ١٥ أَءِذَا مِتۡنَا
وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧ قُلۡ نَعَمۡ
وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ١٩ وَقَالُواْ
يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢١
۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ
ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤

مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ
عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾
قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ
بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ
مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ
لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا
لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمۡ
لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ
وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾
يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾
لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ
بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾

ما لكم -طواغيت ورؤوس كفر وأعوان ومؤيدين- لا تنصرون بعضكم بعضا؟ **٢٥**
بل هم اليوم -في الآخرة، لما يلاقون فلا يملكون له دفعا- مستسلمون. **٢٦**
وأقبل بعضهم -من أعوان ومؤيدين- على بعض -آخر: الطواغيت ورؤوس الكفر- يتساءلون. **٢٧**
سألوهم: إنكم كنتم تأتوننا -في الدنيا- عن طريق الدين والحق وما لديكم من قوة: فتزينوا لنا الكفر والعصيان، أليس كذلك؟ **٢٨**
أجابوهم: بل -لم نجبركم، كما قال تعالى ﴿ قال الذين استكبروا للذين استُضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ﴾ [سبإ ٣٢]، إنما- لم تكونوا مؤمنين. **٢٩**
وما كان لنا عليكم أي برهان يقنعكم بعصيان الله، ولا قوة قاهرة تتسلط بها عليكم فنجبركم، بل كنتم -أيها الأعوان والمؤيدون- قوما متجاوزي الحد في الضلال: أفلا يتعظ الناس فينبذوهم، جميعهم؟ **٣٠**
فنفذ قضاء ربنا وقدره ووجب علينا العذاب كما قال تعالى ﴿ قال فالحقُّ والحقَّ أقول. لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين. ﴾ [ص ٨٤ ٨٥]، إنا -جميعا- لذائقون: من العذاب صنوفا. **٣١**
فأغويناكم -فأضللناكم- إنا كنا -في الدنيا- ممعنين في الضلال منقادين للهوى: أقروا الآن. **٣٢**
فإنهم -أتباعا ومتبوعين- يومئذ في العذاب مشتركون. إن الله مثل ذلك -العذاب مشتركا بينهم- يفعل سبحانه بالمجرمين مستحقي العقاب. إنهم كانوا إذا جرى إخبارهم ألا إله إلا الله -فيدعون إلى توحيد الله والعمل بمقتضى ذلك، عن قبول الحق- يستكبرون. ويتساءلون -مستنكرين- أئنهم لتاركوا -عبادة- آلهتهم لشاعر مجنون: استجابة لدعوته؟ بل جاء بالحق -دين، وكتاب- وقام بتصديق المرسلين: من قبله فيما جاءوا به من توحيد الله وإثبات البعث والحساب ونحو ذلك، وفيما أخبروا به عن بعثته ﷺ كما قال تعالى ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مُصدقا لِما بين يديَّ من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ [الصف ٦]. إنكم -أتباعا ومتبوعين- لذائقوا العذاب الأليم. وما تجزون إلا بحسب ما كنتم -في الدنيا، من كفر وآثام- تعملون. **٣٣ ~ ٣٩**
إلا عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله واستخلصهم الله واصطفاهم لنفسه: لا عذاب لهم. هؤلاء لهم رزق -مما يشتهون من طيبات المآكل وغيرها، طيبها ودوامها- معلوم. فواكه، وهم -في مراتب رفيعة- مكرمون. في جنات النعيم الدائم. على أسرة -في مجالس مهيأة للسرور، يجلسون ينظر بعضهم إلى وجوه بعض- متقابلين. يطاف عليهم بكؤوس خمر جارية: كما تجري عيون الماء على وجه الأرض. بيضاء -لونها- لذة -طعمها- للشاربين. لا تغتال العقول ولا تصيب بمرض أو صداع أو قيء ولا عنهم هي تنفد، ولا تسكرهم. وعندهم نساء قصرن طرفهن على أزواجهن لا يردن غيرهم، حسناوات العيون. كأنهن بيض -طائر، أبيض نقي لونهن، أو لؤلؤ- مصون لم تمسه يد: عذارى. **٤٠ ~ ٤٩**
فأقبل بعضهم -أهل الجنة- على بعض يتساءلون. **٥٠**
أخبرهم متكلم منهم أنه كان له -في الدنيا- صاحب ملازم. **٥١**

يتساءل -صاحبه، مستنكرا- أئنك -أيها الصاحب الملازم، بالبعث- لمن المصدقين؟ أئذا متنا وصرنا ترابا وعظاما أئنا -بأعمالنا- لمجزيون؟ تساءل -الذي في الجنة، داعيا أهلها- هل أنتم -معي إلى أهل النار- مطلعون؟ فاطلع فرأى صاحبه في وسط الجحيم. أقسم بالله العظيم إن كاد ليسقطه ويهلكه. ولولا نعمة ربه -أن أنعم عليه بالإيمان- لكان -في العذاب- من المجموعين المقيمين. **٥٢ ~ ٥٧**

تساءل -مخاطبا أهل الجنة- أفما نحن بميتين؟ إلا موتتنا الأولى -التي متنا في الدنيا- وما نحن -كما يحدث لأهل النار- بمعذبين؟ إن هذا -الخلود، بغير عذاب- لهو الفوز والفلاح العظيم الذي لا يعادله شيء. لمثل هذا -النعيم الدائم- فليعمل العاملون: فهي أربح تجارة، لا العمل لدنيا فانية. **٥٨ ~ ٦١**

فائدة! حال أهل الجنة هو كما ورد عن النبي ﷺ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه ﴿ إن الرجل من أهل الجنة يعطى قوة مائة رجل في الأكل، والشرب، والشهوة، والجماع، فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة؟ قال: فقال له رسول الله ﷺ: حاجة أحدهم عرق، يفيض من جلده، فإذا بطنه قد ضمر. ﴾ [أحمد ١٩٣١٤].

وشَهوَةُ مسلِمٍ دَخَلَ الجِنانَ ... تُعادِلُ في الدُّنى مِائَةً أُثيرا

أذلك -الخلود في الجنة- خير ضيافة وأفضل؟ أم شجرة الزقوم؟ إن الله جعلها سبحانه فتنة للظالمين لأنفسهم بالكفر: واختبارا، أيؤمنون بوجود شجرة تنبت في النار كما قال تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ﴾ [الإسراء ٦٠]؟ إنها شجرة تخرج في قعر الجحيم: ولا تحترق في النار. طلعها -أول ما يثمر منها، من بشاعة منظره- كأنه رؤوس الشياطين. فإن الكفار لآكلون من ثمرها، فمالئون منه بطونهم. ثم إن لهم على ما أكلوا لشرابا مختلطا من حر متناه شدته: يخالط ما في بطونهم ويقطعها كما قال تعالى ﴿ وسُقُوا ماء حميما فقَطَّع أمعاءهم ﴾ [محمد ١٥]. ثم إن رجوعهم -بعد الشرب- لإلى الجحيم: ينتقلون من صنف من العذاب إلى آخر. **٦٢ ~ ٦٨**

إنهم صادفوا أسلافهم -عن الحق وطريقه- ضالين. فهم على خطاهم يسارعون: يتبعونهم ويقتدون بهم في الضلال. ولقد ضل قبلهم أكثر الأمم السابقة: كعاد وثمود وغيرهما، فاستمروا على الكفر لم يؤمنوا بأنبياء ربهم. ولقد أرسل الله فيهم منذرين: من كفر أو عصى بما هيئ لهم من عذاب إن لم يتوبوا. فتأمل أيها النبي الكريم -كذلك أمتك- كيف كان مصير المنذرين عقاب الله ولم يرجعوا عن غيهم. إلا عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله واستخلصهم الله واصطفاهم لنفسه: لا عذاب لهم. **٦٩ ~ ٧٤**

ولقد نادى نوح الله -داعيا على قومه، لأنهم عصوه واتبعوا أهل المال والمنعة كما قال تعالى ﴿ قال نوح رب إنهم عصَوني واتَّبعوا من لم يَزِده ماله وولده إلا خَسارا. ﴾ [نوح ٢١]، وكفروا وأضلوا الناس كما قال تعالى ﴿ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّارا. إنك إن تذرهم يُضلُّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفَّارا. ﴾ [نوح ٢٦ ٢٧]- فلأحسن مجيب للدعاء: هو. **٧٥**

ونجاه سبحانه هو وأهل بيته -مع أهل دينه- من الكرب العظيم: والغم الذي سببه قومه بأفعالهم. **٧٦**

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى
لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ
فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾
فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ * وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾
فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾
فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ
إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ
ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

وجعل الله ذريته -مع ذرية أهل دينه كما قال تعالى ﴿ ذُرِّيَّة من حملنا مع نوح ﴾ [الإسراء ٣]- هم الباقين: فأغرق أهل الكفر عن بكرة أبيهم. وترك الله له ذكرا حسنا على ألسن العباد الذين يأتون بعده. سلام -من الله وتحية- على نوح -وسلامة من أن يذكر بسوء- فيمن يأتي بعده من الخلائق جميعا. إن الله مثل ذلك الجزاء يجزي سبحانه المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. إنه من عباد الله المؤمنين: الموحدين العاملين بطاعته. ثم أغرق الله الآخرين: فغمرهم الطوفان. **٧٧ ~ ٨٢**

وإن من شيعة نوح عليه السلام -الذين شايعوه على دينه: توحيده سبحانه- لإبراهيم. اذكر أيها النبي الكريم حين جاء ربه بقلب سليم: خال من الشرك والشك. حيث سأل أباه وقومه -مستنكرا- ماذا -بغبائهم- يعبدون؟ أكذبا بشعا آلهة دون الله يريدون: ليشركوها به، افتراء عليه؟! فما ظنهم برب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء: إذا حان أجلهم فلقوه وهم يعبدون غيره، ماذا يرونه صانعا بهم؟! **٨٣ ~ ٨٧**

فنظر نظرة في النجوم: متفكرا في شيء يصرفهم عنه، عليه السلام. فأخبرهم -مستخدما المعاريض- أنه سقيم -القلب، بسبب كفرهم- عليل. فتنحوا عنه مغادرين. فمال إلى آلهتهم، فسألهم -مستهزئا ساخرا- ألا يأكلون: مما وضع أمامهم أهل الكفر والجهل من طعام؟ ما لهم لا ينطقون؟ فمال عليهم ضربا بقوة -باليد اليمنى- تحقيقا ليمينه الذي أقسمه عليه السلام كما قال تعالى ﴿ وتالله لأكيدنَّ أصنامكم بعد أن تُوَلُّوا مدبرين. ﴾ [الأنبياء ٥٧]. فأقبلوا -أبوه وقومه- إليه يسرعون. سألهم -موبخا- أيعبدون ما ينحتون: بأم أيديهم، أعقلاء هم؟! والله -هو الذي- خلقهم وما يعملون: ومن جملته الأصنام، فهو خالق الناحت والمنحوت، أليس هو من يستحق العبادة إذًا، وحده دون سواه؟ **٨٨ ~ ٩٦**

فائدة! لكل نفس مكلفة قدرة وإرادة واختيار، وأفعال العباد مخلوقة لله.

وأُعطينا المَشيئةَ واختيارًا ... وأفعالَ الورَى خَلَقَ القديرُ

رأوا -حال أهل السفاهة في كل عصر ومصر، لما ألجمهم بالحجة- أن يبنوا له بنيانا -فيشعلوه- فيلقوه في النار شديدة الاتقاد. فأرادوا به مكيدة، فجعلهم الله المقهورين: فنجاه مما أرادوا به كما قال تعالى ﴿ قُلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم. ﴾ [الأنبياء ٦٩]، وقامت عليهم حجة مبهرة. **٩٧ ٩٨**

وأخبرهم أنه -عليه السلام- مهاجر إلى -حيث يتمكن من عبادة- ربه، سيوفقه ويرشده إلى ما فيه صلاح دنياه وآخرته. دعا ربه أن يمنحه -ولدا، يشب ويصير- من الصالحين: فينفعه في حياته وبعد مماته، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له. ﴾ [مسلم **١٦٣١** * أبو داود **٢٨٨٠** * الترمذي **١٣٧٦** * النسائي **٣٦٥١** * ابن ماجة **٢٤٢** * أحمد **٨٨٤٤**]. فبشره الله بولد ذكر كثير الحلم: إسماعيل عليه السلام. فلما بلغ معه السعي -فشب وصار يساعده في أمور دنياه- أخبر ابنه أنه يرى في المنام أنه يذبحه، فسأله أن ينظر رأيه، أجاب أباه بأن يفعل ما يؤمر -ماضيا لما أمر الله به، فرؤيا الأنبياء وحي، ومطمئنا- سيجده إن شاء الله -المطلوب منه العون- من الصابرين على طاعة الله وأقداره. **٩٩ ~ ١٠٢**

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾
قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا
عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ
بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ
وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا
عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ
ٱلۡعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا
ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾
وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا
مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ
ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

فلما أسلما -لأمر الله- وانقادا، ووضعه على جانب جبهته: ليذبح إبراهيم ﷺ ابنه إسماعيل ﷺ ظهر آنذاك صبرهما وصدق إيمانهما. وناداه الله أن "يا إبراهيم": جرى مناداته -من قبل الملائكة- باسمه. قد صدقت الرؤيا -عازما على الإتيان بما رأيته في المنام امتثالا لأمر ربك، وقد خلصك من محنتك- إن الله مثل ذلك الجزاء يجزي سبحانه المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. إن هذا لهو البلاء الواضح: اختبار ليس أكبر منه. وفداه الله بذبح -كبش، قدره- عظيم: متقبل، ذبح دونه. وترك الله له ذكرا حسنا على ألسن العباد الذين يأتون بعده. سلام -من الله وتحية- على إبراهيم: وسلامة من أن يذكر بسوء. مثل ذلك الجزاء يجزي الله المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. إنه من عباد الله المؤمنين: الموحدين العاملين بطاعته. وبشره الله بإسحاق -يولد له، ويصير كأخيه- نبيا من الصالحين: فينفعه في حياته وبعد مماته، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له. ﴾ [مسلم **١٦٣١** ★ أبو داود **٢٨٨٠** ★ الترمذي **١٣٧٦** ★ النسائي **٣٦٥١** ★ ابن ماجة **٢٤٢** ★ أحمد **٨٨٤٤**]. وبارك الله عليه وعلى إسحاق -فزادهما علما وعملا وذرية- ومن ذريتهما محسن في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق، وظالم لنفسه بالكفر واقتراف الآثام واضح الظلم. **١٠٣ ~ ١١٣**

فائدة! ورد عن النبي ﷺ من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ ﴿ قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة. ﴾ [الترمذي **٢٣٩٨** ★ ابن ماجة **٤٠٢٣** ★ أحمد **١٤٨١**].

بَلاءُ الأنبياءِ هوَ الأشَدُّ ... وكُلًّا يَبتَلي ربٌّ خبيرُ

ولقد أنعم الله وتفضل على موسى وهارون: بالنبوة. ونجاهما سبحانه هما وقومهما -بني إسرائيل- من الكرب العظيم: والغم الذي سببه فرعون وقومه بأفعالهم. ونصر الله موسى وهارون ﷺ وقومهما فكانوا هم الغالبين: إذ أغرق فرعون وجنوده. وأعطى الله موسى وهارون ﷺ الكتاب الظاهر الواضح: كما قال تعالى ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴾ [المائدة ٤٤]. ووفقهما سبحانه وأرشدهما الطريق المستقيم الواضح غير المعوج الموصل إليه وجنته: إذ يوفق من يشاء للعلم والعمل، ويرشد إلى ما يحب ويرضى. وترك الله لهما ذكرا حسنا على ألسن العباد الذين يأتون بعدهما. سلام -من الله وتحية- على موسى وهارون: وسلامة من أن يذكرا بسوء. إن الله مثل ذلك الجزاء يجزي سبحانه المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. إنهما من عباد الله المؤمنين: الموحدين العاملين بطاعته. **١١٤ ~ ١٢٢**

وإن إلياس لمن المرسلين. اذكر أيها النبي الكريم حين سأل قومه ألا يتقون: فيؤمنوا بما جاءهم به من ربهم؟ أيدعون بعلا -وثنا عدوه ربا- ويتركون -عبادة- أحسن الخالقين: وليس غيره يخلق من عدم؟ الله ربهم -الخالق الرازق، وحده دون سواه- ورب آبائهم وأسلافهم؟ **١٢٣ ~ ١٢٦**

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٢٧ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٢٨
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ١٢٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ١٣٠ إِنَّا
كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣١ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٣٢
وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٣٣ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ١٣٤
إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ١٣٥ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ١٣٦ وَإِنَّكُمْ
لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٣٨ وَإِنَّ
يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ١٤٠
فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ١٤١ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ١٤٢
فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ١٤٤ * فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ١٤٥ وَأَنۢبَتْنَا
عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ١٤٦ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُونَ ١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ١٤٨ فَٱسْتَفْتِهِمْ
أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ١٤٩ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا
وَهُمْ شَٰهِدُونَ ١٥٠ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ
ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ١٥٣

فكذبوه، فإنهم -في العذاب- لمجموعون مقيمون. إلا عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله واستخلصهم الله واصطفاهم لنفسه: لا عذاب لهم. وترك الله له ذكرا حسنا على ألسن العباد الذين يأتون بعده. سلام -من الله وتحية- على إل ياسين: وسلامة من أن يذكر إلياس ﷺ بسوء، قيل ومعه أهل دينه. إن الله مثل ذلك الجزاء يجزي سبحانه المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. إنه من عباد الله المؤمنين: الموحدين العاملين بطاعته. **١٢٧ ~ ١٣٢**

وإن لوطا لمن المرسلين. اذكر أيها النبي الكريم حين نجاه الله هو وأهل بيته أجمعين. إلا عجوزا -هي امرأته، كما قال تعالى ﴿ فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين. ﴾ [الأعراف ٨٣]، قد نالها ما نالهم لم ينجها سبحانه، بل ظلت- في الباقين مع قومها في عذاب الله. ثم دمر الله الآخرين: فهلكوا جميعا. وإنكم -يا أهل مكة، ويا جميع العرب- لتمرون عليهم -وتعاينون آثار منازلهم وما فعل سبحانه بهم- صباحا. وبالليل كذلك تمرون، أفلا تنتفعون بعقولكم؟! **١٣٣ ~ ١٣٨**

وإن يونس لمن المرسلين. اذكر أيها النبي الكريم حين هرب إلى السفينة الممتلئة المشحونة: مغاضبا لقومه مغادرا من غير إذن الله، ظانا أن الله لن يضيق عليه ولن يقضي عليه بعقوبة. فاقترع -مع من في السفينة ليغادرها البعض خشية غرقها- فكان من المغلوبين: عليه المغادرة. فابتلعته السمكة -لما صار في الماء- وهو مليم: فقد أتى بما يلام عليه، إذ غادر قومه دون إذن الله. فلولا أنه كان من المنزهين -لله- المقدسين: قبل ذلك الحدث، وفي بطن السمكة كما قال تعالى ﴿ وذا النون إذ ذهب مُغاضبا فظنَّ أن لن نقدر عليه فنادى في الظُّلُمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. ﴾ [الأنبياء ٨٧]. لمكث في بطن السمكة إلى يوم يبعثون: يوم القيامة، ولصارت له قبرا. **١٣٩ ~ ١٤٤**

فائدة! الاقتراع جائز، ويستوي المسلم رفيع المقام وغيره من المسلمين في الحقوق والحكم والقضاء.

تَساوى المسلمونَ ففي الحقوقِ ... مَقامُكَ مِثلُ غَيرِكَ لا يُجيرُ

فطرحه الله -من بطن السمكة- بأرض فضاء، وهو سقيم عليل: غير مذموم منه سبحانه كما قال تعالى ﴿ لولا أن تَداركه نعمة من ربه لنُبذ بالعراء وهو مذموم. ﴾ [القلم ٤٩]. وأنبت سبحانه عليه شجرة من قرع: يأكل منها وبها يستظل. وأرسله الله إلى مائة ألف -نفس- أو يزيدون: عن ذلك، إن قدرهم راء. فآمنوا -إيمانا صادقا معتدا به- فمتعهم سبحانه إلى حين: حضور آجالهم. **١٤٥ ~ ١٤٨**

فاستخبر المشركين سائلا أيها النبي الكريم: ألربك البنات -يجعلونها له- ولهم البنون كما قال تعالى ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتَّخذ من الملائكة إناثا ﴾ [الإسراء ٤٠]؟ **١٤٩**

أم خلق سبحانه الملائكة إناثا، وهم شاهدون: على ذلك الأمر حاضرون له؟ **١٥٠**

ألا إنهم من كذبهم البشع ليزعمون. **١٥١**

ولد الله -فوضع حاشاه، أو اتخذ ولدا- وإنهم -فيما يزعمون، جميعه- لكاذبون. **١٥٢**

أصطفى -سبحانه- البنات على البنين: مختصا نفسه بهن؟! **١٥٣**

ما لكم؟ كيف تحكمون: بالباطل أيها المشركون وتنسبون إليه سبحانه بنات؟! أفلا تذكرون: فتتعظوا، فتدركوا ما أنتم عليه من ضلال؟! أم لكم برهان واضح الدلالة؟ فأتوا بكتابكم -المنزل من الله، ليس بشيء مما صنفتم!- إن كنتم صادقين في زعمكم أن الله له ولد أو أن الملائكة إناث. **١٥٤ ~ ١٥٧**

وجعل الكفار -عليهم لعنة الله- بينه -سبحانه- وبين الجن نسبا -حاشاه سبحانه، قيل منهم من زعم أن الله صاهر الجن فكانت الملائكة من نسلهم، ومنهم من أشرك الشيطان في عبادة الله، ومنهم من زعم أن إبليس أخ لله، وغير ذلك من الهراء- ولقد علمت الجن -والملائكة- إنهم -الكفار هؤلاء، في العذاب- لمجموعون مقيمون. تنزه الله وتقدس عما يصفونه به. إلا عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله واستخلصهم الله واصطفاهم لنفسه: لا عذاب لهم. **١٥٨ ~ ١٦٠**

فإنكم -أيها المشركون- وما -من دون الله- تعبدون. ما أنتم عليه بفاتنين: لن تقدروا أن تضلوا عباده. إلا من هو مقاس حر الجحيم: سبق في علم الله أنه ضال وقضى عليه بالعذاب. وما منا -من مَلَك- إلا له -في طاعته- مقام معلوم. وإنا لنحن الصافون: في طاعته، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه ﴿ ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف. ﴾ [مسلم ٤٣٠ ★ أبو داود ٦٦١ ★ النسائي ٨١٦ ★ ابن ماجة ٩٩٢ ★ أحمد ٢٠٩٦٤]. وإنا لنحن المنزهون -لله- المقدسون. **١٦١ ~ ١٦٦**

وإن كان مشركو العرب -قبل بعثة النبي ﷺ- ليزعمون. لو أن عندهم ذكرا من السابقين: كتابا، مثل التوراة أو الإنجيل. لكانوا عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله واستخلصهم الله واصطفاهم لنفسه: زعموا أنهم ما كانوا ليعصوه سبحانه لو أن عندهم كتابا سماويا. فكفروا -بعد بعثة النبي ﷺ- به -فها قد جاءهم رسول من الله بالقرآن، فلم يؤمنوا كما ادعوا- فسوف يعلمون عاقبة صنيعهم. **١٦٧ ~ ١٧٠**

ولقد سبق قضاء الله لعباده سبحانه المرسلين. إنهم -وإن قتل الكفار البعض كما قال تعالى ﴿ ويقتلون الأنبياء بغير حق ﴾ [آل عمران ١١٢]- لهم المنصورون. وإن جند الله -أنبياءه وأتباعهم الثابتين على مبادئهم- لهم الغالبون. فأعرض أيها النبي الكريم عنهم لا تبال بهم حتى حين: إتيان أمر الله في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]. وأبصرهم -وما يحل بهم من عذاب، حين تقاتلونهم!- فسوف يبصرون: عذابهم، في دنياهم وآخرتهم. أفبعذاب الله يستعجلون كما قال تعالى ﴿ وإذ قالوا اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴾ [الأنفال ٣٢]؟ فإذا نزل بمنازلهم -فحل بهم عذاب الله- فسيئ صباح المنذرين عقاب الله ولم يرجعوا عن غيهم. وأعرض عنهم لا تبال بهم حتى حين: إتيان أمره بقتالهم. وأبصر -ما يحل بهم- فسوف يبصرون: عذابهم، في دنياهم وآخرتهم. تنزه ربك وتقدس رب العزة -الغلبة والقوة والمنعة- عما يصفونه به: من اتخاذ زوجة أو ولد. وسلام -من الله وتحية- على المرسلين: وسلامة من أن يذكروا بسوء. وكامل الثناء على الله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. **١٧١ ~ ١٨٢**

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ
مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ
وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾
سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾
فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾
إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾
وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾
وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾
لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾
وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ
فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ صٓ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾
كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ
ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ
ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا
بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ
مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ
خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ
ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾
وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا
كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ
مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾

★ سورة ص ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]، والقرآن المشتمل على تذكير الخلق بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ذي الشرف: يحلف الله، لا ريب في هذا القرآن. ١
بل -ليس الأمر لريبهم فيه، إنما- الذين كفروا في أنفة وكبر وخلاف وعداء مع الحق ومفارقة له. ٢
ما أكثر الأمم المتتالية -الفاسقة الخارجة عن طاعته- التي أهلكها الله -كعاد وثمود وغيرهما- من قبل هؤلاء المشركين، فنادوا -عند إهلاكهم مستغيثين- وليس الوقت وقت توبة ولا خلاص ولا فرار. ٣
وعجبوا أن جاءهم منذر منهم للعصاة بالعقاب -ينذرهم بما سيصيبهم من عذاب إن استمروا على ما هم عليه من كفر- وزعم الكافرون أن هذا -الذي ينذرهم، حاشاه ﷺ- ساحر كذاب. ٤
أجعل -هذا الذي يزعم أنه مرسل- الآلهة إلها واحدا: لا شريك له؟ إن هذا لشيء بالغ العجب! ٥
وانطلق الرؤوس الأعيان منهم -حاثين بعضهم وآمرين غيرهم- أن امضوا كما أنتم واصبروا على آلهتكم -ثابتين على عبادتها- إن هذا -الذي يدعوكم إليه- لشيء يراد: به أن يسودكم من يزعم أنه مرسل. ٦
ما سمعوا بمثل هذا -التوحيد الذي يدعو إليه- في الملة الآخرة -النصرانية: آخر الملل قبل الإسلام، ولا في ملة أهل الأوثان- ليس هذا -التوحيد- إلا اختلاق: كذب لا أصل له، زعموا. ٧
تساءلوا -مستنكرين، بل وحاسدين كما قال تعالى ﴿ وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. ﴾ [الزخرف ٣١]- أؤنزل عليه الذكر -واصطفاه الله وأرسله بالقرآن- من بينهم؟ بل -واقعا- هم في شك من ذكره -قرآنه سبحانه، لإعراضهم عنه إذ لم يرغبوا أن يقبلوه، فجاءوا بحجج واهية- بل -السبب أنهم- لم يذوقوا -أبدا- عذاب الله: وهو متوقع بعد أن اغتروا بإمهاله إياهم وازدادوا طغيانا. ٨
أم عندهم خزائن رحمة ربك -وأرزاقه وفضله- أيها النبي الكريم، العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الوهاب واسع العطاء: أهم يملكون إعطاء الرسالة والكتاب لمن شاءوا؟ ٩
أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما: خلقا أو ملكا أو تدبيرا؟ فليأخذوا بالأسباب -الموصلة إلى السماء- ويرتقوا: إذًا إليها، ليمنعوا الوحي من النزول على من اصطفاه الله برسالته وبكتابه! ١٠
جند ما -ليسوا إلا- في هذا المقام مهزوم من الأحزاب: الكافرة كغيرها، فلا تحزن على تكذيبهم. ١١
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون صاحب الأوتاد: قيل كان يربط فيها من أراد تعذيبه. ١٢
وثمود وقوم لوط وأهل القرية ذات الشجر الملتف -مديَن- هؤلاء الأحزاب: فرق كفر أهلكها الله. ١٣
ليس كل -منهم- إلا كذب الرسل، فحق عقاب الله: ووجب عليهم عذابه، فليحذر غيرهم. ١٤
وما ينتظر هؤلاء -المكذبون بالنبي ﷺ- إلا صيحة واحدة، لا رجوع منها -إلى الدنيا- ولا إفاقة. ١٥
وسألوا ربهم أن يعجل لهم نصيبهم قبل يوم الحساب كما قال تعالى ﴿ وإذ قالوا اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴾ [الأنفال ٣٢]. ١٦

اصبر على ما يتفوه به أهل الكفر: حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]، واذكر أيها النبي الكريم عبد الله داود صاحب القوة والقدرة -على طاعة ربه ونصرة دينه وفي جهاد أعدائه- إنه كثير الرجوع بالتوبة. **١٧**
إن الله ذلل سبحانه الجبال معه ينزهن ويقدسن آخر النهار وإشراق الشمس: وقت صلاة الضحى. **١٨**
والطير مجموعة كذلك ينزهن ويقدسن، كل -داود ﷺ والجبال والطير- لله كثير الرجوع بالتوبة. **١٩**
وقوى سبحانه ملكه وثبت أركانه، وأعطاه سبحانه النبوة والعلم والحكم والفهم والفصل في القضاء. **٢٠**
وهل أتاك أيها النبي الكريم خبر المتخاصمين حين تسلقوا سور المحراب: مكان عبادته ﷺ؟ **٢١**
حيث دخلوا على داود -فجأة بغير إذن، قيل كانا مَلَكَين يستخدمان المعاريض- ففزع منهم، طمأنوه ألا يخاف -فهما- متخاصمان بغى أحدهما على الآخر -متجاوزا الحد- من ثم طلبا -لتقاطع الحق- فليحكم بينهما بالحق ولا يجور مجاوزا الحد، ويرشدهما إلى الطريق السوي القويم المستقيم. **٢٢**
فائدة! طلب المتخاصمين من القاضي أو الحاكم -ولو كان يحكم بشرع الله- أن يعدل وألا يظلم لا يجب أن يغضبه، لأن الإيمان بحكم الشرع شيء، والإيمان بصواب تنزيله على الواقع شيء آخر.
إذا طَلَبَ الخُصومُ العَدلَ فاسمَعْ ... ولا تَغضبْ، وهلْ غَضِبَ الخُبُورُ؟
أخبره أحدهما أن هذا -الآخر- أخوه -في الدين- له تسع وتسعون نعجة، وله -هو- نعجة واحدة، فطلب -أخوه- أن يتركه يضمها إليه ليكفلها، وغلبه -لفصاحته- في الكلام والحجة والإلحاح. **٢٣**
أقسم -ﷺ- لقد ظلمه بسؤال -ضم- نعجته إلى نعاجه -فما يؤخذ بغير رضا على سبيل الحياء ليس يجوز- وأكد أن كثيرا من الشركاء والقرناء ليبغي بعضهم على بعض -متجاوزين كل الحدود- إلا الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة -فإن هؤلاء منصفون- وقليل ما هم، وظن داود -بل أيقن- أنما فتنه سبحانه -مختبرا إياه- فطلب المغفرة من ربه -قيل من أنه تسرع آنذاك، فأقسم بظلم أحد الخصمين دون أن يسمع منه، وقيل غير ذلك- وسقط راكعا -ساجدا لله- ورجع طائعا. **٢٤**
فغفر الله له ذلك -الذي كان منه- وإن له عند الله لدنوا ومنزلة، ومآبا حسنا: الجنة، يرجع إليها. **٢٥**
يا داود إن الله جعلك سبحانه خليفة في الأرض -لمن سبقك من أنبيائه، تقيم شرعه سبحانه- فاحكم بين الناس بالحق -وما سوى شرع الله ظلم كما قال تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [المائدة ٤٥]- ولا تتبع الهوى -في الحكم بين الناس حاشاك، فتميل مع أحد لقرابة أو صداقة أو محبة أو رشوة أو غير ذلك- فيضلك -اتباع الهوى- عن طريق الله -فالحكم بغير شرع الله كفر كما قال تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ [المائدة ٤٤]- إن الذين يضلون عن طريق الله لهم عذاب شديد بسبب نسيانهم يوم الحساب: فقد تركوا العمل لآخرتهم. **٢٦**
فائدة! من حكم بغير ما أنزل الله -ولو لم يجحد الشرع أو يستحل الحكم بغيره- لا يترك في منصبه.
إذا حَكَمَ الأجيرُ بشَرعِ ربِّي ... أطَعنا الشَّرعَ، أو يُقصى المُديرُ

ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا
سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ
مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ
وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ
ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ
خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ
وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ
وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ
وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾
فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾
يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾

وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨
كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ
ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠
إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ
حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ
فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ
وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ٣٤ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ
لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥
فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ
كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨ هَٰذَا
عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ
مَـَٔابٖ ٤٠ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ
بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢

وما خلق الله السماء والأرض وما بينهما باطلا -بل خلقه المتقن دليل على حكمته وكمال قدرته، وقد خلقهم ليعبدوه وحده- ذلك -الظن: أن خلق الكون باطل، ولن يبعث أحد- ظن الذين كفروا -عبيد الهوى والشهوات من ملاحدة ومنكري بعث- فشدة الحسرة والهلاك للذين كفروا من النار. **٢٧**

أم يجعل الله الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة كمشيعي الفساد في الأرض: أيظنون ذلك؟ أم يجعل الله المتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه كأهل العصيان المتناهي؟ **٢٨**

كتاب أنزله سبحانه إليك أيها النبي الكريم كثير النفع والخير، ليدبروا آياته -متأملين ما في القرآن من مواعظ وحجج- وليتذكر -ما أمر الله به وما عنه نهى، فلا يتجاوز الحدود- أهل العقول الرزينة. **٢٩**

فائدة! بحسب رجاحة عقل المرء ينتفع بالقرآن، والكافر -إن لم يؤمن- عقله وبال عليه وإقامة للحجة.

عُقولٌ راجِحاتٌ بالكتابِ ... قَدِ انتَفَعَت، وأُخرى لا تُنيرُ

ومنح الله داود -ابنه- سليمان، ما أحسن -هذا- العبد، إنه كثير الرجوع بالتوبة. **٣٠**

اذكر أيها النبي الكريم حين استعرض -عليه السلام- آخر النهار الخيل السريعة المستعدة للانطلاق. **٣١**

فندم على إيثاره حب المال -ومن جملته الخيل، وفيها منافع عدة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عروة بن أبي الجعد البارقي رضي الله عنه ﴿ الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم. ﴾ [البخاري **٢٨٥٢** ★ مسلم **١٨٧٣** ★ الترمذي **١٦٩٤** ★ النسائي **٣٥٧٥** ★ ابن ماجة **٢٣٠٥** ★ أحمد **١٩٣٥٤**]- والانشغال به عن ذكر ربه -صلاة العصر- حتى توارت -الشمس- وحجبت: فغربت. **٣٢**

أمر أن يعيدوا عرضها عليه، فبدأ يضرب -بالسيف- سيقانها وأعناقها: قيل تصدق عليه السلام بلحومها. **٣٣**

فائدة! إفساد المال لغرض صحيح جائز.

ولِلغَرَضِ الصحيحِ يَجوزُ شَرعًا ... لنا إفسادُ مالٍ، لا نَجورُ

ولقد فتن الله سليمان -مختبرا، بسلب ملكه- ووضع سبحانه على كرسي حكمه شيطانا -احتال حتى ظن الخلق أنه نبي الله سليمان عليه السلام- ثم رجع طائعا: عليه السلام إلى الله، وأرجع سبحانه إليه ملكه. **٣٤**

دعا ربه أن يغفر له -ما صدر عنه عليه السلام وبسببه ابتلاه- ويمنحه -ليقيم شرعه سبحانه في أرضه- ملكا -كبيرا- لا ينبغي ولا يكون لأحد من بعده، مؤكدا أنه -سبحانه- هو الوهاب واسع العطاء. **٣٥**

فذلل الله له الريح تجري بأمره لينة الهبوب -إن أرادها غير عاصفة، يأمرها تذهب- حيث أراد. **٣٦**

والشياطين -ذلل الله له- كل بناء وغواص: يشيدون له ويستخرجون من المياه ما يريد. **٣٧**

وآخرين -من مردة الشياطين ذللهم الله له- مشدودين في الأغلال والقيود. **٣٨**

هذا عطاء الله، فأنعم وتفضل أو امنع -يا سليمان كيفما تشاء- بغير حساب: في إعطاء أو منع. **٣٩**

وإن له عند الله لدنوا ومنزلة، ومآبا حسنا: الجنة، يرجع إليها. **٤٠**

واذكر أيها النبي الكريم عبد الله أيوب، حين نادى ربه أنه ناله الشيطان بتعب كثير وعذاب. **٤١**

اضرب برجلك -الأرض، أمره الله- هذا مغتسل بارد -ماء نبع، اغتسل منه- وشراب: لك لتشفى. **٤٢**

ومنحه الله -بعد شفائه- أهل بيته -فرد عليه من فقد منهم- ومثلهم معهم -فتضاعف عددهم- رحمة
منه سبحانه -به عليه السلام- وتذكرة جسيمة لأهل العقول الرزينة: ألا اصبروا وادعوا الله مثلما فعل عليه السلام. ٤٣
وأمره أن يأخذ بيده حزمة -مائة من العيدان أو شماريخ النخل- فيضرب بها -امرأته، وكان قد أقسم أن
يجلدها عليه السلام مائة جلدة إن شفاه الله، فليضربها بالحزمة ضربة واحدة- ولا يحنث -في قسمه- إن الله
وجده سبحانه صابرا على طاعة الله وأقداره، ما أحسن -هذا- العبد، إنه كثير الرجوع بالتوبة. ٤٤

فائدة! للرجل أن يؤدب امرأته بضرب غير مبرح ولا مؤذ.

يؤدِّبُ مسلِمٌ زَوجًا بِضَربٍ ... خفيفٍ بالمَوَدَّةِ لا يَضيرُ

واذكر أيها النبي الكريم عباد الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أهل القوة والقدرة -على طاعة ربهم ونصرة
دينه وفي جهاد أعدائه، وأهل الإحسان إلى عباده- والبصائر النافذة: في الدين والعلم. ٤٥
إن الله اختصهم سبحانه بأمر خاص -وبسببه استخلصهم- تذكر الدار: الآخرة، دوما، والعمل لها. ٤٦
وإنهم عند الله لمن المصطفَين الأخيار: من صفوة خيرة بني آدم الذين اصطفاهم سبحانه للنبوة. ٤٧
واذكر أيها النبي الكريم -من جملة الصابرين- إسماعيل واليسع وذا الكفل، وكل من الأخيار. ٤٨
هذا ذكر -وثناء حسن منه سبحانه على هؤلاء الأخيار جميعهم في الدنيا- وإن للمتقين الذين يمتثلون
أوامره ويجتنبون نواهيه لمآبا حسنا: الجنة، يرجعون إليها. ٤٩
جنات إقامة دائمة غير منقطعة مفتحة لهم أبوابها. ٥٠
متكئين فيها -على أسرة مزينة كما قال تعالى ﴿ مُتَّكِئين فيها على الأرائك لا يَرَون فيها شمسا ولا
زمهريرا. ﴾ [الإنسان ١٣]- يطلبون فيها ما يتمنون من فاكهة كثيرة متعددة وشراب. ٥١
وعندهم نساء قصرن طرفهن على أزواجهن لا يردن غيرهم، متساويات حسنا وأخلاقا وسنا. ٥٢
هذا -أيها المتقون- ما توعدون -به من ثواب- في يوم الحساب. ٥٣
إن هذا -المذكور من ثواب- لرزق الله، ما له من نفاد: دائم لا ينتهي ولا ينقطع. ٥٤
هذا -وعد: للمتقين الجنة- وإن لمتجاوزي الحد في الضلال لمآبا شرا: النار، يرجعون إليها. ٥٥
جهنم يقاسون حرها، فبئس الفراش وما مهدوا لذواتهم. ٥٦
هذا -شرابهم- فليذوقوه: حر متناه شدته، وما يسيل من جلود أهل النار وقيحهم. ٥٧
وآخر من نحو شرابهم هذا -عذاب مختلف هم ذائقوه، بل لهم من العذاب- أصناف. ٥٨
هذا فوج -من أتباعكم، أيها الطواغيت والسادة والكبراء- داخل رميا بنفسه معكم -في النار- لا مرحبا
بهم -ولا أهلا: هذا ردهم على ما جرى إخبارهم به- إنهم -جميعا- مقاسو حر النار. ٥٩
بل أنتم -أيها الطواغيت والسادة والكبراء: رد الأتباع- لا مرحبا بكم -ولا أهلا- أنتم قدمتم العذاب لنا
-ودعوتمونا إليه مدعين أن الحق هو ما أنتم عليه، فأطعناكم وعصينا ربنا- فبئس المقر. ٦٠
دعا الأتباع ربهم أن من قدم لهم هذا -العذاب ودعاهم إليه- فليزده عذابا مضاعفا في النار. ٦١

وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾
وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ
ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي
ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾
وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ
وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ
لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ
فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ * وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا
لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾
جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ
وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوۡجٞ
مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ
بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾
قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ
سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ
ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ
إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ
رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ
فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ
أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ
مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن
طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾

وتساءلوا ما يمنعهم أن يروا -في النار- رجالا كانوا -في الدنيا- يعدونهم من الأشرار؟ **٦٢**
أتخذوهم محل سخرية: وكان خطأ فنجوا؟ أم انحرفت عنهم الأبصار: فلا يجدونهم ها هنا؟ **٦٣**
إن ذلك -المذكور- لحق -آت لا محالة- تخاصم أهل النار: فيما بينهم. **٦٤**
أخبرهم أيها النبي الكريم أنما أنت منذر للعصاة بالعقاب، وما من معبود بحق إلا الله الواحد المتفرد
في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، القهار الذي لا يغالبه أحد، القادر على منع غيره أن يبلغ مراده. **٦٥**
رب السماوات والأرض وما بينهما -الخالق المالك المدبر- العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء -مع
ذلك- الكثير المغفرة الستار. **٦٦**
أخبرهم أن هو خبر عظيم: قرآن، يدعو إلى توحيد الله، وينذر بالبعث وحساب الآخرة وأهوالها. **٦٧**
أنتم -أيها الكفار، لفرط جهلكم وغبائكم- عنه معرضون منصرفون. **٦٨**
ما كان له -ﷺ- من علم بالملإ الأعلى -الملائكة- حيث -كانوا في شأن جعل خليفة في الأرض
كما قال تعالى ﴿ قالوا أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [البقرة ٣٠]- يختصمون. **٦٩**
ليس يوحى إليه -ﷺ- إلا أنما هو -كذلك لأنه- نذير واضح للعصاة بالعقاب. **٧٠**
اذكر أيها النبي الكريم حين أخبر ربك الملائكة أنه خالق بشرا من طين. **٧١**
من ثم أمرهم فإذا سوى خلقه وعدل صورته ونفخ فيه من روحه -فأحياه- فليسجدوا له مسرعين: تحية
لآدم عليه السلام وتقديرا ليس عبادة. **٧٢**
فسجد الملائكة كلهم أجمعون: مطيعين كما أمرهم الله، لم يتخلف منهم أحد. **٧٣**
إلا إبليس -هو كما قال تعالى ﴿ وإذ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾
[الكهف ٥٠]- استكبر، وكان -بذلك- من الكافرين. **٧٤**
سأل -سبحانه، وهو أعلم بحال خلقه- إبليس ما منعه أن يسجد لما خلق -سبحانه، لمزيد تشريف
وتكريم- بيديه؟ أستكبر: الآن، عن طاعة ربه؟ أم كان -دوما- من المتعالين؟ أم كان -عن طاعة ربه-
من المستحقين للترفع والتعالي؟ **٧٥**
أجاب بأنه -بزعمه وقياسه الباطل- خير منه وأفضل: خلقه الله من نار، وخلق آدم عليه السلام من طين. **٧٦**
أمره فليخرج من الجنة، فإنه -إبليس- مطرود مبعد. **٧٧**
وأخبره أن عليه طرد الله من الرحمة إلى يوم الدين: يوم القيامة، يوم يدين الله عباده ويحاسبهم. **٧٨**
سأل ربه فليمهله إلى يوم يبعثون: يوم القيامة، فلا يقبض الله روحه قبل ذلك. **٧٩**
أجاب سؤاله، فجعله من الممهَلين. **٨٠**
إلى يوم الوقت المعلوم: يوم القيامة، وقت النفخة الأولى في الصور قبيل البعث. **٨١**
أقسم فبعزة الله -غلبته وقوته ومنعته، فإبليس يعرفها- ليغوين آدم عليه السلام وبنيه أجمعين: ليضلوا. **٨٢**
إلا عباد الله منهم الذين أخلصوا دينهم لله واستخلصهم الله واصطفاهم لنفسه: ليس يقدر عليهم. **٨٣**

أكد أن فالحق -هو، والحق منه- والحق يخبر: به سبحانه ويعد، صدقا لا مراء فيه. ٨٤
ليملأن جهنم من إبليس وذريته وممن تبعه من بني آدم أجمعين: حقا وصدقا لا مراء فيه. ٨٥
ذكر أيها النبي الكريم -والدعاة من أمتك- الناس أن ما تسألهم على دعوتك أي ثواب، وما أنت من المتكلفين: المتقولين الآتين من تلقاء أنفسهم بما لم يكلفوا به، ذكرهم. ٨٦
ليس هو -الذي تأتيهم به- إلا تذكير للخلائق جميعا، يذكرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة. ٨٧
ولتعلمن -أيها الكفار- خبره بعد حين: عند الموت تعلمون صدق ما أخبركم به ﷺ يقينا، وقبله كما قال تعالى ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق ﴾ [فُصِّلَت ٥٣]. ٨٨

★ سورة الزُّمَر ★

★ مكية ★

تنزيل الكتاب من الله العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ١
إن الله أنزل سبحانه إليك أيها النبي الكريم القرآن بالحق -لا شك فيه، مشتملا على الحق محفوظا في إنزاله من الشياطين- فاعبد -وكل فرد من أمتك- الله مخلصا له الدين: بلا شرك ولا رياء. ٢
ألا لله الدين الخالص -من كل شائبة، شركا كانت أو رياء- والذين اتخذوا من دونه أولياء -يعبدونهم معه أو طواغيت رجاء منفعة، زاعمين أنهم- ما يعبدونهم إلا ليقربوهم إلى الله دنوا ومنزلة -إذ يشفعون بزعمهم لهم عنده أو يتخذونهم وسيلة لرضاه، كمن زعم أن "سيادة الشعب" ولو على شرع الله تؤدي إلى تطبيق الشريعة!- إن الله يحكم بينهم -مخلصين ومشركين- فيما هم فيه يختلفون -فيجازي كلا بما قدم- إن الله لا يوفق ولا يرشد من هو كاذب -عليه- شديد الكفران والجحود لنعمه سبحانه. ٣
لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء -فلاختار من جملة مخلوقاته ما يشاء أن يجعله بمثابة الولد- تنزه وتقدس -عن ذلك- هو الله الواحد المتفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، القهار الذي لا يغالبه أحد، القادر على منع غيره أن يبلغ مراده. ٤
فائدة! لا يوجد قواسم مشتركة بين البشر كما يزعم مدعو الأخوة الإنسانية: إلى اليوم تعبد أصنام وبشر وبقر وشياطين وموتى وغير ذلك من الهراء، وخلق تنسب إلى الله ولدا، وخلق تزعم أن الإله فقير! أو أنه بخيل مغلولة يده! فامتازوا أيها المسلمون، يرحمكم الله.

أمُشترَكونَ في شَيءٍ وقَومٌ ... عِبادتُهُم بهائمُ أو قُبورٌ؟!

خلق السماوات والأرض بالحق: سبحانه، ليس لعبا، بل سيجازي كل نفس مكلفة بما قد كان منها كما قال تعالى ﴿ وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ [الجاثية ٢٢]، يدخل الليل على النهار، ويدخل النهار على الليل، ويعاقب بينهما -فما نقص من وقت أحدهما دخل في الآخر فورا- وذلل الشمس والقمر -لما يراد منهما من طلوع وأفول وحركة- كل يجري لزمن محدد في علم الله، ألا هو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء -مع ذلك- الكثير المغفرة الستار. ٥

قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾
إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ
مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ
بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ
كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ
مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى
ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ
خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ
ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ
لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧
۞وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ
مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ
عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨
أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ
وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ
لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ
وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠

خلقكم -أيها الناس- من نفس واحدة -آدم عليه السلام- ثم جعل منها زوجها -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع ﴾ [البخاري ٣٣٣١ * مسلم ١٤٦٨ * أحمد ١٠٤٤٨]- وقدر لكم بأمره النازل من السماء من الأنعام ثمانية أزواج -إبل وبقر وضأن وماعز، ذكر وأنثى، وأنزل المطر وهو سبب حياتها، وذللها لكم- يخلقكم في بطون أمهاتكم طورا من بعد طور -نطفة فعلقة فمضغة فعظام ولحم، ثم تنفخ بعد ذلك الروح- في ظلمات ثلاث -المشيمة والرحم والبطن- ذلك -الخالق الرازق- الله ربكم، له الملك -الحقيقي في الدنيا والمطلق في الآخرة- لا معبود بحق سواه، فكيف تصرف عقولكم عن الحق الظاهر إلى الضلال المبين؟! ٦

إن تكفروا -فلا تؤمنوا، ولا تشكروا نعمه سبحانه- فإن الله غني عنكم -وعن إيمانكم وشكركم نعمه- ولا يرضى لعباده الكفر -كذلك لا يرضى أن يتركوا ما خلقهم من أجله كما قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ﴾ [الذاريات ٥٦]- وإن تشكروا -الله ونعمه وتؤمنوا به وحده لا شريك له- يرضه لكم -بل ويزيدكم نعما كما قال تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنَّكم ﴾ [إبراهيم ٧]- ولا تجازى نفس بذنب غيرها، ثم إلى ربكم رجوعكم في الآخرة فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم به، إنه عليم بكل ما في صدور الخلق من إيمان وكفر، ومن خير وشر. ٧

وإذا نال الإنسان ضرر دعا ربه -مجتهدا- راجعا إليه طائعا، ثم إذا ملكه -سبحانه- نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل -من ضرر كان يرجو رفعه، ومن دعاء، بل ونسي ربه!- وجعل لله أندادا ونظراء ومثلاء، ليضل -الناس، وإن أنكر، ويصرفهم، ويضل هو- عن طريقه، أخبره أيها النبي الكريم أن يتمتع بكفره -وطاعته للطواغيت، وما هو فيه من ضلال- قليلا -في دار الفناء التي لا تقارن بدار البقاء كما قال تعالى ﴿ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ [التوبة ٣٨]- إنه من أصحاب النار. ٨

أمن هو قانت -مطيع خشوعا- ساعات الليل، ساجدا وقائما -يتعبد ويدعو- يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه: من أهوالها، هل الكافر أحسن حالا ومآلا؟ سل: هل يستوي الذين يعلمون -توحيد ربهم وقدره، وما أمر به ونهى عنه، ثم عملوا بعلمهم، فالعلم بلا عمل نافع كما ورد عن النبي ﷺ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه ﴿ اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ﴾ [مسلم ٢٧٢٢ * النسائي ٥٥٣٨]- والذين لا يعلمون؟ إنما يتذكر -ما أمر الله به وما عنه نهى، فلا يتجاوز الحدود- أهل العقول الرزينة. ٩

مر عباد الله الذين آمنوا أن يتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه -فإنه- للذين أحسنوا -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾ [البخاري ٥٠ * مسلم ٩ * أبو داود ٤٦٩٨ * النسائي ٤٩٩١ * ابن ماجة ٦٤ * أحمد ٩٥٠١]- في هذه الدنيا حسنة -فيكرمهم الله بالتوفيق للأعمال الصالحة وبالعافية والرضا بالرزق- وأرض الله واسعة -فهاجروا فرارا بدينكم إلى حيث تستطيعون عبادة ربكم، إن فتنكم الكفار وابتلوكم وضيقوا عليكم- إنما يعطى الصابرون على طاعة الله وأقداره ثوابهم وافيا بغير عد ولا حساب. ١٠

قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ
عَظِيمٖ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن
دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ
أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ
فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمۡ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ
يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ
يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢١﴾

أخبر أيها النبي الكريم الخلق أنك أمرت أن تعبد الله مخلصا له الدين: بلا شرك ولا رياء. ١١
وأمرت -بما أمرك سبحانه به، وذلك- لأن تكون أول المسلمين -لله- المنقادين: من هذه الأمة. ١٢
أخبرهم أنك تخاف إن عصيت ربك -حاشاك، فأشركت به أو راءيت، أو خالفت أوامره، ومن جملتها
تبليغ ما أمرك بتبليغه كاملا تاما دون تحريف- عذاب يوم عظيم: القيامة. ١٣
أخبرهم -مؤكدا- أن الله -وحده دون سواه- تعبد، مخلصا له دينك: بلا شرك ولا رياء. ١٤
فاعبدوا -أيها الكفار، على سبيل الإنذار لا التخيير- ما شئتم -أن تعبدوا- من دونه -سبحانه، وانتظروا
ما يصيبكم، فتوحيد الله ليس شأنا اختياريا!- أخبرهم أن الكاملين في الخسران -هم- الذين خسروا
أنفسهم وأهليهم يوم القيامة -فقد أوردوا أنفسهم المهالك وفاتهم النعيم الدائم بسبب كفرهم، وافترقوا
عن أهل بيتهم أيما كان مصيرهم إلى الأبد- ألا ذلك -المصير- هو الخسران الواضح. ١٥
لهم -لكفرهم- من فوقهم أطباق من النار كالجبال أو كالسحاب المظلل ومن تحتهم أطباق كظلهم،
ذلك -العذاب- يخوف الله به عباده، يا عباد الله فاتقوه سبحانه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. ١٦
والذين اجتنبوا الطاغوت -كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع مما يناقض أصل
الإيمان، كرؤوس الضلال الذين لا يحكمون بما أنزل ربهم، وما أكثرهم- أن يعبدوها، ورجعوا إلى الله
طائعين لهم البشرى -في الدنيا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ﴿ سألت
رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿ لهم البُشرى في الحياة الدنيا ﴾ قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، أو
تُرى له. ﴾ [الترمذي ٢٢٧٥ * ابن ماجة ٣٨٩٨ * أحمد ٢٢٦٨٧] وعند الموت ثم في القبر وعند
البعث كما قال تعالى ﴿ إنَّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تَتنزَّل عليهم الملائكة ألَّا تخافوا ولا تحزنوا
وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. ﴾ [فُصِّلَت ٣٠]- فبشر أيها النبي الكريم عباد الله بما يسرهم. ١٧
الذين يستمعون الكلام -فيعرضونه على شرع الله- فيتبعون أحسنه -وفق الشرع لا وفق أهوائهم: يردون
المتشابه إلى المحكم، ولا يتتبعون الرخص، ويردون آراء أهل البدع والضلال وغير ذلك، هؤلاء بشرهم
بما يسرهم- هؤلاء الذين وفقهم الله وأرشدهم، وهؤلاء هم أهل العقول الرزينة: فقد انتفعوا بعقولهم. ١٨
أفمن سبق عليه القضاء والقدر ووجب العذاب -شديدا- كما قال تعالى ﴿ لأملأنَّ جهنم منك وممن
تبعك منهم أجمعين. ﴾ [ص ٨٥] أفأنت -لحرصك على عباد الله كما قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا
رحمة للعالمين. ﴾ [الأنبياء ١٠٧]- تنقذ من -سبق عليه حكم الله أنه- في النار؟ ١٩
لكن الذين اتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه لهم درجات عالية -في الجنة- من فوقها درجات
عالية متقنة البهاء تجري خلالها الأنهار، وعد الله -لهم أنهم أصحابها- لا يخلف الله الميعاد. ٢٠
ألم ينته علمك أن الله أنزل من السماء مطرا فأنفذه ينابيع -تنبع- في الأرض، ثم يخرج به زرعا مختلفا
ألوانه وهيئاته، ثم ييبس فتراه -أيها الإنسان- مصفرا، ثم يجعله حطاما -وأنت تهرم وتموت شاحبا مثله
ثم تبعث كما يخرج من الأرض- إن في ذلك -المذكور- لتذكرة جسيمة لأهل العقول الرزينة. ٢١

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ
لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ
جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ
إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن
يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ
ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ
لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ
ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي
هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا
غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ
شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم
مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

أفمن شرح الله صدره للإسلام -فهيأه لقبول تام- فهو على نور من ربه: فاض عليه فيزيده بصيرة، كمن أغلق قلبه؟ فشدة الحسرة والهلاك للقاسية قلوبهم -التي لا تعي خيرا ولا تجدي فيها موعظة- من ذكر الله -إذ تسمعه فلا تلين له ولا تقبله- هؤلاء في ضلال واضح عن الحق، لا يعرفون للرشاد سبيلا. **٢٢**

الله نزل أحسن الحديث -يحدث النبي ﷺ به الناس- قرآنا متشابها -يشبه بعضه بعضا في الفصاحة والحسن والائتلاف وعدم التناقض- آيات تكرر -فيها القصص والأمثال والمواعظ والوعد والوعيد وتعدد الأحكام- تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم -خشية تدفعهم إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه- ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله -خاصة عند آيات الرحمة، إذ وحدوه وأيقنوا أنه النافع فاطمأنوا كما قال تعالى ﴿ الذين آمنوا وتطمئنُّ قلوبهم بذكر الله ﴾ [الرعد ٢٨]- ذلك -القرآن هو- هدى الله -دينه الحق: نسخ ما قبله- يوفق به ويرشد من يشاء، ومن يضلل الله فليس لكائن من كان أن يرشده. **٢٣**

أفمن شأنه أن يقي نفسه بوجهه -لأنه مكبل في قيود- أسوأ العذاب يوم القيامة: كمن هو آمن؟ وجرى توبيخ الظالمين لأنفسهم بالكفر أو باقتراف الآثام ولغيرهم بالصد عن الإيمان وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تهكم: ذوقوا -سوء عاقبة- ما كنتم -في الدنيا، من كفر وآثام- تكسبون. **٢٤**

كذب الذين من قبلهم -كعاد وثمود وغيرهما- فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون بإتيانه: إذ اغتروا بإمهال الله إياهم، فازدادوا طغيانا ولم يتوقعوا هلاكهم. **٢٥**

فأذاقهم الله الذل والمهانة -بما أصابهم به من عذاب- في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أكبر -مما حل بهم في الدنيا- لو كانوا يعلمون ما ينفعهم لما فضلوا فان على باق، ولكنهم جهلة. **٢٦**

ولقد ضرب الله للناس في هذا القرآن أمثالا متعددة -ليتعظوا- رجاء أن يتذكروا ما أمر به وما نهى عنه، فلا يتجاوزوا الحدود. **٢٧**

قرآنا عربيا، لا اعوجاج فيه -ولا تناقض ولا لبس- رجاء أن يتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. **٢٨**

ضرب الله مثلا: رجلا مملوكا لشركاء متشاكسين -متنازعين، فهو في حيرة واضطراب، لا يستطيع أن يرضي جميع أربابه، تماما كالذي يشرك بالله- ورجلا خالصا لرجل -يملكه وحده- هل يستوي هذا وذاك؟ كامل الثناء على الله -على نعمة التوحيد، أعظم نعم الله على الإطلاق- بل أكثرهم لا يعلمون قدر ربهم كما قال تعالى ﴿ ما قدَروا الله حق قدره إنَّ الله لقوي عزيز. ﴾ [الحج ٧٤]. **٢٩**

إنك أيها النبي الكريم ميت، وإنهم -جميعا، مؤمنهم وكافرهم- ميتون: يقينا، بعد استيفاء آجالهم. **٣٠**

ثم إنكم -أيها الخلق- يوم القيامة عند ربكم تختصمون: فيقيم النبي ﷺ على من لم يؤمن به الحجة أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ويعاد طرح النزاعات لمعرفة المحق من المبطل ولاستيفاء حقوق العباد من بعضهم البعض كما ورد عن النبي ﷺ من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه ﴿ لما نزلت: ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ قال الزبير: يا رسول الله، أتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: نعم، فقال: إن الأمر إذًا لشديد. ﴾ [الترمذي ٣٢٣٦ * أحمد ١٤٣٤]. **٣١**

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ
إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ٣٢ وَٱلَّذِى
جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ٣٣
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٤
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٣٥ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ٣٦ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ٣٧ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ
ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ
قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٣٨ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣٩
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٤٠

فمن أعظم ظلما ممن كذب على الله -فنسب إليه ما لم يقل، أو فسر كلامه وفقا لأهوائه، أو حكم بغير ما أنزل له، أو حرم ما أحل أو أحل ما حرم، أو زعم أن له ولد أو زوجة أو شركاء- وكذب بالصدق إذ جاءه -عن طريق أنبياء الله، فرده وتمسك بالكذب- أليس في جهنم منزل للكافرين؟ بلى والله! **٣٢**
والذي جاء بالصدق -فدعا إلى توحيد الله، وأرشد العباد إلى ما شرعه لهم خالقهم- وصدق به -فآمن وعمل صالحا تصديقا لهذا الإيمان- هؤلاء هم المتقون الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه. **٣٣**
لهم ما يشاءون عند ربهم -من نعيم دائم لا ينقطع- ذلك -الثواب- جزاء المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. **٣٤**
ليستر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويتجاوز عنه -فذلك عاقبة إحسانهم- ويجزيهم ثوابهم بأحسن الذي كانوا يعملون كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ [النمل **٨٩** ۞ القصص **٨٤**]. **٣٥**
أليس الله بكاف عبده: المؤمن أمر دينه ودنياه، والكافر بعقاب حتما يأتيه؟ ويخوفك أهل الكفر والظلم والنفاق -أيها المؤمن- بالذين من دونه -إذ أنهم لفرط جهلهم وغبائهم يظنون طواغيتهم التافهة تملك من أمرها فضلا عن أمرهم شيئا- ومن يضلل الله فليس لكائن من كان أن يرشده. **٣٦**
ومن يوفق الله ويرشد فليس لكائن من كان أن يضله، أليس الله بعزيز في قدرته لا يعجزه شيء، ذي انتقام ممن تعمد عصيانه؟ بلى والله! **٣٧**
ولئن سألت أيها النبي الكريم المكذبين بك من خلق السماوات والأرض ليجيبن -هو- الله، سلهم فليخبروك: الذين يدعون ويعبدون من دون الله، إن أرادك الله بضرر هل طواغيتهم وأوثانهم رافعات -ولو قليل من- ضرره؟ أو أرادك برحمة -ففتح لك من أبواب خيره- هل هن ممسكات رحمته: لتحبسها؟ أخبرهم أن كافيك الله، عليه وحده يعتمد المتوكلون المفوضون إليه أمرهم في جميع أحوالهم. **٣٨**
فائدة! مصاولة الطواغيت الحاكمين بغير ما أنزل الله الظالمين للناس الناهبين لحقوقهم واجب متعين على كل مسلم، كل في فنه على قدر طاقته، وجهادهم هم ومن والاهم ضمان لازدهار الأمة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه ﴿ تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال له عمرو: أبصر ما تقول، قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالا أربعا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة وأوشكهم كرة بعد فرة وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك. ﴾ [مسلم **٢٨٩٨** ★ أحمد **١٨٠٢٢**]، ولا يستطيع ظالم أو متجبر أن يضر أحدا من عباد الله إلا بشيء قد كتبه الله عليه، فبادروا عباد الله.

مُصاوَلَةُ الكَفورِ هيَ السبيلُ ... لِمَنْ طَلَبَ ازدِهارًا، أو ضُمورُ

أخبر قومك -مهددا إياهم ومتوعدا، ليس على سبيل التخيير- أن يعملوا على ما هم عليه -ثابتين على كفرهم- إنك عامل -على دينك ثابت- فسوف يعلمون عاقبة صنيعهم. **٣٩**
من يأتيه عذاب يذله ويهينه -في الدنيا- ويحل عليه -بعدها- عذاب دائم مستمر: سوف يعلمون. **٤٠**

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ
فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي
لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ
وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ
أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل
لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ
إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ
قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

إن الله أنزل سبحانه عليك أيها النبي الكريم القرآن للناس -يبين الله لهم فيه التكاليف الشرعية- بالحق -لا شك فيه، مشتملا على الحق محفوظا في إنزاله من الشياطين- فمن اهتدى وآمن فالنفع له، ومن ضل وكفر فإنما الضرر عليه لا يتعداه، وما أنت بموكل بمراقبة تصرفاتهم: فلا تبال بهم حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]. ٤١

الله يتوفى الأنفس حين موتها -وفاة كبرى إذ حضرت آجالها- والتي لم تمت -إذ لم تحن آجالها- في منامها -يتوفاها وفاة صغرى- فيمسك التي قضى عليها الموت -فلا يردها إلى الأبدان- ويرسل الأخرى -فيعيد من النائمة التي لم تحن آجالها، فيبعثها في اليقظة كما قال تعالى ﴿ وهو الذي يَتَوفَّاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجل مسمى ﴾ [الأنعام ٦٠]- إلى حضور آجالها، إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق ليتفكر فيها أناس فيعتبروا، فينتفعوا بها وينفعوا. ٤٢

فائدة! النوم والاستيقاظ موت وبعث، فاعتبروا عباد الله.

كَمَوتٍ نَومُنا والبعثُ مِنهُ ... هوَ استِيقاظُنا، اعتبَرَ الظَّفِيرُ

فائدة! للنوم أذكار وأعمال قبيله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات، وليقل: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين. ﴾ [البخاري ٧٣٩٣ * مسلم ٢٧١٤ * أبو داود ٥٠٥٠ * الترمذي ٣٤٠١ * ابن ماجة ٣٨٧٤ * أحمد ٧٣٦٠].

وَضَعنا الجَنبَ بِسمِ اللهِ فاغفِرْ ... وحِفظًا مِنكَ يَرجوهُ الخُيُورُ

أم اتخذوا من دون الله شفعاء: لتشفع لهم عنده؟ سلهم أيها النبي الكريم -مستنكرا موبخا- أولو كانوا -أوثانا أو قبورا أو شياطين، أو طواغيت تسلطوا على رقاب العباد- لا يملكون شيئا -من الشفاعة، ولا من غيرها!- ولا يعقلون: شيئا من الحق، رغم ذلك يتخذونهم شفعاء يدعونهم من دون الله؟! ٤٣

أخبرهم أن لله الشفاعة جميعا -فلا يشفع أحد إلا بإذنه سبحانه كما قال تعالى ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة ٢٥٥]، وليس يشفع شفيع إلا لمن ارتضى له الشفاعة كما قال تعالى ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [الأنبياء ٢٨]- له ملك السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، ثم إليه وحده ترجعون -أيها الخلق- في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء. ٤٤

وإذا ذكر الله وحده نفرت كارهة قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة -بالبعث إيمانا لا افتراء فيه على الله- وإذا ذكر الذين من دونه -من طواغيت دعوها وعبدوها- إذا هم -فجأة خيرا- يستبشرون. ٤٥

ادع أيها النبي الكريم: اللهم خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، عالم ما غاب وما شوهد، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، فتجازي كلا بما قدم. ٤٦

ولو أن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر ما في الأرض جميعا -من أموال- ومثله مضافا إليه لقدموه فدية للانفكاك من أسوأ العذاب يوم القيامة، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يتوقعون: من بغض وعقاب. ٤٧

وبدا لهم جزاء ما كسبوا من عمل سيئ، ونزل بهم وأحاط ما كانوا به -من عذاب- يستهزئون. ٤٨
فإذا نال الإنسان ضرر دعا الله -مجتهدا- ثم إذا ملكه الله نعمة منه سبحانه زعم أنما أعطي ما أعطي من أجل علم -من الله بفضله ومنزلته! أو علم منه بعلوم دنيوية تصلح شأنه، فهو بزعمه عن استحقاق- بل هي فتنة -واختبار: أيشكر أم يكفر؟- ولكن أكثرهم لا يعلمون أن النعم قد تكون استدراجا، فالفتنة تكون بالخير كما تكون بالشر كما قال تعالى ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء ٣٥]. ٤٩
قد زعم مثل زعمهم الذين من قبلهم -كقارون كما قال تعالى ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي ﴾ [القصص ٧٨]- فماذا نفعهم ما كانوا يكسبون -من علوم حين جاء العذاب- وماذا أغنى عنهم؟ ٥٠
فأصابهم جزاء ما كسبوا من عمل سيئ -عقابا مستحقا- والذين ظلموا أنفسهم بالكفر أو بعدم شكر نعم الله من هؤلاء -المعاصرين له ﷺ، وأشباههم في كل عصر ومصر- سيصيبهم جزاء ما كسبوا من عمل سيئ -عقابا مستحقا- وما هم بفارين من الله. ٥١
أولم يعلموا أن الله يوسع في الرزق لمن يشاء -كافرا كان أو مؤمنا- ويضيق على من يشاء: فسعة الرزق إذًا ليست كرامة وضيقه ليس إهانة؟ إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لقوم يؤمنون بالله استدلالا بما يشاهدون. ٥٢
أخبر أيها النبي الكريم -والدعاة من أمتك- عباد الله الذين أسرفوا على أنفسهم -مفرطين في اقتراف الآثام متجاوزين لحدود الله، أو حذرين خائفين ألا يكون لهم توبة أو ألا تقبل توبتهم- ألا يقنطوا من رحمة الله ولا ييأسوا، إن الله يغفر الذنوب جميعا -إن شاء يغفر ما لم يتب منه العبد، إذا جاءه موحدا كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦] لم يأت بما يخرجه من ملة الإسلام- إنه هو الواسع والدائم المغفرة، العظيم الرحمة بالمسلمين. ٥٣
فائدة! مما يخرج من الملة جحد معلوم من الدين بالضرورة، كزعم أن الزنا برضا الطرفين حلال ونحو ذلك، ودعاء الموتى والقبور، والعمل بالسحر، وترك الصلاة والحكم بغير ما أنزل الله: ولو دون جحد.
مَناطاتٍ مِنَ الإسلامِ تُقصي ... تَعَلَّمْ! إنَّهُ أمرٌ خطيرُ
وارجعوا إلى ربكم -أيها الخلائق- طائعين، وأسلموا له وانقادوا، من قبل أن يأتيكم العذاب -في الدنيا يفضي إلى موتكم، ثم في القبر، ثم في الآخرة- ثم -من عذاب الله- لا تنصرون. ٥٤
واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم -من قرآن، ومعه السنة فهي وحي كما ورد عن النبي ﷺ من حديث المقدام بن معديكرب رضي الله عنه ﴿ ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ﴾ [أبو داود ٤٦٠٤ ★ أحمد ١٧١٧٤]، وأكمله ثوابا، كالإتيان بالفرائض على أتم وجه والعفو عند المقدرة ونحو ذلك- من قبل أن يأتيكم العذاب على غرة دون مقدمات، وأنتم لا تشعرون بذلك ولا تترقبونه. ٥٥
أن تتحسر نفس أشد حسرتها على ما فرطت في أمر الله وقصرت في حقه -فافعلوا ما تؤمرون به خشية الندم في ذلك اليوم- وإن كانت -في الدنيا، من الدين وأهل الطاعة- لمن الساخرين: تقر يومئذ. ٥٦

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا
أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا
مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ
مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ
حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾
بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ
مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى
ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾
وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ
أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ
أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ
لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ
ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ
مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

أو تتحجج بأن لو أن الله وفقها وأرشدها -فقدر لها الهداية- لكانت من المتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه: تلك حجة واهية، فلكل نفس مكلفة قدرة وإرادة واختيار كما قال تعالى ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ [الكهف ٢٩]، وقد اختارت الضلال بمحض إرادتها. **٥٧**

أو تتمنى -متحسرة- حين تعاين العذاب لو أن لها رجعة -إلى الدنيا- فتكون من المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق: هيهات! **٥٨**

بلى! قد جاءتك آيات الله -المنزلة في قرآنه- فكذبت بها، واستكبرت وكنت من الكافرين: فذق! **٥٩**

ويوم القيامة يرى الرائي الذين كذبوا على الله -فنسبوا إليه ما لم يقل، أو فسروا كلامه وفقا لأهوائهم، أو حكموا بغير ما أنزل لهم، أو حرموا ما أحل أو أحلوا ما حرم، أو زعموا أن لـه ولد أو زوجة أو شركاء- وجوههم -من الحزن والبؤس- مسودة، أليس في جهنم مقر للمتكبرين على الحق؟ بلى والله! **٦٠**

وينجي الله الذين اتقوا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه بمحل فوزهم ونجاتهم -فيدخلهم سبحانه إياه كما قال تعالى ﴿ فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز ﴾ [آل عمران ١٨٥]- لا ينالهم ما يسوء، ولا هم يحزنون: على ما من الدنيا فاتهم ولا على من في النار ممن أحبوا. **٦١**

الله -وحده دون سواه- خالق كل شيء، وهو على كل شيء قائم رقيب حفيظ. **٦٢**

له خزائن السماوات والأرض ومفاتيح الرزق والرحمة والتوفيق وأبواب التوبة وغير ذلك من النعم، والذين كفروا بآيات الله -المنزلة أو الكونية أو العقلية- هؤلاء هم بالغو الخسران الهالكون. **٦٣**

سل أيها النبي الكريم المشركين -مستنكرا موبخا- أفغير الله -بعد ما جاءكم عنه- تأمروني أعبد -بزعم أنه لا ينبغي لأحد ترك دين أسلافه- أيها الجاهلون بمآل شركهم وعصيان ربهم؟ **٦٤**

ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك -من أنبيائه- لئن أشركت -به حاشاك، ومت على الشرك كما قال تعالى ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ﴾ [البقرة ٢١٧]- ليفسدن عملك -الصالح منه، كالصدقة ونحوها، فالشرك محبط للعمل وذلك في نبوة جميع الأنبياء، فليحذر من هم دونهم من الخلق!- ولتكونن من الهلكى الخاسرين. **٦٥**

بل الله -وحده دون سواه- فاعبد، وكن من الشاكرين: له على نعمه، وأعظمها توحيده سبحانه. **٦٦**

وما أعطى المشركون الله حق قدره وافيا، والأرض جميعا -بما عليها في- قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه -كطي الصحيفة على ما هو مكتوب فيها كما قال تعالى ﴿ يوم نطوي السماء كطيِّ السِّجِلِّ للكتب ﴾ [الأنبياء ١٠٤]، والناس على صراط فوق النار لابد لهم من عبوره كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ ﴿ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ﴾، فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: هم على جسر جهنم ﴾ [الترمذي ٣٢٤٢ * أحمد ٢٤٨٥٦]، بعده الجنة، وصفته كما جاء على لسان أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف ﴾ [مسلم ١٨٣]- تنزه وتقدس وتباعد وارتفع عما يشرك الخلق به. **٦٧**

ونفخ في الصور -الأولى- فزالت عقول من في السماوات ومن في الأرض كأنما ضربوا بصاعقة -وقيل أنهم ماتوا- إلا من شاء الله -ألا يحدث له ذلك- ثم نفخ فيه -نفخة- أخرى، فإذا هم -فجأة- قيام ينظرون منتظرين أمر الله فيهم. ٦٨

وأشرقت الأرض بنور ربها -وقد أقام العدل فيها، ولا نور يومئذ إلا نوره، لا شمس ولا قمر ولا نجوم- ووضعت كتب الأعمال، وجيء بالأنبياء والشهداء -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ﴿ يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلَّغ ﴾ [البخاري ٣٣٣٩ ★ الترمذي ٢٩٦١م ★ ابن ماجة ٤٢٨٤ ★ أحمد ١١٢٨٣]- وقضي بين أهل الأرض بالحق -ونصر الله رسله وأتباعهم- وهم -عند الله- لا يظلمون. ٦٩

وأعطيت كل نفس جزاء ما عملت من عمل وافيا، وهو أعلم بما يفعلون: إذ لا يحتاج الله إلى كتب ولا إلى شهود، ولكن يفعل ذلك لتمام عدله. ٧٠

وسيق الذين كفروا إلى جهنم أفواجا متتالية -مشاة عطاشا كما قال تعالى ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا. ﴾ [مريم ٨٦]- حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها -مباشرة فلا يستريحوا، وعددها كما قال تعالى ﴿ لها سبعة أبواب ﴾ [الحجر ٤٤] قيل بعضها فوق بعض- وسألهم خزنتها -ملائكة بأبوابها- ألم يأتهم رسل منهم يقرؤون عليهم آيات ربهم -المنزلة، فيتبعوها، ويحكموا بها ويقضوا- وينذرونهم لقاء يوم قيامتهم هذا؟! أجابوا ببلى: قد كان، ولكن سبق القضاء والقدر ووجب العذاب على الكافرين كما قال تعالى ﴿ لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين. ﴾ [ص ٨٥]. ٧١

يؤمرون أن ادخلوا أبواب جهنم -تعذبون- خالدين فيها، فبئس منزل المتكبرين على الحق. ٧٢

وسيق الذين اتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه إلى الجنة أفواجا متتالية، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها -قبل بلوغها إكراما لهم، وعددها كما ورد عن النبي ﷺ من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ ﴿ في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون. ﴾ [البخاري ٣٢٥٧]، وقبل دخولها تقاض كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ﴿ إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا. ﴾ [البخاري ٢٤٤٠ ★ أحمد ١١٠٩٥]- وحياهم خزنتها -ملائكة بأبوابها- سلام عليكم، طبتم -طهرتم من الكفر في الدنيا، وطابت نياتكم وأقوالكم وأعمالكم- فادخلوها -انعموا- خالدين. ٧٣

وأثنوا على الله الذي صدقهم وعده -على ألسن أنبيائه: الخلود فيما يشاءون من نعيم كما قال تعالى ﴿ لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا. ﴾ [الفرقان ١٦]- وأورثهم أرض الجنة -ومنازلها- ينزلون منها حيث يشاءون، فما أحسن ثواب العاملين: إذ لا يصح إيمان دون عمل. ٧٤

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨
وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٦٩
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٖ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ٧٠
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٞ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٧١
قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ
زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ٧٤

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ
وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيْهِ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ
تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ
مِنۢ بَعْدِهِمْۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُۖ
وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ
كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ
لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

ويرى الرائي الملائكة محيطين بالعرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- من جميع حوافه، ينزهون ربهم ويقدسونه متلبسين ومقرونين بالثناء عليه، وقضي بين أهل الأرض بالحق -ونصر الله رسله وأتباعهم- وأثنوا -أهل الإيمان، وقيل جميع الخلق- على الله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. ٧٥

★ سورة غافر ★

★ من أسمائها المؤمن، وهي مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. ١

تنزيل الكتاب من الله العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العليم الذي لا يخفى عليه شيء. ٢

غافر الذنب -للمذنبين من أهل التوحيد لا أهل الشرك كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]- وقابل التوبات -من التائبين حقا- شديد العقاب -لأهل العناد والكفر- ذي الغنى -والمَنّ والتفضل- لا معبود بحق سواه، إليه المرجع في الآخرة. ٣

ما يجادل -مكابرة وتعصبا وترويج باطل لا تثبتا من الحق- في آيات الله -مكذبين بصلاحيتها ووجوب اتباعها- إلا الذين كفروا -ومن جملتهم منافقو العصر- فلا يغررك -أيها المؤمن، ولا يخدعنك- حرية تنقلهم وكثرة أسفارهم في البلاد: وسعة تجارتهم وأرباحهم. ٤

كذبت قبلهم قوم نوح، والأحزاب من بعدهم -كعاد وثمود وغيرهما- وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه -متآمرين عليه لحبسه أو قتله أو نفيه، وكذلك صار معه ﷺ كما قال تعالى ﴿ وإذ يَمكر بك الذين كفروا ليُثبتوك أو يقتلوك أو يُخرجوك ﴾ [الأنفال ٣٠]- وجادلوا بالباطل ليغلبوا -فيسقطوا- به الحق -إذ يحاولون بإصرار هدم براهينه- فأخذهم الله -بعقابه- فكيف كان عقابه؟ إهلاك! ٥

ومثلما عاقب الأمم السابقة المكذبة سبق حكم ربك -أيها المؤمن- وقضاؤه ووجب على الذين كفروا -من المعاصرين له ﷺ، وأشباههم في كل عصر ومصر- أنهم -في الآخرة- أصحاب النار. ٦

الذين يحملون العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- ومن حوله -من أعلى طبقات الملائكة- ينزهون ربهم ويقدسونه متلبسين ومقرونين بالثناء عليه، ويؤمنون به -إيمانا كاملا لا تشوبه أدنى شائبة- ويطلبون المغفرة للذين آمنوا، داعين ربهم أن شملت رحمته وعلمه كل شيء -في الدنيا والآخرة، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة. ﴾ [البخاري ٦٠٠٠ ★ مسلم ٢٧٥٢ ★ الترمذي ٣٥٤١ ★ ابن ماجة ٤٢٩٣ ★ أحمد ٩٦٠٩]، وسبحانه ليس يفوته علم شيء من الأشياء- من ثم سألوه فليغفر للذين تابوا واتبعوا طريقه -دين الإسلام: توحيدا له وانقيادا- ويقهم عذاب الجحيم. ٧

فائدة! من آداب الدعاء الثناء على الله قبل سؤاله.

وندعو ربَّنا، نُثني عليهِ ... فَمِنْ ثَمَّ اسألوهُ هوَ القديرُ

دعوا ربهم ملحين وليدخل الذين تابوا واتبعوا طريقه جنات إقامة دائمة غير منقطعة التي وعدهم -على ألسن أنبيائه كما قال تعالى ﴿ لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا. ﴾ [الفرقان ١٦]، هم- وأهل الصلاح من آبائهم -ومنهم الأمهات- وأزواجهم وذرياتهم، مؤكدين أنه هو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٨

ويقهم السيئات -جزاء ما قد اقترفوا من عمل سيئ في الدنيا، فلا يعذبهم بسببه- ومن يق الله السيئات يومئذ فقد رحمه -سبحانه، ونجاه- وذلك -الثواب- هو الفوز والفلاح العظيم الذي لا يعادله شيء. ٩

إن الذين كفروا يجري مناداتهم: لمقت الله -وبغضه لهم- أكبر من مقتهم أنفسهم -وبغضهم لها بعد أن عاينوا العذاب- حيث -ظلوا في الدنيا على ألسن أنبيائه- يدعون إلى الإيمان فيكفرون. ١٠

أقروا لربهم بأن أماتهم -سبحانه- مرتين وأحياهم مرتين -أوجدهم من عدم، ثم أحياهم، ثم أماتهم بعد استيفاء آجالهم، ثم بعثهم للحساب أحياء- فاعترفوا بذنوبهم -التي اقترفوها في الدنيا من كفر وغيره، يوم القيامة حيث لا ينفع اعتراف- من ثم سألوا فهل إلى خروج -مما هم فيه- من طريق أو وسيلة؟ ١١

ذلك -الذي هم فيه من مقت الله لهم ومقتهم لأنفسهم وعذاب- بسبب أنه إذا دعي الله وحده -دون غيره، في الدنيا- كفروا، وإن يشرك به يؤمنوا -فهم ينفرون من توحيد الله كما قال تعالى ﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولَّوا على أدبارهم نفورا ﴾ [الإسراء ٤٦]، لكنهم يستبشرون خيرا حين يشرك به كما قال تعالى ﴿ وإذا ذُكر الله وحده اشمأزَّت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذُكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون. ﴾ [الزُّمَر ٤٥]- فالحكم -عليهم بخلود أبدي في العذاب لشركهم- لله العلي على الجميع بذاته وقدره وقهره، الكبير لا أكبر منه: وحكمه سبحانه نافذ فيهم. ١٢

هو الذي يريكم آياته -أيها الناس، كما قال تعالى ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق ﴾ [فُصِّلَت ٥٣]- وينزل لكم من السماء مطرا ليكون سببا للرزق، وما يتذكر -بآيات ربه الكونية- إلا من يرجع طائعا. ١٣

فادعوا الله مخلصين له الدين -بلا شرك ولا رياء، دعاء عبادة ودعاء مسألة- ولو كره الكافرون: ومن جملتهم من يؤول قسمه ﷺ أنه لا يخاف علينا أن نشرك بعده، فيشرك زاعما أنه لا يشرك مسلم! ١٤

رفيع الدرجات -مرتفع ذاته وقدره مباين لجميع خلقه- صاحب العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- الملك الأعلى، يلقي الوحي -فيحيي به أرواحا وقلوبا- على من يشاء من عباده -ممن يعلمه صالحا للنبوة، بواسطة الملائكة كما قال تعالى ﴿ يُنَزِّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ [النحل ٢]- لينذر يوم -القيامة وأهواله، حين- يلتقي الخالق والمخلوق، والخلق بعضهم ببعض. ١٥

يوم -القيامة- هم ظاهرون -من قبورهم، ظاهرة نياتهم وأعمالهم- لا يخفى على الله منهم شيء -أبدا، لا من ذواتهم ولا من نياتهم ولا من أعمالهم، فهل من مجيب- لمن الملك اليوم؟ لله الواحد المتفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، القهار الذي لا يغالبه أحد، القادر على منع غيره أن يبلغ مراده. ١٦

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ
أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ
إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ
وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ
ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ
ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ
لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ
يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ
بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ
كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ
كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ
إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا
وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ
فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ
عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ
نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾

اليوم -يوم القيامة- تجزى كل نفس بجزاء ما كسبت من عمل، لا ظلم اليوم -فلا ينقص من حسنات أحد ولا يزاد في سيئاته- إن الله سريع الحساب أحصى عملها. **١٧**

وأنذر أيها النبي الكريم الخلق -مخوفا خلودا في العذاب- يوم -القيامة- القريبة المجيء -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿ القبر أول منازل الآخرة فإن ينج منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه ﴾ [الترمذي ٢٣٠٨ ★ ابن ماجة ٤٢٦٧ ★ أحمد ٤٥٤]- إذ القلوب لدى الحناجر -مرتفعة عن أماكنها، من شدة خوفهم- كاتمين -ما بهم، لا يملك أحدهم أن يتكلم كما قال تعالى ﴿ يوم يأت لا تَكَلَّم نفس إلا بإذنه ﴾ [هود ١٠٥]، محزونين مكروبين- ليس للظالمين لأنفسهم بالكفر من قريب ينفعهم أو يدفع عنهم عذاب الله، ولا شفيع يطاع فيشفع لهم عنده. **١٨**

يعلم -الله- خيانة الأعين -إلى ما لا يحل، ومن جملته اختلاس النظر إلى السافرات والمتبرجات- وما تخفي الصدور: يعلمه، ومن جملته ما يشتهي وما يحدث به مختلس النظر نفسه من محرمات. **١٩**

والله يقضي بالحق -وينصر رسله وأتباعهم- والذين يدعون ويعبدون من دونه لا يقضون بشيء -إذ أنهم لا فائدة لهم على الإطلاق، ولا يستطيعون نصر أنفسهم فضلا عن غيرهم- إن الله هو السميع لكافة ما يقول عباده، البصير الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. **٢٠**

أولم يتجول هؤلاء الكفار في الأرض فيتأملوا كيف كان مصير الذين كانوا من قبلهم: فيتعظوا؟! كانوا هم -الذين كانوا من قبلهم- أشد منهم قوة وآثارا في الأرض -بالزراعة والبناء- فأخذهم الله -بعقابه- بسبب ذنوبهم -ومن جملتها كفرهم- وما كان لهم من الله من واق يقيهم عذابه. **٢١**

ذلك -الأخذ من قبله سبحانه- بسبب أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالأدلة الجلية البينة على صدقهم، فكفروا، فأخذهم الله -بعقابه- إنه قوي غالب لا يقهر، شديد العقاب لمن كفر وعصى. **٢٢**

ولقد أرسل الله موسى بآياته سبحانه الدالة على صدقه عليه السلام -وهي تسع كما قال تعالى ﴿ في تسع آيات إلى فرعون وقومه ﴾ [النمل ١٢]- وبرهان واضح الدلالة. **٢٣**

إلى فرعون وهامان وقارون -ومن عداهم فهم تبع لهم- فزعموا أن -عليه السلام، حاشاه- ساحر كذاب. **٢٤**

فائدة! أهل الملك والسلطة والمال -والقوة، كقيادات العسكر- يقومون مقام أتباعهم في تلقي الدعوة، وأتباعهم لهم حكمهم في كفر النوع، ولا يجب -بل وقد لا يستقيم- توجيه الدعوة للأتباع فردا فردا.

ونَدعو قادةَ الأمرِ الرؤوسَ ... فدعوةُ غَيرِهِم هَزْلٌ عَسيرُ

فلما جاءهم بالحق -مؤيدا بالآيات المعجزات الدالة على صدقه، عليه السلام- من عند الله أشاروا أن اقتلوا الذكور من أبناء الذين آمنوا معه واستبقوا إناثهم أحياء ليخدمنكم -وحرضوا فرعون ليأمر بذلك كما قال تعالى ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتَذَر موسى وقومه ليُفسدوا في الأرض ويَذَرَك وآلهتك قال سنُقَتِّل أبناءهم ونَستَحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون. ﴾ [الأعراف ١٢٧]، فلا فرق إذًا بين المحرضين ومتخذ القرار- وما مكائد الكافرين إلا في ضلال وضياع وبعد عن الحق، ليس تنفعهم بوجه من الوجوه. **٢٥**

وأشار فرعون -على الرؤوس الأعيان من أهل ملكه- أن يتركوه يقتل موسى، وليدع ربه -أن يحميه منه! استأذنهم لأن بعضهم حذرهم كما قال تعالى ﴿ وإن يكُ صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ﴾ [غافر ٢٨]، وقيل لأنه لم يعد بذات القوة بعد أن هزم ﵇ سحرته- زاعما أنه يخاف أن يبدل -﵇- دينهم -فيرتدوا!- أو أن يظهر في أرض مصر -بجعل أهلها مختصمين قد فرقتهم دعوة التوحيد- الفساد! ٢٦

ورد موسى -لما بلغه ما يراد به- بأن استعاذ بربه وربهم من كل متكبر على الحق -ومن جملتهم فرعون ومن والاه- لا يؤمن -إيمانا لا افتراء فيه على الله- بيوم الحساب. ٢٧

وسأل رجل مؤمن من أهل فرعون وأتباعه -قيل هو من أنذره ﵇ من قبل كما قال تعالى ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إنَّ الملأ يأتَمِرون بك ليقتلوك فاخرج ﴾ [القَصص ٢٠]- يكتم -عن فرعون وقومه- إيمانه -مستنكرا- أيقتلون رجلا كراهة أن يذكر أن ربه الله -ليس فرعون التافه، كما قال تعالى ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ [القَصص ٣٨]- وقد جاءهم بالأدلة الجلية البينة على صدقه من ربهم؟ وإن يك كاذبا فعليه جزاء كذبه -قد حق عليه عقاب الله- وإن يك صادقا يصبهم بعض الذي يعدهم -من عذاب الله، إلى أن يؤمنوا بما جاء به كما قال تعالى ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذَّكَّرون. ﴾ [الأعراف ١٣٠]، أو يهلكوا إن ظلوا على عنادهم، وليتذكروا- إن الله لا يوفق ولا يرشد من هو مسرف متجاوز للحدود كذاب: فلو كان موسى ﵇ يفتري على الله كذبا حاشاه فلن يوفقه سبحانه ولن يرشده، فإليكم عنه. ٢٨

فائدة! يجوز إخفاء الإيمان -دون إظهار كفر- لجلب مصلحة أو درء مفسدة.

لِمَصلَحةٍ بَدَت كَتَمَ الخُيُورُ ... مِنَ الإيمانِ قَدرًا يا غفورُ

أردف مذكرا قومه أن لهم الملك اليوم -على الناس غالبين- ظاهرين في أرض مصر، فمن ينصرهم من عقاب الله -فيدفعه عنهم- إن -كما حذرهم موسى ﵇- جاءهم؟ أخبرهم فرعون -مموها عليهم- أن ما يشير عليهم إلا بما يرى -نافعا: قتل موسى ﵇- وما يرشدهم إلا طريق الرشاد والصواب. ٢٩

وحذر الذي آمن قومه أنه يخاف عليهم -إن لم يطيعوه أن يتم استئصالهم- مثل يوم الأحزاب. ٣٠

مثل حال وصنيع قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم -من الأحزاب الكافرة، كقوم لوط وغيرهم، في تكذيب الأنبياء والتآمر عليهم إلى أن يصيبهم استئصال هو حالهم وصنيعهم- وما الله يريد ظلما لأحد من العباد: بل أنذرهم لئلا يعصوه، فأرسل أنبياءه وأقام الحجة، ثم يعاقب من يستحق العقاب. ٣١

وأردف محذرا قومه أنه يخاف عليهم -إن لم يطيعوه- يوم التناد: يوم القيامة حيث يكثر النداء، ومن جملته نداء أصحاب النار مستغيثين كما قال تعالى ﴿ ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إنَّ الله حرَّمهما على الكافرين. ﴾ [الأعراف ٥٠]. ٣٢

يوم يتنحون -عن موقف الحساب، يتجهون إلى النار- مغادرين، ما لهم من الله من عاصم -يحفظهم من عذابه- ومن يضلل الله فليس لكائن من كان أن يرشده. ٣٣

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ
بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ
يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ
جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْۖ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ
ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ
إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ
إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ
عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى
شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ
يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ
إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ
دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ
وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

ولقد جاءكم يوسف من قبل -موسى ﷺ- بالأدلة الجلية البينة على صدقه -فدعا أسلافكم، ذكرهم الذي آمن- فما زال أسلافكم في شك مما جاءهم به -فلم يؤمنوا- حتى إذا هلك -بالوفاة- زعموا أن لن يبعث الله من بعده رسولا -فتناسوا دعوة يوسف ﷺ إلى توحيد الله، واستمروا على كفرهم- مثل ذلك الضلال يضل الله -كل- من هو مسرف متجاوز للحدود مرتاب فيما جاءت به الأنبياء. **٣٤**
الذين يجادلون -مكابرة وتعصبا وترويج باطل لا تثبتا من الحق- في آيات الله -مكذبين بصلاحيتها ووجوب اتباعها- بغير برهان -منه سبحانه- أتاهم -مسرفون مرتابون- كبر -جدالهم هذا- مقتا عند الله وعند الذين آمنوا -يغضبهم ويبغضونه- مثل ذلك الطبع متناه الشدة على قلوب أهل الإسراف والارتياب والجدال بالباطل يطبع الله على كل قلب متكبر على الحق جبار متسلط على عباد الله: فيغلقه تماما فلا يدخله إيمان ولا يعي خيرا. **٣٥**
وأمر فرعون هامان أن يبني له صرحا -بناء عاليا- رجاء أن -يصعد عليه- يبلغ الأبواب. **٣٦**
أبواب السماوات -أراد بلوغها- فينظر إلى إله موسى! وإنه ليظنه -ﷺ، حاشاه- كاذبا فيما يخبرهم به، ومثلما زين له الاستكبار زين الشيطان والهوى لفرعون عمله السيئ فاستحسنه، وصد عن الطريق القويم -التوحيد، فصد غيره- وما مكائد فرعون إلا في هلاك وخسار، لا تؤدي إلا إلى الخسران الأبدي. **٣٧**
ونصح الذي آمن قومه أن يتبعوه -إن يفعلوا- يرشدهم طريق الرشاد والصواب. **٣٨**
أردف مذكرا قومه أنما هذه الحياة الدنيا -الفانية، ما هي إلا سقط- متاع -يتمتعون فيها، وعن قريب تزول- وأن الآخرة هي دار المقر: استقرار وإقامة دائمة وخلود بلا موت. **٣٩**
من عمل عملا سيئا فلا يجزى -يوم القيامة- إلا مثل الذي عمل، ومن عمل صالحا، ذكرا كان أو أنثى، وهو مؤمن كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [مسلم ٨ * أبو داود ٤٦٩٥ * الترمذي ٢٦١٠ * النسائي ٤٩٩٠ * ابن ماجة ٦٣ * أحمد ٣٦٧] فهؤلاء يدخلون الجنة، يرزقون فيها -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴾ [البخاري ٣٢٤٤ * مسلم ٢٨٢٤ * الترمذي ٣١٩٧ * ابن ماجة ٤٣٢٨ * أحمد ٩٦٤٩]- بغير عد ولا حساب. **٤٠**
فائدة! جهاد المؤمن بنفسه وماله نصرة لدين الله من أفضل الأعمال الصالحة، يليه في الفضل كف شر النفس وأذاها عن الناس، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، قالوا: ثم من؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره. ﴾ [البخاري ٢٧٨٦ * مسلم ١٨٨٨ * أبو داود ٢٤٨٥ * الترمذي ١٦٦٠ * النسائي ٣١٠٥ * ابن ماجة ٣٩٧٨ * أحمد ١١١٢٥].

جِهادًا في سبيلِ اللهِ نَمضي ... وبُعدًا مِنْ شُرورٍ نستديرُ

* وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾
تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ
عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا
تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾
فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ۖ
وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ
عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ
فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ
فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ
تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ
ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ
بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ
ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

وسأل الذي آمن قومه -مصرحا بإيمانه، متعجبا- ما لـه يدعوهم إلى النجاة -من عذاب الله، بالإيمان به سبحانه وعمل الأعمال الصالحة- ويدعونه إلى -الكفر والعصيان، فيكون مصيره- النار؟ **٤١**

يدعونه ليكفر بالله ويشرك به ما ليس له بكونه إلها علم، وهو يدعوهم -في مقابل ذلك- إلى -الإيمان بالله- العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء -مع ذلك- الكثير المغفرة الستار. **٤٢**

حقا إنما يدعونه إليه -ليشركه بالله- ليس له دعوة -فهو ليس يضر أو ينفع- في الدنيا ولا في الآخرة، وأن مردهم إلى الله -يموتون جميعا فيرجعون إليه وحده، ثم يبعثهم ليحاسبهم، فيجازي كلا بما قدم- وأن المسرفين متجاوزي الحدود هم -في الآخرة- أصحاب النار. **٤٣**

من ثم أكد أن فسيذكرون -حين يعاينون العذاب عند الموت وبعده- ما ينصحهم به -ويعلمون صدق ما أمرهم به ونهاهم عنه- وفوض أمره إلى الله مستعينا به سبحانه ومعتمدا عليه -ومقاطعا إياهم- إن الله بصير بالعباد وبأحوالهم لا تخفى عليه نية ولا عمل، وسيجازيهم بذلك. **٤٤**

فوقاه الله مكرهم السيئ -فنجا مع بني إسرائيل، وقيل أراد قومه الإيقاع به وتآمروا عليه فمنعه الله منهم، فلم يستطيعوا إيذاءه- ونزل بأهل فرعون وأتباعه وأحاط أسوأ العذاب: وبداية عذابهم غرقهم معه. **٤٥**

فائدة! وجود مصلح بين مسيئين كثر -كحماة عروش المرتدين- لا يغير حكمهم، إذ لا عبرة بالنادر.

تَحَجُّجُ بعضِهِم بوجودِ خَيرٍ ... بجَيشٍ ظاهَرَ المُرتَدَّ بُورُ

النار يعرضون عليها أول النهار وآخره -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة. ﴾ [البخاري ١٣٧٩ * مسلم ٢٨٦٦ * الترمذي ١٠٧٢ * النسائي ٢٠٧٠ * ابن ماجة ٤٢٧٠ * أحمد ٤٦٥٨]- ويوم -القيامة إذ- تقوم الساعة -يأمر سبحانه ملائكته- أدخلوا أهل فرعون وأتباعه -وهو يتقدمهم- أشد العذاب. **٤٦**

فائدة! استعيذوا بالله من العذاب في البرزخ بين الموت والبعث دبر كل صلاة، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه ﴿ أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة: اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر. ﴾ [أبو داود ٥٠٩٠ * النسائي ١٣٤٧ * أحمد ٢٠٤٠٩].

نَعوذُ بربِّنا مِنْ كُلِّ سُوءٍ ... عذابِ القبرِ أو كُفرٍ يُبِيرُ

واذكر أيها النبي الكريم حين يتنازعون بالحجج في النار، فيذكر -المؤيدون- الضعفاء الذين استكبروا أنهم كانوا لهم تبعا -فنفذوا توجيهاتهم في الدنيا- فهل هم مغنون عنهم -دافعون- نصيبا من النار؟ **٤٧**

أجاب الذين استكبروا بأنهم كل -هم ومن تبعهم أو أيدهم- في النار، إن الله قد حكم بين العباد: قد انتهى الأمر، وأعطى سبحانه كلا من عباده ما يستحق. **٤٨**

وسأل الذين في النار -ضعفاؤهم ومستكبروهم- خزنة جهنم -ملائكة بأبوابها- أن يدعو ربهم يخفف عنهم يوما -ولو مقدار يوم واحد- من العذاب: الدائم الرهيب. **٤٩**

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ
قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾
إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى
ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى
وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ
وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ
خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾
وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

سألوهم -مستنكرين- أولم تك تأتيهم رسلهم بالأدلة الجلية البينة على صدقهم؟ أجابوا ببلى: قد كان، أخبروهم فليدعوا -لأنفسهم، فالملائكة لا تدعو لكافر- وما دعاء الكافرين إلا في ضلال وضياع وبعد عن الحق، ليس ينفعهم بوجه من الوجوه. ٥٠

إن الله ليؤيد سبحانه بنصره ومعونته رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا -بعد ابتلائهم، ويثبتهم فتنتصر مبادئهم- ويوم يقوم الأشهاد: يوم القيامة إذ يشهد الأنبياء والحفظة من الملائكة وأمة محمد ﷺ. ٥١

فائدة! من الأنبياء من لم تهتد بهم أقوامهم، بل منهم من تم قتله كما قال تعالى ﴿ ويقتلون الأنبياء بغير حق ﴾ [آل عمران ١١٢]، رغم ذلك سمى الله قتيلهم منتصرا، فالمؤمن يثبت على مبادئه، ويعمل بما أباح الله كما أمر راجيا القبول، وليست الغاية أن يصل، بل قد انتصر إن مات ثابتا على الطريق.

ونَعمَلُ ما بِهِ أمَرَ الحكيمُ ... نَمُوتُ على طريقِكَ يا نَصيرُ

يوم -القيامة- لا ينفع الظالمين لأنفسهم بالكفر واقتراف الآثام ما يأتون به من أعذار -وأي عذر لهم، وقد أفنوا أعمارهم عصاة؟- ولهم الطرد من الرحمة، ولهم المصير السيئ في الدار الآخرة: النار. ٥٢

ولقد أعطى الله موسى الهداية من الضلال -التوراة- وأعطى سبحانه بني إسرائيل التوراة يتوارثونها. ٥٣

هداية من الضلال -التوراة- وتذكرة جسيمة لأهل العقول الرزينة. ٥٤

فاصبر -حتى يأتي أمر الله لاحقا بقتال أهل الشرك في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]، وبقتال أهل الكتاب كما قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجِزية عن يد وهُم صاغرون. ﴾ [التوبة ٢٩]- إن وعد الله -بنصرك ونصر من اهتدى بهديك كما قال تعالى ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. ﴾ [غافر ٥١]- حق صادق واقع، واطلب أيها النبي الكريم المغفرة لذنبك -لتتعلم أمتك، فتقتدي بك- وواظب على تنزيه ربك وتقديسه متلبسا ومقرونا بالثناء عليه ولا سيما آخر النهار وأوله. ٥٥

إن الذين يجادلون -مكابرة وتعصبا وترويج باطل لا تثبتا من الحق- في آيات الله -مكذبين بصلاحيتها ووجوب اتباعها- بغير برهان -منه سبحانه- أتاهم -مسرفون مرتابون- ليس في صدورهم إلا تكبرا -عن الحق يحملهم على تكذيبه- ما هم ببالغيه -فلن يصلوا إلى ما أرادوا من تكبر عن الحق- فاستعذ أيها النبي الكريم -والدعاة من أمتك- بالله -ملتجئا إليه من شرورهم- إنه هو السميع لكافة ما يقول عباده، البصير الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. ٥٦

لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون الخالق سبحانه وقدرته، ولا أن بعثهم بعد موتهم للحساب والجزاء عليه يسير. ٥٧

وما يستوي أعمى كافر وبصير مؤمن، والذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة ولا مسيء عاص كذلك ما يستوون، قليلا ما تتذكرون: لذلك قد فضلتم الباطل على الحق. ٥٨

إن الساعة لآتية لا ريب فيها -فسوف تقوم القيامة حتما- ولكن أكثر الناس لا يؤمنون: بذلك إيمانا لا افتراء فيه على الله، وذلك لفرط حماقتهم، فلا يتبعنهم عاقل كما قال تعالى ﴿ وإن تُطع أكثر من في الأرض يُضلوك عن سبيل الله إن يَتَّبعون إلا الظنَّ وإن هم إلا يَخرصون. ﴾ [الأنعام ١١٦]. ٥٩

وأمر ربكم أن تدعوه -وحده دون سواه أيها الناس، إذ أن الدعاء هو العبادة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما ﴿ الدعاء هو العبادة، وقرأ: ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ إلى قوله ﴿ داخِرين ﴾ ﴾ [أبو داود ١٤٧٩ * الترمذي ٢٩٦٩ * ابن ماجة ٣٨٢٨ * أحمد ١٨٣٥٢]، إن تفعلوا- يستجب لكم -بما ينفعكم، فيثبكم ويغفر لكم، وقد يرفع ما ألم بكم إن شاء كما قال تعالى ﴿ بل إيَّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ﴾ [الأنعام ٤١]- إن الذين يستكبرون عن عبادته -وتوحيده سبحانه، ودعائه دعاء عبادة ودعاء مسألة- سيدخلون جهنم ذليلين. ٦٠

الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه -فتستريحوا- والنهار -لسعيكم وعملكم- مضيئا، إن الله لذو فضل واسع على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرونه على ما تفضل به عليهم. ٦١

ذلك -المدبر هو- الله ربكم، خالق كل شيء، لا معبود بحق سواه، فكيف تقلبون: عن الحق؟ ٦٢

مثل ذلك القلب يقلب عن الحق الذين كانوا بآيات الله -المنزلة والكونية والعقلية- يجحدون: إذ أنهم أنكروا توحيده، بل صار منهم اليوم من ينكر وجود رب خالق للكون مدبر من الأساس! ٦٣

الله الذي جعل لكم الأرض ثابتة يمكن الاستقرار عليها، والسماء سقفا محكم البنيان متعدد المنافع، وصوركم -في أرحام أمهاتكم كما قال تعالى ﴿ هو الذي يُصَوِّركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو ﴾ [آل عمران ٦]- فأحسن صوركم، ورزقكم من طيبات المآكل وغيرها، ذلك -الخالق هو- الله ربكم، فكثر خير ونفع الله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء، وتعاظم واستحق الثناء. ٦٤

هو الحي دائم البقاء، لا معبود بحق سواه، فادعوه مخلصين له الدين -بلا شرك ولا رياء، دعاء عبادة ودعاء مسألة، ولا تدعوا ميتا!- كامل الثناء على الله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. ٦٥

فائدة! سؤال الموتى شرك بالله كذلك سؤال الخلق ما لا يستطيعه إلا الله، فأخلصوا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف. ﴾ [الترمذي ٢٥١٦ * أحمد ٢٦٦٩].

لِنَسألْ ربَّنا طَلَبًا لِّعَونٍ ... وما غَيرَ القديرِ دَعا الخُيُورُ

أخبر أيها النبي الكريم الكفار أنك نهيت أن تعبد الذين يدعون ويعبدون من دون الله -قبرا كان أو غيره من الطواغيت، فالدعاء عبادة!- لما جاءك الأدلة الجلية البينة من ربك -على وجوب توحيده سبحانه وبطلان دعوة وعبادة غيره- وأمرت أن تسلم وتنقاد لرب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. ٦٦

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ
خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾
كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ
وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ
لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلۡ إِنِّي
نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ
ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ
وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ
فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ
وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ
فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ
ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ
تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن
نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ
بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

هو الذي -سيبعثكم، سبحانه- خلقكم من تراب -بأن خلق أباكم آدم عليه السلام منه- ثم -بعد آدم وحواء عليهما السلام- من نطفة -من المني الخارج عند الجماع- ثم من علقة -من دم جامد متكون من المني- ثم يخرجكم -من بطون أمهاتكم- أطفالا -ضعفاء- ثم لتكتمل عقولكم وقوتكم، ثم -تكبروا- لتكونوا شيوخا، ومنكم من يتوفى من قبل -الشيخوخة فيموت- ولتبلغوا وقتا محددا -فعاقبتكم استيفاء آجالكم كما شاء الله- ورجاء أن تعقلوا وتدركوا قدرة ربكم فتؤمنوا به وحده لا شريك له وتطيعوه فتفوزوا. ٦٧
هو الذي يحيي الخلائق ويميتها، فإذا قضى أمرا فإنما يأمره -سبحانه- بالتَّكُّون فيكون، لا يستعصي عليه ولا يمتنع منه. ٦٨
ألم ينته علمك أيها النبي الكريم -وكل فرد من أمتك- إلى خبر الذين يجادلون -مكابرة وتعصبا وترويج باطل لا تثبتا من الحق- في آيات الله -مكذبين بصلاحيتها ووجوب اتباعها- كيف تصرف عقولهم عن الحق الظاهر إلى الضلال المبين؟! ٦٩
الذين كذبوا بالقرآن وبما أرسل الله به رسله سبحانه -من وحي- فسوف يعلمون عاقبة صنيعهم. ٧٠
حيث الأغلال في أعناقهم، والسلاسل -بها يوم القيامة- يسحبون. ٧١
في الحر المتناهي شدته -يسحبهم الملائكة- ثم في النار يوقدون: فيصيروا وقودا لها. ٧٢
ثم سئلوا أين ما كانوا يشركون؟ ٧٣
من دون الله؟ أجابوا بأن غابوا عنهم وخذلوهم، بل -مقرين بكفرهم أضافوا أنهم أهل ضلال- لم يكونوا يدعون من قبل -في الدنيا- ولا يعبدون شيئا -يستحق الدعوة أو العبادة، فأين طواغيتهم اليوم لماذا لا تنقذهم؟- مثل ذلك الضلال يضل الله الكافرين عن طريقه في كل عصر ومصر. ٧٤
ذلك -الإضلال للكافرين- بسبب ما كانوا يفرحون في الأرض -به من كفر واتباع للأهواء- بغير الحق -فقد كذبوا بآيات الله، وبما علموا من أمور مادية كما قال تعالى ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ﴾ [الروم ٧] فرحوا وبترهات زعموا أنها علم- وبسبب ما كانوا عليه من اختيال وافتخار: بالمنكرات. ٧٥
ادخلوا -أيها الكفار- أبواب جهنم -عددها كما قال تعالى ﴿ لها سبعة أبواب ﴾ [الحِجر ٤٤] قيل بعضها فوق بعض، تعذبون- خالدين فيها، فبئس منزل المتكبرين على الحق. ٧٦
فاصبر -حتى يأتي أمر الله لاحقا بقتال أهل الشرك في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]، وبقتال أهل الكتاب كما قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجِزية عن يد وهُم صاغرون. ﴾ [التوبة ٢٩]- إن وعد الله -بنصرك ونصر من اهتدى بهديك كما قال تعالى ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. ﴾ [غافر ٥١]- حق صادق واقع، فإن يرك الله أيها النبي الكريم بعض الذي يعد الله الكفار -من عذاب، وهو القادر- أو يتوفك الله فإليه سبحانه وحده يرجعون في الآخرة ليجازيهم أتم الجزاء. ٧٧

ولقد أرسل الله رسلا -رجالا من جنس البشر، ليسوا إناثا، ولا ملائكة ولا جنا كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم ﴾ [يوسف ١٠٩ ۞ النحل ٤٣]- من قبلك أيها النبي الكريم، منهم من قص الله عليك -فجاءك من خبرهم- ومنهم -فهم كثر- من لم يقصص الله عليك، وما صح لرسول أن يأتي بآية -من الآيات التي يقترحها عليه قومه ليعرفوا بزعمهم صدقه ولا من غيرها- إلا بإذن الله ومشيئته، فإذا جاء أمر الله -بهلاك الكافرين أو بهزيمتهم في الدنيا، أو بعذابهم في الآخرة- قضي بالحق -بين المؤمنين والكافرين، ونصر الله رسله وأتباعهم- وخسر في هذا المقام المتبعون باطلا. ٧٨
الله الذي جعل لكم الأنعام -من إبل وبقر وغنم- لتركبوا منها، ومن لحومها وشحومها تأكلون. ٧٩
فائدة! من زعم أنه "نباتي" لا يأكل اللحوم لأنه رحيم بالحيوانات والطيور فقد زعم أنه أكثر رحمة من الله بمخلوقاته، بل الذبح من شعائر المسلمين كما قال تعالى ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ [الحج ٣٧].

وهذا تافِهٌ زَعَمَ افتِراءً ... بأنَّ الأكلَ مِنْ لَّحمٍ نَكيرُ

ولكم فيها ما تنتفعون به من أصواف وأوبار وأشعار وجلود، ونسل تتاجرون فيه وغير ذلك، ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم -حاملة أمتعتكم الثقيلة إلى حيث تريدون كما قال تعالى ﴿ وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بِشِقِّ الأنفس ﴾ [النحل ٧]- وعليها -ولا سيما الإبل- وعلى السفن تحملون: للتنقل، فهي تحملكم مع بضائعكم برا وبحرا. ٨٠
ويريكم آياته -أيها الناس، كما قال تعالى ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق ﴾ [فُصِّلَت ٥٣]- فأي آيات الله -الكونية والعقلية- تنكرون: فبعد أن بينها لكم لا تقرون؟ ٨١
أفلم يتجول هؤلاء الكفار في الأرض فيتأملوا كيف كان مصير الذين من قبلهم: فيتعظوا؟! كانوا أكثر منهم -عددا وأموالا- وأشد قوة وآثارا في الأرض -بالزراعة والبناء- فماذا نفعهم ما كانوا يكسبون -من عدد وأموال وقوة وزراعة وبناء حين جاء العذاب- وماذا أغنى عنهم؟ ٨٢
فلما جاءتهم رسلهم بالأدلة الجلية البينة على صدقهم فرحوا بما عندهم من العلم -المادي الذي به يديرون شؤون معاشهم كما قال تعالى ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ﴾ [الروم ٧] وبترهات زعموا أنها علم- ونزل بهم وأحاط ما كانوا به -من عذاب- يستهزئون. ٨٣
فائدة! من الترهات التي يستخدمها أهل البدع ليردوا بها نصوص الشريعة "علوم" الفلسفة والمنطق.

ومُبتَدِعٌ بِفَلسَفَةِ الكلامِ ... ومَنطِقِهِ عَصى نَصًّا يُنيرُ

فلما رأوا عقاب الله -نازلا بهم- أقروا أن آمنوا بالله وحده -دون سواه- وكفروا بما كانوا به مشركين. ٨٤
فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا عقاب الله -نازلا بهم- سنة الله التي قد مضت في عباده -ألا ينفعهم إيمانهم إذا عاينوا عذاب الله، كفرعون كما قال تعالى ﴿ حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ﴾ [يونس ٩٠]- وخسر في هذا المقام الكافرون: فتبين لهم خسرانهم. ٨٥

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ
بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ
لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ
وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾
فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ
ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟
بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

سُورَةُ فُصِّلَتۡ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ
قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ
فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ
ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥
قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ
فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٨ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ
لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ
ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا
وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ
لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ
لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١

⋆ سورة فُصِّلَت ⋆

⋆ مكية ⋆

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. **١**

تنزيل من الرحمن بجميع خلقه، العظيم الرحمة بالمؤمنين. **٢**

كتاب بينت آياته بتفصيل -الحلال والحرام والأمر والنهي والوعد والوعيد والأخبار والقصص وغير ذلك أتم بيان، تنزيل حال كونه- قرآنا عربيا لقوم يعلمون معانيه، فينتفعوا به وينفعوا، ويبلغوه إلى غيرهم. **٣**

بشيرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للعصاة بالعقاب، فأعرض أكثرهم -العرب- منصرفا -وإلى الآن، وقد نزل بلسانهم!- فهم لا يسمعون: سماع وعي وفهم وانتفاع، لكن تقوم عليهم الحجة بما سمعوا. **٤**

وزعم المشركون أن قلوبهم في أغطية مما يدعوهم إليه النبي ﷺ، وفي آذانهم صمم -فلا يسمعونه- ومن بينهم وبينه ﷺ حجاب -يسترهم عنه، فليس يصل إليهم ما يدعوهم إليه- من ثم أخبروه -في تحد- فليعمل -ثابتا على دينه- إنهم عاملون: على ما هم عليه ثابتون، ليسوا يبالون بدعوته. **٥**

أخبر أيها النبي الكريم الناس أنما أنت بشر مثلهم يوحى إليك أنما إلههم -الذي يضرع إليه الخلائق، المعبود بحق- إله واحد لا شريك له -لا يمكن أبدا أن يكون غير ذلك- فليستقيموا إليه -فلا يحيدوا عن طاعته- ويطلبوا منه المغفرة -على ما اقترفوا من كفر وآثام- وشدة الحسرة والهلاك للمشركين. **٦**

الذين لا يخرجون الزكاة الواجبة في أموالهم -ويزعمون أنهم مسلمون! كذلك الذين لا يعطون أنفسهم ما تزكو به من توحيد الله وإيمان بما جاء به النبي ﷺ- وهم بالآخرة عظيمو الكفر. **٧**

إن الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة لهم ثواب غير مقطوع أبدا: الجنة. **٨**

سلهم أيها النبي الكريم -موبخا- أئنهم ليكفرون بالذي خلق الأرض في -مقدار- يومين، ويجعلون له أندادا ونظراء ومثلاء؟ ذلك -الخالق- رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. **٩**

وجعل فيها جبالا تثبتها كالأوتاد كما قال تعالى ﴿ والجبال أوتادا. ﴾ [النبإ ٧] من فوقها، وبارك فيها -بجعلها كثيرة الخير- وقدر فيها أقوات قاطنيها في -تتمة- أربعة أيام -باليومين المتقدمَين، خلقها وما فيها- سواء -مستوية- للسائلين: ربهم أن يرزقهم، من أجلهم قدر سبحانه الأقوات والأرزاق. **١٠**

فائدة! بارك الله في الأرض، فمن زعم أن نمو سكانها يسبب مشاكل فهو جاهل أو كافر، بل مسببات المشاكل هو تعمد تقسيمها بحيث تتوزع خيراتها بصور غير عادلة، والتآمر للتحكم في مواردها -كنهر النيل- وجشع الرأسمالية التي تحرص ألا يكثر الناس فيطالبوا بحقوقهم -بل وتهلك الخيرات لئلا تهبط أسعارها- وإفقار ممنهج يقوم به الناهبون لخيرات المسلمين لنركع لهم في حربهم على ديننا وأخلاقنا.

وبارَكَ ربُّنا في الأرضِ قَطعًا ... ويُفقِرُ أهلَها نَجَسٌ كَفورُ

ثم استوى إلى السماء -قاصدا إلى خلقها- وهي -آنذاك- دخان -قيل بخار ماء- فأمرها هي والأرض أن يأتيا طوعا أو كرها، أجابتا بأن أتوا -السماء والأرض بجميع طبقاتهما منقادين لأمره- طائعين. **١١**

فقضاهن -متما خلقهن فصيرهن- سبع سماوات في -مقدار- يومين، وأوحى في كل سماء ما يأمر به
فيها من طاعة وعبادة وما هو لائق بها من تدبير، وزين الله أقرب السماوات إلى الأرض بكائنات مضيئة
وحفظا -لئلا يتسمع شيطان إلى الوحي فيها كما قال تعالى ﴿ إنا زيَّنَّا السماء الدنيا بزينة الكواكب.
وحفظا من كل شيطان مارد. لا يَسَّمَّعون إلى الملإ الأعلى ﴾ [الصافات ٦ ~ ٨]- حفظها، ذلك
-الإبداع- تقدير العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العليم الذي لا يخفى عليه شيء. **١٢**
فإن أعرضوا منصرفين عن التفكر في قدرته سبحانه وعما جئتهم به فذكرهم أيها النبي الكريم -موبخا-
أن أنذرتهم إهلاكا -ينزل بهم- مثل إهلاك عاد وثمود: الذي بهم نزل، فذلك عاقبة الكفر. **١٣**
حيث جاءتهم الرسل من جميع الجهات والجوانب -لمن قبلهم ومن بعدهم بذات الدعوة- ألا يعبدوا
إلا الله، كانت إجابتهم أن لو شاء ربهم -إرسال رسل- لأنزل ملائكة -ليس بشرا لا يريدون إلا السيادة
كما قال تعالى ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضَّل عليكم ولو
شاء الله لأنزل ملائكة ﴾ [المؤمنون ٢٤]- فإنهم -لذلك السبب- بما أرسل به رسل الله كافرون. **١٤**
فأما عاد فاستكبروا -عن توحيد الله- في أرض اليمن -إذ كذبوا هودا عليه السلام- بغير الحق، وتساءلوا من
أشد منهم قوة؟ أولم يعلموا -يقينا- أن الله الذي خلقهم -ثم تفضل، فزادهم في الأجسام قوة وكمالا
كما قال تعالى ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة ﴾ [الأعراف
٦٩]- هو أشد منهم قوة؟! وكانوا بآيات الله -الكونية والعقلية- يجحدون: إذ أنهم أنكروا توحيده. **١٥**
فأرسل الله عليهم ريحا شديدة الصوت والبرودة في أيام مشؤومات، ليذيقهم الله عذاب الذل والمهانة
في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد ذلا ومهانة، وهم -يوم القيامة، من عذاب الله- لا ينصرون. **١٦**
وأما ثمود فوفقهم الله وأرشدهم -على لسان صالح عليه السلام- فاستحبوا عمى الكفر على هدى الإيمان -إذ
كذبوه عليه السلام- فأخذهم إهلاك العذاب ذي الإهانة والذل بسبب ما كانوا يكسبون من كفر وآثام. **١٧**
ونجى الله الذين آمنوا وكانوا يتقون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه: صالحا عليه السلام وأتباعه. **١٨**
ويوم -القيامة- يجمع أعداء الله -الكفار إذ خالفوا أوامره، ليساقوا- إلى النار، فهم يردون مجتمعين في
نظام أولهم إلى آخرهم. **١٩**
حتى إذا ما جاءوها -فوقفوا على النار- شهد عليهم سمعهم -بما كانوا يصغون إليه- وأبصارهم -بما
كانوا ينظرون ويتطلعون إليه- وجلودهم -وفروجهم- بما كانوا -من معاص، في الدنيا- يعملون. **٢٠**
فائدة! يتعين على المسلم قبل شراء سلع أو خدمات أن يسأل نفسه: إلى من يذهب هذا المال؟ فإن
كان إلى عدو لله فليتجنبه لذنب هو مقدم عليه، وليتذكر قوله تعالى ﴿ ولا تَعاونوا على الإثم والعدوان ﴾
[المائدة ٢]، ومن امتنع عن شراء ما يمكنه التخلي عنه أو اشترى من آخر بنية إضعاف عدو لله فبإذن
الله يؤجر كما قال تعالى ﴿ ولا ينالون من عدو نَيلا إلا كُتب لهم به عمل صالح ﴾ [التوبة ١٢٠].
عَدُوُّ اللهِ لا نَبتاعُ مِنهُ ... ونَحتَسِبُ الأُجورَ فلا تَخوروا

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً
فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي
ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ
عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى
ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾
وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ
إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ
سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ
أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ
وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾
وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم
مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ
فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم
مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ
خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ
لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا
وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ
ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٢٨﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ
وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾

وسألوا جلودهم لماذا شهدوا عليهم: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذًا، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه ﴾ [مسلم ٢٩٦٨]؟ أجابتهم بأن أنطقهم الله الذي أنطق كل شيء -لم يتطوعوا هم بالنطق- وهو خلقكم -أيها العصاة- أول مرة -فأيقنوا أنه قادر أن يبعثكم- وإليه وحده ترجعون في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء. ٢١
وما كنتم تستخفون -عند اقترافكم الآثام- خشية أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون: كنتم لا تؤمنون بقدرة الله وإحاطة علمه بكل شيء. ٢٢
وذلك -الكفر- ظنكم الذي ظننتم بربكم: أسقطكم وأهلككم، فأصبحتم من الهلكى الخاسرين. ٢٣
فإن يصبروا فالنار منزل لهم -إذ لا خروج لهم من العذاب في الآخرة- وإن يطلبوا رضا الله بالرجوع إلى الدنيا ليعملوا ما يرضيه فما هم ممن سيرضيهم الله بإجابة طلبهم: بل لو ردهم سبحانه إليها لعادوا لما كانوا عليه كما قال تعالى ﴿ ولو رُدوا لعادوا لِما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ [الأنعام ٢٨]. ٢٤
وهيأ الله لهم أصحاب ملازمين -من الشياطين- فزينوا لهم ما بين أيديهم -في الدنيا مما هم عليه من كفر وآثام- وما خلفهم -في الآخرة من اعتقاد ألا بعث ولا حساب، أو تذكر أن الله غفور رحيم وليس شديد العقاب- فاستحسنوا خداعهم لهم، ونفذ القضاء والقدر ووجب عليهم العذاب -كما قال تعالى ﴿ قال فالحقُّ والحقَّ أقول. لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين. ﴾ [ص ٨٤ ٨٥]، فهم- في جملة أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس -في النار- إنهم كانوا هلكى خاسرين. ٢٥
فائدة! عصيان الله بذريعة أن الشريعة سمحة تلاعب بشريعة الله وهوى وجهل عظيم يؤول إلى الهلاك.

ومَنْ يَتَذَكَّرِ الغُفرانَ حَصرًا ... وينسَ عِقابَ مُنتقِمٍ ضَريرُ

وتواصى الذين كفروا -فيما بينهم- لا تسمعوا لهذا القرآن وشوشوا عليه باللغو -بالمعارضة بالباطل ورفع الصوت والصفير والتصفيق وما إلى ذلك- رجاء أن تغلبوا: فيسكت من يحاول قراءته عليكم. ٢٦
فليذيقن الله الذين كفروا عذابا شديدا، وليجزينهم سبحانه أسوأ الذي كانوا يعملون: فكفرهم يحبط ما عملوا من صالحات كما قال تعالى ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ [الأنعام ٨٨]. ٢٧
ذلك -العذاب- جزاء أعداء الله: النار، لهم فيها دار الخلد -إقامة مستمرة، لا نهاية لها- جزاء بسبب أن كانوا بآيات الله -المنزلة والكونية والعقلية- يجحدون: إذ أنهم أنكروا توحيده. ٢٨
ودعا الذين كفروا ربهم أن يريهم اللذَين أضلاهم من الجن والإنس -إبليس ومن والاه من الفريقين، إذ زينا لهم عصيان الله مستخدمَين الترغيب والترهيب، فأطاعوهما، فقاداهم إلى النار- يجعلوهما -إن هم رأوهما- تحت أقدامهم -في النار أشد عذابا منهم، أذلاء يدوسون عليهما- ليكونا من المقهورين. ٢٩

إن الذين أقروا بأن ربهم الله -لا شريك له- ثم استقاموا -على توحيده وطاعته- تتنزل عليهم الملائكة -عند الموت ثم في القبر وعند البعث: مطمئنة- ألا يخافوا -مما هم مقدمون عليه- ولا يحزنوا -على ما من الدنيا فاتهم ولا على من مات على غير الهداية ممن أحبوا- ويبشروا بالجنة التي كانوا -على ألسن أنبياء الله- يوعدون كما قال تعالى ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رُسُلك ﴾ [آل عمران ١٩٤]. **٣٠**
نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا -إذ أرشدناكم إلى ما فيه صالحكم وأعناكم وحفظناكم بأمر الله: بهذا تطمئن الملائكة أهل الجنة- وفي الآخرة -نشفع لكم، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ﴿ شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ﴾ [البخاري ٧٤٣٩ * مسلم ١٨٣ * أحمد ١١٨٩٨]- ولكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم، ولكم فيها ما تطلبون وتتمنون. **٣١**
مهيأة لضيافتهم -ثوابا لهم- من -إله- واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. **٣٢**
ومن أحسن كلاما -وحالا- ممن دعا إلى الله -توحيده، ثم طاعته- وعمل -تصديقا لإيمانه- صالحا -ما قنع بأنه عمل لدين الله، وقد يغدو قدوة- وافتخر بأنه -قطعا- من المسلمين -لله- المنقادين؟ **٣٣**
فائدة! الدعوة إلى توحيد الله ودينه الحق -مع تطبيق الداعية ما يدعو إليه- من أحسن الأعمال.

إلى توحيدِ ربِّ الخَلْقِ نَدعو ... ونَدحَرُ بِدعَةً يَرضَ الغفورُ

ولا تستوي الحسنة -التي ترضي الله- ولا السيئة -التي تغضبه- ادفع بأحسن ما يمكن -من إعراض وصفح وحلم- فإذا -فعلت أيها المؤمن غدا بإذن الله- الذي بينك وبينه عداوة كأنه حليف قريب. **٣٤**
وما يوفق إلى خصلة دفع الإساءات بالإعراض والصبر والحلم إلا الذين صبروا على طاعة الله وأقداره -ومن جملتها إساءات خلقه- وما يوفق إليها إلا صاحب نصيب وافر: من الثواب والخير. **٣٥**
فائدة! على المسلم إذا بغى عليه عدوه مرة أو ظلمه أو خدعه، وغلب على ظنه أنه سيتكرر منه الأذى ألا يتركه بل ينتصر كما قال تعالى ﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون. ﴾ [الشورى ٣٩]، وكما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين. ﴾ [البخاري ٦١٣٣ * مسلم ٢٩٩٨ * أبو داود ٤٨٦٢ * ابن ماجة ٣٩٨٢ * أحمد ٨٩٢٨].

بأحسَنِ خَصلَةٍ دَفَعَ الخُيُورُ ... ويَنتَصِرونَ مِنْ بَغيٍ يَضيرُ

وإما تحسسن -أيها المؤمن- بأدنى وسوسة من الشيطان يريد إفسادا بينك وبين عباد الله فاستعذ بالله -ملتجئا إليه- إنه هو السميع لكافة ما يقول عباده -ومن جملة ذلك استعاذتهم به، فليس يلجأ بعد ذلك إلى غيره عاقل- العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. **٣٦**
ومن آياته -سبحانه- الليل والنهار والشمس والقمر، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر -ولا لغيرهما يا عباد الله- واسجدوا لله الذي خلقهن -وحده دون سواه- إن كنتم إياه تعبدون. **٣٧**
فإن استكبروا -عن توحيد الله أو السجود له- فالذين عند ربك أيها النبي الكريم -من ملائكة- ينزهونه ويقدسونه -يديمون ذلك- بالليل والنهار، وهم -من عبادة ربهم- لا يسأمون ولا يملون. **٣٨**

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ
ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ
فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ وَمَنۡ أَحۡسَنُ
قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ
بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ
وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ
فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ
وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ
إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ٣٨

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآۗ أَفَمَن
يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓۖ
ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌۚ وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

ومن آياته -سبحانه- أنه يرى الرائي الأرض خاشعة -يابسة مجدبة بلا نبات- فإذا أنزل الله عليها المطر اهتزت وربت -فخرج نباتها، وارتفعت لنموه- إن -الرب الخالق، القادر- الذي أحياها لمحيي الموتى -يقينا للحساب يخرجهم: مثلما أحيا أرضا ميتة كما قال تعالى ﴿ ويُحيي الأرض بعد موتها وكذلك تُخرَجون ﴾ [الروم ١٩]- إن قدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك إحياء الموتى للحساب. **٣٩**
إن الذين يميلون عن الحق في آياته سبحانه -بتكذيب أو جحود اعتقادي أو عملي أو غير ذلك- لا يخفون على الله، أفمن يلقى في النار خير وأفضل؟ أم من يأتي آمنا يوم القيامة؟ اعملوا -أيها الخلق، على سبيل الإنذار لا التخيير- ما شئتم، إنه بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. **٤٠**
فائدة! الدعاوى إلى تقارب الأديان -ومن جملتها ما يطلق عليه "البيت الإبراهيمي"، والخليل إبراهيم عليه السلام منهم براء- بحجة التسامح تكذيب بآيات القرآن التي تكفر غير المسلمين وانسلاخ عن الإسلام، ومآلها كما قال تعالى ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتَّبِع مِلَّتهم ﴾ [البقرة ١٢٠].
ولَمْ نُلحِدْ إلى دِينٍ جديدٍ ... تَقَارُبُ كافِرٍ معَنا مُبِيرُ
إن الذين كفروا بالذكر -القرآن- لما جاءهم -يعذبون حتما- وإنه لكتاب عزيز عن كل عيب منيع. **٤١**
لا يتطرق إليه الباطل من أي جهة أو جانب -كلام الله: حق لم ولن يبلغه تبديل أو تحريف أو زيادة أو نقصان كما قال تعالى ﴿ إنا نحن نزَّلنا الذِّكر وإنا له لحافظون. ﴾ [الحِجر ٩]، محفوظ في إنزاله من الشياطين- تنزيل من حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه، محمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. **٤٢**
ما ترمى به أيها النبي الكريم -من افتراء عليك: أنك كاهن وشاعر وساحر ومسحور ومجنون، حاشاك- إلا ما قد تم رمي به الرسل من قبلك، إن ربك لذو مغفرة -للناس على ظلمهم أنفسهم باقتراف الآثام وغيرهم بالصد عن الإيمان لا يعاجل بعقاب ليتوبوا- وذو عقاب أليم: لمستمر على العناد والكفر. **٤٣**
ولو جعله سبحانه قرآنا أعجميا -غير عربي- لتساءل الكافرون به -مستنكرين- هلا بينت آياته بتفصيل؟ أأعجمي -كتابه- وعربي: هذا الذي يزعم أنه أنزل عليه؟! أخبرهم أنه للذين آمنوا هداية من الضلال، وشفاء -قلوبهم من الكفر والجهل والشك، وأبدانهم من الأسقام بالتعوذ والرقية- والذين لا يؤمنون في آذانهم صمم -فلا يسمعون سماع وعي وفهم وانتفاع- وهو عليهم -ذو- عمى -فقد أغلق الله قلوبهم وآذانهم، فلم يفقهوه- هؤلاء -حالهم كحال الذين- ينادون من مكان بعيد: فليسوا يفقهون النداء. **٤٤**
فائدة! الاستشفاء بالقرآن من جملة التداوي المباح، ورقية المسلم لنفسه أفضل من رقية غيره له.
وبالقرآنِ يَرقِي المَرءُ نفسًا ... بإذنِكَ ربَّنا تُكفى الشُّرورُ
ولقد أعطى الله موسى التوراة، فاختلفوا في شأنها -آمن البعض وكفر البعض، دأب الناس، فلا تحزن- ولولا ما سبق من قضاء ربك أيها النبي الكريم -ألا يعجل عقابهم في الدنيا- لقضي بينهم، وإن الكفار -في كل عصر ومصر- لفي شك من الكتب المنزلة مريب لا تطمئن قلوبهم لها. **٤٥**
من عمل -تصديقا لإيمانه- صالحا فالنفع له، ومن أساء فالضرر عليه، وربك لا يظلم عبيده أبدا. **٤٦**

إليه يرد علم الساعة -سبحانه، فقد استأثر بعلم وقت قيام القيامة وتفاصيل ما يحدث فيها- وما تخرج من ثمار من أوعيتها -صالحة كانت أو فاسدة- وما تحمل من أنثى -في بطنها- ولا تضع -ولدها- إلا بعلمه -سبحانه- ويوم -القيامة- يناديهم -موبخا مقرعا- أين شركاؤه: الذين زعموا في الدنيا أنهم يدعونهم لينفعوهم؟ أجابوا بأن أعلموه بوضوح أن ليس منهم أي شاهد: على أن له سبحانه شركاء. **٤٧**

وبطل كذبهم وخذلهم ما كانوا يدعون ويعبدون من قبل -في الدنيا، فلم تنفعهم طواغيتهم التي بربهم أشركوها ومعه دعوها- وظنوا -بل أيقنوا- ما لهم -من العذاب- من مخلص أو مفر. **٤٨**

لا يسأم ولا يمل الإنسان من دعاء الخير -من رزق وصحة وذرية وأمن وسلطان ورفعة ونحو ذلك- وإن ناله الشر -من مرض أو خوف أو فقر أو غير ذلك- فكثير اليأس مستسلم له -هو- كثير الإحباط. **٤٩**

ولئن أذاقه الله رحمة منه سبحانه من بعد شدة نالته -كالأمن بعد خوف والشفاء بعد مرض والغنى بعد فقر والمطر والخصب بعد جدب وقحط ونحو ذلك- ليزعمن أن هذا -استحقه لأنه أهل- له وما يظن الساعة قائمة -فأنكر البعث، بل- ولئن رجع إلى ربه -على فرض قيامها- إن له عنده للجنة! فليخبرن الله الذين كفروا بما عملوا -في الدنيا ويجازينهم به- وليذيقنهم سبحانه من عذاب غليظ. **٥٠**

فائدة! من الملاحظ المشاهد اغترار كثير من أهل الترف بما هم فيه، زاعمين أنهم إنما أعطوه لشرف وعلم ومهارة واستحقاق، ويتركون العمل للآخرة، ظانين أن حالهم فيها لا يكون إلا كحالهم في الدنيا!

قَدِ اغتَرَّ السَّفيهُ بِحالِ دُنيا ... فظَنَّ الخَيرَ في الأُخرى مصيرا!

وإذا أنعم الله على الإنسان -بالصحة أو الأمان أو الرزق أو غير ذلك- أعرض منصرفا عن الشكر وابتعد متكبرا، وإذا ناله الشر -من مرض أو خوف أو فقر أو غير ذلك- فذو دعاء -هو- عريض كثير. **٥١**

فائدة! الزمان لا يلبث على حال: صحة ومرض، غنى وفقر، عز وذل، كذلك الدول، والإسلام منتصر حتما لا محالة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث تميم الداري ﷺ ﴿ ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر. ﴾ [أحمد ١٦٩٥٧]، ومن لزم تقوى الله لم يضره تقلب الأحوال.

وتقوى اللهِ نَلزمُ كُلَّ وَقتٍ ... فلا ضَرَرٌ يُصيبُ ولا ثُبورُ

سلهم أيها النبي الكريم أن يخبروك: إن كان -القرآن- من عند الله ثم كفرتم به -فكذبتم: كيف يصير حالكم؟- من أضل -وأجهل- ممن هو في غاية الخلاف والعداء مع الحق والمفارقة له؟ **٥٢**

سيري الله الخلق آياته سبحانه -الكونية والعقلية، وهي دالة على صدق آياته المنزلة في كتبه- في آفاق كونه وفي خفايا تركيب أنفسهم العضوي وتكوينهم النفسي، حتى يتبين لهم أنه -الإله والدين- الحق، أولم يكف بربك -أيها الإنسان- أنه على كل شيء مطلع شاهد؟ فإنه يشهد أن هذا القرآن كتابه! **٥٣**

ألا إن الكفار في شك وريبة من لقاء ربهم -في الآخرة، فلا يعملون لها- ألا إنه على علم تام وإحاطة كاملة بكل شيء كما قال تعالى ﴿ وسع كل شيء علما ﴾ [طه ٩٨]. **٥٤**

۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا
وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ
شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ٤٧ وَضَلَّ عَنۡهُم
مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٤٨
لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ
قَنُوطٞ ٤٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ
رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٠ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ
أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ
عَرِيضٖ ٥١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ
مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٢ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا
فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ
أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ أَلَآ إِنَّهُمۡ
فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤

سُورَةُ الشُّورَىٰ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ
ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ
وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ٦
وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ
حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي
ٱلسَّعِيرِ ٧ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن
يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ٨ أَمِ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠

★ سورة الشورى ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. ٢ ١

مثل ذلك الإيحاء يوحي إليك أيها النبي الكريم وإلى الذين من قبلك -من أنبيائه، فلست بأولهم- الله العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٣

له ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وهو العلي على الجميع بذاته وقدره وقهره، العظيم الشأن والملك والسلطان. ٤

تكاد السماوات يتشققن من فوق الأرضين -بسبب أهل الكتاب وأهل الشرك كما قال تعالى ﴿ تكاد السماوات يتفطَّرن منه وتنشقُّ الأرض وتخرُّ الجبال هدًّا. أن دعَوا للرحمن ولدا. ﴾ [مريم ٩٠ ٩١]- والملائكة ينزهون ربهم ويقدسونه متلبسين ومقرونين بالثناء عليه، ويطلبون المغفرة لمن -آمن، كما قال تعالى ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يُسبِّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ [غافر ٧]، ممن- في الأرض، ألا إن الله هو الواسع والدائم المغفرة، العظيم الرحمة بالمؤمنين. ٥

والذين اتخذوا من دونه أولياء -يعبدونهم معه أو طواغيت يناصرونهم رجاء منفعة أو دفع عذابه- الله رقيب مهيمن عليهم -يحفظ نياتهم وأعمالهم ليجازيهم بها- وما أنت أيها النبي الكريم بموكل بمراقبة تصرفاتهم: فلا تبال بهم حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]. ٦

ومثلما أوحى كتبا أنزلها بألسن من قبلك من رسله أوحى الله إليك قرآنا عربيا، لتنذر بالعقاب -أهل- مكة ومن حولها -حتى تبلغ النذارة سائر الأرض، فتقوم الحجة- وتنذر يوم الجمع -القيامة: الأولون مع الآخرين في مقام واحد، ليجازيهم بما قدموا- لا ريب فيه، فريق في الجنة وفريق في النار المستعرة. ٧

ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة -على دين واحد- ولكن يدخل -بفضله- من يشاء في رحمته -فيرشد ساعٍ للحق حقا كما قال تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبُلنا ﴾ [العنكبوت ٦٩]- والظالمون لأنفسهم بالكفر ما لهم من ولي يواليهم فيجلب لهم الخير، ولا نصير ينصرهم فيدفع عنهم الشر. ٨

أم اتخذوا من دونه أولياء: يعبدونهم معه أو طواغيت يناصرونهم رجاء منفعة أو دفع عذابه؟ فالله -وحده دون سواه- هو الولي الذي يتولى أمور خلقه، وهو يحيي الموتى -للحساب- وقدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك إحياء الموتى للحساب. ٩

وما اختلفتم -أيها المسلمون- فيه من شيء فحكمه إلى الله -لقرآنه وسنة رسوله كما قال تعالى ﴿ فإن تنازعتم في شيء فرُدُّوه إلى الله والرسول ﴾ [النساء ٥٩]، فلا تحيدوا عنهما، ولا تبتدعوا، ولا تحكموا بالآراء والأهواء- ذلك -الذي أمر بذلك هو- الله ربي -وربكم جميعا- عليه وحده اعتمدت في جميع أحوالي، وإليه وحده أرجع طائعا إن أذنبت، وإليه وحده أدعو، وإليه وحده رجوعي في الآخرة. ١٠

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ * شَرَعَ
لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ
يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ
فَٱدْعُۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْۖ وَقُلْ
ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ
ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ لَا حُجَّةَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، جعل لكم من أنفسكم أزواجا -من النساء أيها الناس، حواء عليها السلام من زوجها آدم عليه السلام، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع ﴾ [البخاري ٣٣٣١ * مسلم ١٤٦٨ * أحمد ١٠٤٤٨]- ومن الأنعام -من إبل وبقر وغنم، من جنسها جعل- أزواجا -إناثا- يخلقكم ويكثركم -أنتم والأنعام، بالتزاوج- فيه -نسلا بعد نسل، في الرحم- ليس كمثله شيء -سبحانه، ولو من بعيد- وهو السميع لكافة ما يقول عباده، البصير الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. ١١

له خزائن السماوات والأرض ومفاتيح الرزق والرحمة والتوفيق وأبواب التوبة وغير ذلك من النعم، يوسع في الرزق لمن يشاء -كافرا كان أو مؤمنا- ويضيق على من يشاء -فسعة الرزق ليست كرامة وضيقه ليس إهانة- إنه بكل شيء عليم، فالخالق أعلم بما خلق. ١٢

شرع لكم -يا أمة محمد ﷺ- من الدين ما وصى -بتبليغه والعمل- به نوحا، والذي أوحى الله إليك أيها النبي الكريم -من قرآن وسنة- وما وصى الله به إبراهيم وموسى وعيسى -ذات الوصية- أن أقيموا الدين -بتوحيد الله وطاعة الرسل- ولا تتفرقوا فيه -فتغدوا أحزابا- شق على المشركين وثقل ما تدعوهم إليه، الله يختار إليه ويجعل من خاصته من يشاء -لإقامة دينه- ويوفق إليه ويرشد من يرجع طائعا. ١٣

وما تفرقوا -فغدوا أحزابا- إلا من بعد ما علموا -يقينا- من كتبهم أن عليهم اتباعه ﷺ كما قال تعالى ﴿ الذين يَتَّبِعون الرسول النبي الأمِّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الأعراف ١٥٧]، ظلما بينهم وحسدا وحرصا على الدنيا، ولولا ما سبق من قضاء ربك أيها النبي الكريم -ألا يعجل عقابهم في الدنيا، بل يمهلهم- إلى يوم القيامة لقضي بينهم، وإن الذين أعطوا الكتب يتوارثونها -من يهود ونصارى: توراة وإنجيل- من بعد أسلافهم لفي شك من القرآن وممن جاء به ﷺ مريب لا تطمئن قلوبهم له. ١٤

فلذلك -الدين- فادع، واستقم -مداوما على الالتزام بالطريق الواضح غير المعوج- كما أمرت أيها النبي الكريم -فلا تجتهدن بهواك متخليا عن الوحي!- ولا تتبع أهواءهم، وأخبرهم أن آمنت بما أنزل الله من كتب -كما أنزلها، بغير تبديل ولا تحريف ولا زيادة ولا نقصان- وأمرت لتعدل بينهم -حاكما بشرع الله، فما سواه هو الظلم كما قال تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [المائدة ٤٥]، إن قبلت الحكم بينهم كما قال تعالى ﴿ فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ﴾ [المائدة ٤٢]- الله ربكم وربهم -لا يختص به فريق دون فريق- لكم جزاء أعمالكم ولهم جزاء أعمالهم -لا يسأل الله فريقا عن عمل الآخر- لا حجة بينكم وبينهم -إذ لا تنازع بالحجج وقد ظهر الحق، بل انتظروا إتيان أمر الله كما قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجِزية عن يد وهُم صاغرون. ﴾ [التوبة ٢٩]- الله يجمع بينكم -فيجازي كلا بما قدم- وإليه المرجع في الآخرة. ١٥

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ
دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾
مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن
كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ
وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم
مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

والذين ينازعون بالحجج في -دين- الله من بعد ما استجيب له -فقبله عباد الله، ليصدوهم عنه ويردوا من دخل فيه إلى الكفر- حجتهم مغلوبة عند ربهم -ساقطة، لا قيمة لها عنده ولا وزن، ولا يجعل لها أثر في نفوس أهل الإيمان- وعليهم -منه سبحانه- غضب، ولهم -في الآخرة- عذاب شديد. **١٦**
الله -هو- الذي أنزل القرآن بالحق -لا شك فيه، مشتملا على الحق محفوظا في إنزاله من الشياطين- والميزان -أنزله، فليحكم من يخشاه بما أنزل- وما يدريك؟ ربما الساعة قريب: قيامها جدا، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عثمان بن عفان ﷺ ﴿ القبر أول منازل الآخرة فإن ينج منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه ﴾ [الترمذي ٢٣٠٨ * ابن ماجة ٤٢٦٧ * أحمد ٤٥٤]. **١٧**
يستعجل بها -ممعنين في الاستهزاء منكرو البعث- الذين لا يؤمنون بها، والذين آمنوا حذرون منها -لا يأمنون تبدل حالهم قبل الموت، من الحساب وأهوال القيامة- خائفون، ويعلمون أنها الحق -لا محالة آتية- ألا إن الذين يجادلون مشككين في -شأن قيام- الساعة لفي ضلال عن الحق وبعد كبير. **١٨**
الله لطيف في تدبيره رفيق بعباده يعرف ما فيه صالحهم عالم بدقائق الأمور، يرزق من يشاء -من عباده في الحياة الدنيا، مؤمنا كان أو كافرا كما قال تعالى ﴿ كُلًّا نُّمِد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا. ﴾ [الإسراء ٢٠]- وهو القوي القادر، العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء. **١٩**
من كان يريد -بعمله وكسبه- أجر وثواب الآخرة يزد الله له في أجره وثوابه -كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عَشر أمثالها ﴾ [الأنعام ١٦٠]، وييسر له طرق الخير إذا أخلص النية واستفرغ الوسع كما قال تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبُلنا ﴾ [العنكبوت ٦٩]- ومن كان يريد -بعمله وكسبه- أجر وثواب الدنيا يعطه الله منها -من زينتها وزخرفها ما قدر له- وليس له في الآخرة أي نصيب. **٢٠**
أم لهؤلاء الكفار شركاء -طواغيت- شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله: من قوانين ولوائح وضعوها بالمخالفة لشرعه؟ ولولا كلمة الفصل -أن يؤخر الله عذابهم كما قال تعالى ﴿ بل الساعة موعدهم ﴾ [القمر ٤٦]- لقضي بينهم -في الدنيا- وإن الظالمين لأنفسهم بالكفر -ومن جملته التشريع بالمخالفة لما أنزل الله، وطاعة المشرعين به، والرضا بما جرى تشريعه- لهم -في الآخرة- عذاب أليم. **٢١**
فائدة! التشريع لله وحده، ولعباده أن يتبعوا شرعه سبحانه، فوضع قوانين تخالف شرع الله شرك به.

لِربِّي وَحدَهُ التَّشريعُ لَستُم ... لهُ شُركاءَ، أم كَفَرَ الحُضورُ؟!

فائدة! التحليل والتحريم لا يكون إلا بدليل شرعي، والعقل تابع للدليل الشرعي، فلا يكون بالمصلحة العقلية المجردة، وهذا هو معنى قول أهل السنة: "الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع".

وتَحليلٌ بِشَرعِيِّ الدليلِ ... وتَحريمٌ بهِ وبِذا نَسيرُ

يرى الرائي الظالمين -يوم القيامة- حذرين خائفين مما كسبوا -من كفر وآثام، ومن العقاب- وهو واقع بهم -لا محالة مدركهم- والذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة في مواضع نضارة الجنات، لهم ما يشاءون عند ربهم -من نعيم دائم لا ينقطع- ذلك -الثواب- هو الفضل الكبير. **٢٢**

ذلك -الفضل الكبير هو- الذي يبشر الله -به- عباده الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة، أخبرهم أيها النبي الكريم أن لا تسألهم على دعوتك ثوابا، إلا أن يودوك للقرابة -فيصلوا ما بينك وبينهم من قرابة ويتركوك تبلغ رسالة الله- ومن يقترف حسنة -كصلة القرابة- يزد الله له في جزائها حسنا -في الدنيا، لكن لا شيء له على ذلك في الآخرة إن مات على غير الإسلام، فإنما الأمر كما قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. ﴾ [آل عمران ٨٥]- إن الله واسع ودائم المغفرة، كثير الشكر للمؤمنين على طاعاتهم. **٢٣**

أم يزعم الكفار أن محمدا ﷺ افترى على الله كذبا: حاشاه، فاختلق أنه نبيه؟ فإن يشأ الله يختم على قلبك أيها النبي الكريم -فيغلقه فلا يدخله إيمان ولا يعي خيرا إن كنت تكذب، حاشاك- ويمح الله الباطل -مزيلا الكذب والافتراء- ويحق الحق بكلماته -التي وعد بها، فيظهر الإسلام ويعلي دعوته: إن شاء فورا، ولكنه يبتلي عباده- إنه عليم بكل ما في صدور الخلق من إيمان وكفر، ومن خير وشر. **٢٤**

وهو الذي يقبل التوبة عن عباده -التائبين من الكفر أو الآثام- ويعفو عن السيئات -سبحانه، متجاوزا عمن تاب ورجع إليه- ويعلم -أيها الخلق- ما تفعلون، وسيجازيكم به. **٢٥**

ويستجيب -سبحانه، ولو بعد حين دعاء- الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة -دعاء عبادة كان أو دعاء مسألة- ويزيدهم بفضله وإحسانه من الثواب، ويرفع في الجنة مراتبهم إلى ما ليس تصل إليه أعمالهم، والكافرون -في المقابل- لهم عذاب شديد. **٢٦**

ولو وسع الله في الرزق لعباده لبغوا في الأرض -وازدادوا ظلما وعصيانا، متجاوزين كل الحدود- ولكن يخرج بأمره النازل من السماء بمقدار قد قدره ما يشاء -لينتفعوا به- إنه بعباده خبير بصير: لا يخفى عليه شيء مما يظهرون أو يبطنون، يعلم أحوالهم ويدبر أمورهم. **٢٧**

وهو الذي ينزل المطر يغاث به خلق -متى شاء حيثما شاء- من بعد ما قنطوا ويئسوا -فتوقعوا أضرارا- وينشر رحمته -بهم- وهو الولي الذي يتولى أمور خلقه، المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. **٢٨**

ومن آياته -سبحانه- خلق السماوات والأرض وما نشر في أرجائهما من كائن يدب -متنوع من جملته الملائكة والإنس والجن- وهو على جمعهم -لحساب أو لغيره- إذا يشاء قدير: فقدرة الله مطلقة. **٢٩**

وما أصابكم من مصيبة -أيها الخلق، في الأموال أو الأبدان- فبسبب ما كسبت أيديكم -واقترفت من كفر وآثام لم تتوبوا منها- ويعفو عن كثير: كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦] فيتجاوز عمن شاء من المسلمين، بل ويكفر عنهم بما أصابهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها. ﴾ [البخاري ٥٦٤٠ * مسلم ٢٥٧٢ * أحمد ٢٤٥٧٣]. **٣٠**

وما أنتم بفارين من الله في الأرض -بل يدرككم قدره وإن شاء عذبكم- وليس لكم من دون الله من ولي يواليكم فيجلب لكم الخير، ولا نصير ينصركم فيدفع عنكم الشر. **٣١**

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ
قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِى ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ
حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ
ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ
ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٌ
شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِى ٱلۡأَرۡضِ
وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِىُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾
وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا
كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ
فِى ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾
أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا
وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ
ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى
ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾

ومن آياته -سبحانه- السفن الجارية في الماء -في ارتفاعها- كالجبال. ٣٢

إن يشأ يسكن الريح، فتظل السفن رواكد -ثوابت لا تتحرك- على ظهر الماء، إن في ذلك -الإنعام على الناس- لآيات دالة على كمال قدرة الخالق لكل كثير الصبر على طاعة الله وأقداره، كثير الشكر لله على نعمه. ٣٣

أو -إن يشأ- يهلك أهلها بسبب ما كسبوا من عمل، ويعف عن كثير: متجاوزا، فلا يغرقهم. ٣٤

ويعلم -إذ يوقن عند معاينة الغرق- الذين يجادلون -مكابرة وتعصبا وترويج باطل لا تثبتا من الحق- في آيات الله -مكذبين بصلاحيتها ووجوب اتباعها، أن- ما لهم -من العذاب- من مخلص أو مفر. ٣٥

فما أعطيتم -أيها الناس- من شيء فمما تتمتعون به في الحياة الدنيا -الفانية- وما عند الله -من جزاء في الآخرة- خير وأفضل وأدوم للذين آمنوا وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أحوالهم. ٣٦

والذين يجتنبون كبائر الإثم -مما يترتب عليه نفي إيمان أو حد أو وعيد أو لعنة الله أو عذابه أو غضبه- ومستفحش الذنوب -كالزنا كما قال تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ﴾ [الإسراء ٣٢] وغيره- وإذا ما غضبوا هم يغفرون: ليغفر الله لهم كما قال تعالى ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ [النور ٢٢]، هذا إذا كان من تسبب في غضبهم أهلا للمغفرة. ٣٧

والذين استجابوا لربهم -ملبين دعوته، فآمنوا به وانقادوا لشرعه- وأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأداموها بشروطها، وأمرهم شورى بينهم -فيسألون آراء بعضهم فيما يحتاج إلى مشاورة، والشورى لازمة وليست ملزمة فيلزم استشارة الخبراء والمتخصصين لا النزول على رأيهم- ومما رزقهم الله -فيما أوجبه كالزكوات وعلى من تلزمهم مؤونتهم، وفيما استحسنه كالصدقة ونحوها، في طاعته طلبا لمرضاته- ينفقون. ٣٨

والذين إذا أصابهم البغي -باعتداء على دماء أو أعراض أو أموال، أو بتكبر عليهم- هم ينتصرون. ٣٩

ويجازى السوء بمثله -دون تعد كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ المستبَّان ما قالا فعلى البادئ، ما لم يعتد المظلوم. ﴾ [مسلم ٢٥٨٧ * أبو داود ٤٨٩٤ * الترمذي ١٩٨١ * أحمد ٧٢٠٥]- فمن عفا -تاركا الانتقام ممن هو أهل للعفو- وأصلح ما بينهما فثوابه على الله -عظيم عنده- إنه لا يحب -بل يبغض- الظالمين الذين يعتدون على دماء الناس أو أعراضهم أو أموالهم. ٤٠

ولمن انتصر بعد ظلمه -ممن ظلمه وبغى عليه- فهؤلاء ليس عليهم أي وسيلة إلى مؤاخذة أو تبعة. ٤١

إنما الوسيلة إلى المؤاخذة والتبعة على الذين يظلمون -معتدين على دماء أو أعراض أو أموال- الناس، ويبغون في الأرض بغير الحق -معتدين بالكفر واقتراف الآثام- هؤلاء لهم عذاب أليم. ٤٢

ولمن صبر -على ظلم غيره له، مع قدرته على الانتقام- وغفر -لظالميه، إذا كانوا أهلا للمغفرة- إن ذلك -الصبر والغفران- لمن الأمور التي أوجبها الله، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم والهمم العالية. ٤٣

ومن يضلل الله فليس له من ولي يتولى أموره من بعده -سبحانه- ويرى الرائي الظالمين -يوم القيامة- لما عاينوا العذاب يسألون هل إلى مرد -إلى الدنيا ليتوبوا- من طريق أو وسيلة؟ ٤٤

ويراهم الرائي يعرضون على النار متواضعين متذللين، من الذل -ليس باختيارهم- ينظرون -مما هم فيه من ذل وخوف إليها- خلسة، وأكد الذين آمنوا أن الكاملين في الخسران -هم- الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة -فقد أوردوا أنفسهم المهالك وفاتهم النعيم الدائم بسبب كفرهم، وافترقوا عن أهل بيتهم أيما كان مصيرهم إلى الأبد- ألا إن الظالمين لأنفسهم بالكفر في عذاب دائم مستمر. **٤٥**

وما كان لهم أي أنصار أو أعوان ينصرونهم من دون الله -فطواغيتهم لن تنفعهم ولن تدفع عنهم شيئا من عذابه- ومن يضلل الله فلا طريق إلى هدايته ولا وسيلة تنجيه. **٤٦**

استجيبوا لربكم -ملبين دعوته، فآمنوا به وانقادوا لشرعه- من قبل أن يأتي يوم -القيامة- لا مرد له من الله -حتما آت أيها الناس- ما لكم من ملجإ يومئذ -إذ لا فرار- وما لكم من وسيلة لإنكار الآثام. **٤٧**

فائدة! بادروا إلى طاعة ربكم، فالله -إن شاء- حال بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يدرك ولا يعقل، فلا يتمكن من طاعته بعدها مهما حاول كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ﴿ إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء، ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك. ﴾ [مسلم **٢٦٥٤** ★ أحمد **٦٥٦٩**].

مَليكي صَرِّفِ القَلبَ الضعيفَ ... على الطاعاتِ، فالقَومُ استُطيروا

فإن أعرضوا منصرفين عنك وعن الاستجابة فما أرسلك الله أيها النبي الكريم عليهم حفيظا -من الآثام حتى لا تقع، ولا رقيبا تحصي أعمالهم- ليس عليك إلا البلاغ -لا الهداية، حتى يأتي أمر الله لاحقا بقتال أهل الشرك في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة **٥**]، وبقتال أهل الكتاب كما قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجِزية عن يد وهُم صاغرون. ﴾ [التوبة **٢٩**]- وإن الله إذا أذاق سبحانه الإنسان من الله رحمة -كالغنى والصحة والأمن والذرية ونحو ذلك- فرح بها -فرح البطر- وإن يصبهم أمر سيئ -من جدب أو قحط أو مرض ونحو ذلك- بسبب ما اقترفت أيديهم -من كفر وآثام- فإن الإنسان عظيم الكفران بنعم ربه لا يشكر ما سلف منها. **٤٨**

لله ملك السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، يخلق ما يشاء -كيفما شاء- يمنح من يشاء -من خلقه- إناثا -ويحرمه الذكور من الولد- ويمنح من يشاء الذكور: ويحرمه الإناث. **٤٩**

أو يقرن -لبعض خلقه- ذكورا -وبكثرة! إن شاء- وإناثا، ويجعل من يشاء عقيما -لا يولد له- إنه عليم لا يخفى عليه شيء، قدير لا يعجزه شيء. **٥٠**

وما صح لبشر أن يكلمه الله، إلا وحيا -بإلهام أو رؤيا منامية- أو من وراء حجاب -تكليما حقيقيا دون رؤيته سبحانه، كما قال تعالى ﴿ وكلَّم الله موسى تكليما ﴾ [النساء **١٦٤**]- أو يرسل رسولا -كالمَلَك جبريل عليه السلام- فيوحي بإذنه ومشيئته ما يشاء -سبحانه- إنه علي على الجميع بذاته وقدره وقهره، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٥١**

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُواْ
لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ
فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةُۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ
وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ
وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ
وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا
لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا
لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا
أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي
ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٧﴾
فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾
وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ
مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾

ومثلما أوحى إلى رسله أوحى الله إليك أيها النبي الكريم روحا بأمره سبحانه من عنده -قرآنا، ليحيي به من الكفر- ما كنت تدري ما الكتب -السماوية، قبل الوحي، فأنت لا تقرأ ولا تكتب كما قال تعالى ﴿ الذين يَتَّبِعون الرسول النبي الأمِّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الأعراف ١٥٧]، وهذا دليل أن القرآن وحي إلهي- ولا الإيمان -فمن أين لك بمعرفة كيفية عبادة الله، ولا سيما كيفية أداء الصلاة كما قال تعالى ﴿ وما كان الله لِيُضِيع إيمانكم ﴾ [البقرة ١٤٣]؟- ولكن جعل الله القرآن نورا يوفق ويرشد الله به من يشاء من عباده سبحانه -للإيمان- وإنك لترشد إلى طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إلى الله وجنته: فيوفق الله من يشاء له الهداية إلى قبول دعوة الإسلام. **٥٢**

طريق الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، إذ ترشد عباد الله إلى الإسلام عبر القرآن، ألا إلى الله -وحده دون سواه- ترجع الأمور: تقديرا وتدبيرا، ومصيرا في الآخرة. **٥٣**

★ سورة الزخرف ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. **١**

والكتاب -المنزل- الواضح ألفاظه ومعانيه المبين للحلال والحرام: يحلف الله بالقرآن. **٢**

إن الله جعل سبحانه كتابه قرآنا عربيا، رجاء أن تعقلوا -أيها العرب- فتؤمنوا به وتعملوا بما جاء فيه، ثم تبلغوه إلى غيركم فتفوزوا. **٣**

وإنه في أصل الكتاب -كما قال تعالى ﴿ بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ. ﴾ [البروج ٢١ ٢٢]- عند الله لعلي رفيع القدر، ذو حكمة: حاكم محكم مشتمل على الحكمة والأحكام. **٤**

أفيعرض الله عنكم -فيترك إنزال القرآن عليكم، بسبب- أن كنتم قوما مسرفين متجاوزين للحدود؟ كلا! بل رحمته بكم غلبت غضبه عليكم، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي. ﴾ [البخاري ٣١٩٤ ★ مسلم ٢٧٥١ ★ الترمذي ٣٥٤٣ ★ ابن ماجة ١٨٩ ★ أحمد ٧٥٠٠]. **٥**

وما أكثر ما أرسل الله من أنبياء في الأمم السابقة. **٦**

وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون: دأب أهل الكفر، فلا تحزن أيها النبي الكريم. **٧**

فأهلك الله -من عباده من هم- أشد من هؤلاء الكفار بطشا -وجبروتا، فإهلاك أهل الكفر والظلم لا يعجزه سبحانه- ومضى -في القرآن- مثل الأمم السابقة: كعاد وثمود وغيرهما، وكيف أهلكهم. **٨**

ولئن سألت أيها النبي الكريم المكذبين بك من خلق السماوات والأرض ليجيبن بأن خلقهن -الله- العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العليم الذي لا يخفى عليه شيء. **٩**

الذي جعل لكم -أيها الناس- الأرض ممهدة، وجعل لكم فيها طرقا، رجاء أن تهتدوا إلى مقاصدكم: هو خالق السماوات والأرض، وخالقكم، ليس يوجد خالق سواه، أفلا توحدونه وتخلصونه بالعبادة؟ **١٠**

والذي نزل من السماء مطرا بمقدار قد قدره، فبعث سبحانه به بلدة مجدبة -كأنما أحياها بعد موت، فأخرج فيها النبات- مثل ذلك الشق للأرض بالنبات -أيها الناس، من قبوركم للحساب- تخرجون. ١١
والذي خلق الأصناف كلها، وجعل لكم من السفن والأنعام -ولا سيما الإبل- ما تركبون. ١٢
لتستقروا على ظهور ما تركبون من سفن وأنعام، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استقررتم عليه، وتنزهوا الذي ذلل لكم هذا -سبحانه- وتقدسوه، وتذكروا أن ما كنتم -دون تذليله لكم- مطيقين. ١٣
وأنكم إلى ربكم -يقينا- عائدون: فادعوه سبحانه، خاصة في السفر والإياب كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال: ﴿ سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنَّا له مُقرِنين ﴾ ﴿ وإنا إلى ربنا لمُنقلِبون. ﴾ ، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون. ﴾
[مسلم ١٣٤٢ * أبو داود ٢٥٩٩ * الترمذي ٣٤٤٧ * أحمد ٦٣١١]. ١٤
وجعلوا له من عباده جزءا -فزعم المشركون أن الملائكة بنات الله كما قال تعالى ﴿ فاستفتهم ألربك البنات ﴾ [الصافات ١٤٩]- إن الإنسان لعظيم الكفران بنعم ربه لا يشكرها واضح كفرانه. ١٥
أم اتخذ مما يخلق -لنفسه، من ملائكته- بنات، واختار لكم الصفوة واختصكم بالبنين؟ ١٦
وإذا بشر أحد هؤلاء المشركين بمثل الذي ينسبه إلى الرحمن -بأن ولدت له بنت- ظل وجهه -الذي تغير من الغم- مسودا، وهو مكظوم مليء بالحزن يكتم حزنه. ١٧
أومن ينشأ في الحلي -لابسه منذ صغره، وكذلك يتربى: البنات- ينسب إلى الله؟ وهو عند الخصومة لا يقوى على إظهار الحجة، وعند النزاع والجدال والخلاف ليس بارعا في الإفصاح عن دليله؟ ١٨
فائدة! المرأة لم تخلق لشؤون الحكم ولا لأمور القضاء، إذ أنها في كثير من الأحيان تسبق عاطفتها عقلها، فلا تتمكن حينئذ من تمييز الحقوق.

وما خَلَقَ العليمُ لِشأنِ حُكمٍ ... نِساءً في الخِصامِ بِها قُصورُ

وجعلوا الملائكة الذين هم -من جملة- عباد الرحمن إناثا، أشهدوا خلقهم: فكان المشركون حاضرين حين خلق الله ملائكته؟! ستكتب شهادتهم -هذه- ويسألون: عن زعمهم هذا يوم القيامة. ١٩
وزعموا أن لو شاء الرحمن -ألا يعبدوا ما عبدوا من دونه، ومن جملتهم الملائكة- ما عبدوهم، ليس لديهم بذلك أي علم، إن هم إلا يكذبون ويتوهمون. ٢٠
أم أعطاهم الله كتابا من قبل القرآن -به دليل على أن الملائكة إناث، أو يبيح لهم عبادة غير الله- فهم به متمسكون بقوة جد فائقة: يحتجون به ولا يخرجون عما فيه قيد أنملة؟ ٢١
بل أقروا بأنهم وجدوا أسلافهم على ملة وطريقة، وأنهم على خطاهم -إلى ضلال- مهتدون. ٢٢

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ
ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ
ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم
بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى
ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ
شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا
وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾
۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ
إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي
بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾
وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ
مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ
لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ
يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم
بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوۡلَآ
أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾

ومثلما كذب هؤلاء ما أرسل الله من قبلك أيها النبي الكريم في قرية من نذير للعصاة بالعقاب إلا أكد منعموها الذين أبطرهم الترف أنهم وجدوا أسلافهم على ملة وطريقة، وأنهم على خطاهم -في ضلال- مقتدون: دأب أهل الكفر، فلا تحزن، ولا عذر لأشباههم ممن حكم بغير شرع الله اقتداء بسلفه. **٢٣**

سألهم -كل نذير من أرسل إليهم- أولو جئتكم بأهدى -إلى الحق- مما وجدتم عليه أسلافكم: من ملل وطرق كفرية، أتظلون على تقليدهم والاقتداء بهم؟ صرحوا بأنهم بما أرسل به نذر الله كافرون. **٢٤**

فانتقم الله منهم وعذب، فتأمل أيها النبي الكريم -كذلك أمتك- كيف كان مصير المكذبين بأنبيائهم من الأمم السابقة وما حل بهم من عقاب. **٢٥**

واذكر حين أخبر إبراهيم أباه وقومه أنه براء مما -من دون الله- يعبدون. **٢٦**

إلا -الله- الذي خلقه على غير مثال سابق -ليس متبرئا منه، ولا من عبادته- فإنه سيوفقه ويرشده إلى ما فيه صلاح دنياه وآخرته. **٢٧**

فائدة! البراءة من الكفر وأهله واجب متحتم، وهي من لوازم التوحيد.

بَراءتُنا مِنَ الكفَّارِ أصلٌ ... ومِنْ كُفرِ الأنامِ هُدًى ونورُ

وجعلها -ﷺ، كلمة التوحيد: لا إله إلا الله- كلمة باقية في ذريته من بعده -فوصى بنيه بالثبات على دين الإسلام كما قال تعالى ﴿ ووصى بها إبراهيمُ بَنِيه ويعقوبُ يا بَنِيَّ إنَّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون. ﴾ [البقرة ١٣٢]- رجاء أن يرجعوا: إلى الحق، فيتوب من كفر منهم. **٢٨**

بل متع الله هؤلاء -المكذبين به، ﷺ- وأسلافهم -كذلك متعهم بما أنعم عليهم زمنا طويلا، فاغتروا بذلك- حتى جاءهم الحق -دين، وكتاب- ورسول -قد عرفوا صدقه وأمانته- واضح. **٢٩**

ولما جاءهم الحق -دين، وكتاب- كانت إجابتهم أن هذا سحر، وصرحوا بأنهم به كافرون. **٣٠**

واقترحوا أن ينزل هذا القرآن على رجل من -إحدى- القريتين -مكة أو الطائف- عظيم: الجاه والثراء، متحججين بأن إنزاله على رجل فقد أباه قبل بلوغ الحلم هو من قبيل السحر وليس من عند الله. **٣١**

أهم يقسمون رحمة ربك -ونبوته وكتبه- أيها النبي الكريم: يعطون منها من يشاءون بحسب رغبتهم؟! الله قسم سبحانه بينهم أرزاقهم ونعم المعيشة في الحياة الدنيا، ورفع الله بعضهم فوق بعض -في القوة والحرية والخلق والعلم والفضل والرزق، وغير ذلك- مراتب، ليستخدم بعضهم بعضا -فيكون بعضهم سببا في رزق بعض- ورحمة ربك -بالمؤمنين كما قال تعالى ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ [الأحزاب ٤٣]، حيث وفقهم للإيمان وجعل إيمانهم سببا ينالون به رحمته، وبإيمانهم نجاهم مما أصاب أهل العناد والفسق والكفر من عذاب- خير مما يجمع طلاب الدنيا وأفضل. **٣٢**

ولولا أن يكون الناس أمة واحدة -مجتمعة على طلب الدنيا، مفضلة لها على الآخرة- لجعل سبحانه لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة، ومصاعد -كذلك من فضة- عليها يرتقون: لم يفعل ذلك رحمة منه سبحانه بعباده المؤمنين، لئلا يفتنوا فيتركوا العمل لآخرتهم، أو يكفروا بالكلية. **٣٣**

ولبيوتهم أبوابا وأسرة -كذلك من فضة- عليها يتكئون: أي فتنة كانت ستصيب طلاب الآخرة؟ ٣٤

ومزخرفا -بالذهب، مع الفضة- وليس كل ذلك إلا مما يتمتعون به في الحياة الدنيا -الفانية- والآخرة عند ربك أيها النبي الكريم للمتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه: إذ لا نصيب فيها لكافر. ٣٥

ومن ينظر في ذكر الرحمن -قرآنه سبحانه، ومعه سنة رسوله- نظرا ضعيفا أقرب لنظر الأعمى يهيئ الله له شيطانا، فهو له -في الدنيا- صاحب ملازم: يوسوس له على الدوام ليصرفه عن تحري الحق. ٣٦

وإنهم ليصدونهم عن الطريق القويم -التوحيد والإسلام- ويظنون -بسبب وسوستهم- أنهم -إلى الحق- مهتدون. ٣٧

حتى إذا جاء -الناظر في ذكر الله باستهتار، ومعه شيطانه الملازم، يوم القيامة إلى- الله تمنى لو بينه وبين شيطانه من البعد كما بين المشرق والمغرب، فبئس الصاحب الملازم. ٣٨

ولن ينفعكم اليوم حيث ظلمتم أنفسكم بالكفر أنكم في العذاب مشتركون: يقال لهم تبكيتا. ٣٩

أفأنت أيها النبي الكريم تسمع الصم -رغم أنهم لا يسمعون سماع وعي وفهم وانتفاع- أو ترشد العمي -وقد فقدوا البصر والبصيرة- ومن كان في ضلال واضح عن الحق، لا يعرف للرشاد سبيلا؟ فلا تحزن فالأمر كما قال تعالى ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكنَّ الله يهدي من يشاء ﴾ [القَصص ٥٦]. ٤٠

فإن يذهب الله بك -فيتوفاك- فإن الله منهم منتقم سبحانه معذب: وقد يأتيهم بعضه في الدنيا. ٤١

أو يرك الله الذي وعدهم سبحانه -من عذاب- فإن الله عليهم مقتدر سبحانه: له مطلق القدرة، متى شاء عذبهم، وقد فعل يوم بدر. ٤٢

فتمسك بقوة جد فائقة بالذي أوحي إليك -وإن كذب به الخلق- إنك على طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إلى الله وجنته: دين قويم بغير إفراط ولا تفريط. ٤٣

وإنه لذكر لك ولقومك -فشرف لكم أن أنزله سبحانه بلسانكم، كما جاء على لسان عثمان بن عفان ﵁ ﴿ إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ﴾ [البخاري ٣٥٠٦ * الترمذي ٣١٠٤]، فيه دينكم! وأحكامكم، وما تصيرون إليه من ثواب أو عقاب، به تتذكرون وتتعظون- وسوف تسألون: يوم القيامة عن الإيمان والعمل والحكم به، وإبلاغه للناس. ٤٤

واسأل -أمم- من أرسل الله من قبلك من رسله سبحانه، أجعل الله من دون الرحمن آلهة يعبدون؟ ٤٥

فائدة! توحيد الله متفق عليه بين جميع الرسالات السماوية، ومن ادعى غير ذلك فقد كفر كفرا أكبر.

وأجمَعَتِ الرسالاتُ ابتِداءً ... على توحيدِ ربِّي فَلتَسيروا

ولقد أرسل الله موسى بآياته سبحانه الدالة على صدقه ﵇ -وهي تسع كما قال تعالى ﴿ في تسع آيات إلى فرعون وقومه ﴾ [النمل ١٢]- إلى فرعون ورؤوسه الأعيان -من أهل ملكه، وبقية القوم فمن عداهم تبع لهم- فأخبرهم أنه رسول رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. ٤٦

فلما جاءهم بآيات الله الدالة على صدقه ﵇ إذا هم -فجأة- منها يضحكون. ٤٧

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا
فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا
نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم
بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ
قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن
تَحْتِىٓ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ
مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ
فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا
ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا
إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ
هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ
إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾
وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

وما يريهم الله من آية -من التسع- إلا هي أكبر من قرينتها التي سبقتها -وأعظم قدرا، لأنها تزيد الحق وضوحا- وأخذهم الله بالعذاب، رجاء أن يرجعوا: إلى الحق. **٤٨**

وسألوا من ظنوا أنه ساحر -موسى ﷺ حاشاه لما عاينوا ما أتاهم به، وكانوا يعظمون السحرة- أن يدعو لهم ربه بما أخبرهم عن عهده إليه -أنه رافع عذابه إن آمنوا- إنهم -إن رفع العذاب- لمهتدون: كما قال تعالى ﴿ لئن كشفت عنا الرِّجز لنؤمننَّ لك ولنرسلنَّ معك بني إسرائيل ﴾ [الأعراف ١٣٤]. **٤٩**

فلما رفع الله عنهم العذاب إذا هم -فجأة- ينكثون: لم يوفوا بشيء مما وعدوا موسى ﷺ به، لا هم صدقوا نبوته، ولا هم أطلقوا معه بني إسرائيل. **٥٠**

ونادى فرعون في قومه -مثبتا إياهم، خشية أن يميلوا إلى موسى ﷺ- سألهم أليس له ملك مصر -بلا منازع- وهذه الأنهار -النيل وفروعه- تجري من تحت قصوره؟ أفلا يبصرون قوته وعظمة ملكه؟ **٥١**

أم هو خير وأفضل من هذا الذي هو ممتهن -التافه يعني موسى ﷺ- ولا يكاد يبين: كلامه؟ **٥٢**

فهلا ألقي عليه أسورة من ذهب -حلقات يحلى بها في يديه، إن كان موسى ﷺ رسولا من الله كما يزعم- أو جاء معه الملائكة مقترنين: متتابعين يشهدون على صدقه ويعينونه؟ **٥٣**

فدفع قومه إلى السفه فأطاعوه -فظلوا على الكفر- إنهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله. **٥٤**

فائدة! بسبب فسق الناس يهيئ الله لهم من يستجهلهم ويضلهم، فمن أراد إدراك الحق لا يتبع تافها.

بِفِسقِ الناسِ قيَّضَ ربُّ خَلْقٍ ... لهمْ سُفَهاءَ طاعتُهُم تُبيرُ

فلما أغضبوا الله -ولم يؤمنوا- انتقم سبحانه منهم وعذب، فأغرقهم الله أجمعين: ما نجا منهم فرد. **٥٥**

فجعلهم سبحانه -بسبب ما قدموا سالفا- سابقة وقدوة -لمن كفر مثلهم في استحقاق العذاب- ومثلا لمن يأتي بعدهم: وعبرة، وآية تظهر قدرة الله وتجري مجرى الأمثال. **٥٦**

وفرحوا بمثلهم: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ إن رسول الله ﷺ قال لقريش: يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد ألست تزعم أن عيسى كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا؟ فلئن كنت صادقا فإن آلهتهم لكما تقولون، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿ ولمَّا ضُرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يَصِدُّون. ﴾ قال: قلت: ما يصدون؟ قال: يضجون ﴾ [أحمد ٢٩١٨]. **٥٧**

وتساءلوا أآلهتهم خير وأفضل؟ أم عيسى ﷺ؟ ما ضربوه لك أيها النبي الكريم إلا جدالا ومدافعة بالقول -إذ زعموا أن مرادك أن يعبدوك كما عبد النصارى نبيهم- بل هم قوم يلتمسون الخصومة بالباطل. **٥٨**

ليس عيسى ﷺ إلا عبد -من جملة عباد الله- أنعم سبحانه عليه -بالنبوة والكتاب، وبما أكرمه به من معجزات- وجعله سبحانه مثلا لبني إسرائيل: وعبرة، وآية تظهر قدرة الله وتجري مجرى الأمثال. **٥٩**

ولو يشاء الله لجعل سبحانه -بدلا- منكم -يا بني آدم- ملائكة في الأرض يخلفون: بعد أن يهلككم القدير، فيعبدوه سبحانه لا يشركوا به شيئا، فهم عباده، وليس سكنهم السماء مبررا ليعبدهم أحد. **٦٠**

وإنه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ قال: هو خروج عيسى ابن مريم ﵇ قبل يوم القيامة ﴾ [أحمد ٢٩١٨]، فلا تشكن بوقوعها، واتبعوه ﷺ -فيما جاء به- هذا -الذي يدعوكم إليه- طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إلى الله وجنته. ٦١
ولا يصدنكم الشيطان -فتنصرفوا بسبب وسوسته عن اتباع النبي ﷺ فيما جاء به- إنه لكم عدو ظاهر العداوة لا يريد إلا الوصول بكم إلى عذاب الله. ٦٢
ولما جاء عيسى بالأدلة الجلية البينة على صدقه ذكر بني إسرائيل أن قد جاءهم بالعلم الشرعي وفوائده وحكمه، والسداد في القول والإصابة في العمل -ليعلمهم ذلك- وليبين لهم بعض الذي يختلفون فيه -من أمور دينهم- من ثم أمرهم فليتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويطيعوه ﵇. ٦٣
إن الله -وحده دون سواه- هو ربه ورب بني إسرائيل -الذي خلقه وخلقهم ورزقه ورزقهم وأعطاه الإنجيل وجعله نبيا، أقر عيسى ابن مريم ﵇ بذلك- من ثم أمر بني إسرائيل فليعبدوا الله وحده لا شريك له، هذا -الإخلاص لله بعبادته دون سواه- طريق مستقيم واضح غير المعوج موصل إلى الله وجنته. ٦٤
فاختلف الأحزاب من بينهم -فالبعض آمن، ومن زعم أن عيسى ﵇ الإله أو ابنه ونحو ذلك كفر، وبه كذب اليهود- فشدة الحسرة والهلاك للذين ظلموا أنفسهم بالكفر من عذاب يوم أليم: القيامة. ٦٥
هل ينتظرون إلا الساعة أن تأتيهم -وتقوم القيامة، فهذا كائن لا محالة- على غرة دون مقدمات، وهم لا يشعرون بذلك ولا يترقبونه؟ ٦٦
الأصفياء خالصو المحبة -في الدنيا- يوم القيامة بعضهم لبعض أعداء -إذ تعاونوا على الإثم والعدوان، فكان ذلك من أسباب عذابهم، فصاروا أعداء- إلا المتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه: هؤلاء تعاونوا على البر والتقوى، فكان ذلك من أسباب نجاتهم، فظلوا أصفياء خالصي المحبة. ٦٧
يا عباد الله -المتقين- لا خوف عليكم اليوم -في الآخرة- ولا أنتم تحزنون: على ما من الدنيا فاتكم ولا على من في النار ممن أحببتم. ٦٨
الذين آمنوا بآياته سبحانه -المنزلة والكونية والعقلية- وكانوا مسلمين -لله- منقادين. ٦٩
ادخلوا الجنة أنتم وأشباهكم -وكذلك أزواجكم في الدنيا من أهل الصلاح كما قال تعالى ﴿ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذُرِّيَّاتهم ﴾ [الرعد ٢٣]- تسرون: سرورا دائما. ٧٠
يطاف عليهم بقصاع طعام واسعة عريضة من ذهب، وأكواب -فيأكلون ويشربون ما يطلبون ويتمنون- وفيها ما تشتهيه الأنفس وتتلذذ برؤيته الأعين، وأنتم -يا أهلها- فيها خالدون لا تخرجون منها. ٧١
وتلك الجنة -هنيئا- التي أورثتم منازلها بسبب ما كنتم تعملون مما وفقكم الله له لتكونوا أهلا لرحمته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لن يدخل أحدا عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا ﴾ [البخاري ٥٦٧٣ * مسلم ٢٨١٦ * أحمد ٩٨٣١]. لكم فيها فاكهة كثيرة متعددة منها تأكلون. ٧٢ ٧٣

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾
وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾
إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾
فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍۖ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُۖ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ
فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدۡ
جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرًا
فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ
ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ
ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ
إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٥﴾
وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن
شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ
لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾

إن المجرمين مستحقي العقاب في عذاب جهنم خالدون. **٧٤**

لا يخفف عنهم فيصير فاترا، وهم فيه ساكتون محزونون يائسون لا يتوقعون خيرا. **٧٥**

وليس ظلما منه سبحانه -عذابهم- ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم بالكفر واقتراف الآثام. **٧٦**

ونادى أهل النار مالكا -المَلَك خازن النار كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ورأيت مالكا خازن النار ﴾ [البخاري ٣٢٣٩ * مسلم ١٦٥]- ليسأل ربه أن يقضي عليهم -بالموت فيرتاحوا- أكد -بعد زمن طويل- أنهم -في العذاب الدائم- ماكثون. **٧٧**

لقد جاءهم الله بالحق، ولكن أكثرهم للحق -ومن ثم للدين القويم- كارهون: فليسوا يريدون إلا البقاء على ما هم عليه من ظنون لا أصل لها وليسوا يتحرون صوابا كما قال تعالى ﴿ وإن تُطع أكثر من في الأرض يُضلوك عن سبيل الله إن يَتَّبعون إلا الظنَّ وإن هم إلا يَخرصون. ﴾ [الأنعام ١١٦]. **٧٨**

أم أبرموا أمرا: فأحكموا تدبيرهم متآمرين على النبي ﷺ؟ فإن الله مبرم سبحانه: ما سيبطل تآمرهم. **٧٩**

أم يظنون أن الله لا يسمع سبحانه سرهم -وإن كتم- وتناجيهم: فيما بينهم؟ بلى -يسمعه!- ورسل الله -الحفظة من الملائكة- عندهم يكتبون: ما يصدر عنهم من أقوال وأعمال، ليجازوا في الآخرة. **٨٠**

أكد أيها النبي الكريم أن -يستحيل أن يكون له ولد كما قال تعالى ﴿ ما كان لله أن يَتَّخذ من ولد ﴾ [مريم ٣٥]، بل- إن كان للرحمن ولد -حاشاه، وثبت ذلك- فأنت -ستكون له- أول العابدين. **٨١**

تنزه رب السماوات والأرض وتقدس رب العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- عما يصفونه به. **٨٢**

فاتركهم أيها النبي الكريم يتناولوا -الباطل- ويلعبوا، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون: به، القيامة أو أمره بقتالهم في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]. **٨٣**

وهو -الله- الذي في السماء إله وفي الأرض إله -المعبود بحق، يعبد في السماء وفي الأرض ويضرع إليه أهلهما- وهو الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه، العليم بحال عباده وبما يستحقه كل منهم. **٨٤**

وكثر خير ونفع -الله- الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما: خلقا وملكا وتدبيرا، وعنده -وحده دون سواه- علم الساعة -فقد استأثر بعلم وقت قيام القيامة وتفاصيل ما يحدث فيها- وتعاظم واستحق الثناء، وإليه وحده ترجعون -أيها الخلق- في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء. **٨٥**

ولا يملك الذين يدعون ويعبدون من دونه -سبحانه- الشفاعة، إلا من شهد -ممن اتخذوهم آلهة بغير طلب منهم ولا رغبة ولا رضا، كعزير وعيسى عليه السلام والملائكة- بالحق -ألا إله إلا الله- وهم يعلمون: أن لكلمة التوحيد مقتضيات ولوازم ونواقض، وأن شفاعتهم لا تنبغي إلا لموحد لم يأت بناقض إيمان. **٨٦**

ولئن سألت أيها النبي الكريم المشركين من خلقهم ليجيبن -هو- الله، فكيف يقلبون: عن الحق؟ **٨٧**

وشكواه إلى ربه أن هؤلاء -المشركين- قوم -به، ﷺ- لا يؤمنون: علم ذلك كذلك عند ربه. **٨٨**

فاصفح عنهم، وادفع بكلام فيه سلامة تامة من الإثم والجهل -إلى نسخ الصفح في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]- فسوف يعلمون عاقبة صنيعهم. **٨٩**

★ سورة الدخان ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. ١

والكتاب -المنزل- الواضح ألفاظه ومعانيه المبين للحلال والحرام: يحلف الله بالقرآن. ٢

إن الله أنزل سبحانه القرآن في ليلة كثيرة النفع والخير -عظيم قدرها، بدأ فيها نزوله عليه ﷺ- إن الله كان سبحانه منذرا العصاة بالعقاب. ٣

فيها -ليلة القدر- يفصل ويميز كل أمر حكيم: محكم حكم الله وقوعه خلال السنة المقبلة. ٤

أمرا من عند الله -بتفصيله وتمييزه، ونسخه من اللوح المحفوظ- إن الله كان سبحانه مرسلا: رسلا. ٥

رحمة من ربك أيها النبي الكريم -رسله، خاصة كما قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين. ﴾ [الأنبياء ١٠٧]- إنه هو السميع لكافة ما يقول عباده، العليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ٦

رب السماوات والأرض وما بينهما -الخالق المالك المدبر- إن كنتم موقنين بذلك فصدقوا رسوله. ٧

لا معبود بحق سواه، يحيي الخلائق ويميتها، ربكم -الخالق الرازق، وحده دون سواه- ورب آبائكم وأسلافكم. ٨

بل هم في شك -لا تطمئن قلوبهم لكلام ربهم، في دنياهم غارقين في الباطل- يلعبون. ٩

فترصد أيها النبي الكريم يوم تأتي السماء بدخان واضح. يغمر ويغطي الناس، هذا عذاب أليم. ربنا ارفع عنا العذاب -يدعون- إنهم -إن فعل- مؤمنون: به وحده لا شريك له. كيف لهم التذكر -ما جاء من ربهم- وقد جاءهم رسول -قد عرفوا صدقه وأمانته- واضح؟ ثم أعرضوا متنحين عنه -لم يصدقوا ما جاء به- وزعموا أنه -حاشاه- معلم -يعلمه غيره- مجنون؟ إن الله رافع سبحانه العذاب قليلا -من الزمن- إنهم -إلى شركهم وعنادهم- عائدون: لن يوفوا بوعدهم. يوم -بدر- يبطش الله البطشة الكبرى -معاقبا- إن الله منتقم سبحانه معذب: وقد أتاهم بعضه في الدنيا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ إن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدبارا قال: اللهم سبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة حصت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع، فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد، إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم، قال الله تعالى: ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين. ﴾ إلى قوله ﴿ إنكم عائدون. يوم نبطش البطشة الكبرى ﴾ ، فالبطشة يوم بدر، وقد مضت الدخان، والبطشة، واللزام، وآية الروم. ﴾ [البخاري ١٠٠٧ ★ مسلم ٢٧٩٨ ★ الترمذي ٣٢٥٤ ★ أحمد ٣٦١٣]. ١٠ ~ ١٦

ولقد فتن الله قبلهم قوم فرعون -مختبرا- وجاءهم -موسى عليه السلام- رسول كريم. ١٧

طالبهم أن يسلموا إليه عباد الله -بني إسرائيل كما قال تعالى ﴿ فأرسل معيَ بني إسرائيل ﴾ [الأعراف ١٠٥]- مضيفا أنه لهم رسول -من الله- أمين: فيما يبلغ عن ربه، لا يغير مما أوحي إليه شيئا. ١٨

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ
إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا
مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ
وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ﴿٩﴾
فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ
هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾
أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ
عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ
عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾
۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾
أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٨﴾

وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٩ وَإِنِّي عُذۡتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ٢٠ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ٢١
فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ٢٢ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ٢٣ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤ كَمۡ
تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦ وَنَعۡمَةٖ
كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨ فَمَا
بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ٢٩ وَلَقَدۡ
نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ٣٠ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ
كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى
ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٢ وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ٣٣
إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ٣٤ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ
بِمُنشَرِينَ ٣٥ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٦ أَهُمۡ
خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ
مُجۡرِمِينَ ٣٧ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨
مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٩

وألا يتكبروا على الله، مؤكدا أنه آتيهم ببرهان واضح الدلالة: يدل على صدقه ﷺ. **١٩**
واستعاذ بربه وربهم -لما بلغه ما يراد به، ﷺ- أن يرجموه: سبا، أو بالحجارة. **٢٠**
ونصحهم إن لم يطمئنوا له ويصدقوا نبوته فليعتزلوه: لا يتعرضوا له بأذى. **٢١**
فدعا ربه -لما أبوا أن يصدقوه أو أن يتركوه وشأنه- أن هؤلاء قوم مجرمون مستحقون للعقاب. **٢٢**
فأسر بعبادي ليلا -سائرين، أوحي إلى موسى ﷺ- إنكم متبعون: من قبل فرعون وجنوده سيلاحقونكم ليردوكم. واترك البحر ساكنا -فلا تأمره بالرجوع كما كان بعد أن تضربه بعصاك لتفتح طريقا كما قال تعالى ﴿ فاضرب لهم طريقا في البحر يَبَسًا ﴾ [طه ٧٧]- إنهم جند مغرقون: قدر الله غرقهم. **٢٣ ٢٤**
ما أكثر ما ترك فرعون وجنوده من بساتين مديدة الظل وعيون ماء جارية! ومزروعات ومساكن ومجالس كريمة حسنة. وحياة ناعمة كانوا فيها -متنعمين، بما هم فيه في أرض مصر- معجبين. **٢٥ ~ ٢٧**
مثل ذلك الترك تركوا تلك النعم التي كانوا فيها في أرض مصر، وأورث الله نعما مماثلة لها قوما آخرين: بني إسرائيل كما قال تعالى ﴿ كذلك وأورثناها بني إسرائيل. ﴾ [الشعراء ٥٩]، في أرض الشام. **٢٨**
فما بكت عليهم السماء والأرض -فلم يكونوا أهل توحيد وعمل صالح- وما كانوا ممهَلين: ليتوبوا. **٢٩**
فائدة! يجوز الدعاء على الكافر المحارب، فلا ترفعوا من وضع الله فلم يأذن لسماء ولا لأرض بنعيهم!
وما بَكَتِ السماءُ ولا الأراضي ... على مَنْ لمْ يُجِبْ وقَضى يَجورُ
ولقد نجى الله بني إسرائيل من العذاب المهين المذل: وكان عذابهم كما قال تعالى ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ [البقرة ٤٩]. **٣٠**
من فرعون، إنه كان متعاليا طاغيا، من المسرفين متجاوزي الحدود. **٣١**
ولقد اختارهم الله على علم -منه بأنهم مستحقون للاختيار- على أهل زمانهم. **٣٢**
وأعطاهم سبحانه من الآيات -المعجزات، كشق البحر وهلاك عدوهم- ما فيه بلاء واضح: فالاختبار يكون بالخير كما يكون بالشر كما قال تعالى ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء ٣٥]. **٣٣**
إن هؤلاء -المنكرين للبعث: مشركي قريش- ليزعمون. **٣٤**
ليس موت إلا موتتهم الأولى -في الدنيا، زعموا أنها النهاية- وما هم -من موتهم- بمبعوثين أحياء. **٣٥**
فأتوا بأسلافنا -إلينا أحياء- إن كنتم صادقين في دعوى أن بعد الموت بعث: يجادلون. **٣٦**
أمنكرو البعث هؤلاء خير -في القوة والمنعة- وأفضل أم قوم تُبَّع -قيل قوم تُبَّع الحِميَري، قهروا الناس- والذين من قبلهم -من الأمم المتجبرة، إذ- أهلكهم الله؟ إنهم كانوا مجرمين مستحقين للعقاب. **٣٧**
وما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما لاعبا سبحانه: ليس عبثا، بل دليل على قدرة مطلقة. **٣٨**
ما خلقهما سبحانه إلا بالحق: ليس لعبا، بل سيجازي كل نفس مكلفة بما قد كان منها كما قال تعالى ﴿ وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ [الجاثية ٢٢]، ولكن أكثرهم لا يعلمون الخالق سبحانه وقدرته، ولا أن بعثهم بعد موتهم للحساب والجزاء عليه يسير. **٣٩**

إن يوم الفصل -يفصل الله بعدله ويقضي بين العباد- موعدهم -ومكان اجتماعهم- أجمعين. ٤٠
يوم -القيامة- لا ينفع قريب قريبه ولا يغني عنه -من الله وعذابه- شيئا، ولا ينصرهم أحد. ٤١
إلا من رحم الله -فيأذن سبحانه لمن هم من أهل الشفاعة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ﴾ [البخاري ٧٤٣٩ ★ مسلم ١٨٣ ★ أحمد ١١٨٩٨] أن يشفعوا لمن ارتضى له الله الشفاعة من أهل التوحيد لا أهل الشرك كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]- إنه هو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، العظيم الرحمة بالمؤمنين. ٤٢
إن شجرة الزقوم: كما قال تعالى ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم. ﴾ [الصافات ٦٤]. ٤٣
طعام الكثير الإثم: في النار. ٤٤
كالحديد المذاب أو كعكر الزيت المغلي -طعام كثيري الإثم- يغلي في بطون آكليه. ٤٥
كغلي الحر المتناهي شدته. ٤٦
خذوا كثير الإثم فجروه بعنف إلى وسط الجحيم: يأمر الله الملائكة. ٤٧
ثم صبوا فوق رأسه -ليذوق- من عذاب الحر المتناهي شدته. ٤٨
ذق! إنك أنت العزيز الكريم: يقال له تهكما وتوبيخا وتقريعا. ٤٩
إن هذا -العذاب هو- ما كنتم به -يا أهل الآثام، في الدنيا- تشكون. ٥٠
إن المتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه في مساكن ومجالس آمنة من كل مكروه. ٥١
في جنات -بساتين مديدة الظل- وفيها عيون ليس ينضب ما فيها من شراب. ٥٢
يلبسون من حرير رقيق وحرير غليظ -يجلسون ينظر بعضهم إلى وجوه بعض- متقابلين. ٥٣
مثل ذلك الإكرام أكرمهم، وقرنهم الله بحور عين: شديدات الحسن والبياض حسناوات العيون. ٥٤
يطلبون فيها ما يتمنون من كل فاكهة -يشتهونها، من مضارها ومن انقطاعها- آمنين. ٥٥
لا يذوقون فيها الموت، إلا الموتة الأولى -التي في الدنيا قد ذاقوها، لا موت بعدها- ووقاهم -فدفع عنهم، سبحانه- عذاب الجحيم. ٥٦
فضلا من ربك -فعله أيها المؤمن- ذلك -الثواب- هو الفوز والفلاح العظيم الذي لا يعادله شيء. ٥٧
فإنما يسر سبحانه القرآن -فنزل سهلا- بلسانك -العربي- أيها النبي الكريم، رجاء أن يتذكروا ما أمر به وما نهى عنه، فلا يتجاوزوا الحدود. ٥٨
فائدة! تيسير الألفاظ أدعى للتذكر والاتعاظ، ولاجتذاب شرائح ما كانت لتسمع أو تفهم لولا التيسير.

وإنَّ اللهَ يَسَّرَهُ كتابًا ... فيُسرٌ في خِطابِكَ قَدْ يُنيرُ

فترصد -نصرا عليهم ثم عذابا أبديا لمن ماتوا كفارا- إنهم مترصدون: ما قدر الله لهم فلا فكاك منه، وأن يحل بك شر كما قال تعالى ﴿ أم يقولون شاعر نَتربَّص به رَيب المَنون. ﴾ [الطور ٣٠]. ٥٩

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى
مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾
كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾
إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ
مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ
وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا
ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن
رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ
يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ
فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٥﴾
تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ
يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا
شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ
وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن
رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ
وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

★ سورة الجاثية ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. ١

تنزيل الكتاب من الله العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٢

إن في السماوات والأرض لآيات دالة على كمال قدرة الخالق للمؤمنين. ٣

وفي خلقكم -أيها الناس، على أطوار مختلفة- وما ينتشر من كائنات تدب -خلقها سبحانه لتحيا في أرجاء كونه- آيات لقوم يوقنون بالحق حين يظهر لهم، لا يتشككون ولا يعاندون ولا يتعنتون. ٤

وتعاقب الليل والنهار، وما أنزل الله من السماء من مطر ليكون سببا للرزق، فأحيا به الأرض -بأن أخرج النبات- بعد موتها وجفافها، وتغيير اتجاه الرياح وقوتها وحرارتها آيات لمن لهم عقول يعملونها فيفهموا بها. ٥

تلك آيات الله -تتضمن أدلة على كمال قدرته- يقرأها سبحانه عليك أيها النبي الكريم بالحق -صادقة لا ريب فيها أو شك- فبأي حديث بعد الله وآياته -التي أنزلها عليك لتحدث به الناس- يؤمنون؟ ٦

شدة الحسرة والهلاك لكل بشع الكذب كثير الإثم: ومن جملتهم الكهنة والسحرة. ٧

يسمع آيات الله -المنزلة- تقرأ عليه، ثم يصر -على كفره وضلاله- مستكبرا -غير ملتفت لآيات الله- كأن لم يسمعها، فبشره أيها النبي الكريم بعذاب أليم ينتظره: إذ أعرض ما استجاب للحق. ٨

وإذا علم من آيات الله شيئا -قد وصل إليه- اتخذها محل استهزاء، هؤلاء لهم عذاب مهين مذل. ٩

من وراء هؤلاء المستهزئين بآياته سبحانه -بعد الموت والبعث- جهنم، ولا ينفعهم ما كسبوا -من قوة وأموال وأولاد- ولا يغني عنهم -من الله وعذابه- شيئا، ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء -يعبدونهم معه أو طواغيت يناصرونهم رجاء منفعة أو دفع عذابه- ولهم -في الآخرة- عذاب عظيم. ١٠

هذا -القرآن- هداية من الضلال -للناس أجمعين كما قال تعالى ﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ [البقرة ١٨٥]- والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من الأشد والأكثر استحقاقا وإيلاما. ١١

الله الذي ذلل لكم -أيها الناس- المياه لتجوبها السفن بأمره -وقدرته- ولتلتمسوا من فضله -بالصيد والغوص والتجارة وغير ذلك، ولتنتفعوا بالتنقل- ورجاء أن تشكروه على نعمه ورحمته بكم. ١٢

وذلل لكم ما في السماوات -لتنتفعوا بالذي فيها كما قال تعالى ﴿ وسخَّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مُسخَّرات بأمره ﴾ [النحل ١٢]- وما في الأرض -قد خلقه من أجلكم، إما للانتفاع والاستمتاع أو للاعتبار كما قال تعالى ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ﴾ [البقرة ٢٩]- جميعا منه -سبحانه، جميع تلك النعم جعلها لكم، تفضلا عليكم وإحسانا- إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الخالق ليتفكر فيها أناس فيعتبروا، فينتفعوا بها وينفعوا. ١٣

مر أيها النبي الكريم الذين آمنوا أن يغفروا للذين لا يتوقعون أيام الله -التي سينعم فيها وأقواما يعذب، كيوم بدر الذي هو آت، وأهل الكفر لا يتوقعون ما سيصيبهم فيه: فليتجاوز الذين آمنوا عن إساءاتهم، حتى يأتي أمره بقتالهم في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]- ليجزي -سبحانه- قوما -من المؤمنين الصابرين على الأذى، المقاتلين من يعتدي عليهم حال القدرة، ومن المعتدين- بسبب ما كانوا يكسبون من عمل. **١٤**

من عمل -تصديقا لإيمانه- صالحا فالنفع له، ومن أساء فالضرر عليه، ثم -يا عباد الله- إلى ربكم وحده ترجعون في الآخرة ليجازيكم أتم الجزاء. **١٥**

ولقد أعطى الله بني إسرائيل الكتب والحكم -والحكمة والعلم- والنبوة، ورزقهم الله من طيبات المآكل وغيرها، وأعطاهم سبحانه زيادة على أهل زمانهم. **١٦**

وأعطاهم الله أدلة جلية بينة من الأمر -لتتبع- فما اختلفوا -فغدوا أحزابا- إلا من بعد ما علموا -يقينا- من كتبهم أن عليهم اتباعه ﷺ كما قال تعالى ﴿ الذين يَتَّبعون الرسول النبي الأمِّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الأعراف ١٥٧]، ظلما بينهم وحسدا وحرصا على الدنيا، إن ربك أيها النبي الكريم يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه -من الدين- يختلفون: فيجازيهم. **١٧**

ثم جعلك الله على شريعة من الأمر -ناسخة مهيمنة- فاتبعها، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون: الحق، ومن جملته أن اتباع غير شريعة الإسلام والقضاء والحكم والعمل بغيرها كفر أكبر مخرج من الملة. **١٨**

إنهم لن ينفعوك ولن يغنوا عنك من الله شيئا -إن اتبعت أهواءهم، حاشاك- وإن الظالمين لأنفسهم بالكفر بعضهم أولياء بعض -في النصرة والمعونة، فلا ينصرهم مؤمن ولا يعينهم، كفارا أصليين كانوا أو مرتدين أو منافقين- والله ولي المتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه وناصرهم. **١٩**

فائدة! اتباع مناهج مخالفة للشريعة -"علمانية" أو "ليبرالية" أو "شيوعية" أو "مدنية" أو غير ذلك- هو اتباع للأهواء وليس بحثا عن بدائل عصرية كما يزعم الجهلة، وهو كفر مخرج من ملة الإسلام.

مَناهِجُهُم هيَ الكُفرُ البَواحُ ... بشَرعِ اللهِ نُحكِمُ، أو نَثورُ

هذا -القرآن، والشريعة الإسلامية- بينة ساطعة للناس، وهداية من الضلال ورحمة لقوم يوقنون بالحق حين يظهر لهم، لا يتشككون ولا يعاندون ولا يتعنتون. **٢٠**

أم ظن الذين اكتسبوا بجوارحهم السيئات -من كفر أو اقتراف آثام- أن يجعلهم سبحانه كالذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة سواء محياهم ومماتهم: أيسوي الله بينهم في الصفات وفي الجزاء؟! سيئ ما يحكمون. **٢١**

وخلق الله السماوات والأرض بالحق: ليس لعبا كما قال تعالى ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين. ﴾ [الدخان ٣٨]، ولتجزى كل نفس بجزاء ما كسبت من عمل -فخلقهما ثم أفاض على عباده من نعمه التي ذللها لهم فيهما، ثم يحاسبهم- وهم -عنده- لا يظلمون. **٢٢**

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ
قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ
فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ
يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾
ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾
هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾
أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ
وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ
إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ
عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ
يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾
وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ
مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا
مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا
قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾

أفرأيت أيها النبي الكريم وتأملت من اتخذ إلهه هواه: فالتزمه، أو جعله مصدر تشريع؟ وأضله الله على علم -من الله بأنه أهل لذلك ومن الضال بأنه آثم- وختم على سمعه -فليس يسمع سماع وعي وفهم وانتفاع- وقلبه -فأغلقه فبات لا يدخله إيمان ولا يعي خيرا- وجعل على بصره غطاء يغلفه -فهو ليس يتبع الحق رغم أنه باد- فمن -يستطيع أن- يهديه من بعد -إضلال- الله: كما قال تعالى ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ [القَصص ٥٦]؟ أفلا تذكرون: فتتعظوا، فتدركوا عباد الله مغبة اتباع الهوى؟! **٢٣**

وزعموا أن لا حياة إلا حياتهم الدنيا يموت الأحياء ويولد غيرهم، وما يهلكهم إلا الدهر -مرور العمر، لذلك سبوا الدهر- وليس لديهم بذلك أي علم، إن هم إلا يظنون: توهما، فيتبعون باطلا لا يقوم مقام العلم كما قال تعالى ﴿ وما يَتَّبع أكثرهم إلا ظنًّا إنَّ الظنَّ لا يُغني من الحق شيئا ﴾ [يونس ٣٦]. **٢٤**

وإذا تقرأ عليهم آيات الله -المنزلة- مبينة للحق ما كان حجتهم -إذ لا حجة لهم- إلا أن جادلوا الذين آمنوا بالبعث أن يأتوا بأسلافهم -إليهم أحياء- إن كانوا صادقين في دعوى أن بعد الموت بعث. **٢٥**

أجبهم أيها النبي الكريم بأن الله يحييهم -بأن أوجدهم من عدم- ثم يميتهم -بعد استيفاء آجالهم- ثم يجمعهم -أولهم وآخرهم بعد بعثهم أحياء ليجازي كلا بما قدم، في مقام واحد- إلى يوم القيامة لا ريب فيه -فليحذروا مصير الكافرين الجهلة- ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله. **٢٦**

ولله ملك السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، ويوم -القيامة إذ- تقوم الساعة يومئذ يخسر المتبعون باطلا. **٢٧**

ويرى الرائي كل أمة خاضعة باركة على الركب -فيجتمع كل أهل ديانة منتظرين حسابهم- كل أمة تدعى إلى كتابها -المنزل عليها: هل عملت بما فيه؟ وكل فرد يدعى إلى كتاب عمله كما قال تعالى ﴿ يوم ندعو كل أُناس بإمامهم ﴾ [الإسراء ٧١]- اليوم تجزون ما كنتم تعملون من خير وشر. **٢٨**

هذا كتاب الله -صحائف أعمالكم أيها الناس، فيها كل صغيرة وكبيرة- يشهد عليكم بالحق كما قال تعالى ﴿ لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ [الكهف ٤٩]، إن الله كان سبحانه يأمر -الحفظة من الملائكة- بكتابة نسخة مما كنتم تعملون. **٢٩**

فأما الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة فيدخلهم ربهم -بفضله- في رحمته، ذلك -الثواب، وهو النجاة من عذاب الله يوم القيامة- هو الفوز الواضح كما قال تعالى ﴿ من يُصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين. ﴾ [الأنعام ١٦]. **٣٠**

وأما الذين كفروا -فيسألهم ربهم موبخا مقرعا، وهو أعلم بحال خلقه- أفلم تكن آيات الله -المنزلة في قرآنه- تقرأ عليكم، فاستكبرتم -إذ كذبتم بها- وكنتم قوما مجرمين مستحقين للعقاب؟ **٣١**

وإذا جرى إخباركم أن وعد الله -البعث والحساب ثم الجنة أو النار- حق صادق واقع والساعة لا ريب فيها -تأتيهم القيامة، حتما- كانت إجابتكم أن لا تدرون ما الساعة؟ ليس تظنون إلا ظنا -ضعيفا أنها آتية، ليس علما يقينيا- وما أنتم -بإتيانها- بمستيقنين: بل يساوركم شك في ذلك؟ **٣٢**

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا
وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾
فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾
وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الأَحْقَافِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن
لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾

وبدا لهم جزاء ما عملوا من عمل سيئ، ونزل بهم وأحاط ما كانوا به -من عذاب- يستهزئون. **٣٣**
وجرى إخبارهم أن اليوم يتركهم سبحانه منسيين -في ناره لا يأبه بهم- كما نسوا لقاء يوم قيامتهم هذا -فتركوا العمل لآخرتهم- ومستقرهم النار، وليس لهم من ينصرهم ويدفع عنهم عذابه سبحانه. **٣٤**
ذلك -المذكور من عذاب- بسبب أنهم تجرأوا على آياته سبحانه -المنزلة والكونية والعقلية- واتخذوها محل استهزاء، وغرتهم الحياة الدنيا -بزينتها فانخدعوا بها وبإمهال الله إياهم- فاليوم لا يخرجون منها -بل هم في النار خالدون- ولا هم يردون إلى الدنيا ليعملوا ما يرضي الله. **٣٥**
فلله كامل الثناء -إنه- رب السماوات ورب الأرض -لا رب سواه سبحانه، الخالق المالك المدبر- رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء: أن فصل بين المؤمنين والكافرين، فجازى كلا بما قدم. **٣٦**
وله الكبرياء -الملك والعز والسلطان، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعزة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما ألقه في النار. ﴾ [مسلم ٢٦٢٠ ★ أبو داود ٤٠٩٠ ★ ابن ماجة ٤١٧٤ ★ أحمد ٧٣٨٢]- في السماوات والأرض، وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٣٧**

★ سورة الأحقاف ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]. **١**
تنزيل الكتاب من الله العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٢**
ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق: ليس لعبا، بل سيجازي كل نفس مكلفة بما قد كان منها كما قال تعالى ﴿ وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ [الجاثية ٢٢]، وأجل مسبق -ضربه الله في الأزل، ليبدلهما يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسماوات ﴾ [إبراهيم ٤٨]- والذين كفروا -ومن جملتهم من لا يبالون بدين الله والحكم بما أنزل- عما أنذروا -به في الكتاب والسنة، لفرط جهلهم وغبائهم- معرضون منصرفون. **٣**
سلهم أيها النبي الكريم أن يخبروك: ما يدعون ويعبدون من دون الله، يرونك ماذا خلقوا من الأرض: يستطيعون؟ أم لهم -مع الله- مشاركة في السماوات: بخلق أو ملك أو حكم أو تدبير؟ تحداهم أن يأتوك بكتاب -منزل من الله- من قبل هذا -القرآن- أو بقية من علم يؤثر -بسنده إلى أحد أنبياء الله- إن كانوا صادقين في زعمهم أن لله سبحانه شريك. **٤**
ومن أضل -وأجهل- ممن يدعو من دون الله ويعبد من لا يستجيب له -ولا لدعائه، من آلهة أشركها بالله يسألها حاجته، أوثانا كانت أو قبورا أو شياطين، أو طواغيت لا تعمل بشرع الله ولا به تحكم، أو غير ذلك، أبدا ما دامت الدنيا- إلى يوم القيامة؟ وهم عن دعائهم غافلون: غير منتبهين، إما لكونهم جمادات أو موتى، أو لأنهم ليسوا يأبهون بأتباعهم. **٥**

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ
لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ
وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ
فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا
ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

وإذا جمع الناس -يوم القيامة- كانوا لهم أعداء، وكانوا بعبادتهم كافرين: إذ يكفر بعض الكفار ببعض، وينكرون ما كانوا عليه كما قال تعالى ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنَّا مشركين. ﴾ [الأنعام ٢٣]، بل وتكفر معبوداتهم بما صنعوا كما قال تعالى ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنَّا ندعو من دونك فألقَوا إليهم القول إنكم لكاذبون. ﴾ [النحل ٨٦]. ٦

وإذا تقرأ عليهم آيات الله -المنزلة- مبينة للحق كانت إجابة الذين كفروا للحق -الإسلام- لما جاءهم أن هذا -القرآن ونظمه المعجز- سحر واضح. ٧

أم يزعم الكفار أن محمدا ﷺ افترى القرآن -حاشاه- لم يوح إليه؟ أكد أيها النبي الكريم أن إن افتريته فلا يملكون دفع ما أراد الله لك، هو أعلم بما يندفعون فيه -من طعن في قرآنه- كفى به شاهدا بينك وبينهم على صدقك، وهو الواسع والدائم المغفرة، العظيم الرحمة بالتائبين: أفلا يتوبون فيؤمنوا؟ ٨

أخبرهم أن لست بأول الرسل -بل أرسل الله قبلك رجالا إلى أقوامهم- ولا تدري ما يفعل -في الدنيا- بك ولا بهم: أينجحون في حبسك أو قتلك أو نفيك من مكة كما قال تعالى ﴿ وإذ يَمكر بك الذين كفروا ليُثبِتوك أو يقتلوك أو يُخرجوك ﴾ [الأنفال ٣٠]؟ أم ترى يهلكهم الله؟ الله أعلم! إن تتبع إلا ما يوحى إليك -ليس إلا- وما أنت إلا نذير واضح للعصاة بالعقاب. ٩

سلهم أن يخبروك: إن كان -القرآن- من عند الله وكفرتم به -فكذبتم: كيف يصير حالكم؟- وأدلى شاهد من -علماء- بني إسرائيل -عبد الله بن سلام ﷺ- برأيه على مثله -القرآن من عند الله، إذ جاء بمثل ما في التوراة من توحيد الله وبعثة محمد ﷺ- فآمن -ﷺ- واستكبرتم -عن الإيمان: من أضل وأجهل منكم حينئذ؟- إن الله لا يوفق ولا يرشد القوم الظالمين لأنفسهم بالإصرار على الكفر. ١٠

وأخبر الذين كفروا -مجادلين- الذين آمنوا أن لو كان -ما جاء به محمد، ﷺ- خيرا -مما هم عليه- وأفضل ما سبقوهم -الذين آمنوا- إليه -إذ أنهم سادة متبوعين، وجل المؤمنين من الضعفاء- وحيث لم يهتدوا به -اتباعا لأهوائهم- فسيزعمون أن هذا -القرآن- كذب بشع قديم: أباطيل أمم سابقة. ١١

ومن قبل هذا القرآن كتاب موسى -التوراة بما فيها من توحيد الله وبعثة محمد ﷺ، جعله الله- إماما -يقتدى به- ورحمة -لأهله من الحكم بالأهواء- وهذا -القرآن- كتاب مصدق وموافق -لما أنزل قبله، نزله سبحانه- لسانا عربيا -على نبي ذي لسان عربي- لينذر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر واقتراف الآثام بالعقاب، وبشرى للمحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق بما ينتظرهم من نعيم. ١٢

إن الذين أقروا بأن ربهم الله -لا شريك له- ثم استقاموا -على توحيده وطاعته- فلا خوف عليهم -في الآخرة- ولا هم يحزنون: على ما من الدنيا فاتهم ولا على من في النار ممن أحبوا. ١٣

هؤلاء ماكثون في الجنة، خالدين فيها -ينعمون- جزاء بسبب ما كانوا يعملون. ١٤

فائدة! العكوف على الشاشات ورؤية المحرمات ومتابعة الملهيات ليس من الاستقامة في شيء.

وهذا مُستقيمٌ لا يُبالي ... بشاشاتٍ يُتابِعُها الفَجورُ

وأمر سبحانه الإنسان بالبر بوالديه، إحسانا -إليهما بالأقوال والأفعال، إكراما وعطفا- حملته أمه -في بطنها- ملاقية مشقة وتعب، ووضعته ملاقية مشقة وتعب، وحمله وفطامه -مدتهما، معا- ثلاثون شهرا -الفطام في خلال عامين كما قال تعالى ﴿ وفِصاله في عامَين ﴾ [لقمان ١٤] فتكون أقل مدة حمل ستة أشهر- حتى إذا اكتمل عقله وقوته -ونضج- وبلغ أربعين سنة دعا ربه أن يرده إلى إلهام أن يشكر نعمته التي أنعم عليه وعلى والديه، وأن يعمل صالحا يرضاه -سبحانه، فيوفقه إلى عمل ما يتقبله منه- ويصلح له في ذريته -فيجعلها صالحة بارة، فذلك يعود عليه بالنفع في حياته وبعد مماته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له. ﴾ [مسلم ١٦٣١ * أبو داود ٢٨٨٠ * الترمذي ١٣٧٦ * النسائي ٣٦٥١ * ابن ماجة ٢٤٢ * أحمد ٨٨٤٤]- من ثم ذكر أنه تاب إليه -سبحانه، مما اقترف من آثام- وأنه من المسلمين -لله- المنقادين. ١٥

هؤلاء الذين يتقبل الله عنهم أحسن ما عملوا -كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ [النمل ٨٩ ۞ القَصص ٨٤]- ويتجاوز سبحانه عن سيئاتهم -هؤلاء- في عداد الماكثين في الجنة -هذا الثواب هو- وعد الصدق الذي كانوا -على ألسن أنبياء الله- يوعدون. ١٦

والذي -في ضجر- من والديه تأفف -مستنكرا مستبعدا- أيعدانه أن يخرج -من قبره للحساب- وقد مضت الأمم المتتالية من قبله: فما شهد بعث أحد مات منهم؟ وهما يستغيثان الله -داعيَين سبحانه أن يوفقه للإيمان، محذرَين إن استمر على الكفر- شدة الحسرة والهلاك له -آمران- آمن! إن وعد الله -البعث والحساب ثم الجنة أو النار- حق صادق واقع، فيزعم أن ما هذا إلا أباطيل الأمم السابقة. ١٧

هؤلاء الذين نفذ القضاء والقدر ووجب عليهم العذاب -كما قال تعالى ﴿ قال فالحقُّ والحقَّ أقول. لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين. ﴾ [ص ٨٤ ٨٥]، فهم- في جملة أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس -في النار- إنهم كانوا هلكى خاسرين. ١٨

فائدة! الشيطان يريد من الإنسان الإسراف في أموره كلها، فإن رآه مائلا إلى الرحمة زين له الرحمة، حتى يصير لا يبغض من أبغضه الله ورسوله، وإن رآه مائلا إلى الشدة زين له الشدة في غير ذات الله، حتى يترك من الإحسان والبر واللين ما أمر به الله ورسوله.

يُزيِّنُ ما تَميلُ إليهِ نَفسٌ ... لِتُسرِفَ في الضلالِ قَذًى غَرورُ

ولكل -من الجن والإنس- مراتب -متفاوتة، فمنها الرفيع ومنها الوضيع- بحسب أعمالهم، وليعطيهم -سبحانه- جزاء أعمالهم -خيرا كانت أو شرا، في الآخرة- وافيا، وهم -عند الله- لا يظلمون. ١٩

ويوم -القيامة- يعرض الذين كفروا على النار -يقرعون- أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا -ففعلتم ما اشتهيتم لم تأبهوا بحد- واستمتعتم بها -متجاوزين الحلال- فاليوم تجزون عذاب الإهانة والذل بسبب استكباركم في الأرض -عن توحيد ربها- بغير الحق، وبسبب فسقكم وخروجكم عن طاعة الله. ٢٠

وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ
كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ
أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ
إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ
عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ
ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِي قَالَ
لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن
قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ
مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ
فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ
خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا
يُظۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي
حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا
كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾

۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ
مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ
عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا
بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ
بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ
شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ
وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ
وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا
مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٧﴾
فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ
بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٨﴾

واذكر أيها النبي الكريم أخا عاد -في النسب: هودا عليه السلام- حين أنذر قومه -عاقبة كفرهم- بالأحقاف -منطقة بها رمال كثيرة باليمن اتخذوها ديارا- وقد مضت النذر من قبل هود عليه السلام ومن بعده -فأخبرهم عليه السلام أن جميع أنبياء الله دعوتهم واحدة، وهي- ألا يعبدوا إلا الله، من ثم أكد أنه يخاف عليهم -إن لم يطيعوه- عذاب يوم عظيم: القيامة، أو يوم فيه يهلكهم الله في الدنيا. **٢١**

سألوا -مخاطبين هودا عليه السلام، بعد أن عجزوا أمام الحق- أجاءهم ليقلبهم عن -عبادة- آلهتهم؟ من ثم تحدوه فليأتهم بما يعدهم -من عذاب إن لم يطيعوه- إن كان -فيما يدعي- من الصادقين. **٢٢**

أكد -عليه السلام- أنما العلم عند الله -فلم ينبأ متى عذابهم، كما قال تعالى ﴿ عالِم الغيب فلا يُظهِر على غيبه أحدا. إلا من ارتضى من رسول ﴾ [الجن ٢٦ ٢٧]- ويبلغهم ما أرسل به -كما هو، لا زيادة فيه ولا نقصان- ولكنه يراهم قوما يجهلون ذلك، ويجهلون ما فيه صالحهم. **٢٣**

فلما رأوه -العذاب- سحابا معترضا في الأفق متوجها نحو أوديتهم -التي يعيشون فيها- ظنوا أن هذا سحاب معترض مصيبهم بمطر، بل هو ما استعجلوا به: ريح فيها عذاب أليم. **٢٤**

فائدة! الدعاء المستحب إذا عصفت الريح هو كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ﴾ [مسلم ٨٩٩ ★ الترمذي ٣٤٤٩].

رِياحٌ خَيرَها سُئِلَ القديرُ ... ومِنْ شرٍّ يَعوذُ بِهِ الخُيُورُ

تدمر -الريح- كل شيء -تمر به، من أنفس وأموال- بأمر ربها -وقدرته- فأصبحوا لا يرى -من ديارهم بعد هلاك الأنفس والأموال- إلا مساكنهم -خاوية لا أحد فيها، شاهدة على ما حل بهم من إهلاك- مثل ذلك الإهلاك يجزي الله القوم المجرمين مستحقي العقاب. **٢٥**

ولقد أعطاهم الله سلطانا -قوة أبدان وطول أعمار وكثرة أموال وأولاد- في الذي ما أعطاكم الله سلطانا فيه -يا مشركي قريش، فقد كانوا أقوى منكم وأبقى وأغنى وأكثر- وجعل الله لهم سمعا وأبصارا وقلوبا، فما نفعهم سمعهم ولا أبصارهم ولا قلوبهم وما أغنى عنهم -من الله وعذابه- أي شيء -فما سمعوا رسولهم سماع وعي وفهم وانتفاع، وما أبصروا الحق رغم وضوحه، وما عقلوا وما دخل الإيمان قلوبهم وما وعت خيرا- حيث كانوا يجحدون بآيات الله -الكونية والعقلية، إذ أنهم أنكروا توحيده- ونزل بهم وأحاط ما كانوا به -من عذاب- يستهزئون. **٢٦**

ولقد أهلك الله ما حولكم من القرى -أتتعظون؟- ونوع الله الآيات، رجاء أن يرجعوا: إلى الحق. **٢٧**

فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا -يتقربون بعبادته إليه! كما قال تعالى ﴿ والذين اتَّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليُقَرِّبونا إلى الله زُلفى ﴾ [الزُّمَر ٣]، زاعمين أن قرابينهم تلك- آلهة؟ بل غابوا عنهم وخذلوهم، وذلك -الادعاء أن معبوداتهم ستشفع لهم عند الله وتقربهم إليه هو من جملة- كذبهم البشع وما كانوا يفترون: إذ خدعوا أنفسهم بما اختلقوا من أكاذيب حتى ظنوها حقيقة! **٢٨**

واذكر أيها النبي الكريم حين صرف الله -موجها- إليك عددا من الجن يستمعون القرآن، فلما حضروه تواصوا أن ينصتوا، فلما قضي -وفرغت من قراءته- تنحوا إلى قومهم منذرين بعقاب من سيكفر به. **٢٩**
أخبروا قومهم أنهم سمعوا كتابا -سماويا- أنزل من بعد -توراة- موسى -قيل كانوا من اليهود- مصدقا وموافقا لما أنزل قبله، يوفق ويرشد إلى الحق، وإلى طريق مستقيم غير معوج موصل إلى الله وجنته. **٣٠**
من ثم دعوا قومهم أن يجيبوا داعي الله -ﷺ- يغفر -سبحانه- لهم بعض ذنوبهم -إن فعلوا، ولا يغفر ما يتعلق بحقوق عباد الله، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم: إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه. ﴾ [البخاري ٢٤٤٩ * الترمذي ٢٤١٩ * أحمد ٩٦١٥]- ويغثهم من عذاب -أخروي- أليم. **٣١**

فائدة! للتوبة النصوح شروط ثلاثة إذا كان الذنب بين العبد وربه: الإقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم على عدم العودة إليه، فإن كان الذنب متعلقا بحق من حقوق العباد فيشترط شرط إضافي: أن يتحلله من صاحبه في الدنيا، بأن يرد إليه الحق أو يطلب منه العفو، وإذا كان الحق مما لا يستوفى -كالغيبة والنميمة والتقول على الناس ونحو ذلك- فيكتفى بالدعاء والاستغفار لمن له الحق وذكره بخير، أما إذا كانت التوبة مختصة بأهل العلم الذين يكتمون الحق عن الناس فتوبتهم مشروطة ببيان ما كتموا.

تَحَلَّلْ مِنْ حقوقٍ قَبلَ موتٍ ... وأقلِعْ عَنْ ذُنوبٍ يا ظَفِيرُ

ومن لا يجب داعي الله -ﷺ- فليس بفار من الله في الأرض -بل يدركه قدره وإن شاء عذبه- وليس له من دونه -سبحانه- أولياء -يواليهم رجاء منفعة أو دفع عذابه- هؤلاء في ضلال واضح عن الحق، لا يعرفون للرشاد سبيلا. **٣٢**
أولم يعلم منكرو البعث -يقينا- أن الله الذي خلق السماوات والأرض -وخلقهما أمر عظيم كما قال تعالى ﴿ لَخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ [غافر ٥٧]- ولم يعجز عن خلقهن ولا ضعف بقادر على أن يحيي الموتى: للحساب؟ بلى -هو قادر على ذلك- إن قدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك إحياء الموتى للحساب. **٣٣**
ويوم -القيامة- يعرض الذين كفروا على النار -يقرعون- أليس هذا -البعث الذي كنتم أنكرتم- بالحق الكائن؟ أقروا مقسمين بربهم أن بلى! أمر ربهم: فذوقوا العذاب بسبب كفركم. **٣٤**
فاصبر أيها النبي الكريم -على تكذيب الكفار لك- كما صبر أولو العزم -أصحاب الثبات والحزم- من الرسل -نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأنت معهم كما قال تعالى ﴿ وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ [الأحزاب ٧]- ولا تستعجل -عذاب الله- لهم، كأنهم يوم يرون ما يوعدون -به من عذاب- لم يمكثوا -في الدنيا وفي القبور- إلا قدر ساعة من نهار لا أكثر، بلاغ -من الله لعباده هو القرآن- فهل يهلك إلا القوم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله؟ **٣٥**

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ
فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ
بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ
وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ
بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾
وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ
أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾
وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ
بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾
فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل
لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً
مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ
عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ٣
فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا
مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ
مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ
أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧
وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ١٠
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١

★ سورة محمد ★

★ من أسمائها القتال، وهي مدنية ★

الذين كفروا وصدوا عن طريق الله -والإيمان بنبيه- أضل أعمالهم: كالصدقة ونحوها لا تقبل منهم. ١
والذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة، وآمنوا بما نزل على محمد -من قرآن وسنة
نسخا ما قبلهما من شرائع سماوية- وهو الحق لا يتطرق إليه باطل من ربهم ستر عنهم سيئاتهم وتجاوز
عنها، وأصلح شأنهم وحالهم: بصالحات وفقهم إليها عملوها مخلصي النية، فقادتهم إلى جنته. ٢
ذلك -الوعيد والوعد- بسبب أن الذين كفروا اتبعوا الباطل -فعصوا الله- وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من
ربهم -فأطاعوه- مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس أمثالهم: مبينا، ليتضح الحق من الباطل. ٣
فإذا قابلتم -أيها المؤمنون- الذين كفروا للقتال فضرب الرقاب -اقصدوه، لا تأخذكم بهم أي شفقة-
حتى إذا بالغتم في قتلهم فشدوهم في القيود أسرى كما قال تعالى ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى
حتى يُثخن في الأرض ﴾ [الأنفال ٦٧]، فإما منّا بعد -ذلك عليهم، فتطلقوا سراحهم دون مقابل-
وإما فداء -بمال أو بتبادل أسرى أو بغيره، وإما غير ذلك: يفعل الإمام ما يراه أصلح للمسلمين من قتل
أو استرقاق أو ضرب جزية مع ترك في الذمة- حتى يضع أهل الحرب الكفار سلاحهم -كما ورد عن
النبي ﷺ من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ ﴿ فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله
وحده، أو تؤدوا الجزية ﴾ [البخاري ٣١٥٩]: واصلوا قتالهم، افعلوا- ذلك، ولو يشاء الله لانتصر منهم
-فلأهلكهم دون تدخل منكم- ولكن -فرض عليكم قتالهم- ليبلوا -مختبرا- بعضكم ببعض، والذين
قتلوا في سبيل الله نصرة لدينه فلن يضل أعمالهم: بل يقبلها، لا يبطلها ولا ينقص من ثوابها شيئا. ٤
فائدة! الإثخان في الكفار ناجع في دفع شرهم، والعمليات الاستشهادية انغماس جائز إذا غلب على
الظن أن مردودها يؤثر في الجهاد، وليست بمثابة إلقاء بالنفس إلى التهلكة كما يزعم علماء السلطان.

ونَنغَمِسُ انغِماسًا في الأعادي ... بِقَولِ الجُهَّلِ انخَدَعَ الكثيرُ

سيوفقهم ويرشدهم -إلى ما فيه الخير والصواب- ويصلح شأنهم وحالهم: بأعمال تقودهم إلى جنته. ٥
ويدخلهم الجنة، عرفها لهم: مبينا منازلهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ
﴿ لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا ﴾ [البخاري ٢٤٤٠ ★ أحمد ١١٠٩٥]. ٦
يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا -دين- الله يؤيدكم بنصره ومعونته، ويثبت أقدامكم: وقلوبكم فتفوزوا. ٧
والذين كفروا فتعاسة لهم وشقاء وهلاك، وأضل أعمالهم: كالصدقة ونحوها لا تقبل منهم. ٨
ذلك -العقاب- بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله -من قرآن وسنة- فأفسد -الصالح من- أعمالهم. ٩
أفلم يتجول هؤلاء الكفار الكارهون لما أنزل الله في الأرض فيتأملوا كيف كان مصير الذين من قبلهم:
فيتعظوا؟! دمر الله عليهم -ديارهم- وللكافرين -في كل عصر ومصر- أمثال هذه العقوبة. ١٠
ذلك -العقاب- بسبب أن الله متولي أمور الذين آمنوا -فينصرهم- وأن الكافرين لا متول لأمورهم. ١١

إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة جنات تجري خلالها الأنهار، والذين كفروا يتمتعون -بمتع الدنيا الزائلة، لا هم لهم إلا شهواتها وملذاتها- ويأكلون كما تأكل الأنعام -من إبل وبقر وغنم- والنار منزل لهم: إذ لا خروج لهم من العذاب في الآخرة. ١٢

وكم من قرية هي أشد قوة من قريتك -مكة- التي أخرجتك أيها النبي الكريم أهلكها سبحانه -بتدمير أهلها- فلا ناصر لهم يدفع عنهم عذابه. ١٣

أفمن كان على بينة من ربه -لا هوى وشك، ألا إله إلا هو، فعمل بمقتضى كلمة التوحيد- كمن زين له الشيطان والهوى عمله السيئ فاستحسنه، واتبع هو ومن على شاكلته أهواءهم: فماتوا كفارا؟ ١٤

صفة الجنة التي وعد المتقون الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه: فيها أنهار من ماء غير منتن ولا متغير -رائحة ولا طعما- وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة -طعمها- للشاربين -لونها كما قال تعالى ﴿ بيضاء لذة للشاربين. لا فيها غول ولا هم عنها يُنزفون. ﴾ [الصافات ٤٦ ٤٧] لا تغتال عقولهم ولا تصيبهم بمرض أو صداع أو قيء، ولا تسكرهم- وأنهار من عسل مصفى -من كل شائبة- ولهم فيها من جميع أنواع الثمار ومغفرة من ربهم -لهم ذلك كله، فهل هؤلاء- كمن هو -بلا أنيس- خالد في النار؟ وسقي هو ومن معه في العذاب ماء حرا متناه شدته، فقطع أمعاء بطونهم؟ ١٥

ومنهم من يستمع إليك أيها النبي الكريم -وهم أهل نفاق- حتى إذا خرجوا من عندك سألوا أهل العلم -ممن آمن بك، مستهزئين- ماذا تحدثت به قريبا؟ هؤلاء الذين طبع الله على قلوبهم -فأغلقها تماما فغدت لا يدخلها إيمان ولا تعي خيرا- واتبعوا أهواءهم: فاستمروا على النفاق والكفر. ١٦

والذين اهتدوا زادهم هداية -إيمانا ويقينا وطاعة، وعلما وبصيرة في الدين- وأعطاهم -سبحانه ثواب- تقواهم بامتثالهم أوامره واجتنابهم نواهيه: وأعانهم على ذلك حتى أدخلهم جنته. ١٧

فهل ينتظرون إلا الساعة أن تأتيهم -وتقوم القيامة، فهذا كائن لا محالة- على غرة دون مقدمات؟ فقد جاء علامتها -كالقمر حين انشق كما قال تعالى ﴿ اقتربت الساعة وانشقَّ القمر. ﴾ [القمر ١] بعد بعثته ﷺ- فكيف لهم إذا جاءتهم -وقد استوفوا آجالهم- تذكرهم: ولا ينفع اتعاظ ولا توبة الآن؟ ١٨

فاعلم أيها النبي الكريم -يقينا- أنه لا معبود بحق إلا الله -فالتوحيد علم، له مقتضيات ولوازم ونواقض، ليس مجرد كلمة تلقى! فتبرأ من الطاغوت وأوليائه، وليكن ولاؤك لأهل الإسلام، وأخلص النية والعمل، وعلى ذلك جميعه فاثبت- واطلب المغفرة لذنبك -لتتعلم أمتك، فتقتدي بك- وللمؤمنين والمؤمنات، والله يعلم متصرفكم -في الدنيا أيها الخلق، تصرفاتكم يعلمها جميعها، بل- ومنزلكم: في الآخرة. ١٩

فائدة! العلم قبل العمل، فهو مصحح للنية المصححة للعمل، ولكن لا خير في علم لا يصدقه عمل نافع ولا في أقوال لا تصدقها أفعال كما ورد عن النبي ﷺ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه ﴿ اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ﴾ [مسلم ٢٧٢٢ * النسائي ٥٥٣٨].

وَمَنْ يَعمَلْ بلا عِلمٍ يَضِلُّوا ... فلِلعَمَلِ اعلَموا لا تستديروا

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن
رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي
وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ
طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ
مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا
خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ
زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ
أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ
مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ
يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٠﴾
طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ
لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴿٢١﴾ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ
ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ
أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ
لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ
سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴿٢٦﴾
فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ
وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ
وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾ أَمۡ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴿٢٩﴾

ويتمنى الذين آمنوا لو تنزل سورة -تأمرهم بالجهاد- فإذا أنزلت سورة محكمة -واضحة الدلالة- وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم شك وشبهة ينظرون إليك -من الرعب- نظر الذي غمر وغطي عليه من الموت -قد ذهب عقله مما يعاني من سكراته- فأولى لهم وأحق: أن يطيعوا الله. **٢٠**

طاعة -الله- وكلام معروف -طيب يرضيه أولى لهم وأحق من عصيانه- فإذا وجب الأمر -ففرض القتال إذًا- فلو صدقوا الله -واستعانوا به آخذين بالأسباب- لكان خيرا لهم -من عصيانه- وأفضل. **٢١**

فما يكون حالهم إن أعرضوا متنحين -عن طاعته والقتال بعد أن فرضه عليهم، فعادوا كأيام الجاهلية- أن يفسدوا في الأرض -باقتراف الآثام، ولا سيما سفك الدماء- ويقطعوا -هجرا وظلما- أرحامهم؟ **٢٢**

هؤلاء الذين طردهم الله من رحمته، فأصمهم -عن سماع الوعي والفهم والانتفاع- وأعمى أبصارهم: عن رؤية الحق رغم وضوحه. **٢٣**

أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون القرآن: متأملين ما فيه من مواعظ وحجج، ليوقنوا أنه من عند الله ليس ريب في ذلك كما قال تعالى ﴿ أفلا يتدبَّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا. ﴾ [النساء ٨٢]؟ أم على قلوب -البعض- أقفالها: التي أغلقتها حتى لا يدخلها إيمان ولا تعي خيرا؟ **٢٤**

إن الذين ارتدوا مفارقين -طاعته وما أوجب عليهم من قتال- من بعد ما تبين لهم الهداية -إذ أيقنوا أن الله أمر بالقتال- الشيطان سول لهم -فأغراهم بالعصيان- ومد لهم في الأمل: بطول العمر، ومن جملته تخويفهم بأنصاره كما قال تعالى ﴿ إنما ذلكم الشيطان يُخوِّف أولياءه ﴾ [آل عمران ١٧٥]. **٢٥**

ذلك -العصيان- بسبب أنهم أخبروا -الكفار- الذين كرهوا ما نزل الله -من قرآن وسنة- أن سيطيعونهم في بعض الأمر -وهذا شرك طاعة كما قال تعالى ﴿ وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ [الأنعام ١٢١]، ومن جملة من تلبس به من يبررون اتخاذ شعارات الديموقراطية، زاعمين أنما يوجهون رسائل إلى النظام الدولي لتحصيل دعم، وأنهم سيحكمون بشرع الله، لكن حين ميسرة!- والله يعلم ما أسروا بينهم. **٢٦**

فائدة! كشف حاطب بن أبي بلتعة ﷺ سر النبي ﷺ -وهو في صفه: أرسل إلى كفار قريش يخبرهم أنه ﷺ سيغزوهم- ليكون له عندهم يد فلا يغيروا على أهله، وليس طاعة للكفار ولا مناصرة بمال ولا برأي ولا بجهد كما يفعل حكام أرضنا اليوم، بل تأول أن كتابه لن يضر النبي ﷺ لأن الله متم أمره.

وما خَذَلَ الصَّحابيُّ الرسولَ ... وقاسَ بِهِ الطَّواغِيتَ الحَميرُ

فكيف -يكون حال المنافقين- إذا توفتهم الملائكة -بأمره سبحانه- يضربون وجوههم وأدبارهم؟ **٢٧**

ذلك -العقاب- بسبب أنهم اتبعوا ما أسخط الله -بمباشرته، أو بالرضا به كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين أم سلمة ﷺ ﴿ إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع ﴾ [مسلم ١٨٥٤ ★ أبو داود ٤٧٦١ ★ الترمذي ٢٢٦٥ ★ أحمد ٢٦٥٧٧]- وكرهوا رضاه -فلم يفعلوا ما أمر به نبيه- فأفسد -الصالح من- أعمالهم. **٢٨**

أم ظن الذين في قلوبهم شك وشبهة أن لن يخرج الله أحقادهم: مظهرا كرههم للإيمان وأهله؟ **٢٩**

ولو يشاء الله -إعلامك بأعيان المنافقين- لأعلمكهم سبحانه، فلعرفتهم أيها النبي الكريم بعلاماتهم، ولتعرفنهم من أسلوب الكلام وفلتات الألسن، والله -أيها الخلق- يعلم أعمالكم، وسيجازيكم بها. ٣٠
وليبلونكم الله -مختبرا، بفرض الجهاد- حتى يظهر الله علمه بالمجاهدين منكم والصابرين على طاعته وأقداره -ومن جملتها شدائد الجهاد- ويبلو الله أخباركم: مختبرا أعمالكم، ليظهر المؤمن والمنافق. ٣١
إن الذين كفروا وصدوا عن طريق الله -والإيمان بنبيه- وخالفوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهداية -إذ أيقنوا أنه ﷺ رسول الله- لن يصيبوا -ملك- الله بأي ضرر، وسيفسد -الصالح من- أعمالهم. ٣٢
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول -في الظاهر والباطن- ولا تبطلوا أعمالكم: بالشرك والرياء، وغير ذلك من السيئات التي تذهب الحسنات. ٣٣
إن الذين كفروا وصدوا عن طريق الله -والإيمان بنبيه- ثم ماتوا وهم كفار -لم يتوبوا قبل موتهم- فلن يغفر الله لهم. ٣٤
فلا تفتروا -أيها المؤمنون وإن غلبوكم في بعض الأحيان، ولا تتثاقلوا عن جهاد أهل الكفر- وتدعوا إلى المسالمة -ابتداء منكم إذا كنتم في قوة- وأنتم الطائفة الأعلى -بمؤازرة الله لكم أنتم الغالبون بالحجة وبالسلاح، وآخر الأمر لكم- والله معكم بالعون والتأييد، ولن ينقصكم ثواب أعمالكم. ٣٥
فائدة! نهى الله المسلمين -إذا كانوا في قوة- عن طلب السلم مع الكفار، فإنهم وإن أظهروا المودة واللين فهم يطوون في نفوسهم المكر والخديعة والتربص بالمسلمين، ودوام المسالمة يدفع المسلمين إلى مخالطتهم واستقرار بعضهم بين الكفار، ثم شيئا فشيئا تذوب الفروق وقد يعجب بعض المسلمين بهم أو ببعض خصالهم وينسون كفرهم، فالواجب على المسلمين قتالهم -ليس "التعايش السلمي" معهم- حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية كما ورد عن النبي ﷺ من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ﴿ فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية ﴾ [البخاري ٣١٥٩].

مُسالَمَةُ الأعادي حالَ ضَعفٍ ... لإعدادِ المَغازي ثُمَّ سِيرا

إنما الحياة الدنيا -لمن لا يعمل طاعة لله- لعب ولهو -لا طائل منها- وإن تؤمنوا -أيها الخلق- وتتقوا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه يعطكم ثوابكم -كاملا تاما لا ينقص منه شيئا- ولا يسألكم أموالكم: إلا ما فرض عليكم كالزكوات الواجبة ونحوها يسألكم إياها. ٣٦
إن يسألكموها فيلح عليكم -آمرا بإنفاقها جميعها أو جلها- تبخلوا -حينئذ بها، فيأتكم منه العقاب- ويخرج أحقادكم: مظهرا ما في قلوبكم من كراهية الإنفاق نصرة لدينه. ٣٧
ها أنتم -يا- هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله نصرة لدينه، فمنكم من يبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه -مانعا إياها جزيل الثواب، ومعرضا دينه ونفسه وأهله وماله للخطر إن غلبكم أعداؤكم- والله الغني عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه، وأنتم الفقراء -المحتاجون إليه في أمور دينكم ودنياكم- وإن تعرضوا متنحين عن طاعته -تهلكوا إذًا- يستبدل قوما غيركم، ثم لا يكونوا -عصاة- أمثالكم. ٣٨

وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٠ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٥ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ٣٧ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨

سُورَةُ الفَتْحِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢
وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٤ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ
سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٥ وَيُعَذِّبَ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ
بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ
وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٧ إِنَّآ
أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩

★ سورة الفتح ★

★ مدنية ★

إن الله فتح سبحانه لك أيها النبي الكريم فتحا واضحا: بصلحك مع مشركي قريش في الحديبية، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك ﷺ ﴿ ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا. ﴾ قال: الحديبية، قال أصحابه: هنيئا مريئا، فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ ﴾ [البخاري ٤١٧٢ ★ مسلم ١٧٨٦ ★ أحمد ١٢٢٢٦]، حاكما سبحانه بإظهار دينك. ١

ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك -مما كان قبل بعثتك، ومن صغائر لا تحط من منزلة النبوة، فيجمع لك نعمتي الفتح والمغفرة- وما تأخر -بعد الفتح- ويتم نعمه عليك -بإظهار دينك- ويوفقك ويرشدك طريقا مستقيما واضحا غير معوج موصلا إليه وجنته: يثبتك عليه، فترشد إليه الخلق، وبهم تسلكه. ٢

وينصرك الله -على أعدائه وأعدائك- نصرا عزيزا: لا قدرة لأحد من الخلق على دفعه. ٣

هو -سبحانه- الذي أنزل السكون والطمأنينة في قلوب المؤمنين، ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم -فالإيمان يزيد وينقص، ثم يزدادوا ثباتا ويقينا- ولله جنود السماوات والأرض -فمخلوقاته تحت تدبيره وقهره، يؤيد من يشاء منهم بمن يشاء- وكان الله عليما لا يخفى عليه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٤

ليدخل المؤمنين والمؤمنات -وقد ازدادوا إيمانا، ثم ثباتا ويقينا- جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- ويستر عنهم سيئاتهم ويتجاوز عنها، وكان ذلك -الثواب- عند الله فوزا عظيما. ٥

ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات -في الدنيا بالقتل والجرح والأسر وسبي النساء والذراري وضياع الأموال، ثم في القبر ثم يوم القيامة- الظانين بالله ظن السوء -أن لن ينصر الله أهل الإيمان كما قال تعالى ﴿ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا ﴾ [الفتح ١٢]- عليهم دوران الزمان بالسوء والشر والهلاك -عائد ذلك جميعه عليهم- وغضب الله عليهم، وطردهم من رحمته، وأعد لهم جهنم، وساءت مصيرا: الأسوأ. ٦

ولله جنود السماوات والأرض -فمخلوقاته تحت تدبيره وقهره، يؤيد من يشاء منهم بمن يشاء- وكان الله عزيزا في قدرته لا يعجزه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٧

فائدة! مناصرة الكافرين على المسلمين من نواقض الإسلام، سواء كان حربهم علينا لأغراض دينية أو دنيوية، وحكام أرضنا المناصرون لهم لا سمع لهم ولا طاعة، ويجب بغضهم وعداوتهم والتبرؤ منهم.

مُناصَرَةٌ علينا أهلَ حُكمٍ ... هيَ الكُفرُ البَواحُ المُستثيرُ

إن الله أرسلك سبحانه أيها النبي الكريم شاهدا -على أمتك بأن بلغتهم ما أرسلك الله به، وعلى سائر الأمم بأن بلغهم أنبياؤهم ما أرسلهم الله به- ومبشرا للمطيعين بالثواب، ونذيرا للعصاة بالعقاب. ٨

لتؤمنوا بالله ورسوله -أيها الخلق، لذلك أرسله- وتعظموه -ﷺ- وتبجلوه -فتسودوه- وتنزهوه -سبحانه، وحده دون سواه- وتقدسوه في كل وقت ولا سيما أول النهار وآخره. ٩

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ
أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ
بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ
لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا
فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلْ
فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ
نَفْعًۢاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن
يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي
قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ
بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا
ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ
أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

إن الذين يبايعونك -بيعة الرضوان، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ﴿ قلت لسلمة: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت. ﴾ [البخاري ٤١٦٩ * مسلم ١٨٦٠ * الترمذي ١٥٩٢ * النسائي ٤١٥٩ * أحمد ١٦٥٣٣]- إنما يبايعون الله -كما قال تعالى ﴿ من يُطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء ٨٠]- يد الله فوق أيديهم -عند البيعة، وقوته فوق قوتهم، ونعمته عليهم بهدايتهم للإسلام فوق ما وفقهم إليه من طاعة عند البيعة، ويده في الثواب فوق أيديهم في الوفاء بالعهد- فمن نكث فإنما ينكث على نفسه -فالضرر لن يتعداه، ولن يصيب الله بأي ضرر- ومن التزم الوفاء بما عاهد عليه -مهما كان ثقيلا- الله -العظيم- فسيعطيه -سبحانه- ثوابا عظيما. ١٠
سيخبرك المتروكون -الذين تخلفوا عام الحديبية عن مصاحبته ﷺ لأداء العمرة- من الأعراب -أهل البادية- أن شغلتهم أموالهم وأهلوهم -فباتوا يرعونهم- سائلين فلتطلب المغفرة لهم، يسألون بألسنتهم -في تخاذل- ما ليس في قلوبهم -بل يضمرون ضده، فإنما يظهرون الإيمان ليعصموا دماءهم وأموالهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله. ﴾ [البخاري ٢٩٤٦ * مسلم ٢١ * أبو داود ٢٦٤٠ * الترمذي ٢٦٠٦ * النسائي ٣٩٧٢ * ابن ماجة ٣٩٢٧ * أحمد ٨١٦٣]- سلهم فمن يملك دفع ما أراد الله لهم إن أراد بهم ضررا أو أراد بهم نفعا؟ بل كان الله بجميع أعمالهم خبيرا، ما يظهرون منها وما يبطنون، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. ١١
بل ظنوا أن لن يعود الرسول والمؤمنون -سالمين- إلى أهليهم أبدا -لذلك تخلفوا، ليس انشغالا بالمال والأهل كما ادعوا- وزين الشيطان والهوى ذلك -الظن- في قلوبهم فاستحسنوه، وظنوا ظن السوء -أن لن ينصر الله أهل الإيمان- وكانوا -بسبب سوء ظنهم بالله- قوما هلكى فاسدين لا خير فيهم. ١٢
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإن الله أعد سبحانه للكافرين -في الآخرة- نارا مستعرة. ١٣
ولله ملك السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، يغفر لمن يشاء -من أهل الإيمان بفضله- ويعذب من يشاء -بعدله- وكان الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. ١٤
سيطلب المتروكون إذا انطلقتم -أيها المؤمنون- إلى مغانم -خيبر، وعدها الله أهل بيعة الرضوان كما قال تعالى ﴿ ومغانم كثيرة يأخذونها ﴾ [الفتح ١٩]- لتأخذوها أن تتركوهم يتبعوكم -ليشهدوا معكم الغزو- يريدون أن يبدلوا كلام الله -ليغيروا وعده- أخبرهم أيها النبي الكريم أن لن يتبعوكم، كذلك أمر الله من قبل -عودتكم من الحديبية- فسيتهمونكم: بل تحسدوننا -لا تريدون لهم أن يصيبوا معكم من الغنائم، مكذبين النبي ﷺ فيما يخبر به عن ربه- بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا: من دين الله كما قال تعالى ﴿ الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألَّا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾ [التوبة ٩٧]. ١٥
فائدة! سوء الظن بالله من أسباب الوقوع في النفاق والكفر، ويورث أخلاقا سيئة، كالجبن والبخل.
جَبانٌ بالقديرِ أساءَ ظَنًّا ... يُنافِقُ أو بَخيلٌ أو كَفورُ

قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ
تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ
وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٦﴾ لَّيۡسَ
عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٧﴾ * لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ
عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي
قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ
ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا
مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢٠﴾ وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢١﴾ وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾

أخبر المتروكين من الأعراب أن سيجري دعوتهم إلى قوم أهل شدة شديدة -في الحرب لا تؤخذ منهم جزية، لأنهم ارتدوا عن الإسلام- يقاتلونهم أو يسلمون، فإن يطيعوا يعطهم الله ثوابا حسنا -الغنيمة في الدنيا، والجنة في الآخرة- وإن يعرضوا متنحين عن التلبية كما أعرضوا متنحين من قبل -حين أساءوا الظن به سبحانه عام الحديبية، يهلكوا إذًا- يعذبهم عذابا أليما: لنفاقهم وسوء ظنهم به سبحانه. **١٦**

فائدة! المرتد همل، لا يقر على ردته ولا يهادن ولا يتفاوض معه، ولا يعامل إلا لدعوته أو حال إكراه.

تَفاوَضَ أهلُ جَهلٍ عَنْ شُعوبٍ ... معَ المُرتَدِّ، فانحَرَفَ المَسيرُ

ليس على الأعمى مشقة ولا ضيق ولا على الأعرج مشقة ولا ضيق ولا على المريض مشقة ولا ضيق -إن تركوا ما لا يمكنهم القيام به، كالجهاد بالنفس، فالأمر كما قال تعالى ﴿ لا يُكلِّف الله نفسا إلا وسعها ﴾ [البقرة ٢٨٦]- ومن يطع الله ورسوله -في الظاهر والباطن- يدخله -سبحانه- جنات تجري خلالها الأنهار، ومن يعرض متنحيا عن طاعتهما يعذبه عذابا أليما. **١٧**

لقد رضي الله عن المؤمنين -بما قدموا- إذ يبايعونك أيها النبي الكريم -بيعة الرضوان، في الحديبية- تحت الشجرة، فأظهر علمه بما في قلوبهم -من صدق وإخلاص، رغم شدة بيعة كهذه على النفس- فأنزل السكون والطمأنينة عليهم، وجزاهم فتحا قريبا: فتح خيبر. **١٨**

ومغانم كثيرة يأخذونها -غنائم خيبر جزاهم سبحانه بها، لهم دون غيرهم- وكان الله عزيزا في قدرته لا يعجزه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. **١٩**

وعدكم الله -أيها المؤمنون- مغانم كثيرة تأخذونها -وعدا ساريا، إن أنتم جاهدتم نصرة لدينه، أما حين تتخاذلون فلا يكون إلا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم. ﴾ [أبو داود ٣٤٦٢ * أحمد ٤٨٢٥]- فعجل لكم هذه -الغنائم في خيبر- وكف أيدي الناس -مشركي قريش يوم الحديبية، ومن أراد أن ينصر اليهود يوم خيبر- عنكم -فكفاكم شرهم- ولتكون آية للمؤمنين -وعبرة إلى آخر الزمان، ليوقنوا بصدق وعد الله- ويوفقكم ويرشدكم طريقا مستقيما واضحا غير معوج موصلا إليه وجنته: يثبتكم عليه، فلا تحيدوا عنه ولا تتبعوا البدع أو الأهواء أو الشهوات. **٢٠**

وأخرى لم تقدروا -آنذاك- على إحرازها قد أحاط الله -علما وقدرة- بها -فتح مكة، ثم غزو الفرس والروم، غنائم علم أنها ستصير لكم وحبسها لكم بقدرته- وكانت قدرة الله مطلقة لا يعجزه شيء. **٢١**

ولو قاتلكم الذين كفروا -مشركو قريش يوم الحديبية، ومن أراد أن ينصر اليهود يوم خيبر- لولوا الظهور فارين -منكم- ثم لا يجدون وليا يواليهم فيجلب لهم الخير، ولا نصيرا ينصرهم فيدفع عنهم الشر. **٢٢**

سنة الله التي قد مضت من قبل -أن ينصر المؤمنين على أعدائهم إن هم نصروا دينه كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويُثبِّت أقدامكم. ﴾ [محمد ٧]- وما أجرى الله به العادة لن يمكن تبديله: لن يستثنيكم الله. **٢٣**

وهو الذي كف أيديهم عنكم -فكفاكم شرهم، أيها المؤمنون- وأيديكم عنهم ببطن مكة، من بعد أن أظفركم عليهم -فمكنكم منهم، إذ أسرتموهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك ﷺ ﴿ أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلما فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾ ﴾ [مسلم ١٨٠٨ * أبو داود ٢٦٨٨ * الترمذي ٣٢٦٤ * أحمد ١٢٢٥٤]- وكان الله بما تعملون بصيرا، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. **٢٤**

هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام، والهدي مقاما -مكانه محبوسا- أن يبلغ موضع ذبحه -الحرم المكي كاملا، إذ صدوا النبي ﷺ ومن معه عام الحديبية عن بلوغه لأداء العمرة- ولولا رجال مؤمنين ونساء مؤمنات -من أهل مكة، يكتمون إيمانهم- لم تعلموهم -أنهم مؤمنون- أن تطئوهم -فمع الكفار تقتلوهم- فتصيبكم من جراء قتلهم مشقة وعار وكفارة -عليكم أداؤها- بغير علم -منكم، لأذن في فتح مكة عنوة، ولكن لم يأذن- ليدخل الله -بفضله- في رحمته من يشاء -ممن لم تعلموا أنهم مؤمنون، ومن المشركين الذين أسلموا بعدها دون قتال- لو تفرقوا وتميزوا -المؤمنون عن غيرهم- لعذب الله الذين كفروا منهم عذابا أليما: بالقتل والجرح والأسر وسبي النساء والذراري وضياع الأموال. **٢٥**

حيث جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية -وأنفتها التي لا تمت للحق بصلة، فأنفوا أن يدخل المؤمنون مكة، ولو معتمرين- فأنزل الله سكونا وطمأنينة من عنده على رسوله -ثقة بالنصر- وعلى المؤمنين -ثباتا وشجاعة، بغير أنفة، بل أذهب ما أصابهم من غيظ كما ورد عن النبي ﷺ من حديث سهل بن حنيف ﷺ ﴿ فجاء عمر فقال: ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع، ولما يحكم الله بيننا؟ فقال: يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا، فرجع متغيظا ﴾ [البخاري ٤٨٤٤ * مسلم ١٧٨٥ * أحمد ١٥٩٧٥]- وألزمهم كلمة التقوى -كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، فالتزموها وقاموا بحقها على أتم وجه، وأطاعوا أمر الله- وكانوا أحق بها وأولى، وأهلها -المستأهلين لها، وقد بايعوا النبي ﷺ على الموت حين سألهم البيعة- وكان الله بكل شيء عليما، بالنيات وبالأفعال. **٢٦**

لقد صدق الله رسوله الرؤيا -التي رآها في منامه، صدقا متلبسا- بالحق: لتدخلن المسجد الحرام -لم يحدد الرسول ﷺ في أي عام، أيها المؤمنون- إن شاء الله -تحقيقا، فلا يكون شيء دون مشيئة الله- آمنين -من أعدائكم- محلقين رؤوسكم -إيذانا بنهاية العمرة- ومقصرين -والحلق أفضل للرجال من تقصير الشعر، وليس على النساء حلق- لا تخافون -غدر غادر- فعلم -سبحانه، من المصالح- ما لم تعلموا، فجعل من دون ذلك -الدخول للعمرة- فتحا قريبا: صلح الحديبية، ثم فتح خيبر. **٢٧**

هو الذي أرسل رسوله بالهداية -فيرشد الخلق إلى ما فيه صلاحهم- ودين الحق -عقائد وشعائر وشرائع الإسلام- ليظهره -فيعلو- على سائر الأديان الأخرى، وكفى بالله شاهدا على صدق رسالته ﷺ. **٢٨**

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ
بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾
هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ
مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ
بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ
وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾
لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ
ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ
تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ
فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي
ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ
عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ
أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ
لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ
ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤

محمد رسول الله، والذين -آمنوا- معه أشداء على الكفار -غلاظ- رحماء بينهم -متعاطفون، ببعضهم البعض رفقاء- يراهم الرائي ركعا سجدا -يصلون- يلتمسون فضلا من الله ورضا، علاماتهم -ظاهرة- في وجوههم من أثر السجود -وقار وخشوع- ذلك -النعت- صفتهم -ثابتة لهم- في التوراة، وصفتهم في الإنجيل كزرع أخرج نباته صغيرا، فقواه وأعانه وشده، فغلظ، فاستوى على سيقانه، يعجب الزراع -قوته وحسن مظهره، كما كان الصحابة ﷺ حول النبي ﷺ قلة مستضعفة فأعانوه، وأيده الله بنصره وبهم كما قال تعالى ﴿ هو الذي أيَّدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ [الأنفال ٦٢] حتى صارت الثلة المسلمة قوية متماسكة تثير إعجابا- ليغيظ -سبحانه- بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة منهم -وممن اتبعهم بإحسان إلى يوم القيامة: اتباعا تاما- مغفرة وثوابا عظيما. ٢٩

فائدة! ورد عن النبي ﷺ من حديث المقدام بن معديكرب ﷺ ﴿ إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه. ﴾ [أبو داود ٥١٢٤ ★ الترمذي ٢٣٩٢ ★ أحمد ١٧١٧١].

إذا أحبَبتَ مِنْ إخوانِ دِينٍ ... فأعلِمهُ المَحبَّةَ، ذاكَ نورُ

فائدة! صلح الحديبية ليس دليلا على جواز التنازل للكفار كما يتأول البعض، فالنبي ﷺ لم يخذل الشريعة ولم يترك واجبا ولم يفعل محرما، بل بايع الصحابة ﷺ -وهم كما قال تعالى ﴿ أشِدَّاء على الكفار ﴾ [الفتح ٢٩]- على قتال الكفار لما أشيع أنهم قتلوا عثمان بن عفان ﷺ رسوله ﷺ إليهم.

حُدَيبيةُ الرسولِ زَعَمتُموها ... تَنازُلَ مُصلِحٍ! أبِكُم ضُمورُ؟!

فائدة! الدعوات التي يراد لها البقاء لابد في بداياتها من تمسك أصحابها بها وثباتهم عليها مع تقديم تضحيات، وألا يسمح بالمصانعة وحلول الوسط -بمبررات المصالح والمفاسد- قبل اشتداد العود.

ثَباتٌ! لا مُصانَعَةٌ لِباغٍ ... أبعدُ اشتَدَّ عُودُكَ؟ أم تَجورُ؟

★ سورة الحُجُرات ★

★ مدنية ★

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله -بقول أو فعل، فلا تعجلوا وتقطعوا أمرا دون الرجوع إلى الكتاب والسنة- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله سميع لكافة ما يقول عباده، عليم بنياتهم وبأفعالهم، وسيجازيهم بها. ١

يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي -عند مخاطبته أو الكلام في حضرته- ولا تعلنوا له بالقول كإعلان بعضكم لبعض -بل وقروه ﷺ ولا تنادوه "يا أبا القاسم" ولا "يا محمد"، بل نادوه "يا رسول الله" أو "يا نبي الله"- خشية أن تفسد أعمالكم، وأنتم لا تشعرون بذلك ولا تترقبونه. ٢

إن الذين يكفون أصواتهم -خافضين إياها- عند رسول الله -إجلالا له- هؤلاء الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى -حتى صارت خالصة له، فامتثلوا أوامره جميعها واجتنبوا نواهيه- لهم مغفرة وثواب عظيم. ٣

إن الذين ينادونك أيها النبي الكريم من وراء حجرات نسائك أكثرهم لا يعقلون: لعدم إجلالهم لك. ٤

ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم وأفضل -من إزعاجك والنداء عليك من وراء حجرات نسائك- والله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. ٥

يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق خارج عن طاعة الله بخبر فتبينوا -فمما يخبركم به تثبتوا- خشية أن تصيبوا قوما -بريئين- بجهالة -منكم بحالهم- فتصبحوا على ما فعلتم -إذا تبين خطؤكم- نادمين. ٦

واعلموا أن فيكم رسول الله -فأخبروه بكامل الحقيقة ولا تتسرعوا في العمل بناء على ما جاء من أخبار قبل التثبت منها- لو يطيعكم في كثير من الأمر -ومما تقترحون عليه من آراء متسرعة- لأصابكم العناء والإثم، ولكن الله حبب إليكم الإيمان -لئلا تخالفوا رسوله- وزينه في قلوبكم فاستحسنتم طاعة الله، وكره إليكم الكفر والخروج عن الطاعة والعصيان، هؤلاء هم الراشدون الثابتون على طريق الحق. ٧

فضلا من الله ونعمة -تفضل بها وأنعمها عليكم أن حبب إليكم الإيمان، وكره ما يناقضه أو يخالفه، فصرتم راشدين- والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٨

وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما -داعين جميع الأطراف إلى التحاكم إلى ما أنزل الله، حصرا- فإن بغت إحداهما على الأخرى -فاعتدت عليها بعد ذلك بغير حق شرعي، أو أبت التحاكم إلى شرع الله- فقاتلوا التي تبغي، حتى ترد إلى أمر الله -الذي حكم به في شريعة الإسلام، فتلتزم به- فإن ردت -وأجابت الدعوة منقادة لحكمه سبحانه- فأصلحوا بينهما بالعدل -ساعين بينهما بالصلح، بالإنصاف والحق- وأصنفوا -في جميع أموركم، مع القريب والبعيد- إن الله يحب المنصفين. ٩

فائدة! الفئة الباغية المسلمة والخوارج والكفار الأصليون والمرتدون: لكل منهم أحكام قتال تختص به.

ومَنْ يُرِدِ الجِهادَ فلا مَناصَ ... مِنَ الأحكامِ يَعرفُها الخُيُورُ

إنما المؤمنون إخوة -في الدين- فأصلحوا بين أخويكم -كل أخوين من المسلمين تخاصما، ساعين بينهما بالصلح- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، رجاء أن تدركوا رحمة ربكم فتفوزوا. ١٠

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم -ولا أحد من المسلمين بمسلم- لعل المسخور بهم يكونوا خيرا وأفضل -عند الله- ممن سخروا منهم، ولا نساء من نساء، لعل المسخور بهن يكن خيرا وأفضل -عند الله- ممن سخرن منهن، ولا تعيبوا بعضكم بعضا ولا يدعو بعضكم بعضا بالألقاب التي يكرهها -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي جبيرة بن الضحاك رضي الله عنه ﴿ كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة، فيدعى ببعضها، فعسى أن يكره، قال: فنزلت هذه الآية ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ ﴾ [أبو داود ٤٩٦٢ ★ الترمذي ٣٢٦٨ ★ ابن ماجة ٣٧٤١ ★ أحمد ١٦٦٤٢]- بئس الاسم -الذي تدعون أخا لكم به، والفعل الذي استحق فاعله اسم- الخروج عن الطاعة بعد الإيمان -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر. ﴾ [البخاري ٤٨ ★ مسلم ٦٤ ★ الترمذي ١٩٨٣ ★ النسائي ٤١٠٨ ★ ابن ماجة ٦٩ ★ أحمد ٣٦٤٧]- ومن لم يتب -عن ذلك الفعل- فهؤلاء هم الظالمون لأنفسهم بالخروج عن الطاعة ولغيرهم بعيبهم ودعوتهم بألقاب سيئة. ١١

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن
تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾
وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ
إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضْلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا
عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ
فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٞ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٞ مِّن قَوْمٍ
عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرٗا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرٗا
مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ
ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ
إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن
يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ
تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ
شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن
قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ
وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ
عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ
عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ
غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن -السيئ، دون سبب أو قرينة- إن بعض الظن إثم -فافحصوا كل ظن حتى تعلموا وجهه، فلا يظلم بريء- ولا تجسسوا -باحثين عن المستور من عيوب وعورات المسلمين- ولا يغتب بعضكم بعضا -ولا يبهتوا مسلما، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته. ﴾ [مسلم ٢٥٨٩ ★ أبو داود ٤٨٧٤ ★ الترمذي ١٩٣٤ ★ أحمد ٧١٤٦]- أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ فكرهتم هذا -فلا تفعلوه فعرض المسلم كلحمه حرام تناوله، خاصة الغائب فهو كالميت لا يدري بالحديث- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله كثير التوبة على عباده، عظيم الرحمة بالتائبين. ١٢

يا أيها الناس إن الله خلقكم سبحانه من ذكر وأنثى -آدم وحواء ﵉، نسبكم واحد فلا مجال للتفاخر بالأنساب- وجعلكم سبحانه شعوبا وقبائل ليعرف بعضكم بعضا -لا لتتفاخروا، لكن لا تساووا مسلما بكافر!- إن أكرمكم عند الله أتقاكم وأكثركم امتثالا لأوامره واجتنابا لنواهيه، إن الله عليم لا يخفى عليه شيء، خبير بجميع أعمال خلقه، ما يظهرون منها وما يبطنون، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. ١٣

زعمت الأعراب -أهل البادية- أن آمنوا، أخبرهم أيها النبي الكريم أن لم يؤمنوا -الإيمان المطلق، بما يصاحبه من أعمال باطنة- ولكن -لهم أن- يصرحوا أن أسلموا -إن أرادوا، فقد دخلوا الإسلام، وقاموا بما يمليه عليهم من أعمال ظاهرة كالصلاة والزكاة وغيرهما، فعصموا دماءهم وأموالهم- دون أن يدخل الإيمان في قلوبهم -ودخوله لاحقا متوقع- وإن يطيعوا الله ورسوله -في الظاهر والباطن- لا ينقصهم من ثواب أعمالهم شيئا -بل يعطيهم إياه كاملا- إن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. ١٤

إنما المؤمنون -هم- الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرتابوا -إذا حدثت محن تقلقل الإيمان- وجاهدوا ببذل أموالهم وأنفسهم في سبيل الله نصرة لدينه، هؤلاء هم الصادقون: إذ عملوا تصديقا لإيمانهم. ١٥

فائدة! من صفات المؤمنين الصادقين الإقدام على الجهاد نصرة لدين الله: دفعا وطلبا، بالنفس والمال واللسان والرأي والعلم، مجتهدين لتكون كلمة الله هي العليا، ومن أشكال الجهاد العصري التي تصلح أن تكون جهادا فرديا استهداف وتخريب أنظمة الأعداء الإلكترونية وبرمجياتهم.

وخَرَّبَ بَرمجيَّاتِ الأعادي ... مُجاهِدُ عِلمِ عَصرٍ مُستَنيرُ

سلهم أيها النبي الكريم -موبخا- أيعلمون الله بدينهم: يظنونه لا يعلمه؟ والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض -ومن جملة ما يعلم مقدار إيمانهم إن وجد- والله بكل شيء عليم، بالنيات وبالأفعال. ١٦

يعدونها منة عليك أن أسلموا -قيل هم قوم أسلموا بغير قتال- أخبرهم ألا يعدوها منة عليك إسلامهم، بل الله ينعم ويتفضل عليهم أن وفقهم وأرشدهم للإيمان، إن كانوا صادقين في زعمهم أنهم آمنوا. ١٧

إن الله يعلم غيب السماوات والأرض -أفغاب عنه مقدار إيمان عباده؟!- والله -أيها الخلق- بصير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. ١٨

★ سورة ق ★

★ مكية ★

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]، والقرآن العظيم نفعا ومعان رفيع الشرف المبجل المهيمن على سائر الكتب: يحلف الله، لا ريب في هذا القرآن. ١
بل -ليس الأمر لريبهم فيه، إنما- عجبوا أن جاءهم منذر منهم للعصاة بالعقاب -ينذرهم بما سيصيبهم من عذاب إن استمروا على ما هم عليه من كفر- فزعم الكافرون أن هذا -البعث- شيء عجيب. ٢
تساءلوا -مستنكرين- أئذا ماتوا وصاروا ترابا؟ ذلك -البعث- رجوع -من موتهم مستبعد- بعيد. ٣
قد علم الله ما تنقص الأرض من أجسادهم -وتفاصيل ما يتآكل في القبور، فالله لا تخفى عليه خافية- وعنده سبحانه كتاب حفيظ: اللوح المحفوظ، مثبت فيه جميع ما يخص خلقه. ٤
بل كذبوا بالحق لما جاءهم -عن طريق النبي ﷺ وردوه- فهم في أمر مضطرب عليهم ملتبس: زعموا أنه ﷺ كاهن وشاعر وساحر ومسحور ومجنون، واقترحوا عليه الكثير من العجائب، فضلوا. ٥
أفلم ينظر منكرو البعث هؤلاء إلى السماء فوقهم -معتبرين- كيف بناها الله -كما قال تعالى ﴿ خلق السماوات بغير عَمَد ترونها ﴾ [لقمان ١٠]- وزينها سبحانه -كما قال تعالى ﴿ إنا زيَّنَّا السماء الدنيا بزينة الكواكب. ﴾ [الصافات ٦]- وما لها من شقوق -تعيبها- ولا فتوق؟ ٦
والأرض بسطها الله -لتباعد أطرافها لا ينافي ذلك أنها كروية كما قال تعالى ﴿ يُكوِّر الليل على النهار ويُكوِّر النهار على الليل ﴾ [الزُّمَر ٥]- إلى ما لا يدرك منتهاه، وألقى سبحانه فيها جبالا تثبتها كالأوتاد كما قال تعالى ﴿ والجبال أوتادا. ﴾ [النبإ ٧]، وأنبت الله فيها من كل صنف -حسن- بهيج. ٧
تبصيرا وتذكرة جسيمة لكل عبد راجع إليه طائع: من أجل هذا فعل سبحانه كل ذلك المذكور. ٨
ونزل الله من السماء مطرا كثير النفع والخير، فأنبت الله به بساتين مديدة الظل وحبوب محصودة. ٩
والنخل مرتفعات -أنبتها الله به- لها طلع -أول ما يثمر منها- تراكمي متراكب بعضه فوق بعض. ١٠
رزقا للعباد -أنبت سبحانه ما أنبت بالمطر- وأحيا الله به بلدة مجدبة -فأخرج فيها النبات- مثل ذلك الشق للأرض بالنبات -أيها الناس، من قبوركم للحساب يكون- الخروج. ١١
كذبت قبل المكذبين بالنبي ﷺ قوم نوح وأهل البئر -قيل هم أهل القرية الذين كذبوا مرسلي ربهم كما قال تعالى ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المُرسَلون. ﴾ [يس ١٣]- وثمود. ١٢
وعاد وفرعون وإخوان لوط: في النسب. ١٣
وأهل القرية ذات الشجر الملتف -مديَن- وقوم تُبَّع -قيل قوم تُبَّع الحِميَري، قهروا الناس- كل -قوم من هؤلاء- كذب الرسل، فحق وعيد الله: ووجب عليهم الهلاك، فليحذر غيرهم. ١٤
أفعجز الله أو ضعف عن خلق الخلائق -ومن جملتهم آدم ﷺ وذريته من عدم- أول مرة: حتى يعجز عن بعثهم؟ بل منكرو البعث -لفرط جهلهم وغبائهم متحيرين- في لبس من خلقهم من جديد. ١٥

سُورَةُ قٓ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ (١) بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ
فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ (٢) أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ
رَجۡعُۢ بَعِيدٞ (٣) قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظُۢ (٤) بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ (٥)
أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ (٦) وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ (٧) تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ
مُّنِيبٖ (٨) وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ
وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ (٩) وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ (١٠) رِّزۡقٗا
لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ (١١) كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ
قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ (١٣)
وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤)
أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ (١٥)

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ
قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ
ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ
ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ
فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾
وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾
مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ
فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن
كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم
بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ
نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ
لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾
مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

ولقد خلق الله الإنسان، ويعلم سبحانه ما توسوس به نفسه -وما يحدثه به قلبه، خيرا كان أو شرا- والله أقرب -بعلمه وقدرته سبحانه، وملائكته- إليه من عروق العنق. ١٦

فائدة! تجاوز سبحانه لنا عن وسوسة الصدور كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها، ما لم تعمل أو تكلم. ﴾ [البخاري ٢٥٢٨ * مسلم ١٢٧ * أبو داود ٢٢٠٩ * الترمذي ١١٨٣ * النسائي ٣٤٣٣ * ابن ماجة ٢٠٤٠ * أحمد ٧٤٧٠].

تَجاوزَ ربُّنا عَنْ وَسوَساتٍ ... إنِ التُزِمَ السُّكوتُ وما يُبِيرُ

إذ يتلقى المتلقيان -ملَكَان يكتبان عمله، يتواجدان بجانبه- عن اليمين وعن الشمال جليس. ١٧

ما يتلفظ من لفظ ولا يتكلم من كلام إلا لديه رقيب حافظ حاضر: مهيأ لتسجيل ما يتلفظ به. ١٨

وجاءت سكرة الموت -فغطت على العقل شدته- بالحق -الذي لا مفر منه- ذلك -الموت- الذي كنت -أيها الغافل- منه تهرب وعنه تميل. ونفخ في الصور -الثانية كما قال تعالى ﴿ ونُفخ في الصور فصَعِق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ﴾ [الزُّمَر ٦٨]- ذلك -آت لا محالة، إنه- يوم -وقوع- الوعيد: لأهل الكفر والعصيان بالعذاب. وجاءت كل نفس معها سائق -يسوقها إلى حيث يأمر الله- وشهيد: يشهد عليها بما عملت. لقد كنت -أيها الإنسان- في غفلة -بالحياة الدنيا- من هذا، فكشف سبحانه عنك غطاءك -الذي حجب عنك أمور الآخرة- فبصرك اليوم حاد نافذ: تبصر به ما كنت عنه غافلا، وتبصر حسناتك وسيئاتك. ١٩ ~ ٢٢

وأخبر قرينه -ملَكَه الموكل به- أن هذا -كتاب عمله- الذي لديه حاضر. ألقيا في جهنم كل شديد الكفران والجحود لنعمه سبحانه معاند له: يأمر الله السائق والشهيد. شديد منع للخير -ولما أوجبه الله عليه من حقوق مالية- معتد متجاوز لحدود الله مريب مرتاب لا يطمئن قلبه للحق. الذي جعل مع الله إلها آخر -أشركه به- فليلقياه في العذاب الشديد: يأمر الله السائق والشهيد. ٢٣ ~ ٢٦

أنكر قرينه -شيطانه الملازم له- أمام ربهما أن أطغاه -فجعله يتجاوز حدود الله- ولكن -السبب أنه- كان في ضلال عن الحق وبعد كبير. نهاهم عن الاختصام لديه -سبحانه- وقد قدم إليهم -في الدنيا مرارا، وأرسل الرسل- بالوعيد: لأهل الكفر والعصيان بالعذاب. ما يبدل القول لديه -بل هو واقع كما قال تعالى ﴿ من يعمل سوءا يُجز به ﴾ [النساء ١٢٣]- وسبحانه لا يظلم عبيده أبدا. يوم -القيامة- يسأل الله جهنم هل امتلأت؟ وتجيب سائلة هل من مزيد: ممن عصوه تعذبهم غضبا له؟ ٢٧ ~ ٣٠

وقربت الجنة للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه -دخولها قريب هي عنهم- غير بعيد. ٣١

هذا ما توعدون -به من ثواب- لكل كثير الرجوع بالتوبة حفيظ: لحقوق الله ولحقوق عباده. ٣٢

من خشي الرحمن بالغيب -لم ير عذابه، سبحانه، ولم يراه خلقه- وجاء بقلب راجع إليه طائع. ٣٣

ادخلوا الجنة بسلام -من كل آفة، يجري إخبارهم- ذلك -اليوم- يوم الخلود: لا نهاية له. ٣٤

لهم ما يشاءون فيها -من نعيم دائم- ولدى الله مزيد: مما لم يخطر على قلوبهم، أروعه رؤيته. ٣٥

وما أكثر الأمم المتتالية -الفاسقة الخارجة عن طاعته- التي أهلكها الله -كعاد وثمود وغيرهما- قبل هؤلاء المكذبين بالقرآن هم أشد منهم بطشا -وجبروتا، فإهلاك أهل الكفر والظلم لا يعجزه سبحانه- فنقبوا في البلاد -مفتشين- هل -من عذاب الله، وقد أرسله عليهم- من مخلص أو مفر؟ **٣٦**

إن في ذلك -المذكور- لتذكرة جسيمة لمن كان له قلب -يعقل به، فيحمله على الإيمان والعمل تصديقا لإيمانه- أو ألقى السمع -منصتا للقرآن- وهو شهيد: حاضر القلب والذهن. **٣٧**

ولقد خلق الله السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وما نال الله أي إعياء: كما زعم اليهود. **٣٨**

فائدة! لم يخلق الله الكون في لحظة لحكمة، لعلها بيان سنة كونية، فمن تسرع لم يفز بمطلوبه، ولا يعني هذا أن يتدرج الحاكم في تطبيق الشريعة! بل يعني تطبيق ما استطاع مع تحصيل القدرة للبقية.

ومَنْ حَرَقَ المَرَاحِلَ ما أصابَ ... بَلِ التَزِمِ التأنِّي يا صَبورُ

فاصبر أيها النبي الكريم على ما يتفوه به أهل الكتاب الكفرة: حتى يأتي أمر الله لاحقا كما قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجِزية عن يد وهُم صاغرون. ﴾ [التوبة **٢٩**]، وواظب على تنزيه ربك وتقديسه متلبسا ومقرونا بالثناء عليه قبل طلوع الشمس وقبل الغروب: بعد صلاتي الفجر والعصر. **٣٩**

ومن الليل -بعضه- فنزهه وقدسه -مواظبا- وبعد الصلوات كما جاء على لسان عبد الله بن عباس ﵄ ﴿ أمره أن يسبح في أدبار الصلوات كلها، يعني قوله: ﴿ وأدبار السجود ﴾ ﴾ [البخاري **٤٨٥٢**]. **٤٠**

واستمع -ما يوحى إليك من أحوال القيامة- يوم ينادي المناد -الذي يأمره الله بالنداء على خلقه- من مكان قريب: يصل إليهم النداء منه. **٤١**

يوم يسمعون الصيحة بالحق -الذي لا مفر منه- ذلك -اليوم- يوم الخروج: من قبورهم للحساب. **٤٢**

إن الله هو يحيي سبحانه الخلائق ويميتها سبحانه، وإليه سبحانه المرجع في الآخرة. **٤٣**

يوم تشقق الأرض عنهم -فيخرجون- مسرعين، ذلك -الخروج من القبور- جمع -للحساب- على الله يسير. **٤٤**

الله أعلم بما يزعمون، وما أنت أيها النبي الكريم عليهم بجبار مسلط لتجبرهم على الإيمان بك -حتى يأتي أمره بقتالهم في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة **٥**]- فذكر بالقرآن من يخاف وعيد الله: لأهل الكفر والعصيان بالعذاب. **٤٥**

★ سورة الذاريات ★

★ مكية ★

والرياح الذاريات -إذ تفرق التراب وغيره- بشدة. فالسحب الحاملات المطر الغزير. فالسفن الجاريات -على الماء- بيسر. فالملائكة المقسمات الأوامر: التي يأمرهم بالنزول بها كما أمر، يحلف الله. إنما توعدون -به من بعث، أيها الخلق- لصادق. وإن الدين لواقع: ستدانون يوم القيامة وتحاسبون. **١ ~ ٦**

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا
فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن
كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ
أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا
ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾
ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾
كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾
وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ
تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ
دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾
فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾
فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾
قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

والسماء ذات البنيان المحبوك المحكم الحسن: يحلف الله. إنكم -أيها المكذبون بالنبي ﷺ- لفي ادعاء متضارب: إذ زعمتم أنه كاهن وشاعر وساحر ومسحور ومجنون. يقلب عن الإيمان به ﷺ وبما جاء به من -عن الحق- قلب. هلاك للكذابين المتوهمين. الذين هم مغمورون في غفلة بالدنيا -عن الآخرة- ساهون. يسألون -مستهزئين- متى يوم الدين: يوم القيامة، يوم يدين الله عباده ويحاسبهم؟ يوم هم على النار يحرقون: وعد من الله لا ريب في تحققه. ذوقوا عاقبة شرككم الذي افتتنتم به وافتخرتم، هذا -العذاب- الذي كنتم -مستهزئين- به تستعجلون: يقال لهم توبيخا وتقريعا. ٧ ~ ١٤
إن المتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه في جنات -بساتين مديدة الظل- وفيها عيون ليس ينضب ما فيها من شراب. آخذين ما أعطاهم ربهم -من ثواب، به راضين- إنهم كانوا قبل ذلك -في الدنيا- محسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. كانوا قليلا من الليل ما ينامون: إذ يقومون لله مصلين تطوعا كما قال تعالى ﴿ قُم الليل إلا قليلا. ﴾ [المُزَّمِّل ٢]، ليسوا بغافلين عن هكذا ثواب. وبالأسحار -قبيل الفجر- هم يطلبون المغفرة. وفي أموالهم حق -جعلوه على أنفسهم، تطوعا منهم- للسائل -المحتاج الذي يسأل الناس- والمحروم: الرزق، لأي سبب كان. ١٥ ~ ١٩
وفي الأرض آيات دالة على كمال قدرة الخالق للموقنين: بأن الله ليس له شريك. وفي أنفسكم -في خفايا تركيب أنفسكم العضوي وتكوينكم النفسي، أيها الناس- أفلا تبصرون: قدرة الله فتتعظوا؟ ٢٠ ٢١
وفي السماء -المطر سبب رزقكم، وأقدار- رزقكم -الديني والدنيوي، قد قدره الله- وما توعدون: به من خير وشر، وبعث وحساب، وثواب وعقاب، كل في اللوح المحفوظ مثبت. فورب السماء والأرض إنه -هذا الذي يخبركم به الله- لحق -يقيني- مثل ما أنكم -يقينا- تنطقون: لا شك في ذلك. ٢٢ ٢٣
هل أتاك أيها النبي الكريم خبر أضياف إبراهيم -ملائكة في هيئة رجال، أرسلهم الله- المكرمين -عند الله، الذين أكرمهم مضيفهم ﷺ- وقصتهم؟ اذكر حين دخلوا عليه، فألقوا تحية السلام، رد السلام -بأحسن مما حيوه به- محدثا -نفسه- أن قوم منكرون: هؤلاء، غير معروفين له. فمال إلى أهل بيته، فجاء -مسرعا، إكراما لأضيافه- بعجل سمين: مشوي، كما قال تعالى ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ. ﴾ [هود ٦٩]. فقربه إليهم، من ثم سألهم -مستنكرا- ألا يأكلون؟ فأضمر منهم خوفا -وكانت العادة عندهم أن الضيف الذي يأتي بشر أو بلاء لا يأكل من طعام مضيفه- طمأنته الملائكة -وقد أخبرهم بخوفه كما قال تعالى ﴿ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وَجِلون. ﴾ [الحِجر ٥٢]- ألا يخاف، وبشروه بولد ذكر غزير العلم: إسحاق ﷺ كما قال تعالى ﴿ وبشَّرناه بإسحاق نبيا من الصالحين. ﴾ [الصافات ١١٢]. ٢٤ ~ ٢٨
فأقبلت امرأة إبراهيم ﷺ -سارة ﵂- في ضجة -عندما سمعت البشرى- فضربت بيدها على وجهها، وتعجبت -إنها- عجوز عقيم: لا تلد! جاءتها الإجابة: كذلك أمر ربك -ترزقين إياه مخالفة للمألوف- إنه هو الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه، العليم بحال عباده وبما يستحقه كل منهم. ٢٩ ٣٠

من ثم سأل -عليه السلام- المرسلين فما خطبهم: والشأن الذي أرسلهم الله به؟ ٣١
أخبروه أنهم أرسلوا -من قبل الله- إلى قوم مجرمين مستحقين للعقاب: ليهلكوهم. ٣٢
ليرسل -الملائكة، بأمر- الله عليهم حجارة من طين: من السماء أمطروا بها. ٣٣
معلمة بعلامات مميزة -تلك الحجارة- عند ربك أيها النبي الكريم، للمسرفين متجاوزي الحدود. ٣٤
فأخرج الله من كان في قرى قوم لوط من المؤمنين: كما قال تعالى ﴿ قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقِطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك ﴾ [هود ٨١]. ٣٥
فما وجد سبحانه فيها غير بيت -واحد- من المسلمين -لله- المنقادين: أهل بيت لوط عليه السلام. ٣٦
وترك الله -آثارا للهلاك- فيها، آية دالة على كمال قدرته للذين يخافون العذاب الأليم: أيتعظون؟ ٣٧
وفي موسى -آية كذلك- حيث أرسله الله إلى فرعون ببرهان واضح الدلالة: يدل على صدقه عليه السلام. ٣٨
فأعرض متنحيا -فرعون معتدا- بمنعته -جنوده- وزعم -أن موسى عليه السلام، حاشاه- ساحر أو مجنون. ٣٩
فأخذ الله فرعون وجنوده -بعذابه- فطرحهم -الملائكة، بأمر- الله في الماء -فغرقوا جميعا- وهو مليم: إذ أتى بما يلام عليه ومن جملته ادعاء أنه إله وإضلال أهله وأتباعه وطغيانه على عباد الله وتكبره. ٤٠
وفي عاد -آية كذلك- حيث أرسل الله عليهم الريح العقيم: التي لا رحمة فيها. ٤١
ما تترك -الريح- من شيء -من نفس أو مال- مرت به إلا جعلته كالرميم: بال هالك. ٤٢
وفي ثمود -آية كذلك- حيث جرى إخبارهم أن يتمتعوا -بالحياة إن هم آمنوا بالله وحده لا شريك له، وقد أرسل الله لهم الناقة آية دالة على صدق نبيه- حتى حين: حضور آجالهم. ٤٣
فتكبروا عن -طاعة- أمر ربهم -بقتل الناقة- فنزل بهم الإهلاك وهم -إلى مهلكهم عيانا- ينظرون. ٤٤
فما استطاعوا من قيام -فلا هم نهضوا مما أصابهم ولا هم هربوا منه، ولا عن أنفسهم دفعوا- وما كانوا ممتنعين -بقوتهم أو بأموالهم- عن إهلاك الله لهم ولا منتصرين منه سبحانه. ٤٥
وقوم نوح -أهلكهم الله- من قبل -هؤلاء الأقوام- إنهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله. ٤٦
والسماء بناها الله بقوة وقدرة، وإنه سبحانه لقادر على بنائها موسع لأرجائها، موسع الرزق بالمطر. ٤٧
والأرض مهدها الله مثل الفراش، فأحسن ممهد للأشياء والأمور: هو، يسويها ويصلحها. ٤٨
ومن كل شيء خلق الله صنفين -كفر وإيمان، إنس وجن، ليل ونهار، سماء وأرض، ذكر وأنثى، ونحو ذلك- رجاء أن تذكروا -أيها الخلق- قدرة الله، فتؤمنوا ولا تشركوا به شيئا. ٤٩
ففروا إلى الله -من عقابه إلى ثوابه بالتوبة من الكفر والمعاصي، انصحهم- إنك أيها النبي الكريم لهم منه -سبحانه- نذير واضح بالعقاب. ٥٠

فائدة! الخوف من عقاب الله يقتضي الفرار إليه سبحانه -ليس الفرار منه- بالإيمان والعمل الصالح.

فِرارًا مِنْ عِقابِ اللهِ تابوا ... وآمَنَ أهلُ عقلٍ، فاستَنيروا

ولا يجعلوا مع الله إلها آخر -فيشركوا به: انصحهم- إنك لهم منه -سبحانه- نذير واضح بالعقاب. ٥١

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ
مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ
فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ
ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ
وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا
فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ
فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ
أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ
فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا
خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ
وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾
فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا
يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٣﴾ وَٱلۡبَيۡتِ
ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ
مَوۡرٗا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾
ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ
جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

مثلما كذب هؤلاء ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا زعموا أنه -حاشاه- ساحر أو مجنون. **٥٢**
أتواصى أهل الكفر -فيما بينهم- بتكذيب الرسل؟! بل هم قوم متجاوزون الحد في الضلال. **٥٣**
فأعرض عنهم أيها النبي الكريم لا تبال بهم -حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]- فما أنت بملوم من الله على تكذيبهم بك. **٥٤**
وذكر، فإن التذكر ينفع -من كتب في سابق علمه سبحانه أن سيكون من- المؤمنين. **٥٥**
وما خلق الله الجن والإنس إلا ليعبدوه سبحانه: بالمعنى الشامل لجميع ما يحب من قول وعمل. **٥٦**
فائدة! عبادة الله تكون بجهاد الكفار والمفسدين دفعا لشرورهم كما قال تعالى ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدِّمت صوامع وبيَع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ [الحج ٤٠] وإقامة الدين بأمان كما قال تعالى ﴿ الذين إن مَّكَّنَّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهَوا عن المنكر ﴾ [الحج ٤١]، فهل يعقل أن نشغل بأداء شعائرنا التعبدية ونتغافل عمن يهدم ديننا؟!
نُجاهِدُ مُفسِدًا دَفعًا لكُفرٍ ... لِنَعبُدَ ربَّنا ذَكَرَ القديرُ
ما يريد الله منهم أي رزق -ولا منفعة كما يريد السيد من عبيده- وما يريد الله أن يطعموه سبحانه. **٥٧**
إن الله هو الرزاق الذي يرزق عباده، صاحب القوة -المطلقة- المتين الشديد. **٥٨**
فإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر واقتراف الآثام نصيبا -من العذاب- مثل نصيب أصحابهم -من كفار الأمم السابقة- فلا يستعجلون: عذابهم، كما فعل بعضهم كما قال تعالى ﴿ وإذ قالوا اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴾ [الأنفال ٣٢]. **٥٩**
فشدة الحسرة والهلاك للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون: به، القيامة. **٦٠**

★ سورة الطور ★

★ مكية ★

والطور: قيل ما أنبت من الجبال، وما لم ينبت فليس بطور. وكتاب مكتوب. في رق -ما يسجل عليه ويكتب- مفتوح مبسوط. والبيت المعمور: في السماء، وهو كما ورد عن النبي ﷺ من حديث مالك بن صعصعة ﷺ ﴿ فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم ﴾ [البخاري ٣٢٠٧ ★ مسلم ١٦٤ ★ النسائي ٤٤٨ ★ أحمد ١٧٨٣٣]. والسقف المرفوع: السماء، كما قال تعالى ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ﴾ [الأنبياء ٣٢]. والبحر الموقد -لعلها البراكين التي تحدث في قاع البحر- المملوء بالماء: يحلف الله. **١ ~ ٦**
إن عذاب ربك أيها النبي الكريم لواقع: بمستحقيه لا محالة، في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما جميعا. ما له -عن مستحقيه- من دافع. يوم -القيامة- تضطرب السماء تماما. وتسير الجبال مفارقة بسرعة! فشدة الحسرة والهلاك يومئذ للمكذبين بما أنزل الله. الذين هم في تناول -باطل- يلعبون: لا يأبهون في الدنيا بالدين. يوم يدفعون بجفوة إلى نار جهنم مرارا. هذه النار التي كنتم بها تكذبون. **٧ ~ ١٤**

أفسحر هذا -الذي تعاينون يا منكري البعث كما زعمتم في الدنيا- أم أنتم -ما زلتم- لا تبصرون؟ **١٥**
قاسوا حرها، فاصبروا -على العذاب- أو لا تصبروا -الأمران في عدم النفع- سواء عليكم، إنما تجزون ما كنتم تعملون من كفر. **١٦**
إن المتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه في جنات -بساتين مديدة الظل- ونعيم دائم. **١٧**
معجبين بما أعطاهم ربهم -من نعيم- ووقاهم ربهم -فدفع عنهم- عذاب الجحيم. **١٨**
كلوا واشربوا لا تنغيص في شيء منه، بسبب ما كنتم تعملون مما وفقكم الله له لتكونوا أهلا لرحمته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لن يدخل أحدا عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا ﴾ [البخاري ٥٦٧٣ * مسلم ٢٨١٦ * أحمد ٩٨٣١]. **١٩**
متكئين على أسرة -في مجالس مهيأة للسرور- مصفوفة -بعضها إلى بعض- وقرنهم الله بحور عين: شديدات الحسن والبياض حسناوات العيون. **٢٠**
والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحق الله بهم ذريتهم -في الجنات لتطيب بهم أنفس آبائهم، فهم بين كبير مؤمن عمله دون عمل آبائه، وصغير مات قبل بلوغ الحلم- وما نقصهم الله -ليلحق ذريتهم بهم- من ثواب عملهم أي شيء، كل امرئ بما كسب من عمل مرتهن، لا يحاسب بعمل غيره. **٢١**
وأمدهم الله بفاكهة ولحم مما تشتهي أنفسهم. **٢٢**
يتعاطون في الجنات كؤوس خمر لا يترتب على تناولها باطل ولا إثم: إذ لا يسكرون منها. **٢٣**
ويطوف عليهم -بالطعام والشراب- غلمان لهم كأنهم -في حسنهم- لؤلؤ مصون لم تمسه يد. **٢٤**
وأقبل بعضهم -أهل الجنة- على بعض -عن حالهم في الدنيا- يتساءلون. **٢٥**
أجابوا بأنهم كانوا قبل في أهلهم -في الدنيا، حيث يأمن الغافلون، من الآخرة- حذرين خائفين. **٢٦**
فائدة! من أراد الاجتماع بأحبائه في الجنة فلا يغتر بحال الدنيا وأمنها الزائف، ولا يتركهم غافلين.
لِيَجتَمِعَ الأَحِبَّةُ في جِنانٍ ... بإشفاقٍ ونُصحٍ فَلْتَسيروا
فأنعم الله وتفضل عليهم -ولم يفتنهم في دينهم- ووقاهم -فدفع عنهم- عذاب الحرارة القاسية. **٢٧**
إنهم كانوا من قبل -في الدنيا- يدعونه ويعبدونه -وحده لا يشركون به شيئا ولا أحدا- إنه هو البر كثير الرفق والفضل، العظيم الرحمة بالمؤمنين. **٢٨**
فذكر أيها النبي الكريم -فيهدي بك من كتب في سابق علمه سبحانه أن سيكون من المؤمنين كما قال تعالى ﴿ وذَكِّر فإنَّ الذكرى تنفع المؤمنين. ﴾ [الذاريات ٥٥]- فما أنت بنعم ربك -من حكمة ونبوة- بكاهن ولا مجنون: كما زعم الكفار، وكيف وقد أنعم الله عليك؟ **٢٩**
أم يزعمون أن شاعر -أنت- ينتظرون بك مرتقبين حلول صروف الدهر فتنتهي دعوتك بموتك؟ **٣٠**
أخبرهم أن ينتظروا مرتقبين -موتك- فإنك معهم -لما يحل بهم- من المنتظرين المرتقبين. **٣١**

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ
أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا
كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾
يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾
فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا
مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ
ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟
صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾
أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ
خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ
يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾
أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ
مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ
كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ
سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا
يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ
يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾
وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

أم تأمرهم أذهانهم -ولا عقول لهم تميز الحق، وسادتهم كذلك تأمرهم- بهذا: القول المتضارب، أنه ﷺ حاشاه كاهن أو مجنون؟ أم هم قوم متجاوزون الحد في الضلال: لذلك افتروا عليه؟ **٣٢**

أم يزعمون أن اختلق القرآن: ﷺ حاشاه؟ بل لا يؤمنون: عنادا وتعنتا، لذلك افتروا عليه ﷺ. **٣٣**

فليأتوا بحديث مثله -في الإعجاز والبلاغة وحسن النظم: هذا التحدي قائم إلى يوم القيامة، وليستعينوا بأنصارهم وأعوانهم وطواغيتهم- إن كانوا صادقين في زعمهم أن القرآن ليس كلام الله. **٣٤**

أم خلقوا -كما يزعم الملاحدة مدعو العلم- من غير شيء: بغير خالق؟! أم هم الخالقون؟! أم خلقوا السماوات والأرض؟! بل لا يصدقون تصديقا تاما جازما لا يتخلله ريب: عنادا وتعنتا، لذلك يتخبطون.

أم عندهم خزائن ربك أيها النبي الكريم: فيتفضلون بالنبوة على من يشاءون؟ أم هم المصيطرون: على ملكه المتصرفون فيه؟ أم لهم سلم -يصعدون به إلى السماء- يستمعون في ارتقائهم إياه: إلى الوحي؟ فليأت من يزعم أنه مستمع -إلى الوحي- منهم ببرهان واضح الدلالة: يدل على صدقه. **٣٥ ~ ٣٨**

أم له البنات -من الملائكة كما زعمتم كما قال تعالى ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتَّخذ من الملائكة إناثا ﴾ [الإسراء ٤٠] ومن الأوثان أيها المشركون- ولكم البنون: بهم فضلكم، عقلاء أنتم؟! **٣٩**

أم تسألهم أيها النبي الكريم -على دعوتك- ثوابا، فهم من الغرامة والخسارة مكلفون حملا ثقيلا؟ **٤٠**

أم عندهم الغيب، فهم يكتبون: الأعمار، ويعرفون أنك تموت قبل إتمام دعوتك فلذلك لا يؤمنون؟ **٤١**

أم يريدون -بك- مكيدة؟ فالذين كفروا هم المجزيون ضررا عائدا عليهم بسبب تدبيرهم للمكائد. **٤٢**

أم لهم إله -معبود بحق- غير الله؟ تنزه الله وتقدس عما يشرك الخلق به. **٤٣**

وإن يروا قطعة -من العذاب- من السماء ساقطة يظنوا -لغفلتهم أنها- سحاب مزدحم متراكم. **٤٤**

فاتركهم، حتى يلاقوا يوم قيامتهم الذي فيه تزول عقولهم كأنما ضربوا بصاعقة: وقبله، عند موتهم. **٤٥**

يوم -القيامة- لا تنفعهم مكائدهم ولا تغني عنهم -من الله وعذابه- شيئا، ولا ينصرهم أحد. **٤٦**

وإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر واقتراف الآثام عذابا قبل يوم القيامة -في الدنيا بالقتل والجرح والأسر وسبي النساء والذراري وضياع الأموال، ثم في القبر- ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الأمر ليس هينا. **٤٧**

واصبر أيها النبي الكريم لحكم ربك -القدري والشرعي، حتى يأتي أمره لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]- فإنك بأعين الله -بمرأى منه وفي حفظه- وواظب على تنزيه ربك وتقديسه متلبسا ومقرونا بالثناء عليه حين تقوم: من النوم، وإلى صلاتك. **٤٨**

ومن الليل -بعضه- فنزهه وقدسه -مواظبا- ووقت أفول النجوم: فصل الفجر مع بداية ضوء النهار. **٤٩**

فائدة! المواظبة على قيام الليل من سمات الصالحين، وأحب الأعمال إلى الله هي كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل. ﴾ [البخاري ٥٨٦١ * مسلم ٧٨٣ * أبو داود ١٣٦٨ * الترمذي ٢٨٥٦ * النسائي ٧٦٢ * أحمد ٢٤٠٤٣].

نَقومُ مُواظِبينَ اللَّيلَ إنَّ الـ ... أحَبَّ إليهِ أدوَمُهُ استَشيروا

★ سورة النجم ★

★ مكية ★

والنجم إذا صار إلى الهاوية وهلك: يحلف الله. ما ضل صاحبكم -محمد ﷺ الذي تعرفون صدقه يا أهل مكة- عن الحق، وما مال عن الرشد. وما ينطق -ﷺ بشيء صادر- عن هوى نفسه. ليس هو -هذا الذي ينطق به- إلا وحي يوحى: إليه من الله. علمه -إياه المَلَك جبريل عليه السلام، وهو- شديد قواه. ذو عقل سديد وهيئة حسنة، فاستوى: ظاهرا للنبي ﷺ على الهيئة التي قد خلقه الله عليها، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ أنه رأى جبريل له ستمائة جناح. ﴾ [البخاري ٣٢٣٢ ★ مسلم ١٧٤ ★ الترمذي ٣٢٧٧ ★ أحمد ٣٧٤٨]. وهو -المَلَك جبريل عليه السلام- بالأفق الأعلى: نازلا من جهة المشرق. ثم دنا -من النبي ﷺ بعد نزوله- فازداد منه قربا. فكان مقدار قوسين أو أقل: قربا منه. فأوحى -الله- إلى عبده -محمد ﷺ، بواسطة المَلَك جبريل عليه السلام- ما أوحى. ١ ~ ١٠

ما كذب القلب -المتوقد- ما -بصره، ﷺ- رأى. أفتجادلونه مشككين -أيها المشركون- فيما يرى؟ ولقد رآه -النبي ﷺ المَلَك جبريل عليه السلام على الهيئة التي خلق عليها، إليه- نازلا مرة أخرى. عند سدرة المنتهى: شجرة عظيمة القدر، إليها المنتهى، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ لما بلغ رسول الله ﷺ سدرة المنتهى قال: انتهى إليها ما يعرج من الأرض وما ينزل من فوق ﴾ [مسلم ١٧٣ ★ الترمذي ٣٢٧٦ ★ النسائي ٤٥١ ★ أحمد ٣٦٦٥]. عندها جنة المأوى. حيث يغمر ويغطي السدرة ما يلابس ويباشر: مما ليس نعلمه. ما انحرف بصر محمد ﷺ وما طغى: عما أراه الله متجاوزا ما حده له. لقد رأى -ليلة المعراج- من آيات ربه الكبرى الدالة على كمال قدرته. ١١ ~ ١٨

فائدة! من كمال أدب المؤمن عدم الالتفات إلى ما لم يؤذن له بتفقده أو النظر إليه.

رسولُ اللهِ ما التَفَتَ انبهارًا ... بآياتٍ، أيَلتَفِتُ الخُبُورُ؟

فسأل -الله، موبخا المشركين- أن يخبروه: اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى: بعض أصنام لكم، ما نفعها؟ ألكم -الأولاد- الذكور -الذين فضلوهم جعلوهم لأنفسهم- وله الإناث: إذ زعموا أن أصنامهم بنات الله؟ تلك إذًا قسمة جائرة. إن هي إلا أسماء سموها هم وأسلافهم -جعلوها لأوثان لا قيمة لها، وعدوها آلهة- ما أنزل الله بجعلها تستحق العبادة أي برهان يؤيد زعمهم، إن يتبعون إلا الظنون -بغير تحر- وما يوافق أهواء الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم -على لسان نبيه ﷺ- الهداية. ١٩ ~ ٢٣

أم للإنسان ما تمنى: من اتباع الظنون والأهواء، ومن جملتها أن الأصنام تنفعه وتشفع له؟ فلله الآخرة والأولى: لا يجري في الدارين إلا ما يريد. وما أكثر الملائكة في السماوات التي لا تنفع شفاعتهم ولا تغني -إن أرادوا أن يشفعوا لأحد- شيئا -فكيف بالأصنام؟- إلا من بعد أن يأذن الله -بالشفاعة- لمن يشاء، ويرضى: سبحانه، عن المشفوع له من أهل التوحيد لا أهل الشرك كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]. ٢٤ ~ ٢٦

سُورَةُ النَّجْمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ
ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٍ
فَٱسْتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ
قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ
مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١٣
عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ
مَا يَغْشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ
ٱلْكُبْرَىٰٓ ١٨ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ٢٠
أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ٢٢ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ
سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ٢٣ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ
مَا تَمَنَّىٰ ٢٤ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ٢٥ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ٢٦

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾
وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ
ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ
ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن
سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ
بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ
إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ
وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ
بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾
أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ
مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾
وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾
ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾
وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾

إن الذين لا يؤمنون بالآخرة -بالبعث إيمانا لا افتراء فيه على الله- ليسمون الملائكة تسمية الأنثى كما قال تعالى ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴾ [الزخرف ١٩]. **٢٧**
وليس لديهم به أي علم، إن يتبعون إلا الظنون -بغير تحر- وإن الظنون -التي لا أصل لها- لا تنفع ولا تغني من الحق شيئا: إذ ليست تقوم مقام العلم الذي يتضح به الحق من الباطل. **٢٨**
فأعرض أيها النبي الكريم منصرفا عمن أعرض متنحيا عن ذكره سبحانه -ودعائه، ودينه الحق- ولم يرد إلا الحياة الدنيا: فلا يتذكر الدار الآخرة ولا يعمل لها، بل ومن هؤلاء من لا يؤمن بها. **٢٩**
ذلك -الانشغال بالدنيا- حدهم الذي بلغوا من العلم -لفرط جهلهم وغبائهم لا يلتفتون إلى سواه- إن ربك هو أعلم بمن ضل عن طريقه، وهو أعلم بمن -إليه- اهتدى: وبمن هو قابل للهداية. **٣٠**
ولله ما في السماوات وما في الأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، ليجزي الذين أساءوا -بالكفر أو بما هو دونه من الكبائر- بسبب ما عملوا -بعذاب النار- ويجزي الذين أحسنوا كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾ [البخاري ٥٠ * مسلم ٩ * أبو داود ٤٦٩٨ * النسائي ٤٩٩١ * ابن ماجة ٦٤ * أحمد ٩٥٠١] بالجنة. **٣١**
الذين يجتنبون كبائر الإثم -مما يترتب عليه نفي إيمان أو حد أو وعيد أو لعنة الله أو عذابه أو غضبه- ومستفحش الذنوب -كالزنا كما قال تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ﴾ [الإسراء ٣٢] وغيره- إلا صغائر الذنوب التي تلم بهم -لا يقيمون عليها- إن ربك -أيها المسلم- واسع المغفرة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن، ما اجتنبت الكبائر. ﴾ [مسلم ٢٣٣ * الترمذي ٢١٤ * أحمد ٨٧١٥]، هو أعلم بكم -أيها الناس، لا يخفى عليه شيء من أحوالكم- حيث أوجدكم -بأن بدأ خلقكم- من الأرض -من ترابها، فأنتم ذرية آدم ﵇- وحيث أنتم أجنة في بطون أمهاتكم، فلا تزكوا أنفسكم -بالثناء عليها بغير حق واختلاق من المراتب ما ليس لكم، ومن جملة ذلك نعت كل من هب ودب بالشهيد: "شهيد الواجب"، "شهيد الوطن"، ونحو ذلك من الهراء- هو -سبحانه- أعلم بمن اتقى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. **٣٢**
أفرأيت -أيها الإنسان- وتأملت الذي أعرض متنحيا عن طاعة ربه؟ وأعطى قليلا -من الطاعة- ومنع: فمباشرة قطع ما كان أعطى؟ أعنده علم الغيب، فهو يرى: أن لن يعاقب على عصيانه؟ أم لم يجري إخباره بما في توراة موسى؟ وإبراهيم الذي أدى -ما أمره الله به- وافيا: وبما في كتابه ﵇؟ ألا تجازى نفس بذنب غيرها؟ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى: فيجازى على ما حاول تحصيله؟ وأن سعيه سوف يرى: فيعرض عيانا يوم القيامة؟ ثم يجزاه الجزاء الأكثر وفاء: فهو كما قال تعالى ﴿ فمن يعمل مِثقال ذَرَّة خيرا يَره. ومن يعمل مِثقال ذَرَّة شرا يَره. ﴾ [الزلزلة ٧ ٨]؟ وأن إلى ربك المنتهى: في الآخرة هو الذي يجازي؟ وأنه هو -سبحانه- أضحك -من شاء، دنيا أو آخرة- وأبكى: وأسباب الضحك والبكاء قد أوجدها؟ وأنه هو أمات -في الدنيا- وأحيا: خلقه من عدم، ثم بعد موتهم ليحاسبهم؟ **٣٣ ~ ٤٤**

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾
وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ
رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ
أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾
وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ
تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾
لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ
تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾
فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

سُورَةُ ٱلْقَمَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟
سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾
وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ
ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

وأنه خلق الصنفين -من كل حيوان- الذكر والأنثى؟ من نطفة -من المني الخارج عند الجماع- إذا -في الرحم- قذفت؟ وأن عليه -سبحانه- إعادة إيجادها في الآخرة مرة أخرى؟ وأنه هو أغنى -وأفقر من شاء- وأعطى -من شاء- ما يقتنى وبه يرضى؟ وأنه هو رب الشعرى: نجم أو كوكب كان يعبده بعض أهل الشرك؟ وأنه أهلك عادا الأولى: أول من أهلك بعد قوم نوح؟ وثمود كذلك أهلكهم، فما أبقى: من عاد ولا ثمود أحدا؟ وقوم نوح من قبل -عاد وثمود- إنهم كانوا -أول من عبد الأصنام- هم أعظم ظلما وأكثر طغيانا: وتجاوزا لحدود الله، إذ ظلوا كفارا لقرون كما قال تعالى ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهُم ظالمون. ﴾ [العنكبوت ١٤].
والمؤتفكة -قرى قوم لوط المنقلبة، جعل ربها عاليها سافلها- صير إلى الهاوية وأهلك: إذ أمر الملائكة أن يرفعوها عن الأرض ثم يسقطوها. فغمرها وغطاها ما لابس وباشر: من حجارة أمطر بها أهلها كما قال تعالى ﴿ فجعلنا عاليَها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سِجِّيل. ﴾ [الحِجر ٧٤]. **٥٣ ~ ٥٤**
فبأي نعم ربك الواسعة -أيها الإنسان، ومن جملتها إهلاك الكفار- تتجادل متشككا؟ هذا -النبي وما ينذرهم به- نذير للعصاة بالعقاب من -جنس من سبق من- النذر الأولى. قرب مجيء -القيامة- قريبة المجيء. ليس لها من دون الله كاشف عن وقت قيامها كما قال تعالى ﴿ لا يُجلِّيها لوقتها إلا هو ﴾ [الأعراف ١٨٧] ولا رافع لأهوالها. أفمن هذا الحديث -الذي يحدثكم به النبي ﷺ، أيها الكفار- تعجبون؟ وتضحكون -مستهزئين- ولا تبكون: خوفا مما تسمعون؟ وأنتم لاهون غافلون؟ **٥٥ ~ ٦١**
فاسجدوا لله -أنتم أيها المسلمون، فهم كفار- واعبدوا: الله مخلصين له الدين، بلا شرك ولا رياء. **٦٢**

★ سورة القمر ★

★ مكية ★

اقتربت الساعة -فكل آت قريب- وانشق القمر: فشهده العباد كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، شقتين، فقال النبي ﷺ: اشهدوا. ﴾ [البخاري ٣٦٣٦ ★ مسلم ٢٨٠٠ ★ الترمذي ٣٢٨٧ ★ أحمد ٣٥٨٣]، ذلك من علامات القيامة. **١**
وإن ير الكفار آية دالة على صدق النبي ﷺ -مبهرة، كانشقاق القمر- يعرضوا منصرفين عن الإيمان -فليس مرادهم تحري الحق ولا التثبت منه كما يزعمون- ويزعموا -أنها- سحر -محكم- مستمر. **٢**
وكذبوا -نبيهم- واتبعوا أهواءهم -فاستمروا على الكفر- وكل أمر مستقر: إلى غاية، ثواب أو عقاب. **٣**
ولقد جاءهم من الأخبار -عن الأمم التي أهلكها الله من قبل- ما فيه مزدجر: لعصاتهم زجر وردع. **٤**
حكمة بالغة -جاءتهم- فماذا تنفع أو تغني -من أصر على الكفر- النذر: من رسل وإنذار بالعقاب؟ **٥**
فأعرض عنهم أيها النبي الكريم لا تبال بهم -حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]، متذكرا ما يحل بهم- يوم -القيامة، حين- يدعو الداع -المَلَك الموكل بالنفخ في الصور- إلى شيء فظيع منكر شديد النكارة. **٦**

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾
وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾
كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ
بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾
إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

خاضعة أبصارهم -من الهول- ساكنة ذليلة، يخرجون -لهم صوت- من القبور كأنهم جراد منتشر: بلا وجهة. مسرعين إلى -إجابة- الداعِ -للحساب- يؤكد الكافرون أن هذا يوم عسر شدته بالغتهم. **٧ ٨**
كذبت قبل هؤلاء الكفار قوم نوح، فكذبوا عبد الله، وزعموا -أنه ﷺ، حاشاه- مجنون، وجرى زجره: ليترك دعوته كما قال تعالى ﴿ قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكوننَّ من المرجومين. ﴾ [الشعراء ١١٦]. **٩**
فدعا -ﷺ- ربه أنه مغلوب -لا قدرة له على الانتصار من قومه- فانتصر: رب لي منهم، وعاقبهم. **١٠**
ففتح الله أبواب السماء بمطر منهمر كثير متتابع. وفجر الله الأرض -فصارت- عيونا -من ماء- فالتقى الماء -من السماء والأرض- على أمر قد قدر: إذ قدر الله إغراق الكافرين كما قال تعالى ﴿ فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾ [العنكبوت ١٤]. وحمله الله على -سفينة- ذات ألواح -خشبية- وما تشد به الألواح من مسامير وشرائط. تجري بأعين الله -بمرأى منه وفي حفظه- جزاء لمن كان -به- كفر: نوح ﷺ، أنجاه وانتصر منهم. ولقد ترك الله هذه القصة آية دالة على كمال قدرته، فهل من متذكر، بها متعظ؟ فكيف كان عذاب الله -لمن أصر على الكفر- وإنذاره بالعقاب؟ تأملوا أيها الكفار! **١١ ~ ١٦**
ولقد يسر الله القرآن للتذكر والاتعاظ، وجعله سهلا للحفظ، فهل من -حافظ- متذكر، به متعظ؟ **١٧**
فائدة! يسر الله القرآن للحفظ والتذكر والاتعاظ، فهل نتركه ونزعم أننا نبحث عن حلول للأمة في غيره؟
وَيَسَّرَ رَبُّنا القرآنَ ذِكرًا ... فَمَنْ يَترُكْهُ يَجهَلْ، أو كَفورُ
كذبت عاد، فكيف كان عذاب الله -لمن أصر على الكفر- وإنذاره بالعقاب؟ تأملوا أيها الكفار! **١٨**
إن الله أرسل سبحانه عليهم ريحا شديدة الصوت والبرودة في يوم مشؤوم -محكم- مستمر: سبع ليال وثمانية أيام متواصلة كما قال تعالى ﴿ وأما عاد فأُهلِكوا بريح صرصر عاتية. سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حُسوما ﴾ [الحاقَّة ٦ ٧]، اتصل العذاب فيهم فصاروا بمثابة يوم واحد. **١٩**
تنزع -الريح- الناس -فترمي بهم على رؤوسهم- كأنهم أصول نخل منقلع من الأرض. **٢٠**
فكيف كان عذاب الله -لمن أصر على الكفر- وإنذاره بالعقاب؟ تأملوا أيها الكفار! **٢١**
ولقد يسر الله القرآن للتذكر والاتعاظ، وجعله سهلا للحفظ، فهل من -حافظ- متذكر، به متعظ؟ **٢٢**
كذبت ثمود بالنذر: صالح ﷺ الذي أرسله الله لينذرهم بالعقاب إن هم استمروا على كفرهم. **٢٣**
فتساءلوا -مستنكرين- أبشرا -مثلهم، ليس مَلَكا ولا جنيا- منهم واحدا -من قومهم، وهم أكثر بكثير ممن آمن به عددا- يتبعونه؟ أردفوا مصرحين بأنهم إذًا -إن فعلوا- لفي ضلال وجنون وشقاء. **٢٤**
تساءلوا -مستنكرين، بل وحاسدين- أؤلقي الذكر عليه من بينهم: فاختصه الله بالوحي والنبوة؟ بل هو -ﷺ، حاشاه- كذاب متكبر بطر. **٢٥**
سيعلمون غدا -عند نزول عذاب الله بهم، ثم يوم القيامة- من الكذاب المتكبر البطر. **٢٦**
إن الله مرسل سبحانه الناقة -كما اقترحوا على صالح ﷺ، حيث سألوه أن يبعث الله لهم ناقة يخرجها من صخرة ليصدقوه!- فتنة لهم -يختبرهم بها- فترصد صنيعهم، واصطبر: يا صالح على أذاهم. **٢٧**

وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ
صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ
لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا
عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ
كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ
بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ
عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ
عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٤٠﴾
وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ
أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ
فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ﴿٤٤﴾ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ
وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾
إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ
وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾

وأخبرهم أن الماء قسمة بينهم -لا يشربون معها كما قال تعالى ﴿ قال هذه ناقة لها شِرب ولكم شِرب يوم معلوم. ﴾ [الشعراء ١٥٥]- كل شرب -نصيب من الماء- محتضر: يحصله صاحبه في يومه. ٢٨
فنادوا صاحبهم -واحدا من ثمود- فتناول -الناقة بالإيذاء، عازما على قتلها- فأصاب بجرح قاتل. ٢٩
فكيف كان عذاب الله -لمن أصر على الكفر- وإنذاره بالعقاب؟ تأملوا أيها الكفار! ٣٠
إن الله أرسل سبحانه عليهم صيحة واحدة، فكانوا كشجر مهشم -يوظفه- صانع حظيرة الأغنام. ٣١
ولقد يسر الله القرآن للتذكر والاتعاظ، وجعله سهلا للحفظ، فهل من -حافظ- متذكر، به متعظ؟ ٣٢
كذبت قوم لوط بالنذر: لوط عليه السلام الذي أرسله الله لينذرهم بالعقاب إن هم استمروا على كفرهم. ٣٣
إن الله أرسل سبحانه عليهم حجارة -متتابعة أمطرهم بها من السماء كما قال تعالى ﴿ وأمطرنا عليها حجارة من سِجِّيل منضود ﴾ [هود ٨٢]- إلا أهل بيت لوط، نجاهم الله بسحر: قبيل الفجر. ٣٤
نعمة من عند الله -أنعمها عليهم، لشكرهم نعمه- مثل ذلك الجزاء يجزي الله من شكر. ٣٥
ولقد أنذر لوط عليه السلام قومه بطشة الله -وعقابه لأهل الكفر والعصيان- فتجادلوا مشككين بالإنذار. ٣٦
ولقد طلب قوم لوط منه برفق ولين وإعمال حيلة أن يمكنهم من أضيافه -إذ سمعوا أنهم جاءوه، فقد كانت عادتهم إتيان الرجال في أدبارهم- فمحى الله أعينهم -فأذهب أبصارهم فلم يروا أضيافه- فذوقوا عذاب الله -يا قوم لوط- وإنذاره بالعقاب: فهو عاقبة تشكيككم في جدية إنذار لوط عليه السلام. ٣٧
ولقد جاءهم أول النهار عذاب مستقر: إلى غاية، أفضى إلى موتهم، ثم تبعه عذاب البرزخ بين الموت والبعث كما قال تعالى ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون ﴾ [المؤمنون ١٠٠] إلى قيام القيامة. ٣٨
فذوقوا عذاب الله -يا قوم لوط- وإنذاره بالعقاب: فهو عاقبة تشكيككم في جدية إنذار لوط عليه السلام. ٣٩
ولقد يسر الله القرآن للتذكر والاتعاظ، وجعله سهلا للحفظ، فهل من -حافظ- متذكر، به متعظ؟ ٤٠
ولقد جاء أهل فرعون وأتباعه النذر: موسى وهارون عليهما السلام إذ أنذراهم عقاب الله إن هم ظلوا كفارا. ٤١
كذبوا بآيات الله الدالة على صدق موسى وهارون عليهما السلام كلها، فأخذهم سبحانه -بعقابه- أخذ عزيز في قدرته لا يعجزه شيء، مقتدر: له مطلق القدرة، متى شاء عذب. ٤٢
أكفاركم -أيها المكذبون بالنبي صلى الله عليه وآله- خير من هؤلاء الكفار المذكورين ها هنا وأفضل؟ أم لكم براءة -من عذاب الله كتبها لكم- في الكتب السماوية: وهل تفرق شريعته بين متناظرين متماثلين؟! ٤٣
أم يزعمون أن هم جميع منتصر: ممن يريد تفريقهم، أمة قوتها في عددها واتحادها على كفرها! ٤٤
سيهزم الجمع -الكافر- ويولون الأظهر فارين: متحدين على الفرار، وقد حدث يوم بدر. ٤٥
بل الساعة موعد عذابهم -يوم القيامة- والساعة -عذابها- أكثر فظاعة ومرارة: من أي شيء خبروه. ٤٦
إن المجرمين مستحقي العقاب في ضلال وجنون وشقاء. ٤٧
يوم -القيامة- يسحبون في النار على وجوههم، ذوقوا نيل سقر: طبقة من النار، يقال لهم تبكيتا. ٤٨
إن الله كل شيء خلقه سبحانه بمقدار قد قدره: بتقدير سابق منه، كل في اللوح المحفوظ مثبت. ٤٩

وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ
أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾
وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي
جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحۡمَٰن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾
ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾
وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾
وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ
وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾
وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾
خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن
مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ
ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾

وما أمر الله إلا -كلمة- واحدة كنظرة خاطفة: إذا أراد الله شيئا يأمره بالتَّكُّون، يقول "كن" فيكون. **٥٠**
ولقد أهلك الله الأمم المشابهة لكم في الكفر والعناد، فهل من متذكر، بما حل بهم متعظ؟ **٥١**
وكل شيء فعله عباده -مسجل- في صحائف أعمالهم: وفي اللوح المحفوظ مثبت. **٥٢**
وكل صغير وكبير -قولا كان أو عملا- مكتوب منظم: وسيجازيهم سبحانه به. **٥٣**
إن المتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه في جنات -بساتين مديدة الظل- وفيها أنهار. **٥٤**
في مجلس صدق وحق -لا باطل فيه ولا إثم- عند مليك -يملك كل شيء، فهم في قرب من الله- مقتدر: له مطلق القدرة، يقرب منه من يشاء، سبحانه. **٥٥**

★ سورة الرحمن ★

★ مكية ★

الرحمن: بجميع خلقه. علم القرآن: سهله الله للحفظ والتذكر والاتعاظ كما قال تعالى ﴿ ولقد يَسَّرنا القرآن للذِّكر ﴾ [القمر ١٧ و٢٢ و٣٢ و٤٠]. خلق الإنسان: في أحسن صورة كما قال تعالى ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. ﴾ [التين ٤]. علمه البيان: ليعبر عما في نفسه نطقا وكتابة. **١ ~ ٤**
الشمس والقمر يتحركان بحساب متقن: ليحسب الناس من حركتهما الأوقات والآجال والأعمار. وما لا ساق له من النبات -ونجوم السماء- والشجر يسجدان: جميعهم لله منقاد. والسماء رفعها كما قال تعالى ﴿ الله الذي رفع السماوات بغير عَمَد تَرَونها ﴾ [الرعد ٢] ووضع الميزان: فأثبت العدل، وغير شرع الله ظلم كما قال تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [المائدة ٤٥]. ألا تطغوا متجاوزين لحدود الله في الميزان: أيها الناس، قد أمر سبحانه بذلك. واجعلوا الأخذ والإعطاء بالعدل، ولا تتلاعبوا في الميزان: بل أعطوا الحق كاملا، فلا تطففوا في سلعة ولا في خدمة. **٥ ~ ٩**
والأرض وضعها -فهيأها للحياة- لذوات الأرواح. فيها فاكهة، والنخل ذات الأوعية: يخرج منها التمر. والحب -من قمح وشعير وأرز وغير ذلك- ذو السيقان -تأكل البهائم من تلك السيقان- والنباتات زكية الرائحة. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ **١٠ ~ ١٣**
فائدة! التخطيط لمستقبل أجيالنا القادمة لا ينافي التوكل -كما جاء على لسان عمر بن الخطاب ﷺ ﴿ لولا آخر المسلمين، ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها كما قسم النبي ﷺ خيبر. ﴾ [البخاري ٢٣٣٤ ★ أبو داود ٣٠٢٠ ★ أحمد ٢٨٦]- ولا ينافي الزهد، ولا أن الله ينعم باستمرار على خلقه.

نُخَطِّطُ للذَّراريِّ استِباقًا ... ونَحنُ الزاهِدونَ، ولا نَجورُ

خلق الإنسان -آدم ﵇- من طين يابس كالفخار: المطبوخ في النار. وخلق الجن -أباه، قيل إبليس- من لهب صاف من نار. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ **١٤ ~ ١٦**
رب المشرقَين -للشمس شتاء وصيفا- ورب المغربَين. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ **١٧ ١٨**

مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ
رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾
يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ
أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ
إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا
شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن
ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾
يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾

أجرى نوعي الماء يلتقيان: فيما تراه الأعين، عند مصب النهر العذب في البحر المالح. بينهما -رغم التقائهما- حاجز حائل، لا يبغيان: فليس يختلط أحدهما بالآخر. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ يخرج من المياه العذبة والمالحة -عائلات مختلفة من- اللؤلؤ وصغاره. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ وله السفن الجارية المرتفعات في الماء -في ارتفاعها- كالجبال: إن يشأ سبحانه يقيد حركتها كما قال تعالى ﴿ ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام. إن يشأ يُسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ﴾ [الشورى ٣٢ ٣٣]. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ **١٩ ~ ٢٥**

كل من على الأرض -من خلائق أيها المخلوق، لا محالة هالك- فان. ويبقى وجه ربك ذو العظمة والكبرياء والإحسان والفضل: لا يموت سبحانه، بل ولا يعتريه نعاس ولا نوم كما قال تعالى ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سِنة ولا نوم ﴾ [البقرة ٢٥٥]. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ **٢٦ ~ ٢٨**

فائدة! من مخلوقات الله ما ليس يفنى، كالجنة والنار والكرسي والعرش وغير ذلك.

ومَخلوقاتُ ربِّ الخَلْقِ مِنها ... جِنانٌ لا تَبورُ كذا السعيرُ

يسأله من في السماوات والأرض -من ملائكة وجن وإنس حاجاتهم: بلسان الحال أو بلسان المقال- كل يوم هو في شأن: يدبر شؤون عباده في كل وقت، لا يشغله سبحانه أمر عن أمر. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ سيفرغ الله لكم أيها الثقلان: قاصدا لحسابكم أيها الجن والإنس، بعد فراغ الدنيا من أهلها كما قال تعالى ﴿ ونُفخ في الصور فصَعِق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ [الزُّمَر ٦٨]. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة تكذبان؟ **٢٩ ~ ٣٢**

يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أرجاء السماوات والأرض فانفذوا -خارجين هربا من قدر الله- لا تنفذون إلا بقوة قاهرة: مثله ﷺ ليلة المعراج، ولا ينفذ أحد من سلطان الله وقدره بحال. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة تكذبان؟ يرسل عليكما لهب بلا دخان من نار -مرة- ودخان لا لهب فيه -مرة- فلا تنتصران: بل عذاب الله يدرككم. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة تكذبان؟ **٣٣ ~ ٣٦**

فإذا انشقت السماء فصارت وردية -لونها بين الصفرة والحمرة، صافية تذوب يوم القيامة- كالدهون. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا -من هو- جان: من قبل الله سؤال استعتاب كما قال تعالى ﴿ وإن يَستَعتِبوا فما هم من المُعتَبين ﴾ [فُصِّلَت ٢٤]، لكن يسألهم الله سؤال تقريع وتوبيخ كما قال تعالى ﴿ فوربك لنسألنَّهم أجمعين. ﴾ [الحِجر ٩٢]. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ **٣٧ ~ ٤٠**

يعرف المجرمون مستحقو العقاب -يوم القيامة- بعلاماتهم -كألوانهم الزرقاء كما قال تعالى ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زُرقا ﴾ [طه ١٠٢]- فيسحبون من النواصي -شعر مقدمة رؤوسهم- والأقدام. **٤١**

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا
ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾
فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا
مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ
عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ
إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ
ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾
هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾
فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾
فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ هذه جهنم التي يكذب بها -في الدنيا- المجرمون مستحقو العقاب: يقال لهم تقريعا، وهم يسحبون إليها. يطوفون بين جهنم وبين حر قد بلغ منتهى الحرارة كما قال تعالى ﴿ وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمُهل يشوي الوجوه ﴾ [الكهف ٢٩]. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ **٤٢ ~ ٤٥**

ولمن خاف القيام بين يدي ربه -للحساب- جنتان. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ ذواتا أغصان مثمرة وألوان. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ فيهما عينان -بما فيهما من شراب دون توقف- تجريان. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ فيهما من كل فاكهة صنفان: لا يقصر أحدهما عن الآخر في الفضل والطيب. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ متكئين على فرش بطائنها من حرير غليظ -يتنعم أهلهما- وما يجنى من طيب وطري -ثمار- الجنتين دان: قريب يتم تناوله دون مجهود. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ **٤٦ ~ ٥٥**

فائدة! من أهم موانع الانقياد للحق المنشأ القديم: إذا ناقض الحق فكرة قديمة نشأ المرء عليها -أو كانت من أسس عمل جماعته- اعترض على الحق، ثم إذا أيقن أنه على خطأ لم يغير، متناسيا القيام بين يدي ربه للحساب، لأن عمله بفكرته القديمة لمدة زمنية ترتب عليه أشياء يصعب عليه -نفسيا أو عمليا- التراجع عن مآلاتها، فلا يتوهمن أحد أن فئة ضالة ستتغير بأسرها لتتبع أو تنصر الحق.

وخَوفًا مِنْ مَّقامِ اللهِ فاهجُرْ ... مُلازَمَةَ الضلالِ وما يُبِيرُ

في الجنات نساء قصرن طرفهن على أزواجهن لا يردن غيرهم، لم يمسسهن إنس قبل أزواجهن ولا -من هو- جان. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ كأنهن الياقوت وصغار اللؤلؤ: صفاء وجمالا. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ هل جزاء الإحسان -في الدنيا، في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق- إلا الإحسان: في الآخرة، إلى من أحسن في دنياه؟ فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ **٥٦ ~ ٦١**

ومن دونهما جنتان: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ ﴿ جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن. ﴾ [البخاري **٤٨٧٨** * مسلم **١٨٠** * الترمذي **٢٥٢٨** * ابن ماجة **١٨٦** * أحمد **١٩٦٨٢**]. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ شديدتا الخضرة. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ فيهما عينان نضاختان: لا يهدأ فوران ما فيهما من شراب. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ فيهما فاكهة، ونخل ورمان: هما من أخص ما يوجد فيهما. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ **٦٢ ~ ٦٩**

في الجنات نساء خيرات طيبات الأخلاق حسان الوجوه. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ حور -شديدات الحسن والبياض- قصرن على أزواجهن لا يردن غيرهم، في الخيام: مصونات كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ﴿ في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا، في كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن. ﴾ [البخاري ٤٨٧٩ ★ مسلم ٢٨٣٨ ★ الترمذي ٢٥٢٨م ★ أحمد ١٩٦٨١]. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ لم يمسسهن إنس قبل أزواجهن ولا -من هو- جان. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ متكئين على بسط خضر ووسد حسان. فبأي -من- نعم ربكما الواسعة -يا معشر الجن والإنس- تكذبان؟ كثر خير ونفع اسم ربك -فكيف أيها المخلوق بذاته؟- ذي العظمة والكبرياء والإحسان والفضل، وتعاظم واستحق الثناء. ٧٠ ~ ٧٨

★ سورة الواقعة ★

★ مكية ★

إذا وقعت الواقعة: فالقيامة واقعة لا محالة. ليس لقيامها راد ولا لوقوعها تكذيب، كذلك لا يكون عند وقوعها تكذيب ممن قد كذب بها في الدنيا. خافضة -لأهل الكفر والعصيان إلى النار- رافعة: لأهل الإيمان والصلاح إلى الجنة. إذا حركت الأرض واضطربت بشدة. وفتتت الجبال تماما. فكانت هباء متكاثرا متفرقا: كالغبار الكثير المنتشر، لا ثبات له ولا قيمة. ١ ~ ٦

وكنتم -أيها الخلق، يومئذ- أصنافا ثلاثة. فأصحاب الميمنة كما قال تعالى ﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة. أولئك أصحاب الميمنة. ﴾ [البلد ١٧ ١٨] في أي شيء هم اليوم؟ شأنهم عظيم! وأصحاب المشأمة كما قال تعالى ﴿ والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة. ﴾ [البلد ١٩] في أي شيء هم اليوم؟ شأنهم خسيس! والسابقون -إلى الإيمان والصلاح في الدنيا هم- السابقون: إلى الجنة، ما أعظم شأنهم! هؤلاء -عنده سبحانه هم- المقربون. في جنات النعيم الدائم. جماعة من أمة محمد ﷺ وممن سبقهم قبل بعثته: من السابقين المقربين. وقليل من المتأخرين من أمة محمد ﷺ: من السابقين المقربين. ٧ ~ ١٤

فائدة! الجهاد في سبيل الله من وسائل إدراك الدرجات العلى من الجنان كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة ﴾ [البخاري ٧٤٢٣ ★ أحمد ٨٤١٩].

يُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ يَبغي ... مِنَ الدَّرَجاتِ أعلاها الظَّفِيرُ

على أسرة -في مجالس مهيأة للسرور هم السابقون المقربون- مرصعة مضاعف نسجها. ١٥

متكئين عليها -ينظر بعضهم إلى وجوه بعض- متقابلين. ١٦

فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾
حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ
وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾
تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾
إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾ فَكَانَتۡ
هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ
مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾
عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ
مِّن مَّعِينٖ ١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا
يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١ وَحُورٌ عِينٞ ٢٢ كَأَمۡثَٰلِ
ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ٢٣ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ لَا يَسۡمَعُونَ
فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ
أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ
مَّمۡدُودٖ ٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ
وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ٣٤ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥
فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨ ثُلَّةٞ
مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ٤٠ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ
أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣
لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ٤٥ وَكَانُواْ
يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ٤٦ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا
تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٤٧ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ٤٨ قُلۡ إِنَّ
ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٥٠

يطوف عليهم ولدان مخلدون: لا يهرمون ولا يتغيرون. بأكواب وأباريق وكؤوس خمر جارية: كما تجري عيون الماء على وجه الأرض. لا يصابون بصداع منها ولا تنفد، ولا يسكرون. وفاكهة مما يتخيرون. ولحم طير مما تشتهي أنفسهم. وحور عين: شديدات الحسن والبياض حسناوات العيون، قد قرنهم الله بهن. كأمثال اللؤلؤ المصون الذي لم تمسه يد: في حسنهن. جزاء بسبب ما كانوا يعملون. لا يسمعون فيها باطلا لا طائل منه ولا ما يترتب عليه إثم. إلا قولا سالما من الإثم دائما يقال -كذلك تحية الله والملائكة لهم يسمعونها وتحية بعضهم لبعض- ويسلمون من كل مكروه. **١٧ ~ ٢٦**

وأصحاب اليمين -وقد أخذوا صحائف أعمالهم بأيمانهم- في أي شيء هم اليوم؟ شأنهم عظيم! في -شجر- سدر مقطوع الشوك: كثير الثمر طيبه ليس كسدر الدنيا. وطلح -من أشجار العرب، وقيل هو الموز- متراكم الثمر لا أذى فيه. وظل ممدود دائم لا ينقطع. وماء مسكوب جار غير منقطع. وفاكهة كثيرة متعددة. لا مقطوعة -عنهم في وقت من الأوقات، كما تنقطع فاكهة الدنيا الموسمية- ولا -هي عنهم أبدا- ممنوعة. وفرش مرفوعة على الأسرة، ونساء مرفوعة القدر والجمال. إن الله أوجدهن سبحانه خلقا دون ولادة. فجعلهن الله أبكارا لم يمسسن من قبل. متحببات إلى أزواجهن، متساويات حسنا وأخلاقا وسنا. لأصحاب اليمين. جماعة من أمة محمد ﷺ وممن سبقهم قبل بعثته: من أصحاب اليمين. وجماعة من المتأخرين من أمة محمد ﷺ: من أصحاب اليمين. **٢٧ ~ ٤٠**

وأصحاب الشمال -وقد أخذوا صحائف أعمالهم بشمائلهم- في أي شيء هم اليوم؟ شأنهم خسيس! في حرارة قاسية وحر متناه شدته. وظل من دخان حالك السواد. لا بارد ولا كريم: لا خير فيه ولا نفع له البتة. إنهم كانوا قبل ذلك -في الدنيا- منعمين أبطرهم الترف. وكانوا يصرون على الحنث العظيم: في شهادتهم التي شهدوها، أنه سبحانه ربهم ليس لهم رب سواه كما قال تعالى ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذُرِّيَّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنَّا عن هذا غافلين. ﴾ [الأعراف **١٧٢**]، فأشركوا به سبحانه، أو أنكروا وجوده بالكلية! ثم ماتوا على كفرهم. وكانوا يتساءلون -مستنكرين- أئذا ماتوا وصاروا ترابا وعظاما أئنهم -للحساب- لمبعوثون؟ أوآباؤهم وأسلافهم كذلك؟ أجبهم أيها النبي الكريم بأن الأولين والآخرين: الخلق أجمعين. لمجموعون -للحساب، ومن ثم الجزاء- إلى موعد يوم محدد: يوم القيامة، قد حدد زمانا ومكانا. **٤١ ~ ٥٠**

فائدة! من الشبه التي يلقيها الشيطان وهي منتشرة بشدة بين أهل العصيان أن التقوى يجب أن تكون كاملة، فإما أن تكون تقيا نقيا لا تخطئ، أو لا تحاول امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه لأنك لست لذلك أهلا! فعلى الدعاة وأهل الإصلاح كشف هذه الشبهة، مظهرين لأهل العصيان أن إخلاص النية ومن ثم استفراغ الوسع في العمل يجلبان توفيق الله ومزيد من هدايته كما قال تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبُلنا ﴾ [العنكبوت **٦٩**].

نُجاهِدُ في العليمِ بنِيَّةٍ لَمْ ... تَشُبها شائباتٍ، فاستَنيروا

ثم إنكم أيها الضالون عن الحق المكذبون بالبعث. لآكلون -في النار- من شجر -خبيث ثمره- من زقوم كما قال تعالى ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم. ﴾ [الصافات ٦٤]. فمالئون من ثمارها بطونكم. فشاربون عليه من الحر المتناهي شدته: ماء حرارته ستقطع بطونكم كما قال تعالى ﴿ وسُقُوا ماء حميما فقَطَّع أمعاءهم ﴾ [محمد ١٥]. فشاربون شرب الإبل العطاش التي لا تروى لداء أصابها. هذا -الطعام والشراب- ضيافتهم يوم الدين: يوم القيامة، يوم يدين الله عباده ويحاسبهم. **٥١ ~ ٥٦**

الله خلقكم سبحانه -أيها المكذبون بالبعث، من عدم- فهلا تصدقون: بقدرته على بعثكم من موتكم أحياء؟ فسأل -الله، موبخا المكذبين- أن يخبروه عما -في الأرحام من مني- يقذفون؟ أهم يخلقونه -بشرا- أم الله -هو- الخالق سبحانه؟ الله قدر سبحانه بينهم الموت: فلكل منهم أجل كما قال تعالى ﴿ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ [يونس ٤٩]، وما الله بعاجز سبحانه. على أن يبدل سبحانه أمثالهم -بعد إهلاكهم بخلق مثلهم- ويوجدهم سبحانه فيما لا يعلمون: كمن مسخ قبلهم كما قال تعالى ﴿ فلما عتوا عن ما نُهوا عنه قُلنا لهم كونوا قردة خاسئين. ﴾ [الأعراف ١٦٦]. ولقد علموا كيفية إيجادهم ابتداء -من عدم- فهلا يذكرون قدرة الله، فيؤمنوا به وبما أنزل؟! **٥٧ ~ ٦٢**

فسأل -الله، موبخا المكذبين- أن يخبروه عما يحرثون: من أرض، فيلقون فيها البذور؟ أهم -بزراعتهم هذه- ينبتونه فيخرجوه زرعا، أم الله هو الزارع المنبت سبحانه؟ لو يشاء الله لجعله سبحانه -رغما عنهم وعن زراعتهم له- حطاما، فظلوا -آنذاك مما أصابه، فترة وجيزة، نادمين- يتعجبون. نحن -بهلاك ما زرعنا، حقا- محملون غرامة وخسارة: هكذا يصرحون. بل نحن محرومون: الرزق، لهلاكه. **٦٣ ~ ٦٧**

فسأل -الله، موبخا المكذبين- أن يخبروه عن الماء الذي يشربون؟ أهم أنزلوه من السحاب، أم الله هو المنزل سبحانه؟ لو يشاء الله جعله سبحانه شديد المرارة، فهلا يشكرون الله على نعمه؟! **٦٨ ~ ٧٠**

فائدة! ورد عن النبي ﷺ من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه ﴿ هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب ﴾ [البخاري ٨٤٦ ★ مسلم ٧١ ★ أبو داود ٣٩٠٦ ★ النسائي ١٥٢٥ ★ أحمد ١٧٠٦١].

بفضلِ اللهِ نُمطَرُ لا بشَيءٍ ... مِنَ الأنواءِ، بَلْ رَحِمَ القديرُ

فسأل -الله، موبخا المكذبين- أن يخبروه عن النار التي يوقدون بالقدح؟ أهم أوجدوا شجرها -الذي يقدحون ليوقدوا منه نارهم تلك- أم الله هو الموجد سبحانه؟ الله جعل سبحانه نارهم تلك تذكرة -بنار الآخرة العظيمة- وتمتعا للمسافرين والنازلين بأرض مقفرة. فواظب على تنزيه وتقديس باسم ربك العظيم -أيها المؤمن- عما لا يليق به من إلحاد وشرك وإنكار لنعمه وجحود وعدم شكر. **٧١ ~ ٧٤**

فأقسم الله بمواقع النجوم: في السماء، وبنزول القرآن منجما مفرقا على النبي ﷺ. **٧٥**

وإنه لقسم لو تعلمون -شأنه أيها الخلق- عظيم. **٧٦**

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ
شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا
تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ
حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ
مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا
تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ
شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا
لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ
بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ
أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ
إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾
تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾
فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ
ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

إنه لقرآن كريم: كرمه الله لما فيه من منافع عظيمة، ورفع قدره فوق سائر كتبه، وجعله مهيمنا عليهم. في كتاب مصون لا يتطرق إليه باطل: اللوح المحفوظ. لا يمسه إلا -الملائكة- المطهرون: من كل حدث ونجاسة وذنب وعيب. تنزيل من رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. **٧٧ ~ ٨٠**

فائدة! يجوز للحائض ولغير المتوضئ -وليس الجنب- قراءة القرآن من الأجهزة الإلكترونية، ولا يجوز لأي منهم مس المصحف الورقي ولا تقليب صفحاته ولا نقله من مكان إلى آخر دون حائل.

يَمَسُّ المُصحَفَ المتطهِّرونَ ... لغَيرِهِمِ الحواسِبُ والطَّهورُ

أفبهذا الحديث -الذي يحدثكم به النبي ﷺ- أنتم متهاونون منافقون: تظهرون إيمانا به، ولا تعملون؟ وتجعلون -شكر- رزقكم أنكم تكذبون: بحديث نبي رازقكم؟ فهلا إذا بلغت -الروح- الحلقوم: إشرافا على الموت. وأنتم حينئذ -إلى المحتضر- تنظرون. والله -بعلمه وقدرته سبحانه، وملائكته- أقرب إليه منكم، ولكن لا تبصرون: علم وقدرة الله ولا ملائكة الموت. فهلا إن كنتم -بأعمالكم- غير مجزيين. ترجعون الروح -فلا تخرج- إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم لا تبعثون: بل قهرا تبعثون. **٨١ ~ ٨٧**

فأما إن كان -المتوفى، عند الله- من المقربين. فراحة من الدنيا واستراحة من أحوالها ومتاعبها ورحمة من الله، ورزق حسن زكي الرائحة، وجنة نعيم دائم: له في الآخرة. **٨٨ ٨٩**

وأما إن كان من أصحاب اليمين: الذين يأخذون صحائف أعمالهم بأيمانهم. فسلام لك أيها النبي الكريم من أصحاب اليمين: فلن تغتم بهم، حيث أنهم في سلام من كل مكروه. **٩٠ ٩١**

وأما إن كان من المكذبين بالبعث -ومن جملتهم من يفترون على الله ويصفون الآخرة بالرأي والهوى- الضالين عن الحق. فضيافة من حر متناه شدته: له في الآخرة. ومقاساة حر جحيم. **٩٢ ~ ٩٤**

إن هذا -المذكور من أحوال العباد- لهو حق اليقين ليس يشوبه مراء. فواظب على تنزيه وتقديس باسم ربك العظيم -أيها المؤمن- عما لا يليق به من إلحاد وشرك وإنكار لنعمه وجحود وعدم شكر. **٩٥ ٩٦**

⋆ سورة الحديد ⋆

⋆ مدنية ⋆

نزه الله وقدسه ما في السماوات والأرض -كما قال تعالى ﴿ وإن من شيء إلا يُسَبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [الإسراء ٤٤]- وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **١**

له ملك السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، يحيي الخلائق ويميتها وقدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك إحياء الموتى للحساب. **٢**

هو الأول -ليس قبله شيء- والآخر -ليس بعده شيء الباقي بعد فناء خلقه- والظاهر -ليس فوقه شيء العالي الغالب على كل شيء الظاهر وجوده بالأدلة الظاهرة الواضحة- والباطن -ليس دونه شيء العالم ببواطن الأمور- وهو بكل شيء عليم، فالخالق أعلم بما خلق. **٣**

هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- استواء يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه لا ندري كيفيته، يعلم ما يدخل في الأرض -من ماء وأموات وبذور وكنوز وركاز مما دفن أهل الجاهلية من أموال وغير ذلك- وما يخرج منها -من ماء ونبات وحيوان وزواحف وحمم وغير ذلك- وما ينزل من السماء -من مطر وثلج وبرد وشهب وصواعق وعواصف وكتب وملائكة وبركات وأرزاق وأقدار- وما يصعد فيها -من ملائكة وأرواح الخلق وأعمالهم- وهو معكم -أيها الخلق، بعلمه وقدرته- أين ما كنتم، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. ٤

له ملك السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، وإلى الله ترجع أمور عباده ليقضي فيها. ٥

يدخل الليل في النهار فيطول وقت النهار، ويدخل النهار في الليل فيطول وقت الليل، ويعاقب بينهما، وهو عليم بكل ما في صدور الخلق من إيمان وكفر، ومن خير وشر. ٦

آمنوا -أيها الخلق- بالله ورسوله، وأنفقوا -في الزكاة الواجبة وصدقات التطوع- مما جعلكم -سبحانه- مستخلفين فيه -من أموال، لتتصرفوا فيها وفق شرعه- فالذين آمنوا منكم وأنفقوا -من أموالهم الحلال، نصرة لدين الله في الجهاد ووجوه البر، مخلصي النية عن طيب خاطر- لهم ثواب كبير. ٧

وما يمنعكم أن تؤمنوا بالله؟ والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم -ولا تشركوا به إلها، فما عذركم الآن؟- وقد أخذ -سبحانه- عهدكم الثقيل إن كنتم مؤمنين: بأنه ربكم كما قال تعالى ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذُرِيَّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ﴾ [الأعراف ١٧٢]. ٨

هو -سبحانه- الذي ينزل على عبده -ورسوله، محمد ﷺ- آيات بينات وأدلة جلية -واضحة الدلالة لا نجاة بغيرها- ليخرجكم من ظلمات الكفر والضلال والمعاصي إلى نور الإيمان والهدى والطاعة، وإن الله بكم لشديد الرأفة، عظيم الرحمة. ٩

وأي شيء يمنعكم -أيها المؤمنون- من أن تنفقوا في سبيل الله نصرة لدينه -أتبخلون ببعض أموالكم- ولله -ليس لسواه- ميراث السماوات والأرض: كما قال تعالى ﴿ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها ﴾ [مريم ٤٠]، فإن المالك هو الله؟ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح -الحديبية، وقيل فتح مكة- وقاتل -لتكون كلمة الله هي العليا، كما قال تعالى ﴿ الذين آمنوا يُقاتِلون في سبيل الله والذين كفروا يُقاتِلون في سبيل الطاغوت ﴾ [النساء ٧٦]- هؤلاء أعظم -في الجنة- مرتبة من الذين أنفقوا من بعد -الفتح- وقاتلوا، وكلا -من المؤمنين المنفقين المقاتلين، قبل الفتح وبعده، وإلى قيام القيامة- وعد الله الجنة، والله بجميع أعمالكم خبير، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. ١٠

فائدة! تتفاوت درجات المؤمنين في الجنة بحسب السبق إلى الإيمان والجهاد وبذل النفس والمال.

إلى الإيمانِ والإنفاقِ سَابِقْ ... وجاهِدْ مُخلِصًا، ولكَ الأُجورُ

من ذا الذي ينفق نصرة لدين الله -فالمال ضروري للجهاد- بنفس طيبة ونية خالصة، فيعيده عليه كما قال تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ [النمل ٨٩ ۞ القَصص ٨٤] وله ثواب كريم؟ ١١

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ
عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ
بَصِيرٞ ٤ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٥
يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ٦ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧
وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ
أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ
ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ
لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ
وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ
وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠ مَّن ذَا
ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١

يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ
وَبِأَيۡمَٰنِهِمۖ بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ
لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ
فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ
وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ
وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ
حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ
فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ
وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ
قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ
مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا
لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ
وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١٨﴾

يوم -القيامة- يرى الرائي المؤمنين والمؤمنات يتقدمهم نورهم -كل حسب عمله، قيل على الصراط- وبأيمانهم -صحائف أعمالهم- بشراكم اليوم -تبشرهم الملائكة بدخول- جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- ذلك -الثواب- هو الفوز والفلاح العظيم الذي لا يعادله شيء. **١٢**

يوم -القيامة- يسأل المنافقون والمنافقات الذين آمنوا أن ينتظروهم -قليلا- يستضيئوا من نورهم -قيل لعبور الصراط- يؤمرون -تبكيتا لهم- بأن يرجعوا وراءهم -إلى الدنيا، حيث جاء الذين آمنوا بنورهم- فيلتمسوا نورا، فضرب بينهم بسور، له باب -يغلق، فيحجز أهل الإيمان عن أهل النفاق- باطنه -مما يلي أهل الإيمان- فيه الرحمة -والجنة- وظاهره من خارجه -مما يلي أهل النفاق- العذاب. **١٣**

ينادي أهل النفاق أهل الإيمان: ألم نكن -في الدنيا، على الإسلام- معكم؟ أجابوا ببلى: كنتم معنا، في ظاهر الأمر، ولكنكم فتنتم أنفسكم -بنفاقكم، فأظهرتم الإسلام وأبطنتم الكفر- وانتظرتم مرتقبين -أن يحل به ﷺ صروف الدهر فتنتهي دعوته بموته كما قال تعالى ﴿ أم يقولون شاعر نَتربَّص به رَيب المَنون. ﴾ [الطور ٣٠]- وارتبتم -فيما جاء به ﷺ وفي نصر ربه له- وغرتكم الأماني -الباطلة، بطول البقاء في الدنيا، وبالمغفرة في الآخرة إن صح أن هناك قيامة كما يذكر الذين آمنوا- وخدعتكم، حتى جاء أمر الله -بموتكم على نفاقكم، دون توبة- وغركم بالله الشيطان: فخدعكم بحلم ربكم. **١٤**

فاليوم لا يؤخذ منكم فدية -تفتدون بها أنفسكم من عذاب الله، أيها المنافقون- ولا من الذين -ظاهرا وباطنا- كفروا، مستقركم النار، هي مولاكم -فهي أولى بكم وأنتم بها أولى الخلق- وبئس المصير. **١٥**

ألم يحن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم -سكونا وخضوعا ولينا واطمئنانا- لذكر الله وما نزل -على النبي ﷺ- من الحق؟ ولا يكونوا كأهل الكتاب من يهود ونصارى من قبل -بعثته ﷺ، لا تخشع قلوبهم لما جاء في كتبهم- فطال عليهم الزمن -فتمادى بينهم وبين أنبيائهم، فاضمحل إيمانهم وتلاشى- فقست قلوبهم -بسبب تمادي الزمن، وبسبب نقضهم العهود كما قال تعالى ﴿ فبما نقضِهم ميثاقهم لعنَّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ [المائدة ١٣]- وكثير منهم فاسقون خارجون عن طاعة الله. **١٦**

اعلموا -أيها العباد يقينا- أن الله يحيي الأرض -فيخرج بالمطر النبات- بعد موتها وجفافها -ويحييكم بعد موتكم مثلما أحياها كما قال تعالى ﴿ ويُحيي الأرض بعد موتها وكذلك تُخرَجون ﴾ [الروم ١٩]، وهو القادر على إحياء القلوب بعد موتها وجعلها خاشعة بعد قسوتها- قد بين الله وأظهر لكم الآيات الدالة على ما فيه صلاح دنياكم وآخرتكم، رجاء أن تعقلوا فتنزجروا عما فيه هلاككم. **١٧**

إن المصدقين -مخرجي الزكوات الواجبة، وإن أرادوا النفل: تصديقا لنبيهم فيما جاء به- والمصدقات -ثم لم تكتف أنفسهم بما أخرجوا- وأنفقوا نصرة لدين الله -فالمال ضروري للجهاد- بنفس طيبة ونية خالصة يعاد عليهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ﴾ [مسلم ١١٥١ ★ الترمذي ٧٦٤ ★ النسائي ٢٢١٥ ★ ابن ماجة ١٦٣٨ ★ أحمد ٧٦٠٧] ولهم ثواب كريم. **١٨**

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ
عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ
ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ
وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ
مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾
سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ
ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن
قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا
تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

والذين آمنوا بالله -وبكل ما أخبر به عن نفسه- ورسله -جميعهم، وبكل ما جاءوا به، وما فرقوا بينهم- هؤلاء هم الصديقون -الذين كمل تصديقهم وعملهم- والشهداء -الذين قتلوا نصرة لدين الله- عند ربهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ﴾ [أبو داود ٢٥٢٠ ★ أحمد ٢٣٨٨] لهم ثوابهم -في الآخرة، فقد وعدهم على ألسن أنبيائه- ونورهم -يتقدمهم كما قال تعالى ﴿ نورهم يسعى بين أيديهم ﴾ [التحريم ٨]- والذين كفروا وكذبوا بآياته سبحانه هؤلاء ماكثون في الجحيم، يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه: فليذوقوا! **١٩**
اعلموا -أيها العباد يقينا- أنما الحياة الدنيا -لمن لا يعمل طاعة لله- لعب ولهو -لا طائل منها- وزينة -تتزينون بها وتتمتعون، وكثير لا يعمل للآخرة، بل ولا يعتبر مجيئها- وتفاخر بينكم -بالأنساب والأموال وغير ذلك- وتكاثر في الأموال والأولاد -بل وتباه بهما، يصل أحيانا حد التطاول- كمثل مطر يغاث به خلق، أعجب الكفار -الزراع يكفرون البذور: يغطونها بالتراب- نباته -الذي أنبته- ثم ييبس فتراه -أيها الإنسان- مصفرا، ثم يكون حطاما -ودنياك كذلك تفنى، فأنت تهرم وتموت شاحبا مثله- وفي الآخرة عذاب شديد -للعصاة- ومغفرة من الله -لأهل طاعته- ورضا -فيستر ذنوبهم ويتجاوز عنها- وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور: يتمتع به طالبو الدنيا وتغرهم الأماني بطول البقاء، أفيغتر بذلك إلا مخدوع؟ **٢٠**
سابقوا -بعضكم البعض- إلى -ما يوجب- مغفرة من ربكم -بطاعته طلبا لرضاه، فالإيمان قول وعمل ونية- وجنة -بالغة الاتساع- عرضها كعرض السماء والأرض، أعدت للذين آمنوا بالله -وبكل ما أخبر به عن نفسه- ورسله -جميعهم، وبكل ما جاءوا به، وما فرقوا بينهم- ذلك -الثواب الجزيل هو شيء من- فضل الله، يعطيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم: فلله الفضل والمنة. **٢١**
ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم -أيها الخلق، في الأموال أو الأبدان- إلا في اللوح المحفوظ -قد أثبتها الله- من قبل أن يخلق سبحانه الخليقة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ﴿ إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له: اكتب، فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ﴾ [أبو داود ٤٧٠٠ ★ الترمذي ٢١٥٥ ★ أحمد ٢٢٧٠٥]، إن ذلك -العلم الشامل- على الله يسير. **٢٢**
لكيلا تأسفوا على ما فاتكم -من حظوظ الدنيا- ولا تفرحوا بما أعطاكم -سبحانه، فرح بطر، فالدنيا بأسرها إلى زوال، وعن قريب!- والله لا يحب -بل يبغض- كل مختال معجب بنفسه، متكبر -على الناس- مفتخر. **٢٣**
الذين يبخلون -فلا يؤدون ما أوجب الله عليهم من نفقات- ويأمرون الناس بالبخل -بأقوالهم وأفعالهم، ويحثونهم على عدم أداء ما أوجبه عليهم: قطعا خاسرون- ومن يعرض متنحيا عن طاعة الله فإن الله هو الغني عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه، المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. **٢٤**

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ
بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا
فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً
ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ
فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا
تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ
ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

لقد أرسل الله رسله سبحانه بالأدلة الجلية البينة على صدقهم، وأنزل سبحانه معهم الكتب والميزان، ليقوم الناس -بالدين- بالعدل -فيحكم الرسل وأتباعهم بشرع الله لا يخافون سواه، فما سوى شرع الله ظلم كما قال تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [المائدة ٤٥]- وأخرج الله بأمره النازل من السماء الحديد فيه شدة شديدة -فخلقه لصناعة آلات الحرب ونحو ذلك- وما ينتفع به الناس -لصناعة الكثير مما يحتاجون إليه- وليظهر الله علمه بمن ينصر دينه ورسله -من أهل الجهاد ومن والاهم- بالغيب -لم يروا عذابه- إن الله قوي قادر، عزيز في قدرته لا يعجزه شيء. ٢٥

فائدة! لابد للحق من قوة مادية تحميه وتنشره، ومن يزعم خلاف ذلك متخاذل عن نصرة دين الله.

ويَهذي زاعمًا أنَّ الحقوقَ ... بغيرِ حِمايةٍ تأتي تَسيرُا!

ولقد أرسل الله نوحا وإبراهيم، وجعل سبحانه في ذريتهما النبوة -فلم تخرج عنهم- والكتب -السماوية، أنزلها عليهم- فمن ذريتهما مهتد -إلى الإيمان، ثم إلى العمل الصالح الموجب لجزاء حسن- وكثير منهم فاسقون خارجون عن طاعة الله. ٢٦

ثم أتبع الله على خطى نوح وإبراهيم عليهما السلام برسله سبحانه، وأتبع الله بعيسى ابن مريم -من ذريتهما، من جهة أمه رضي الله عنها- وأعطاه سبحانه الإنجيل، وجعل الله في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة -يتراحمون فيما بينهم ويرأفون ببعضهم البعض، بخلاف اليهود دائمي الشقاق كما قال تعالى ﴿ بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتَّى ﴾ [الحشر ١٤]- ورهبانية ابتدعوها ما فرضها الله عليهم -إذ تركوا بعض ما أحل لهم، فأقاموا بعيدا عن الناس يتعبدون واعتزل بعضهم النساء، ما ابتدعوها- إلا طلبا لرضا الله، فما رعوها ولا قاموا بها على وجهها السليم -بل بدلوا دينهم- فأعطى الله الذين آمنوا منهم -فثبتوا على دينهم، وآمنوا بالنبي ﷺ حين أرسله الله- ثوابهم، وكثير منهم فاسقون خارجون عن طاعة الله. ٢٧

فائدة! الابتداع في الدين لا يؤدي إلى خير بوجه من الوجوه، مهما ادعى المبتدع أن نيته سليمة.

وما مِنْ بِدعَةٍ إلَّا وأدَّتْ ... إلى شرٍّ، أيَعتَبِرُ الخُيُورُ؟

يا أيها الذين آمنوا -ولم يبدلوا دين موسى وعيسى عليهما السلام- اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وآمنوا برسوله -محمد ﷺ، إن تفعلوا- يعطكم حظَّين من رحمته -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ﴿ ثلاثة لهم أجران ﴾ أحدهم ﴿ رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وآمن بمحمد ﷺ ﴾ [البخاري ٩٧ ★ مسلم ١٥٤ ★ الترمذي ١١١٦ ★ النسائي ٣٣٤٤ ★ ابن ماجة ١٩٥٦ ★ أحمد ١٩٥٣٢]- ويجعل لكم نورا تمشون به -في الدنيا توفيقا إلى الصلاح، وفي الآخرة يتقدمكم مرشدا كل حسب عمله، قيل على الصراط- ويغفر لكم، والله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمتقين. ٢٨

لأن يعلم -فيوقن- أهل الكتاب ألا يقدرون على -منح ولا منع- شيء من فضل الله -لذلك بين ثوابه للمؤمنين- وأن الفضل بيد الله، يعطيه من يشاء -وليس كما يزعمون كما قال تعالى ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبَّاؤه ﴾ [المائدة ١٨]- والله ذو الفضل العظيم: فلله الفضل والمنة. ٢٩

★ سورة المجادلة ★

★ مدنية ★

قد سمع الله كلام التي تجادلك أيها النبي الكريم في زوجها وتشتكي إلى الله كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات: ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ﴾ ﴾ [النسائي ٣٤٦٠ ★ ابن ماجة ٢٠٦٣ ★ أحمد ٢٤١٩٥]، والله يسمع تحاوركما، إن الله سميع لكافة ما يقول عباده، بصير لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يحصيها عليهم ليجازيهم بها. ١

الذين يظاهرون منكم -أيها المؤمنون- من نسائهم -بقول: "أنت علي كظهر أمي"، وكان ذلك طلاقا في الجاهلية- ما هن أمهاتهم -وليسوا كأمهاتكم في المحرمية- إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم! وإنهم ليتفوهون بمنكر الكلام -شرعا- وكذب عظيم، وإن الله لعفو -عن المؤمنين- واسع ودائم المغفرة. ٢

فائدة! يكره للرجل أن ينادي زوجته أو يدعوها بأسماء محارمه: "يا أمي"، "يا أخية"، ونحو ذلك.

يُنادي زَوجَهُ يا أُمَّتاهُ! ... أيدري ما يقولُ؟ أيَستشيرُ؟

فائدة! يقع الطلاق بمجرد تلفظ الزوج به: مدركا لما يقول، مختارا غير مكره، ولا يتوقف وقوعه على الإشهاد عليه ولا على توثيقه في دفاتر "رسمية"، ومن يحاول إلزام المسلمين بغير ذلك ليس منهم.

تَلَفَّظَ بالطلاقِ عَنِ اختيارٍ ... وإدراكٍ فَطَلِّقَتِ العَشيرُ

والذين يظاهرون من نسائهم، ثم يعودون -إلى إرادة جماع من ظاهروا- لما تفوهوا به -كفارة- فعتق رقبة -تحرير نفس مملوكة: مؤمنة- من قبل أن يجتمعا، ذلك -الحكم- تؤمرون به تحذيرا -فكفوا عن الظهار- والله بجميع أعمالكم خبير، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. ٣

فمن لم يجد -رقبة أو ثمنها- فليصم شهرين متصلين -لا إفطار في نهارهما إلا لعذر شرعي كالسفر والمرض ونحوهما، فإن أفطر بلا عذر بدأ من جديد- من قبل أن يجتمعا، فمن لم يستطع -أن يصوم الشهرين- فإطعام ستين مسكينا، ذلك -الحكم، زاجر لكم- لتؤمنوا بالله ورسوله -فتطيعوهما- وتلك -الأحكام- حدود الله بين الحلال والحرام، وللكافرين -العاملين بغير ما شرع الله لهم- عذاب أليم. ٤

إن الذين يخالفون ويعادون الله ورسوله أحزنوا وأذلوا كما أحزن وأذل -أعداء رسل الله- الذين من قبلهم، وقد أنزل الله آيات بينات وأدلة جلية -واضحة الدلالة لا نجاة بغيرها- وللكافرين عذاب مهين مذل. ٥

يوم -القيامة- يبعثهم الله جميعا، فيخبرهم بما عملوا -في الدنيا ويجازيهم به- أحصاه الله -في كتاب واضح كما قال تعالى ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ [يس ١٢]- ونسوه -هم، إذ لم يكونوا يأبهون بالآخرة- والله على كل شيء مطلع شاهد. ٦

سُورَةُ المُجَادلَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي
وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ
بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ
مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ
مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ
وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ
وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن
نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ
مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَاۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ
وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا
ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ
شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ
وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

ألم ينته علمك أيها النبي الكريم -وكل فرد من أمتك- أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض؟ ما يكون من تناجي ثلاثة -أشخاص فيما بينهم- إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أقل من ذلك -العدد- ولا أكثر إلا هو -سبحانه، بعلمه وقدرته- معهم أين ما كانوا، ثم يخبرهم بما عملوا -في الدنيا ويجازيهم به- يوم القيامة، إن الله بكل شيء عليم، بالنيات وبالأفعال. ٧

ألم ينته علمك إلى خبر الذين تم نهيهم عن التناجي -فيما بينهم، من أهل النفاق واليهود- ثم يعودون لما تم نهيهم عنه؟ ويتناجون بالإثم -متلبسين بكذب وظلم وافتراء وغيبة ونميمة ومكر وتآمر وغير ذلك- والعدوان -على حدود الله وحقوق عباده- ومعصية الرسول، وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله -إذ يدعون عليك متمنين موتك، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ أن اليهود دخلوا على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، فلعنتهم، فقال: ما لك؟ قلت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: فلم تسمعي ما قلت: وعليكم؟ ﴾ [البخاري ٢٩٣٥ ★ مسلم ٢١٦٥ ★ الترمذي ٢٧٠١ ★ ابن ماجة ٣٦٩٨ ★ أحمد ٢٤٠٩٠]- ويتساءلون في أنفسهم -مستهزئين- هلا يعذبهم الله بسبب ما به يتفوهون: إن كنت صادقا في دعوى أنك نبي، ألا يعذب الله من يخاطب أحد أنبيائه هكذا؟ كافيتهم جهنم -يستقرون في النار، لا يستحقون غيرها- يقاسون حرها، فبئس المصير. ٨

يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم -متلبسين بكذب أو ظلم أو افتراء أو غيبة أو نميمة أو مكر أو تآمر أو نحو ذلك- والعدوان -على حدود الله وحقوق عباده- ومعصية الرسول، وتناجوا -مباح لكم، إن كان- بالبر والتقوى -بما يرضي الله، تاركين ما يكره حاثين على الخير- واتقوا الله الذي إليه تصيرون ليجازيكم بأعمالكم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. ٩

إنما التناجي -المنهي عنه، المتلبس باقتراف الآثام أو العدوان على حدود الله وحقوق عباده أو عصيان رسوله- من الشيطان -بسبب وسوسته- ليحزن الذين آمنوا -إذا توهموا الشر، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، أجل أن يحزنه. ﴾ [البخاري ٦٢٩٠ ★ مسلم ٢١٨٤ ★ أبو داود ٤٨٥١ ★ الترمذي ٢٨٢٥ ★ ابن ماجة ٣٧٧٥ ★ أحمد ٣٥٦٠]- وليس -الشيطان ووسوسته ولا التناجي المنهي عنه- بمسبب شيئا من ضرر لهم إلا بإذن الله ومشيئته، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في جميع أحوالهم. ١٠

يأيها الذين آمنوا إذا طلب منكم أن توسعوا في المجالس -لبعضكم- فأوسعوا -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا. ﴾ [البخاري ٦٢٧٠ ★ مسلم ٢١٧٧ ★ أحمد ٤٦٥٩]- يوسع الله لكم -في الدنيا والآخرة- وإذا طلب أن تنهضوا -إلى عمل خير أو لمصلحة- فانهضوا -غير متثاقلين- يرفع الله الذين آمنوا منكم -الإيمان المطلق بما يصاحبه من أعمال باطنة- وأهل العلم -على غيرهم من المؤمنين، كرامة لهم- مراتب، والله بجميع أعمالكم خبير، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. ١١

يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول -تريدون إطلاعه على أمر من أموركم- فقدموا عند تناجيكم صدقة -تصرف في مصالح المسلمين، فالصدقة لا تحل له ﷺ- ذلك -التقديم للصدقة- خير لكم وأفضل وأطهر -لنفوسكم، لما في ذلك من طاعة الله ومزيد احترام لرسوله- فإن لم تجدوا -ما تقدموه فلا حرج عليكم في مناجاته ﷺ دون تقديم صدقة- فإن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. ١٢

أحذرتم -الفقر- وخفتم أن تقدموا عند تناجيكم صدقات؟ فإذ لم تفعلوا -فلم تقدموا شيئا- وتاب الله عليكم -بأن رخص في ترك تقديم الصدقة لغير القادرين، ثم رخص للجميع، فالتزموا- فأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأديموها بشروطها، وأخرجوا الزكاة الواجبة في أموالكم، وأطيعوا الله ورسوله -في الظاهر والباطن- والله خبير بجميع أعمالكم، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. ١٣

ألم ينته علمك أيها النبي الكريم إلى خبر -المنافقين- الذين نصروا وأعانوا قوما غضب الله عليهم: من اليهود؟ ما هم من المسلمين ولا من اليهود -بل هم مترددون بين الفريقين كما قال تعالى ﴿ مُذَبذَبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ [النساء ١٤٣]- ويحلفون على الكذب -أنهم مسلمون وأنهم لم ينقلوا أخبار المسلمين إلى اليهود- وهم يعلمون أنهم يكذبون. ١٤

أعد الله لهم عذابا شديدا -كما قال تعالى ﴿ إنَّ المنافقين في الدَّرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا. ﴾ [النساء ١٤٥]- إنهم سيئ ما كانوا يعملون. ١٥

اتخذوا أيمانهم وقاية -إذ يحلفون كذبا أنهم مسلمون ليعصموا دماءهم وأموالهم- فصدوا -بذلك- عن طريق الله -إذ أن طريقه هو قتل المؤمنين لأمثال هؤلاء- فلهم -في الآخرة- عذاب مهين مذل. ١٦

لن تنفعهم ولن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا -إن قدر سبحانه ضررا في الدنيا، أما في الآخرة فالعبرة بالإيمان والعمل الصالح كما قال تعالى ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقَرِّبكم عندنا زُلفى إلا من آمن وعمل صالحا ﴾ [سبإ ٣٧]- هؤلاء ماكثون في النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها. ١٧

يوم -القيامة- يبعثهم الله جميعا، فيحلفون له -كذبا، أنهم مسلمون- كما يحلفون -أيها المؤمنون، في الدنيا- لكم -ليعصموا منكم دماءهم وأموالهم- ويظنون أنهم على شيء -مما يدفع عنهم عذاب الله أو يجلب لهم نفعا- ألا إنهم هم بالغو الكذب. ١٨

أحاطهم الشيطان -بوسوسته- فأنساهم ذكر الله -فانصرفوا عن طاعة ربهم والإيمان بدينه الحق- هؤلاء حزب الشيطان -باعوه آخرتهم- ألا إن حزب الشيطان -وجنده- هم بالغو الخسران الهالكون. ١٩

إن الذين يخالفون ويعادون الله ورسوله هؤلاء في عداد الأذلين: إذ يلحقهم الذل، دنيا وآخرة. ٢٠

كتب الله -في سابق علمه- ليغلبن هو ورسله -وأهل الإيمان: إلى يوم القيامة، بالحجة والسلاح، وآخر الأمر لهم وإن غلبهم أعداؤهم في بعض الأحيان كما قال تعالى ﴿ ولا تَهِنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلَون إن كنتم مؤمنين. ﴾ [آل عمران ١٣٩]- إن الله قوي قادر، عزيز في قدرته لا يعجزه شيء. ٢١

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ
صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ
رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ
تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ
قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ
وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ
عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ
هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي
ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾

لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ
أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم
بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ
ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢

سُورَةُ الحَشۡرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ ١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن
دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ
حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ٣

لا تجد -أيها المؤمن، العالم بأصول دينك- قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يحبون ويناصرون ويعينون من خالف وعادى الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم -ومنهم الأمهات- أو أبناءهم أو إخوانهم -في النسب- أو عشيرتهم -أو أقاربهم عموما- كما قال تعالى ﴿ قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا بُرآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [الممتحنة ٤]، هؤلاء -المؤمنون المتبرئون ممن خالف وعادى الله ورسوله- كتب -سبحانه- في قلوبهم الإيمان -فثبته وحكم لهم به- وقواهم بروح منه يؤيدهم -على أعدائهم به أحيا أمرهم، ونور ألقاه في قلوبهم وبرهان ويقين- ويدخلهم جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- رضي الله عنهم -بما قدموا في الدنيا- ورضوا عنه -بما جزاهم به- هؤلاء حزب الله -باعوه دنياهم- ألا إن حزب الله -وجنده- هم الفائزون الباقون في النعيم الدائم، الناجون من المهالك. ٢٢

فائدة! المحبة الفطرية للكافر -كمحبة المسلم لزوجته الكتابية- جائزة، لكن التهنئة بأعيادهم ونحو ذلك من الكبائر، أما محبة أديانهم أو محبتهم بسببها فكفر، ورابطة الإيمان أعلى من جميع الروابط.

مَحبَّةُ دِينِ كُفرٍ كُفرُ فاحذَرْ ... فَدَعْ عَنكَ الروابطَ لا تُجيرُ

★ سورة الحشر ★

★ من أسمائها بنو النَّضير، وهي مدنية ★

نزه الله وقدسه ما في السماوات وما في الأرض -كما قال تعالى ﴿ وإن من شيء إلا يُسَبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [الإسراء ٤٤]- وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ١

هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب -يهود بني النَّضير- من ديارهم -بالمدينة، فنزلوا بخيبر- لأول الإجلاء -بأيديكم أيها المسلمون، ثم تخرجونهم من جزيرة العرب- ما ظننتم -لعددهم وعدتهم ومنعة حصونهم- أن يخرجوا، وظنوا -لكفرهم- أنهم مانعتهم حصونهم من الله -تحميهم من عقابه!- فأتاهم -أمر- الله من حيث لم يتوقعوا -إذ أمر رسوله بقتالهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث رجل ﵁ من الصحابة ﴿ إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه، فأبوا أن يعطوه عهدا فقاتلهم يومهم ذلك، ثم غدا الغد على بني قُريظة بالكتائب وترك بني النَّضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم، وغدا على بني النَّضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، فجلت بنو النَّضير، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم، وأبواب بيوتهم وخشبها ﴾ [أبو داود ٣٠٠٤]- وقذف في قلوبهم الرعب، يخربون بيوتهم بأيديهم -ليأخذوا منها ما تستطيع إبلهم حمله، وليفسدوها فلا ينتفع المؤمنون بها- وبأيدي المؤمنين -الذين أجلوهم عنها- فاعتبروا يا أهل البصائر النافذة: واتعظوا بما حل بهم. ٢

ولولا أن فرض الله عليهم الجلاء -فخرجوا عنكم- لعذبهم في الدنيا -بالقتل والسبي وضياع الأموال، كما فعل ببني قُريظة بعد أن نقضوا عهدهم- ولهم في الآخرة -لمن مات على كفره- عذاب النار. ٣

ذلك -الإجلاء ثم النار- بسبب أنهم خالفوا الله ورسوله، ومن يخالف الله فإن الله شديد العقاب له. ٤
ما قطعتم -أيها المجاهدون- من نخلة -أو أتلفتم بحرق أو غيره لتغيظوا أعداء الله وتكبدوهم الخسائر-
أو تركتموها قائمة على أصولها -باقية على حالها- فبإذن الله ومشيئته -فانظروا المصلحة الراجحة، ولا
إثم عليكم على أي حال- وليذل ويهين الفاسقين الخارجين عن طاعته: بتحكمكم في أموالهم. ٥
وما رد الله على رسوله منهم -أموال بني النَّضير- فما أسرعتم في طلبه بخيل ولا إبل -فلم تتكبدوا عناء
لتحصيله، بل كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ كانت أموال بني النَّضير
مما أفاء الله على رسوله ﷺ مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ
خاصة، وكان ينفق على أهله نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكُراع عدة في سبيل الله. ﴾
[البخاري ٢٩٠٤ ★ مسلم ١٧٥٧ ★ أبو داود ٢٩٦٥ ★ الترمذي ١٧١٩ ★ النسائي ٤١٤٠ ★ أحمد
١٧١]- ولكن الله يسلط رسله على من يشاء -من أعدائه- وقدرة الله مطلقة لا يعجزه شيء. ٦
ما رد الله على رسوله من -أموال- أهل القرى -دون قتال- فلله وللرسول -بعد وفاته ﷺ صاروا ينفقون
منه على الجهاد وعدته- ولقرابته واليتامى والمساكين والأغراب المسافرين المنقطعة نفقتهم، كي لا
يكون -المال- متداولا بين الأغنياء -دون الفقراء- منكم، وما أعطاكم الرسول -من الفيء الذي رد الله
عليه أيها المسلمون، ومما جاء به من دين الله- فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا -اجتنبوه لا تطلبوه ولا
ترغبوا فيه ولا تفكروا- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله شديد العقاب لمن عصاه. ٧
فائدة! قول النبي ﷺ مقدم على قول الخلق أجمعين: أيًّا كانت رتبهم ومناصبهم، وطاعته من طاعة
الله كما قال تعالى ﴿ من يُطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء ٨٠]، فمن حمله منصبه على أمر
مرؤوسيه بمعصية -كالتخلي عن الحجاب أو حلق اللحية ونحو ذلك- فهو فاسق وضيع لا طاعة له.
وصاحِبُ مَنصِبٍ أَزَّ الأنامَ ... على عِصيانِ مالِكِهِم يُبيرُ
للفقراء المهاجرين -وقد تركوا ديارهم لإقامة دين الله ودولة الإسلام- الذين جرى إخراجهم من ديارهم
وأموالهم -فتم الاستيلاء عليها: أعطوهم فالفيء ليس مقصورا على الأغنياء، وهم- يلتمسون فضلا من
الله ورضا، وينصرون -بجهادهم دين- الله ورسوله، هؤلاء هم الصادقون: إذ عملوا تصديقا لإيمانهم. ٨
والذين نزلوا دار الهجرة -الأنصار: أقاموا في يثرب وتمكنوا- والإيمان -أخلصوه- من قبل المهاجرين
-الذين أتوهم فأسكنوهم ديارهم في المدينة- يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة
-من حسد أو غيظ- مما أعطوا -المهاجرون من فيء دونهم- ويقدمون على أنفسهم ويفضلون غيرهم
-في حظوظ الدنيا، رغبة في الآخرة- ولو كان بهم فقر وحاجة، ومن يوق حرص نفسه وبخلها -على
الدين ونصرة أهله بما لديها- فهؤلاء هم الفائزون الباقون في النعيم الدائم، الناجون من المهالك. ٩
فائدة! إيثار المسلم إخوانه في الدين -ولا سيما أهل الإيمان والصلاح- على نفسه منقبة عظيمة.
ومَنْ يؤثِرْ على النَّفسِ الَّذينَ ... لِربِّي أسلَموا فَلهُ الكثيرُ

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ
أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ
دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾
لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن
قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا
ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ
ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ
لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا
وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾
لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمۡ
أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ
لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ
أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا
وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

والذين جاءوا من بعد المهاجرين والأنصار -ممن يتبعون خطاهم في الإيمان والعمل، إلى يوم القيامة- يدعون ربهم أن يغفر لهم ولإخوانهم -في الدين- الذين سبقوهم بالإيمان، ولا يجعل في قلوبهم غلا للذين آمنوا -ولا ضغينة لأحد منهم- مؤكدين أن ربهم شديد الرأفة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. ١٠
فائدة! من يسب الصحابة أو ينتقص من قدرهم -كالروافض- ليس مسلما، وإن ادعى غير ذلك.
أرافِضَةَ الضلالِ بَرِئتُ مِنكمْ ... وهلْ سَبَّ الصحابةَ مُستَنيرُ؟!
ألم ينته علمك أيها النبي الكريم إلى خبر الذين نافقوا -عبد الله بن أبي بن سلول وأنصاره- يقسمون لإخوانهم -في الكفر- الذين كفروا من أهل الكتاب -من اليهود- لئن جرى إخراجهم -من المدينة، بأيدي المسلمين- ليخرجن معهم -لن يبقوا بعدهم- ولا يطيعون في شأنهم أحدا -يحاول إثناءهم عن الخروج- أبدا، وإن قوتلوا لينصرنهم -عليكم مع شدته فمنكم أقاربهم- والله يشهد: إنهم لكاذبون. ١١
لئن جرى إخراجهم -كما حدث مع بني النَّضير- لا يخرج المنافقون معهم، ولئن قوتلوا -كما حدث مع بني قُريظة وأهل خيبر- لا ينصرونهم، ولئن -قدر الله أنهم- نصروهم ليولن الظهور فارين، ثم -من عذاب الله- لا ينصرون: إذ لا يملك أحد دفع ما يلاقون -بأيديكم، أيها المجاهدون- من عذابه. ١٢
لأنتم -أيها المجاهدون- أشد رهبة في صدور اليهود والمنافقين -ورعبا لهم- من الله! ذلك -الخوف من المخلوق أكثر من الخالق- بسبب أنهم قوم لا يفقهون أن الله هو من سلطكم عليهم. ١٣
لا يقاتلونكم مجتمعين -يهودا خلصا كانوا أو برفقة من والاهم من أهل النفاق، لفرط جبنهم- إلا في قرى محصنة -بأسوار وأسلاك أو داخل حافلات مدرعة ونحو ذلك- أو من وراء جدران، شدتهم بينهم شديدة -أشداء على بعضهم، بخلافكم، كما قال تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشِدَّاء على الكفار رُحماء بينهم ﴾ [الفتح ٢٩]- يظنهم الظان مجتمعين -كلمة وصفا، أما واقعهم فهم في شقاق دائم لأن عقيدتهم باطلة وكبراؤهم يعلمون أنها لن تساعدهم لينتصروا عليكم- وقلوبهم متفرقة مختلفة، ذلك -الشقاق والاختلاف- بسبب أنهم قوم لا يعقلون: لخفة عقولهم لا يهتدون إلى الحق. ١٤
كمثل الذين من قبلهم قريبا -في زمن قريب منهم، فهؤلاء اليهود مثل أهل الشرك يوم بدر- ذاقوا -في دنياهم- سوء خاتمة فعلهم، ولهم -في الآخرة- عذاب أليم. ١٥
كمثل الشيطان حيث أغرى الإنسان بالكفر -فهؤلاء المنافقون مثله يخذلون أتباعهم- فلما كفر -الذي أطاع الشيطان- أخبره أنه بريء منه -فخذله الشيطان يوم القيامة: معللا- إنه يخاف الله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء! ١٦
فائدة! يلقي علماء السلطان شبهة أن لو قاتل أحد سلاطينهم المسلمين لم يكفر بذلك، فكيف يكفر من أعان الكفار عليهم: كمن يجعل من الأرض التي يحكمها منطلقا لقوات الأمم الكافرة؟ أما علموا أن قتال المسلمين لغير فتنتهم عن دينهم ليس من نواقض الإسلام، أما إعانة الكفار عليهم فمنها؟
بَواحٌ كُفرُهُم والحُكمُ خَلعٌ ... علينا ناصَرَ الكُفرَ الحَقيرُ

فكان مصيرهما -الشيطان والذي أطاعه- أنهما في النار خالدَين فيها -يعذبان- وذلك -العقاب- جزاء الظالمين لأنفسهم بالكفر ولغيرهم بالصد عن الإيمان. ١٧

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولتتأمل -كل- نفس ما قدمت -من عمل- لغد -حين يأتيها الحساب، وكل آت قريب- واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه -مجددا ينذركم- إن الله خبير بجميع أعمالكم، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. ١٨

فائدة! من علامات توفيق الله للمؤمن أن يجعله يحاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسبه سبحانه في الآخرة، وإذا وجد في الأمة من لا يسأل ولا يساءل من أي جهة أو نظام فهذا من أصول الفساد.

يُحاسِبُ نفسَهُ قَبلَ الحِسابِ ... بِغيرِ رَقابةٍ فَسَدَ الضَّميرُ

ولا تكونوا كالذين نسوا الله -فتركوا ما أمرهم به- فأنساهم أنفسهم -حتى تركوا بسبب غفلتهم وغبائهم ما ينقذهم من النار- هؤلاء هم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله: قد اكتمل فسقهم. ١٩

لا يستوي -عند الله، ولا ينبغي أن يستوي عند الذين آمنوا- أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة -لا من عداهم- هم الفائزون بالنعيم الناجون من العذاب. ٢٠

لو أنزل الله هذا القرآن على جبل لرأيته أيها النبي الكريم متواضعا متذللا، متصدعا من خشية الله -قد تشقق خشية ألا يكون قد أدى ما ينبغي من تعظيم لكلامه سبحانه- وتلك الأمثال يضربها الله -مبينا- للناس، رجاء أن يتفكروا. ٢١

هو الله الذي لا معبود بحق سواه، عالم ما غاب وما شوهد، هو الرحمن بجميع خلقه، العظيم الرحمة بالمؤمنين. ٢٢

هو الله الذي لا معبود بحق سواه، الملك -مالك كل شيء- القدوس -المقدس المنزه عن كل نقص وعيب- السلام -السالم من كل آفة، السالم عباده من ظلمه لهم- المؤمن -الواهب الأمن لأوليائه من عذابه، المصدق لأنبيائه بالبراهين والحجج الدامغة ولعباده بما وعدهم- المهيمن -الرقيب على عباده الشهيد على أعمالهم- العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الجبار الذي قهر بجبروته عباده فأجبرهم على ما أراد، المتكبر عما لا يليق به، تنزه الله وتقدس عما يشرك الخلق به. ٢٣

هو الله الخالق الذي خلق الخليقة -ليس ثمة خالق للكون معه- الموجد المصور -فيخلقكم في أرحام أمهاتكم كيفما شاء كما قال تعالى ﴿ هو الذي يُصَوِّركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو ﴾ [آل عمران ٦]- له الأسماء -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ إن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة. ﴾ [البخاري ٢٧٣٦ * مسلم ٢٦٧٧ * الترمذي ٣٥٠٨ * ابن ماجة ٣٨٦٠ * أحمد ٧٥٠٢]- الحسنى -دالة على جلاله وكماله- ينزهه ويقدسه ما في السماوات والأرض -كما قال تعالى ﴿ وإن من شيء إلا يُسَبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [الإسراء ٤٤]- وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٢٤

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ
وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ
نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾
لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ
عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ
وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾
هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ
هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ
ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ
ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ
لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ المُمۡتَحنَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم
بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن
تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ
تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن
يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ
وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢
لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ
بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ
مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ
بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ
ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤ رَبَّنَا
لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥

★ سورة الممتحنة ★

★ من أسمائها الامتحان، وهي مدنية ★

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدو الله وعدوكم أنصارا وأعوانا تلقون إليهم -أخباركم، مبادرين- بالمودة -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿ بعثني النبي ﷺ والزبير، فقال: ائتوا روضة كذا وتجدون بها امرأة، أعطاها حاطب كتابا، فأتينا الروضة، فقلنا: الكتاب، قالت: لم يعطني، فقلنا: لتخرجن أو لأجردنك، فأخرجت من حجزتها، فأرسل إلى حاطب، فقال: لا تعجل، والله ما كفرت، ولا ازددت للإسلام إلا حبا، ولم يكن أحد من أصحابك إلا وله بمكة من يدفع الله به عن أهله وماله، ولم يكن لي أحد، فأحببت أن أتخذ عندهم يدا، فصدقه النبي ﷺ، قال عمر: دعني أضرب عنقه، فإنه قد نافق، فقال: ما يدريك؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم ﴾ [البخاري ٣٠٨١ ★ مسلم ٢٤٩٤ ★ أبو داود ٢٦٥٠ ★ الترمذي ٣٣٠٥ ★ أحمد ٦٠٠]- وقد كفروا بما جاءكم من الحق -إذ- يخرجون الرسول وإياكم -من دياركم بمكة أجلوكم- كراهة أن تؤمنوا بالله ربكم -وحده دون سواه- إن كنتم خرجتم جهادا في سبيل الله نصرة لدينه والتماسا لمرضاته -فلا توالوهم- تسرون إليهم -أخباركم، مبادرين- بالمودة؟ والله أعلم بما أخفيتم وما أظهرتم من أقوال وأعمال -وإنه به مجازيكم- ومن يفعله منكم -فيواليهم- فقد ضل الطريق السوي الوسط المستقيم وعن الحق ابتعد. ١

فائدة! من أسباب عدم معاقبة من كشف سر المسلمين أنه شهد بدرا، فإذا فعلها غيره اختلف الأمر.

وبَدرٌ أهلُها سَبَقوا الأنامَ ... وقاسَ بِهِم جَواسيسَ الحَميرُ

إن يجدوكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم أعداء -مظهرين عداوة- ويمدوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالقبائح -من بطش وإيذاء وشتم وطعن في دينكم ونحو ذلك- وأحبوا وتمنوا لو تكفرون: فترتدوا عن دينكم. ٢

لن تنفعكم قراباتكم ولا أولادكم -لتتخذوا الكفار أنصارا وأعوانا من أجلهم- يوم القيامة يفصل بينكم -سبحانه، فللمطيع الجنة ولغيره النار- والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. ٣

قد كانت لكم أسوة وقدوة حسنة في إبراهيم والذين -آمنوا- معه، حيث أخبروا قومهم أنهم بريئون منهم ومما يعبدون من دون الله -من طواغيت، بكافة صورها- مؤكدين أن كفروا بهم -مشركين وطواغيت- وبدا بينهم وبين القوم العداوة -ففارقوا باطلهم- والكراهية أبدا -ذلك ثابت- حتى يؤمنوا بالله وحده، إلا تأكيد إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك -لا تفعلوه كما قال تعالى ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قُربى ﴾ [التوبة ١١٣]- ولا يملك دفع مما أراد الله به أي شيء، من ثم دعوا ربهم أن عليه وحده اعتمادهم في جميع أحوالهم، وإليه رجعوا تائبين، وإليه المرجع في الآخرة. ٤

من ثم استأنفوا دعاء ربهم ألا يجعلهم فتنة للذين كفروا -فيعذبوهم ليتركوا بعض دينهم، ويفتن غيرهم فيعرضوا عن الحق ليتجنبوا العذاب- ودعوا أن يغفر لهم ربهم، مؤكدين أنه هو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه: فلنقتد بهم وندعو بدعائهم ونكفر بالطواغيت. ٥

لقد كان لكم فيهم أسوة وقدوة حسنة لمن كان -ليس منافقا، بل مؤمنا- يتوقع -لقاء- الله واليوم الآخر -عاملا لنيل الثواب، فليتبع إذًا خطاهم- ومن يعرض متنحيا عن طاعة الله فإن الله هو الغني عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه، المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. ٦

الله سيجعل -بلطفه- بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة -فبإسلامهم صرتم إخوة دين، فإن بمفاصلة الكفار يتأتى التوافق- والله قدير لا يعجزه شيء، والله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. ٧

لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم بسبب دينكم ولم يخرجوكم من دياركم أن تسعوا فيهم بأعمال البر وتنصفوهم -بل أعطوا كل ذي حق حقه، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ﴿ قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدهم، فاستفتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، قدمت علي أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: نعم، صلي أمك. ﴾ [البخاري ٢٦٢٠ ★ مسلم ١٠٠٣ ★ أبو داود ١٦٦٨ ★ أحمد ٢٦٩١٣]، ولا توالوا على مسلم!- إن الله يحب المنصفين. ٨

إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم بسبب دينكم وأخرجوكم من دياركم، وعاونوا -غيرهم من الكفار- على إخراجكم -أو على شيء فيه ضرر لكم، مهما صغر- أن تنصروهم أو تعينوهم، ومن ينصرهم أو يعينهم فهؤلاء هم الظالمون لأنفسهم بتعريضها لسخط الله: إذ نصروا وأعانوا من يستحق العداوة. ٩

يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات -من عند الكفار- مهاجرات فامتحنوهن -أقد أسلمن؟ أم جئن بغضا لأزواجهن أو طلبا لدنيا أو لفتنتكم عن دينكم ونشر الفاحشة أو للتجسس عليكم ونحو ذلك؟- الله أعلم بإيمانهن -فربما كان إيمان بعضهن أفضل من إيمان بعض نسائكم- فإن علمتموهن مؤمنات -فغلب ذلك على ظنكم، بحسب الظاهر بعد امتحانهن- فلا ترجعوهن إلى الكفار، لا هن حل لهم -فلا يجوز بقاؤهن تحت أزواج كفار- ولا هم يحلون -أزواجا- لهن، وأعطوا أزواجهن -مثل- ما أنفقوا -من مهور ساقوها لهن- ولا لوم عليكم ولا إثم أن تتزوجوهن -بعد انقضاء عدتهن، فقد صرن منكم- إذا أعطيتموهن مهورهن، ولا تمسكوا بعصم الكوافر -بل فارقوا الكافرات من زوجاتكم، إلا الكتابيات غير المرتدات عن الإسلام- واطلبوا استرداد ما أنفقتم -من مهور سقتموها للكافرات- وليطلب الكفار استرداد ما أنفقوا -من مهور ساقوها للمؤمنات- ذلك -المذكور من إرجاع المهور من الجهتين- حكم الله يحكم بينكم، والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ١٠

فائدة! المرتد -رجلا كان أو امرأة- يستتاب، فإن لم يرجع إلى الإسلام قتل كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ من بدل دينه فاقتلوه. ﴾ [البخاري ٣٠١٧ ★ أبو داود ٤٣٥١ ★ الترمذي ١٤٥٨ ★ النسائي ٤٠٥٩ ★ ابن ماجة ٢٥٣٥ ★ أحمد ١٨٧١].

مَنِ ارتَدَّ استَتَبنا لمْ نُعاجِلْ ... بقَتلٍ، قَدْ يُوَفِّقُنا الشَّكُورُ

وإن خرج بعض زوجاتكم إلى الكفار -ولم يردوا مهورهن- فغنمتم فأعطوا الذين ذهبت زوجاتهم مثل ما أنفقوا -من مهور ساقوها لهن- واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. ١١

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾
لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾
إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن
دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ
فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم
مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ
وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ
شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى
مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ
يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم
بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ
تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟
أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك -وقد كان، يوم فتح مكة- على ألا يشركن بالله شيئا -ولا أحدا- ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن -ولا سيما الإناث، خشية السبي أو العار أو الافتقار- ولا يأتين بكذب مفرط يفترينه يلحقن أولادا بغير آبائهم ولا يعصينك في معروف -ومن جملة ذلك النهي عن النياحة وشق الثياب وجز الشعر وخمش الوجوه والدعاء بالويل ونحو ذلك- فبايعهن كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: ﴿ لا يُشركن بالله شيئا ﴾ قالت: وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها. ﴾ [البخاري ٧٢١٤ ★ مسلم ١٨٦٦ ★ أبو داود ٢٩٤١ ★ الترمذي ٣٣٠٦ ★ ابن ماجة ٢٨٧٥ ★ أحمد ٢٤٨٢٩] واطلب لهن المغفرة من الله، إن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. **١٢**

فائدة! مبايعة ولي الأمر على السمع والطاعة تكون في المعروف دون المنكر.

مُبايَعَةُ الأميرِ على اتِّباعٍ ... لأمرِ اللهِ، أو يَعصي الخُيُورُ

يا أيها الذين آمنوا لا تنصروا ولا تعينوا قوما -لكفرهم- غضب الله عليهم، قد يئسوا من الآخرة -فحرم الله عليهم خيرها إذ لم يؤمنوا بها، إما بالكلية وإما كما وصفها لنا الله- كما يئس الكفار من أصحاب القبور: الذين وقفوا على الحقيقة بعد موتهم على الكفر، وأيقنوا أن لن يصيبهم خير في الآخرة. **١٣**

★ سورة الصف ★

★ مدنية ★

نزه الله وقدسه ما في السماوات وما في الأرض -كما قال تعالى ﴿ وإن من شيء إلا يُسَبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [الإسراء ٤٤]- وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **١**

يا أيها الذين آمنوا لماذا تزعمون -من أعمال الخير- ما لا تفعلون: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه ﴿ قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله: ﴿ سبَّح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم. يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. ﴾ ﴾ [الترمذي ٣٣٠٩ ★ أحمد ٢٣٧٨٨]؟ **٢**

كبر مقتا عند الله -يغضبه ويبغضه- أن تزعموا ما لا تفعلون: فلا يليق بالمؤمنين أن يعدوا ولا يوفوا. **٣**

إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله نصرة لدينه صفا -ثابتة قلوبهم وأقدامهم- كأنهم بنيان مرصوص: يشد بعضه بعضا، كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تُفلحون. وأطيعوا الله ورسوله ولا تَنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ﴾ [الأنفال ٤٥ ٤٦]. **٤**

واذكر أيها النبي الكريم حين سأل موسى قومه -مستنكرا متلطفا- يا قوم لماذا تؤذونني -بعصياني- وقد تعلمون -يقينا- أني رسول الله إليكم؟ فلما انحرفوا -عن الحق، وظلوا يعصونه عليه السلام- حرف الله قلوبهم -فانحرفوا عن الاستقامة- والله لا يوفق ولا يرشد القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته: إذ عاندوا. **٥**

واذكر حين أكد عيسى ابن مريم لبني إسرائيل أنه رسول الله إليهم، مصدقا وموافقا لما أنزل قبله في التوراة، ومبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد -أكثر حمدا لله من غيره، ويحمد لخصاله المحمودة أكثر مما يحمد غيره، وهو كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جبير بن مطعم ﷺ ﴿ إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي. ﴾ [البخاري **٣٥٣٢** ٭ مسلم **٢٣٥٤** ٭ الترمذي **٢٨٤٠** ٭ أحمد **١٦٧٣٤**]- فلما جاءهم بالأدلة الجلية البينة على صدقه زعموا أن هذا سحر واضح. **٦**

ومن أعظم ظلما ممن افترى على الله الكذب -فأنكر وجوده! أو زعم أن له ولد أو زوجة أو شركاء، أو نسب إليه ما لم يقل، أو حرم ما أحل أو أحل ما حرم- وهو يدعى إلى الإسلام -فيأبى أن يستجيب لدعوة التوحيد، ولا ينقاد لله- والله لا يوفق ولا يرشد القوم الظالمين لأنفسهم بالإصرار على الكفر. **٧**

يريد الكفار ليبطلوا دين الله ويقضوا عليه بأكاذيبهم -كالذي اتخذ الأسباب لينفخ يريد إطفاء نور باهر، عساه يظل مستقرا في ظلمات الكفر هو ومن حوله- والله متم دينه ومعليه، ولو كره الكافرون ذلك. **٨**

هو الذي أرسل رسوله بالهداية -فيرشد الخلق إلى ما فيه صلاحهم- ودين الحق -عقائد وشعائر وشرائع الإسلام- ليظهره -فيعلو- على سائر الأديان الأخرى، ولو كره المشركون ذلك. **٩**

يا أيها الذين آمنوا هل يدلكم -سبحانه- على تجارة -رابحة- تنجيكم من عذاب -أخروي- أليم؟ **١٠**

تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله نصرة لدينه ببذل أموالكم وأنفسكم، ذلك -الإيمان الذي لا يصح عمل إلا به، ثم الجهاد، هما كتجارة- خير لكم -مما تشتغلون به من أمور دنياكم- وأفضل، إن كنتم تعلمون ما فيهما من عز ووقاية من تسلط العدو في الدنيا، وثواب الله في الآخرة. **١١**

فائدة! الجهاد في فلسطين اليوم للدفاع عن مقدسات أهل الإسلام شرعي، وكون فصائله علمانية لا تحكم بما أنزل الله لا يمنع من القتال مع المسلمين للدفاع عن دمائهم وأعراضهم وأرضهم وأموالهم.

عَنِ الأرضِ المُقدَّسةِ استَماتَ ... دفاعًا أهلُ إيمانٍ، فَسِيروا

يغفر لكم ذنوبكم -إن آمنتم وجاهدتم- ويدخلكم جنات تجري خلالها الأنهار، ومساكن طيبة حسنة في جنات إقامة دائمة غير منقطعة، ذلك الفوز والفلاح العظيم لا يعادله شيء. **١٢**

وأخرى تحبونها -يعطكم سبحانه في الدنيا- نصر من الله -على أعدائكم- وفتح قريب -فتح مكة، ثم غزو الفرس والروم، وفتح بلاد الكفار في كل عصر- وبشر أيها النبي الكريم المؤمنين بما يسرهم. **١٣**

يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار -دين- الله -فاثبتوا على ذلك لا تبدلوا- كما -نصره من كان قبلكم، حين- سأل عيسى ابن مريم الحواريين -صفوة أنصاره ﷺ- من أنصاره -في دعوته- إلى الله؟ أجاب الحواريون بأنهم أنصار -دين- الله، فآمنت طائفة من بني إسرائيل كما قال تعالى ﴿ فلمَّا أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنَّا بالله ﴾ [آل عمران **٥٢**]

وكفرت طائفة، فقوى الله الذين آمنوا -بالحجة- يؤيدهم على عدوهم، فأصبحوا -غالبين- ظاهرين. **١٤**

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾
يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ
عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ
تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ
طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟
أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

سُورَةُ الجُمُعَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡحَكِيمِ ١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ
مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ
وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ
ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ
يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥
قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ
أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٧ قُلۡ
إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨

★ سورة الجمعة ★

★ مدنية ★

ينزه الله ويقدسه ما في السماوات وما في الأرض -كما قال تعالى ﴿ وإن من شيء إلا يُسَبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [الإسراء ٤٤]- الملك -مالك كل شيء- القدوس -المقدس المنزه عن كل نقص وعيب- العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ١

هو الذي بعث في -العرب- الذين لا يقرؤون ولا يكتبون رسولا منهم -يعرفون حاله ونسبه وصدقه- يقرأ عليهم ألفاظ آياته، وينزههم من الكفر والمعاصي والرذائل، ويعلمهم القرآن وسنته التي ترشد إلى الحكمة، وإن كانوا من قبل -بعثته ﷺ- لفي ضلال واضح عن الحق، لا يعرفون للرشاد سبيلا. ٢

وآخرين من العرب -ومن غيرهم بعثه إليهم، فهو كما قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ [سبأ ٢٨]- لم يلحقوا بهم -ولحاق كثير منهم لاحقا متوقع، فالأمر كما ورد عن النبي ﷺ من حديث تميم الداري رضي الله عنه ﴿ ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر. ﴾ [أحمد ١٦٩٥٧]- وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٣

ذلك -المذكور من بعث رسول منهم، ومن انتشار الدين هو شيء من- فضل الله، يعطيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم: فلله الفضل والمنة. ٤

مثل الذين كلفوا العمل بما جاء في التوراة ثم لم يعملوا بموجبه كمثل الحمار يحمل كتبا كبيرة -ولا يدري قيمة ما يحمل- بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله -فقد استحقوا بسبب تكذيبهم بآياته أن يوصفوا بهكذا مثل قبيح- والله لا يوفق ولا يرشد القوم الظالمين لأنفسهم بالإصرار على الكفر. ٥

فائدة! خاب وخسر قوم بين أيديهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ينيران لهم الطريق، فيتبنوا مناهج أهل الكفر وأمم الرذيلة، ما هؤلاء إلا حفنة من المغلوبين المولعين بتقليد الغالب، أفلا يستعلون بعقيدتهم؟!

أقرآنٌ، وسُنَّةُ ماحِ كُفرٍ ... فغيرَهُما تَبَنَّى مَنْ يَجورُ؟!

توجه أيها النبي الكريم بالخطاب إلى اليهود: إن زعموا أنهم أولياء لله -خصهم بمحبة- من دون الناس -كما قال تعالى ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبَّاؤه ﴾ [المائدة ١٨]- فليتمنوا الموت -ولو تمنوه لحدث كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ﴾ [أحمد ٢٢٢٥]- إن كانوا صادقين في زعمهم هذا. ٦

ولا يتمنونه أبدا بسبب ما اقترفت أيديهم -من كفر وآثام- والله عليم بالظالمين، وسيجازيهم. ٧

أخبرهم أن الموت الذي يحاولون الفرار منه فإنه ملاقيهم -لا محالة آتيهم كما قال تعالى ﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفَّون أجوركم يوم القيامة ﴾ [آل عمران ١٨٥]- ثم يردون -بعد الموت- إلى عالم ما غاب وما شهد، فيخبرهم بما كانوا -في الدنيا- يعملون، ويجازيهم به. ٨

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ
إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩
فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ
مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠
وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ
أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ
لَا يَفۡقَهُونَ ٣ * وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ
تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ
عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤

يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة -برفع الأذان، بعد صعود الخطيب المنبر- فاسعوا إلى ذكر الله -لحضور الخطبتين والصلاة- واتركوا البيع -وسائر المعاملات- ذلك -السعي إلى ذكر الله وترك ما سواه- خير لكم -من الدنيا ومعاملاتها- وأفضل، إن كنتم تعلمون ثواب ذلك عند الله. ٩

فإذا قضيت الصلاة -ففرغتم منها- فانتشروا في الأرض -مباح لكم التجارة وغيرها- والتمسوا -بتجنب ما ليس يحل- من فضل الله، وأكثروا من ذكر الله ودعائه، رجاء أن تفلحوا فيكون مصيركم الجنة. ١٠

وإذا رأوا تجارة أو غيرها مما يلهي تفرقوا إليها وتركوك أيها النبي الكريم قائما -على المنبر ما فرغت بعد من خطبتك، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ﴿ بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت عير تحمل طعاما، فالتفتوا إليها، حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلا، فنزلت هذه الآية: ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما ﴾ ﴾ [البخاري ٩٣٦ * مسلم ٨٦٣ * الترمذي ٣٣١١ * أحمد ١٤٣٥٦]- أخبرهم: ما عند الله -في الآخرة، لمن آمن به ﷺ ووقره وأطاعه- خير مما يلهي الخلق ومن التجارة وأفضل، والله -الغني- خير من يرزق وأفضل من يعطي. ١١

فائدة! الخطب المؤيدة لمن لا يحكم بشرع الله ليست ذكرا لله، والإنكار علنا على الذي يأتي بمنكر في العلن وإن كان حاكما ليس إثارة فتنة كما جاء على لسان كعب بن عجرة رضي الله عنه ﴿ دخل المسجد وعبد الرحمن ابن أم الحكم يخطب قاعدا، فقال: انظروا إلى هذا الخبيث، يخطب قاعدا! وقال الله تعالى: ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما ﴾ ﴾ [مسلم ٨٦٤ * النسائي ١٣٩٧].

سنُنكِرُ مُنكرًا أخَطيبَ سُوءٍ ... عَلانِيةً كما اقترَفَ الأميرُ

* سورة المنافقون *

* المنافقون مرفوع على الحكاية، وهي مدنية *

إذا جاءك أيها النبي الكريم المنافقون -عبد الله بن أبي بن سلول وأنصاره، وحضروا مجلسك- زعموا -شاهدين مؤكدين- إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله، والله -رغم علمه أنك رسوله- يشهد: إن المنافقين -في زعمهم أنهم مؤمنون بك- لكاذبون. ١

اتخذوا أيمانهم وقاية -إذ يحلفون كذبا أنهم مسلمون ليعصموا دماءهم وأموالهم- فصدوا -بذلك- عن طريق الله -إذ أن طريقه هو قتل المؤمنين لأمثال هؤلاء- إنهم سيئ ما كانوا يعملون. ٢

ذلك -الحلف كذبا والصد عن دين الله- بسبب أنهم آمنوا -في الظاهر- ثم كفروا، فطبع على قلوبهم -فأغلقت تماما فغدت لا يدخلها إيمان ولا تعي خيرا- فهم لا يفقهون شيئا مما فيه صالحهم. ٣

وإذا رآهم الرائي تعجبه أجسامهم -وهيئاتهم- وإن يتكلموا يسمعهم السامع -فقد أتقنوا خلق الجاذبية المؤثرة التي تقنع عوام الناس- كأنهم -في مجلس النبي ﷺ- أخشاب مسندة -إلى الجدران لا تفهم ما ينفعها- يظنون -لخوفهم من ظهور ما يبطنون- كل صيحة يسمعونها تستهدفهم، هم العدو -كاملو العداوة: يظهرون خلاف ما يبطنون أيها المسلم- فاحذرهم، أهلكهم الله! كيف يقلبون: عن الحق؟ ٤

وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ
رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٥﴾
سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن
يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾
هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ
حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى
ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ
عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن
يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ
قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ
ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾

وإذا جرى دعوتهم يأتوا يطلب لهم رسول الله -في حياته- المغفرة -إذ يتوبون بين يديه- لووا رؤوسهم -وحركوها مستهزئين- ورأيتهم -أيها المؤمن، العالم بأصول دينك- يصدون -معرضين عن كل ما جرى دعوتهم إليه- وهم -مستمرون على الكفر والعناد واحتقار المؤمنين، وعن قبول الحق- مستكبرون. **٥**

سواء عليهم أطلبت المغفرة أيها النبي الكريم لهم أم لم تطلب المغفرة لهم لن يغفر الله لهم، إن الله لا يوفق ولا يرشد القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته: إذ عاندوا. **٦**

هم الذين يحرضون -من والاهم- ألا ينفقوا على من عند رسول الله -من فقراء المؤمنين- حتى ينفضوا -عنه، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه ﴿ خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: ﴿ لا تُنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضُّوا ﴾ من حوله، وقال: ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ ﴾ ﴾ [البخاري **٤٩٠٣** ★ مسلم **٢٧٧٢** ★ الترمذي **٣٣١٣** ★ أحمد **١٩٣٣٤**]- ولله خزائن السماوات والأرض -يرزق من يشاء كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله هو الرَّزَّاق ذو القوة المتين. ﴾ [الذاريات **٥٨**]- ولكن المنافقين لا يفقهون شيئا. **٧**

فائدة! الحذر الدائم من المنافقين وعدم إطلاعهم على شيء من أسرار المسلمين واجب متحتم، ومن سماتهم الجهل والغرور والتكبر، يحاولون بشتى الطرق صرف الناس عن أهل الصلاح ولا يفقهون شيئا مما فيه صالحهم، رغم ذلك هيئاتهم حسنة وكلامهم منمق، يقتنع بهم بل ويفتتن الكثير من العوام.

ويَحذَرُ مؤمنٌ أهلَ النِّفاقِ ... بهَيئاتٍ قَدِ افتَتَنَ الكثيرُ

يزعمون -كبيرهم، ولما رضي من والاه بما زعم كانوا شركاءه، فالرضا بالمنكر مشاركة فيه- لئن رجعوا إلى المدينة ليخرجن الأعز -الأكثر غلبة وقوة ومنعة، هم بزعمه- منها الأذل، ولله العزة -جميعها، وما كان منها مع أهل الإيمان فهو من فيضه- ولرسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك. **٨**

فائدة! من أشكال النفاق المعاصر الاستعانة بالنظام الدولي ومؤسساته السياسية والعسكرية والحقوقية والإغاثية وأدواتهم، ولا ثمن لذلك إلا ضياع المزيد من الدماء والأموال والحقوق، إذ لا سبيل لنا إلا الرجوع إلى شرع ربنا، والإعداد بأقصى استطاعة في تخف، بعيدا عن وسائل الإعلام ومسالك التتبع.

نظامٌ عالَميٌّ يَستَعينُ ... بِهِ أهلُ النِّفاقِ، فَنستديرُ

يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله -فلا تنشغلوا عن الصلاة ولا عن فرائض الإسلام، كمن يذهل عن الحج!- ومن يفعل -شيئا من- ذلك فهؤلاء هم بالغو الخسران الهالكون. **٩**

وأنفقوا من ما رزقكم سبحانه -من أموال، مخلصين له نياتكم وأعمالكم، في الزكاة الواجبة وصدقات التطوع- من قبل أن يأتي أحدكم الموت -ويعاين حينئذ ما ينتظره- فيسأل ربه متمنيا أن يؤخره قليلا -فلا يتوفاه الآن- فيصدق -بماله، مداوما على ذلك- ويكن من الصالحين. **١٠**

ولن يؤخر الله نفسا -عن الموت- إذا جاء أجلها -لا قليلا ولا كثيرا- والله خبير بجميع أعمالكم، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. **١١**

* سورة التغابن *

* مدنية *

ينزه الله ويقدسه ما في السماوات وما في الأرض -كما قال تعالى ﴿ وإن من شيء إلا يُسَبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [الإسراء ٤٤]- له الملك -الحقيقي في الدنيا والمطلق في الآخرة- وله كامل الثناء -تثني عليه الملائكة وجميع خلائقه إلا العصاة- وقدرته مطلقة لا يعجزه شيء. ١

هو الذي خلقكم، فمنكم -أيها الناس الأكثر- كافر، ومنكم مؤمن -فاعملوا، فكل ميسر لما خلق له كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ فعلى ما نعمل؟ على شيء قد فرغ منه؟ أو على شيء لم يفرغ منه؟ قال: بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له. ﴾ [الترمذي ٣١١١]- والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. ٢

خلق السماوات والأرض بالحق: سبحانه، ليس لعبا، بل سيجازي كل نفس مكلفة بما قد كان منها كما قال تعالى ﴿ وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ [الجاثية ٢٢]، وصوركم -في أرحام أمهاتكم كما قال تعالى ﴿ هو الذي يُصَوِّركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو ﴾ [آل عمران ٦]- فأحسن صوركم، وإليه المرجع في الآخرة. ٣

يعلم ما في السماوات والأرض، ويعلم ما تسرون -أيها الخلق، جميعه يعلمه- وما تظهرون من أقوال وأعمال، والله عليم بكل ما في صدور الخلق من إيمان وكفر، ومن خير وشر. ٤

ألم يأتكم -أيها الكفار- خبر الذين كفروا من قبل -كعاد وثمود وغيرهما- فذاقوا -في دنياهم- سوء خاتمة فعلهم؟ ولهم -في الآخرة- عذاب أليم. ٥

ذلك -الإهلاك في الدنيا ثم العذاب الأليم في الآخرة- بسبب أنه كانت تأتيهم رسلهم بالأدلة الجلية البينة على صدقهم، فتساءلوا -مستنكرين- أبشر -مثلهم- يرشدوننا: إلى الحق، كيف وليسوا ملائكة ولا جنا؟ فكفروا، وأعرضوا متنحين عن طاعة الله ورسله، واستغنى الله -بعظيم سلطانه عن كل أحد وشيء- والله غني عن عباده وعن إيمانهم وشكرهم نعمه، محمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. ٦

زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا، أقسم أيها النبي الكريم أن بلى! وربك ليبعثن -بعد موتهم للحساب- ثم ليخبرن بما عملوا -في الدنيا ويجازوا به- وذلك -كله- على الله يسير. ٧

فآمنوا -أيها الخلق- بالله ورسوله، والنور الذي أنزل سبحانه يضيء في الظلمات -القرآن، ينير به لعباده طريقهم- والله بجميع أعمالكم خبير، ما تظهرون منها وما تبطنون، يحصيها عليكم ليجازيكم بها. ٨

يوم يجمعكم ليوم الجمع -القيامة: الأولون مع الآخرين في مقام واحد، ليجازيهم بما قدموا- ذلك يوم التغابن -إذ تظهر خسارة من باع آخرته واشترى الدنيا منخدعا بزينتها- ومن يؤمن بالله ويعمل -تصديقا لإيمانه- صالحا يستر عنه سيئاته ويتجاوز عنها، ويدخله -مع أقرانه الصالحين- جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- أبدا، ذلك الفوز والفلاح العظيم لا يعادله شيء. ٩

سُورَةُ التَّغَابُنِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ
فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤
أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ
يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۖ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦ زَعَمَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ
وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ
وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ
أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾
مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ
يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ
ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ
وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ
وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ
أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ
عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ
وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا
حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾

والذين كفروا وكذبوا بآياته سبحانه هؤلاء ماكثون في النار -يعذبون- خالدين فيها، وبئس المصير. **١٠**

ما أصاب من مصيبة -في الأموال أو الأبدان- إلا بإذن الله ومشيئته، ومن يؤمن بالله -موقنا أن لم ولن يصيبه إلا ما كتب له كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ﴾ [الترمذي **٢٥١٦** ٭ أحمد **٢٦٦٩**]- يهد قلبه -عند وقوع المصيبة للصبر، والرضا بقضاء الله والتسليم له- والله بكل شيء عليم، بالنيات وبالأفعال. **١١**

وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول -في الظاهر والباطن- فإن أعرضتم متنحين عن الامتثال فإنما على رسولنا البلاغ الواضح: ليس هداية أحد. **١٢**

لا معبود بحق سوى الله، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في جميع أحوالهم. **١٣**

يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم -إن ثبطوكم عن هجرة واجبة أو جهاد، أو عن شعائركم ألهوكم كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُلهِكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ [المنافقون **٩**]، وقد يحملكم حبكم لهم على معصية الله- فاحذروهم -ولا تعصوه بسببهم- وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا -ساترين عليهم زلاتهم- فإن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمؤمنين. **١٤**

إنما أموالكم وأولادكم فتنة -فلكونهم من أكثر ما تحبون كما قال تعالى ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ [الكهف **٤٦**] يختبركم الله بهم، فلا تخونوا الأمانات، وقدموا أداء حقوق الله وعباده وما عليه اؤتمنتم على أموالكم وأولادكم- والله عنده -لمن أطاعه- ثواب عظيم. **١٥**

فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ما استطعتم -إلى أقصى استطاعتكم دون ضرر راجح- واسمعوا -أوامره سماع وعي وفهم وانتفاع- وأطيعوا، وأنفقوا -من أموالكم الحلال، في الجهاد ووجوه البر- خيرا لأنفسكم وأفضل -من تسلط عدو عليكم ومن عذاب الله- ومن يوق حرص نفسه وبخلها -على الدين ونصرة أهله بما لديها- فهؤلاء هم الفائزون الباقون في النعيم الدائم، الناجون من المهالك. **١٦**

فائدة! بعد اكتمال الدين فإن أحكام الإسلام تؤخذ بجملتها، فلا يجوز التدرج في الانقياد لها، بل ما استطعنا أن نطبقه طبقناه فورا دون تدرج -فالاستطاعة مناط التكليف- وما لم نستطع فواجبنا الإعداد لتحصيل القدرة لتطبيقه، فما لا يقوم الواجب إلا به -إن كان في أصله مباحا- فهو واجب.

وحَصِّلْ قُدرةً وانقَدْ لِشَرعٍ ... وطَبِّقْ ما استَطعتَ فذاكَ نورُ

إن تنفقوا نصرة لدين الله -فالمال ضروري للجهاد- بنفس طيبة ونية خالصة يعده عليكم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ﴾ [مسلم **١١٥١** ٭ الترمذي **٧٦٤** ٭ النسائي **٢٢١٥** ٭ ابن ماجة **١٦٣٨** ٭ أحمد **٧٦٠٧**] ويغفر لكم، والله كثير الشكر للمؤمنين على طاعاتهم، حليم لا يعاجل بعقاب. **١٧**

عالم ما غاب وما شوهد العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. **١٨**

★ سورة الطلاق ★

★ مدنية ★

يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن -مستقبلات- لعدتهن -وهن في طهر لم تجامعوهن فيه، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ أنه طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر النبي ﷺ، فقال: مره فليراجعها، ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا. ﴾ [البخاري ٥٢٥٨ ★ مسلم ١٤٧١ ★ أبو داود ٢١٨١ ★ الترمذي ١١٧٦ ★ النسائي ٣٣٩٧ ★ ابن ماجة ٢٠٢٣ ★ أحمد ٤٧٨٩]- وأحصوا العدة -بحفظ الوقت الذي وقع فيه الطلاق، لتتمكنوا من مراجعتهن إذا أردتم- واتقوا الله ربكم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه: لا تخرجوهن من بيوتهن -التي فيها يسكن ما دمن في العدة- ولا يخرجن -هن من تلقاء أنفسهن، إلا لضرورة- إلا أن يرتكبن معصية ظاهرة الفحش -فلكم إخراجهن- وتلك -الأحكام- حدود الله بين الحلال والحرام، ومن يتجاوز حدود الله فقد ظلم نفسه بتعريضها لسخط الله، لا تدري -أيها المطلق- لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا: كأن تكون حاملا أو تحن إليها، فتراجعها. ١

فائدة! "أنت طالق" تقال ثلاثا في ذات الوقت فتقع واحدة كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ أتعلم أنما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد النبي ﷺ وأبي بكر، وثلاثا من إمارة عمر؟ فقال ابن عباس: نعم. ﴾ [مسلم ١٤٧٢ ★ أبو داود ٢٢٠٠ ★ النسائي ٣٤٠٦ ★ أحمد ٢٨٧٥].

كواحِدَةٍ ثَلاثٌ قَدْ خَرَجنَ ... بِذاتِ الوقتِ، طَلَّقَ إذْ يَثورُ

فإذا قاربن انقضاء عدتهن فراجعوهن -بحسن معاشرة- بحسب ما هو متعارف عليه مما لا يخالف الشرع أو فارقوهن -بلا إضرار- بحسب ما هو متعارف عليه مما لا يخالف الشرع، وأشهدوا -رجلين- معروفين بالعدالة من المسلمين -على الرجعة أو الفراق- وأقيموا الشهادة -على وجهها، تامة- لله -بها التمسوا رضاه- ذلك -المذكور من أوامر- يؤمر به تحذيرا من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن يتق الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يجعل له -مما يصيبه من ضيق أو حرج أو شدائد أو محن- مخرجا. ٢

ويرزقه من حيث لا يتوقع، ومن يعتمد على الله وحده في جميع أحواله فهو كافيه، إن الله بالغ -نافذ- أمره -لا يعجزه أو يرده شيء- قد جعل الله لكل شيء -شدة كان أو رخاء- مقدارا ووقتا لا يتعداه. ٣

واللائي انقطع حيضهن من نسائكم إن ارتبتم -ألهن عدة؟- فعدتهن ثلاثة أشهر، واللائي لم يحضن -لصغر سن أو لغيره: عدتهن ثلاثة أشهر- والحاملات -مطلقات ومتوفى عنهن- انقضاء عدتهن أن يضعن حملهن، ومن يتق الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يجعل له أمره -وإن بدا عسيرا- يسيرا. ٤

فائدة! يجوز الدخول بالصغيرة قبل أن تحيض إذا كانت تقوى على الجماع.

يَجوزُ دُخولُ زَوجٍ بالإناثِ ... متى احتُمِلَ الجِماعُ فلا يَضيرُ

ذلك -المذكور من أحكام وأوامر- أمر الله -الذي حكم به- أنزله إليكم -أيها المؤمنون، فلا تخالفوه- ومن يتق الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يستر عنه سيئاته ويتجاوز عنها، ويمنحه عظيم الثواب. ٥

سُورَةُ الطَّلَاقِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن
يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ
فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴿١﴾
فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ
وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ
مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾
وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ
إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ
مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ
وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ
وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ
إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾

أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ
عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ
أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن
تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن
قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا
مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ
عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا
نُّكۡرٗا ﴿٨﴾ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ
لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ
ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١٠﴾ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ
بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ
وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾

أسكنوهن -فهن مطلقات رجعيات ما دمن في العدة- من حيث سكنتم -أحد بيوتكم أيها المطلِّقون، أو مثلها- من قدرتكم المادية، ولا تضاروهن -بقول أو فعل- لتضيقوا عليهن -في سكن أو نفقة- وإن كن حوامل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن، فإن أرضعن لكم -أولادكم- فأعطوهن أجورهن -نفقة وكسوة، كما قال تعالى ﴿ وعلى المولود له رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف لا تُكلَّف نفس إلا وسعها ﴾ [البقرة ٢٣٣]- وتشاوروا فيما بينكم بحسب ما هو متعارف عليه مما لا يخالف الشرع، وإن تعاسرتم -فلم تتفقوا على أجرة الرضاعة فلا إكراه لأي من الطرفين- فليستأجر -الأب- لولده مرضعة أخرى. **٦**
لينفق -على مطلقته وولده- صاحب سعة -من المال- من سعته، ومن ضيق عليه رزقه فلينفق مما أعطاه الله، لا يكلف الله نفسا إلا ما أعطاها، سيجعل الله بعد ضيق وشدة سعة وفرجا: فادعوه. **٧**
فائدة! دعاء الله من أسباب تفريج الضيق ودفع الشرور، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذ أحدنا مضجعه أن يقول: اللهم رب السموات ورب الأرضين وربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، والظاهر فليس فوقك شيء، والباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر. ﴾ [مسلم ٢٧١٣ ★ أبو داود ٥٠٥١ ★ الترمذي ٣٤٠٠ ★ ابن ماجة ٣٨٧٣ ★ أحمد ٨٩٦٠].

سَيَجعَلُ ربُّكُم بَعدَ العَسيرِ ... يَسيرًا، بالدعاءِ إليهِ سِيروا

وكم من قرية تكبرت عن -طاعة- أمر ربها ورسله، فحاسبها الله حسابا شديدا -بتدمير أهلها- وعذبها سبحانه -في الدنيا والآخرة- عذابا فظيعا منكرا. **٨**
فذاقت -في دنياها- سوء خاتمة فعلها، وكان مصير أمرها -ومرجع أهلها في الآخرة- خسارة. **٩**
أعد الله لهم عذابا شديدا، فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يا أهل العقول الرزينة الذين آمنوا، قد أنزل الله إليكم -القرآن، شرفكم أن أنزله بلسانكم- ذكرا: فيه دينكم! وأحكامكم، وما تصيرون إليه من ثواب أو عقاب، به تتذكرون وتتعظون. **١٠**
رسولا -أرسله- يقرأ عليكم آيات الله واضحات دلالاتهن للحق موضحات، ليخرج الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة من ظلمات الكفر والضلال والمعاصي إلى نور الإيمان والهدى والطاعة، ومن يؤمن بالله ويعمل -تصديقا لإيمانه- صالحا يدخله -مع أقرانه الصالحين- جنات تجري خلالها الأنهار خالدين فيها -ينعمون- أبدا، قد أحسن الله له -بإدخاله جنة دائم نعيمها- رزقا. **١١**
الله الذي خلق سبع سماوات، ومن الأرض مثلهن -سبع طبقات- يتنزل الأمر -قدريا كان أو شرعيا، منه سبحانه- بين السماوات والأرض، لتعلموا -أيها العباد يقينا- أن الله قدرته مطلقة لا يعجزه شيء، بما في ذلك خلق المخلوقات ثم إهلاكها، وبعثها وحسابها، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما: لا يخفى عليه سبحانه ولا يفوته علم شيء من الأشياء في السماوات ولا في الأرض. **١٢**

★ سورة التحريم ★

★ من أسمائها النبي، وهي مدنية ★

يا أيها النبي لماذا تحرم ما أحل الله لك؟ تلتمس مرضاة زوجاتك: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش، فيشرب عندها عسلا، قالت: فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها النبي ﷺ فلتقل إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما، فقالت ذلك له، فقال: بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له، فنزل: ﴿ لِمَ تُحرِّم ما أحل الله لك ﴾ إلى قوله ﴿ إن تتوبا ﴾ لعائشة وحفصة، ﴿ وإذ أسَرَّ النبي إلى بعض أزواجه حديثا ﴾ لقوله بل شربت عسلا. ﴾ [البخاري ٥٢٦٧ ★ مسلم ١٤٧٤ ★ أبو داود ٣٧١٤ ★ النسائي ٣٤٢١ ★ أحمد ٢٥٨٥٢]؟ والله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالتائبين. ١

قد فرض الله لكم -أيها المؤمنون- تحليل أيمانكم -فشرعه إن حنثتم أو وجدتم خيرا منها كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ﴿ وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ثم أرى خيرا منها إلا كفرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير ﴾ [البخاري ٣١٣٣ ★ مسلم ١٦٤٩ ★ أبو داود ٣٢٧٦ ★ النسائي ٣٧٨٠ ★ ابن ماجة ٢١٠٧ ★ أحمد ١٩٥٥٨]- والله متولي أموركم -قد شرع تحليل أيمانكم لتبرأ ذممكم- وهو العليم الذي لا يخفى عليه شيء، الحكيم في تشريعه وتدبيره وخلقه. ٢

واذكر حين أسر النبي إلى أحد زوجاته حديثا -فخص به أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، منه شربه عسلا- فلما أخبرت به -أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها- وأطلعه الله عليه عرف -حفصة رضي الله عنها- بعضه، وأعرض منصرفا عن بعض -لم يعاتبها بجميع ما أفشت إبقاء للمودة- فلما أخبرها به سألته من أخبره هذا، أجاب بأن أخبره العليم الذي لا يخفى عليه شيء، الخبير بجميع أعمال خلقه، ما يظهرون منها وما يبطنون. ٣

إن تتوبا إلى الله -حفصة وعائشة: حق عليكما التوبة- فقد مالت قلوبكما -عن الحق- وإن تعاونا عليه فإن الله هو متولي أموره، وجبريل وصالح المؤمنين -غير المنافقين- والملائكة بعد ذلك ظهير معين. ٤

سيبدله ربه -بلطفه- إن طلقكن -وقد علم الله أنه لن يطلقهن- زوجات خيرا منكن وأفضل: مسلمات -قائمات بشرائع الإسلام الظاهرة- مؤمنات -قائمات بشرائعه الباطنة- قانتات -مطيعات خشوعا- تائبات -راجعات عما يسخط الله إلى ما يرضيه- عابدات -قائمات بما أمر به بإخلاص- صائمات -كذلك جائلات بأفكارهن في قدرة الله وملكوته- ثيبات -سبق لهن الزواج- وأبكارا. ٥

يا أيها الذين آمنوا اجعلوا وقاية لأنفسكم -بطاعة الله- ولأهليكم -بحسن تنشئة أبنائكم، وبأمرهم هم وزوجاتكم بطاعته سبحانه- من نار توقد بالناس -بالمذنب المستحق للعذاب منهم- وبالحجارة -ومن جملتها تلك التي يعبدها الكفار- عليها ملائكة -يحرسون أبوابها- غلاظ -على من بداخلها- شداد، لا يعصون الله -إذا- ما أمرهم، ويفعلون ما -به- يؤمرون: مباشرة، بغير جدال. ٦

يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم -في الآخرة، بل ذوقوا- إنما تجزون ما كنتم تعملون من كفر. ٧

سُورَةُ التَّحۡرِيمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ
ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا
نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا
نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣ إِن
تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ
ظَهِيرٌ ٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ
مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ
وَأَبۡكَارٗا ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا
وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ
لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ
أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ
وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا
لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ
عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا
مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ
قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ
وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ
عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا -صادقة تنصح صاحبها بالإقلاع والندم على ما اقترف من آثام، إن فعلتم- سيستر ربكم -بلطفه- عنكم سيئاتكم ويتجاوز عنها، ويدخلكم جنات تجري خلالها الأنهار، يوم -القيامة- لا يذل ولا يهين الله النبي والذين آمنوا معه -الذين اهتدوا بهديه من أمته، بل- نورهم -كل حسب عمله، قيل على الصراط- يتقدمهم، وبأيمانهم -صحائف أعمالهم- يدعون: ربنا اتمم لنا نورنا -فلا ينطفئ كما هو حال المنافقين- واغفر لنا، إن قدرتك مطلقة لا يعجزك شيء. **٨**

فائدة! شروط التوبة النصوح الإقلاع عن الذنب والندم على اقترافه والعزم على عدم العودة إليه، وإعطاء صاحب الحق حقه أو التحلل منه إذا كانت التوبة من مظالم العباد في مال أو عرض أو نفس.

نَصوحٌ تَوبَتي نَدَمٌ وعَزمٌ ... على الإقلاعِ، بَلْ ظُلْمًا أُبيرُ

يا أيها النبي -والأمراء من بعدك، وكل فرد من أمتك- جاهد الكفار -باليد حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية كما ورد عن النبي ﷺ من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ﴿ فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية ﴾ [البخاري ٣١٥٩]- والمنافقين -باللسان، فتقوم عليهم بذلك الحجة- واغلظ عليهم -فكن خشن الجانب معهما شديد- ومستقرهم جهنم، وبئس المصير. **٩**

فائدة! جهاد المسلم دفاعا عن ماله مشروع: تجهز عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما لقتال جيش خليفة عصره معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما دفاعا عن ماله، ولم ينصحه أحد من الصحابة أو التابعين بالسمع والطاعة "وإن ضرب ولي الأمر ظهره وأخذ ماله" كما يزعم المرجئة يهود القبلة وعلماء السلطان، بل هو رضي الله عنه أخبرهم بما ورد -وصح- عن النبي ﷺ من حديثه رضي الله عنه ﴿ من قتل دون ماله فهو شهيد. ﴾ [البخاري ٢٤٨٠ * مسلم ١٤١ * أبو داود ٤٧٧١ * الترمذي ١٤١٩ * النسائي ٤٠٨٧ * أحمد ٦٥٢٢].

نُجاهِدُ أهلَ بَغيٍ دونَ مالٍ ... لنا عَمَدوا إليهِ، وقَدْ نَثورُ

ضرب الله مثلا للذين كفروا -أن ليس يغني أحد عن أحد- امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا زوجتين لعبدين من عباد الله صالحَين، فخانتاهما -ليس خيانة فراش، بل ناصرتا الكفار- فلم ينفعاهما ولم يغنيا عنهما من الله شيئا -وهما نبيّين، بل يعذب الزوجتين لخيانة دينه- وأمر -تبكيتا عند موتهما- أن تدخلا النار مع الداخلين: من أهل الكفر والعصيان، فاعتبرا يا حفصة وعائشة، بل ويا سائر أمهات المؤمنين. **١٠**

وضرب الله مثلا للذين آمنوا -ليصبروا على طاعة الله وأقداره- امرأة فرعون، حين دعت ربها أن يبني لها عنده بيتا -في أعلى الدرجات- في الجنة، وينجيها من فرعون وعمله -فقد كان زوجها عظيم الكفر كما قال تعالى ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ [القَصص ٣٨]، يعذبها لإيمانها بالله- وينجيها من القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر ولغيرهم بالصد عن الإيمان. **١١**

ومريم ابنة عمران التي صانت فرجها -ما مسها بشر، كذلك ضربها مثلا للذين آمنوا- فنفخ الله فيه من روحه سبحانه -كلف به المَلَك جبريل عليه السلام فحملت بعيسى ابن مريم عليه السلام- وصدقت بكلمات ربها -فآمنت بشرائعه- وكتبه -المنزلة- وكانت من القانتين: المطيعين خشوعا، وهي من بيت صلاح. **١٢**

★ سورة المُلك ★

★ مكية ★

كثر خير ونفع -الله- الذي بيده الملك -الحقيقي في الدنيا والمطلق في الآخرة، المتصرف في خزائن الكون- وتعاظم واستحق الثناء، وقدرته مطلقة لا يعجزه شيء. **١**

الذي خلق الموت والحياة، ليبلوكم -أيها الناس، فيظهر من يشتري الآخرة الباقية بدنيا فانية، مختبرا- أيكم أحسن -لله- عملا، وهو العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، الواسع والدائم المغفرة. **٢**

الذي خلق سبع سماوات طباقا -بعضها فوق بعض- ما يرى الرائي في خلق الرحمن من تناقض ولا تباين، فارجع البصر -أيها الإنسان، وانظر مجددا- هل ترى أي خروق؟ **٣**

ثم ارجع البصر رجعتين -مرة تلو الأخرى، وانظر مجددا لتتأكد- يعد إليك البصر ذليلا صاغرا، وهو -عن أن يرى في خلق الله تناقض أو تباين، أو أن يجد في السماء خرقا- متعب كليل. **٤**

ولقد زين الله أقرب السماوات إلى الأرض بكائنات مضيئة، وجعل سبحانه منها ما يرجم به الشياطين -لئلا يتسمعوا إلى الوحي في السماء كما قال تعالى ﴿ إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين. ﴾ [الحِجر ١٨]- وأعد الله لهم عذاب النار المستعرة. **٥**

وللذين كفروا بربهم -جنا كانوا أو إنسا، إن ماتوا على كفرهم- عذاب جهنم، وبئس المصير. **٦**

إذا ألقوا في جهنم سمعوا لها -وهم يطرحون فيها- صوتا مرتفعا -من شدة الغليان- وهي تفور. **٧**

تكاد تميز من الغيظ -فتتقطع وينفصل بعضها عن بعض- كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها -ملائكة بأبوابها- ألم يأتكم نذير: ينذركم عقاب الله؟ **٨**

أجابوا ببلى قد جاءهم نذير، فكذبوا -نذر الله- وزعموا أن ما نزل الله أي شيء -لا وحي ولا كتب- من ثم اتهموهم أن ليسوا هم إلا في ضلال كبير: عن الصواب، وضياع وبعد تام عن الحق. **٩**

وصرحوا -وهم يلقون في النار- بأن لو كانوا يسمعون -سماع وعي وفهم وانتفاع- أو ينتفعون بعقولهم ما صاروا في عداد أصحاب النار المستعرة: فالكافر لم يعط من العقل شيئا، وإن علا في الدنيا. **١٠**

فاعترفوا بذنبهم -مقرين بأنهم كذبوا الأنبياء، فلذلك استحقوا الخلود في عذاب الله- فبعدا لأصحاب النار المستعرة -إذ يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه، فليسوا بقريبين- من الله ورحمته. **١١**

إن الذين يخشون ربهم بالغيب -لم يروا عذابه- لهم مغفرة وثواب كبير. **١٢**

فائدة! ذنوب الخلوات هلاك كما ورد عن النبي ﷺ من حديث ثوبان ﵁ ﴿ لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة، بيضا، فيجعلها الله عز وجل هباء منثورا، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها. ﴾ [ابن ماجة **٤٢٤٥**].

مَنِ انتَهَكَ المَحارِمَ حينَ يَخلو ... بِها فضياعُ أُخراهُ المصيرُ

سُورَةُ المُلْكِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢
ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ
يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ
ٱلسَّعِيرِ ٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦
إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨
قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ
إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢

وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾
ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾
أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ
كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾
أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا
ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ
يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا
ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن
يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

وأسروا كلامكم -أيها الناس، ومن جملته حديثكم في أمر النبي ﷺ ونيلكم منه- أو اجهروا به، إنه -سبحانه- عليم بكل ما في صدور الخلق من إيمان وكفر، ومن خير وشر. **١٣**

ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف في تدبيره الرفيق العالم بدقائق الأمور، الخبير الذي لا يفوته شيء؟ **١٤**

هو الذي جعل لكم الأرض مذللة -مستقرة قابلة للسكن والحياة فيها- فامشوا في أرجائها -قد أجاز الله لكم الانتفاع بما فيها- وكلوا من رزقه، وإليه وحده -يوم القيامة- بعث الموتى أحياء: فاحذروا! **١٥**

أأمنتم -عذاب- من في السماء -إن عصيتموه- أن يخسف بكم الأرض -كما فعل بقارون- فإذا هي -فجأة، بكم- تضطرب؟ **١٦**

أم أمنتم -عذاب- من في السماء -إن عصيتموه- أن يرسل عليكم -من السماء أو بواسطة الريح- برد أو حصى أو حجارة؟ فستعلمون -وقد عاينتم عذابه، ولا ينفعكم حينئذ علم- كيف إنذاره لكم. **١٧**

ولقد كذب الذين من قبلهم -كعاد وثمود وغيرهما- فكيف كان إنكاره عليهم؟ **١٨**

أولم ينظروا إلى الطير فوقهم -متأملين، إذ هي- باسطات أجنحتها وتضمهن -فهي تطير- ما يمسكهن -في الجو عن أن تسقط- إلا الرحمن؟ إنه بكل شيء بصير، لا يخفى عليه شيء كائنا ما كان. **١٩**

أمن هذا -المخلوق- الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن: دافعا عذاب خالقكم، سلهم أيها النبي الكريم موبخا؟ إن الكافرون إلا في غرور: قد خدعهم الشيطان، وغرتهم الأماني بطول البقاء. **٢٠**

أمن هذا -المخلوق- الذي يرزقكم -من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات وغيره- إن أمسك -عنكم خالقكم- رزقه: سلهم موبخا؟ بل تمادوا في تكبر ونفور وتباعد: مفارقين الحق، لم يتفكروا. **٢١**

أفمن يمشي منكبا على وجهه -ساقطا متعثرا: الكافر، إلى الحق- أهدى؟ أمن يمشي سويا -معتدلا: المؤمن- على طريق مستقيم واضح غير معوج موصل إلى الله وجنته؟ **٢٢**

أخبرهم أيها النبي الكريم أن هو -الله- الذي أوجدهم، وجعل لهم السمع والأبصار والقلوب -ليسمعوا ويبصروا ويعقلوا، فيعلموا، ويعملوا- قليلا ما يشكرون الله على نعمه. **٢٣**

فائدة! من شكر المؤمن ربه على نعمه رد الحقوق إلى أهلها وإبطال العقود الفاسدة، وإن كان القانون الوضعي المخالف لشرع الله في صفه، ومن أشهر تلك العقود اليوم في أرض المسلمين عقود ما يطلق عليه "الإيجار القديم"، وهو إيجار مؤبد لازم غير محدد المدة لا يجعل المالك يسترد العين المؤجرة.

نَرُدُّ الحقَّ فالجَبَّارَ نَخشى ... ولمْ نأبَهْ بقَانونٍ يَجورُ

أخبرهم أن هو -الله- الذي خلقهم وكثرهم في الأرض، وإليه يصيرون ليجازيهم بأعمالهم. **٢٤**

ويسأل المشركون النبي ﷺ والمؤمنين -مستنكرين متهكمين- متى هذا الوعد -بالبعث والحساب ثم الجنة أو النار كما تزعمون، أخبرونا- إن كنتم صادقين؟ **٢٥**

أخبرهم أنما العلم عند الله -فلم تنبأ متى عذابهم، كما قال تعالى ﴿ عالِمِ الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدا. إلا من ارتضى من رسول ﴾ [الجن ٢٦ ٢٧]- وأنما أنت نذير واضح للعصاة بالعقاب. **٢٦**

فلما رأوه -عذاب الآخرة- دانيا نازلا بهم اسودت وجوه الذين كفروا واكتأبت، وجرى إخبارهم -توبيخا وتقريعا- أن هذا -العذاب- الذي كانوا -في الدنيا، مستنكرين متهكمين- به يطلبون ويتمنون. **٢٧**

سلهم أيها النبي الكريم أن يخبروك: إن أهلكك الله ومن معك -من المؤمنين، فمتم كما يتمنى أهل الكفر- أو رحمكم -فأبقاكم، هل موتكم أو حياتكم ينفعهم إن هم ماتوا كفارا؟- فمن يغيث الكافرين -حينئذ، وقد انتهى الأمر- من عذاب أليم؟ أخبرهم أن هو الرحمن، آمنا به -وحده لا شريك له، ففي ذلك النجاة- وعليه وحده اعتمادنا في جميع أحوالنا، فسيعلمون -قريبا- من هو في ضلال واضح عن الحق، لا يعرف للرشاد سبيلا. سلهم أن يخبروك: إن أصبح ماؤهم -الذي يرويهم، في الأرض بعيدا- غائرا، فمن -غير الله، الذي يشرك به هؤلاء الجهلة، قادر على أن- يأتيهم بماء جار؟ **٢٨ ~ ٣٠**

⋆ سورة القلم ⋆

⋆ من أسمائها ن، وهي مكية ⋆

الحروف المقطعة قد تقدم الرأي فيها في تفسير قوله تعالى ﴿ الم. ﴾ [البقرة ١]، والقلم وما يكتبون: يحلف الله. ما أنت أيها النبي الكريم بنعم ربك -من حكمة ونبوة- بمجنون: كما زعم الكفار، وكيف وقد أنعم الله عليك؟ وإن لك لثوابا غير مقطوع أبدا: الجنة. وإنك لعلى خلق -ودين- عظيم: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ كان خلقه القرآن ﴾ [أحمد ٢٤٦٠١]. **١ ~ ٤**

فستبصر -يوم القيامة- ويبصر المكذبون بك. بأيكم -تلبس الشيطان، فصار هو المجنون المحرق في النار- المفتون. إن ربك هو أعلم بمن ضل عن طريقه، وهو أعلم بالقابلين للهداية. **٥ ~ ٧**

فلا تطع -ولا أحد من أمتك- المكذبين: أبدا. أحبوا وتمنوا لو تتهاون وتنافق -حاشاك، فتصانعهم في الدين- فيتهاونون وينافقون: لا ينفع ذلك، بل يميع الحق ليغدو وجهة نظر! فأنذر بالقرآن باذلا قصارى جهدك كما قال تعالى ﴿ فلا تُطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا. ﴾ [الفرقان ٥٢]. **٨ ٩**

فائدة! ملاينة الكفار ومصانعتهم ينتج عنه تميع الحق ويصير الدين "وجهة نظر لا تفسد للود قضية".

نُجاهِدُ أهلَ كُفرٍ لمْ نُداهِنْ ... هُمُ الأعداءُ، مُيِّعَتِ الأمورُ!

ولا تطع كل كثير حلف -بالباطل، عند الله- ممتهن. كثير الاغتياب للناس، مشاء بالنميمة: ساعيا للإفساد بينهم. شديد منع للخير -ولما أوجبه الله عليه من حقوق مالية- معتد متجاوز لحدود الله كثير الإثم. فاحش الخلق غليظ جاف، بعد ذلك -كله- ظلوم معروف بالشر، دعي ملصق بالقوم وهو ليس منهم. أن كان صاحب مال وبنين: فتكبر ولم يشكر نعم الله فلا تطعه من أجل ما لديه. إذا تقرأ عليه آيات الله -المنزلة- زعم -أنها- أباطيل الأمم السابقة. سيكوي الله أنفه بعلامة تشينه. **١٠ ~ ١٦**

فائدة! كثرة الحلف خلق ذميم، ومن حلف وهو يغلب على ظنه أنه يكذب فهو -وإن تبين صواب ما حلف عليه أو صادف حلفه الصواب- حانث آثم، ومن يحلف جزافا على شيء لا يعلمه فهو آثم.

ومَنْ يَحلِفْ ليَحذَرْ، لا تُجازِفْ ... أتَأثَمُ والكتابُ لنا نَذيرُ؟

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم
بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا
فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ
ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ
لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ
وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ
عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾
وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾
هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾
عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ
ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا
يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ
كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم
مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا
لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا
تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا
خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ
أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾
أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ
كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا
بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ
زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ
يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

إن الله بلاهم سبحانه -مختبرا هؤلاء المكذبين بالنبي ﷺ، بالجوع في سنين القحط- كما بلا الله أصحاب البستان، حين أقسموا ليحصدنه صباحا. ولا يستثنون: شيئا من محصولهم للمساكين، ولم يقولوا وهم يقسمون: "إن شاء الله". فطاف عليه طائف من ربك وهم نائمون: إذ أرسل سبحانه عليه نارا أحرقته. فأصبح كالليل المظلم. فنادى بعضهم بعضا صباحا. أن اخرجوا أول النهار إلى زرعكم، إن كنتم -إياه- حاصدين. فانطلقوا -ليحصدوا بستانهم- وهم يتحدثون بصوت خافت. أن لا يدخلنه اليوم عليهم مسكين. وخرجوا أول النهار، على منع -محصولهم- عازمين قد قدروا أمرهم. ١٧ ~ ٢٥
فلما رأوه -محترقا- ظنوا أنهم -عن طريق بستانهم، يقينا- ضالون. بل هم محرومون: الرزق، لهلاكه، أدركوا الحقيقة. وبخهم أفضلهم: ألم يحذرهم -مغبة العزم على حرمان المساكين، فلم يستمعوا؟ من ثم أرشدهم- هلا ينزهون ويقدسون: ربهم، توبة إليه؟ نزهوا ربهم وقدسوه، معترفين بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم بتعريضها لسخط الله. فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون. تحسروا على أنفسهم، معترفين بأنهم كانوا متجاوزي الحد في الضلال. رجوا ربهم -بلطفه- أن يبدلهم -في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما جميعا- خيرا من بستانهم وأفضل، مؤكدين أنهم إلى ربهم -وعفوه- راجون. مثل ذلك -يكون- العذاب -فبضياع النعم يعذب الله من عصاه، يا أهل مكة- ولعذاب الآخرة أكبر -مما حل بهم في الدنيا- لو كانوا يعلمون ما ينفعهم لما فضلوا فان على باق، ولكنهم جهلة. ٢٦ ~ ٣٣
إن للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه عند ربهم جنات النعيم الدائم. ٣٤
أفيجعل الله المسلمين كالمجرمين مستحقي العقاب؟ ما لكم؟ كيف تحكمون: بالباطل أيها الجهلة، أتساوون المسلمين بغيرهم؟! أم لكم كتاب -منزل، لم تؤلفوه!- فيه -أن المسلم كالكافر- تدرسون؟! إن لكم في كتابكم هذا لما تخيرون: لأنفسكم من أحكام وتشريعات وثواب وعقاب؟! ٣٥ ~ ٣٨
فائدة! المساواة بين المسلمين وغيرهم في القوانين والدساتير -أو ما يطلق عليه "المواطنة"- كفر.

أَيُجعَلُ مسلِمٌ كالمُجرِمينَ؟ ... أجُنَّ القَومُ؟! أم ظَهَرَ الكَفورُ؟

أم لكم أيمان على الله -توثق عهوده، ثابتة- بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لاختيار ما به تحكمون؟ ٣٩
سلهم أيها النبي الكريم -موبخا مقرعا- أيهم بذلك -الادعاء الكاذب- كفيل ضامن؟ ٤٠
فائدة! الحكم بشرع الله الذي أنزل لنا دون غيره ليس أمرا اختياريا.

بشَرعِ اللهِ نُحكَمُ ليسَ هذا ... لمَخلوقٍ، هلِ انعَدَمَ الضَّميرُ؟

أم لهم شركاء: طواغيت، كما قال تعالى ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ [الشورى ٢١]؟ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين في زعمهم أن لهم اختيار ما به يحكمون. ٤١
يوم -القيامة- يكشف كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقا واحدا. ﴾ [البخاري ٤٩١٩ * مسلم ١٨٣ * أحمد ١١١٢٧]. ٤٢

خاضعة أبصارهم -من الهول- ساكنة، يعلوهم ذل وتصاغر، وقد كانوا -في الدنيا- يجري دعوتهم إلى السجود -لله، وحده لا شريك له- وهم سالمون: معافون قادرون على تلبية الدعوة، فكانوا يأبون. **٤٣**

فاترك الله أيها النبي الكريم خل بينه وبين من يكذب بهذا الحديث -الذي تحدثهم به: قرآنه سبحانه، كلامه الذي قد أنزل عليك، لا تشغل قلبك بهم- سيستدرجهم سبحانه غافلين: بإدرار النعم عليهم ليتمادوا فيما هم عليه. **٤٤**

ويمهلهم الله -فيؤخر عنهم عقابه فيزدادوا كفرا فتزداد العقوبة- إن مكائد الله -بهم- متينة شديدة. **٤٥**

أم تسألهم أيها النبي الكريم -على دعوتك- ثوابا، فهم من الغرامة والخسارة مكلفون حملا ثقيلا؟ **٤٦**

أم عندهم الغيب، فهم يكتبون: الأعمار، ويعرفون أنك تموت قبل إتمام دعوتك فلذلك لا يؤمنون؟ **٤٧**

فاصبر لحكم ربك -القدري والشرعي، حتى يأتي أمره لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]- ولا تكن كصاحب السمكة -يونس ﷺ- حين نادى وهو مكظوم: محزون، فقد ابتلعته السمكة بعد مغادرة قومه غاضبا دون إذن الله. **٤٨**

لولا أن تداركته نعمة من ربه -فوفقه للتوبة وقبل توبته، فقد كان من المنزهين لله المقدسين قبل ما حل به، وفي بطن السمكة كما قال تعالى ﴿ فنادى في الظُّلُمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. ﴾ [الأنبياء ٨٧]- لطرح -من بطن السمكة- بأرض فضاء وهو -من الله- مذموم. **٤٩**

فاختاره ربه وجعله من خاصته، فجعله من الصالحين. **٥٠**

وإن يكاد الذين كفروا ليصيبونك بعيونهم -يريدون أن ينحوك عن مقام أقامك الله فيه، عداوة لك- لما سمعوا الذكر -القرآن، فهو تذكير للخلق بما فيه صلاحهم- ويزعمون إنه -حاشاه- لمجنون. **٥١**

وما هو -الذي تأتيهم به- إلا تذكير للخلائق جميعا، يذكرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة. **٥٢**

⋆ سورة الحاقَّة ⋆

⋆ مكية ⋆

الحاقة: القيامة، تحق على الجميع واقعة بهم لا محالة، وتحق لخلق الجنة ولآخرين النار. ما الحاقة: أي شيء هي؟ وما أدراك -أيها الإنسان- ما الحاقة وكيف هي عظيمة الشأن؟ **١ ~ ٣**

كذبت ثمود وعاد بالقارعة: القيامة، تقرع الخلق بأهوالها. **٤**

فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية: بسبب طغيانهم وكفرهم أرسل الله عليهم صيحة تجاوزت حدود احتمالهم كما قال تعالى ﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المُحتَظِر. ﴾ [القمر ٣١]. **٥**

وأما عاد فأهلكوا بريح شديدة الصوت والبرودة، عاتية عتت عليهم بقسوة بالغة فلم يستطيعوا ردها. **٦**

ذللها عليهم -سبحانه، فسلطها بقدرته- سبع ليال وثمانية أيام -اتصل العذاب فيهم فصاروا بمثابة يوم واحد- مستأصلة، فيرى الرائي القوم فيها صرعى -موتى- كأنهم أصول نخل خاوية: مجوفة بالية. **٧**

فهل يرى الرائي لهم من باقية؟ بل أهلكهم الله عن بكرة أبيهم. **٨**

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ
سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم
مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ
أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾
فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ
وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ
وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾
وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ
ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ
بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ
صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى
ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾

وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ
رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي
ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ
وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ
وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ
ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ
حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا
دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾
وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ
مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ
عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ
ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾
وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾

وجاء فرعون ومن قبله -من الأمم الكافرة- والمؤتفكات -قرى قوم لوط المنقلبات، جعل ربها عاليها سافلها- بالخاطئة: من أعمال كفر وعصيان. فعصت كل أمة منهم رسول ربهم -الذي أرسله إليهم- فأخذهم -سبحانه- أخذة -في العنف- زائدة. إن الله لما طغى الماء -متجاوزا كل حد، في الارتفاع- حملكم سبحانه -أيها الناس، بأن حمل آباءكم وكنتم في أصلابهم وقت طوفان نوح ﷺ- في السفينة الجارية: فطفت على الماء، وأنقذتهم بإذن الله من الغرق. ليجعلها الله لكم تذكرة -بقدرته سبحانه، وبإنجائه أهل الإيمان وإهلاك غيرهم- وتعيها أذن واعية: تعي وتحفظ ما تسمع فتستفيد منه. **٩ ~ ١٢**

فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة: الثانية كما قال تعالى ﴿ ونُفخ في الصور فصَعِق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ﴾ [الزُّمَر ٦٨]. وحملت الأرض والجبال -فرفعت من أماكنها، بقدرته سبحانه- فكسرتا كسرة -فصارتا بسطة- واحدة. فيومئذ وقعت الواقعة: فالقيامة واقعة لا محالة. وانشقت السماء فهي يومئذ -لتشققها- واهية. والملائكة على أرجائها -يحفون أطرافها وجوانبها- ويحمل عرش ربك -مخلوق فوق جميع مخلوقاته، أيها الإنسان- فوق رؤوسهم يومئذ ثمانية: ملائكة، أو صفوف من الملائكة. يومئذ تعرضون -بأقوالكم وأعمالكم، أيها الناس- لا تخفى منكم خافية: بل يعلم سبحانه عنكم كل ما قلتم وعملتم واعتقدتم. **١٣ ~ ١٨**

فأما من أعطي صحيفة عمله بيمينه فيدعو -مسرورا- لقراءة صحيفته. يصرح بأنه ظن -بل أيقن، في دنياه- أنه ملاق حسابه: في آخرته، على أقواله وأعماله ومعتقداته، فأحسن القول والعمل والاعتقاد. فهو في عيشة مرضية يرضاها صاحبها. في جنة عالية: مكانا ومكانة. ثمارها دانية: قريبة يتم تناولها دون مجهود. كلوا واشربوا لا تنغيص في شيء منه، بسبب ما قدمتم سالفا -يا أهل الجنة، في الدنيا- في الأيام الماضية مما وفقكم الله له لتكونوا أهلا لرحمته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لن يدخل أحدا عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا ﴾ [البخاري **٥٦٧٣** * مسلم **٢٨١٦** * أحمد **٩٨٣١**]. **١٩ ~ ٢٤**

وأما من أعطي صحيفة عمله بشماله فيتحسر متمنيا لو لم يعط صحيفته. ولم يدر ما حسابه: ومآله. يتمنى لو كانت -موتة الدنيا التي ماتها هي- القاضية: القاطعة للحياة، لا شيء بعدها. ماذا نفعه ماله وماذا أغنى عنه: يتساءل متحسرا، أفسيدفع عنه ماله ما سيلاقي من عذاب الله؟ يصرح أن هلك عنه قوته وجاهه وانقطعت حججه لا تعود إليه أبدا. خذوه -أيها الملائكة- فقيدوا يده إلى عنقه بالأغلال: يأمر الله. ثم الجحيم أودعوه يقاسي حرها. ثم في سلسلة طولها سبعون ذراعا فاسلكوه: لتنفذ فيه. إنه كان لا يؤمن بالله العظيم: هو خالد في النار إذًا. ولا يحث -نفسه ولا غيره- على إطعام المسكين. فليس له اليوم هاهنا أقارب: في الآخرة لن يدفع عنه العذاب أحد، ولن ينفعه أحد بشيء. **٢٥ ~ ٣٥**

فائدة! إطعام الفقراء والمساكين وحث الغير على إطعامهم من أسباب وقاية المسلم من أهوال الآخرة.

ونُطعِمُ أهلَ فَقرٍ قَدْ فَعَلنا ... لِحَثِّ الغَيرِ قَدْ يُنْجِي الشَّكُورُ

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا
تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ
شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾
تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾
لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم
مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا
لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾
وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ المَعَارِجِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾
مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ
كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

ولا طعام إلا من غسالة قروح أبدان وصديد أهل النار. لا يأكله إلا الخاطئون متعمدو الخطأ. **٣٦ ٣٧**
فأقسم الله بما تبصرون: أيها العباد. وما لا تبصرون: بالأشياء جميعها. إنه -القرآن، كلام الله كما قال تعالى ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ [التوبة ٦]- لكلام رسول كريم: المَلَك جبريل عليه السلام يتكلم به مبلغا النبي ﷺ الذي بدوره يبلغه إلى العباد. وما هو بكلام شاعر، بنزر قليل مما أنزل الله تؤمنون لا بكل ما أنزل، ولا يؤمن منكم بالنبي ﷺ إلا نسبة قليلة. ولا بكلام كاهن، قليلا ما تذكرون: لذا فضلتم الباطل على الحق. **٣٨ ~ ٤٢**
تنزيل من رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء: فليس القرآن بكلام أحد من خلق الله. ولو جاء -أحد الرسل: المَلَك جبريل عليه السلام أو النبي ﷺ، حاشاهما- ببعض الكلام من تلقاء نفسه تقوله على الله. لأخذ الله بيده اليمين -وهو يساق إلى القتل، إذلالا له- بقوته سبحانه وقدرته. ثم لقطع الله منه نياط القلب. فما منكم من أحد عنه يحجزه سبحانه: فيحول أيها العباد بينه وبين العقاب. **٤٣ ~ ٤٧**
وإنه -القرآن- لتذكرة للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه. وإن الله ليعلم سبحانه أن منكم مكذبين: بالقرآن أيها العباد، فلينتظروا عقاب الله. وإنه لحسرة على الكافرين: فسيندمون عندما يعاينون عذابهم في الآخرة في مقابل ما أعد سبحانه لأهل القرآن من نعيم. وإنه لحق اليقين ليس يشوبه مراء. فواظب على تنزيه وتقديس باسم ربك العظيم -أيها المؤمن- عما لا يليق به من إلحاد وشرك وإنكار لنعمه وجحود وعدم شكر. **٤٨ ~ ٥٢**

⭑ سورة المعارج ⭑

⭑ مكية ⭑

دعا داعٍ -من الكفار، مستهزئا- بعذاب -على نفسه وقومه كما قال تعالى ﴿ وإذ قالوا اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴾ [الأنفال ٣٢]- واقع: بهم لا محالة في الآخرة، وقد أتاهم بعضه في الدنيا يوم بدر. **١**
للكافرين ليس له دافع. **٢**
من الله ذي العلو والعظمة والفواضل. **٣**
تصعد الملائكة والمَلَك جبريل عليه السلام -فهو من ملائكة الله المقربين- إليه -سبحانه- في يوم -القيامة، الذي- كان مقداره -على أهل الكفر والعصيان، لهول ما يقاسون فيه- خمسين ألف سنة. **٤**
فاصبر أيها النبي الكريم صبرا جميلا لا شكوى فيه: حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]. إنهم يرون العذاب الواقع بهم لا محالة -مستبعدا- بعيدا. ويراه الله قريبا: فكل آت قريب. يوم -القيامة- تكون السماء كالحديد المذاب أو كعكر الزيت المغلي. وتكون الجبال -خفيفة- كالصوف المصبوغ. ولا يسأل قريب قريبا: عن شأنه، فكل مشغول بنفسه كما قال تعالى ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه. ﴾ [عَبَس ٣٧]. **٥ ~ ١٠**

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا
ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ
جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ
عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ
وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ
رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ
غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ
هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾
فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ
عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم
مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾

يبصر كل قريب أقاربه، يحب المجرم مستحق العقاب ويتمنى لو يفتدي -نفسه مقابل الانفكاك- من عذاب يومئذ بأبنائه. وزوجته وأخيه. وقبيلته التي تضمه: في النسب، وعند الشدائد. ومن في الأرض جميعا -من إنس وجن وغيرهما، لا يتردد في تقديمهم فدية- ثم ينجيه: الافتداء، هيهات! **١١ ~ ١٤**

كلا! إنها لظى: نار ملتهبة، لا نجاة له منها. نزاعة لفروة الرأس تفصل الجلد عن العظام بشدة. تدعو -لظى- من أدبر -في الدنيا عن الحق- وأعرض متنحيا عن طاعة ربه. وجمع -المال- فأوعى: كانزا ما تحصل عليه ولم يخرج زكاته الواجبة. **١٥ ~ ١٨**

إن الإنسان خلق شديد الحرص. إذا ناله الشر -في مال أو بدن- كثير الجزع قليل الصبر. وإذا ناله الخير معتاد المنع بخيل بما تفضل به الله عليه. **١٩ ~ ٢١**

إلا المصلين: ليسوا من المتصفين بهذه الصفات السيئة. الذين هم على صلاتهم دائمون: مواظبون على أدائها في أوقاتها، لا يشغلهم عنها شاغل. والذين في أموالهم حق معلوم: زكاتها الواجبة. للسائل -المحتاج الذي يسأل الناس- والمحروم: الرزق، لأي سبب كان. والذين يصدقون بيوم الدين: يوم القيامة، يوم يدين الله عباده ويحاسبهم، ويعملون صالحا تصديقا لهذا الإيمان. والذين هم من عذاب ربهم حذرون خائفون: إذ ليسوا يأمنون تبدل حالهم قبل الموت. إن عذاب ربهم غير مأمون: مطلقا، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ﴿ كان أكثر دعائه: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت: فقلت: يا رسول الله، ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ قال: يا أم سلمة، إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ، فتلا معاذ: ﴿ ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ ﴾ [الترمذي **٣٥٢٢** * أحمد **٢٦٦٧٩**].

والذين هم لفروجهم -عن الزنا والشذوذ الجنسي، وعن أنظار الناس وملامسة أبدانهم- حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكوا من إماء، فإنهم لا يلامون على جماعهن وما دون ذلك مما أحل الله. فمن التمس الاستمتاع بغير زوجاته وإمائه فهؤلاء هم العادون المجاوزون إلى ما ليس يحل لهم. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون: لا ينقصون من حقوق الله ولا من حقوق عباده شيئا. والذين هم بشهاداتهم -على وجهها، تامة- قائمون: التماسا لرضا الله. والذين هم على صلاتهم يحافظون: تامة بغير نقص، يؤدونها ويظهرون هيئتها ويديمونها بشروطها. هؤلاء في جنات -في مراتب رفيعة- مكرمون. **٢٢ ~ ٣٥**

فمال الذين كفروا نحوك أيها النبي الكريم -إلى التكذيب والاستهزاء بك- مسرعين؟ عن اليمين وعن الشمال جماعات محيطة بك في حلق؟ أيطمع كل امرئ منهم -وهو باق على كفره، يظن لنسبه أو لماله أو لغير ذلك أنه أكرم عند الله ممن آمن- أن يدخل جنة نعيم دائم؟! كلا! فكما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ﴾ [مسلم **٢٦٩٩** * أبو داود **٣٦٤٣** * الترمذي **٢٩٤٥** * ابن ماجة **٢٢٥** * أحمد **٧٤٢٧**]، إن الله خلقهم سبحانه مما يعلمون: من المني! فأقسم الله برب المشارق -للشمس كل يوم- والمغارب إن الله لقادر سبحانه. **٣٦ ~ ٤٠**

عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ
يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ
يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾
خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ
ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾
ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

على أن يبدل سبحانه خيرا منهم وأفضل -بعد إهلاكهم كما قال تعالى ﴿ إن يشأ يُذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذُرِّيَّة قوم آخرين ﴾ [الأنعام ١٣٣]- وما الله بعاجز سبحانه. ٤١
فاتركهم أيها النبي الكريم يتناولوا -الباطل- ويلعبوا، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون: به، القيامة أو أمره بقتالهم في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]. ٤٢

فائدة! يجب أن يكون جهاد الكفار والطواغيت والإعداد لذلك بأموال الصادقين من الأمة وليس من داعمين إقليميين أو دوليين يحرفونه عن مساره أو يوظفون دماء المسلمين وجهودهم لصالح غيرهم.

مُتارَكَةُ العَدُوِّ هيَ الهلاكُ ... ومالٌ مِّنْ كَفورٍ إذْ يُديرُ

يوم -القيامة- يخرجون -لهم صوت- من القبور مسرعين، كأنهم إلى حجارة منصوبة -كالتي كان أهل الشرك يذبحون لغير الله عليها- يسرعون. خاضعة أبصارهم -من الهول- ساكنة، يعلوهم ذل وتصاغر، ذلك اليوم الذي كانوا -على ألسن أنبياء الله- يوعدون. ٤٣ ٤٤

★ سورة نوح ★

★ مكية ★

إن الله أرسل سبحانه نوحا إلى قومه -آمرا- أن أنذر قومك -مآل الشرك بالله- من قبل أن يأتيهم عذاب أليم: في الدنيا يفضي إلى موتهم، ثم في القبر، ثم في الآخرة. أخبر -ﷺ- قومه -ليتركوا الشرك- أنه لهم نذير واضح بالعقاب. أن يعبدوا الله -وحده دون سواه، بذلك يأمر سبحانه- ويتقوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويطيعوه ﷺ. يغفر -سبحانه- لهم بعض ذنوبهم -إن فعلوا كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]، ولا يغفر ما يتعلق بحقوق عباد الله- ويؤخرهم -فلا يستأصلهم في الدنيا- إلى حضور آجالهم والموت، إن أجل الله -الموت- إذا جاء لا يؤخر، لو كانوا يعلمون ما ينفعهم لبادروا إلى عبادة الله وحده وطاعة رسولهم ﷺ. ١ ~ ٤
أخبر -ﷺ- ربه -وهو أعلم بحال خلقه- أنه دعا قومه -بلا كلل، مداوما على ذلك- ليلا ونهارا. فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارا: من دعوته، وبعدا عن الإيمان. وأنه كلما دعاهم -إلى توحيده سبحانه- ليغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم -ليسدوها- وغطوا أنفسهم بثيابهم -ممعنين في الإعراض- واستكبروا -عن توحيد الله- تماما: زاعمين أنما يريد سيادة عليهم كما قال تعالى ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضَّل عليكم ﴾ [المؤمنون ٢٤]. ثم إنه دعاهم جهارا: مظهرا لهم دعوته. ثم إنه أعلن لهم -بالدعوة- وأسر لهم -بها- كثيرا: فدعاهم على كل حال، سرا وعلانية، مجتمعين ومنفردين، منوعا أسلوب الدعوة. فنصحهم أن يطلبوا المغفرة من ربهم -وقد تمادوا في الكفر واقتراف آثام- إنه كان كثير المغفرة ستارا. ٥ ~ ١٠

فائدة! على الدعاة الصبر وتنويع أساليبهم، مع الموازنة بين الطرح العقلاني والخطاب العاطفي.

ونَدعو خَلْقَهُ، والصبرُ فَوزٌ ... ومُختَلِفَ الأساليبِ استَعيروا

يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل
لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾
وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ
طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ
إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا
سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾
مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا
كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾

يرسل -سبحانه، إن فعلوا ما نصحهم به عليه السلام- المطر عليهم وفيرا. ويمددهم بأموال وبنين، ويجعل لهم بساتين مديدة الظل، ويجعل لهم أنهارا. ما لهم لا يتوقعون لله تبجيلا: سائلا ألا يخافونه حق عظمته؟ وقد خلقهم أطوارا: طورا من بعد طور، نطفة فعلقة فمضغة فعظام ولحم، ثم تنفخ الروح؟ **١١ ~ ١٤**

ألم تعلموا -فتدركوا أيها الناس- كيف خلق الله سبع سماوات طباقا: بعضها فوق بعض؟ وجعل القمر فيهن ذا نور، وجعل الشمس -كالمصباح- سراجا؟ والله أنبتكم من الأرض -بأن خلق أباكم آدم عليه السلام من ترابها، كذلك أنبت لكم منها- نباتا: منه تأكلون. ثم يعيدكم في الأرض -لتدفنوا في ترابها بعد موتكم- ويخرجكم -للحساب- يقينا: فذلك سهل عليه يسير. والله جعل لكم الأرض مبسوطة قابلة للانتفاع بها. لتسلكوا منها طرقا مسالك نافذة: فتنفذوا فيها وتتحركوا لقضاء مصالحكم. **١٥ ~ ٢٠**

اشتكى نوح إلى ربه أن قومه عصوه -واستمروا على ذلك لم يؤمنوا- واتبعوا من لم يزده ماله وأولاده إلا خسارا: إذ اتبع عوامهم سادتهم الذين لم يشكروا نعمه، فازدادوا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الآخرة. ومكروا مكرا شديد الكبر: مستفرغين وسعهم في تآمرهم عليه عليه السلام. وحث سادتهم بعضهم بعضا وأمروا غيرهم لا يتركن -عبادة- آلهتهم، ولا يتركن -آلهتهم- وَدا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا. وقد أضلوا -بتلك الأصنام- كثيرا -كما قال تعالى ﴿ رب إنَّهنَّ أضللن كثيرا من الناس ﴾ [إبراهيم ٣٦]- وسأله -عالما عليه السلام بمآلهم كما قال تعالى ﴿ وأُوحيَ إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴾ [هود ٣٦]- ألا يزد الظالمين لأنفسهم بالكفر ولغيرهم بالصد عن الإيمان إلا ضلالا: عن الحق. **٢١ ~ ٢٤**

فائدة! يزين الشيطان البدع والشركيات للناس بالنيات والمقاصد الحسنة كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت. ﴾ [البخاري ٤٩٢٠].

وشَيطانٌ يُزَيِّنُ للعَوامِّ ... ويُقنِعُهُم: مَقاصِدُكُم طَهورُ!

من أجل أخطائهم -خاصة أنهم أول من اتخذ أصناما آلهة- أغرقوا -في الدنيا بالطوفان- فأدخلوا -في الآخرة- نارا، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا: ينفعونهم أو يدفعون عنهم عذابه. **٢٥**

وسأل نوح ربه ألا يترك على الأرض من الكافرين أحدا يسكن الديار أو يدور في الأرض ويتحرك. **٢٦**

إنه -سبحانه- إن يتركهم -فلا يهلكهم- يضلوا عباده -عن الحق وطريقه، ويظلوا على ذلك، بل- ولا يلدوا -فلا يكون من ذريتهم- إلا متناه في العصيان، شديد الكفران والجحود لنعمه سبحانه. **٢٧**

طلب -عليه السلام- من ربه المغفرة له ولوالديه، ولمن دخل بيته -وسفينته- مؤمنا، وللمؤمنين والمؤمنات -أما غيرهم- ولا يزد الظالمين لأنفسهم بالكفر ولغيرهم بالصد عن الإيمان إلا دمارا مهلكا: فتأمل. **٢٨**

★ سورة الجن ★

★ مكية ★

أخبر أن أوحي إليك أيها النبي الكريم أنه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
﴿ انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث! فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم، وقالوا: يا قومنا ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ ﴿ يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا. ﴾، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿ قل أُوحيَ إليَّ أنه استمع نفر من الجن ﴾، وإنما أوحي إليه قول الجن. ﴾ [البخاري ٧٧٣ ★ مسلم ٤٤٩ ★ الترمذي ٣٣٢٣ ★ أحمد ٢٢٧١]. ١

يوفق ويرشد إلى الرشاد -فقد أصاب من اتبعه- فآمنوا به، ولن يشركوا بربهم أحدا: فلن يعبدوا إلا إياه، هكذا أخبر الجن قومهم وقد سمعوا القرآن العجيب في فصاحته مرة واحدة، فليت الإنس يفقهون! ٢

وأنه تباعد وارتفع جلال ربهم وعظمته ما اتخذ زوجة ولا ولدا: بخلاف زعم مشركي الإنس والجن. ٣

وأنه كان يتقول سفهاؤهم خفاف العقول -وعلى رأسهم إبليس- على الله زعما جائرا مجاوز الحد. ٤

وأنهم ظنوا أن لن تتقول الإنس والجن على الله كذبا: فصدقوا زعمهم أن له زوجة وأولادا وشركاء. ٥

وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن -مستجيرين بهم إذا نزلوا مكانا موحشا، فيدعوهم: "أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه"- فزادوا الجن -وأنفسهم- طغيانا وإثما: وسفها! ٦

وأن الإنس ظنوا كما ظن الجن أن لن يبعث الله -بعد الموت للحساب- أحدا. ٧

وأنهم التمسوا -خبر- السماء، فوجدوها ملئت حرسا شديدا -من الملائكة- وشهبا: مشتعلة. ٨

وأنهم كانوا -في السابق، كما جرت به عادتهم- يتخذون من السماء مواقع للسمع -ليستمعوا منها ما يتداوله الملائكة- فمن يحاول الاستماع الآن يجد له شهابا -مشتعلا- مترصدا: يرجمه إن استمع. ٩

وأنهم لا يدرون -سبب حراسة السماء- أشر أريد بمن في الأرض؟ أم أراد بهم ربهم رشادا؟ ١٠

وأنهم منهم الصالحون، ومنهم دون ذلك -من كفار وعصاة ومستوري حال- كانوا طوابق شتى. ١١

وأنهم ظنوا -بل أيقنوا- أن لن يفروا من الله في الأرض -بل يدركهم قدره وإن شاء عذبهم- ولن يفروا منه هربا: بل هو محيط بهم سبحانه. ١٢

وأنهم لما سمعوا الهداية -في قرآن ربهم- آمنوا به، فمن يؤمن بربه -وحده لا شريك له، ويعمل صالحا تصديقا لهذا الإيمان- فلا يخاف نقصا -في ثوابه- ولا طغيانا وإثما: بتحميله ذنوبا لم يقترفها. ١٣

سُورَةُ الجِنّ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا
عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢
وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ
وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ
مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ
ٱللَّهُ أَحَدٗا ٧ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا
شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن
يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ٩ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ
ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ
ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ١٣

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى
لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ
أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ
أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ
رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

وأنهم منهم المسلمون -لله- المنقادون، ومنهم الجائرون الحائدون -عن طريق الحق- فمن أسلم وانقاد فهؤلاء تحروا رشادا: قاصدين الحق متوخين طريقه، لم يتبعوا أهواءهم ولا آراءهم المجردة. **١٤**

وأما الجائرون الحائدون -عن طريق الحق، جنا كانوا أو إنسا- فكانوا لجهنم حطبا: ستوقد بهم. **١٥**

فائدة! استعانة الإنس بالجن شرك بالله.

لنَحذَرْ إخوتي، فَمَنِ استعَانَ ... بِجِنِّيٍّ بِشِركٍ يَستَجيرُ

وألو استقام الجن والإنس على طريقة الإسلام -عملا به، دون ابتداع- لأغدق الله عليهم نعمه، ومن جملتها الماء الكثير كما قال تعالى ﴿ ولو أنَّ أهل القرى آمنوا واتقَوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ [الأعراف ٩٦]: أخبر أيها النبي الكريم عباد الله أن أوحي إليك ذلك. **١٦**

ليفتنهم سبحانه فيما أنعم به عليهم: مختبرا، أيشكرون أم أنهم يكفرون؟ ومن يعرض منصرفا عن ذكر ربه -ودعائه، ودينه الحق- يسلكه -سبحانه- عذابا شاقا لا يطاق: ينفذه فيه. **١٧**

وأن المساجد لله -وحده دون سواه- فلا تدعوا ولا تعبدوا مع الله أحدا: كائنا من كان أيها العباد. **١٨**

وأنه لما قام عبد الله -ورسوله، محمد ﷺ- يدعوه -سبحانه، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر- كاد الجن يكونون عليه متراكمين متزاحمين: يريدون سماع القرآن، أخبر عباد الله أن أوحي إليك ذلك. **١٩**

أخبرهم أنما تدعو ربك وتعبده، ولا تشرك به -شيئا ولا- أحدا. **٢٠**

أخبرهم أنك لا تستطيع دفع ضرر عنهم ولا جلب رشاد لهم. **٢١**

أخبرهم أنك لن يغيثك من الله -وعذابه، إن أشركت به أو عصيته، حاشاك- أحد، ولن تجد من دونه -سبحانه- ملاذا تلجأ أو تميل إليه. **٢٢**

إلا بلاغا لما أمرك الله بتبليغه وأرسلك به إليهم -لا ملاذ يغيثك من عذاب الله سوى ذلك- ومن يعص الله ورسوله فإن له -هو ومن والاه على الكفر والعصيان- نار جهنم -يعذبون- خالدين فيها أبدا. **٢٣**

حتى إذا رأوا ما يوعدون -به في الدنيا من قتل وجرح وأسر وسبي نساء وذراري وضياع أموال، ثم بعد موتهم من عذاب ينتظرهم- فسيعلمون من -المؤمنون أم الكافرون- أضعف أنصارا وأقل عددا. **٢٤**

أخبرهم أن لا تدري: أقريب -هو- ما يوعدون -به من عذاب- أم يجعل له ربك زمنا: يؤجله إليه؟ **٢٥**

عالم ما غاب، فلا يطلع -سبحانه- على غيبه أحدا: كائنا من كان أيها العباد. **٢٦**

إلا من ارتضى من رسول -يطلعه على ما شاء مما غاب عن بقية خلقه- فإنه يسلك من جميع جوانبه -ملائكة ينفذهم- مترصدين: للشياطين، لئلا يحاولوا التعرض لما يطلعه الله عليه. **٢٧**

فائدة! من زعم أن الله أطلعه على بعض الغيب لأن له "كرامات" فقد زعم أنه رسول ارتضاه سبحانه.

وهذا كافِرٌ زَعَمَ الهُراءَ ... كَراماتٍ، فصَدَّقَهُ الحَميرُ!

ليظهر علمه بأن قد أبلغوا رسالات ربهم -فتوقن الأمم بصدقهم عند تحقق ما أخبروهم به مما أطلعهم الله عليه- وأحاط بما لديهم -من أحوال مرسليه- وأحصى كل شيء عددا: بأدق التفاصيل. **٢٨**

★ سورة المُزَّمِّل ★

★ مكية ★

يا أيها المزمل: المتلفف بثيابه، هو النبي ﷺ خوفا من المَلَك جبريل ﷺ أول نزول الوحي. قم الليل -مصليا- إلا قليلا: منه. نصفه -اجعله لصلاتك إن شئت- أو انقص منه قليلا: كأن تصلى الثلث. أو زد عليه -كأن تصلى الثلثين- واقرأ القرآن سهلا على الوجه الأمثل، بتدبر وتمهل بغير عجلة. ١ ~ ٤

فائدة! قيام الليل وعبادة الخلوات من أعظم المثبتات للعبد، لذلك أمر الله نبيه ﷺ بقيامه مصليا وهو ما زال بمكة وفي أول نزول الوحي، وما من نبي من الأنبياء إلا أمره سبحانه بالعبادة قبل الرسالة، لأن الإصلاح يتبعه شدة، والشدة تحتاج إلى ثبات، ولا يثبت المصلح شيء كتقوية صلته بالله بالعبادة.

قِيامُ اللَّيلِ تَقوِيَةٌ لِعَبدٍ ... يُثبِّتُهُ بِهِ ربٌّ خبيرُ

إن الله سيلقي سبحانه عليك قولا -قرآنه-، لما فيه من فرائض وحدود وأحكام ووعيد، رزينا- ثقيلا. ٥

إن أوقات الليل -بعد نوم- هي أشد موافقة -للقلب مع القراءة- وأقوم قولا: وأبلغ تحصيلا للمراد. ٦

فائدة! من أراد حفظ القرآن وتثبيت حفظه فعليه بقراءته ومراجعته وهو قائم يصلي به من جوف الليل.

لحِفظِ كتابِ ربِّكَ فلتُحافِظْ ... على لَيلٍ تَقومُ، بِذا أُشيرُ

إن لك في النهار تقلبا طويلا: لتتصرف في أشغالك، فصل بالليل. واذكر اسم ربك -مداوما على ذكره مستكثرا من ذلك- وانقطع إلى عبادته تماما ملتمسا ما عنده بإخلاص. رب المشرق والمغرب: خلقا وملكا وتدبيرا، لا معبود بحق سواه، فاتخذه وكيلا تعتمد عليه وحده في جميع أحوالك. ٧ ~ ٩

واصبر على ما يتفوه به أهل الكفر: حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]، واهجرهم هجرا جميلا لا تتعرض لهم. واترك الله خل بينه وبين المكذبين أهل الحياة الناعمة -لا تشغل قلبك بهم- ومهلهم قليلا: إلى موتهم، كما حدث لهم يوم بدر. إن الله لديه سبحانه قيودا شديدة وجحيما. وطعاما يغص في الحلوق لا يبلع بسهولة، وعذابا أليما. يوم -القيامة- ترجف الأرض والجبال -مضطربة- وكانت الجبال -يومئذ- رملا سائلا. ١٠ ~ ١٤

إن الله أرسل سبحانه إليكم -أيها الناس- رسولا شاهدا عليكم -يشهد على أعمالكم يوم القيامة- كما أرسل سبحانه إلى فرعون رسولا: موسى ﷺ، ومعه أخوه هارون ﷺ، فاحذروا أن تكونوا مثله. ١٥

فعصى فرعون الرسول -وظل كافرا- فأخذه الله أخذا ثقيلا غليظا: إذ أغرقه، ثم كما قال تعالى ﴿ النار يُعرضون عليها غُدُوًّا وعَشِيًّا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب. ﴾ [غافر ٤٦]. ١٦

فكيف تتخذون وقاية إن كفرتم -ومتم على كفركم- يوما -قيامتكم! فهو كما قال تعالى ﴿ وكان يوما على الكافرين عسيرا ﴾ [الفرقان ٢٦]، لفرط هوله- يجعل الولدان شيب الرؤوس؟ ١٧

السماء -لفرط هوله- متشقق فيه، كان وعده -سبحانه، بحسابكم فيه- مفعولا: واقعا لا محالة. ١٨

إن هذه -السورة- تذكرة، فمن شاء اتخذ إلى ربه طريقا قويما: إلى جنته، بتوحيده وطاعة نبيه. ١٩

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣
أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا
ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي
ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨
رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ وَٱصۡبِرۡ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ
أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢
وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ
وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ١٤ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا
عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ
فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا
يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨
إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩

۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ
مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ
عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ
وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ
يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤
وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧ فَإِذَا نُقِرَ
فِي ٱلنَّاقُورِ ٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ١٠
ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ
شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ
كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودٗا ١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨

إن ربك أيها النبي الكريم يعلم أنك تقوم -مصليا- أقل من ثلثي الليل -حينا- ونصفه وثلثه -أحيانا- وطائفة من الذين -آمنوا- معك كذلك يقومون الليل، والله يعلم مقادير أوقات الليل والنهار، علم أن لن تحصوا وقت الليل -وسيشق عليكم ضبطه على وجه الدقة- فتاب عليكم -فنسخ ذلك ووسع عليكم الأمر- فاقرأوا -أيها المؤمنون- ما تيسر من القرآن -في صلاة الليل، تطوعا كما قال تعالى ﴿ ومن الليل فَتَهَجَّد به نافلة لك ﴾ [الإسراء ٧٩]- علم -سبحانه- أن سيكون منكم مرضى، وآخرون يخرجون في سفر يلتمسون من فضل الله، وآخرون يقاتلون في سبيل الله نصرة لدينه -هذه الفئات قد لا تطيق قيام الليل- فاقرأوا ما تيسر منه -تخفيفا من الله عليكم في صلاة الليل، تطوعا- وأدوا الصلاة وأظهروا هيئتها وأديموها بشروطها، وأخرجوا الزكاة الواجبة في أموالكم، وأنفقوا نصرة لدين الله بنفس طيبة ونية خالصة -في الجهاد ووجوه البر- وما تتقربوا به إلى الله من خير -وطاعة في الدنيا- تجدوه عند الله -في الآخرة محفوظا لكم، فيثيبكم عليه- هو خيرا -مما أنفقتم نصرة لدين الله- وأفضل وأعظم ثوابا -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ﴾ [مسلم ١١٥١ * الترمذي ٧٦٤ * النسائي ٢٢١٥ * ابن ماجة ١٦٣٨ * أحمد ٧٦٠٧]- واطلبوا المغفرة من الله، إن الله واسع ودائم المغفرة، عظيم الرحمة بالمستغفرين. **٢٠**

* سورة المُدَّثِّر *

* مكية *

يا أيها المدثر: المتغطي بثيابه، هو النبي ﷺ خوفا من المَلَك جبريل ﷺ أول نزول الوحي. قم -قيام عزم- فأنذر: الناس عاقبة كفرهم. وربك فصف بالكبرياء: ملكا وعزا وسلطانا، فهو أجل من أن يوصف باتخاذ زوجة وأولاد وشركاء. وثيابك فطهر: من النجاسة، وأخلاقك من العيوب، ونفسك من الذنوب. والعذاب المستحق والوساوس فاهجر: فلا تقرب وثنا. ولا تمنن -على ربك، بأن- تستكثر: ما تتحمله من أعباء النبوة والدعوة. ولربك فاصبر: على طاعته وأقداره، من أجل ثوابه. **١ ~ ٧**

فائدة! مفارقة أماكن المنكرات واجبة، وإنكار المنكر لا يكون مع مخالطته بغير حاجة أو ضرورة.

مكانُ المُنكَراتِ أخي ففارِقْ ... وجودُ المُصلِحينَ بِهِ خطيرُ

فإذا نقر في الناقور: نفخ في الصور وبعث الخلق من الموت للحساب. فذلك يومئذ يوم عسير. على الكافرين غير يسير: بل يحاسبون أسوأ حساب، ثم يساقون إلى النار للخلود فيها. **٨ ~ ١٠**

اترك الله أيها النبي الكريم خل بينه وبين من خلق وحيدا: في بطن أمه، لا تشغل قلبك به. وجعل الله له مالا ممدودا: لا ينقطع، قيل هو الوليد بن المغيرة. وبنين شهودا: معه ليسوا يفارقونه، بهم يستنصر ويقضي حوائجه. وبسط الله له بسطا: في العيش والعمر والرياسة. ثم يطمع أن يزيد: سبحانه له، رغم كفره به وعدم شكر نعمه. كلا! إنه كان لآيات الله -المنزلة- معاندا: بها كافرا. سيرهقه الله بشاق لا يطاق. إنه فكر -في شيء يطعن به في النبي ﷺ وفي القرآن- وقدر: فهيأ ذلك في نفسه. **١١ ~ ١٨**

فهلاك -له- كيف قدر: كفره هذا؟ ثم هلاك -له- كيف قدر؟! ثم نظر: مترويا. ثم عبس -متجهما، فلم يجد مطعنا في النبي ﷺ والقرآن- وكلح وجهه وتغير. ثم أدبر واستكبر: عن الإيمان واتباع الحق. فزعم أن ما هذا -القرآن- إلا سحر يروى عن الغير: جاءهم به ﷺ، حاشاه. ليس هذا إلا كلام -من أقوال- البشر: زاعما أنه ليس كلام الله. سيجعله الله يقاسي حر سقر: طبقة من النار. وما أدراك -أيها الإنسان- ما سقر وكيف هي عظيمة الشأن؟ لا تبقي -ممن هو بداخلها شيئا- ولا تترك: من فيها ميتا فيستريح. محرقة للجلود مسودة. عليها تسعة عشر: مَلَكا، أو صفا من الملائكة بأبوابها. **١٩ ~ ٣٠**

وما جعل الله أصحاب النار -خزنتها القائمين على تنفيذ أوامره سبحانه على من فيها- إلا ملائكة -لا طاقة للبشر بهم- وما جعل سبحانه عددهم إلا فتنة للذين كفروا -مختبرا إياهم، إذ ظنوهم قليلي العدد فهم يستطيعون الخروج من النار رغما عنهم! فازدادوا ضلالا- ليستيقن أهل الكتاب من يهود ونصارى -لموافقة عددهم في القرآن لما في كتبهم- ويزداد الذين آمنوا -منهم فأسلم، كعبد الله بن سلام ﷺ وغيره ممن آمن من علماء أهل الكتاب- إيمانا، ولا يرتاب -في دين الإسلام- أهل الكتاب من يهود ونصارى والمؤمنون، وليتساءل الذين في قلوبهم شك وشبهة والكافرون -متهكمين- ماذا أراد الله بهذا المثل: لماذا هذا العدد الغريب؟ مثل ذلك الضلال يضل الله من يشاء -عن الحق بعدله، فالبيان يقيم الحجة، لكن لا يوجب حصول الهداية- ويوفق ويرشد من يشاء، وما يعلم جنود ربك -أيها الإنسان، ملائكة كانوا أو غير ذلك- إلا هو، وما ذكر سقر إلا تذكرة جسيمة للبشر: أيتعظون فيؤمنوا؟ **٣١**

كلا! ليس الأمر كما ظنوا، فليسوا بخارجين منها، والقمر. والليل حين أدبر: فولى. والصبح إذا أسفر: فأضاء، يحلف الله. إن سقر لإحدى البلايا الكبرى. نذيرا للبشر بالعقاب. لمن شاء منكم أن يتقدم -بالإيمان والعمل الصالح، فيتجنبها أيها الخلق- أو يتأخر: فلا يلومن إلا نفسه. **٣٢ ~ ٣٧**

فائدة! الله أقدر العباد على أفعالهم ومكنهم منها، فهي تقع بمشيئتهم لا كما يزعم بعض أهل البدع.

ومَكَّنَكُم مِّنَ الأفعالِ ربٌّ ... وأقدَرَكُم عليها، لا تَجوروا

كل نفس بما كسبت من عمل مرتهنة: لا تحاسب بعمل غيرها. إلا أصحاب اليمين: الذين يأخذون صحائف أعمالهم بأيمانهم، لا يحاسبهم الله بذنوبهم، بل يتجاوز سبحانه عنها. في جنات يتساءلون. عن المجرمين مستحقي العقاب. ما سلككم -أيها المجرمون- في سقر: فأنفذكم فيها؟ **٣٨ ~ ٤٢**

أجابوا بأن لم يكونوا من المصلين: المؤدين الصلاة المكتوبة في وقتها. ولم يكونوا يطعمون المسكين: ولو أطعموه دون إيمان لما نفعهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين. ﴾ [مسلم **٢١٤** * أحمد **٢٤٦٢١**]. وكانوا يتناولون -الباطل، متوغلين في اللغو- مع المتناولين. وكانوا يكذبون بيوم الدين: يوم القيامة، يوم يدين الله عباده ويحاسبهم، فأنكروا البعث. حتى أتاهم -وهم على ذلك- الموت. **٤٣ ~ ٤٧**

فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾
ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ
إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾
لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلۡنَآ
أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۖ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ
وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ
وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ
لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا
لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾
كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ
مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ
مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾
بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا
يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا
يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ
ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟
ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾
وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

فما تنفعهم شفاعة الشافعين: من ملائكة وأنبياء ومؤمنين في الآخرة، فهو كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]. فما لهم عن التذكرة -وما بين أيديهم من قرآن- معرضين منصرفين؟! كأنهم -في إعراضهم- حمر -وحشية، مذعورة- مستنفرة. فرت من أسد أو من رماة يرمونها. بل -لا يكتفون بالإعراض عما جاءهم من حق بين، إنما- يريد كل امرئ منهم أن يعطى كتابا مفتوحا مبسوطا: ينزل عليه من الله، ليدل على صدق النبي ﷺ كما قال تعالى ﴿ ولن نؤمن لرُقِيِّك حتى تُنَزِّل علينا كتابا نقرؤه ﴾ [الإسراء ٩٣]! كلا! ليس الأمر كما يزعمون، فهم لم يشكوا في صدقه ﷺ قط، بل لا يخافون الآخرة: لذلك يتعنتون. كلا! إنه -القرآن- تذكرة. فمن شاء -أن يتعظ بالقرآن- ذكره. وما يذكرون إلا أن يشاء الله -لهم الهداية- هو الجدير بأن يتقى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والجدير بأن يغفر للمتقين والتائبين. ٤٨ ~ ٥٦

فائدة! مشيئة العباد مقيدة بمشيئة الله تابعة لها.

مُهَيمِنَةٌ مَشيئةُ ربِّ خَلْقٍ ... على ما شاءَ عَبدٌ، فاستَنيروا

★ سورة القيامة ★

★ مكية ★

أقسم الله بيوم القيامة. وأقسم الله بالنفس اللوامة: التي تلوم صاحبها على اقتراف الآثام وعدم الاستكثار من الأعمال الصالحة، ليبعثن الناس للحساب. أيظن الإنسان ألن يجمع الله عظامه: فيبعثه من موته حيا؟ بلى! يجمعها، قادرا سبحانه على أن يعيد سبحانه مفاصله وأطراف أصابعه سوية الخلقة: رغم صغرها ودقتها، فكيف بالأعضاء الأكبر حجما؟ بل يريد الإنسان -بإنكاره البعث- ليفجر -تاركا طاعة الله مستمرا على عصيانه فيما- أمامه: من عمر. يسأل -مستهزئا مستبعدا- متى يوم القيامة؟ ١ ~ ٦

فإذا فزع البصر وتحير: مما يرى. وذهب ضوء القمر. وجمع الشمس والقمر: فاختل تعاقبهما. يتساءل الإنسان يومئذ -إلى- أين الفرار؟ كلا! لا فرار إلى جبل أو حصن أو غيرهما. إلى ربك يومئذ المستقر: إليه مصيرك للحساب فالجزاء. يجري إخبار الإنسان يومئذ بما قدم -من عمل- وأخر: من سنة حسنة أو سيئة سنها فاتبعها الخلق بعده. بل الإنسان على نفسه بصيرة: كما قال تعالى ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. ﴾ [النور ٢٤]. ولو جادل بأعذاره: فلا فائدة. ٧ ~ ١٥

لا تحرك بالقرآن لسانك أيها النبي الكريم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه فكان ذلك يعرف منه، فأنزل الله تعالى: ﴿ لا تُحرِّك به لسانك لتعجل به. ﴾ أخذه ﴿ إنَّ علينا جمعه وقرآنه. ﴾ إن علينا أن نجمعه في صدرك، وقرآنه فتقرأه ﴿ فإذا قرأناه فاتَّبِع قرآنه. ﴾ قال: أنزلناه فاستمع له ﴿ إنَّ علينا بيانه ﴾ أن نبينه بلسانك، فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله. ﴾ [البخاري ٥٠٤٤ ★ مسلم ٤٤٨ ★ الترمذي ٣٣٢٩ ★ النسائي ٩٣٥ ★ أحمد ٣١٩١]. ١٦ ~ ١٩

كلا! ليس الأمر كما تزعمون، بل تحبون -أيها الخلق المنفعة- العاجلة: فلذلك تشككون في البعث. وتتركون الآخرة: فلا تعملون لها. وجوه يومئذ -في الآخرة- بهية حسنة. إلى ربها ناظرة: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته » [البخاري ٥٥٤ ★ مسلم ٦٣٣ ★ أبو داود ٤٧٢٩ ★ الترمذي ٢٥٥١ ★ ابن ماجة ١٧٧ ★ أحمد ١٩١٩٠]. ووجوه يومئذ كالحة متغيرة. تظن -بل توقن- أن تنزل بها داهية عظيمة. **٢٠ ~ ٢٥**

كلا! ليس الأمر لهوا ولعبا، إذا بلغت -الروح- عظم الترقوة: إشرافا على الموت. وسئل من راق: يرقيها ملتمسا لها الشفاء؟ وسئل من راق: بالروح، ملائكة الرحمة أم العذاب؟ وظن -بل أيقن المحتضر- أنه الفراق: من دنياه ومن فيها وما فيها. واجتمعت الشدة بالشدة: أناس يجهزون جسده وملائكة يجهزون روحه. إلى ربك يومئذ المساق: وحيدا تساق، أيها الميت. فلا صدق -الكافر، بالذي جاءه من ربه- ولا صلى: وترك الصلاة شرك. ولكن كذب وأعرض متنحيا عن طاعة ربه. ثم ذهب إلى أهله -مفتخرا بعصيانه- يتبختر. قرب منك -في الدنيا- الهلاك. ثم قرب منك -في الآخرة- الهلاك. **٢٦ ~ ٣٥**

أيظن الإنسان أن يترك سدى: لا يؤمر ولا ينهى، ولا يحاسب ولا يجازى؟ ألم يك نطفة من مني -في الرحم- يقذف؟ ثم كان علقة -من دم جامد متكون من المني- فخلق -سبحانه العلقة مضغة مخلقة من لحم قد نفخ فيها الروح وصارت ظاهرة التصوير- فسوى: خلقه وعدل صورته؟ فجعل منه الصنفين الذكر والأنثى؟ أليس ذلك -الخالق العظيم- بقادر على أن يحيي الموتى: للحساب؟! **٣٦ ~ ٤٠**

فائدة! الله يحدد جنس الإنسان عند خلقه، وما يطلق عليه ''الهوية الجندرية'' وما يتبع ذلك من تجويز اختيارها والتحول من ذكر إلى أنثى أو العكس مخالف للدين والفطرة، فضلا عن كونه محض هراء.

وهذا جاهِلٌ زَعَمَ افتِراءً ... بأَنَّ هُراءَ جِندَرِهِ شُعورُ!

★ سورة الإنسان ★

★ من أسمائها الدهر، وهي مدنية ★

هل أتى على الإنسان حين من الدهر -قبل أن ينفخ فيه الروح: كان عدما- لم يكن شيئا له ذكر؟ **١**

إن الله خلق سبحانه الإنسان من نطفة -من المني الخارج عند الجماع، من ماء أبيه وأمه- أخلاط، يبتليه سبحانه: مختبرا، أيعتبر بحالته الأولى أم يغتر؟ فجعله الله سميعا بصيرا: أيشكر نعمه أم يكفر؟ **٢**

فائدة! لا يليق بمخلوق من مني بعد أن كان عدما أن يغتر بنفسه، ولا أن يتكبر على خلق الله.

أتَغتَرُّ النُّفوسُ بما تَظُنُّ ... مَراتبَ رِفعَةٍ؟ يَنجو شَكورُ

إن الله وفقه سبحانه وأرشده -على ألسن أنبيائه، مبينا- الطريق القويم: إما -أن يتبعه، فيصير لنعم ربه- شاكرا -موحدا مطيعا لنبيه- وإما -ألا يتبعه، فيصير- عظيم الكفران بنعم ربه لا يشكرها. **٣**

إن الله أعد سبحانه للكافرين سلاسل -في أعناقهم، بها يسحبون يوم القيامة- وأغلالا ونارا مستعرة. **٤**

إن أهل البر والإخلاص والطاعة يشربون -في الجنة- من كؤوس خمر ممزوجة كافورا. **٥**

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ
بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ
ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾
فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ
يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾
ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ
وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا
ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا
هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟
وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً
وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ
ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً
وَحَرِيرًا (١٢) مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا
وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤)
وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ (١٥) قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ
قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا
تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ
لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ
سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢)
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا (٢٣) فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥)

من عين يشرب -فيروى- بها عباد الله، يفجرونها بقوة وغزارة: إذ تتبعهم فينتفعوا بها حيث شاءوا. ٦
يلتزمون الوفاء بالقيام بما ألزموا به أنفسهم -من طاعات- ويخافون يوما كان شره فاشيا: يوم القيامة. ٧
ويطعمون الطعام حبا لله وفعل الخير -رغم حبهم له وحرصهم عليه لقلته لديهم، تطوعا- مسكينا ويتيما -من المسلمين- وأسيرا: كافرا إلى أن يقضي الإمام في شأنه، أو مسلما محبوسا أو مملوكا. ٨
إنما نطعمكم قربة لله -يسرون في أنفسهم- لا نريد منكم جزاء ولا مكافأة ولا ثناء ولا شكرا. ٩
إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا -فيه وجوه العصاة، عليهم- صعبا شديدا طويل البلاء: يوم القيامة. ١٠
فوقاهم الله -فدفع عنهم- شر ذلك اليوم، وألقى عليهم بهاء وحسنا وسرورا: في وجوههم وقلوبهم. ١١
وجزاهم بسبب صبرهم على طاعته وأقداره جنة -يقيمون فيها أبدا- وحريرا: يلبسونه فيها. ١٢
متكئين فيها على الأسرة المزينة، لا يرون فيها شمسا -يؤذيهم شعاعها أو حرها- ولا بردا قارصا. ١٣
ودانية عليهم ظلالها -قريبة منهم أشجارها- وذللت ثمارها تذليلا: يتناولونها في جميع أحوالهم قائمين وجالسين ومضطجعين، دون مجهود. ١٤
ويطاف عليهم بآنية من فضة، وأكواب كأنها زجاج أملس: فيأكلون ويشربون ما يطلبون ويتمنون. ١٥
زجاج أملس -في صفائها لكنها- من فضة، قدروها وفق إرادتهم: تأتيهم على قدر ما طلبوا وتمنوا. ١٦
ويسقون فيها كؤوس خمر ممزوجة زنجبيلا. ١٧
من عين في الجنة -لسلاسة جريانها وطيب طعمها- تسمى سلسبيلا. ١٨
ويطوف عليهم -بالطعام والشراب- ولدان مخلدون -لا يهرمون ولا يتغيرون- إذا رآهم الرائي -من فرط حسنهم- ظنهم لؤلؤا منثورا: كثيرا مفرقا. ١٩
وإذا رمى الرائي ببصره في الجنة رأى نعيما دائما، وملكا -ليس يدانيه ملك- كبيرا. ٢٠
عاليهم -قد علت أبدانهم- ثياب حرير رقيق خضر -لونها- وحرير غليظ كذلك، وزينوا أساور من فضة -تحلي أيديهم المتوضئة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء. ﴾ [مسلم ٢٥٠ * النسائي ١٤٩ * أحمد ٨٨٤٠]- وسقاهم ربهم شرابا طاهرا في ذاته، مطهرا لما في بطونهم. ٢١
إن هذا كان لكم -أيها المؤمنون، على العمل الصالح مع النية الخالصة- جزاء -من الله وثوابا- وكان سعيكم مشكورا: قد قبل الله عملكم، فلله الحمد والمنة. ٢٢
إن الله هو نزل سبحانه عليك أيها النبي الكريم القرآن -ليس من عندك- شيئا فشيئا: تبعا للحاجة. ٢٣
فاصبر لحكم ربك -القدري والشرعي، حتى يأتي أمره لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]- ولا تطع -ولا أحد من أمتك- منهم مقترفا للآثام عاص لله أو عظيم الكفران بنعم ربه لا يشكرها. ٢٤
واذكر اسم ربك -مداوما على ذكره مستكثرا من ذلك- في كل وقت ولا سيما أول النهار وآخره. ٢٥

ومن الليل فاسجد له -سبحانه، مصليا بعضه تطوعا- ونزهه وقدسه ليلا -مواظبا على ذلك- طويلا. **٢٦**
إن هؤلاء -المشركين- يحبون -المنفعة- العاجلة -فلذلك يشككون في البعث- ويتركون وراءهم يوما ثقيلا: يوم القيامة الذي لا يعملون له بل ولا يأبهون به، أيستطيعون تحمل ثقل أهواله؟ **٢٧**
الله خلقهم سبحانه -هؤلاء المكذبين بالبعث، من عدم- وقوى سبحانه بنيتهم وأحكم خلقهم، وإذا شاء الله بدل سبحانه أمثالهم -بعد إهلاكهم بخلق مثلهم- تماما: فيسير عليه خلقهم واستبدالهم. **٢٨**
إن هذه -السورة- تذكرة، فمن شاء اتخذ إلى ربه طريقا قويما: إلى جنته، بتوحيده وطاعة نبيه. **٢٩**
وما تشاءون -أن تتخذوا إلى الله طريقا أيها الخلق- إلا أن يشاء -لكم الهداية- الله، إن الله كان عليما لا يخفى عليه شيء، حكيما في تشريعه وتدبيره وخلقه. **٣٠**

فائدة! يثاب المسلم على مشيئته الصالحة إن حالت مشيئة الله دون عمل ما أراد من صالحات.

يُثيبُ على مَشيئةِ برٍّ ربٌّ ... وإنْ لمْ يَستطِعْ فِعلًا خُيُورُ

يدخل -بفضله- من يشاء في رحمته -فيرشد ساعٍ للحق حقا كما قال تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبُلنا ﴾ [العنكبوت ٦٩]- والظالمين لأنفسهم بالكفر أو باقتراف الآثام أو لغيرهم بالصد عن الإيمان أعد لهم -في الآخرة- عذابا أليما. **٣١**

★ سورة المُرسَلات ★

★ مكية ★

والملائكة المرسلات بالوحي ليعرف الناس، والرياح المرسلات تتابعا كعرف الفرس. فالملائكة الموكلة بالرياح يعصفون بها، فالرياح العاصفات تهب قوية. والملائكة الموكلة بنشر السحاب، والرياح الناشرات للسحاب. فالملائكة تنزل بما يفرق بين الحق والباطل، فالرياح تفرق بين السحاب فتبدده. فالملائكة الملقيات وحيا للأنبياء ليذكروا العباد. إعذارا من الله، أو إنذارا للعصاة بالعقاب: يحلف الله. **١ ~ ٦**
إنما توعدون -به من بعث، أيها الخلق- لواقع. فإذا النجوم محيت: فذهب نورها. وإذا السماء فتحت وشقت. وإذا الجبال اقتلعت ونثرت. وإذا الرسل جمعت لوقت محدد. لأي يوم -عظيم- أجلت: كي يشهدوا على أممهم كما قال تعالى ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجبتم ﴾ [المائدة ١٠٩]؟ ليوم الفصل: يفصل الله بعدله ويقضي بين العباد. وما أدراك -أيها الإنسان- ما يوم الفصل وكيف هو عظيم الشأن؟ شدة الحسرة والهلاك يومئذ للمكذبين بما أنزل الله. ألم يهلك الله الأمم السابقة: كعاد وثمود وغيرهما، لتكذيبهم رسله؟ ثم يتبعهم الله الآخرين: إن استمروا يكذبون محمدا ﷺ. مثل ذلك الفعل يفعل الله بالمجرمين مستحقي العقاب. شدة الحسرة والهلاك يومئذ للمكذبين بما أنزل الله. **٧ ~ ١٩**

فائدة! العمل بدساتير أو قوانين أو مواثيق أو لوائح -محلية كانت أو إقليمية أو دولية- تناقض ما أنزل الله على نبيه تكذيب بمحمد ﷺ وبما أنزل ربه عليه.

أتَعمَلُ بالقوانينِ اختيارًا ... تُناقِضُ شَرعَهُ؟ ذاكَ الكُفورُ!

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ
وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ٢٨ إِنَّ
هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ
مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١

سُورَةُ المُرۡسَلَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣
فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ٩
وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢
لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧
كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤)
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)
ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٩) ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ
شُعَبٍ (٣٠) لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤)
هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ (٤٨)
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ (٥٠)

ألم يخلقكم الله -أيها الناس- من ماء ممتهن: مني حقير قليل؟ فجعله سبحانه في استقرار متمكن في الرحم؟ إلى مقدار محدد قد قدره: مدة الحمل؟ فقدر الله صفة الجنين ووقت خروجه من الرحم وفق إرادته، فأحسن مقدر للأقدار: هو. شدة الحسرة والهلاك يومئذ للمكذبين بما أنزل الله. ٢٠ ~ ٢٤

ألم يجعل الله الأرض ضامة: لما عليها من خلائق، في جميع أطوارهم؟ أحياء وأمواتا؟ وجعل الله فيها جبالا تثبتها كالأوتاد كما قال تعالى ﴿ والجبال أوتادا. ﴾ [النبإ ٧] مرتفعات، وأسقاكم سبحانه -أيها الناس- ماء شديد العذوبة؟ شدة الحسرة والهلاك يومئذ للمكذبين بما أنزل الله. ٢٥ ~ ٢٨

انطلقوا إلى ما كنتم به -في دنياكم- تكذبون: يقال لهم تقريعا. انطلقوا إلى ظل -من دخان حالك السواد كما قال تعالى ﴿ وظِل من يَحموم. ﴾ [الواقعة ٤٣]- ذي ثلاث طرق مفترقة. لا بارد -يقيكم الحر- ولا ينفع ولا يغني من الاتقاد. إن النار ترمي بشرر -متطاير، حجمه- كالحطب العظيم الغليظ. كأنه -لتواصله وعدم انقطاعه- حبال سفن -كما جاء على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿ ﴿ ترمي بشرر كالقصر ﴾ كنا نعمد إلى الخشبة: ثلاثة أذرع وفوق ذلك فنرفعه للشتاء فنسميه القصر، ﴿ كأنه جِمالة صُفر. ﴾ حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال. ﴾ [البخاري ٤٩٣٣]، لونهم كلون النار- صفر: مشوب بالسواد. شدة الحسرة والهلاك يومئذ للمكذبين بما أنزل الله. ٢٩ ~ ٣٤

هذا يوم لا ينطقون: إذ لا حجة لهم. ولا يؤذن لهم -بالنطق كما قال تعالى ﴿ يوم يأت لا تَكَلَّم نفس إلا بإذنه ﴾ [هود ١٠٥]- فيعتذرون: إذ لا عذر لهم. شدة الحسرة والهلاك يومئذ للمكذبين بما أنزل الله. هذا يوم الفصل -يفصل الله بعدله ويقضي بين العباد- جمعكم الله -أيها المكذبون بالنبي ﷺ- والأمم السابقة: التي كذبت بأنبيائه، للعقاب. فإن كان لكم مكائد -تستطيعونها لتحتالوا فتنجوا بأنفسكم- فدبروا له سبحانه المكائد! شدة الحسرة والهلاك يومئذ للمكذبين بما أنزل الله. ٣٥ ~ ٤٠

إن المتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه في ظلال الجنان المديدة وفي الجنان عيون ليس ينضب ما فيها من شراب. وفواكه مما تشتهي أنفسهم. كلوا واشربوا لا تنغيص في شيء منه، بسبب ما كنتم تعملون مما وفقكم الله له لتكونوا أهلا لرحمته كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ لن يدخل أحدا عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا ﴾ [البخاري ٥٦٧٣ ★ مسلم ٢٨١٦ ★ أحمد ٩٨٣١]. إن الله مثل ذلك الجزاء يجزي سبحانه المحسنين في عبادة الخالق وفي معاملة الخلائق. شدة الحسرة والهلاك يومئذ للمكذبين بما أنزل الله. ٤١ ~ ٤٥

كلوا -أيها المكذبون بالنبي ﷺ، كما تأكل البهائم- وتمتعوا قليلا -شهواتكم همكم، ثم تزول الدنيا- إنكم مجرمون مستحقون للعقاب. شدة الحسرة والهلاك يومئذ للمكذبين بما أنزل الله. وإذا أمروا أن يركعوا -لله مصلين- لا يركعون: بل يأنفون. شدة الحسرة والهلاك يومئذ للمكذبين بما أنزل الله. فبأي حديث بعده -إن لم يأخذوه على محمل الجد، وبأي كتاب بعد الذي احتواه- يؤمنون؟! ٤٦ ~ ٥٠

★ سورة النبإ ★

★ مكية ★

عن أي شيء يسأل هؤلاء المشركون بعضهم بعضا: بعد الذي جاء به النبي ﷺ؟ عن الخبر العظيم: القرآن، يدعوهم إلى توحيد الله، وينذرهم البعث بعد الموت والحساب في الآخرة وما فيها من أهوال. الذي هم فيه مختلفون: متضاربون، فزعموا أنه كهانة وشعر وسحر وأكاذيب أتت بها أمم سابقة. كلا! سيعلمون: عند الموت عاقبة تكذيبهم. ثم كلا! سيعلمون: فيتأكدون عند البعث من عاقبتهم. **١ ~ ٥**
ألم يجعل الله الأرض مهادا: ممهدة ليستطيع العباد الحياة عليها؟ والجبال أوتادا: تثبتها فلا تضطرب؟ وخلقكم الله -أيها الناس- أزواجا: ذكورا وإناثا؟ وجعل الله نومكم سباتا: راحة تقطعكم عن الحركة؟ وجعل الله الليل لباسا: ظلامه ساتر؟ وجعل الله النهار معاشا: لتسعوا فيه وتطلبوا الرزق؟ وبنى الله فوقكم سبعا -من السماوات- شدادا: محكم بناؤها متين؟ وجعل الله -شمسا كالمصباح- سراجا وهاجا: نورا وحرا؟ وأنزل الله من السحاب المعتصر بالمطر ماء كثيرا منصبا؟ ليخرج الله به حبا -قمحا وشعيرا وأرزا وغير ذلك- ونباتا: من فصائل أخرى؟ وبساتين مديدة الظل ملتفة متداخلة أغصان أشجارها؟ **٦ ~ ١٦**
إن يوم الفصل -يفصل الله بعدله ويقضي بين العباد- كان موعدا: قد حدد زمانا ومكانا. يوم -القيامة، حين- ينفخ في الصور كما قال تعالى ﴿ ونُفخ في الصور فصَعِق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ﴾ [الزُّمَر ٦٨]، فتأتون أفواجا: مجتمعين في تتال. وفتحت السماء فصارت -مشققة كأن لها- أبوابا. وسيرت الجبال -فزالت عن أماكنها- فصارت -لا شيء- سرابا: بعد أن تدك فتصير كالصوف ثم غبارا ثم تتحرك مسرعة كالسحاب. **١٧ ~ ٢٠**
إن جهنم كانت مرصادا: ترصد العصاة. لمتجاوزي الحد في الضلال مآبا: يرجعون إليها. ماكثين فيها دهورا وأزمنة لا نهاية لها. لا يذوقون فيها برد هواء ولا ظل -يخفف عنهم حرها، ولا نوما يريحهم- ولا -يروي عطشهم- شرابا. إلا حرا متناه شدته، وما يسيل من جلود أهل النار وقيحهم: ذلك هو شرابهم. جزاء موافقا: لما اقترفوا في الدنيا. إنهم كانوا لا يتوقعون حسابا: فلا يخافونه، ولا يطمعون في الثواب. وكذبوا بآيات الله تكذيبا يأثمون عليه. وكل شيء أحصاه الله -في صحائف أعمالهم- كتابة. فذوقوا، فلن يزيدكم الله -بسبب تكذيبهم بما أنزل إلى محمد ﷺ- إلا عذابا: فلا ترتاحون أبدا. **٢١ ~ ٣٠**
فائدة! صار الكثير يتعاملون مع الأسماء دون المسميات ومع الدعاوى دون البينات، فعدو الله الذي يحكم بغير ما أنزل صار عند أهل الجهل والغفلة كذلك أهل الهوى والشهوات مسلما موحدا، بدعوى أنه يتلفظ بالشهادتين أو يصلي أحيانا! وما يغني عنه ذلك، وقد كذب بما أنزل إلى محمد ﷺ -وإن زعم خلاف ذلك، فهو كما قال تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ﴾ [النساء ٦٠]- وحكم بغيره؟

وصَدَّقَ حاكِمًا بخِلافِ شَرعٍ ... وقالَ مُوَحِّدٌ! جَهلٌ مَّرِيرُ

سُورَةُ النَّبَإِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣
كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٥ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦
وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩
وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ وَبَنَيۡنَا
فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ
ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ
أَلۡفَافًا ١٦ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ
فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ وَسُيِّرَتِ
ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ
مَـَٔابٗا ٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا
شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥ جَزَآءٗ وِفَاقًا ٢٦ إِنَّهُمۡ كَانُواْ
لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ٢٨ وَكُلَّ شَيۡءٍ
أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ٢٩ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠

إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ وَكَأۡسٗا
دِهَاقٗا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابٗا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ
مِنۡهُ خِطَابٗا ﴿٣٧﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ
ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾
فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴿٥﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾
تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾
يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴿١١﴾ قَالُواْ
تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾
هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾

إن للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه فوزا ونجاة. حدائق وأعنابا. وشابات صغيرات نواهد متساويات حسنا وأخلاقا وسنا. وكؤوس خمر ممتلئة. لا يسمعون فيها باطلا لا طائل منه ولا تكذيبا يأثمون عليه: فلا يكذبون بعضهم. جزاء من ربك عطاء حسابا: بحسب عملك أيها العبد. **٣١ ~ ٣٦**

رب السماوات والأرض وما بينهما -الخالق المالك المدبر- الرحمن، لا يملك الخلق أن يخاطبوه: فلا يتكلمون إلا بإذنه كما قال تعالى ﴿ يوم يأت لا تَكَلَّم نفس إلا بإذنه ﴾ [هود ١٠٥]. يوم -القيامة- يقوم المَلَك جبريل ﷺ والملائكة مصطفين، لا يتكلمون، إلا من أذن له الرحمن -أن يشفع لمن له ارتضى الشفاعة- وشهد صوابا: ألا إله إلا الله، فإن الأمر كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨ و١١٦]. ذلك اليوم الحق -متحقق يقينا- فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا: الجنة، يرجع إليها بتوحيد الله وطاعة نبيه. إن الله أنذركم سبحانه عذابا قريبا -آتيا للعصاة أيها الخلق، وكل آت قريب- يوم -القيامة- ينظر المرء -معاينا- ما اقترفت يداه -من خير وشر- ويتمنى الكافر لو كان ترابا: لم يخلق ولم ير الدنيا، أو أن يصير ترابا في الآخرة فيفنى ليتقي عذابها. **٣٧ ~ ٤٠**

★ سورة النازعات ★

★ مكية ★

والملائكة النازعات تنزع أرواح الكفار بعنف وشدة، إغراقا في نزعها من أقاصي أجسادهم. والملائكة الناشطات تجذب أرواح المؤمنين برفق. والملائكة السابحات تسبح من السماء إلى الأرض بأمر الله. فالملائكة السابقات تسبق بالوحي إلى أنبياء الله، فلا تسترقه الشياطين. فالملائكة المدبرات -لشؤون الأرض من رياح وأمطار وغير ذلك- بأمر الله: يحلف الله، لتبعثن أيها الناس للحساب. **١ ~ ٥**

فائدة! تنزع روح الكافر عند موته بعنف وشدة، ويضرب ويهان ويبشر بالنار كما قال تعالى ﴿ ولو ترى إذ يتوفَّى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق. ﴾ [الأنفال ٥٠].

يُهانُ الكافرونَ ويُضرَبونَ ... فعندَ الموتِ قَدْ عُرِفَ المصيرُ

يوم ترجف الراجفة: الأرض، مضطربة عند أول نفخة في الصور. تتبعها الرادفة: النفخة الثانية كما قال تعالى ﴿ ونُفخ في الصور فصَعِق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ﴾ [الزُّمَر ٦٨]. قلوب -منكري البعث- يومئذ مضطربة. أبصار أصحابها خاضعة -من الهول- ساكنة. يتساءلون أئنهم -للحساب- لمردودون إلى أول حالهم: أحياء؟ أئذا صاروا عظاما بالية مفتتة؟ أكدوا أن تلك -الرجعة- إذًا رجعة خاسرة: عليهم، لأنهم كذبوا بها في دنياهم. فإنما هي دفعة واحدة: النفخة الثانية في الصور. فإذا هم -فجأة- على وجه الأرض: أحياء، ينظرون منتظرين أمر الله فيهم كما قال تعالى ﴿ فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون. ﴾ [الصافات ١٩]. **٦ ~ ١٤**

هل أتاك أيها النبي الكريم خبر موسى وقصته: وما لاقى من مشاق؟ **١٥**

حين ناداه ربه بالواد المقدس -المطهر المسمى- طُوى. **١٦**

من ثم أمره أن يذهب إلى فرعون، إنه طغى: متجاوزا كل حد. فيسأله -بلطف، والله يعلم حاله ومآله- هل له -رغبة- إلى أن يتنزه من الإثم؟ ويرشده إلى -توحيد وطاعة- ربه، فيخشى: عقابه، فلا يستمر على ما هو عليه من عناد وكفر؟ فأراه -حين طلب فرعون أن يظهر برهانه إن كان صادقا في دعوى أنه نبي كما قال تعالى ﴿ قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين. ﴾ [الأعراف ١٠٦]- الآية الكبرى الدالة قطعا على صدقه كما قال تعالى ﴿ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين. ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين. ﴾ [الأعراف ١٠٧ ١٠٨ ۞ الشعراء ٣٢ ٣٣]. **١٧ ~ ٢٠**

فكذب -فرعون- وعصى: لم يطع أمر موسى ﵇. ثم أدبر -عن الحق- يسعى: مجتهدا في الفساد والعصيان. فجمع -أهله وأتباعه- فنادى: أو أمر من ينادي فيهم. فزعم أنه ربهم الأعلى: يشرع محللا ومحرما، ولا طاعة لغيره عليهم. فأخذه الله بعقاب زاجر وعبرة في الآخرة -النار- والأولى -فمع جنوده غرق- وترهيب للناس ليرتدعوا ولا يتعدوا حدوده. إن في ذلك لعبرة وعظة لمن يخشى: ربه. **٢١ ~ ٢٦**

أأنتم -يا منكري البعث، خلقكم وبعثكم- أشد خلقا، أم السماء بناها: سبحانه، سقفا محكما متعدد المنافع؟ رفع بناءها وسقفها، فجعلها مستوية الخلق ليس فيها عيب. وأظلم ليلها -إذا غربت شمسها- وأظهر -إذا بزغت- نهارها. والأرض -خلقها قبل السماء كما قال تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ [فُصِّلَت ١١]، ثم- بعد ذلك -الخلق للسماء- بسطها: فدبر معاش أهلها. أخرج منها ماءها -بحارا وأنهارا وعيونا- ومراعيها ونباتها. والجبال أرساها: كأوتاد تثبت الأرض كما قال تعالى ﴿ والجبال أوتادا. ﴾ [النبإ ٧]. تمتعا لكم -أيها الناس جعل ذلك- ولأنعامكم: من إبل وبقر وغنم. **٢٧ ~ ٣٣**

فإذا جاءت الداهية الكبرى: النفخة الثانية في الصور. يوم -القيامة- يتذكر الإنسان ما سعى: محاولا تحصيله في دنياه من خير وشر. وأظهرت الجحيم -فصارت بارزة- لمن يرى: فالمؤمن يحمد ربه على نجاته، والكافر يزداد غما وحسرة. فأما من طغى: متجاوزا حدود الله. وقدم الحياة الدنيا وفضلها: على آخرة لم يعمل لها. فإن الجحيم هي المستقر. وأما من خاف القيام بين يدي ربه -للحساب- ونهى النفس عن الهوى: فجاهدها لتترك ما تميل إليه من باطل وضلال. فإن الجنة هي المستقر. **٣٤ ~ ٤١**

يسألك المشركون -مستهزئين- وأهل الريبة -شاكين- واليهود أيها النبي الكريم عن الساعة متى رسوها: فتقوم القيامة؟ في أي شيء أنت من ذكرها: وليس لك شأن ولا علم بوقتها؟! إلى ربك منتهى علمها: استأثر به كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله عنده علم الساعة ﴾ [لقمان ٣٤]. إنما أنت منذر من يخشاها: ويخشى أهوالها، هؤلاء ينتفعون بالمواعظ والزواجر والعبر، أما غيرهم فهم كما قال تعالى ﴿ أم تحسب أنَّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلا. ﴾ [الفرقان ٤٤]. كأنهم يوم يرون القيامة لم يمكثوا -في الدنيا وفي القبور- إلا قدر آخر نهار يوم أو أوله لا أكثر. **٤٢ ~ ٤٦**

فائدة! من يخش الله وعذابه في الآخرة ينتفع بالمواعظ والزواجر والعبر، أما غيره فعقله وبال عليه.

ويَخشى عاقِلٌ ربَّ البَرايا ... ومَنْ أمِنوا العِقابَ هُمُ الحَميرُ

ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾
وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾
فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾
فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ
بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ
ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا
وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٣﴾
فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾
وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ
ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ
رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾
يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن
ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾
كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ
فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ
أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾
كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ
مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ
أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾
ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾
فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا
ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾
وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ
ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ
وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ
مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾

★ سورة عَبَس ★

★ مكية ★

عبس -متجهما- وأعرض متنحيا. أن جاءه الأعمى: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ أنزل ﴿ عَبَس وتَوَلَّى. ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: أترى بما أقول بأسا؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزل. ﴾ [الترمذي **٣٣٣١**]. وما يدريك -بحاله لتعرض عنه؟- رجاء -منك، أما الله فيعلم مآله- أن يتنزه من الإثم. أو يذكر -ما أمر الله به وما عنه نهى- فينفعه التذكر. أما من استغنى: بما لديه عن أخراه. فأنت له تصغي مقبلا عليه. وما عليك ألا يتنزه من الإثم؟ وأما من جاءك يسعى: مجتهدا في طلب ما فيه نجاته وفوزه. وهو يخشى: الله وعذابه. فأنت عنه تتشاغل: فلماذا تترك مصلحة محققة من أجل أخرى ظنية؟ **١ ~ ١٠**

فائدة! لو كتم النبي ﷺ شيئا من الوحي -حاشاه- لكانت آيات عتاب ربه له من جملة ما كتم.

ولو كَتَمَ الحَبيبُ لَما عَلِمنا ... عَنِ الأعمى وزَيدٍ، فاستَنيروا

كلا! إنها -لك ولكل فرد من أمتك آيات- تذكرة. فمن شاء ذكر القرآن: الذي احتواها وعمل به. في -جملة- كتب -أنزلها الله هو هذا القرآن، عنده جميعها- مكرمة. مرفوعة -قدرها- مطهرة: لا يمسها في اللوح المحفوظ إلا ملائكة مطهرون من كل حدث ونجاسة وذنب وعيب. بأيدي -ملائكة- كتبة: ينسخونها من اللوح المحفوظ. كرام -عند الله- دائمي البر والإخلاص والطاعة: جميعهم. **١١ ~ ١٦** هلاك للإنسان -الذي استغنى عن أخراه- ما أشد كفره! من أي شيء خلقه؟ من نطفة -من المني الخارج عند الجماع- خلقه فقدره: سبحانه أطوارا، نطفة فعلقة فمضغة فعظام ولحم، ثم تنفخ الروح. ثم الطريق يسره: ليخرج من بطن أمه، ويسر له طريقا الخير والشر ليختار، فيكون مسؤولا عن اختياره. ثم أماته -بعد انقضاء عمره- فجعل له قبرا: يواري جسده إكراما له. ثم إذا شاء بعثه حيا. **١٧ ~ ٢٢** كلا! ليس الأمر كما يزعم، لم يقض -أبدا- ما أمره: به الله، بل أخل بذلك. فليتأمل الإنسان طعامه: كيف خلق؟ إن الله صب سبحانه المطر بغزارة. ثم شق سبحانه الأرض ببراعة: فانشقت عن النبات، كل بما يناسب حجمه وهيئته. فأنبت الله فيها حبا: قمحا وشعيرا وأرزا وغير ذلك. وأنواع عنب، وقتا: رطبا علفا للدواب. وزيتونا ونخلا. وحدائق كثيفة ملتفة الشجر. وفاكهة، وأبا: مما ينبت دون أن يزرعه الناس، وليسوا يأكلونه. تمتعا لكم -أيها الناس جعل ذلك- ولأنعامكم: من إبل وبقر وغنم. **٢٣ ~ ٣٢** فإذا جاءت الصاخة: الصيحة العظيمة تصم الآذان، النفخة الثانية في الصور. يوم -القيامة- يفر المرء -وقد تبين له عجز الناس- من أخيه. وأمه وأبيه. وزوجته وأبنائه. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه: فبه يشتغل عن غيره، إذ لا ينفع أحد أحدا. وجوه -أهل الإيمان والصلاح- يومئذ مشرقة مضيئة. ضاحكة -فرحة، بما ينتظرها من نعيم- مستبشرة. ووجوه -أهل الكفر والعصيان- يومئذ عليها غبار. **٣٣ ~ ٤٠**

يلحقها ما يرهقها من ظلمة. هؤلاء هم الكفرة -بالله وبنعمه- المتناهون في العصيان. **٤١ ٤٢**

★ سورة التكوير ★

★ مكية ★

إذا الشمس جمعت وذهب ضوؤها. وإذا النجوم تناثرت وطمس نورها. وإذا الجبال سيرت: فزالت عن أماكنها. وإذا النوق الحوامل -ونفائس الأموال- تركت وأهملت. وإذا الوحوش جمعت: ليقتص لها كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ؓ ﴿ لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء. ﴾ [مسلم **٢٥٨٢** ★ الترمذي **٢٤٢٠** ★ أحمد **٧٢٠٤**]. وإذا البحار أوقدت: فصارت نارا. وإذا النفوس قرنت: الأرواح بالأجساد، ثم الصالح مع أمثاله في الجنة، وغيرهم في النار. وإذا المدفونة حية -في الجاهلية قبل الإسلام، خشية افتقار أو سبي أو عار- سئلت. بأي ذنب قتلت؟ وإذا صحائف الأعمال نشرت: فأخذها أصحابها، وقرؤوها. وإذا السماء كشطت: فنزعت عن موقعها. وإذا الجحيم أوقدت بشدة. وإذا الجنة قربت: فصار دخول أهلها قريبا كما قال تعالى ﴿ وأُزلفت الجنة للمتقين غير بعيد. ﴾ [ق **٣١**]. علمت -كل- نفس ما أحضرت: حينئذ من عمل، مفصلا. **١ ~ ١٤**

فائدة! لم يثبت بسند صحيح أن عمر بن الخطاب ؓ وأد ابنة له في الجاهلية كما يروج البعض.

وهلْ وَأَدَ الصَّحابِيُّ الفتاةَ؟ ... فأينَ دليلُكُم؟ أينَ الضَّميرُ؟

فأقسم الله بالنجوم المختفية: نهارا. الجارية -في أفلاكها- المحتجبة: تحت ضوء الشمس. والليل إذا أقبل أوله وأدبر آخره. والصبح إذا بزغ وظهر ضوؤه. إنه -القرآن، كلام الله كما قال تعالى ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ [التوبة **٦**]- لكلام رسول كريم: المَلَك جبريل ؑ يتكلم به مبلغا النبي ﷺ الذي بدوره يبلغه إلى العباد. ذي قوة -المَلَك جبريل ؑ، والنبي ﷺ- عند -الله- صاحب العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- الملك الأعلى متمكن ذي مكانة: كلاهما شديد في القيام بما كلفه الله به، عال المنزلة عنده سبحانه. مطاع في موقعه -المَلَك جبريل ؑ بين الملائكة في السماء، والنبي ﷺ بين المؤمنين في الأرض، على الوحي- أمين. **١٥ ~ ٢١**

وما صاحبكم -الذي تعرفونه، يا أهل مكة، محمد ﷺ- بمجنون. ولقد رآه -كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود ؓ ﴿ أنه رأى جبريل له ستمائة جناح. ﴾ [البخاري **٣٢٣٢** ★ مسلم **١٧٤** ★ الترمذي **٣٢٧٧** ★ أحمد **٣٧٤٨**]- بالأفق الواضح: نازلا من السماء. وما هو -محمد ﷺ- على ما الغيب -الذي غاب عن العباد، وأطلعه الله عليه بواسطة الوحي- ببخيل: فيكتمه أو يأخذ عليه أجرة، ولا بمتهم فيحرفه. وما هو -القرآن- بكلام شيطان مطرود مبعد. فأين -لإنكار أن القرآن من عند الله- تذهبون؟ ليس هو -الذي يأتيكم به، ﷺ- إلا تذكير للخلائق جميعا، يذكرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة. لمن شاء منكم -على طريق الحق- أن يستقيم. وما تشاءون -أن تتخذوا إلى الله طريقا أيها الخلق- إلا أن يشاء -لكم الهداية- الله رب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء. **٢٢ ~ ٢٩**

تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

سُورَةُ التَّكۡوِيرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ
سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾
وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ
سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾
وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ
أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾
ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ
أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾
وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾
فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن
يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الانفِطَارِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ
فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ
وَأَخَّرَتۡ ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨
كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا
كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ
ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا
بِغَآئِبِينَ ١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ
ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢
وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤

★ سورة الانفطار ★

★ مكية ★

إذا السماء تشققت. وإذا الكواكب تساقطت متناثرة. وإذا البحار فجرت: فصارت بحرا واحدا. وإذا القبور بعثرت: فقلب ترابها، ليبعث أصحابها. علمت -كل- نفس -وقد أخذت صحيفة عملها- ما قدمت -من عمل- وأخرت: من سنة حسنة أو سيئة سنتها فاتبعها الخلق بعدها. ١ ~ ٥

يا أيها الإنسان ماذا غرك بربك الكريم: فخدعك، وجعلك تأمن عذابه، فعصيته؟ الذي خلقك فسوى خلقك وعدل صورتك فجعلك معتدلا قائما حسن الهيئة كما قال تعالى ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. ﴾ [التين ٤]. في أي صورة ما شاء ركبك: مشابها للأب أو للأم أو لغيرهما. ٦ ~ ٨

فائدة! يخدع كثيرا من عصاة المسلمين الأماني الباطلة بطول البقاء في الدنيا ثم المغفرة في الآخرة، ويخدع كثيرا من الكفار جهلهم وغرورهم بتفوقهم في بعض المجالات، وعدم تأديبنا وردعنا لهم.

وغَرَّ عُصاتَنا طُولُ التَّمنِّي ... وأهلَ الكُفرِ غَرَّهُمُ الغُرورُ

كلا! بل تكذبون -أيها الكفار- بالدين: دين الإسلام، وأن الله سيدينكم يوم القيامة ويحاسبكم. وإن عليكم لحافظين: ملائكة يحفظون أعمالكم. كراما -عند الله- كاتبين: أعمال الناس في صحائف. يعلمون ما تفعلون: من خير وشر، ويسجلون كل ذلك ليحاسبكم الله به يوم القيامة. ٩ ~ ١٢

إن أهل البر والإخلاص والطاعة لفي نعيم دائم. وإن أهل العصيان المتناهي لفي جحيم. يقاسون حرها يوم الدين: يوم القيامة، يوم يدين الله عباده ويحاسبهم. وما هم عنها بغائبين: فلن يفارقوها ولن ينقذهم منها منقذ. ١٣ ~ ١٦

وما أدراك -أيها الإنسان- ما يوم الدين وكيف هو عظيم الشأن؟ ثم ما أدراك -لو تعلم، أيها الإنسان- ما يوم الدين وكيف هو عظيم الشأن؟ يوم -القيامة- لا تملك نفس لنفس شيئا -فلا يجلب أحد لأحد نفعا ولا يدفع عنه ضررا- والأمر يومئذ لله: لا يملك غيره التصرف في أمر من الأمور. ١٧ ~ ١٩

★ سورة المُطفِّفين ★

★ مكية ★

شدة الحسرة والهلاك للمطففين. ١

الذين إذا أخذوا من الناس -مشترين منهم، بتسلط وظلم- يستوفون: حقهم كاملا، بل وزيادة عليه. ٢

وإذا أعطوهم كيلا أو وزنا -بيعا لم يوفوهم، بل- يخسرون: فينقصون من حقوق الناس. ٣

فائدة! لا يجوز العمل بتجارة السلع أو الخدمات إلا بعد تعلم فقه البيوع والمعاملات كما جاء على لسان عمر بن الخطاب ﵁ ﴿ لا يبع في سوقنا إلا من قد تفقه في الدين. ﴾ [الترمذي ٤٨٧].

تَفَقَّهنا لِنَعمَلَ لَمْ نُتاجِرْ ... بلا عِلمٍ فتُقتَرَفَ الشُّرورُ

ألا يظن هؤلاء -لا يوقنون، أم لا يخطر ببالهم- أنهم -للحساب- مبعوثون؟! ٤

ليوم عظيم: يحاسبون فيه. يوم -القيامة- يقوم الناس -من موتهم أحياء- لرب الخلائق جميعا، سيد ومالك كل شيء: يحاسبهم ويقضي بينهم، وحالهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر ؓ ﴿ ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين. ﴾ حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه. ﴾ [البخاري **٤٩٣٨** * مسلم **٢٨٦٢** * الترمذي **٢٤٢٢** * ابن ماجة **٤٢٧٨** * أحمد **٤٦١٣**]. **٥ ٦**

كلا! إن كتاب أهل العصيان المتناهي -ومن جملتهم المطففون، فيه أعمالهم- لفي سجين: الأرض السفلى، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث البراء بن عازب ؓ ﴿ فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا ﴾ [أحمد **١٨٥٣٤**]. وما أدراك أيها النبي الكريم -وهل كان قومك يعلمون- ما سجين وكيف هو عظيم الشأن؟ كتاب مرقوم: لا يبدل كتابهم ولا يزول. شدة الحسرة والهلاك يومئذ للمكذبين بما أنزل الله. الذين يكذبون بيوم الدين: يوم القيامة، يوم يدين الله عباده ويحاسبهم. وما يكذب به إلا كل معتد متجاوز لحدود الله كثير الإثم. إذا تقرأ عليه آيات الله -المنزلة- زعم -أنها- أباطيل الأمم السابقة. كلا! ليس الأمر كما ظنوا، بل غلب على قلوبهم ما كانوا يكسبون: فغطاها، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ؓ ﴿ إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت، فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه: ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. ﴾ ﴾ [الترمذي **٣٣٣٤** * ابن ماجة **٤٢٤٤** * أحمد **٧٩٥٢**]. كلا! إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون: فلن يروه كما سيراه المؤمنون كما قال تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة. ﴾ [القيامة **٢٢ ٢٣**]. ثم إنهم لمقاسو حر الجحيم. ثم يجري إخبارهم -توبيخا وتقريعا- أن هذا -العذاب- الذي كانوا -في الدنيا، مستنكرين- به يكذبون. **٧ ~ ١٧**

كلا! إن كتاب أهل البر والإخلاص والطاعة -فيه أعمالهم- لفي عليين: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث البراء بن عازب ؓ ﴿ حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى ﴾ [أحمد **١٨٥٣٤**]. وما أدراك أيها النبي الكريم -وهل كان قومك يعلمون- ما عليون وكيف هو عظيم الشأن؟ كتاب مرقوم: لا يبدل كتابهم ولا يزول. يشهده -الملائكة- المقربون: فيحضرونه. **١٨ ~ ٢١**

إن أهل البر والإخلاص والطاعة لفي نعيم دائم. على الأسرة المزينة -إلى ربهم- ينظرون. يعرف الرائي في وجوههم بهاء وحسن النعيم الدائم. يسقون من أجود خمر، له ختام. ختامه -آخره طعم ورائحة- مسك، وفي ذلك -النعيم الدائم- فليتنافس المتنافسون: فهي أربح تجارة، لا التنافس على دنيا فانية. وممزوج -ما يسقون- من تسنيم. من عين يشرب -فيروى- بها المقربون: عنده سبحانه. **٢٢ ~ ٢٨**

إن الذين أجرموا واستحقوا العقاب كانوا من الذين آمنوا -في الدنيا- يضحكون. وإذا مروا بهم يغمزون بعضهم ساخرين. وإذا عادوا إلى أهلهم عادوا -بحالهم- فرحين. وإذا رأوهم زعموا إن هؤلاء -لاتباعهم النبي ﷺ، عن الحق- لضالون. وما أرسلوا عليهم حافظين: فيراقبوا أحوالهم وأعمالهم! **٢٩ ~ ٣٣**

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ
ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ
بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ
يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا
ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾
إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ
مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن
تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟
مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾
وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟
إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾

فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى
ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الانشِقَاقِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾
وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ
يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾
وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

فاليوم -في الآخرة- الذين آمنوا من الكفار يضحكون. على الأسرة المزينة -إلى مآلهم- ينظرون. هل جوزي الكفار جزاء ما كانوا -في الدنيا- يفعلون: كما قال تعالى ﴿ ونادى أصحابُ الجنة أصحابَ النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ﴾ [الأعراف ٤٤]؟ ٣٤ ~ ٣٦

★ سورة الانشقاق ★

★ مكية ★

إذا السماء انشقت. وأصغت لإعلام ربها الواضح -منقادة له- وحق لها: أن تطيع خالقها. وإذا الأرض بسطت إلى ما لا يدرك منتهاه. وألقت ما فيها -من موتى وكنوز وغير ذلك- وتخلت: عما في جوفها. وأصغت لإعلام ربها الواضح -منقادة له- وحق لها: أن تطيع خالقها، فالآن قد قامت القيامة. ١ ~ ٥

يا أيها الإنسان إنك ساعٍ إلى -لقاء- ربك عامل باجتهاد، سعيا وعملا حثيثا -فتعمل الخير والشر، إلى أن تنقضي أيامك في الدنيا- فملاقيه: ليجازيك سبحانه يوم القيامة بما اقترفت يداك. فأما من أعطي صحيفة عمله بيمينه. فسوف يحاسب حسابا يسيرا: إذ سيعرض عليه عمله دون مناقشة حساب، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ من حوسب عذب، قالت عائشة: فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿ فسوف يُحاسب حسابا يسيرا. ﴾؟ قالت: فقال: إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك. ﴾ [البخاري ١٠٣ ★ مسلم ٢٨٧٦ ★ أبو داود ٣٠٩٣ ★ الترمذي ٢٤٢٦ ★ أحمد ٢٤٢٠٠]. ويعود إلى أهله -أهل الجنة- مسرورا: فقد نجا من العذاب، وفاز بنعيم دائم. ٦ ~ ٩

فائدة! يزيد ثواب العمل الصالح باستحضار أكثر من نية إذا كان العمل مما يصح فيه تداخل النيات، كالاغتسال مرة واحدة بنية رفع الجنابة ونية غسل الجمعة، لذلك قيل: "النية تجارة العلماء".

تِجارتُهم هيَ النِّيّاتُ فاجمَعْ ... أخي إنْ كُنتَ تَعلَمُ، واستَشيروا

وأما من أعطي صحيفة عمله -بشماله، قد تلقاها- وراء ظهره. فسوف يدعو -على نفسه ليستريح مما هو مقبل عليه- هلاكا. ويقاسي حر نار مستعرة. إنه كان في أهله -بينهم في الدنيا، بما هو عليه من ضلال- مسرورا. إنه ظن أن لن يرجع: إلى ربه، فأنكر البعث، أو لم يعر الأمر اهتماما كافيا. بلى: إلى ربه يرجع ليحاسبه ويجازيه، إن ربه كان به بصيرا، لا يخفى عليه شيء مما عمل أو اعتقد. ١٠ ~ ١٥

فأقسم الله بالشفق: الحمرة في الأفق بعد غروب الشمس إلى دخول وقت صلاة العشاء. والليل وما حوى وجمع: من مخلوقات كانت منتشرة في الأرض بالنهار، فرجعت إلى مآويها. والقمر إذا اتسق: فاستوى وصار بدرا. لتركبن -أيها الناس- طورا عن طور: في تتال، يبدأ كل طور حيث انتهى سابقه، نطفة فعلقة فمضغة فعظام ولحم، ثم تنفخ الروح، فحياة فموت، فبعث وحساب وجزاء. ١٦ ~ ١٩

فما للكفار لا يؤمنون: بما جاء به النبي ﷺ، ماذا يمنعهم؟ وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون: أليس امتثال أوامره سبحانه واجبا؟ بل الذين كفروا يكذبون: بما جاء به النبي ﷺ. والله أعلم بما يوعون: في صدورهم مضمرين، أفتخفى عليه نياتهم؟! فبشرهم أيها النبي الكريم بعذاب أليم ينتظرهم. ٢٠ ~ ٢٤

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾

سُورَةُ البُرُوجِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴿٣﴾
قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا
قُعُودٞ ﴿٦﴾ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ
مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ
عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ
جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطۡشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ
ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ
مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾

إلا الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة لهم ثواب غير مقطوع أبدا: الجنة. **٢٥**

★ سورة البروج ★

★ مكية ★

والسماء ذات المنازل الظاهرة للشمس والقمر والنجوم والكواكب. واليوم الموعود: يوم القيامة، وعد الله به. وشاهد -كالأنبياء يشهدون على أممهم- ومشهود: إما له أو عليه، يحلف الله. هلاك للذين شقوا الأرض شقا عظيما. النار -العظيمة في شقهم- أوقدوها. حيث كانوا عند النار قعود: هلاك لهم، كانوا يعرضون المؤمنين من قومهم على النار ليردوهم عن دينهم. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين -من عذاب ليردوهم كفارا- شهود: حاضرين له في الدنيا، وفي الآخرة يشهدون على أنفسهم. وما كرهوا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز في قدرته الذي لا يعجزه شيء، المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. الذي له ملك السماوات والأرض: خلقا وملكا وتدبيرا، والله على كل شيء مطلع شاهد. **١ ~ ٩**

فائدة! سبب سخط الكفر على أهل الإيمان هو إيمانهم: لا غير، أفلا يعتبر أصحاب العقول؟!

ويَنقِمُ أهلُ كُفرٍ مِنْ عِبادٍ ... إذا هُم آمَنوا، قُتِلَ الكَفورُ!

إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات -ومن جملتهم الذين يعذبونهم ليهجروا صحيح دينهم- ثم لم يتوبوا -وماتوا على ذلك- فلهم عذاب جهنم -كأمثالهم من الكفار- ولهم عذاب التحريق في النار: فعذابهم مضاعف، لأنهم عذبوا أهل الإيمان. إن الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة لهم جنات تجري خلالها الأنهار، ذلك الفوز والفلاح الكبير: لا يدانيه شيء كما قال تعالى ﴿ فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز ﴾ [آل عمران ١٨٥]، وأصله الثبات على الدين والمبادئ. **١٠ ١١**

فائدة! الذين ينهزمون أمام ضغط الواقع وأمام هجوم أهل المكر والاستبداد لا يصلحون قادة للأمة، ومن لم يثبت على قوله ومنهجه ومبادئه يجب ألا يثق به مسلم، إذ أنه قد يتلون ويزعم أن جديده هو الحق وقديمه باطل، وأمثال هؤلاء يجعلون الأمة برجالها وشبابها حقل تجارب لتذبذبهم وتقلبهم وفشلهم.

أيَصلُحُ قائدًا مَنْ صارَ هَشًّا ... أمامَ ضُغوطِ واقِعِنا يَطيرُ؟

إن بطش ربك أيها النبي الكريم -وعقابه لكل ظالم، وإن لم يعاجله- لشديد. إنه هو يوجد من عدم -خلقا، ثم يميته- ويعيد: من أمات حيا. وهو الواسع والدائم المغفرة، المحب للمؤمنين المحبوب في قلوبهم. صاحب العرش -مخلوق فوق جميع مخلوقاته- الملك الأعلى، العظيم رفيع الشرف المبجل. فعال لما يريد: مكثر من الأفعال، لا يرده راد عن مراده. **١٢ ~ ١٦**

هل أتاك خبر الجنود -الذين تجندوا لحرب الحق- وقصتهم؟ فرعون -ومن والاه- وثمود: كيف فعل الله بهم؟ بل الذين كفروا -المشركون وأهل الكتاب، وقد علموا ما حل بمكذبي الرسل- في تكذيب. والله على علم تام وإحاطة كاملة بحالهم، وسيجازيهم لا محالة. بل هو قرآن عظيم نفعا ومعان رفيع الشرف مبجل مهيمن على سائر الكتب: ليس كذبا. في لوح محفوظ: ليس يتطرق إليه باطل. **١٧ ~ ٢٢**

سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾
إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴿٤﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾
خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ
عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا
نَاصِرٖ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾
إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾
وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الأَعۡلَىٰ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ
فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴿٥﴾
سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴿٧﴾
وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴿١٠﴾

★ سورة الطارق ★

★ مكية ★

والسماء والطارق: النجم يطرق مضيئا بالليل، يحلف الله. وما أدراك -أيها الإنسان- ما الطارق وكيف هو عظيم الشأن؟ النجم الثاقب: إذ يتوهج فيثقب ضوؤه ظلام الليل. ليس كل نفس إلا عليها -مَلَك، لكل ما عملت كما قال تعالى ﴿ وإنَّ عليكم لحافظين. كراما كاتبين. ﴾ [الانفطار ١٠ ١١]- حافظ. فليتأمل الإنسان: مم خلق؟ خلق من ماء مندفع: ماء أبيه وأمه. يخرج من بين الصلب -عمود الرجل الفقري- وعظام الصدر. إنه -سبحانه، الذي خلقه من ماء- على رجعه -حيا بعد موته، للحساب- لقادر. يوم -القيامة- تبلى السرائر: فيختبرها الله، كاشفا عما أضمرت الصدور في الدنيا من معتقدات ونيات وغير ذلك. فما للإنسان -حينئذ- من قوة يمتنع بها مما ينتظره، ولا ناصر يدفع عنه. ١ ~ ١٠
والسماء ذات المطر: متكررا. والأرض ذات الشق: الذي يخرج منه النبات والشجر والثمر وغير ذلك، يحلف الله. إنه -القرآن- لكلام فصل: بين الحق والباطل. وما هو بالهزل: فلم ينزل مزاحا. ١١ ~ ١٤
إنهم يدبرون مكيدة شديدة: للإضرار به ﷺ، كما قال تعالى ﴿ وإذ يَمكر بك الذين كفروا ليُثبِتوك أو يقتلوك أو يُخرجوك ﴾ [الأنفال ٣٠]. ويدبر الله مكيدة شديدة: جزاء لهم على تآمرهم، فيستدرجهم بإدرار النعم عليهم ليتمادوا فيما هم عليه، ويؤخر عنهم العقاب فيزدادوا كفرا وإثما، فتتضاعف العقوبة. فمهل أيها النبي الكريم الكافرين، أمهلهم قليلا وتأنى: إلى أن يأذن الله، فتقتلهم يوم بدر. ١٥ ~ ١٧
فائدة! الإعداد -على أسس شرعية- مع التأني وعدم حرق المراحل من الأخذ بأسباب النجاح.

تأنَّى عاملًا وأعَدَّ نفسًا ... فصاوَلَ لا يَمَلُّ ولا يَخورُ

★ سورة الأعلى ★

★ من أسمائها سَبِّح، وهي مكية ★

واظب على تنزيه اسم ربك الأعلى الذي علا على خلقه وعما لا يليق به من إلحاد وشرك وإنكار لنعمه وجحود وعدم شكر لها، وقدسه: أيها المؤمن، قائلا "سبحان ربي الأعلى". الذي خلق فسوى الخلق وعدل صورهم. والذي قدر -كل شيء خلق لما يصلح له وهيأه لذلك، وقدر الآجال والأرزاق- فهدى: مبينا الحق على ألسن أنبيائه، فليس لضال حجة. والذي أخرج المراعي والنبات. فجعله غثاء -كالذي يحمله السيل من رغوة وما يجرفه من فتات، بعد أن كان نباتا غضا مخضرا- أسودا متغيرا. ١ ~ ٥
سيقرئك الله أيها النبي الكريم -القرآن- فلا تنسى. إلا ما شاء الله -نسخه ورفع لفظه، تنساه- إنه يعلم الجهر -من أقوال وأفعال ونيات- وما يخفى. ويوفقك الله للطريقة اليسرى فتصل إلى رضاه. فذكر، إن نفع التذكر: دائما، ما دام مسموعا. سيذكر -ما أمر الله به وما عنه نهى- من يخشى: ربه. ٦ ~ ١٠
فائدة! إن كان تذكير الناس غير مسموع -بحيث يزيد في عناد أو شر متلقيه- فالواجب الكف عنه.

ولا نَعِظُ الَّذي يَزدادُ شرًّا ... ويَنتَفِعُ الَّذي يَخشى، فَسِيروا

وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾
بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ
نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ
لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ
فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ
مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ
إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى
ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾
فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾

ويتجنب التذكير -فيضل في الدنيا- الأكثر -في الآخرة- شقاء: كما قال تعالى ﴿ فإما يأتينَّكم مني هدى فمن اتبع هُداي فلا يَضلُّ ولا يشقى ﴾ [طه ١٢٣]. الذي يقاسي حر النار الكبرى: التي ليس لها في الدنيا مثيل. ثم لا يموت فيها -فيستريح- ولا -مرتاحا- يحيا. ١١ ~ ١٣
قد أفلح ونال مطلوبه من تنزه من الإثم. وذكر اسم ربه -مداوما على ذكره مستكثرا من ذلك- فصلى: الصلوات الخمس في أوقاتها. بل تقدمون -أيها الناس- الحياة الدنيا وتفضلونها. والآخرة خير وأفضل وأدوم. إن هذا -المذكور- لفي الكتب السابقة: مثبتا. كتاب إبراهيم وتوراة موسى. ١٤ ~ ١٩

★ سورة الغاشية ★

★ مكية ★

هل أتاك أيها النبي الكريم خبر الغاشية -القيامة، تغمر الناس بأهوالها وتغطيهم- وقصتها؟ وجوه يومئذ خاضعة -من الهول- ساكنة. عاملة -عملا مجهدا شاقا، مشدودة في الأغلال والقيود كما قال تعالى ﴿ وترى المجرمين يومئذ مُقرَّنين في الأصفاد. ﴾ [إبراهيم ٤٩]- متعبة. تقاسي حر نار حامية: حرها متناه. تسقى من عين قد بلغت منتهى الحرارة. ليس لهم طعام إلا من شوك يابس: لخشونته يتضرعون إلى الله أن يعفيهم من أكله. لا يسمن -آكله- ولا ينفع ولا يغني -طاعميه شيئا- من جوع. ١ ~ ٧
فائدة! النار دركات عدة ليست واحدة -كما قال تعالى ﴿ إنَّ المنافقين في الدَّرك الأسفل من النار ﴾ [النساء ١٤٥]- فمنها من طعام أصحابها الضريع، ومنها من طعامهم الغسلين أو الزقوم أو غير ذلك.

وغِسلينٌ وزَقُّومٌ طَعامُ الـ ... كوافرِ، أو ضَريعٌ، فاستَجيروا

وجوه يومئذ ناعمة: في نعمة وبهجة. لسعيها -واجتهادها في الدنيا، وما وجدت من ثواب في الآخرة- راضية. في جنة عالية: مكانا ومكانة. لا تسمع فيها -أيها المؤمن- شيئا لا طائل من ورائه: فضلا عن شيء يترتب عليه إثم. فيها عين -بل عيون- جارية: بالشراب متدفقة، ليس ينضب ما فيها. فيها أسرة -في مجالس مهيأة للسرور- مرفوعة: مرتفعة السمك والقدر. وأكواب موضوعة: مهيأة للشرب، بها كل مشتهى. ووسائد مصفوفة: بعضها إلى بعض. وبسط -في مجالسهم- كثيرة متفرقة. ٨ ~ ١٦
أفلا ينظر منكرو البعث هؤلاء إلى الإبل -متأملين- كيف خلقت: عظيمة الجثة تتحمل العطش وتلائم حياة الصحراء، ذللها الله للناس لينتفعوا بها؟ وإلى السماء كيف رفعت: كما قال تعالى ﴿ الله الذي رفع السماوات بغير عَمَد ترَونها ﴾ [الرعد ٢]؟ وإلى الجبال كيف نصبت: على الأرض، فهي كالأوتاد كما قال تعالى ﴿ والجبال أوتادا. ﴾ [النبإ ٧]؟ وإلى الأرض كيف سطحت: فصارت مبسوطة، قابلة للانتفاع بها؟ فذكر أيها النبي الكريم، إنما أنت مذكر: ليس عليك إلا أن تذكر الخلق، وليس عليك هداية أحد كما قال تعالى ﴿ ليس عليك هُداهم ولكنَّ الله يهدي من يشاء ﴾ [البقرة ٢٧٢]. لست عليهم بمصيطر: فتتصرف فيهم وتجبرهم على الإيمان، حتى يأتي أمر الله لاحقا في آية السيف كما قال تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة ٥]. ١٧ ~ ٢٢

إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾
إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

سُورَةُ الفَجْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾
هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾
إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ
جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى
ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ
رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ
فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ
ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ
ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ ۖ إِذَا
دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

إلا من أعرض متنحيا عن التذكير وكفر: أو زاده التذكير كفرا، كأن يسب الله ونحو ذلك، فلا تذكره كما قال تعالى ﴿ فذَكِّر إن نفعت الذكرى. ﴾ [الأعلى ٩]. فيعذبه الله العذاب الأكبر: فقد استحق الخلود في النار. إن إلى الله -من الموت- رجوعهم. ثم إن على الله حسابهم: فجزاءهم. **٢٣ ~ ٢٦**

★ سورة الفجر ★

★ مكية ★

والفجر: إقبال النهار. وليال عشر: أواخر رمضان، والأوائل من ذي الحجة. والزوج والفرد: من الأشياء، جميعها. والليل إذا يمض: يقبل ثم يدبر، يحلف الله، لتحاسبن أيها الناس على أعمالكم. هل في ذلك -المذكور- قسم -مقنع- لصاحب عقل قاهر لهوى نفسه ضابط؟ **١ ~ ٥**

فائدة! أفضل الأيام العشر الأوائل من ذي الحجة، إلا ليلة القدر كما قال تعالى ﴿ ليلة القدْر خير من ألف شهر. ﴾ [القدْر ٣]: يضاعف ثواب العمل الحسن فيهم جميعا، وتعظم السيئات.

وعَشرٍ يُختَمونَ بيَومِ نَحرٍ ... بلَيلَةِ قَدرِ عامِكُمُ استَنيروا

ألم ينته علمك أيها النبي الكريم كيف فعل ربك بعاد؟ إرم -من أبنائه عاد- ذات الطول والقوة. التي لم يخلق مثلها -في القوة كما قال تعالى ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ﴾ [فُصِّلَت ١٥]- في -بلد من- البلاد. وثمود -وهم من أبناء إرم- الذين قطعوا الصخر بالواد: الذي قطنوه، فنحتوا جباله بيوتا فارهة كما قال تعالى ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين. ﴾ [الشعراء ١٤٩]. وفرعون صاحب الأوتاد: قيل كان يربط فيها من أراد تعذيبه. الذين طغوا متجاوزين لحدود الله في البلاد: كل في بلده، هؤلاء الطواغيت من جملتهم. فأكثروا في بلادهم الفساد: كفرا واقتراف آثام وتجبرا وظلما. فصب عليهم ربك -في الدنيا- نصيب عذاب: مؤلم، ألقاه عليهم فأهلكهم، وينتظرهم في الآخرة ما لا يقارن بما ذاقوه. إن ربك لبالمرصاد: يرصد أعمال الخلق ليجازيهم بها. **٦ ~ ١٤**

فأما الإنسان -في غالب الأمر، لغفلته- إذا ما ابتلاه ربه -مختبرا- فأكرمه -بمال أو بغيره- ونعمه فيظن أن ربه أكرمه: وفضله على عباده، فلم يشكر. وأما إذا ما ابتلاه فضيق عليه رزقه فيظن أن ربه أهانه: إذ أن المال عند أكثرهم مؤشر كرامة، فلم يصبر. كلا! سعة الرزق ليست كرامة وضيقه ليس إهانة! بل لا تكرمون اليتيم: أيها الناس، إذ لا تعطون من فقد أباه قبل بلوغ الحلم مما لديكم، بل قد تسلبونه ماله! ولا تحثون بعضكم بعضا على إطعام المسكين. وتأكلون الميراث -ولا سيما أنصبة اليتامى والضعفاء والنساء- أكلا شديدا: ألا تتحرون الطيب؟ وتحبون المال -حلالا كان أو حراما- حبا كثيرا. **١٥ ~ ٢٠**

كلا! ما ينبغي لكم هذا، وليس المال بنافعكم! إذا كسرت الأرض -والجبال- كسر تفتيت: كما قال تعالى ﴿ وحُملت الأرض والجبال فدُكَّتا دكة واحدة. ﴾ [الحاقَّة ١٤]. وجاء ربك -أيها الإنسان، يوم القيامة، مجيئا يليق به سبحانه، للفصل بين عباده كما قال تعالى ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلَل من الغمام والملائكة وقُضِيَ الأمر ﴾ [البقرة ٢١٠]- والملائكة مصطفين صفوفا. **٢١ ٢٢**

وجيء يومئذ بجهنم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها. ﴾ [مسلم ٢٨٤٢ ★ الترمذي ٢٥٧٣]، يومئذ يتذكر الإنسان -ما عمل في الدنيا، وما أمر الله به وما عنه نهى- وكيف له التذكر: ليتعظ، والآن لا تقبل توبة؟ يتحسر متمنيا لو قدم -في الدنيا إيمانا وعملا صالحا- لحياته: الحقيقية، الآخرة. فيومئذ لا يعذب -مثل- عذاب الله -الأليم- أحد. ولا يوثق -مثل- وثاقه -العصاة في قيود- أحد. **٢٣ ~ ٢٦**
يا أيتها النفس المطمئنة: بإيمانها وعملها الصالح، تخاطب عند الموت ويوم القيامة. ارجعي إلى ربك راضية -بثوابه، عنده- مرضية. فادخلي في عداد عباد الله: الصالحين. وادخلي جنة الله. **٢٧ ~ ٣٠**

★ سورة البلد ★

★ مكية ★

أقسم الله بهذا البلد: مكة. وأنت أيها النبي الكريم حل -حلال لك ما ستصنع مستقبلا- بهذا البلد: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي شريح العدوي خويلد بن عمرو رضي الله عنه ﴿ إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب. ﴾ [البخاري ١٠٤ ★ مسلم ١٣٥٤ ★ الترمذي ٨٠٩ ★ النسائي ٢٨٧٦ ★ أحمد ١٦٣٧٣]. ووالد -البشر: آدم عليه السلام- وما منه تناسل: من ذرية، يحلف الله. لقد خلق الله الإنسان في مشقة: يكابد شدائد في الدنيا، ثم في البرزخ بين الموت والبعث كما قال تعالى ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون ﴾ [المؤمنون ١٠٠] وفي الآخرة إن لم يعمل لها. أيظن -في غالب الأمر، ولا سيما الكافر- أن لن يقدر عليه أحد؟ يفتخر بأن أهلك -على هواه وفي إغواء غيره- مالا كثيرا متراكما. أيظن أن لم يره أحد: قادر على حسابه؟ **١ ~ ٧**
ألم يجعل الله له عينين: يبصر بهما؟ ولسانا -ينطق به- وشفتين: يستر بهما فمه، وفي الكلام والأكل والشرب يستخدمهما؟ ووفقه سبحانه وأرشده -على ألسن أنبيائه، مبينا- الطريقين: الحق والباطل، لئلا يكون له إن ترك الحق حجة؟ فهلا اقتحم العقبة: متجاوزا ما يحول دون دخول الجنة؟ وما أدراك -أيها الإنسان- ما العقبة وكيف هي عظيمة الشأن؟ فك رقبة: تحرير نفس مسلمة، من رق أو أسر أو ديون قربة لله هو اقتحام للعقبة. أو إطعام في يوم مجاعة نادر فيه الطعام. يتيما من أقاربه. أو مسكينا -كأنه من شدة حاجته- لصق بالتراب. ثم كان من الذين آمنوا -فعمل صالح دون إيمان ليس ينفع صاحبه كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿ قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين. ﴾ [مسلم ٢١٤ ★ أحمد ٢٤٦٢١]- وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وأقداره، وأوصى بعضهم بعضا بالرحمة بخلق الله. هؤلاء أصحاب الميمنة: لهم الجنة. **٨ ~ ١٨**

وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ
لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٖ
لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا
ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرْضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾
فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

سُورَةُ البَلَدِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ
أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾
أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ
ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٞ فِي يَوْمٖ ذِي مَسْغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾
أَوْ مِسْكِينٗا ذَا مَتْرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ
بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشَّمۡسِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾
وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾
كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمۡ
رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ
عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيۡلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾

والذين كفروا بآيات الله -المنزلة أو الكونية أو العقلية- هم أصحاب المشأمة: فهم شؤم على أنفسهم قد أوردوها المهالك، وشؤم على من اتبعهم قد غروه وفتنوه. عليهم نار مطبقة مغلقة. **١٩ ٢٠**

فائدة! من الكفر بآيات الله الإعراض عن العمل بها، كمن يعمل بقوانين وضعية تخالف شرع الله.

ومَنْ لمْ يَحكُموا بالشَّرعِ شُؤمٌ ... على أتباعِهِم ولهمْ سعيرُ

★ سورة الشمس ★

★ مكية ★

والشمس وضوئها إذا ارتفعت. والقمر إذا تلاها: فظهر بعد غروبها. والنهار إذا جلى الأرض: فأظهر ما عليها. والليل إذا يغمرها ويغطيها. والسماء وبنائها -المتقن- والذي بناها. والأرض وبسطها وتوسعتها والذي بسطها ووسعها. ونفس -كل إنسي وجني- وتسوية خلقها وتعديل صورتها والذي سوى خلقها وعدل صورتها. فأوقع فيها طريقاها إلى الفجور والتقوى، وألزمها ما قدر لها كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عمران بن حصين ﷺ ﴿ يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: لا، بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿ ونفس وما سوَّاها. فألهمها فجورها وتقواها. ﴾ ﴾ [مسلم ٢٦٥٠ ★ أحمد ١٩٩٣٦]: يحلف الله. قد أفلح ونال مطلوبه من نزه نفسه من الإثم. وقد خاب وخسر من دس نفسه وغمرها في الضلال. **١ ~ ١٠**

كذبت ثمود -صالحا عليه السلام- بسبب طغيانها: وتجاوزاتها مع ربها. حيث قام بما انتدب له أكثرهم -في الآخرة- شقاء. فحذرهم رسول الله ناقة -فاضلة شريفة من- الله -اتركوها- وسقياها: لا تتعرضوا لها بأي سوء، ولا تشاركوها شربها. فكذبوه -لم يصدقوا تحذيره- فأصابوها بجرح قتلها -وقد باشر قتلها أكثرهم شقاء ولم ينكر فعله بقية القوم فصاروا شركاء في الإثم- فأهلكهم ربهم مستأصلا وأطبق عليهم العذاب بسبب ذنبهم، فسوى عقوبته عليهم جميعا، وسوى بهم الأرض. ولا يخاف -سبحانه- عاقبة ولا تبعة إهلاكهم: ولا يخاف رسوله عاقبة ولا تبعة كفرهم ولا يخشى ضررا، فقد أنذرهم فلم يتعظوا. **١١ ~ ١٥**

فائدة! من يباشر فعل المنكر -عن علم- أكثر شقاء ممن يحرضه عليه، وكلاهما إن لم يتب آثم.

يُباشِرُ مُنكرًا فَمِنَ الشَّقاءِ ... قَدِ ازدادَ، استَحَثَّ البَغيَ بُورُ

★ سورة الليل ★

★ مكية ★

والليل إذا يغمر ويغطي. والنهار إذا تجلى: فأظهر الأرض. وخلق الذكر والأنثى والذي خلقهما: يحلف الله. إن سعيكم لمتفرق مختلف: فمن أعمال الناس حسن وسيئ. فأما من أعطى -مما لديه في وجوه الخير- واتقى بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه. وصدق بالجنة: فعمل لها. فسيوفقه الله للطريقة اليسرى فيصل إلى رضاه. وأما من بخل -بما لديه- واستغنى: عن أخراه. وكذب بالجنة: ما عمل لها. **١ ~ ٩**

فسيوفقه الله للطريقة العسرى فيصل إلى سخطه. وماذا ينفعه ماله -الذي بخل بـه- ومـاذا يغـني عنه إذا تهاوى وهلك: في النار؟ إن على الله للهدى: مبينا الحق من الباطل على ألسن أنبيائه. وإن لله للآخرة -بكل ما فيها- والأولى: في الدنيا، فمن طلب شيئا من غير الله فقد ضل. فأنذركم الله -أيها الناس- نارا تلتهب: فاحذروها. لا يقاسي حرها إلا الأكثر -في الآخرة- شقاء: وليس يخرج منها الكافر. الذي كذب -بما جاءه من الله- وأعرض متنحيا عن طاعة ربه. وسيجنبها -فيبعد عنها- الأكثر اتقاء بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه: كأبي بكر الصديق ﵁. الذي يعطي ماله -في وجوه الخير، فهو دوما- يتنزه من الإثم. وما لأحد عنده من نعمة -أنعم بها عليه- تجزى: فيكافئه بسببها. إلا تقربا إلى ربه الأعلى الذي علا على خلقه: مخلصا النية ليس رياء. ولسوف يرضى: بثواب الله له في الآخرة. **١٠ ~ ٢١**

فائدة! يعذب عصاة المسلمين في النار يوم القيامة كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ ﴿ كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى. ﴾ [البخاري **٧٢٨٠** ★ أحمد **٨٧٢٨**]، ولا يخلد في النار إلا كافر.

عُصاةُ المسلمينَ يُعذَّبونَ ... فيُخرِجُهُم مِّنَ النارِ الغفورُ

★ سورة الضحى ★

★ مكية ★

والنهار كله: إذا ارتفعت الشمس. والليل إذا سكن وامتد ظلامه: يحلف الله. ما ودعك ربك أيها النبي الكريم -مفارقا، حين تأخر عنك وحيه- وما أبغض: أبدا. وللآخرة خير لك وأفضل من الأولى: على ما أعطاك في الدنيا من شرف النبوة، فنعيم الآخرة ليس له مثيل. ولسوف يعطيك ربك -الفتح في الدنيا، ومقام الشفاعة في الآخرة والجنة- فترضى: كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو ﵄ ﴿ فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك ﴾ [مسلم**٢٠٢**]. ألم يجدك يتيما -قد فقدت أباك قبل بلوغ الحلم، بل قبل أن تولد- فآوى: جاعلا لك مأوى؟ ووجدك ضالا -موحدا، لكن لا تدري كيفية عبادته- فوفق وأرشد؟ ووجدك فقيرا -لا مال لك- فأغنى: بل وبما قسم لك من رزق أرضاك؟ فأما اليتيم فلا تقهر: أيها المسلم، ولا تسئ معاملته. وأما السائل -معونة أو مالا أو في الدين- فلا تزجر. وأما بنعم ربك -عليك- فحدث: عباده، شاكرا ومظهرا فضله. **١ ~ ١١**

فائدة! يزجر السائل إن اعتدى في السؤال، كأن يسأل ما لا يحق له أو يسأل بغير أدب أو لإثارة فتنة.

ومَنْ سألَ اعتِداءً فانهَروهُ ... وإلَّا فارفِقوا أمَرَ الشَّكورُ

★ سورة الشرح ★

★ مكية ★

ألم يشرح الله لك أيها النبي الكريم صدرك: فيهيئه، لتدعو إلى توحيده؟ وحط سبحانه عنك وزرك: مما كان قبل بعثتك من ذنوب، ومن صغائر لا تحط من منزلة النبوة، كذلك من أعباء النبوة ومشاقها؟ **١ ٢**

فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١

سُورَةُ الشَّرۡحِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢

ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾
إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾

سُورَةُ التِّينِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَلَقِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ
وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ
مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾
إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا
إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴿١٢﴾

الذي أثقل ظهرك: من أعباء النبوة، ألم يخففه عنك؟ ورفع الله لك ذكرك: قارنا ذكرك بذكره في "لا إله إلا الله محمد رسول الله" التي هي مفتاح الإسلام، وصلى عليك هو وملائكته، وأعلى قدرك عند أهل الإيمان، وأمرهم بطاعتك وبالصلاة عليك؟ فإن مع الضيق سعة ومع الشدة فرجا. إن مع الضيق -ذاته- سعة ومع الشدة -ذاتها- فرجا: ولن يغلب ذات العسر يسرَين، فاصبر. فإذا فرغت -مما تعمل- فاتعب واجتهد: مباشرة، في الدعاء والعبادة. وإلى ربك -وعفوه- فارج: وهل يرجو مسلم غيره؟ **٣ ~ ٨**

فائدة! ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ ما من مسلم يدعو بدعوة: ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذًا نكثر؟ قال: الله أكثر. ﴾ [أحمد **١١١٣٣**].

لِنُكثِرْ في الدعاءِ فإنَّ ربِّي ... هوَ الأعلى المُجيبُ، ولا تَجوروا

★ سورة التين ★

★ مكية ★

والتين والزيتون: إذ ينبتان في الشام، حيث ولد المسيح عليه السلام. وطور سينين: جبل سيناء، حيث كلم الله موسى عليه السلام. وهذا البلد الآمن: مكة، حيث بعث محمد ﷺ، يحلف الله. لقد خلق الله الإنسان في أحسن صورة وتعديل: معتدلا قائما حسن الهيئة. ثم رده الله أسفل سافلين: فمد عمره إلى أن ضعف وهرم في الدنيا، ورد العاصي إلى النار في الآخرة. إلا الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة فلهم ثواب غير مقطوع أبدا: الجنة. فماذا يحملك على التكذيب بعد -علمك بقدرته، أيها الكافر- بالدين: تظن كما قال تعالى ﴿ أيحسب الإنسان أن يُترك سُدى. ﴾ [القيامة **٣٦**] ألا تدان أو تحاسب؟ أليس الله -يبعثك للحساب- بأعدل الحاكمين وأتقنهم وأكثرهم علما وحكمة؟ **١ ~ ٨**

فائدة! الدنيا دار اختبار لا دار جزاء، وفي الاختبار يكون هناك أمور مستصعبة يغالب فيها المرء هواه.

هيَ الدُّنيا، اختِبارٌ للعِبادِ ... فَمَنْ طَلَبوا الثَّوابَ فلنْ يَخوروا

★ سورة العلق ★

★ من أسمائها اقرأ، وهي مكية ★

اقرأ أيها النبي الكريم -ما نزل عليك، مفتتحا- باسم ربك الذي خلق: كل المخلوقات. خلق الإنسان من علق: من دم جامد متكون من المني. اقرأ، وربك -الذي يأمرك بالقراءة هو- الأكثر كرما. الذي -من جملة كرمه أنه- علم -الإنسان الكتابة- بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم: فرفع قدره. **١ ~ ٥**

كلا! إن الإنسان -بالغ العصيان، كأبي جهل ومن على شاكلته- ليطغى: متجاوزا حدود الله. أن رأى نفسه -لفرط جهله وغبائه، بما لديه عن أخراه- استغنى. إن إلى ربك الرجعى: الآخرة، أتعقل؟! أرأيت وتأملت الذي ينهى. عبدا إذا صلى: كأبي جهل ومن على شاكلته من كارهي الدين؟! أرأيت وتأملت إن كان -المنهي- على الهداية؟ أو أمر -غيره- بالتقوى بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه؟ **٦ ~ ١٢**

أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ
لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾
سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

سُورَةُ القَدْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا
بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَيِّنَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ
قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ
حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

أرأيت وتأملت إن كذب -الناهي، بما جاءه من الله- وأعرض متنحيا عن طاعة ربه؟ ألم يعلم بأن الله يرى: ما يفعل، وحتما سيحاسبه؟ كلا! لئن لم ينته -عما يفعل- ليسحبنه الله بشدة من الناصية: شعر مقدمة رأسه، بواسطة ملائكته إلى النار. ناصية كاذبة خاطئة: صاحبها متعمد الخطأ. فليدع مجلسه: الذي يتباهى به وبكثرة رواده، وليستعن بمن أراد. سيدع الله الملائكة شديدي البطش: فأي الفريقين أقوى؟ كلا! لا تطعه -أيها المسلم- واسجد -لله، مداوما على صلاتك- واقترب: بطاعته. **١٣ ~ ١٩**

فائدة! من ينه الناس عن الصلاة في المساجد -بمراقبتهم والتضييق عليهم بحجة حفظ "أمن الدولة" وما شابه من الهراء- لا طاعة له، فلنتقرب إلى الله بإعداد جاد للخلاص من شرورهم كما قال تعالى ﴿ وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ [الأنفال ٦٠].

ولا تُطِعِ الَّذينَ يُضَيِّقونَ ... على أهلِ الصلاحِ، بَلِ النَّفيرُ

★ سورة القَدْر ★

★ مكية ★

إن الله أنزل سبحانه القرآن في ليلة القدر: عظيم قدرها، كثيرة النفع والخير، بدأ فيها نزوله عليه ﷺ. وما أدراك -أيها المسلم- ما ليلة القدر وكيف هي عظيمة الشأن؟ ليلة القدر -الطاعة فيها- خير وأفضل من ألف شهر: خال منها. تنزل الملائكة والمَلَك جبريل عليه السلام -كما أتاه ﷺ أول مرة- فيها بإذن ربهم ومشيئته، من -أجل- كل أمر: قدر الله وقوعه خلال السنة المقبلة كما قال تعالى ﴿ فيها يُفرَق كل أمر حكيم. ﴾ [الدخان ٤]. سلام هي -خير كلها، منذ غروب الشمس- حتى طلوع الفجر. **١ ~ ٥**

فائدة! ليلة القدر في العشر الأواخر -بدءا من العشرين- من شهر رمضان، وهي متغيرة ليست ثابتة.

وفي رَمَضانَ في عَشرٍ بَواقٍ ... يُغَيِّرُ لَيلَةَ القَدرِ القَديرُ

★ سورة البَيِّنة ★

★ مدنية ★

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين -من آمن فيما بعد من الفريقين- مفارقين -لكفرهم- حتى تأتيهم -الحجة- البينة. رسول من الله -ﷺ، هو الحجة البينة- يقرأ كتابا مطهرا: لا يمسه في اللوح المحفوظ إلا ملائكة مطهرون من كل حدث ونجاسة وذنب وعيب كما قال تعالى ﴿ لا يَمَسَّه إلا المُطَهَّرون. ﴾ [الواقعة ٧٩]. فيه -القرآن- عقائد وأحكام قيمة مستقيمة محكمة، لا اختلاف فيها ولا تناقض. وما تفرق أهل الكتاب من يهود ونصارى -فغدوا أحزابا- إلا من بعد ما جاءتهم -الحجة- البينة: فقد علموا يقينا من كتبهم أن عليهم اتباعه ﷺ، فمنهم من آمن به، ومنهم من عاند وكفر. وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين -بلا شرك ولا رياء- حنفاء مائلين عن جميع الأديان الباطلة إلى الإسلام، ويؤدوا الصلاة ويظهروا هيئتها ويديموها بشروطها، ويخرجوا الزكاة الواجبة في أموالهم، وذلك -المذكور من توحيد وإخلاص يصدقهما عمل- دين -ثابت الاستقامة، هو الملة- القيمة. **١ ~ ٥**

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ
عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢ وَقَالَ
ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥
يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ
مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨

سُورَةُ العَادِيَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ
صُبۡحٗا ٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ٥

إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين -وماتوا على كفرهم لم يتوبوا- في نار جهنم -يعذبون- خالدين فيها، هؤلاء هم شر الخليقة وأسوأها. ٦

إن الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة هؤلاء هم خير الخليقة وأفضلها. ٧

فائدة! من يزعم المساواة المطلقة في الدنيا بين خير الخليقة وشرها إما جاهل تافه أو صاحب هوى.

ومَنْ زَعَموا المُساواةَ استِنادًا ... إلى الأهواءِ قَدْ ضَلُّوا، فَغُوروا!

جزاؤهم عند ربهم جنات إقامة دائمة غير منقطعة تجري خلالها الأنهار، خالدين فيها -ينعمون- أبدا، رضي الله عنهم -بما قدموا في الدنيا- ورضوا عنه -بما جزاهم به- ذلك -الرضا من الله والثواب- لمن خشي ربه: فحملته خشيته على طاعته سبحانه. ٨

فائدة! من ادعى أن دافع طاعة الله ينبغي ألا يكون إلا حبه -ليس خشيته أو الطمع في ثوابه- مبتدع.

قَدِ ابتَدَعَ الَّذي زَعَمَ الرجاءَ ... وخَوفَ مَقامِ ربِّي لَمْ يُنيروا

★ سورة الزلزلة ★

★ مدنية ★

إذا زلزلت الأرض زلزالها: فاضطربت اضطرابا شديدا إيذانا بقيام القيامة. وأخرجت الأرض أثقالها: من موتى وكنوز وغير ذلك. وتساءل الإنسان -متعجبا- مالها؟ يومئذ تحدث أخبارها: مخبرة بما وقع عليها من خير وشر. بسبب أن ربك -أيها الإنسان- أوحى لها: آمرا إياها بالحديث عما وقع عليها. ١ ~ ٥

يومئذ ينصرف الناس -من موقف الحساب- متفرقين ليروا جزاء أعمالهم: التي عملوها في الدنيا. فمن يعمل مقدار وزن ذرة خيرا يره: ويعلم جزاءه. ومن يعمل مقدار وزن ذرة شرا يره: ويعلم جزاءه. ٦ ~ ٨

فائدة! "حساسية" ميزان الحسنات والسيئات وزن الذرة، فاتقوا النار بالصدقة -ولو كانت قليلة- كما ورد عن النبي ﷺ من حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه ﴿ فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة ﴾ [البخاري ١٤١٣ ★ مسلم ١٠١٦ ★ النسائي ٢٥٥٣ ★ أحمد ١٨٢٤٨].

بميزانٍ يُقَيَّمُ ما عَمِلنا ... تَصَدَّقَ واتَّقى النارَ الخُيُورُ

★ سورة العاديات ★

★ مكية ★

والإبل والخيل العاديات حتى تعلو أصوات أنفاسها من شدة الجري. فالنار الموقدات قدحا: إذا ضرب الحصى بعضه بعضا من أثر الجري، أو ضربت الحوافر الحصى. فالإبل والخيل المغيرات على الأعداء وقت الصباح. فأثرن بجريهن غبارا. فتوسطن -بمن عليهن- جمعا: من الأعداء، يحلف الله. ١ ~ ٥

فائدة! منزلة الجهاد هي كما ورد عن النبي ﷺ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ﴿ رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد ﴾ [الترمذي ٢٦١٦ ★ ابن ماجة ٣٩٧٣ ★ أحمد ٢٢٠١٦].

صلاةُ المسلمينَ عَمودُ دِينٍ ... وذِروَتُهُ الجِهادُ، إليهِ سِيروا

إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩
وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١

سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ
يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ
ٱلۡمَنفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ
رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩
وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ
كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦
ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨

إن الإنسان -في غالب الأمر، لغفلته- لربه لكفور جاحد بنعمه عليه. وإنه على ذلك -الكفران بالنعم- لشاهد: لشدة وضوح كفرانه وجحوده لا يمكنه الإنكار. وإنه لحب المال لشديد: فيبخل به. ٦ ~ ٨
أفلا يعلم -هذا الغافل- إذا بعثر ما في القبور: فقلب ترابها لبعث من فيها. وجمع ما في الصدور: من معتقدات ونيات وغير ذلك وجرى إظهاره. إن رب المبعوثين بهم يومئذ -يوم القيامة حيث الجزاء، وهو حتما آت، وفي غير ذلك اليوم- لخبير لا يخفى عليه شيء مما يظهرون أو يبطنون. ٩ ~ ١١

⋆ سورة القارعة ⋆

⋆ مكية ⋆

القارعة: القيامة، تقرع الخلق بأهوالها. ما القارعة: أي شيء هي؟ وما أدراك -أيها الإنسان- ما القارعة وكيف هي عظيمة الشأن؟ يوم يكون الناس كالفراش الكثير المتفرق: منتشرين متناثرين بلا وجهة، تأتي يومئذ القارعة. وتكون الجبال -خفيفة، تتحرك مسرعة- كالصوف المصبوغ المنفوش. ١ ~ ٥
فأما من رجحت كفة حسناته. فهو في عيشة مرضية يرضاها صاحبها: في الجنة. ٦ ٧
وأما من خفت حسناته: فرجحت كفة سيئاته. فمسكنه نار يأوي إليها وفيها يهوي. وما أدراك -أيها الإنسان- ما هي وكيف هي عظيمة الشأن؟ نار حامية: حرها متناه هي. ٨ ~ ١١
فائدة! من أكثر ما يجعل الناس تهوي في النار حصاد ألسنتهم كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا، يهوي بها سبعين خريفا في النار. ﴾ [البخاري ٦٤٧٧ ⋆ مسلم ٢٩٨٨ ⋆ الترمذي ٢٣١٤ ⋆ ابن ماجة ٣٩٧٠ ⋆ أحمد ٧٢١٥].

حَصادَ الألسُنِ احذَرْ أم تَرَاكَ ... تُرِيدُ النارَ؟ أم فُقِدَ الشُّعورُ؟

⋆ سورة التكاثر ⋆

⋆ مكية ⋆

ألهاكم التكاثر: فتباهيتم بالأموال والأولاد وغير ذلك من متع زائلة أيها الغافلون، فشغلتكم عما خلقكم الله من أجله كما قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ﴾ [الذاريات ٥٦]. حتى زرتم المقابر: فمتم، وما أحدكم في قبره إلا بمثابة زائر حتى تقوم القيامة. كلا! سوف تعلمون: عند الموت عاقبة غفلتكم. ثم كلا! سوف تعلمون: فتتأكدون عند البعث من عاقبتكم. ١ ~ ٤
كلا! لو تعلمون -أيها الناس ما تصيرون إليه- علم اليقين: لما غفلتم عنه. لترون -والله- الجحيم: كما قال تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم ٧١]. ثم لترونها -أيها العصاة- عين اليقين: فأنتم فيها. ثم لتسألن -أيها الناس- يومئذ عن النعيم: الذي أنعم الله به عليكم في الدنيا، أشكرتم نعمه؟ ٥ ~ ٨
فائدة! من كفران النعم عدم شكر الله عليها، وأشد الكفران استعمال النعم في عصيانه سبحانه، كمن ينعم الله عليه بقوة جسدية فلا يشكره ولا يستخدمها في مساعدة خلقه، بل يستخدمها في إيذائهم.

وهذا أنعَمَ الباقي عليهِ ... فبارَزَهُ بنِعمَتِهِ الكَفُورُ

سُورَةُ العَصۡرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣

سُورَةُ الهُمَزَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢
يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤
وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ
عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩

سُورَةُ الفِيلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ
كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣
تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥

★ سورة العصر ★

★ مكية ★

والدهر: يحلف الله. إن الإنسان لفي خسر: يخسر من قضى عمره عاملا لدنيا غافلا عن آخرته والدهر عليه يشهد! إلا الذين آمنوا وعملوا -تصديقا لإيمانهم- الأعمال الصالحة، وأوصى بعضهم بعضا بالحق -الذي لا يجوز ترك القيام به- وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وأقداره. ١ ~ ٣

فائدة! من الحق الذي يجب أن يوصي أهل الإيمان بعضهم بعضا به وجوب الحكم بما أنزل الله كما قال تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكِّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويُسَلِّموا تسليما. ﴾ [النساء ٦٥]، ووجوب مصاولة أهل التشريع والحكم بغير ما أنزل الله.

تَواصى أهلُ إيمانٍ بِحقٍّ ... إقامةُ شَرعِ ربِّي، أو نَثورُ

★ سورة الهُمَزة ★

★ مكية ★

شدة الحسرة والهلاك لكل مغتاب للناس، معيب لهم. الذي جمع مالا وأحصاه مرة تلو الأخرى: ليس له هم سواه. يظن أن ماله أخلده: في الدنيا، فيتسبب في النجاة من الموت أو إطالة عمره. ١ ~ ٣

فائدة! المال قد يوفر مقومات حياة أفضل، ولكن لا يطيل عمرا كما قال تعالى ﴿ ولن يؤخِّر الله نفسا إذا جاء أجلها ﴾ [المنافقون ١١]، كذلك النكوص عن مصاولة أعداء الدين ليس يطيل عمرا.

أمالُكَ يَشتري ما لا يُباعُ؟ ... أمِ الآجالَ بَدَّلَها النَّفيرُ؟

كلا! ليطرحن في النار المحطمة لما فيها. وما أدراك -أيها الإنسان- ما النار المحطمة لما فيها وكيف هي عظيمة الشأن؟ نار الله الموقدة: هي كما قال تعالى ﴿ نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غِلاظ شِداد ﴾ [التحريم ٦]. التي ينفذ حرها إلى القلوب -محل كل عقيدة باطلة- وتعلم ما يستحق كل منها من عذاب. إنها عليه هو وأمثاله مطبقة مغلقة. في أعمدة ممددة: تحيطها كالسور. ٤ ~ ٩

★ سورة الفيل ★

★ مكية ★

ألم ينته علمك -أيها الإنسان- كيف فعل ربك بأصحاب الفيل: أبرهة الأشرم ملك الحبشة إذ جاء مع جيشه بفيل ليخربوا الكعبة؟ ألم يجعل مكائدهم في تضليل: فلم ينالوا مرادهم؟ وأرسل عليهم طيرا في أفواج كبيرة؟ ترميهم بحجارة من طين صلب؟ فجعلهم كسيقان -زرع- أكلته البهائم وداسته؟ ١ ~ ٥

فائدة! ستهدم الكعبة آخر الزمان كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة. ﴾ [البخاري ١٥٩١ ★ مسلم ٢٩٠٩ ★ النسائي ٢٩٠٤ ★ أحمد ٨٠٩٤]، وإن المقدسات لتنتهك -كما يحدث الآن- حين يتخاذل من أوكل الله إليهم حمايتها عن جهاد أعدائه.

رَغِبتُم عَنْ جِهادٍ فاستَعِدُّوا ... لِهدمِ مُقدَّساتٍ، فاستَديروا!

★ سورة قريش ★

★ من أسمائها لإيلاف، وهي مكية ★

من أجل عادة قريش: نعمة قد تفضل الله بها عليهم. عادتهم رحلة الشتاء والصيف: إلى اليمن والشام للتجارة، آمنين لا يغير عليهم أحد لأنهم أهل بيت الله الحرام الذي حماه من الفيل. فليعبدوا رب هذا البيت: وحده لا شريك له. الذي أطعمهم من جوع -بما جلبوا من تجارة- وآمنهم من خوف. ١ ~ ٤

فائدة! يتحجج بعض الحكام ومن يدافع عنهم اليوم بأن تطبيق شرع الله سيؤلب عليهم النظام الدولي! تماما كما فعلت قريش كما قال تعالى ﴿ وقالوا إن نتَّبِع الهدى معك نُتَخَطَّف من أرضنا أولم نُمكِّن لهم حرما آمنا يُجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لَّدُنَّا ﴾ [القَصص ٥٧]! فهل هؤلاء موقنون بالله؟

أتُوقِنُ أنتَ باللهِ الَّذي لا ... تُطَبِّقُ شَرعَهُ؟ كُفرًا تَسيرُ!

★ سورة الماعون ★

★ من أسمائها أرأيت، وهي مكية ★

أرأيت -أيها الإنسان- وتأملت الذي يكذب بالدين: يظن كما قال تعالى ﴿ أيحسب الإنسان أن يُترك سُدى. ﴾ [القيامة ٣٦] ألا يدان أو يحاسب؟ فذلك الذي يدفع اليتيم بجفوة: إذ لا يعطي من فقد أباه قبل بلوغ الحلم مما لديه، بل قد يسلبه ماله؟! ولا يحث -نفسه ولا غيره- على إطعام المسكين؟ فشدة الحسرة والهلاك للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون: فلا يؤدونها في وقتها تامة الأركان. الذين هم يراءون: لا يرجون رضا الله، بل ليراهم عباده يصلون. ويمنعون الزكاة الواجبة في أموالهم وما يعينون به الناس، كذلك يمنعون إعارة ما لا يضر إعارته كالإناء والدلو والفأس ونحو ذلك. ١ ~ ٧

فائدة! ثمة تلازم بين التكاسل عن الصلاة وتأخيرها وبين النفاق والرياء كما قال تعالى ﴿ إنَّ المنافقين يُخادعون الله وهو خادِعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى يُراءون الناس ﴾ [النساء ١٤٢].

تَكاسَلَ عَنْ صلاةٍ مَنْ يُرائي ... وأَخَّرَها المُنافِقُ إذْ يَجورُ

★ سورة الكوثر ★

★ مكية ★

إن الله أعطاك سبحانه أيها النبي الكريم -نهر- الكوثر: وذلك في الجنة، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر. ﴾ [البخاري ٤٩٦٤ ★ أبو داود ٤٧٤٨ ★ الترمذي ٣٣٥٩ ★ أحمد ١٢٠٠٨]. فصل لربك -وحده لا شريك له، شاكرا إياه على نعمه، وداوم على ذلك- واذبح: ذاكرا اسمه سبحانه على ذبيحتك عند نحرها. إن مبغضك هو المنقطع ذكره وخيره. ١ ~ ٣

فائدة! رفع الله ذكر نبيه ﷺ وزاد من أنصاره وأتباعه، وأخمد ذكر كارهيه على مدار التاريخ.

وذِكرَ حَبيبِنا رَفَعَ القديرُ ... ومُبغِضُهُ طَواهُ الدَّهرُ بُورُ

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ٢
فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم
مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ٤

سُورَةُ المَاعُونِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ
ٱلْيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ٣ فَوَيْلٌ
لِّلْمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥
ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ٧

سُورَةُ الكَوْثَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ٣

سُورَةُ الكَافِرُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢
وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤
وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦

سُورَةُ النَّصۡرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ
يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ
وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣

سُورَةُ المَسَدِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢
سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤
فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥

★ سورة الكافرون ★

★ الكافرون مرفوع على الحكاية، وهي مكية ★

توجه أيها النبي الكريم بالخطاب إلى الكافرين: مؤكدا. لا -ولن- تعبد ما يعبدون: وإن عرضوا عليك أن يعبدوا إلهك عاما وتعبد آلهتهم عاما. ولا هم عابدون ما تعبد: فقد سبق في علم الله أنهم يموتون كفارا. ولا أنت عابد ما عبدوا: فلست مشركا. ولا هم عابدون ما تعبد: فليسوا موحدين. لهم دينهم ولك دينك: كما قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه ﴾ [آل عمران ٨٥]. ١ ~ ٦

فائدة! المفاصلة مع الكفار واجبة، فاختلاف الدين ليس أمرا "لا يفسد للود قضية" كما يزعم العوام.

مُفاصَلَةٌ تُفَرِّقُ بينَ كُفرٍ ... وإسلامٍ نؤيِّدُ، بَلْ نُثيرُ

★ سورة النصر ★

★ مدنية ★

إذا جاء نصر الله -على أعدائك- والفتح: فتح مكة. ورأيت أيها النبي الكريم الناس يدخلون في دين الله أفواجا: مجتمعين في تتال. فواظب على تنزيه ربك وتقديسه متلبسا ومقرونا بالثناء عليه -فقد دنى رحيلك عن الحياة الدنيا- واطلب منه المغفرة -لتتعلم أمتك، فتقتدي بك، كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه، وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن. ﴾ [البخاري ٨١٧ ★ مسلم ٤٨٤ ★ أبو داود ٨٧٧ ★ النسائي ١١٢٢ ★ ابن ماجة ٨٨٩ ★ أحمد ٢٤١٦٣]- إنه كان كثير التوبة على عباده. ١ ~ ٣

فائدة! صلاح أكثر الخلق لا يأتي إلا بعد الانتصارات، فمن زعم أنه سيصلح عددا كبيرا لكي يصاول بهم العدو فهو واهم! بل النواة الصلبة تتحمل أول الأمر، ثم يزيد العدد تدريجيا مع توالي الانتصارات.

صلاحُ الخَلْقِ يأتي بَعدَ فَتحٍ ... تَوَهَّمَ غَيرَ ذلكَ مَنْ يَخورُ

★ سورة المَسَد ★

★ من أسمائها اللهَب وتبَّت، وهي مكية ★

هلكت يدا أبي لهب -عم النبي ﷺ- وخسرت، وهلك -هو بما اقترفت يداه- وخسر. ماذا نفعه ماله وما كسب -من أولاد كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ﴿ إن من أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه. ﴾ [أبو داود ٣٥٢٨ ★ الترمذي ١٣٥٨ ★ النسائي ٤٤٤٩ ★ ابن ماجة ٢١٣٧ ★ أحمد ٢٤٠٣٢]- وماذا أغنى عنه؟ سيقاسي حر نار ذات اتقاد. وامرأته -لها مثله- حمالة الحطب: تمشي بين الناس بالنميمة، وتطرح حطبا وأذى في طريق النبي ﷺ. في عنقها حبل -محكم الفتل- من ليف خشن: تحمل أوزارها به كحامل الحطب، وتساق به إلى النار. ١ ~ ٥

فائدة! لو أعلن أبو لهب أو زوجته الإسلام لتم هدمه وتكذيب القرآن، فسبحان من أضلهما عن ذلك!

أبو لَهَبٍ وزَوجَتُهُ أجابا ... عَنِ القرآنِ: أَنزَلَهُ الخبيرُ

★ سورة الإخلاص ★

★ مكية ★

أخبر أيها النبي الكريم الكفار أن هو الله -الإله الذي يضرع إليه الخلائق، المعبود بحق- أحد: منفرد بالألوهية. الله السيد الذي انتهى إليه السؤدد في صفات الكمال ليس له سيد، تصمد إليه الخلائق وتقصد في حوائجها ورغائبها. لم يلد -ولم يتخذ أي أولاد، لا عزير ولا المسيح عليه السلام ولا الملائكة ولا غير ذلك- ولم يولد: لا والد له، ولم يصدر عن أحد ولا عن شيء. ولم يكن له مكافئا أحد. ١ ~ ٤

فائدة! قراءة سورة الإخلاص في ليلة يعدل قراءة ثلث القرآن كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: الله الواحد الصمد ثلث القرآن. ﴾ [البخاري ٥٠١٥ ★ أحمد ١١٠٥٣].

وتَعدِلُ سورةُ الإخلاصِ ثُلْثًا ... لِتَقرأْها كما وصَّى البشيرُ

★ سورة الفلَق ★

★ مكية ★

ادعُ أيها النبي الكريم -وكل فرد من أمتك- مستعيذا برب الفلق: كل ما ينشق من ضوء صباح وحب ونوى وغير ذلك. من شر ما خلق: من إنس وجن وحيوان وغيرهم. ومن شر ظلمة الليل إذا أقبلت: وما يصاحبها من نشاط كائنات مؤذية وشرار الإنس والجن وغيرهم. ومن شر الساحرات اللاتي ينفثن في العقد: إذ يعقدنها على السحر. ومن شر حاسد إذا حسد: متمنيا زوال النعمة عن المحسود. ١ ~ ٥

فائدة! الرقية من العين والحسد هي كما ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿ أن رسول الله ﷺ اشتكى، فأتاه جبريل فقال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من كل حاسد وعين الله يشفيك. ﴾ [مسلم ٢١٨٦ ★ الترمذي ٩٧٢ ★ ابن ماجة ٣٥٢٣ ★ أحمد ١١٧١٠].

وبِسمِ اللهِ نَرقي كُلَّ نفسٍ ... أصابتها الأذِيَّةُ والشُّرورُ

★ سورة الناس ★

★ مكية ★

ادعُ أيها النبي الكريم -وكل فرد من أمتك- مستعيذا برب الناس. ملك الناس: مالك أمرهم المتصرف فيهم. إله الناس: الذي يضرعون إليه، المعبود بحق. من شر -الشيطان- كثير الوسوسة -خاصة حال الغفلة، فإذا ذكر المرء الله فهو- المختفي. الذي يوسوس في صدور الناس: مزينا لهم عصيان الله. من الجن والناس: يكون الشياطين كما قال تعالى ﴿ شياطين الإنس والجن ﴾ [الأنعام ١١٢]. ١ ~ ٦

فائدة! شياطين الجن يوسوسون للناس خفاء، أما شياطين الإنس فيوسوسون لهم علانية، طورا في صورة ناصح يزين لهم عصيان الله، وتارة في صورة طاغوت يأمرهم بعصيان ربهم أو يصدهم عن إقامة شرعه.

أبالِسَةٌ تُوَسوِسُ في خَفاءٍ ... وأُخرى تَدفَعُ الناسَ استَجيروا

سُورَةُ الإِخۡلَاصِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣
وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤

سُورَةُ الفَلَقِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤
وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

سُورَةُ النَّاسِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ
ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي
يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥
مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦